

# نَدَائِيحُ ابْنِ خَلْدُونِ

المُتَعَقِّ

بِإِذْنِ الْمَلِكِ، وَرِوَايَةِ الْمُسْتَعِينِ وَالْمُهَيَّيَّاتِ وَالْعَلَمِ وَالْمُهَيَّيَّاتِ  
وَمِنْ تَعْلِيْقِهِمْ مِنْ دَوْنِ الشَّيْخَانِ الْأَكْبَرِ

بِإِذْنِ الْمَلِكِ وَالْمُسْتَعِينِ وَالْمُهَيَّيَّاتِ وَالْعَلَمِ وَالْمُهَيَّيَّاتِ  
الْمُسْتَعِينِ وَالْمُهَيَّيَّاتِ

المجلد الأول

مُتَعَقِّاتُ الشَّيْخَانِ الْأَكْبَرِ وَالْمُهَيَّيَّاتِ

بِهَيْئَةِ



0160148

Biblioteca Alexandria









# ابن خلدون

المُسَمَّى

بِكُتَابِ الْعِبَرَةِ، وَدِيَوَانِ الْمُبْتَدَأِ وَالْخَبَرِ، فِي أَيَّامِ الْعَرَبِ وَالْعَجَمِ وَالْبَرْبَرِ  
وَمَنْ عَاصَرَهُمْ مِنْ ذَوِي السُّلْطَانِ الْأَكْبَرِ

لِوَحِيدِ عَصْرِ الْعِلْمِ وَالْعِبَادَةِ عَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنِ مُحَمَّدِ بْنِ خَلْدُونِ الْحَفْصِيِّ الْغَسَّالِيِّ  
الْمُتَوَفَّى سَنَةَ ٨٠٨ هَجْرِيَّةً

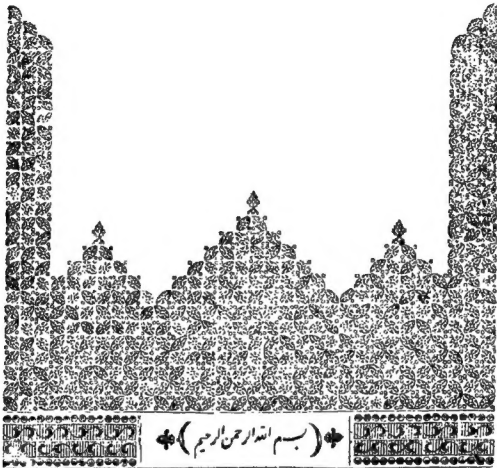
الجزء الاول



General Organization of the Alexandria Library (GOAL)  
Subsidiary

مؤسسة جمال للكتاب والنشر

وطني للثقافة - شارع عيسى بن علي - بناء للشؤون  
ببيروت - لبنان



{ يقول العبد الفقير الى رحمة ربه الغني بلفظه عبد الرحمن }  
{ ابن محمد بن خالدون الحضرمي وفاته الله تعالى }

الحمد لله الذي له العزة والجلل \* ويده الملك والمكوت \* وله الاسماء الحسنى  
والنعوت \* العالم فلا يعزب عنه ما تظهره النجوم أو يخفيه السكوت \* القادر  
فلا يعجزه شيء في السموات والارض ولا يفوت \* أنشأنا من الارض نسما \* واستعمرنا  
فيها أجيالا وأممنا \* وبسرلنا منها أرواقا وقسما \* تكتنفنا الارحام والبسوت  
\* ويكفلنا الرزق والقوت \* وتبلىنا الايام والوقوت \* وتعمرنا الالجال التي خط  
علينا كتابها الموقوت \* وله البقاء والشبوت \* وهو الحى الذى لا يموت \* والصلاة  
والسلام على سيدنا ومولانا محمد النبي الامى العربى المكتوب فى التوراة والانجيل  
التنوع \* الذى تخفى لفصالة الكون قبل أن تتعاقب الاحاد والسيبوت \* وتباين  
زحل واليهاموت \* وشهد بصدقه الحمام وانعش كيون \* وعلى آله وأصحابه الذين  
لهم فى محبته واتباعه الاثر البعيد والصيت \* والشمل الباسع فى مظاهره ولعدوهم  
الشمل الشيت \* صلى الله عليه وعليهم ما اتصل بالاسلام بجدته المبحوت \* وانقطع

بالكفر حبله المبتوت \* وسلم كثيرا (أما بعد) فإن فن التاريخ من الفنون التي  
يتداولها الامم والاجيال \* وتشد إليه الركايب والرجال \* وتسو إلى معركته  
السوقة والاعتقال \* وتنافس فيه الملوك والاقبال \* ويساوى في فهمه العلماء  
والجهال \* اذهوق ظاهره لا تريد على اخبار عن الايام والدول \* والسوايق  
من القرون الاول \* تنمى فيها الاقوال \* وتضرب فيها الامثال \* وتطرف فيها  
الابدية اذا غصها الاحتقال \* وتؤدى النباشان الخليفة كيف تغلبت بها الاحوال  
\* واتسع للدول فيها النطاق والجمال \* وغرو الارض حتى نادى بهم الارتفاع  
\* وحان منهم الزوال \* وفي باطنه نظر وتحقيق \* وتعليل للمكائلات ومباديها دقيق  
\* وعلم بكيفيات الوقائع واسبابها عقيق \* فهو لذلك أصيل في الحكمة عريق  
\* وجدير بأن يعتد في علومها وخلق \* وان غول المؤرخين في الاسلام قد استوهوا  
أخبار الايام وجعوا \* وسطروها في صفحات الدفاتر وأدعوا \* وخطوها  
المستقلون بمئات من الباطل وهموافيها أو استدعوا \* وزخارف من الروايات  
المضعة لفقوها ووضعوها \* واقتنى تلك الآثار الكثر بمن بعدهم وابتموها  
\* وأدوها اليها كما جمعوها \* ولم يلاحظوا أسباب الوقائع والاحوال ولم يراعوها  
\* ولا يفرضوا تزوهات الاحاديث ولا دفعوها \* فالتحقيق قليل \* وطرف التنقيح في  
الغالب قليل \* والغلط والوهم نسيب للاخبار وخليل \* والتقليد عريق في  
الآدميين وسليل \* والتطفل على الفنون عريض وطويل \* ومرعى الجهل بين  
الانام وخيم ويل \* والحق لا يقاوم سلطانه \* والباطل يقذف بشهاب النظر سلطانه  
\* والناس قل انما هو يلى وينقل \* والبصيرة تنقد الصحيح اذا تمقل \* والعلم يحلولها  
صفحات الصواب ويصقل \* (هذا) وقد دون الناس في الاخباروا كثيرا \* وجعوا  
تواريخ الامم والدول في العالم وسطروا \* والذين ذهبوا بفضل الشهرة والامانة المعبرة  
\* واستفرغوا دواوين من قبلهم في مصحفهم المتأخرة \* هم قليلون لا يكادون  
يجاوزون عدد الانامل \* ولا حركات العوامل \* مثل ابن اسحق والطبرى وابن  
الكلبي ومحمد بن عمر الواقدي وسيف بن عمر الاسدي والمسعودي وغيرهم من المشاهير  
\* المنعزين عن الجباهير \* وان كان في كتب المسعودي والواقدي من المظن والمغمز  
ما هو معروف عند اثبات \* مشهور بين الحفظة الثقات \* الا ان الكفاية  
اختصتهم بقبول أخبارهم \* واقفاء سنتهم في التصنيف واتباع آثارهم \* والناقد  
البصر قسطاس نفسه في تزييفهم فيما ينقلون أو اعتبارهم \* فلعمر ان طبائع في  
أحواله ترجع اليها الاخبار \* وتحمل عليها الروايات والآثار \* ثم ان أكثر

التواريخ لهؤلاء عامة المناهج والمسالك \* لعموم الدولتين صدى الاسلام في الاساق  
 والممالك \* وتناولها البعيد من الغايات في المآخذ والتاريخ ومن هؤلاء من  
 استوعب ما قبل الملة من الدول والامم \* والامر العمم \* كالمعودى ومن غشا  
 منحاء وجاء من بعدهم من عدل عن الاطلاق الى التقيد \* ووقف في العموم  
 والاحاطة عن الشأ والبعد \* فقيد شوارد عمرو \* واستوعب أخبار أفرقه وقطره  
 \* واقتصر على أحداث دولته ومصره \* كما فعل أبو حيان مؤرخ الاندلس والدولة  
 الاموية بها وابن الرقيق مؤرخ افرقية والدول التي كانت بالقيروان ثم لم يأت من بعد  
 هؤلاء الا مقلد \* وبلید الطبع والقل أو متبلد \* ينسج على ذلك المتوال \*  
 ويحتذى عنه بالمثل \* ويذهل عما آلت اليه الايام من الاحوال \* واستبدلت به من  
 عوائد الامم والاجيال \* فيجلبون الاخبار عن الدول \* وحكايات الوقائع في  
 العصور الاولى \* صوراً قد تجردت عن موادها \* وصفاً حاشيت من أعماها  
 \* ومعارف تستكر للجهل بطايفها وتلادها \* انما هي حوادث لم تعلم أصولها \*  
 وأنواع لم تعتبر اجناسها ولا تحققت فصولها \* يركزون في موضوعاتهم الاخبار  
 المتداولة بأعيانها \* اتباعاً لمن عني من المتقدمين بشأنها \* ويفضلون أمر الاجيال  
 الناشئة في ديوانها \* بما أعوز عليهم من ترجاتها \* فتستهم بعضهم عن بيانها  
 \* ثم اذا تعرضوا لذكر الدولة نسقوا أخبارها نسقا \* يحافظون على ظاهرها وما  
 أوصدقا \* لا يعترضون لبدايتها \* ولا يذكرون السبب الذي رفع من رايها \*  
 وأظهر من آيتها \* ولا على الوقوف عند غايتها \* فيبقى الناظر متعلها بعد الى  
 افتقاد أحوال مبادئ الدول ومراتبها \* مقتشاع أسباب تراجمها وتعاقيها \*  
 باحشاع المقنع في تباينها وتناسها حسبما تذكرك ذلك كله في مقدمة الكتاب \*  
 ثم جاء آخرون بأفراط الاختصار \* وذهبوا الى الاكتفاء بأسماء الملوك والاقطار  
 \* مقطوعة عن الانساب والاخبار \* موضوعة عليها أعداد أيامهم بحروف الغبار  
 \* كما فعله ابن رشيقي في ميزان العمل \* ومن اقتنى هذا الاثر من الهمل \* وليس يعتبر  
 لهو ولا مقال \* ولا بعد لهم ثبوت ولا انتقال \* لما أذهبوا من القوائد \* وأخلوا  
 بالمذاهب المعروفة للمؤرخين والعوائد (ولما طاعت) كتب القوم \* وسبرت غور  
 الامس واليوم \* نهت عن القريح من سنة الغفلة والنوم \* وسمت التصنيف  
 من نفسي وأنا المقلد أحسن السوم \* فأنشأت في التاريخ كتابا \* رقت  
 به عن أحوال الناشئة من الاجيال حجابا \* وفصلته في الاخبار والاعتبار بابابا \*  
 وأبدت فيه لاولية الدول والعمران عللا وأسبابا \* وبنيت على أخبار الامم الذين

عمر والمغرب في هذه الاعصار \* وملوا كفاف النواحي منه والامصار \* وما كان  
لهم من الدول الطوال والقصار \* ومن سلف من الملوك والامصار \* وهم العرب  
والبربر \* اذ هما الجبلان اللذان عرف بالمغرب ما واهما \* وطال فيه على الاحقاب  
منهاهما \* حتى لا يكاد يتصور فيه ما عداهما \* ولا يعرف اهلهم من اجيال الادميين  
سواهما \* فهذه مناحيه تهديا \* وتزينة لافهام العلماء \* والخاصة بقرىسا \*  
وسلكت في تزيينه وتبويبه مسلكتا غريبا \* واخترعت من بين المناسخ مذهبها  
بعبها \* وطريقة مبتدعة واسلوبا \* وشرحت فيه من احوال العمران والتقدم وما  
يعرض في الاجتماع الانساني من العوارض الذاتية ما يمتنع بطل الكوائن واسبابها  
\* ويعتدك كيف دخل اهل الدول من ابوابها \* حتى تنزع من التقليد يدك \*  
وتقف على احوال من قبلك من الايام والاجيال وما بعدك \* (وربته) على مقدمة  
وثلاثة كتب

(المقدمة) في فضل علم التاريخ وتحقيق مذاهبه والامناع بفال المؤرخين \*  
(الكتاب الاول) في العمران وذكر ما يعرض فيه من العوارض الذاتية من الملك  
والسلطان والكسب والمعاش والصنائع والعلوم وما لذلك من العلل والاسباب  
(الكتاب الثاني) في اخبار العرب واجيالهم ودولهم منذ مبدا الخليقة الى هذا  
العهد وفيه الامناع ببعض من عاصرهم من الامم المشاهير ودولهم مثل البط  
والسريانيين والفرس وبني اسرائيل والقط ويونان والروم والتركة والافرنجة  
(الكتاب الثالث) في اخبار البربر ومن اليهم من زبانه وذكر اوليتهم واجيالهم  
وما كان لهم بديار المغرب خاصة من الملك والدول ثم كانت الرحلة الى المشرق لاجتلاء  
انزاره \* وقضاء القرض والسنة في مطافه ومزاره \* والوقوف على آثاره  
في دواوينه واسفاره \* فافدت ما نقص من اخبار ملوك العجم بتلك الديار \* ودول  
التركة فيملك كهم من الاقطار \* واتبعتهما ما كتبه في تلك الاسطار \* وادرجتها  
في ذكر المعاصرين لتلك الاجيال من أم النواحي \* وملوك الامصار والضواحي  
\* سالكا سبل الاختصار والتلخيص \* مقتديا بالمرام النسيب من العويص \*  
داخلنا من باب الاسباب على العموم الى الاخبار على الخصوص فاستوعب اخبار  
الخليقة استيعابا \* وذلك من الحكم النافذة صعبا \* واعطى لحوادث الدول عللا  
واسبابا \* واصبح للحكمة صوانا والتاريخ حبرا \* (ولما كان) مشتغلا على اخبار  
العرب البربر \* من اهل المدن والوبر \* والامناع عن عاصرهم من الدول الكبر \*  
وانصاع بالذكرى والعبر \* في مبتدأ الاحوال وما بعده من الخبر (سبته) كتاب

العبر \* وديوان المتبداء والخبر في أيام العرب والعجم والبربر \* ومن عاصرهم من  
 ذوى السطان الأكبر \* ولم أثر نشأ في أولية الاجيال والدول \* وتعاصر الام  
 الاول \* وأسباب التصرف والجول \* في القرون الخالية والملل \* وما يعرض  
 في العمران من دولة وملة \* ومدنية وحلة \* وعزة وذلة \* وكثرة وقلة \* وعلم  
 وصناعة \* وكسب واضاعة \* وأحوال متقلبة مشاعة \* وبدو وحضر \* وواقع  
 ومنظر \* الا واستوعبت جله \* وأوضحت براهينه وعمله \* فجاء هذا الكتاب  
 فذا بما شتمته من العلوم الغريبة \* والحكم المحجوبة القرية \* وأمان بعدها  
 موقن بالقصور \* بين أهل العصور \* معترف بالعجز عن المضاء \* في مثل هذه القضاء  
 \* راغب من أهل البد البضاء \* والمعارف المتسعة القضاء \* النظر بعين الانتقاد  
 لإبعين الارضاء \* والتفمدا ليعتروا عليه بالإصلاح والأغصاء \* فالضاعة بين  
 أهل العلم مزجة \* والاعتراف من اللوم منجاة \* والحسن من الاخوان مرهقة \*  
 والله أسأل أن يجعل أعمالنا خالصة لوجهه الكريم وهو حسبي ونعم الوكيل  
 (وبعد) أن استوفيت علاجه \* وأثرت مشكاته للمستبصرين وأذكت سراجيه  
 \* وأوضحت بين العلوم طريقه ومنهاجه \* وأوسعت في قضاء المعارف نطاقه وأدريت  
 ساجه \* اتحت بهذه النسخة منه (٨) خزنة مولانا السلطان الامام المجاهد  
 الباق الماهد \* التحلى منذ خلع التمام \* ولوث العمام \* بجلى القات الزاهد  
 \* المتوسخ من زكاء المناقب والحامد \* وكرم الشمايل والشواهد \* بأجل  
 من القلائد \* في نحو والولائد \* المتناول بالعزم القوى الساعد \* والجد المواقى  
 المساعد \* والمجد الطارف والتاك \* ذوات ملكهم الرامى القواعد \* الكريم  
 المعالى والمساعد \* جامع أشات العلوم والقوائد \* وناظم شمل المعارف الشوارد  
 \* ومظهر الآيات الزبانية \* في فضل المدارك الانسانية \* بقدره الثاقب  
 الناقد \* ورأيه الصحيح المعانيد \* النير المذاهب والعقائد \* نور الله الواضح  
 المرشد \* ونعمته العذبة الموارد \* ولطفه الكامن بالمراد للشدائد \* ورجته  
 الكريمة المقاليد \* التى وسعت صلاح الزمان القاسد \* واستقامة المائمين  
 الاحوال والعوائد \* وذهبت بالخطوب الأوايد \* وخلعت على الزمان رونق  
 الشباب العائد \* وبجته التى لا يظلمها انكار الجاحد ولا شهات المعاند \* (أمير المؤمنين)  
 أبو فارس عبد العزيز ابن مولانا السلطان الكبير المجاهد المقتدس أمير المؤمنين \*  
 أبي الحسن ابن السادة الاعلام من بنى مرزبن \* الذين جددوا الدين \* ونهضوا  
 السبل للمهتدين \* ونحو آثار البغاة المفسدين \* أفاء الله على الامة ظلاله \*

وبلغه في نصر دعوة الاسلام آماله \* وبغته الى خزانهم الموقفة لطلبة العلم بجامع  
 القرويين من مدينة فاس حضرة ملكهم \* وكبرى سلطانهم \* حيث مقر  
 الهدى \* ورياض المعارف خضلة الندى \* وفضاء الاسرار الرابضة فسيح المدى  
 \* والامامة الكريمة الفارسية (١) العزيرة ان شاء الله بنظرها الشريف \* وفضلها  
 الفخري عن التعريف \* تبسط لمن العناية مهابة \* وتفسح له في جانب القبول  
 آمادا \* فتوضح بها أدلة على رسوخه واشهادا \* ففي سوقها تنق بضائع الكتاب  
 \* وعلى حضرتها تعكف ركائب العلوم والآداب \* ومن مدد بصائر المتبررة  
 نتائج القرائح والالباب \* والله يوزعنا شكر نعمتها \* ويوفر لنا خطوط المراهب  
 من رحمتها \* ويعيننا على حقوق خدمتها \* ويجعلنا من السابقين في ميدانها  
 المحلين في حومتها \* ويضي على أهل أيلتها \* وما أودى من الاسلام الى حرم عائلتها  
 لبوس حايتهما وسمتها \* وهو سبحانه المسئول أن يجعل أعمالنا خالصة في  
 وجهتها \* بريئة من شوائب الغفلة وشبهتها \* وهو حسبننا ونعم الوكيل

### ( المقتلعة )

في فضل علم التاريخ وتحقيق مذاهبه والاماع لما يعرض للمؤرخين  
 من المغالط والاوهام وذكر شيء من اسبابها

(اعلم) أن فن التاريخ مخزن عزز بالمنهج جم القوائد شريف الغاية اذ هو يوقنا على  
 أحوال الماضين من الامم في أخلاقهم \* والانباء في سيرهم \* والمولود في دولهم  
 وسياستهم \* حتى تتم فائدة الاقتداء في ذلك لمن يروم في أحوال الدين والديان فهو  
 محتاج الى ما أخذ متعده وه عارف متسوعة وحسن نظر وتثبت يفضان بصاحبهما  
 الى الحق ويكبان به عن المزالات والمغالطات الانخيار اذا اعتمد فيها على مجرد النقل ولم  
 تحكم اصول العادة وقواعد السياسة وطبيعة العمران والاحوال في الاجتماع  
 الانساني ولا قيس الغائب منها بالشاهد والحاضر بالذاهب فربما يؤمن فيها من العثور  
 ومزلة القدم والجسد عن جادة الصدق وكثيرا ما وقع للمؤرخين والمفسرين  
 وأئمة النقل المغالط في الحكايات والوقائع لاعتمادهم فيها على مجرد النقل غشاو  
 سعيهم ليعرضوها على اصولها ولا تأسوها بأشباهها ولا سبروها بعبارة الحكمة  
 والوقوف على طبائع الكائنات وتحكيم النظر والبصيرة في الاخبار فضلا عن الحق  
 وتناهوا في يسداء الوهم والغلط سيما في احصاء الاعداد من الاموال والعساكر

اذا عرضت في المحكمات اذ هي مظنة الكذب وهية الهذول لا يقمن ودها الى  
 الاصول وعرضها على القواعد وهذا كاقول السعوى وكثير من المورخين في  
 جيوش بني اسرائيل وأن موسى عليه السلام أحصاهم في التيه بعد أن أجاز من  
 يطبق حمل السلاح خاصة من ابن عشرين فما فوقها فكانوا ستائة ألف وأربعمائة  
 وبذلك في ذلك عن تقدير مصر والشام وأناسه ما مثل هذا العدد من الجيوش لكل  
 مملكة من الممالك خاصة من الحامية تسع لها وتقوم بوظائفها وتضيق عما فوقها تشهد  
 بذلك العوائد المعروفة والاحوال المألوفة ثم انه مثل هذه الجيوش البالغة الى مثل هذا  
 العدد بعد أن يقع بينها زحف وقتال لضيق مساحة الارض عنها وبعد هذا اذا اصطفت  
 عن مدى البصر مرتين أو ثلاثاً وأزبد كيف يقتتل هذان الفريقان أو تكون  
 غلبة أحد الصقيين وشي من جوانبه لا يشعر بالجانب الآخر والخاضع يشهد بذلك  
 فالماضي أنسبه بالآتي من الماء بالماء (ولقد كان) ملك الفرس ودولتهم أعظم  
 من ملك بني اسرائيل بكثير يشهد بذلك ما كان من غلب بقتلهم ولهم والتمام بلادهم  
 واستيلائه على أمرهم وتخریب بيت المقدس قاعدة ملتهم وسلطانهم وهو من بعض  
 عمال مملكة فارس يقال انه كان مرزبان المقرب من تخومها وكانت عمالكم  
 بالعراقين وخراسان وما وراء النهر والابواب أوسع من ممالك بني اسرائيل بكثير ومع ذلك  
 لم يبلغ جيوش الفرس قط مثل هذا العدد ولا قريب منه وأعظم ما كانت جموعهم  
 بالقادسية مائة وعشرون ألفاً كلهم متبوع على ما نقله سيف قال وكانوا في اتباعهم أكثر  
 من مائتي ألف (وعن عائشة والزهرى) أن جموع رستم التي زحف بها بالسعد  
 بالقادسية انما كانوا ستين ألفاً كلهم متبوع وايضا فلو بلغ بنو اسرائيل مثل هذا  
 العدد لاتسع نطاق ملكهم وانفخ مدى دولتهم فان العمالات والممالك في الدول على  
 نسبة الحامية والقبيل القائمين بها في قوتها وكثرتها حسب جانيه في فصل الممالك  
 من الكتاب الاول والقوم لم تسع عمالكم الى غير الاردن وفلسطين من الشام وبلاد  
 يرب وخيبر من الحجاز على ما هو المعروف وايضا فالذي بين موسى واسرائيل انما هو  
 أربعة آباء على ما ذكره المحققون فانه موسى بن عمران بن يصر بن قاهت بفتح الهاء  
 وكسر هاء بن لاوي بكسر الواو وفتحها ابن يعقوب وهو اسرائيل الله هكذا نسبه في  
 التوراة والمدة بينهما على ما نقله السعوى قال دخل اسرائيل مصر وعنده الاسباط  
 ولادهم حين أنوا الى يوسف سبعين نفساً وكان مقامهم بمصر الى أن خرجوا مع موسى  
 عليه السلام الى التيه مائتين وعشرين سنة تدا ولهم لوليد القبط من القرانة وبعد  
 أن يتشعب النسل في أربعة أجيال الى مثل هذا العدد وان زعموا أن عدد تلك الجيوش



انما سكان في زمن سليمان ومن بعده قبيعد أيضا اذ ليس بين سليمان واسرائيل الا احدى عشر أباً فانه سليمان بن داود بن ايشابن عوفيد ويقال بن عوف بن باعز ويقال بوعز بن سلون بن نحشون بن عيموثوب ويقال جينذاب بن ريم بن حصرون ويقال حصرون بن يارس ويقال يريس بن يهوذا بن يعقوب ولا يشعب النسل في احدى عشر من الولد الى مثل هذا العدد الذي زعموه اللهم الى المئين والا كلاف ربما يكون وأما ان يجاوز الى ما بعدهما من عقود الاعداد فبعد واعتبر ذلك في الحاضر المشاهد والقريب المآزوف تجد زعمهم باطلا ونقلهم كاذبا (والذي ثبت في الاسرائيليات) أن جنود سليمان كانت اثني عشر ألفا خاصة وأن مقر بانه كانت ألفا وأربعمائة فرس مرتطة على أبوابه هذا هو الصحيح من أخبارهم ولا يلتفت الى خرافات العامة منهم) وفي أيام سليمان عليه السلام ومملكه كان عنقوان دولتهم واتساع ملكهم هذا وقد نجد الكافة من أهل العصر اذا فاضوا في الحديث عن عساكر الدول التي لعهدهم أو قريباته وتفاضوا في الاخبار عن جيوش المسلمين أو النصارى أو أخذوا في احصاء أموال الجبايات وخراج السلطان ونفقات المترفين وبضائع الاغنياء والموسرين وتغلبوا في العدد وتجاوزوا حدود العوائد وطاوعوا وسواوس الاغراب فاذا استكشفت أصحاب الدواوين عن عساكرهم واستنبطت أحوال أهل الثروة في بضائعهم وقوائدهم واستجلبت عوائد المترفين في نفقاتهم لم تجد معشاة ما يصدقونه وما ذلك الا لولوع النفس بالغرائب وسهولة التجاوز على اللسان والغفلة على المتعقب والمستفد حتى لا يحاسب نفسه على خطأ ولا يمد ولا يظلمها في الخبر بتوسط ولا عدالة ولا يرجعها الى بحث وتفقيش فيرسل عنهه ويسم في مرائع الكذب لسانه ويتخذ آيات الله هزا ويشتري لهوا الحديث ليضل عن سبيل الله وحسبك بها صفقة خاسرة (ومن الاخبار الواهية للمؤرخين) ما يقلونه كثرة في أخبار التبايعه ملوك اليمن وجزيرة العرب أنهم كانوا يغزون من قراهم باليمن الى افرقيشة والبربر من بلاد المغرب وأن افرقيش بن قيس بن صبي من أعظم ملوكهم الاول وكان لعهد موسى عليه السلام وقبله بقليل غزا افرقيشة وأخضع في البربر وأنه الذي سماهم بهذا الاسم حين سمع وطانتهم وقال ما هذه البربرة فأخذ هذا الاسم عنه ودعوا به من حينئذ وأنه لما انصرف من المغرب حجز هنالك قبائل من حمير فأماوا بها واختلطوا بأهلها ومنهم منهاجدة وكامة ومن هذا ذهب الطبري والجرجاني والمسعودي وابن الكلبي والبلي الى أن منهاجدة وكامة من حمير وتاباه نسبة البربر وهو الصحيح (وذكر المسعودي أيضا) أن ذا الازعار من ملوكهم قبل افرقيش وكان على عهد سليمان

عليه السلام غزا المغرب ودخله وكذلك ذكر مثله عن ياسر ابنه من بعده وأنه بلغ  
وادی الرمل من بلاد المغرب ولم يجد فيه مسلكتا لكثرة الرمل فرجع وكذلك يقولون  
في سبع الآخرة وهو أسعد أبو كرب وكان على عهد يستاسف من ملوك القرس السكانية  
أنه ملك الموصل وأدر بجيان وإلى التركة فنهزمهم وأخذ ثم غزاهم ثانية وثالثة كذلك  
وأنه بعد ذلك أغزى ثلاثة من بنيه بلاد فارس وإلى بلاد الصغد من بلاد أم التركة ورأه  
النهر وإلى بلاد الروم فلما أتى بلاد الروم قد قطع المفاضة إلى الصين فوجد  
أخاه الثاني الذي غزا إلى مصر قد سد قد سبقه إليها فأتى بلاد الصين ورجع جميعا  
بالغنم وتركوا بلاد الصين قبائل من حيرة فهم بهم إلى هذا العهد وبلغ الثالث  
إلى قسطنطينة فدرسها ودخّل بلاد الروم ورجع (وهذا الخبر) كلها بعيدة عن  
الجهة عريقة في الوهم والغلط وأشبهه بأحداث القصص الموضوعة \* وذلك  
أن ملك التبابعة إنما كان بجيزة العرب وقرارهم وكرسيهم بصنعاء اليمن وبجيزة  
العرب يحيط بها البحر من ثلاث جهات فاجترأ الهنود من الجنوب وبجيزة فارس  
الهابطة منه إلى البصرة من المشرق وبحر السويس الهابط منه إلى السويس من  
أعمال مصر من جهة المغرب كما تراهم في مصور الجفر أيا فلا يجد السالكون من  
اليمن إلى المغرب طريقا من غير السويس والمسلك هناك ما بين بحر السويس والبحر  
الشاقي قد رصرت حطين فنادوا ونهجاو يبعد أن يمر بهذا المسلك ملك عظيم في عسكر  
موفور من غير أن تصير من أعماله هذا تمتنع في العادة \* وقد كان يتكلم الأعمال  
العصاة وكنعان بالشام والقطب بمصر ثم ملك العمالة بمصر وملك بنو إسرائيل  
الشام ولم ينقل قط أن التبابعة حاربوا أحدا من هؤلاء الأمم ولا ملكوا شيئا من تلك  
الأعمال وأيضا فالشقة من البحر إلى المغرب بعيدة والأزودة والعلوفة للعساكر  
كثيرة فإذا ساروا في غير أعمالهم احتاجوا إلى انتهاب الزرع والتم وانتهاب البلاد  
فيما يمرّون عليه ولا يتكفى ذلك للأزودة والعلوفة عادة وإن قلوا كفايتهم من ذلك من  
أعمالهم فلا تقي لهم الرواحل بنقله فلا بد وأن يمرّوا في طريقهم كلها بأعمال قدملكوها  
ودخروها لتكون الميرة منها وإن قلنا أن تلك العساكر تهرّج هؤلاء الأمم من غير  
أن يخرجهم فتصل لهم الميرة بالمسألة فذلك أبعد وأشدّ استنعا فدل على أن هذه  
الأخبار واهية أو موضوعة (وأما) وادی الرمل الذي يهجز السالك فلم يسمع قط ذكره  
في المغرب على كثرة سالكه ومن يقص طريقه من الركاب والقرى في كل عصر وكل  
جهة وهو على ما ذكره من القرابة تتوفّر للدواعي على نقله \* وأما غزوهم بلاد  
الشرق وأرض التركة وإن كانت طريقه أوسع من مسالك السويس إلا أن الشقة

هنا أبعادهم وأرض فارس والروم معترضون فيها دون الترك ولم يقل قط أن التباينة ملوكوا  
بلاد فارس ولا بلاد الروم وإنما كانوا إجماريون أهل فارس على حدود بلاد العراق  
وما بين البحرين والحيرة والجزيرة بين دجلة والفرات وما بينهما في الأعمال وقد وقع  
ذلك بين ذى الأذعار منهم وكنكاس من ملوك الكيانية وبين تبع الاصغر أو كرب  
ويستألف منهم أيضاً مع ملوك الطوائف بعد الكيانية والساسانية من بعدهم بمعاونة  
أرض فارس بالنزول إلى بلاد الترك والتب وهو متنع عادة من أجل الامم المعترضة  
منهم والحاجة إلى الأزودة والعلوفات مع بعد الشقة كما مر في الأخبار بذلك وأهية  
مدخولة وهي لو كانت صحيحة النقل لكان ذلك قادحاً فيها فكيف وهي لم تنتقل من  
وجه صحيح وقول ابن اسحق في خبر يثرب والامس والخزرج ان تبعاً الآخر سار إلى  
المشرق يحمل على العراق وبلاد فارس وأما بلاد الترك والتب فلا يصح عزوهم إليها  
بوجه لا يقرر فلا تتقن بما يلقى اليك من ذلك وتأمل الأخبار واعرضها على القرائن  
الصحيحة يقع لك تمحيصها بأحسن وجه والله الهادي إلى الصواب .

(فصل) وأبعد من ذلك وأعرق في الوهم ما تناقله المفسرون في تفسير سورة والتجبر  
في قوله تعالى ألم تر كيف فعل ربك بعاد ارم ذات العماد فيصعلون لفظة ارم اسما المدينة  
وصفت بأنها ذات عماد أي أساطين وينقلون أنه كان لعاد بن عوص بن ارم اثنان هما  
شديد وشدة ادملكا من بعده وهما شديد تنقلن الملك لشدة ادودانت له ملوكهم وجمع  
وصف الجنة فقال لابن منتهل فبنى مدينة ارم في صحارى عدن في مدة ثمان مئة سنة وكان  
عمره تسعمائة سنة وانها مدينة عظيمة قصورها من الذهب وأساطينها من الزبرجد  
والياقوت وفيها أصناف الشجر والأنهار المطردة ولما تم بناؤها سار إليها بأهل مملكته  
حتى اذا كان منها على مسيرة يوم وليلة بعث الله عليهم صيحة من السماء فهلكوا كلهم  
ذكر ذلك الطبري والتهالبي والزمخشري وغيرهم من المفسرين وينقلون عن  
عبد الله بن قلابه من الصحابة أنه خرج في طلب ابل له فوقع عليها وجعل منها ما قدر  
عليه وبلغ خبره إلى معارة فأتى حضره وقص عليه فبحث عن كعب الاخبار وسأله عن  
ذلك فقال هي ارم ذات العماد وسيدخلها رجل من المسلمين في زمان آخر أشقر قصير  
على حاجبه خال وعلى عنقه خال يخرج في طلب ابل له ثم التفت فأبصر ابن قلابه فقال  
هذا والله ذلك الرجل . وهذه المدينة لم يسمع لها خبر من يومئذ في شيء من بقاع الأرض  
• وصحارى عدن التي زعموا انها بنيت فيها في وسط اليمن وما زال عمرانه متعاقبا  
والادلاء تقص طرفه من كل وجه ولم ينقل عن هذه المدينة خبر ولا ذكرها أحد  
من الاخباريين ولا من الامم ولو قالوا انها درست فيما درست من الآثار لكان

أشبه الآن ظاهر كلامهم انهم موجودون وبعضهم يقول انهم لم يخلقوا على  
 ان قوم عاد ملكوها وقد انتهى الهذيان ببعضهم الى انها غائبة وانما يعثر عليها  
 أهل الرضاة والسرور من اعم كل ما أشبه بالخرافات والذي حل القصرين على ذلك  
 ما اقتضته صناعة الاعراب في لفظة ذات العماد انهم امة ارم وحلوا العماد على  
 الاساطين فنعين ان يكون بناء ورسم لهم ذلك قراة ابن الزبير عاد ارم على الاضافة  
 من غير تنوين ثم وقفوا على تلك الحكايات التي هي أشبه بالا فاصبح الموضوع  
 التي هي أقرب الى الكذب لمنقولة في عداد المحتملات والا فاعلموا هي عماد الاخبية  
 بل الخيام وان اريدتم الاساطين فلا بدع في وصفهم بأنهم أهل بناء واساطين بجلي  
 العموم بما اشتهر من قوتهم لانه بناء خاص في مدينة معينة أو غيرها وان أضفت  
 كما في قراة ابن الزبير على اضافة النصيلة الى القبيلة كما تقول قريش كانه واليس  
 مضروبة بـ ١٠٠ وادى ضرورة الى هذا الحمل البعيد الذي تحملت لرجوعه لاضلال  
 هذه الحكايات الواهية التي ينزه كتاب الله عن مثلها بعد ما من الحق (ومن  
 الحكايات) المدخولة للمؤرخين ما يقولونه كافة في سبب نكبة الرشيد البرامكة من  
 قصة العباسية اخته مع جعفر بن يحيى بن خالد مولاه وانه لكلفه بمكانه ما من معارفه  
 اياهما انخرأذن لهما في عقد النكاح دون الخلوة حرصا على اجتماعهما في مجلسه  
 وأن العباسية تحببت عليه في التماس الخلوة به لم يشفقها من جهه حتى واقعا زعوا  
 في حالة شكره لم يوافقوا بذلك الرشيد فاستغضب و هيأت ذلك من منصب العباسية  
 في دينها أو أوبها وجلالها وأنها بنت عبد الله بن عباس ليس بينها وبينه إلا أربعة  
 رجال هم أشرف الدين وعظماء الملة من بعده ٥ والعباسية بنت محمد المهدي بن عبد  
 الله أبي جعفر المنصور بن محمد السجاد بن علي أبي الخلفاء بن عبد الله بن جعفر  
 القرآن بن العباس عم النبي صلى الله عليه وسلم ابنة خليفته أخت خليفته محفوفة  
 بالملك العزيز والخلافة النبوية وصحبة الرسول ونحو مائة واملة الله ونور الوحي  
 ومهبط الملائكة من سائر جهاتها قرية عهد يدها والعروبة وسداجة الدين  
 البعيدة عن عوائد الترف ومراعات الفواحش تأين بطلب الصون والعفاف اذا ذهب  
 عنها وأين توجد الطهارة والذكاء اذا قدم من عنها وكيف تلحم نسبها بجعفر بن يحيى  
 وتدنس شرفها لعربي عول من موالى الفهم على كفة جدته من الفرس أو بولاجه من  
 عمومة الرسول وأشرف قريش وغاية أن جدت دولتهم بضبعه وضبع أبيه  
 واستخلصتهم ورقتهم الى منازل الاشراف وكيف يسوغ من الرشيد أن يهرى  
 موالى الاعاجم على بعد همته وعظام آيانه ولو نظر المتأمل في ذلك نظر المصنف وقاس

العباسية بآنية ملك من عظماء مالوك زمانه لاستتشف لها عن مثلهم مولى من موال  
 دولتها وفي سلطان قوما واستكروهم بل في تكذيبه وأين قدر العباسية والرشد من  
 الناس وانما نكيب البرامكة ما كان من استبدادهم على الدولة واحتجابهم أموال  
 الجباية حتى كان الرشيد يطلب السير من المال فلا يصل اليه فقلبه على أمره  
 يشاء أن يكون في سلطانه ولم يكن له معهم تصرف في أمورهم ففعلت آثارهم وبعد مدينتهم  
 وعمر ولا امراتب الدولة وخططها بالروساء من ولدهم وصنا نعمهم واحتازوها من سواهم  
 من وزارة وكاتبه وقيادة وحجابه وسيف وقليل يقال انه كان يدور الرشيد من ولده يحيى بن  
 خالد خمسة وعشرون ريسا من بين صاحب سيف وصاحب قلم زاحوا فيها أهل الدولة  
 بالمشاكيب ودفنهم عنها بالراح لما كان أبيهم يحيى من كفالة هرون ولي عهد وخطبة  
 حتى شب في حجره ودرج من عشه وطلب على أمره وكان يدعو به يا ابت فوجهه الايتان  
 من السلطان اليهم وعظمت الهمة منهم وانبط الجباة عندهم وانصرف فبقوا هم  
 الوجوه ونصفت لهم الرقاب وقصرت عليهم الآمال ونظمت اليهم من أقصى القنوم  
 هذا بالمالوك وتحف الامراء وسيرت الى خزائنهم في سبيل الترف والاستقالة أموال  
 الجباية وأفاضوا في رجال الشيعة وعظماء القرابة وطوقهم المنز وكسبوا من  
 يونات الاشرف المعدم وفكروا المعاني ومدحوا بما لم يدع به خليفتهم وأسنوا  
 لعفائهم الجوائز والصلوات واستولوا على القرى والضبايع من الضواحي والامصار  
 في سائر الممالك حتى آسفوا البطانة وأحققوا الخاصة وأغصوا أهل الولاية  
 فكشفت لهم وبغوه المنافسة والحسد ودبت الى مهاهم الوئيم من الدولة  
 عقارب السعاية حتى لقد كان بنو قلبية اخوال جعفر من أعظم الساعين عليهم لم  
 تعطفهم لما قر في نفوسهم من الحسد عواطف الرحمة ولا وذلعتهم أو أصر القرابة  
 وقارن ذلك عند جدومهم فواشئ القيرة والاستكشاف من الحمر والانفة وكل من  
 الحقود التي بنشتماتهم صغار الدالة وانتهى بها الاصرار على شأنهم الى كبار الخالفة  
 كقصتهم في يحيى بن عبد الله بن حسن بن الحسن بن علي بن أبي طالب أخى محمد المهدي  
 الملقب بالنفس الزكية الخارج على المنصور ويحيى هذا هو الذي استتره الفضل بن  
 يحيى من بلاد الديلم على أمان الرشيد بخله وبذل لهم فيه ألف ألف درهم على ما ذكره  
 الطبري ودفعه الرشيد الى جعفر وجعل اعتقاله بذاره والى نظره غيبة مدة ثم جعلته  
 الدالة على تخليه سبيله والاستبداد بخل عقاله حرما لما دأب أهل البيت بزعمه ودالة  
 على السلطان في حكمه \* وسأله الرشيد عنه لما وثق به اليه ففطن وقال أطلقته  
 فأبدي له وجه الاستحسان وأمرها في نفسه فأوجد السبيل بذلك على نفسه وقومه

حتى نل عرشهم وألقيت عليهم سجاوهم وخسفت الأرض بهم وباداهم وذبحت  
سلطانهم لآل آخرين أيامهم ومن تأمل أخبارهم واستقصى سير الدولة وسيرهم  
وجدد ذلك بحقق الازمعه للأسباب (وانظر) ما نقله ابن عبد ربه في مفادضة الرشيد  
عم جده داود بن علي في شأن نكبتهم وما ذكره في باب الشعراء من كتاب العقد في  
محاورة الاصمعي للرشيد وللفضل بن يحيى في ممرهم تفهم انه انما قطعهم الغيرة والمنافسة  
في الاستبداد من الخليفة في دونه وكذلك ما تجلب به أعداؤهم من البطانة فيما دسوه  
للمعقبين من الشعراء لالاعلى اسماعه للخليفة وتحريك حقائقه لهم وهو قوله

ليت هذا أنجزتنا ما تعد \* وشفت أنفسنا مما نجد

واستبدت مرة واحدة . انما العاجز من لا يستبد

وأن الرشيد لما سمعها قال اي والله اني عاجز حتى يفتوا بأمثال هذه كامن غيبته  
وسلطوا عليهم بأس اتقاهم فهو ذاك من غلبة الرجال وسوء الحال (وأما) ما تنوه  
به الحكاية من معاقرة الرشيد النحر واقران سكره بسكر الندمان فحاش لله ما علمنا عليه  
من سوء وأين هذا من حال الرشيد وقيامه بما يجب للنصب بالخلافة من الدين والعدالة  
وما كان عليه من صحابة العلماء والاولياء ومحاوراته للفضيل بن عياض وابن السمك  
والعمري ومكاتبته صفيان الثوري وبكانه من مواعظهم ودعائه بمكة في طوافه وما  
كان عليه من العبادة والمحافظة على أوقات الصلوات وشهود الصبح لاؤل وقتها  
(حكى) الطبري وغيره انه كان يصلي في كل يوم مائة ركعة نافله وكان يغزو عاما ويحج  
عاما ولقد زجر ابن أبي مريم مضحك في ممره حين تعرض له بمثل ذلك في الصلاة لما سمعه  
يقرا وما لي لأعبد الذي فطرنى وقال والله ما أدري لم قامت لك الرشيد أن ضحك ثم  
التفت اليه مغضبا وقال يا ابن أبي مريم في الصلاة أيضا انك ياك والقرآن والدين  
ولاك ما شئت بعدهما وأيضا فقد كان من العلم والسذاجة بمكان لقرب عهده من سلفه  
المتحليين لذلك ولم يكن بينه وبين جده أبي جعفر بعيد زمن انما خلفه غلاما وقد كان  
أبو جعفر بمكان من العلم والدين قبل الخلافة وبعدها وهو القاتل للمالك حين أشار  
عليه بألف الموطايأ بأعبد الله انه لم يبق على وجه الارض أعلم مني ومنك وانى قد  
شغلتني الخلافة فضع أنت للناس كتابا يتفهمون به تجنب فيه رخص ابن عباس  
وشددان ابن عمرو وطه للناس توطئة قال مالك فوالله لقد علمنى التصنيف يومئذ  
واقعد أدركه ابنه المهدي أبو الرشيد هذا وهو يتورع عن كسوة الجدد لبعاله من بيت  
المال ودخل عليه يوما وهو يجلسه يباشر الخياطين في ارفع الخلقان من شباب عياله  
فاستكف المهدي من ذلك وقال يا أميرا المؤمنين على كسوة العيال عا مناهذا من

عطائي فقال له ذلك ولم يصدمه ولم يسمع بالاتفاق من أموال المسلمين فكيف  
 يلحق بالرشد على قرب العهد من هذا الخليفة وأبوه وماري عليه من أمثال هبتم  
 السير في أهل بيته والتخلق بها أن يعاقر النمرأ ويحاربها وقد كانت حالة الانشراح  
 من العرب الجاهلية في اجتناب النمر معلومة ولم يكن الكرم شجرتهم وكان شربها  
 مذمة عند الكثير منهم والرشد وآبؤه كانوا على نيج من اجتناب المذمومات في دينهم  
 وديناهم والتخلق بالحمامد وأوصاف الكمال وزعات العرب (وانظر) مانقله الطبري  
 والمعزدي في قصة جبريل بن مجتيشوع الطيب حين أحضر له السمك في مائده  
 فغدا عنه ثم أمر صاحب المائدة بحمله الى منزله ووطن الرشيد وارتاب به ودرس  
 ناداه حتى عاينه فناولها فأعذ ابن مجتيشوع للاعتذار ثلاث قطع من السمك في ثلاثة  
 أقدماح خلط أحدها بالسم المعالج بالتوابل والبقول والوارد والجوى وصب  
 على الثانية ماء مشبها على الثالثة خراصرفا وقال في الأولى والثاني هذا طعام أمير  
 المؤمنين ان خلط السم بغيره ولم يخلطه وقال في الثالث هذا طعام ابن مجتيشوع  
 ودفعها الى صاحب المائدة حتى اذا اتته الرشيد وأحضره للتوبيخ أحضر الثلاثة  
 الاقدماح فوجد صاحب النمر قد اختلط وأماع وتفتت ووجد الآخر قد فسد  
 وقبعت راتحتهم ما فكانت له في ذلك معذرة وتبين من ذلك ان حال الرشيد في اجتناب  
 النمر كانت معروفة عند بطائعه وأهل مائده ولقد ثبت عنه انه عهد بجسب أبي نواس  
 لما بلغه من انهما كذا في المعاقرة حتى تاب وأقنع. وانما كان الرشيد يشرب نبيذ  
 النمر على مذهب أهل العراق وقتاؤهم فمما معروفة وأما النمر الصنف فلا سبيل  
 الى اتهامه به ولا تقليد الاخبار الواهية فيها فلم يكن الرجل بحيث يواقع محترما  
 من أكابر الكائن عند أهل الله ولقد كان أولئك القوم كلهم بمنجاة من ارتكاب  
 السرف والترف في ملابسهم وزينتهم وسائر متاعهم لما كانوا عليه من خشونة  
 البداوة وسداجة الدين التي لم يقارقوها بعد فإينك بما يخرج عن الإباحة الى الخطر  
 وعن الحلية الى الحرمة ولقد اتفق المؤرخون الطبري والمعزدي وغيرهم على  
 أن جميع من سلف من خلفاء بني أمية وبني العباس انما كانوا يركبون بالحلية  
 الخفيفة من الفضة في المناطق والسيوف والجمع والسروج وأن أول خليفة أحدث  
 الركوب بحيلة الذهب هو المعتز المتوكل ثامن الخلفاء بعد الرشيد وهكذا كان  
 حالهم أيضا في ملابسهم فإينك بشارجهم وتبين ذلك بأنهم من هذا اذا فهمت  
 طبيعة الدولة في أولها من البداوة والغضاضة كما تشرح في مسائل الكتاب الأولى  
 ان شاء الله وهاهنا الهادي الى الصواب (ويناسب) هذا وأقرب منه ما يغلو به كافة

عن يحيى بن أكرم القاضي المأمون وصاحبه وأنه كان يعاقر المأمون الخروانه سكر ليلة  
مع شربه فدفن في الرحبان حتى أفاق ونشدون على لسانه

يا سيدي وأمير الناس كلهم \* قد جاز في جحكه من كان يسهني

اني غفلت عن الساق قصيري \* كما تراه في سلب العسقل والدين

وحال ابن أكرم والمأمون في ذلك من حال الرشيد وشرابهم انما كان النبيذ ولم يكن

مخظورا عندهم وأما السكر فليس من شأنهم ومحبته للمأمون انما كانت خلة في

الدين ولقد ثبت انه كان ينام معه في البيت ونقل من فضائل المأمون وحسن عشرته

انه اتقى به ذات ليلة عطشان فقام يعضس ويلتص الا انه مخافة أن يوقظ يحيى بن

أكرم وثبت أنهما كان يصليان الصبح جميعا فأبى هذا من المعاصرة وأيضاً فإن يحيى

ابن أكرم كان من عليّة أهل الحديث وقد أثنى عليه الامام أحمد بن حنبل وإسماعيل

القاضي وخرج عنه الترمذي كتابه الجامع وذكر المزي الحافظ أن البخاري روى

عنه في غير الجامع فالتدح فيه قدح في جميعهم وكذلك ما يثبته الجان بالميل الى الثلمان

به تامل في الله وقرية على العلماء ويستندون في ذلك الى أخبار القصاص الواهية التي

للعلماء من اقتراء أعدائه فانه كان محبوا في كماله وخطه للسلطان وكان مقامه من

العلم والدين منزها عن مثل ذلك ولقد ذكر لابن حنبل ما يرميه به الناس فقال سبحان

الله سبحان الله ومن يقول هذا أو أنكر ذلك انكاراً شديداً وأثنى عليه إسماعيل القاضي

فقبل لما كان يقال فيه فقال معاذ الله أن يزول عدالة مثله بتكذيب باغ وحاسد وقال

أيضاً يحيى بن أكرم أبرأ الى الله من أن يكون في شيء مما كان يرى به من أمر الثلمان

ولم يند كنت أقف على سرائره فأجده شديد الخوف من الله لكنه كانت فيه دعابة

وحسن خلق فرمى بما روى به وذكره ابن حبان في الثقات وقال لا يستغفل بما يحكي

عنه لأن أكثرها لا يصح عنه (ومن أمثال هذه الحكايات) ما نقله ابن عبدربه

صاحب العقد من حديث الزنيل في سبب اصهار المأمون الى الحسن بن سهل في بقة

بوران وأنه عثر في بعض الليالي في تطوافه بكل بغداد في زنيل مدلى من بعض

السلوح بمحلق وجدل مغارة القتل من الحرير فاقعده وتناول المصالح فاهزت

وذهب به صعدا الى مجلس شأنه كذا ووصف من زينة فرشه وتزينه بأنيته وجمال

رويته ما يستوقف الطرف ويملك النفس وأن امرأة برزت له من خلل الستور في ذلك

المجلس رائقة الجمال فتأناه الحسن فحتمودعته الى المشادمة فلم يرل يعاقرها فخرج

الصباح ورجع الى أصحابه بمكانهم من انتظاره وقد شغفته حبايشه على الاصهار الى

أيها وأبى هذا كله من حال المأمون المعروفة في دينه وعلمه واقفاه سن الخلفاء



الراشد بن من آباءه وأخته بغير الخفاء الأربعة أركان الله ومناظرته للعلماء وحفظه  
 لحدوده الله تعالى في صلواته وأحكامه فكيف تصم عنه أحوال القساق المستترين  
 في التلواغ بالبل وطروق المسائل وغشيان السر سميل عشاق الاعراب وأين  
 ذلك من منصب ابنه الحسن بن سهل وشرفها وما كان يدأرا بينهما من الصون والعفاف  
 وأمثال هذه الحكيمات كثيرة وفي كتب المؤرخين معروفة وانما يبحث على وضعها  
 والحديث بها الانتماء في الذات المحترمة وهناك قناع الخدوات ويتعللون بالتأسي  
 بالقوم فيما يأتونه من طاعة لذاتهم فلذلك تراهم كثيرا ما يلجئون بأشياء هذه الاخبار  
 وينقرون عنها عند تصغيرهم لاوراق الدواوين ولوا تنسوا بهم في غير هذا من  
 أحوالهم وصفات الكمال الا لتقبحهم المشهورة عنهم لكان خيرا لهم لو كانوا يعلمون  
 ولقد عذبت يوما بعض الامراء من أبناء المولى في كلفه تعلم الفناء وولوعه بالآثار  
 وقلت له ليس هذا من شأنك ولا يليق بمنصبك فقال لي أفلا ترى الى ابراهيم بن المهدي  
 كيف كان امام هذه الصناعة ورئيس الغني في زمانه فقلت يا سبحان الله وهلا  
 ناسبت بآبيه أو أخيه وما رأيت كيف فقد ذلك يا ابراهيم عن مناصبهم قسم عن عذلي  
 وأعرض والله بهدي من يشاء (ومن الاخبار الواهية) ما يذهب اليه الكثير من  
 المؤرخين والاثبات في العبيد بين خلفاء الشيعة بالقيروان والقاهرة من قيسم عن  
 أهل البيت صلوات الله عليهم واللعن في نسبهم الى اسمعيل الامام ابن جعفر الصادق  
 يعتقدون في ذلك على أحاديث الخفق للمستضعفين من خلفاء بني العباس زلفا لهم  
 بالقدح فيمن ناصبهم وتفننا في الشتم بعدهم حسبما ذكر بعض هذه الأحاديث  
 في أخبارهم ويفعلون عن التقط لشواهد الواقعات وأدلة الاحوال التي اقتضت  
 خلاف ذلك من تكذيب دعواهم والرد عليهم فانهم متفقون في حديدتهم عن مبدأ  
 دولة الشيعة ان أباعبد الله الخنيسلي نادى بكلمة للرضى من آل محمد واشهر خبره  
 وعلم فتوجه على عبيد الله المهدي وابنه أبي القاسم خشياعلى أنفسهم ما فهم يامن  
 المشرق محل الخلافة واجتازا بمصر وأتتهما خراجا من الاسكندرية في رى القصار ونحى  
 خبرهما الى عيسى التوشري عامل مصر والاسكندرية فسير في طلبهما الخليفة حتى  
 اذا أدركا خلقا حالهما على تابعهما بالقبسوا به من السيرة والري فأفلقوا الى المغرب  
 وأن العتضاد وعز الى الأغالية أمراء افريقية بالقيروان وبني مدرار أمراء اسبجلماسة  
 بأخذ الا فاق عليهم واذا صكوا الصون في طلبهما فعثر البع صاحب بجلماسة  
 من آل مدرار على خفي مكانهما ببلده واعتقلهما امرضاة للثليقة هذا قبل أن تظهر  
 الشيعة على الأغالية بالقيروان ثم كان بعد ذلك ما كان من ظهور دعوتهم بالمغرب

وأمر بقضية ثم باليمن ثم بالأسكندرية ثم مصر والشام والجزيرة وطهروا بني العباس في  
 مخالفة الأسلام شق الأبله وكذا ويطهروا عليهم مواعظهم ويرأى بلون من أمرهم ولقد  
 أظهر دعوتهم ببغداد وعراقها الامير الباسع من موالى الدين المظلي على خلفه  
 بني العباس في مخالفة برت ينه وبن أمراء الهجم وخطب لهم على منابرهم ولا  
 كذلا وما زال بنو العباس يفسون بكتهم ودولتهم ومولوك بني أمية وراء العز نادون  
 بالويل والحرب منهم وكيف يقع هذا كله لمحي في القسب يكذب في اتصال الامر  
 واعتبر حال القرمطي اذ كان دعيا في اتساع كيف تلاشت دعوه وتفرقت أشباعه  
 ونظر سر يعا على خبثهم ومكرهم فقامت عاقبتهم وذاقوا وبال أمرهم ولو كان أمر  
 العبيدين كذلك لعرف ولو بعد مهلة

ومهما تمكن عند امرئ من خليفة • وإن خالها حتى على الناس قلم  
 فقد اتصلت دولتهم فحوار من مائتين وسبعين سنة وملكوا مقام ابراهيم عليه السلام  
 ومصلا وموطن الرسول صلى الله عليه وسلم ومدقته وموقف الطيغ ومهبط الملائكة ثم  
 انقض أمرهم وشيعتهم في ذلك كله على أتم ما كانوا عليه من الطاعة لهم والحب  
 فيهم واعتقادهم بنسب الامام اسعيل بن جعفر الصادق ولقد خرجوا مرارا بعد  
 ذهاب الدولة ودورس أثر هادعين الى بدعتهم هاتفين بأسماء صياني من أعقابهم  
 يزعمون استحقاقهم للخلافة ويذهبون الى تعيينهم بالوصية عن خلفيهم من الأئمة  
 ولوا زناوا في نسبهم لما ركبو أحناف الاخطار في الاتصار لهم فصاحب البدعة  
 لا يلبس في أمره ولا يشبه في بدعته ولا يكذب نفسه فيما يتقوله (والهيب) من القاضي  
 أبي بكر الباقلاني شيخ النظار من المتكلمين يهتج الى هذه المقالة المربوطة ويرى  
 هذا الرأي الضعيف فان كان ذلك لما كانوا عليه من الحساد في الدين والتعنق في  
 الرافضية فليس ذلك بدافع في صد دعوتهم وليس أثبات من نسبهم بالذي يغني عنهم من  
 الله شيئا في كفرهم فقد قال تعالى لوح عليه السلام في شأن ابنه انه ليس من أهل  
 انه عمل غير صالح فلا تسألن ما ليس له به علم وقال صلى الله عليه وسلم لاطمة يعظها  
 يا فاطمة احمل قلبي أغني عنك من الله شيئا ومضى عرف امر وقضية أو استغن أمرا  
 وجب عليه أن يصدع به والله يقول الحق وهو يهدي السبيل والقوم كانوا في مجال  
 الظنون الأول بهم وتحت رقبة من الطاعة لتوفر شيعتهم واتسارهم في القضية بدعتهم  
 وتكثرت خروجهم مرة بعد أخرى فلا ذر رجالا لهم بالاحتفاء ولم يكادوا يعرفون  
 كما قيل

فلو تسأل الأيام ما سعى مادرت • وأين مكان ما عرف مكانا

حتى لقد سمى محمد بن اسمعيل الامام جده عبدا لله المهدى بالمكتموم سمته بذلك شيعتهم  
 لما اتفقوا عليه من اخفائه حذرا من المتغلبين عليهم فتوصل شيعته بنى العباس بذلك  
 عند ظهورهم الى الطعن في نسبهم وازدلفوا بهذا الرأي القائل للمستضعفين من  
 خلفائهم وأعجب به أولياؤهم وأمرادولتهم المتولون لحروبهم مع الاعداء يدفعون  
 به عن أنفسهم ومسلطانهم معزة الفخر عن المقاومة والمداخلة لمن غلبهم على الشام ومصر  
 والجزائر من البربر الكافرين شيعه العبيدين وأهل دعوتهم حتى لقد أهجل القضية  
 ينفخها دنفهم عن هذا النسب وشهد بذلك عندهم من أعلام الناس جماعة منهم  
 الشريف الرضي وأخوه المرتضى وابن البطاوى ومن العللاء أبو حامد الاسفرايينى  
 والقندورى والمصيرى وابن الاكفانى والابن يوردى وأبو عبد الله بن النعمان  
 فقه الشيعه وغيرهم من أعلام الامة بغدادى في يوم مشهود وذلك سنتين وأربع مائة  
 في أيام القادر وكانت شهادتهم في ذلك على السماع المشتهر وعرف بين الناس  
 بغدادى وعالم بالشيعه بنى العباس الطاعنون في هذا النسب فثقل الاخباريون كما  
 سمعوه ورووه وحبلوه والحق من ورائه وفي كتاب المنقضى شأن عبيد الله الى  
 ابن الاغلب بالقروان وابن مدرار بسجلماسة أصدق شاهد وأوضح دليل على صحة  
 نسبهم فالمنقضى أقعد بنسب أهل البيت من كل أحد والدولة والسultan سوق للعالم  
 تجلب اليه بضائع العلوم والصنائع وتلق فيه ضوال الحكم ويخمدى اليه ركائب  
 الروايات والاخبار وما تنفق فيها تنفق عند الكفاية فان تزهت الدولة عن التعسف والميل  
 والافن والفسفة وسلكت النهج الامم ولم تجزع عن قصد الدليل نفق في سوقها الا برز  
 النخالص واللبين المصطفى وان ذهبت مع الاغراض والحقود ما جت بسلمرة البنى  
 والباطل تنق البهرج والزائف والناسق البصر قسطاس نظره وميزان بحبه وملتقه  
 (ومثل هذا) وأبعد منه كثيرا ما يتناجى به الطاعنون في نسب ادریس بن ادریس بن عبد  
 الله بن حسن بن الحسن بن علي بن أبي طالب رضوان الله عليهم أجمعين الامام بعداياه  
 بالمغرب الأقصى ويعرضون تعريض الحسد والتظن في الجمل الخلف عن ادریس الا كبر  
 أنه لا شمولواهم قههم الله وأبعدهم ما أجعلهم أما يعلمون أن ادریس الاكبر كان  
 أصهاره في البربر وأنه منذ دخل المغرب الى أن وفاه الله عز وجل عريق في السكود  
 وأن حال البدايه في مثل ذلك غير خافية اذ لا مكان لهم يتأق فيها الرب وأحوال  
 حرمهم أجمعين غير أماكن جاراتهم وسميع من جيرانهم لتلاصق الجدران وظلمن  
 البنیان وعدم القواصل بين المساكن وقد كان واشد تولى خدمة الحرم أجمع من  
 بعدم ولادهم بمهدين أولياؤهم وشيعتهم ومراقبه من كافتهم وقد اتفق بريرة المغرب

الاقصى عامة على سعة ادريس الاصغر من بعد أبيه وأتوا طاعتهم عن رضا واصفاق  
وبايعوه على الموت الاخر واخضوا دونه بحمار المنيا في حروبه وبغزواته ولوحته قوا  
أنفسهم بمثل هذه الرية أو قرعت أعلامهم ولومن عدو كائنه أو منافق من تاب لتصف  
عن ذلك ولو بعضهم كلا والله انما صدرت هذه الكلمات من بني العباس أقنانهم  
ومن بني الاغلب عمالهم كانوا باقية وولاتهم وذلك انه لما قرأ ادريس الاكبر الى  
المغرب بين وقعة بج أوعز الهادي الى الاغلبية أن يقعدوا له بالمرصاد وذكروا عليه  
العيون فلم ينظروا به وخلص الى المغرب فتم أمره وظهرت دعوته وظهر الرشيد من  
بعد ذلك على ما كان من واضع مولاها وعمالهم على الاسكندرية من دسيسة التشيع  
لتعلوية وادعائه في نجاة ادريس الى المغرب فقتله ودرس السماخ من موالى المهدي  
أبيه للتصلي على قتل ادريس فأظهر التماق به والبراءة من بني العباس مواليه فاشغل  
عليه ادريس وخطه بنفسه وناولته السماخ في بعض خلواته مما استهلكه ووقع  
خبره ملكه من بني العباس أحسن المواقع لما رجوه من قطع أسباب الدعوة العلوية  
بالمغرب واقتلاع برئوتها ولما نادى اليهم خبر الجمل المنفصل لادريس فلم يكن لهم  
الا كلا ولا واذا بالدعوة قد عادت والشعبة بالمغرب قد ظهرت ودولتهم بادريس بن  
ادريس قد تجددت فكان ذلك عليهم أنسكى من وقع السهام وكان القتل والهزم  
قد نزل بدولة الغرب عن أن يسموا الى القاصية فلم يكن منتهى قدرة الرشيد على ادريس  
الاكبر بمكانه من قاصية المغرب واشتغال البربر عليه الا التصيل في اهلا كبا السوم  
فعند ذلك فزعوا الى أوليائهم من الاغلبية بافر بقية في سنة تلك الفرجة من ناحيتهم  
وحسم الداء المتوقع بالدولة من قبلهم واقتلاع تلك العروق قبل أن تسج منهم  
بخطابهم بذلك المأمون ومن بعده من خلفائهم فكان الاغلبية عن بربرة المغرب  
الاقصى أعجز ولئلا من الزبون على ملوكهم أحوج لما طرق الخلافه من انتزاع  
ممالك العجم على سدتها واستطاعتهم صهوة التغاب عليها وقصر يفهم أحكامها  
طوع أعراضهم في رجالها وجبايتها وأهل خطتها وسائر نفقها وإبرامها كآمال  
شاعرهم

خليفة في قصص • بين وصيف وينا

يقول ما قاله • كما تقول البيضا

نخشى هؤلاء الامراء الاغلبية بوادر السعيات وتلوا بالمعاذير قطورا باحتقار المغرب  
وأهله وطورا بالارهاب بشأن ادريس الخارج به ومن قام مقامه من أعضائه  
يضاطبونهم تجاوز حدود الخصوم من عمله ويتشددون سكتة في تحفهم وهداياهم

ومرتفع جباياتهم تعرفوا باستعماله وتمولوا باشتداد شوكتهم وتصفوا بالمادفعوا اليه  
 من مطالبته ومراسه وتمتدوا بقلب الدعوة ان ألجوا اليه وطورا يطعنون في نسب  
 ادريس بمثل ذلك الطعن الكاذب بخصه الشأه لا يبالون بصدقه من كذب لبعده  
 المسافة وأن عقول من خلف من مدينة بنى العباس وعمل الكهيم المهم في القول من  
 كل قائل والسمع لكل ناعق ولم يزل هذا أدامهم حتى انقضى أمر الاغالبه ففرغت هذه  
 الكلمة الشنعاء أجمعاع لغوها وضرب عليها بعض الطاعنين أذنه واعتدوا ذريرة الى  
 النيل من خلفهم عند المتأخرة ومالهم قبحهم الله والعبدول عن مقاصد الشريعة  
 فلا تعارض فيها بين المقتوع والمظنون وادريس ولد على فراش أبيه والولد القراش  
 على أن تزويه أهل البيت عن مثل هذا من عقائد أهل الايمان فاقه سبحانه فندأذهب  
 عنهم الرجس وطهرهم تطهيرا فقراش ادريس ظاهر من الدنس ومنزه عن الرجس  
 بحكم القرآن ومن اعتقد خلاف هذا فقد باء باعته وولج الكفر من بابيه وانما أطنبت في  
 هذا الرقة الابواب الرب ودفعا في صدر الحاسد لما سمعته اذ نأى من قاتله المعتدى  
 عليهم به القاصح في نسبهم بقرينه وينقله بزعمه عن بعض مؤرخي المغرب عن المخرف  
 عن أهل البيت وارتاب في الايمان بسلفهم والا فالجمل منزه عن ذلك معصوم منه ونفى  
 العيب بحديث يستعمل العيب عيب لا يكتفى جادلت عنهم في الحياة الدنيا وأرجو  
 أن يجادلوا عني يوم القيامة (ولتعلم) أن أكثر الطاعنين في نسبهم انما هم الحسدة  
 لا عقاب ادريس هذا من منتم الى أهل البيت أو دخيل فيهم فان ادعاء هذا النسب  
 الكريم دعوى شرف عرض على الام والاحياء من أهل الاقفاق تقرر من التهمة  
 فيه ولما كان نسب بن ادريس هؤلاء مواطنهم من فاس وسائر ديار المغرب قد بلغ  
 من الشهرة والوضوح مبلغا لا يكاد يلق ولا يطمع أحد في دونه اذ هو نقل الامة  
 والجبل من الخلف عن الامة والجبل من السلف وبنت جدتهم ادريس تحت فاس  
 ومؤسسا بين يوتهم ومجسده لصق محلتهم ودرويهم وسيفه منتعق رأس المأذنة  
 العظمى من قرار بلدهم وغير ذلك من آثامه التي جاوزت أسخارها حدود التواتر  
 مرات وكادت تلق بالعيان فاذا انظر غيرهم من أهل هذا النسب الى ما تأهم الله من  
 أمثالها وما عاضد شرفهم النبوي من جلال المآث الذي كان لسلفهم بالمغرب واستيقن  
 أنه يعجز عن ذلك وأنه لا يبلغ مذأحدهم ولا تصيغه وأن غاية أمر المتقين الى البيت  
 الكريم من لم يحصل له أمثال هذه الشواهد أن يسلم لهم حالهم لان الناس مصدقون  
 في أنسابهم وبون ما بين العلم واليقين والتسليم فاذا علم ذلك من نفسه شخص  
 بريئة وود أكثر منهم لوبرة ونهم عن شرفهم ذلك وسوقة ووضعاء حسدا من عند أنفسهم

مرجعون الى الصناديق وكتب البصاح واليهت بمثل هذا الطعن الفاضل والقول  
 بالكذب وتعللا بالمساواة في الفطنة والمشاورة في تطرق الاحتمال وهيئات لهم ذلك  
 ليس في المغرب فيما نعلمه من أهل هذا البيت الكريم من يبلغ في صراحة نفسه  
 ووضوحه مبالغ أعقاب ادريس هذا من آل الحسن وكتبناؤهم لهذا العهد  
 بنو عمران بن قاس من ولد يحيى الموطى بن محمد بن يحيى القوام بن القاسم بن ادريس  
 ابن ادريس وهم نقباء أهل البيت هؤلاء الكفون بيت جدتهم ادريس ولهم  
 السيادة على أهل المغرب كافة حسبما ذكرهم عند ذكر الادارة ان شاء الله تعالى  
 (ولحق) بهذه المقالات الفاسدة والمذاهب القاتلة ما يتناولها ضعفه الرأى من فقهاء  
 المغرب من القدح في الامام المهدي صاحب دولة الموحدين ونسبته الى الشيعة  
 والتبليس فيما أتاه من القيام بالوحيد الحق والتمسك على أهل البيت وتكذيبهم  
 لجميع مدعيانته في ذلك حتى فيما يزعم الموحدون اتباعه من اتسابه في أهل البيت  
 وانما جعل الفقهاء على تكذيبه ما كن في نفوسهم من حسده على شأنه فانهم لما رأوا  
 من أنفسهم مناهضة في العلم والعتيا وفي الدين يزعمهم ثم امتار عنهم بأنه متبع الرأى  
 مسرع القول موطن العقب نفسوا ذلك عليه وغضوا منه بالقدح في مذهبه  
 والتكذيب لمدعيانته وأيضاف كانوا يؤنون من ملوك لتونة أعدائه فجله وكرامة لم تكن  
 لهم من غيرهم لما كانوا عليه من السذاجة واتصال الديانة فكان لحلة العلم بدواتهم  
 مكان من الوجاهة والانتساب للشورى كل في بلده وعلى قدره في قومه فأصبحوا  
 بذلك شيعة لهم وحر بالعدوهم ونقموا على المهدي ما جابه من خلافهم والتعريب  
 عليهم والمناسبة لهم شيعا للمتونة وتعصب بالدولتهم وكان الرجل غير مكانهم وحاله  
 على غير معتقداتهم وما ظنك برجل نقم على أهل الدولة ما نقم من أحوالهم وخالف  
 اجتهاده فقهاءهم فنسأ في قومه ودعا الى جهادهم بنسبه فاقطع الدولة من أصولها  
 وجعل عاليها سافلها أعظم ما كانت قوة وأشد شوكة وأعز أنصارا وحامية وتناقلت  
 في ذلك من أتباعه نفوس لا يهتصبا الا خالفها قديما يعوم على الموت ووقوه بأنفسهم  
 من الهلكة وتفرقوا الى الله تعالى باتلاف مهجهم في اظهار تلك الدعوة والتعصب  
 لتلك الكلمة حتى علت على الكيل ودالت بالصدوتين من الدول وهو بحالة من  
 التشف والحصر والصبر على المكاره والتقلل من الدنيا حتى قبضه الله وليس على  
 شئ من الحظ والمتاع في دنياه حتى الولد الذي ربما تخفى اليه النفوس وتخادع عن  
 مخفيه فليت شعري ما الذي قصده بذلك ان لم يكن وجه الله وهو لم يحصل له حظ من  
 الدنيا في عاجله ومع هذا فلو كان قصده غير صالح لما تم أمره وانفسحت دعونه سنة الله

التي قد خلت في عبادته (وأما) انكارهم نسبة في أهل البيت فلا تعضده حجبتهم مع  
 انه ان ثبت أنه ادعاه واقسم اليه فلا دليل يقوم على بطلانه لأن الناس مصدقون  
 في أنسابهم وان قالوا ان الرئاسة لا تكون على قوم في غير أهل جلدتهم كما هو الصحيح  
 حسبا يأتي في الفصل الأول من هذا الكتاب والرجل قدر أس سائر المصامدة ودانوا  
 باتباعه والالتقياد اليه والى عصايتهم من هرغة حتى تم أمر الله في دعوته فاعلم أن هذا  
 النسب الفاطمي لم يكن أمر المهدي يتوقف عليه ولا تتبعه الناس بسببه وانما كان  
 اتباعهم له بصيغة الهرغية والمجودية ومكانه منها ورسوخ شبره فيها وكان ذلك  
 النسب الفاطمي خفيا قد درس عند الناس وبقى عنده وعند غيره يتناقلونه بينهم  
 فيكون النسب الأول كأنه انسلخ منه وليس جلدة هؤلاء يظهر فيها فلا يضره  
 الاتسباب الأول في عصيته اذ هو مجهول عند أهل العصاية ومثل هذا واقع كثيرا اذ  
 كان النسب الأول خفيا (واقطر) قصة عريضة وجرى في رياسة بجيلة فكيف كان  
 عريضة من الازد ولبس جلدة بجيلة حتى تنازع مع جرير رياستهم عند عمر رضى الله عنه  
 كما هو مذكور تفهم منه وجه الحق والله الهادي للصواب (وقد) كدنا أن نخرج عن  
 غرض الكتاب بالاتطاب في هذه المفالط فقد زلت أقدام كثير من الاثبات والمؤرخين  
 الحفاظ في مثل هذه الاحاديث والآراء وعلقت بأفكارهم ونقلها عنهم الكفاية من  
 ضعفة النظر والغفلة عن القياس وتلقوها هم أيضا كذلك من غير بحث ولا روية  
 واندرجت في محفوظاتهم حتى صار فن السارج واهيا مختلطا وناظره من تسكا وعقد  
 من مناسخ العامة فاذا احتاج صاحب هذا الفن الى تعلم بقواعد السياسة وطبائع  
 الموجودات واختلاف الامم والبقاع والاعصار في المسير والاعراق والعوائد والنحل  
 والمذاهب وسائر الاحوال والاحاطة بالحاضر من ذلك وعما له ما بينه وبين الغائب  
 من الوفاق أو بين ما بينهم من الخلاف وتعليل المتفق منها والمختلف والقيام على  
 أصول الدول والممل ومبادئ ظهورها وأسباب حدودها ودواعي كونها وأحوال  
 القائمين بها وأخبارهم حتى يكون مستوعبا لاسباب كل حادث واقفا على أصول كل  
 خبر وحيث يذيع خبر المتقول على ما عنده من القواعد والاصول فان واقفها  
 وجرى على مقتضاها كان صحيحا والازيفه واستغنى عنه وما استكبر القصداء علم  
 التاريخ الا ذلك حتى اتقنه الطبري والبخاري وابن اسحق من قبلهما وأمثالهم من  
 علماء الامة وقد ذهل الكثير عن هذا السرفية حتى صار اتقنه مجهولة واستغنى  
 العوام ومن لا رسوخ له في المعارف سطا عنه وحله والنحوض فيه والتعلل عليه  
 فاختلط المرعي بالهمل واللباب بالفسر والصادق بالكاذب والى الله عاقبة الامور

(ومن الغلط) الخفي في التاريخ الذهول عن تبدل الاحوال في الامم والاجيال  
تتبدل الاعصار ومرو والايام وهو داء دوى شديد الخفاء اذ لا يقع الابعد احقاب  
متطاولة فلا يكاد يتفطن له الا الاحاد من اهل الخليقة (وذلك) ان احوال العالم  
والامم وعوائدهم وتخلطهم لا تدوم على وتيرة واحدة ومنها ما مستقر انما هو اختلاف  
على الايام والازمنة وانتقال من حال الى حال وكما يكون ذلك في الاشخاص والاوقاف  
والامصار فكذلك يقع في الآفاق والاقطار والازمنة والدول سنة الله التي قد حلت  
في عباده وقد كانت في العالم اتم القرس الاولى والسر يائسون والنبط والتبابعة  
وبنوا اسرائيل والقطب وكانوا على احوال خاصة بهم في دولهم وممالكهم وسياساتهم  
وصنائعهم ولغاتهم واصطلاحاتهم وسائر مشاير كاتهم مع ابناء جنسهم واهوال  
اعتقارهم للعالم تشهد بها آثارهم ثم جاء من بعدهم القرس الثانية والروم والعرب  
فتبدلت تلك الاحوال وانقلبت بها العوائد الى ما يجانسهما ويشابهها والى ما ياتيناها  
أو يبعدها ثم جاء الاسلام بدولة مضرة فانقلبت تلك الاحوال أجمع انقلاباً أخرى  
وصارت الى ما أكثره متعارف لهذا العهد ياخذ الخلف عن السلف ثم درست  
دولة العرب وأيامهم وذهبت الاسلاف الذين شيدوا وعززهم ومهدوا ملكهم وصار  
الامر في أيدي سواهم من العجم مثل التتار والمشرقي والبربر بالمغرب والفرنجية بالشمال  
فذهبت بذهابهم أمم وانقلبت أحوال وعوائد نسي شأنها واعتقل أمرها (والسبب)  
الشارع في تبدل الاحوال والعوائد أن عوائد كل جيل تابعة لعوائد سلطانه كما يقال  
في الامثال الحكمة الناس على دين الملك وأهل الملك والسلطان اذا استولوا على  
الدولة والامر فلا بد وأن يفرضوا الى عوائد من قبلهم ويأخذوا الكثير منها  
ولا يفلتوا عوائد جيلهم مع ذلك فيقع في عوائد الدولة بعض المخالفة لعوائد الجيل  
الاول فاذا جاءت دولة أخرى من بعدهم ومن جرت من عوائدهم وعوائد ما خلفت  
أيضا بعض الشيء وكانت للاولى أسس مخالفة ثم لا يزال التدرج في المخالفة حتى  
ينتهي الى المباشرة بالجملة تخادمت الامم والاجيال تتعاقب في الملك والسلطان  
لا تزال المخالفة في العوائد والاحوال واقعة والقياس والمحاكاة للانسان طبيعة  
معروفة ومن الغلط غير ما مونة تتفرج مع الدهول والفظة عن قصده وتخرج به عن  
مرامه فربما يسمع السامع كثيرا من اخبار الماضين ولا يتفطن لما وقع من تغير  
الاحوال وانقلابها فيغير بها الاول وهله على ما عرف ويقدمها بما شهد وقد يكون  
الفرق بينهما كثيرا فيقع في مهواة من الغلط (قن هذا الباب) ما يتقله المؤرخون  
من احوال الججاج وأن أباه كان من المعطين مع أن التعليم لهذا العهد من جهة الصنائع



المعاشية البعيدة من اعتزاز أهل العصية والمعلم المستضعف مسكين منقطع الخدم  
 فينتشون الكثير من المستضعفين أهل الحرف والصنائع المعاشية إلى نيل الرتب التي  
 ليسوا لها بأهل ويفقدونها من الممكّنات لهم فتذهب بهم وسواوس المطامع وبعثا انقطع  
 حبيلها من أيديهم فسقطوا في مهواة الهلكة والتلف ولا يعلمون استحالتهم في حقهم  
 وأنهم أهل خرف وصنائع المعاش وأن التعليم صدرا للاسلام والدولتين لم يكن كذلك  
 ولم يكن العلم بالجملة صناعة انما كان نقلا لما سمع من الشارع وتعلما لما جهل من  
 الذين على جهة البلاغ فكان أهل الانساب والعصية الذين قاموا بالله هم الذين  
 يعلمون كتاب الله وسنة نبيه صلى الله عليه وسلم على معنى التبليغ الخبري لا على وجه  
 التعليم الصناعي اذ هو كما بهم المثل على الرسول منهم وبه هدايتهم والاسلام دينهم  
 فأتوا عليه وقتلوا واختصابه من بين الامم وشرفوا في عروصه على تبليغ ذلك  
 وفقههم للامة لانصدهم عنه لائمة الكبر ولا يرضونهم عاذل الائمة وبشهادة ذلك بعث  
 النبي صلى الله عليه وسلم كبارا أصحابه مع وفود العرب يعلمونهم حدود الاسلام وما جاء به  
 من شرائع الدين بعث في ذلك من أصحابه العشرة فمن بعدهم فلما استقر الاسلام  
 ووشحت عروق الله حتى تناولها الامم البعيدة من أيدي أهلها واستحالت عرور الایام  
 أحوالها وكثر استنباط الاحكام الشرعية من النصوص لتعدد الوقائع وتلاحقها  
 فاحتاج ذلك لقانون يحفظه من الخطا وصار العلم ملكة يحتاج الى التعلم فأصبح من  
 جهة الصنائع والحرف كما يأتي ذكره في فصل العلم والتعليم واشتغل أهل العصية  
 بالقيام بالملك والسلطان فدفع للعلم من قام به من سواهم وأصبح حرفة للمعاش  
 وشجعت أنوف المترفين وأهل السلطان عن التصدي للتعليم واحتص اتصاله  
 بالمستضعفين وصار متجعله محقر اعند أهل العصية والملك والحجاج بن يوسف كان  
 أبوه من سادات ثقف وأشرافهم ومكانهم من محمية العرب ومناخضة قريش في  
 الشرف ما علمت ولم يكن تعليمه للقرآن على ما هو الامر عليه لهذا العهد من أنه حرفة  
 للمعاش وانما كان على ما وصفنا من الامر الاول في الاسلام (ومن هذا الباب)  
 أيضا ما تروهم المتصفون لكاتب التاريخ اذا سمعوا أحوال القضاة وما كانوا عليه  
 من الرياسة في الحروب وقود العاصم كقترامى بهم وسواوس المههم الى مثل تلك  
 الرتب يحسبون أن المشان في خلة القضاة لهذا العهد على ما كان عليه من قبل  
 وينظنون بآبى عامر صاحب هشام المستبد عليه وابن عباد من ملوك الطوائف  
 بأشبليّة اذا سمعوا أن آباءهم كانوا قضاة أنهم مثل القضاة لهذا العهد ولا يتفطنون لما  
 وقع في رتبة القضاة من مخالفة العوائد كائنه في فصل القضاة من الكتاب الاول

وابن أبي عامر وابن عباد كانا من قبائل العرب القاطنين بالدولة الاموية بالاندلس وأهل  
عصبتها وكان مكانهم فيها معلوما ولم يكن يتلهم لها ثلوه من الرياسة والملك بقطعة القضاء  
كأهل لهذا العهد بل إنما كان القضاء في الامر القديم لاهل العصبة من قبيل الدولة  
ومواليها كأهل الوزارة لعهدنا بالمغرب وانظر خر وجههم بالعساكر في الطواغيت  
وتقليد هدم عظام الامور التي لا تقلد الا لمن له القى فيها بالعصبة فيقلط السامع في  
ذلك ويجعل الاحوال على غير ما هي وأكثر ما يقع في هذا المقلط ضحاه البعائر من  
أهل الاندلس لهذا العهد لفقدان العصبة في مواطنهم منذ أعصار بعيدة لفناء العرب  
ودولتهم بأخر وجههم عن ملكة أهل العصبية من البربر فبقيت أنسابهم العربية  
مخفوفة والذريعة الى العزم بالعصبة والناصر مفقودة بل صاروا من جهة الرعايا  
المتخاذلين الذين تعبد لهم القهرو ورعوا للمذلة يحسبون ان أنسابهم مع مخالطة الدولة  
هي التي يكون لهم بها القلب والضمم فتجد أهل الحرف والصانع منهم متصددين  
لذلك ساعين في نيله فأما من يشرأحوال القبائل والعصبة ودولهم بالعصبة الغربية  
وكيف يكون التغلب بين الامم والعشائر فقلما يغلبون في ذلك ويخطئون في اعتباره  
(ومن هذا الباب) أيضا ما يسلكه المؤرخون عند ذكر الدول ونسب ملوكها فذكر  
اسمه ونسبه وأباه وأمه ونسبه ولقبه وخاتمه وقاضيه وواجبه ووزيره كل ذلك تقليد  
لمؤرخي الدولتين من غير تفتن لمقاصدهم والمؤرخون لذلك العهد كانوا يرضون  
تواريخهم لاهل الدولة وأبناءها مستشرفون الى سيرة أسلافهم ومعرفة أحوالهم ليقفوا  
آثارهم وينسجوا على منوالهم حتى في اصطناع الرجال من خلف دولتهم وتقليدنا لعلط  
والمراتب لآباء صنائعهم وذويهم والقضاة أيضا كانوا من أهل عصبة الدولة وفي  
عداد الوزراء كما ذكرناه لفيحتاجون الى ذكر ذلك كله وأما حين تباينت الدول  
وتباعدا بين العصور ووقف الغرض على معرفة الملوك بأنفسهم خاصة ونسب الدول  
بعضها من بعض في قوتها وغلبتها ومن كان يناهضها من الامم ويقتصر عنها إنما الفائدة  
للمصنف في هذا العهد في ذكر الانشاء والتسام وتقسيم الخاتم واللقب والقاضي والوزير  
والحاجب من دولة قديمة لا يعرف فيها أصولهم ولا أنسابهم ولا مقاماتهم إنما جعلهم على  
ذلك التقليد والغفلة عن مقاصد المؤلفين الاقدمين والذهول عن تفرق الاعراض  
من التاريخ اللهم الا ذكر الوزراء الذين عظمت آثارهم وعفت على الملوك أخبارهم  
كالخارج وبني المهلب والبياتمة وبني سهل بن فريخت وكافور الاخشيدي وابن أبي عامر  
وأمثالهم فغير تكثير الاماع بآبائهم والاشارة الى أحوالهم لا تنظمهم في عداد الملوك  
(ولتذكر) هنا فائدة تخدم كلامنا في هذا الفصل بما هو في التاريخ إنما هو ذكر

الاخبار الخاصة بعصر أو جيل (فاما) ذكر الاحوال العامة للاتفاق والايغال  
 والامصار فهو أس للمؤرخ تبني عليه أكثر مقاصده وتبين به أخباره وقد كان الناس  
 يحدونه بالتأليف كقطعة المسعودي في كتاب مروج الذهب شرح فيه أحوال الامم  
 والاتفاق لعهد في عصر الثلاثين والثلاثمائة غربا وشرقا وذكر خلعهم وعوائدهم  
 ووصف البلدان والجبال والبصاير والممالك والدول وفرق شعوب العرب والعجم فصار  
 اماما للمؤرخين يرجعون اليه وأصلا يعولون في تحقيق الكثير من أخبارهم  
 عليه ثم جاء البكري من بعده ففعل مثل ذلك في المسالك والممالك خاصة دون غيرها  
 من الاحوال لأن الامم والايغال لعهد لم يقع فيها كثيرا انتقال ولا عظيم تغير وأما هذا  
 العهد وهو آخر المائة الثامنة فقد انقلب أحوال المغرب الذي نحن شاهده وتبدلت  
 بالجله واعتاض من أجيال البربر أهله على القدم بمن طرأ فيه من لدن المائة الخامسة  
 من أجيال العرب بما كسروهم وغلبوهم وانتزعوا منهم عامة الاوطان وشاركوهم فيما  
 بقي من البلدان فلكمهم هذا الى ما نزل بالعمران شرقا وغربا في منتصف هذه المائة  
 الثامنة من الطاعون الجارف الذي تخيف الامم وذهب بأهل الجبل وطوى كثيرا من  
 محاسن العمران ومحاها وجاء للدول على حين هزمها وبوغ الغاية من مداها فقلص  
 من غلالها وفل من حدها وأوهن من سلطانها وتداعت الى التلاشي والاضمحلال  
 أحوالها واتقص عمران الارض باتقص البشر ففرت الامصار والمصانع ودرست  
 السبل والمعالم وخلت الديار والمنازل وضعفت الدول والقبائل وتبدل الساكن  
 وسكناني بالشرق قد نزل به مثل ما نزل بالمغرب لكن على نسبه ومقدار عمرانه  
 وكانما نادى لسان الكون في العالم بالهول والانتقاض فبادر بالاجابة واقه وادرك  
 الارض ومن عليها واذ تبدلت الاحوال بجله فكأنما تبدل الخلق من أصله وتحوّل  
 العالم بأسره وكان خلق جديد ونشأة مستأنفة وعالم محدث فاحتاج لهذا العهد من  
 يدون أحوال الخليفة والاتفاق وأجيالها والعوائد والتصل التي تبدلت لاهلها ويقفو  
 مسلك المسعودي لعصره لم يكن أصلا يقتدى به من يأتي من المؤرخين من بعده  
 (وأما ذكر في كتابي) هذا ما أمكنني منه في هذا القطر المغربي اما صريحا أو مندرجا في  
 أخباره وتلويحا لاختصاص قصدي في التأليف بالمغرب وأحوال أجياله واهمه وذكر  
 عماله ودوله ودون ما سواه من الاقطار لهدم اطلاعي على أحوال المشرق وأعمه وان  
 الاخبار المتناقلة لا توفي كنه ما أريد منه والمسعودي انما استوفى ذلك بعد رحلته  
 وتقلبه في البلاد كما ذكر في كتابه مع أنه لما ذكر المغرب قصر في استيفاء أحواله وفوق كل  
 ذي علم عليم ومن ذا العلم كله الى الله والبشر عاجز قاصر والاعتراف متعين واجب ومن

مكان اقنعى عونه يسرت عليه المذاهب وانجحت له المساعي والمطالب (ونحن)  
 آخذون بعون الله فيما رماه من أغراض التأليف ولاقه المسدد والمعين وعليه التكلان  
 (وقد) بقى علينا أن نقدم مقدمة في كيفية وضع الحروف التي ليست من لغات  
 العرب اذا عرضت في كتابها هذا (اعلم) أن الحروف في النطق كما يأتي بشرحها بعد  
 هي كيفية الاصوات الخارجة من الحنجرة تعرض من تقطيع الصوت بقرع اللهايات  
 وأطراف اللسان مع الحنك والخلق والاضراس أو بقرع الشفتين أيضا فتتغير  
 كيفية الاصوات بتغير ذلك القرع وتجي الحروف متميزة في السمع وتتركب  
 منها الكلمات الدالة على ما في الضمائر وليست الأمم كلها متساوية في النطق بتلك  
 الحروف فتدريكون لامة من الحروف ما ليس لامة أخرى والحروف التي نطقت بها  
 العرب هي عمانية وعشرون حرفا كما عرفت وتجعل للبرانيين حروفا ليست في لغتنا وفي  
 لغتنا أيضا حروف ليست في لغتهم وكذلك الافريج والترك والبربر وغير هؤلاء من  
 الأمم ثم ان اهل الكتاب من العرب اصطحووا في الدلالة على حروفهم المجموعة بأوضاع  
 حروف مكتوبة متميزة بأشخاصها كوضع ألف وباء وجيم وراء وطاء الى آخر  
 المائة والعشرين واذا عرض لهم الحرف الذي ليس من حروف لغتهم بقى مهملان  
 الدلالة الكتابية مغلغلان البيان وبعبارة رسمه بعض الكتاب بشكل الحرف الذي  
 يليه من لغتنا قبله أو بعده وليس ذلك بكاف في الدلالة بل هو تفسير الحرف من أصله  
 (ولما) كان كتابنا متملا على أخبار البربر وبعض الأمم وكانت تعرض لنا في أسمائهم  
 أو بعض كلماتهم حروف ليست من لغة كتابتنا ولا اصطلاح أوضاعنا اضطررنا الى بيان  
 ولم نكتب برسم الحرف الذي يليه كما قلناه لانه عندنا غير واق بالدلالة عليه  
 فاصطلحت في كتابي هذا على أن أضع ذلك الحرف الجهمي بميل على الحرفين اللذين  
 يكتنفانه ليتوسط القارئ بالنطق به بين مخرجي ذين الحرفين فتعصّل تأديته وانما  
 اقتبس ذلك من رسم اهل المصنف حروف الاشمام كالصراط في قرأة خلفان  
 النطق بصاده فيها معجم متوسط بين الصاد والزاي فوضعوا الصاد وروا في داخلها  
 شكل الزاي ودل ذلك عندهم على المتوسط بين الحرفين فكذلك رسمت أنا كل  
 حرف يتوسط بين حرفين من حروفنا كالكاف المتوسطة عند البربر بين الكاف  
 الصريحة عندنا والجيم أو القاف مثل اسم الكين فأضعها كافا وأقطعها بنقطة الجيم  
 واحدة من أسفل أو بنقطة القاف واحدة من فوق أو اثنين فيدل ذلك على انه متوسط  
 بين الكاف والجيم أو القاف وهذا الحرف أضعه كما يجي في لغة البربر وما جاء من  
 غيره فعلى هذا القياس أضع الحرف المتوسط بين حرفين من لغتنا بالحرفين معا ليعلم

الغاري أنه متوسط فينطق به كذلك فيكون قد دللنا عليه ولو وضعناه بوسم الحرف الواحد عن جانيه لكافدصر فنامن مخرجه الى مخرج الحرف الذي من لغتنا وغيرنا لفة القوم فاعلم ذلك والله الموفق للصواب بمه وصلة

الكتاب الاول في طيبة العمران في الخلقة وما يمرض فيها من الابد والمرض والغلب

والكسب والمعاش والصنائع والعلوم ونحوها والركن من العقل والاسباب

(اعلم) أنه لما كانت حقيقة التاريخ أنه خبر عن الاجتماع الانساني الذي هو عمران العالم وما يمرض لطبيعة ذلك العمران من الاحوال مثل التوحش والتأنيس والعصيات وأصناف التغلبات للبشر بعضهم على بعض وما ينشأ عن ذلك من الملك والدول ومرضاتها وما يتعلمه البشر باعمالهم ومساعدتهم من الكسب والمعاش والعلوم والصنائع وسائر ما يحدث في ذلك العمران بطبيعته من الاحوال (ولما كان) الكذب متطرقا للخبر بطبيعته وله اسباب تقتضيه فتها التسيغات للآراء والمذاهب فان النفس اذا كانت على حال الاعتدال في قبول الخبر أعطته حقه من التعميم والنظر حتى تتبين صدقه من كذبه واذا خامرها تشيع رأى أو نحوه قبلت ما يوافقها من الاخبار لا لاول وهله وكنان ذلك الميل والتشيع غطاء على عين بصيرتها عن الاتقاد والتعميم فتقع في قبول الكذب ونقله (ومن الاسباب) المقتضية للكذب في الاخبار أيضا الثقة بالناقلين وتعميم ذلك يرجع الى التعديل والتعريض (ومنها) الذهول عن المقاصد فكثير من الناقلين لا يعرف القصد بما عين أو سمع وينقل الخبر على ما في ظنه وتخمينه فيقع في الكذب (ومنها) نوههم الصدق وهو كثير وانما يجرى في الاكثر من جهة الثقة بالناقلين (ومنها) الجهل بتطبيق الاحوال على الوقائع لاجل ما يداخلها من التليس والتصنع فيقلها الخبر كما راها وهي بالتصنع على غير الحق في نفسه (ومنها) تقرب الناس في الادب كثير لاصحاب التجلة والمرتبة بالتناول والمدح وتحسين الاحوال واساعة الذكر بذلك فيستفيض الاخبار بها على غير حقيقة فالنفوس مولمة بحجب الثناء والناس متعلقون الى الدنيا واسبابها من جاه أو رزق وابسوا في الاكثر راغين في الفضائل ولا متنافسين في أهلها (ومن الاسباب) المقتضية له أيضا وهي سابقة على جميع ما تقدم الجهل بطبائع الاحوال في العمران فان كل حادث من الحوادث ذاتا كان أو فعلا لا بد له من طبيعة تخصه في ذاته وفيما يعرض لهن أحواله فاذا كان السامع عارفا بطبائع الحوادث والاحوال في الوجود ومقتضياتها أعانه ذلك في تعميق الخبر على تمييز الصدق من الكذب وهذا

أبلغ في التعجب من كل وجه يعرض ويكثر ما يعرض للسامعين قبول الاخبار المسخلة و نقلها وتوزعهم كأنه الموعودى عن الاسكندر لما صدته دواب البحر عن بناء الاسكندرية وكيف اتخذت ابوت النشوب وفي باطنه صندوق الزباج وغاص فيه الى قعر البحر حتى كتب مورثك الدواب الشيطانية التي رآها وعل غمايلها من أجساد معدنية ونصبها حذاء البنيان فخرت تلك الدواب حين خرجت وعمايتها وتم له بناءها في حكاية طويلة من أماديث خرافة مسخلة من قبل اتخاذ التباوت الزباجي ومصادمة البحر وأواجه بجرمه ومن قبل أن المولود لا تحمل أنفسهم على مثل هذا الغرور من اعتمده منهم فقد عرض نفسه للهلكة واتقاض العقدة واجتماع الناس الى غيره وفي ذلك اتلافه ولا يفتقدون به رجوعه من غروره ذلك طرفه عين ومن قبل ان الجن لا يعرف لها صور ولا تماثيل تختص بها العملى قادرة على التشكل وما يذكر من كثرة الرؤس لها فاعما المراد به الشباعة والتحويل لأنه حقيقة (وهذه) كلها فادحة في تلك الحكاية والقادح المحيل لها لمن طريق الوجود أبين من هذا كله وهو ان المنغص في الماسو لو كان في الصندوق يضيئ عليه الهواء لنفسه الطبيعي وتضئ روحه بسرعة قلبه فيفقد صاحبه الهواء البارد المعدل لمزاج الرئة والروح القاني وبذلك مكانه وهذا هو السبب في هلاكة أهل الحمامات اذا أطبقت عليهم عن الهواء البارد والتسدين في الابار والمطابخ العميقة الموهى اذا سخن هواها بالنفوة ولم تدخلها الرياح فخطئ لها فان التمدد فيها يهلك طينه وبهذا السبب يكون موت الحوت اذا فارق البحر فان الهواء لا يكفيه في تعديل رثته اذ هو حار بافراط والماء الذي يعلته بارد والهواء الذي خرج اليه حار فيستولى الحار على روحه الحيواني وبذلك دفعة ومنه هلاك المصعوقين وأمثال ذلك (ومن الاخبار) المسخلة ما نقله المسعودى أيضا في شمال الزرور الذي برومة تجتمع اليه الزرازير في يوم معلوم من السنة حاملة لآزيتون ومنه ينفذون زيتهم وانظر ما أبعد ذلك عن المجرى الطبيعي في اتخاذ الزيت (ومنها) ما نقله البكرى في بناء المدينة المسماة ذات الابواب تحيط بأكثر من ثلاثين مرحلة وتشتغل على عشرة آلاف باب والمدن انما اتخذت للتعصم والاعتماد كما يأتي وهذه خرجت عن ان يحاط بها فلا يكون فيها حصن ولا معتصم وكما نقله المسعودى أيضا في حديث مدينة النعام وانها مبنية على كل ثلثها نخاس بعمره سبعة مائة ظفر بهم موسى بن نصير في غزوه الى المغرب وانها مغلقة الابواب وان المضاعف اليها من أسوارها اذا أشرف على الحائط صفق ودى نفسه فلا يرجع آخر الدهر في حديث مسخيل عادة من خرافات القصص وعمره سبعة مائة قد نفثها

الركاب والادلاء ولم يبقوا هذه المدينة على خبر ثم ان هذه الاحوال التي ذكرناها  
كلها مستعمل عادة متناف للامور الطبيعية في بناء المدن واختطاطها وان غاية  
الموجود منها أن يصرف في الآنية والتطرق وأما قبيد مدنية منها فكثيرا من  
الاستحالة والعدد وأما ذلك ككثير ونحيطه انما هو بمعرفة طبائع العمران وهو  
أحسن الوجوه وأشرفها في تجميع الأخبار وتغير مدققها من كذبها وهو سابق على  
التخصص بتعديل الرواة ولا يرجع الى تعديل الرواة حتى يعلم ان ذلك الخبير في نفسه  
يمكن أو يمنع وأما اذا كان مستملا فلأفائدة للتطرق في التعديل والتجريح والتصدق  
أهل النظر من المطاعين في الخبر استحالة مدلول اللفظ وتأويله أن يؤول بما لا يقبله  
العقل وانما مكان التعديل والتجريح هو المعترف في صحة الاخبار الشرعية لان  
مفهومها تكاليف انشائية أوجب الشارع العمل بها حتى حصل الظن بصحتها  
وسيل صحة الظن الثقة بالرواة بالعدالة والضبط (وأما الاخبار) عن الواقعات فلا بد  
في صدقها ومحتما من اعتبار المطابقة فذلك وجب أن يتطرق في إمكان وقوعه ومصاد  
فيها ذلك أهم من التعديل ومقدما عليه اذا فائدة الانشاء متبينة منه فقط وفائدة  
التجريح ومن الخارج بالمطابقة واذا كان ذلك في القانون في تمييز الحق من الباطل في  
الاشياء بالامكان والاستحالة أن تتطرق في الاجتماع البشري الذي هو العمران ونحو  
ما يلحقه من الاحوال لذاته ويتقضي طبعه وما يكون عارضا لا يعتمد به وما لا يمكن أن  
يعرض له واذا فعلنا ذلك كان ذلك لنا فائدة في تمييز الحق من الباطل في الاخبار والصدق  
من الكذب بوجه برهاني لا مدخل للشك فيه وحينئذ اذا سمعنا عن شيء من الاحوال  
الواقعة في العمران علمنا ما نحكم بقبوله مما نحكم بترجيحه وكان ذلك لنا معيارا صحيحا  
تجري به المؤرخون طريق الصدق والصواب فيما ينقلونه وهذا هو غرض هذا  
الكتاب الاول من تأليفنا وكان هذا علم مستقل بنفسه فانه ذو موضوع وهو العمران  
البشري والاجتماع الانساني وذو مسائل وهي بيان ما يلحقه من الدواضر  
والاحوال لذاته واحدة بعد اخرى وهذا شأن كل علم من العلوم وضعيا كمن أو مضيا  
(واعلم) ان الكلام في هذا الغرض مستحدث المصنعة غريب التزعة عزيز  
لغائده أعز عليه الهت وأدى اليه القوص وايسر من علم الخطابة الذي هو أحد  
العلوم المنطقية فان موضوع الخطابة انما هو الاقوال المقلعة النافعة في استئالة  
الجمهور الى رأى أو صدقهم عنه ولا هو أيضا من علم السياسة المدنية اذ السياسة المدنية  
في تدبير المنزل أو المدينة بما يجب بتقضي الاخلاق والحكمة ليصل الجمهور على  
نجاح يكون فيه حفظ النوع وقاؤه فقد خالف موضوعه موضوع هذين الفنين الذين

رجل يشبهه وكأه علم مستنبط النشأة ولعمري لم أنقص على الكلام في هذا لأحد من  
 الخلق مما أدري لفتاتهم عن ذلك وليس القلن جهنم أو لطعم كيتوف في هذا الغرض  
 واستوفوه ولم يصل النفاط العلوم ~~ص~~ كثيرة والحكمة في أم الترع الانساني متقدون  
 ومالم يصل اليانمن العلوم أكثر مما وصل فأين علوم القرض التي أمر عروضي الله  
 عنه بجمعها عند الفزع وأين علوم الكلدانيين والسريانيين وأهل بابل وما ظفر عليهم  
 من آثارها وتأهبا وأين علوم القبط ومن قبلهم وما تواصل البناء علوم أمة واحدة  
 وهم يونان خاصة لكلف المأمون بأخر اجها من لفهم واقتداره على ذلك بكثرة المترجين  
 وبذل الاموال فيما ولم تنقص على شيء من علوم غيرهم وإذا ~~ص~~ كانت كل حقيقة متعلمة  
 طبيعية يصلح أن يبحث عما يمرض لها من العوارض لذاتها وجب أن يكون باعتبار  
 كل مفهوم وحقيقة علم من العلوم يخصه ~~ص~~ الحكما لطعم انما الاختلاف في ذلك  
 العناية بالغرثان وهذا انما غرته في الاخبار فقط كما رأيت وان كانت مسائله في ذاتها  
 وفي اختصاصها شريفة لكن غرته تصحيح الاخبار وهي ضعيفة فلماذا اجمروا وقه أعلم  
 وما أوتيت من العلم الا قليلا (وهذا الفن) الذي لاح لنا النظر فيه فجدت مسائل  
 تجري بالمرض لاهل العلوم في براهين علومهم وهي من جنس مسائله بالموضوع  
 والمطلب مثل ما ذكره الحكماء والعلماء في اثبات النبوة من أن البشر متعاونون في  
 وجودهم فصنّاجون فيه الى الحاكم والوازع ومثل ما ذكر في أصول الفقه في باب  
 اثبات اللغات أن الناس محتاجون الى العبارة عن المقاصد بطبيعة التعاون  
 والاجتماع وبما ان العبارات أخف ومثل ما ذكره الفقهاء في تحليل الاحكام الشرعية  
 بالمقاصد في أن الزنا مخطط للانساب مقصد للنوع وأن القتل أيضا مقصد للنوع وان  
 الظلم مؤذن بخراب العمران المقتضي لفساد النوع وغير ذلك من سائر المقاصد  
 الشرعية في الاحكام فانها كلها مبنية على المحافظة على العمران فكان لها النظر فيما  
 يمرض له وهو ظاهر من كلامنا هذا في هذه المسائل المعلقة (وكذلك) أيضا يقع البناء  
 القليل من مسائله في كلمات متفرقة سلمها الخليفة ليكنهم لم يستوفوه (فن كلام)  
 المؤيد بن جبرام بن جبرام في حكاية اليوم التي نقلها المسعودي أيها الملك ان الملك لا يبيت  
 عزه الا بالشريعة والقيام بته بطاعته والتصرف تحت أمره ونهيه ولا قوام للشريعة  
 الا بالمال ولا عز للملك الا بالرجال ولا قوام للرجال الا بالمال ولا سبيل الى المال الا بالعمل  
 ولا سبيل للعمل الا بالعدل والعدل الميزان المتصوب بين الخليفة ونسبه الرب وجعل  
 له قوما وهو الملك (ومن كلام أنوشروان) في هذا المصنف عينه الملك بالجنود والخذ  
 بالمال والمال بالخروج والنزاع بالصا رتو العمارة بالعدل والعدل بالصلاح الاعمال



واصلاح الصالح باستقامة الوزراء . ورأس الكل بالحقاد الملك سال بعينه بنفسه  
 واقصداره على تأديها حتى يملكها ولا تملكه ( وفي الكتاب ) المتسوب لأرسطو في  
 السياسة المتداول بين الناس بر مصالح منه الآتية غير مستوفى ولا معطى حقه من  
 البراهين ومختلط بغيره وقد أشار في ذلك الكتاب الى هذه الكلمات التي نقلناها عن  
 المؤيدان وأنشروا ون جعلها في الدائرة القرينة التي أعظم القول فيها وهو قوله  
 العالم بستان سياحه الدولة الدولة سلطان تحياه السنة السنة سياسة بسوءها الملك  
 الملك قتلهم بعضهم الخند الخند أعوان يكفلهم المال المال رزق يجمعه الرعية  
 الرعية عبيد يكتفهم العدل العدل مألوف وبه قوام العالم بستان ثم ترجع الى  
 أقوال الكلام فهذه ثمان كلمات حكيمة سياسية ارتبط بعضها ببعض وارتدت  
 أعجازها على مدورها وانصلت في دائرة لا يتعين طرقها غير بعنودها وعظم من  
 فوائدها . وأنت اذا تأملت كلامنا في فصل الدول وانك وأعطيت حقه من  
 التصحيح والتفهيم عثرت في أشانه على تفسير هذه الكلمات وتفصيل اجالها مستوفى  
 بينا بآداب وعبيان وأوضح دليل وبرهان أطلعنا الله عليه من غير تعليم أرسطو ولا افادة  
 مؤيدان وكذلك تجد في كلام ابن المقفع وما يستطرد في رسائله من ذكر السياسات  
 الكثير من مسائل كتابنا هذه غير مبرهنة كما برهنا انما يجلبها في الذكر على منجى  
 الخطابة في أسلوب الترسيل وبلاغة الكلام وكذلك حقوق القاضي أبو بكر  
 الطرطوشي في كتاب سراج المولود وبوجه على أبواب تقرب من أبواب كتابنا هذا  
 ومثاله لكنه لم يصادف فيه الرمية ولا أصاب الشاكلة ولا استوفى المسائل  
 ولا أوفى الادلة انما يتوب الباب للمثله ثم يستكثر من الاحاديث والآثار  
 وينقل كلمات متفرقة لحكام الفرس مثل برزجهر والمؤيدان وحكام الهند والمأثور  
 عن دانيال وهرمس وغيرهم من أكابر الخليفة ولا يكشف عن التحقيق قسما  
 ولا يرفع بالبراهين الطبيعية حجابا انما هو نقل وترغيب شبهة بالمواظبة وكلمة حوم على  
 الغرض ولم يصادفه ولا يتحقق قصده ولا استوفى مسأله ونحن ألهنا الله الى ذلك الهاما  
 واعتزنا على علم جعلنا بين بكر وجهينة خبره فان كنت قد استوفيت مسأله وميزت  
 عن سائر الصنائع أنظاره وأنحاء متوفيق من الله وهداية وان فائتي شئ في احصائه  
 واشتبهت بغيره مسأله فلنا طرا محقق اصلاحه وفي الفضل لاني نهجت له السبيل  
 وأوضحته الطريق واقفه هدى نورهم من يشاء ( ونحن ) الآن نبين في هذا الكتاب  
 ما يعرض للبشر في اجتماعهم من الأحوال العسمران في الملك والملكب والصلوم  
 والصنائع بوجوده رهاية يتضح بها التحقيق في معارف الخاصة والعامة وتدفع

بها الاوهام وترفع الشكوك (ونقول) لما كان الانسان مقبلا عن سائر الحيوانات  
 بخواص اختص بها فنها العلوم والصنائع التي هي نتيجة الفسكرة الذي عين به عن  
 الحيوانات وشرف بوصفه على المخلوقات ومنها الحاجة الى الحكم الوازع والاطمان  
 القاهر اذ لا يمكن وجوده دون ذلك من بين الحيوانات كلها الا ما يقال عن النمل  
 والجراد وهذه وان كان لها مثل ذلك فبطريق الهامى لا يفكر وروية ومنها السبي  
 في المعاش والاعتقال في تحصيله من وجوهه واكتساب أسبابه لما جعل الله فيه من  
 الاقتدار الى الغذاء في حياته ويقائه وهذا الى التماسه وطلبه قال تعالى أعطى كل  
 شيء خلقه ثم هدى ومنها العمران وهو انساكن والتنازل في مسر أو حلة للأنس  
 بالعيش واقضاء الحاجات لما في طباعهم من التعاون على المعاش كما ينبغي ومن هذا  
 العمران ما يكون بدويا وهو الذي يكون في الضواحي وفي الجبال وفي الحلال المنتجة  
 في القفار وأطراف الرمان ومنه ما يكون حصريا وهو الذي بالامصار والقرى والمدن  
 والمدائر للاعتماد بها والتمسك بجدرانها وله في كل هذه الاحوال أمور تعرض  
 من حيث الاجتماع عروضاً يتألفها لاجرم ان يختصر الكلام في هذا الكتاب في ستة  
 فصول (الاول) في العمران البشري على الجملة وأصنافه وقسطه من الارض  
 (والثاني) في العمران البدوي وذكر القبائل والامم الوحشية (والثالث) في  
 الدول والخلافة والملوك والمرتبات السلطانية (الرابع) في العمران الحضري  
 والبلدان والامصار (والخامس) في الصنائع والمعاش والكسب ووجوهه  
 (والسادس) في العلوم واكتسابها وتعلمها (و-) قدمت العمران البدوي لانه  
 سابق على جميعها كما بين لك بعد وكذا تقدم الملوك على البلدان والامصار وأما تقديم  
 المعاش فلان المعاش ضروري طبيعي وتعلم العلم كالمأوى والحاجة والطبيعي أقدم  
 من الكمال وجعلت الصنائع مع الكسب لانهم امنه ببعض الوجوه ومن حيث  
 العمران كما بين لك بعد وقله الموفق لتصواب والمعين عليه

### ( الفصل الاول من الكتاب الاول )

( في العمران البشري على الجملة وفيه مقدمات )

(الاولى) في أن الاجتماع الانساني ضروري وبغير الحكمة عن هذا بقاؤهم الانسان  
 مدني بالطبع أي لا بد له من الاجتماع الذي هو المدينة في اصطلاحهم وهو معنى  
 العمران ويثبت أن الله سبحانه خلق الانسان ورصه على صورة لا يصح جباها  
 وبقاؤها الا بالانعا وهذا الى التماسه مفرطه وعمار كفيه من القدرة على تحصيله

الآن قدرة الواحد من البشر قاصرة عن محصل حاجته من ذلك الغذاء غير موفية له  
 بمادة حياته منه ولو فرضنا أنه أقل ما يمكن فرضه وهو قيمت يوم من الحنطة مثلاً فلا  
 يحصل الأبلعاج كثير من الطين والعجين والطبخ وكل واحد من هذه الأعمال الثلاثة  
 يحتاج إلى مواعين والآلات لا تتم الإيصاعات متعددة من حديد ونحاس وأخوري  
 هب أنه يأكله حبان غير علاج فهو أيضاً يحتاج في تحصيله أيضاً حبا إلى أعمال أخرى  
 أكثر من هذه من الزراعة والحصاد والدراس الذي يخرج الحلب من غلاف الثقليل  
 ويحتاج كل واحد من هذه إلى آلات متعددة وصناعات كثيرة أكثر من الأولى بكثير  
 ويستحيل أن توفى بذلك كله أو ببعضه قدرة الواحد فلا بد من اجتماع القدر  
 الكثيرة من أبناء جنسه ليحصل القوت له ولهم فيحصل بالتعاون قدر الكفاية من  
 الحاجة لا تترتبهم بأضعاف وكذلك يحتاج كل واحد منهم أيضاً في الدفاع عن نفسه  
 إلى الاستعانة بأبناء جنسه لأن الله سبحانه لما ركب الطباع في الحيوانات كلها وقسم  
 القدر بينها جعل حظوظ كثير من الحيوانات العجم من القدرة أكثر من حظ الإنسان  
 ففدرة الفرس مثلاً أعظم بكثير من قدرة الإنسان وكذا قدرة الجارو والثور وقدرة  
 الأسد والذئب أضعاف من قدرته ولما كان العدو ان طبيعياً في الحيوان جعل  
 لكل واحد منها عضو يحتص به مدافعة ما يصل إليه من عادية غيره وجعل للإنسان  
 عوضاً من ذلك كله الفكر واليد فاليد مهيأة للصناعات بخدمة الفكر والصناعات  
 تحصل له الآلات التي تنوبه عن الجوارح المهيأة في سائر الحيوانات للدفاع  
 مثل الرماح التي تنوب عن القرون الناطقة والسيوف النابذة عن الخالب الجارحة  
 والتراس النابذة عن البشائر الجلدية إلى غير ذلك مما ذكره جالينوس في كتاب  
 منافع الأعضاء فالواحد من البشر لا تقاوم قدرته قدرة واحد من الحيوانات العجم  
 سيما المفترسة فهو عاجز عن مدافعتها وحده بالجله ولا تفي قدرته أيضاً باستعمال الآلات  
 المهيأة للمدافعة لكثرة وكثرة الصناعات والمواهب المهيأة لها فلا بد بذلك كله من  
 التعاون عليه بأبناء جنسه وما لم يكن هذا التعاون فلا يحصل له قوت ولا غذاء ولا تتم  
 حياته لما ركب الله تعالى عليه من الحاجة إلى الغذاء في حياته ولا يحصل له أيضاً  
 دفاع عن نفسه لفقدان السلاح فيكون فريسة للحيوانات ويعاجله الهلاك عن  
 مدى حياته ويطلق نوع البشر وإذا كان التعاون حصل له القوت للغذاء والسلاح  
 للمدافعة وقت حكمة الله في بقائه وحفظ نوعه فاذن هذا الاجتماع ضروري لنوع  
 الإنسان والألم يكمل وجودهم وما أراد الله من اعتماد العالم بهم واستغلافه إياهم  
 وهذا هو معنى العمران الذي جعلناه موضوعاً لهذا العلم وفي هذا الكلام نوع اثبات

الموضوع في فقه الذي هو موضوع له وهذا وان لم يكن واجبا على صاحب الفن لما  
 تقر في الصناعة المطبقة أنه ليس على صاحب علم اثبات الموضوع في ذلك العلم فليس  
 أيمان من المنوعات عندهم فيكون اثباته من التبرعات والله الموفق بفضل الله ثم ان  
 هذا الاجتماع اذا حصل للبشر كما قرناه وتم عمران العالم بهم فلا بد من وازع يدفع  
 بعضهم عن بعض لما في طباعهم الحيوانية من العدوان والقلم وليست السلاح التي  
 جعلت دافعة للعدوان الحيوانيات الهجم عنهم كافية في دفع العدوان عنهم لانها  
 موجودة لجميعهم فلا بد من شيء آخر يدفع عدوان بعضهم عن بعض ولا يكون من  
 غيرهم لقصور جميع الحيوانات عن مداركهم والهاماتهم فيكون ذلك الوازع واحدا  
 منهم يكون له عليهم الغلبة والسلطان واليد القاهرة حتى لا يصل أحد الى غير بعيد وان  
 وهذا هو معنى الملك وقد بينا في هذا أنه خاصية للانسان طبيعية ولا بد لهم منها  
 وقد يوجب في بعض الحيوانات الهجم على ما ذكره الحكماء كما في الفصل والجراد لما  
 ستقر فيهما من الحكم والانتقاد والاباع رئيس من أخصاصها متميزة عنهم في خلقه  
 ويحتمل الآن ذلك موجودا لغير الانسان بمقتضى القطرة والهداية لا بمقتضى الفكرة  
 والبسطة أعطى كل شيء خلقه ثم هدى وتزيد الفلاسفة على هذا البرهان حينه  
 يحاولون اثبات النبوة بالدليل العقلي وأنها خاصة بطبيعة للانسان فيقررون هذا  
 البرهان الى غاية أنه لا بد للبشر من الحكم الوازع ثم يقولون بعد ذلك وذلك الحكم  
 يكون بشرع مفروض من عند الله يأتي به واحد من البشر وأنه لا بد أن يكون مقبولا  
 عنهم بما يودع الله فيه من خواص هدايته يقع التسليم له والقبول منه حتى يتم  
 لحكمهم فيهم وعليهم من غير انكار ولا تزيف وهذه القضية للحكماء غير رهاية كما تراها اذا  
 الوجود وحياة البشر فتم من دون ذلك بما يفرضه الحاكم لنفسه أو بالعصية التي  
 يقدر بها على قهرهم وجلهم على جاذبه فأهل الكتاب والمبصرين للانبياء يميلون  
 بالنسبة الى الجحوس الذين ليس لهم كتاب فانهم أكثر أهل العالم ومع ذلك فقد كانت  
 لهم الدول والآثار فتنازع الحياة وكذلك هي لهم لهذا العهد في الاقاليم المتفرقة  
 في الشمال والجنوب بخلاف حياة البشر فوضي دون وازع لهم البتة فانه يمنع  
 وجهه ايتين للظلم في وجوب التبرعات وأنه ليس بعقل وانما سدره الشريعة  
 كما هو مذهب المسلمين الامة والله ولي التوفيق والهداية

### ( الملحة الثانية )

( في قسط العمران من الارض والاشارة الى بعض ما فيه من الاشجار والانهار والاقاليم )

(اعلم) أنه قد تبين في كتب الحكماء الناظرين في أحوال العالم أن شكل الأرض كروي وأنها محصورة بعنصر الماء كأنها عنب طافية عليه فأحصر الماء عن بعض جوانبها لما أراد الله من تكوين الحيوانات فيها وعمرانها بالنوع البشري الذي له الخلقة على سائرها وقد توهم من ذلك أن الماء تحت الأرض وليس بصحيح وإنما ألقت الطبيعة قلب الأرض ووسط كرتها الذي هو مركزها والكل يطلبه بما فيه من الثقل وماعد ذلك من جوانبها وأما الماء المحيط بها فهو فوق الأرض وإن قيل في شيء منها أنه تحت الأرض فبالإضافة إلى جهة أخرى منه وأما الذي انحصر عنه الماء من الأرض فهو النصف من سطح كرتها في شكل دائرة أحاط العنصر المائي بها من جميع جهاتها مجزا يسمى البحر المحيط ويسمى أيضا بسلايه بتقويم اللام الثمانية ويسمى أوقيانوس أسماء أعجمية ويقال له البحر الأخضر والأسود ثم إن هذا المنكشف من الأرض للعمارة فيه القفار والخلأ أكثر من عمرانها والخلأ من جهة الجنوب منه أكثر من جهة الشمال وإنما المعمور منه قطعة أميل إلى الجانب الشمالي على شكل مسطح كروي ينتهي من جهة الجنوب إلى خط الاستواء ومن جهة الشمال إلى خط كروي ووراء الجبال الناصلة بينه وبين الماء العنصري الذي بينهما سدا بأجوج ومأجوج وهذه الجبال مائلة إلى جهة المشرق وينتهي من المشرق والمغرب إلى عنصر الماء أيضا مقطعين من الدائرة المحيطة وهذا المنكشف من الأرض قالوا هو مقدار النصف من الكرة أو أقل والمعمور منه مقدار ربعه وهو المنقسم بالأقاليم السبعة وخط الاستواء يقسم الأرض نصفين من المغرب إلى المشرق وهو طول الأرض وأكبر خط في كرتها كما أن منطقة فلك البروج ودائرة معدل النهار أكبر خط في الفلك ومنطقة البروج منقسمة بثلاثمائة وستين درجة والدرجة من مسافة الأرض خمسة وعشرون فرسخا والفرسخ اثنا عشر ألف ذراع في ثلاثة أميال لأن الميل أربعة آلاف ذراع والذراع أربعة وعشرون أصبعا والأصبغ ست حبات شعير مصفوفة ملحق بعضها ببعض ظهرا لبطن وبين دائرة معدل النهار التي تقسم الفلك نصفين وتسامت خط الاستواء من الأرض وبين كل واحد من القطبين تسعون درجة لكن العمارة في الجهة الشمالية من خط الاستواء أربع وستون درجة والباقي منها خلأ لا عمارة فيه لشدة البرد والجلود كما كانت الجهة الجنوبية خلأ كلها لشدة الحر كما تبين ذلك كله إن شاء الله تعالى ثم إن الخبرين عن هذا المعمور وحدوده ومائمه من الأمصار والمدن والجبال والبحار والأنهار والقفار والمال مثل بطليموس في كتاب الجغرافيا وصاحب كتاب زجاري من بعده قسموا هذا المعمور

بسبعة أقسام يسمونها الأقاليم السبعة بحدود وهمية بين المشرق والمغرب متساوية  
في العرض مختلفة في الطول فالأقليم الأول أطول مما بعده وكذا الثاني إلى آخرها  
فيكون السابع أقصر لما اقتضاه وضع الدائرة الناشئة من انحناء الماء عن كوة  
الأرض وكل واحد من هذه الأقاليم عندهم منقسم بقشرة أجزاء من المغرب إلى  
المشرق على التوالي وفي كل جزء الخبر عن أحواله وأحوال عمرانته (وذكرنا)  
أن هذا البحر المحيط يخرج منه من جهة المغرب في الأقليم الرابع البحر الرومي  
المعروف يدا في خليج مضائق في عرض اثني عشر ميلاً ونحوها ما بين طنجة وطريف  
ويسمى الزقاق ثم يذهب شرقاً وينقسم إلى عرض ستين ميلاً ونحوها ما بين طنجة وطريف  
الجزء الرابع من الأقليم الرابع على ألف فرسخ ومائة وستين فرسخاً من مبدئه وعليه  
هناك سواحل الشام وعليه من جهة الجنوب سواحل المغرب وأما طنجة عند  
الخليج ثم إفريقية ثم رققة إلى الاسكندرية ومن جهة الشمال سواحل القسطنطينية  
عند الخليج ثم البنادقة ثم رومة ثم الافرنجة ثم الأندلس إلى طريق عند الزقاق قبالة  
طنجة ويسمى هذا البحر الرومي والشامي وفيه جزر كثيرة عامرة كبار مثل اقريطش  
وقبرص وصقلية وميورقة وسردانية ودانية (قالوا) ويخرج منه في جهة الشمال بجران  
آخرا من خليجين أحدهما سمات للقسطنطينية يبدأ من هذا البحر مضائقاً  
في عرض رمية السهم ويمر ثلاثة بحار فيتمثل بالقسطنطينية ثم ينقسم في عرض  
أربعة أميال ويمر جزيرتين ميلاً ويسمى خليج القسطنطينية ثم يخرج من فوهة  
عرضها ستة أميال فيمجد بحر بطش وهو بحر يعرف من هنالك في مذهبه إلى ناحية  
الشرق فيمر بأرض هريقلية وينتهي إلى بلاد الخزرية على ألف وثلاثين ميلاً من  
فوهته وعليه من الجانبين أم من الروم والترك وبرجان والروس والبحر الثاني  
من خليجي هذا البحر الرومي وهو بحر البنادقة يخرج من بلاد الروم على سمت الشمال  
فاذا انتهى إلى سمت الجبل المعروف في سمت المغرب إلى بلاد البنادقة وينتهي إلى  
بلاد انكلية على ألف ومائة ميل من مبدئه وعلى حافته من البنادقة والروم وغيرهم  
أم ويسمى خليج البنادقة (قالوا) وينحاز من هذا البحر المحيط أيضاً من الشرق  
على ثلاث عشرة درجة في الشمال من خط الاستواء ببحر عظيم متسع يمتد إلى الجنوب  
قليلاً حتى ينتهي إلى الأقليم الأول ثم يعرفه مغرباً إلى أن ينتهي في الجزء الخامس  
منه إلى بلاد الحبشة والزيج وإلى بلاد باب المندب منه على أربعة آلاف فرسخ  
وخمسة مائة فرسخ من مبدئه ويسمى البحر الصيني والهندي والحبشي وعليه من جهة  
الجنوب بلاد الزيج وبلاد بربر التي ذكرها امرؤ القيس في شعره وليسوا من البربر

الذين هم قبائل المغرب ثم بلاد مقدشوم ثم بلاد سفانة ثم أرض الواق واق وأمم أكرليس  
 بعدهم الألفقار والخللا وعليه من جهة الشمال الصين من عند مبدئه ثم الهند  
 ثم السند ثم سواحل اليمن من الأحقاف وزيد وغيرهما ثم بلاد الرنج عند نهايته  
 وبعدهم الحبشة (قالوا) ويخرج من هذا البحر الحبشي بحر آخر (أحدهما)  
 يخرج من نهايته عند باب المندب فيه أمتضايقا ثم مستجرا إلى ناحية الشمال  
 ومغرا قليلا إلى أن ينتهي إلى مدينة القلزم في الجزء الخامس من الأقليم الثاني على  
 ألف وأربعمائة ميل من مبدئه ويسمى بحر القلزم وبحر السويس وبينه وبين  
 فسطاط مصر من هنا ثلاث مراحل وعليه من جهة الشرق سواحل اليمن ثم  
 العجاز وجمدة ثم مدائن وأبلة وقايان عند نهايته ومن جهة الغرب سواحل الصعيد  
 وعيذاب وسواكن وزيلع ثم بلاد الحبشة عند مبدئه وآخره عند القلزم يسامت البحر  
 الرومي عند العربش وبينهما نحو ست مراحل وما زال الملو في الإسلام وقبله  
 رومون خرق ما بينهما ولم يتم ذلك (والبحر الثاني) من هذا البحر الحبشي ويسمى  
 الخليج الأخضر يخرج ما بين بلاد السند والأحقاف من اليمن ويمر إلى ناحية الشمال  
 مغرا قليلا إلى أن ينتهي إلى الأبلة من سواحل البصرة في الجزء السادس من الأقليم  
 الثاني على أربعمائة فرسخ وأربعين فرسخا من مبدئه ويسمى بحر فارس وعليه من  
 جهة الشرق سواحل السند ومكرن وكرمان وفارس والأبلة عند نهايته ومن جهة  
 الغرب سواحل البحرين والجمامة وعمان والشعر والأحقاف عند مبدئه وفيما بين  
 بحر فارس والقلزم جزيرة العرب مكانها دخله من البرق البحر يحيط بها البحر  
 الحبشي من الجنوب وبحر القلزم من الغرب وبحر فارس من الشرق ونفضي إلى  
 العراق فيما بين الشام والبصرة على ألف وخمسمائة ميل بينهما وهناك الكوفة  
 وناقادية وبغداد وإوان كسرى والحيرة ووراء ذلك أمم الأعاجم من التلوز والخزر  
 وغيرهم وفي جزيرة العرب بلاد العجاز في جهة الغرب منها وبلاد الجمامة والبحرين  
 وعمان في جهة الشرق منها وبلاد اليمن في جهة الجنوب منها وسواحلها على البحر  
 الحبشي (قالوا) وفي هذا المعمور بحر آخر منقطع من سائر البحار في ناحية  
 الشمال بأرض الديلم يسمى بحر جرجان وطبرستان طول ألف ميل في عرض سقانة  
 ميل في غربيه أذربيجان والديلم وفي شرقيها أرض التلوز وخوارزم وفي جنوبيه  
 طبرستان وفي شمالها أرض الخزر والالان (هذه) جملة البحار المشهورة التي ذكرها  
 أهل الجغرافيا (قالوا) وفي هذا الجزء المعمور أنها كثيرة أعظمها أربعة أنهار  
 وهي النيل والفرات ودجلة ونهر بلخ المسمى جيحون (فأما النيل) فيسبؤه من

جبل عظيم وراخط الاستواء ست عشرة درجة على سمت الجزء الرابع من الاقليم  
 الاول ويسمى جبل القمر ولا يعلم في الارض جبل أعلى منه يخرج منه عيون كثيرة  
 فيصب بعضها في بحيرة هناك وبعضها في أخرى ثم يخرج أنهار من البعيرين قصب  
 كلها في بحيرة واحدة عند خط الاستواء على عشر مراحل من الجبل ويخرج من  
 هذه البعيرة نهران يذهب أحدهما الى ناحية الشمال على سمتيه ويزيد الابد النوبة  
 ثم بلاد مصر فاذا جاوزها تشعب في شعب متقاربة يسمى كل واحد منها خليجا وتصب  
 كلها في البحر الرومي عند الاسكندرية ويسمى نيل مصر وعليه الصعيد من شرقه  
 والواحات من غربه ويذهب الآخر منعطف الى المغرب ثم يترقى سمته الى أن يصب  
 في البحر المحيط وهو نهر السودان وأسمهم كلهم على ضفتيه (وأما القرات) فبذو من  
 بلاد ارمينية في الجزء السادس من الاقليم الخامس ويترجنو في أرض الروم  
 وملطية الى منبج ثم يترقبسقين ثم بارقة ثم بالكوفة الى أن ينتهي الى البطحاء التي بين  
 البصرة وواسط ومن هناك يصب في البحر الحبشي وتصلب اليه في طريقه أنهار كثيرة  
 ويخرج منه أنهار أخرى تصب في دجلة (وأما دجلة) فبذو ما عين بلاد  
 خنلاط من ارمينية أيضا وتترقى على سمت الجنوب بالموصل وأذربيجان وبغداد الى  
 واسط فتتفرق الى خلمان كلها تصب في بحيرة البصرة وتفضي الى بحر فارس وهو في  
 الشرق على عين القرات ويصل اليه أنهار كثيرة عظيمة من كل جانب وفيما بين  
 القرات ودجلة من أوله جزيرة الموصل قبالة الشام من عذوق القرات وقبالة  
 أذربيجان من عذوة دجلة (وأما نهر جيحون) فبذو من يلح في الجزء الثامن  
 من الاقليم الثالث من عيون هناك كثيرة وتصلب اليه أنهار عظام ويذهب من  
 الجنوب الى الشمال فيريلاذخراسان ثم يخرج منها الى بلاد خوارزم في الجزء الثامن  
 من الاقليم الخامس فيصب في بحيرة الحر جانية التي بأقل مدينة نهاهي مسيرة شهر في  
 مثله واليهما يصب نهر فرغانة والشاش الآتي من بلاد الترك وعلى غرب نهر جيحون  
 بلاد خراسان وخوارزم وعلى شرقه بلاد بخارى وترمز وسميرقند ومن هناك الى  
 ماوراء بلاد الترك وفرغانة والخزجية وأم الاعاجم وقد ذكر ذلك كله بطليموس في كتابه  
 والشريف في كتاب زجارد ورواف الجغرافيا جميع ما في المعصور من الجبال  
 والبحار والودية واستوفوا من ذلك ما لا حاجة لتأنيده لولان عنايتنا في الأكثر  
 انتهى بالغرب الذي هو وطن البر ورواها بالوطن التي للعرب من المشرق والله الموفق

### تكملة لمنه المقدمة الثانية

في أن الربع الشمالي من الارض أكثر عمراناً من الربع الجنوبي وذكر السبب في ذلك



ونحن نرى بالمشاهدة والاختبار المتواترة أن الأول والثاني من الأقاليم المعمورة أقل  
عرايا ما بعدهما وما وجد من عمارته فيتحلله الخلاء والغفار والرمال والبحر الهندي  
الذي في الشرق منهما وأم هذين الأقلين وأناسيها ليست لهم الكثرة البالغة  
وأما مصادره ومدنه كذلك والثالث والرابع وما بعدهما بخلاف ذلك فالقفار فيها قليلة  
والرمال كذلك أو معدومة وأما ما أناسيها نحو جزا الحد من الكثرة وأما مصادرها ومدنها  
تجاوز الحد عددا والعمران فيها مندرج ما بين الثالث والسادس والجنوب خلاه كله  
وقد ذكره كثير من الحكماء أن ذلك لا فراط الحز وقله ميل الشمس فيها عن سمت  
الرؤس فلتوضع ذلك ببرهانه وتبين منه سبب كثرة العمارة فيما بين الثالث والرابع  
من جانب الشمال إلى الخامس والسابع (فتقول) أن قطبي القطب الجنوبي والشمالي  
إذا كانا على الأفق فهناك دائرة عظيمة تقسم القطب نصفين هي أعظم الدوائر المارة من  
المشرق إلى المغرب وتسمى دائرة معتدل النهار وقد تميز في موضعه من الهيئة أن القطب  
الأعلى مختزل من المشرق إلى المغرب حركة يومية يحز لها سائر الأقاليم التي في جوفه  
قهر وهذه الحركة محسوسة وكذلك تميز أن الكواكب في أفلا كما حركة مخالفة  
لهذه الحركة وهي من المغرب إلى المشرق ويختلف مؤداها باختلاف حركة الكواكب  
في السرعة والبطء وتتميز هذه الكواكب في أفلا كما توازيها كلها دائرة عظيمة من  
القطب الأعلى تقسمه نصفين وهي دائرة فلك البروج منقسمة ثاني عشر برجا وهي على  
ما بين في موضعه من أطراف دائرة معتدل النهار على نقطتين متقابلتين من البروج هما  
أول الحمل وأول الميزان فتقسمها دائرة معتدل النهار نصفين نصف مائل عن معتدل  
النهار إلى الشمال وهو من أول الحمل إلى آخر السنبلة ونصف مائل عنه إلى الجنوب  
وهو من أول الميزان إلى آخر الحوت وإذا وقع القطبان على الأفق في جميع نواحي  
الأرض كان على سطح الأرض خط واحد يسمت دائرة معتدل النهار يميز من المغرب  
إلى المشرق ويسمى خط الاستواء ووقع هذا الخط بالصد على ما زعموا في مبدأ الأقاليم  
الأقل من الأقاليم السبعة والعمران كله في الجهة الشمالية عنه والقطب الشمالي  
يرتفع عن أفاق هذا المعمور بالتدريج إلى أن يفتي ارتفاعه إلى أربع وستين درجة  
وهناك ينقطع العمران وهو آخر الأقاليم السابع وإذا ارتفع على الأفق تسعين  
درجة وهي التي بين القطب ودائرة معتدل النهار أو القطب على سمت الرؤس وصارت  
دائرة معتدل النهار على الأفق وبقيت ستة من البروج فوق الأفق وهي الشمالية  
وسبعة تحت الأفق وهي الجنوبية والعمارة فيما بين الأربعة والستين إلى التسعين  
ممنوعة لأن الحز والبرد حينئذ لا يحصلان مما تجزئ بعد الزمان بينهما فلا يحصل لتكوين

فاذا الشمس تسلمت الرأس على خط الاستواء في رأس الحمل والميزان ثم تميل عن  
 المسامسة الى رأس السرطان ورأس الجدى ويكون نهاية ميلها عن دائرة  
 معدل النهار بأربع وعشرين درجة ثم اذا ارتفع القطب الشمالي عن الافق مالت  
 دائرة معدل النهار عن سمت الرأس بمقدار ارتفاعه وانخفض القطب الجنوبي  
 بمقدار بمقدار مساو في الثلاثة وهو المسمى عند أهل المواقيت عرض  
 البلد واذا مالت دائرة معدل النهار عن سمت الرأس علت عليها البروج الشمالية  
 مشدوجة في مقدار علتها الى رأس السرطان وانخفضت البروج الجنوبية من  
 الافق كذلك الى رأس الجدى لانحرافها الى الجانبين في أفق الاستواء كما قلناه فلا  
 يزال الافق الشمالي يرتفع حتى يصير أبعد الشمالية وهو رأس السرطان في سمت  
 الرأس وذلك حيث يكون عرض البلد بأربع وعشرين في الحجاز وما يليه وهذا  
 هو الميل الذي اذا مال رأس السرطان عن معدل انحرافه في أفق الاستواء ارتفع  
 بارتفاع القطب الشمالي حتى صار مساوفاً اذا ارتفع القطب أكثر من أربع وعشرين  
 نزلت الشمس عن المسامسة ولا تزال في الانخفاض الى أن يكون ارتفاع القطب بأربع  
 وستين ويكون انخفاض الشمس عن المسامسة كذلك وانخفاض القطب الجنوبي  
 عن الافق مثلها فيقطع التكوين لافراط البرد والجهد وطول زماته غير مخرج بالحر  
 ثم ان الشمس عند المسامسة وما جاريها تحت الاشعة على الارض على زوايا قائمه وفيها  
 دون المسامسة على زوايا متفرجة وحادة واذا كانت زوايا الاشعة قائمه عظم الضوء  
 واخسر بخلافه في المنفرجة والحادة فلهذا يكون الحر عند المسامسة وما يقرب منها  
 أكثر منه فيما بعد لان الضوء سبب الحر والتسخين ثم ان المسامسة في خط  
 الاستواء تكون مرتين في السنة عند خطي الجمل والميزان واذا مالت فغير بعيد ولا  
 يكاد الحر يمتد في آخر ميلها عند رأس السرطان والجدى الا وقد صعدت الى  
 المسامسة فتبقى الاشعة القائمة الزوايا تبلغ على ذلك الافق ويطول مكنتها ويدوم فيشتعل  
 الهواء حرارة ويفرط في شدةها وكذا مادامت الشمس تسلمت مرتين فيما بعد خط  
 الاستواء الى عرض أربعة وعشرين فان الاشعة ملحة على الافق في ذلك بقرب من  
 الحاحها في خط الاستواء وافرط الحر يشعل في الهواء متجشعا ويساعد من التكوين  
 لانه اذا أفرط الحر خفت الماء والرطوبات وفسد التكوين في المعدن والحیوان  
 والنبات اذ التكوين لا يكون الا بالرطوبة ثم اذا مال رأس السرطان عن سمت  
 الرأس في عرض خمسة وعشرين في ما بعده نزلت الشمس عن المسامسة فصار الحر في  
 الاعتدال أو بميل عنه ميلا قليلا فيكون التكوين ويتزايد على التدريج الى أن يفرط

البزق في شدته لظلمة الضوء وكون الاشعة منفرجة الزوايا ينقص التكوين ويضد  
 الانفساد التكوين من جهة شدة الحر أعظم من جهة شدة البرد لان الحر أسرع  
 تأثيرا في الضيق من تأثير البرد في الجهد فلذلك كان العمران في الاقليم الاول والثاني  
 قليلا وفي الثالث والرابع والخامس متوسطا لاعتدال الحر بقصان الضوء وفي  
 السادس والسابع كثيرا لقصان الحر وان كيفية البرد لا تؤثر عند أولها فيفساد  
 التكوين كما يفعل الحر اذ لا يقيق فيها الا عند الافراط بما يعرض لها حينئذ من  
 اليس كما بعد السابع ولهذا كان العمران في الربع الشمالي أكثر وأوفر واقه أعلم •  
 ومن هنا أخذ الحكماء خلاصة الاستواء وما وراءه وأورد عليهم أنه معصوم بالناهدة  
 والاعبار التواترة فكيف يتم البرهان على ذلك والظاهر أنهم يريدوا امتناع العمران  
 فيه بالكلية انما اذا هم البرهان الى أنفساد التكوين فيه قوى بأفراط الحر والعمران  
 فيه ما يمنع أو يمكن أقل وهو كذلك فان خط الاستواء والذي وراءه وان كان فيه  
 عمران كما نقل فهو قليل جدا (وقد زعم) ابن رشد أن خط الاستواء معتدل وأن ما وراءه  
 في الجنوب بمثابة ما وراءه في الشمال فيعمر منه ما عمر من هذا والذي قاله غير متنع من  
 جهة فساد التكوين وانما امتنع فيما وراءه خط الاستواء في الجنوب من جهة أن  
 العنصر المائي يخرج به الارض هناك الى الحد الذي كان مقابله من الجهة الشمالية  
 قابلا للتكوين ولما امتنع المعتدل لقلية الماء تبعه ما سواه لان العمران شديد  
 ويأخذ في التدرج من جهة الوجود لان جهة الامتناع وأما القول بامتناعه في خط  
 الاستواء فبرقة النقل التواترة واقه أعلم • ولترسم بعده هذا الكلام صورة الجغرافيا  
 كما رسمها صاحب كتاب زيارته ثم نأخذ في تفصيل الكلام عليها الخ

#### تفصيل الكلام على هذه الجغرافيا .

اعلم أن الحكماء قسموا هذا المعمور كما تقدم ذكره على سبعة أقسام من الشمال الى  
 الجنوب يسون كل قسم منها اقليما فانقسم المعمور من الارض كله على هذه السبعة  
 الاقاليم كل واحد منها أخذ من الغرب الى الشرق على طوله • فالاول منها ما من  
 المغرب الى المشرق مع خط الاستواء مجتذ من جهة الجنوب وليس وراءه هناك الا  
 القفار والارمال وبعض عمارة انصحت فهي كلاعامة ويلييه من جهة شمالية الاقليم  
 الثاني ثم الثالث كذلك ثم الرابع والخامس والسادس والسابع وهو آخر العمران من  
 جهة الشمال وليس وراء السابع الا الخلاء والقفار الى أن ينتهي الى البحر المحيط

كلحال فيما وراء الاقاليم الاول في جهة الجنوب الآن الخلاه في جهة الشمال اقل  
بكثر من الخلاه الذي في جهة الجنوب \* ثم ان ازمة الليل والنهار تختلف في  
هذه الاقاليم بسبب ميل الشمس عن دائرة معدل النهار وارتفاع القطب الشمالي عن  
آفاقها في تفاوت قوس النهار والليل لذلك ويختفي طول الليل والنهار في آخر الاقليم  
الاول وذلك عند حلول الشمس برأس الجدي لليل وبرأس السرطان للنهار كل واحد  
منهما الى ثلاث عشرة ساعة وكذلك في آخر الاقليم الثاني مما يلي الشمال فينتهي طول  
النهار فيه عند حلول الشمس برأس السرطان وهو منقلبها الصيفي الى ثلاث عشرة  
ساعة ونصف ساعة ومثله أطول الليل عند منقلبها الشتوي برأس الجدي ويبقى  
للاقصر من الليل والنهار ما يبقى بعد الثلاث عشرة ونصف من جلة أربع وعشرين  
الساعات الزمانية لمجموع الليل والنهار وهو دورة الفلك الكاملة وكذلك في آخر  
الاقليم الثالث مما يلي الشمال أيضا ينتهيان الى أربع عشرة ساعة وفي آخر الرابع الى  
أربع عشرة ساعة ونصف ساعة وفي آخر الخامس الى خمس عشرة ساعة وفي آخر السادس  
الى خمس عشرة ساعة ونصف وفي آخر السابع الى ست عشرة ساعة وهناك ينقطع  
العمران فيكون تفاوت هذه الاقاليم في الاطول من ليالها ونهارها بنصف ساعة  
لكل اقليم يتزايد من أوله في ناحية الجنوب الى آخره في ناحية الشمال موزعة على  
أجزاء البعد \* وأما عرض البلدان في هذه الاقاليم فهو عبارة عن بعد ما بين سمت  
رأس البلد ودائرة معدل النهار الذي هو سمت رأس خط الاستواء ويمثل مواضع انخفاض  
القطب الجنوبي عن افق ذلك البلد ويرتفع القطب الشمالي عنه وهو ثلاثة أبعاد  
متساوية تسمى عرض البلد كما مر ذلك قبل \* والمتكلمون على هذه الجغرافيا  
قسموا كل واحد من هذه الاقاليم السبعة في طولهم من المغرب الى المشرق بعشرة  
أجزاء متساوية ويذكرون ما اشتمل عليه كل جزء منها من البلدان والامصار والجبال  
والانهار والمسافات بين ما في المسالك ونحن الآن نوجز القول في ذلك ونذكر مشاهير  
البلدان والانهار والبحار في كل جزء منها ونعاهد بذلك ما وقع في كتاب زهرة المشتاق  
الذي ألفه الطولي الادريسي اليهودي ملك صقلية من الافرنج وهو زباد بن زباد  
عندما كان نازلا عليه بصقلية بعد خروج صقلية من امارت ملقة وكان تأليفه للكتاب  
في منتصف المائة السادسة وجمع له كتابا جديا للمعوي وابن خرداذبة والحولقي  
والقردوي وابن اسحق النخعي وطلحيوس وغيرهم ونبدأ منها بالاقليم الاول الى آخرها  
والله سبحانه وتعالى يعصمنا منه وفضله

\*(الاقليم الاول)\* وفيه من جهة غربه الجزائر الخالدات التي منها بدأ بطليموس

بأخذ أطوال البلاد وليست في بسيط الاقليم وانما هي في البحر المحيط جزر متكترة  
 أكبرها وأشهرها ثلاثة ويقال انها معصورة وقد بطنات سفائن من الأفرنج مرت بها  
 في أواسط هذه المائة وثلاثون فغفوا منهم وسبوا وبايعوا بعض أسرارهم بسواحل  
 المغرب الأقصى وصاروا إلى خدمة السلطان فلما تعلموا اللسان العربي أخبروا عن حال  
 جزائريهم وأنهم يحتفرون الأرض للزراعة بالقرون وأن الحديد مفقود بأرضهم  
 وعيشهم من الشعير وما شئتهم المعز وقتالهم بالحجارة يرمونها إلى خلف وعبادتهم  
 السجود للشمس إذا طلعت ولا يعرفون ديناً ولم تطفهم دعوة ولا يوقف على مكان هذه  
 الجزائر إلا بالعمور لا بالقصد إليها لأن مقر السكن في البحر اغاها بالرياح ومعرفة جهات  
 مهاجها وإلى أين يوصل إذا مرت على الاستقامة من البلاد التي في عمر ذلك المهب وإذا  
 اختلف المهب وعلم حيث يوصل على الاستقامة حوز به القطع محاذة بحمل  
 السفينة بها على قوائم في ذلك محصلة عند النواتية والملاحين الذي هم رؤساء السفن  
 في البحر والبلاد التي في حفا في البحر الرومي وفي عدونه مكتوبة كلها في صحيفة  
 على شكل ما هي عليه في الوجود وفي وضعها في سواحل البحر على ترتيبها ومهاب الرياح  
 وعمراتها على اختلافها مرسوم معها في تلك الصحيفة ويسمونها الكتاب ص وعليها  
 يعقدون في أسفارهم وهذا كالمفقود في البحر المحيط فلذلك لا تخرج فيه السفن  
 لأنها غابت عن مرأى السواحل فقل أن تهدي إلى الرجوع إليها ما يهتدي  
 جو هذا البحر على سطح مائه من الأجرعة المانعة للسفن في مسيرها وهي لبعدها  
 لا تدركها أضواء الشمس المنعكسة من سطح الأرض ففصلها فلذلك عسر الاقتداء  
 إليها وصعب الوقوف على خبرها وأما الجزء الأول من هذا الاقليم ففيه مصب النيل  
 الآتي من مبدئه عند جبل القمر كما ذكرناه ويسمى نيل السودان ويذهب إلى البحر  
 المحيط فصب فيه عند جزيرة أوليك وعلى هذا النيل مدينة سلا وتسمى روغانة  
 وكلها لهذا العهد في ملكة ملك ماني من ام السودان وإلى بلادهم تسائر تجار المغرب  
 الأقصى والمغرب من منامن شمالها بلاد توتنة وما ترطوا في المائتين ومفاوز يجولون  
 فيها وفي جنوبها هذا النيل قوم من السودان يقال لهم ليل وهم كفار ويكنون في  
 وجوههم وأصدانهم وأهل غانة والتكرور يغيرون عليهم ويسبونهم ويسعونهم للتجار  
 فيصلبونهم إلى المغرب وكلهم عاتة رقيةهم وليس وراءهم في الجنوب عمران يعتبر  
 أناسي أقرب إلى الحيوان الجهم من الناطق يسكنون الضباب والكهوف وبأكلون  
 العشب والحبوب غير مهابة ورجاباً كل بعضهم بعضاً وائسوا في عداد البشر وفواكه  
 بلاد السودان كلها من قصور مصر والمغرب مثل نوات وتسمى كدراين ووركلان

• فكان في حاجة فيما يقال ملك ودولة تقوم من الصالحين يعرفون بين صالح وقيل صاحب كتاب زجاراته صالح بن حيد الله بن حسن بن الحسن ولا يعرف صالح هذا في ولد عبد الله بن حسن وقد ذهب هذه الدولة لهذا العهد وصارت عامة لسلطان مالي وفي شرق هذه البلدي في الجزء الثالث من هذا الاقليم بلد كوكو كوكو على نهر شبح من بعض الجبال هناك ويمر مغربا فيغوص في مال الجزء الثاني • وكان ملك كوكو قائما بخسه ثم استولى عليها سلطان مالي وأصبحت في ملكه وغرقت لهذا العهد من أجل قسنة وقعت هناك فذكرها عند ذكر دولة مالي في محلها من تاريخ البربر وفي جنوبي بلد كوكو بلاد كاتم من ام السودان وبعدهم وقفارة على شفة النيل من شماليه وفي شرقى بلاد نفاوة وكاتم بلاد نفاوة وناجرة المتصلة بأرض التوبة في الجزء الرابع من هذا الاقليم وفيه يمر نيل مصر ذاهبا من مبدئه عند خط الاستواء الى البحر الرومي في الشمال • ويخرج هذا النيل من جبل القمر الذي فوق خط الاستواء بست عشرة درجة واختلطوا في ضبط هذه المنطقة فصبها بعضهم بفتح القاف والميم نسبة الى بحر السماء لشدتي بياضه وكثرة ضوئه وفي كتاب المسترقي ياقوت يضم الضافي وسكون الميم نسبة الى قوم من أهل الهند وكذا ضبطه ابن سعيد فيخرج من هذا الجبل عشرة عيون تجتمع كل خمسة منها في بحيرة ويمتد ستة أميال ويخرج من كل واحدة من البحيرات ثلاثة أنهار تجتمع كلها في بضيعة واحدة في أسفلها جبل معترض يشق البحيرة من ناحية الشمال وينقسم ماؤها فجسم من الماء يذهب الى بلاد السودان مغربا حتى يصب في البحر المحيط ويخرج الشرق منه ذاهبا الى الشمال على بلاد الحبشة والتوبة وفيما بينهما وينقسم في أعلى أرض مصر فيصب ثلاثة من جداوله في البحر الرومي عند الاسكندرية ورشيد ودمياط ويصب واحد في بحيرة ملح قبل أن يتصل بالبحر في وسط هذا الاقليم الاول • وعلى هذا النيل بلاد التوبة والحبشة وبعض بلاد الواحات الى أسوان وحاضرة بلاد التوبة مدينة دنقلة وهي في غربى هذا النيل وبعدها علوة وبلق وبعدها جبل الجنادل على ستة مراحل من بلق في الشمال وهو جبل عال من جهة مصر ويختص من جهة التوبة فينبذ فيه النيل ويصب في سهوى بعيد صياهم ولا فلاح • كان أن تسلك المراكب بل يحوّل الوسى من مراكب السودان فيصلى على الظاهر الى بلد أسوان قاعدة الصعيد وكذا وسق مراكب العهد الى فوق الجنادل وبين الجنادل وأسوان اثنتا عشرة مرحلة والواحات في غربها عدوة النيل وهي الآن خراب وبها آثار الصاوة القديمة • وفي وسط هذا الاقليم في الجزء الخامس منه بلاد الحبشة على وادي يأتى من

وراء خط الاستواء ذاهبا الى أرض التوبة فيصب هناك في النيل الهابط الى مصر  
وقد وهم فيه كثير من الناس وزعموا أنه من نيل القمر ويطليوس ذكره في كتاب  
الجغرافيا وذكر أنه ليس من هذا النيل \* والى وسط هذا الاقليم في الجزء الخامس  
ينتهي بحر الهند الذي يدخل من ناحية الصين ويغمر عاتمة هذا الاقليم الى هذا الجزء  
الخامس فلا يبقى فيه عمران الا ما كان في الجزائر التي في داخله وهي ممتدة بقال تنتهي  
الى ألف جزيرة أو قريبا على سواحلها البنوية وهن آخر المعمور في الجنوب أو قريبا على  
سواحلها من جهة الشمال وليس منها في هذا الاقليم الا اول الاماكن من بلاد الصين في  
جهة الشرق وفي بلاد الصين \* وفي الجزء السادس من هذا الاقليم فيما بين البحرين  
الهابطين من هذا البحر الهندي الى جهة الشمال وهما بحيرة قزم وبحيرة فارس وفيما  
بينهما جزيرة العرب ونشقل على بلاد الصين وبلاد الشجر في شرقها على ساحل هذا البحر  
الهندي وعلى بلاد الحجاز اليمامة وما اليها كما ذكره في الاقليم الثاني وما بعده فأما  
الذي على ساحل هذا البحر من غربيه قبل ذلك الع من أطراف بلاد الحبشة وبحالات  
البحيرة في شمال الحبشة ما بين جبل العلاقي في أعلى الصعيد وبين بحر القلزم الهابط  
من البحر الهندي وتحت بلاد الزالع من جهة الشمال في هذا الجزء خليج باب المندب  
يضيق البحر الهابط هناك بزاوية جبل المندب المائل في وسط البحر الهندي تمتد مع  
ساحل اليمن من الجنوب الى الشمال في طول اثني عشر ميلا فيضيق البحر بسبب ذلك  
الى أن يصير في عرض ثلاثة أميال ونحوها ويسمى باب المندب وعليه تمر راكب  
اليمن الى ساحل السويس قريسا من مصر وتحت باب المندب جزيرة سواكن  
وذلك وقبالة من غربيه بحالات البحر من أمم السودان كما ذكرناه ومن شرقيه في  
هذا الجزء تنهاى اليمن ومنها على ساحلها بلد على بن يعقوب وفي جهة الجنوب من بلاد الزالع  
وعلى ساحل هذا البحر من غربيه قري بربر يتلوها بعضا ويهطف مع جنوبه الى  
آخر الجزء السادس ويلها هناك من جهة شرقها بلاد الزنج ثم بلاد سفالة على ساحلها  
الجنوبي في الجزء السابع من هذا الاقليم وفي شرق بلاد سفالة من ساحلها الجنوبي  
بلاد الواق واقمتها الى آخر الجزء العاشر من هذا الاقليم عند مدخل هذا البحر  
من البحر المحمدي \* وأما جزائر هذا البحر فكثيرة من أعظمها جزيرة سرنديب  
مدورة الشكل وبها الجبل المشهور يقال ليس في الارض أعلى منه وهي قبالة سفالة  
\* ثم جزيرة القمر وهي جزيرة مستطلة تبدأ من قبالة أرض سفالة وتذهب الى الشرق  
منعرجة بكثير الى الشمال الى أن تقرب من سواحل أعلى الصين ويحتفي بها في  
هذا البحر من جنوبيها جزائر الواق واقدم من شرقها جزائر السيلان الى جزائر

أخرى في هذا البحر كثيرة العدد وفيها أنواع الطيب والافاويه وفيها يقال معادن الذهب والزمرد وعانة أهلها على دين الجوسية وفيهم ملوك متعددون وهذه الجزائر من أحول العمران بمحائب ذكرها أهل الجغرافيا وعلى الضفة الشمالية من هذا البحر في الجزء السادس من هذا الاقليم بلاد اليمن كلها في جهة بحر القلزم بلديس والمجمع وتهامة اليمن وبعدها بلد معدة مقر الامامة الزيدية وهي بعيدة عن البحر الجنوبي وعن البحر الشرقي وفيما بعد ذلك مدينة عدن وفي شمالها صنعاء وبعدها إلى المشرق أرض الاحناف وظفار وبعدها أرض حضرموت ثم بلاد الشعرباين البحر الجنوبي وبحر فارس \* وهذه القطعة من الجزء السادس هي التي انكشف عنها البحر من اجزاء هذا الاقليم الوسطى ويتكشف بعد ذلك من الجزء التاسع وأكبر منه من العاشر فيه أعلى بلاد الصين ومن مدنه الشهيرة خانبكوقبالتان من جهة الشرق جزائر السيلان وقد تقدم ذكرها وهذا آخر الكلام في الاقليم الأول والله سبحانه وتعالى ولي التوفيق بتمه ونفعه

• (الاقليم الثاني) \* وهو متصل بالأول من جهة الشمال وبقية المغرب منه في البحر المحيط بجزيرتان من الجزائر الخالدات التي مر ذكرها وفي الجزء الأول والثاني منه في الجانب الاعلى منها أرض قنوية وبعدها في جهة الشرق أعلى أرض غانة ثم بحالات نفاوة من السودان وفي الجانب الاسفل منهما صحراء يسير متهله من القرب إلى لشرق ذات صفا وذللك في البحار ما بين بلاد المغرب وبلاد السودان وفيها بحالات الملتجين من منهاجة وهم شعوب كثيرة ما بين كزولة واتونة وسرانة ولطة ووربكة وعلى سمت هذه المسافرة شرقاً أرض فزان ثم بحالات أرككار من قبائل البربر ذاهبة إلى أعلى الجزء الثالث على سمتها في الشرق وبعدها من هذا الجزء بلاد كوار من أم السودان ثم قطعة من أرض الباجوين وفي أسفل هذا الجزء لثالث وهي جهة الشمال منه بقية أرض ودان وعلى سمتها شرقاً أرض سبترية وتسمى الواحات الداخلة وفي الجزء الرابع من أعلاه بقية أرض الباجوين ثم يعترض في وسط هذا الجزء بلاد الصعيد حناني النيل الذاهب من مبدئه في الاقليم الأول إلى مصبه في البحر فيرمي في هذا الجزء بين الجبلين الخارجين وهما جبل الواحات من غربه وجبل المقطم من شرقه وعليه من أعلاه بلاد اسنا وأرمنت ويتصل كذلك حنانيه إلى أسبوط وقوص ثم إلى صول \* ويشرق النيل هناك على شعبين ينضم الايمن منها في هذا الجزء عند اللاهون والاسر عند دلاص وفيما بينهما أعلى ديار مصر وفي الشرق من جبل المقطم صحارى عيسى ذاهبة في الجزء الخامس إلى أن



تنتهي الى بحر السوس وهو بحر القلزم الهابط من البحر الهندى فى الجنوب الى  
جهة الشمال وفى عدونه الشرقية من هذا الجزء أرض الحجاز من جبل يلم الى بلاد  
يثرب وفى وسط الحجاز مكة شرقها الله وفى ما حلقها مدينة جيدة تقابل بلدة عيذاب  
فى الحدود الغربية من هذا البحر وفى الجزء السادس من غريبه بلاد تجدد أعلاها فى  
الجنوب وبالقوة وجرش الى عكاظ من الشمال وتحت تجدد من هذا الجزء بقية أرض  
الحجاز وعلى سمتها فى الشرق بلاد فجران وخيبر وتحت أرض اليمامة وعلى سمت فجران  
فى الشرق أرض سبأ ومأرب ثم أرض النحر وينتهي الى بحر فارس وهو البحر  
الثانى الهابط من البحر الهندى الى الشمال كما سر ويذهب فى هذا الجزء بانحراف  
الى الغرب فى مابين شرقية وجوفية قطعة مثلثة عليها من أعلاه مدينة قلعات وهى  
ساحل النحر ثم تحتها على ساحله بلاد عمان ثم بلاد البحرين وهجر منها فى آخر الجزء  
وفى الجزء السابع فى الأعلى من غريبه قطعة من بحر فارس تتصل بالقطعة الأخرى فى  
السادس ويقع بحر الهند جانبها الأعلى كله وعليه هالك بلاد السند الى بلاد مكران  
ويقابلها بلاد الطويران وهى من السند أيضا فيصل السند كله فى الجانب الغربى  
من هذا الجزء وتحول المفاوز بينه وبين أرض الهند وعرفه نهره إلا فى من ناحية  
بلاد الهند ويصب فى البحر الهندى فى الجنوب وأقل بلاد الهند على ساحل البحر  
الهندى وفى سمتها شرقا بلاد بلخ وتحتها اللتان بلاد الصم المعظم عندهم ثم الى أسفل  
من السند ثم الى أعلى بلاد سجستان وفى الجزء الثامن من غريبه بقية بلاد بلخ وامن  
الهند وعلى سمتها شرقا بلاد القندهار ثم بلاد منبهار وفى الجانب الأعلى على ساحل  
البحر الهندى وتحتها فى الجانب الأسفل أرض كابل وبعد هاشرقا الى البحر المحيط  
بلاد القنوج مابين قشعير الداخله وقشعير الخارجة عند آخر الاقليم وفى الجزء التاسع  
ثم فى الجانب الغربى منه بلاد الهند الأقصى ويشمل فيه الى الجانب الشرقى فيصل  
من أعلاه الى العاشر وتبقى فى أسفل ذلك الجانب قطعة من بلاد الصين فيها مدينة  
شيفون ثم تتصل بلاد الصين فى الجزء العاشر كله الى البحر المحيط ورسوله أعلم وبه  
سبحانه التوفيق وهوولى الفضل والكرم

(الاقليم العاشر) هو متصل بالثانى من جهة الشمال فى الجزء الاول منه وعلى  
نحو الثلث من أعلاه جبل درن معترض فيه من غريبه عند البحر المحيط الى الشرق  
عند آخره ويسكن هذا الجبل من البربر ثم لا يحصيهم الا خالقهم سبحانه باى ذكره  
وفى القطعة التى بين هذا الجبل والاقليم الثانى وعلى البحر المحيط منها رباط ماسية  
ويتصل به شرقا بلاد سوس ونول وعلى سمتها شرقا بلاد درعة ثم بلاد سجلماسة ثم قطعة

من مصر إلى نيسر المقاترة التي ذكرناها في الأقليم الثاني وهذا الجبل مطل على هذه  
البلاد كلها في هذا الجزء وهو قليل التنايا والمسالك في هذه الناحية الغربية إلى  
أن بسامت وادي ملوية فتكثر شايها ومسالكها إلى أن ينتهي وفي هذه الناحية منه أم  
المصامدة ثم هنانة ثم تيتك ثم كدمبوه ثم مشكورة وهم آخر المصامدة فيه ثم قبائل  
صنهاكة وهم صنهاجة وفي آخر هذا الجزء منه بعض قبائل زناتة ويتصل به هناك  
من حوفيه جبل أوراس وهو جبل كامة وبعد ذلك أم أخرى من البرابرة ثم كرهم  
في أماكنهم \* ثم أن جبل درن هذا من جهة غربيه مطل على بلاد المغرب الأقصى  
وهي في جوفيه في الناحية الجنوبية منها بلاد مراکش وغمات وتادلا وعلى  
البحر المحيط منها رباط اسفي ومدينة سلا وفي الجوف عن بلاد مراکش بلاد فاس  
ومكناسة وتازا وقصر كامة وهذه هي التي تسمى المغرب الأقصى في عرف أهلها وعلى  
ساحل البحر المحيط منها بلدان أصيلا والعرايش وفي سمت هذه البلاد شرقا بلاد  
المغرب الأوسط وقاعدتها تلمسان في سواحلها على البحر الرومي بلدتين ووهران  
والجزائر لأن هذا البحر الرومي يخرج من البحر المحيط من خليج طنجة في الناحية  
الغربية من الأقليم الرابع ويذهب من ثمرة فافينته إلى البلاد كما قلنا يخرج من الخليج  
المتضيق غير بعيد انفسح جنوبا وشمالا فدخل في الأقليم الثالث والخامس فلهذا كان  
على ساحله من هذا الأقليم الثالث الكثير من بلاده ثم يتصل ببلاد الجزائر من  
شرقها بلاد بجاية في ساحل البحر ثم قسنطينة في الشرق منها وفي آخر الجزء الأول  
وعلى مرحلة من هذا البحر في جنوب هذه البلاد دمرت بها إلى جنوب المغرب  
الأوسط بلد أشير ثم بلاد المسيلة ثم الزاب وقاعدتها بكرة تحت جبل أوراس المتصل  
بدرن كما مر وذلك عند آخر هذا الجزء من جهة الشرق والجزء الثاني من هذا الأقليم  
على هيئة الجزء الأول ثم جبل درن على نحو الثالث من جنوبه ذهابا فيه من غرب  
إلى شرق فيقسمه بقطعتين يغمر البحر الرومي مسافة من شماله فالتقطعة الجنوبية  
عن جبل درن غربا كلها مفاوز وفي الشرق منها بلد غدامس وفي سمتها شرقا  
أرض وزان التي يقسمها في الأقليم الثاني كما مر والقطعة الجنوبية عن جبل درن ما بينه  
وبين البحر الرومي في الغرب منها جبل أوراس وبسة والأوديس وعلى ساحل البحر  
بلد بونة ثم في سمت هذه البلاد شرقا بلاد إفريقية فعلى ساحل البحر مدينة تونس ثم  
نوسة ثم المهدي وفي جنوب هذه البلاد تحت جبل درن بلاد الجريد توزر وقصة  
ونقراوة وقماينها وبين السواحل مدينة القيروان وجبل وسلات وسيطة وعلى  
سمت هذه البلاد كلها شرقا بلد طرابلس على البحر الرومي وبازائها في الجنوب جبل

دمر وقرية من قبائل هوار متصلة بجبل دون وفي مقابلة غذامس التي مر ذكرها في  
آخر القطعة الجنوبية وآخر هذا الجزء في الشرق سويقة ابن مشكورة على البحر وفي  
جنوبها محاللات العرب في أرض ودان وفي الجزء الثالث من هذا الاقليم عزاضافه  
جبل درن الا انه ينعطف عنه آخره الى الشمال ويذهب على سمته الى ان يدخل في  
البحر الرومي ويسمى هناك طرف أو ثمان والبحر الرومي من شماله غمر طاقه منه الى  
أن يضاق ما بينه وبين جبل دون فالذي وراء الجبل في الجنوب وفي الغرب منه سويقة  
أرض ودان ومجالات العرب فيها ثم زويلة ابن خطاب ثم رمال وقصار الى آخر الجزء  
في الشرق وفيما بين الجبل والبحر في الغرب منه بلد سرت على البحر ثم خلا وقفار يتحول  
فيها العرب ثم احداية ثم برقة عند منعطف الجبل ثم طلسة على البحر هناك ثم في شرق  
المنعطف من الجبل محاللات هيب ورواحه الى آخر الجزء وفي الجزء الرابع من هذا  
الاقليم وفي الاعلى من غريه صحارى برقيق وأسفل منها بلاد ذهب ورواحه ثم يدخل  
البحر الرومي في هذا الجزء فغمر طاقه منه الى الجنوب حتى يراحم طرفه الاعلى ويبقى  
بينه وبين آخر الجزء قفار يتحول فيها العرب وعلى ممتها شرقا بلاد القيوم وهي على مصب  
أحد الشعين من النيل الذي يمر على الالهون من بلاد الصعيد في الجزء الرابع من  
الاقليم الثاني ويصب في بحيرة فيوم وعلى سمته شرقا أرض مصر ومدنها الشهيرة على  
الشعب الثاني الذي يمر بدلاص من بلاد الصعيد عند آخر الجزء الثاني ويقترب  
هذا الشعب اقترافا ثانية من تحت مصر على شعبين آخرين من شطونوف ونفتي  
وينقسم الاثنان منهما من قرط بشعين آخرين ويصب جميعها في البحر الرومي فعلى  
مصب الغربي من هذا الشعب بلاد الاسكندرية وعلى مصب الوسط بلدرشيد وعلى  
مصب الشرق بلدمباط وبين مصر والقاهرة وبين هذه السواحل البحرية أسافل  
الديار المصرية كلها محشوة عمرا ونبها وفي الجزء الخامس من هذا الاقليم بلاد  
الشام وأكثرها على ما أصف وذلك لأن بحر القازم ينهي من الجنوب وفي الغرب منه  
عند السويس لانه في بحر مبدئي من البحر الهندى الى الشمال ينحطف يأخذ الى  
جهة اقرب فتكون قطعة من انعطافه في هذا الجزء مطوية فينتهي في الطرف  
الغربي منه الى السويس وعلى هذه القطعة بعد السويس قاران ثم جبل الطور ثم  
أيلة مدين ثم الحوراء في آخرها ومن هناك ينحطف بساحله الى الجنوب في أرض  
الحجاز كما مر في الاقليم الثاني في الجزء الخامس منه وفي الناحية الشمالية من هذا  
الجزء قطعة من البحر الرومي غمرت كثير من غريه عليها القرم والعريش وقارب  
طرفها بلاد القازم فيضاق ما بينهما من هناك ويبقى شبه الباب مقصيا الى أرض الشام

وفي غرب هذا الباب فخص الله أرض جرءاء لا تنبت كانت مجال لبني اسرائيل بعد  
خروجهم من مصر وقبل دخولهم الى الشام أربعين سنة كما قصه القرآن وفي هذه  
القطعة من البحر الرومي في هذا الجزم طاقت من جزيرة قبرس وبقيتها في الاقليم  
الرابع كما ذكره وعلى ساحل هذه القطعة عند الطرف المتضائق لبحر السويس بلد  
المرسى وهو آخر الديار المصرية وعسرة لان بينهما طرف هذا البحر ثم تعطف هذه  
القطعة في انعطافها من هنالك الى الاقليم الرابع عند طرابلس وغزة وهنالك ينتهي  
البحر الرومي في جهة الشرق وعلى هذه القطعة ~~أ~~ كنز سواحل الشام ففي شرقه  
عسقلان وباتحرف يسير عنها الى الشمال بلديسارية ثم كذلك بلد عكا ثم صور ثم  
صيدا ثم غزة ثم تعطف البحر الى الشمال في الاقليم الرابع ويقابل هذه البلاد  
الساحلية من هذه القطعة في هذا الجزم جبل عظيم يخرج من ساحل ابله من بحر القلزم  
ويذهب في ناحية الشمال متخرفا الى الشرق الى أن يجاوز هذا الجزء ويسمى جبل  
اللكام وكأنه حاجز بين أرض مصر والشام ففي طرفه عند أبله العقبة التي يمر عليها  
الحجاج من مصر الى مكة ثم بعدها في ناحية الشمال مدفن الخليل عليه الصلاة  
والسلام عند جبل السراة متصل من عند جبل اللكام المذكور من شمال العقبة ذاهبا  
على سمت الشرق ثم تعطف قليلا وفي شرقه هنالك بلد الحجر وديار غود وديار دومة  
الجندل وهي أسافل الجباز وفوقها جبل رضوى وحصون خيبر في جهة الجنوب عنها  
وفيما بين جبل السراة وبحر القلزم صحراء تبوك وفي شمال جبل السراة مدينة القدس  
عند جبل اللكام ثم الاردن ثم طبرية وفي شرقها بلاد الغور الى أذرع وفي سمتها شرقا  
دومة الجندل آخر هذا الجزء وهي آخر الجباز \* وعند منعطف جبل اللكام الى  
الشمال من آخر هذا الجزء مدينة دمشق مقابلة صيدا وبيروت من القطعة البحرية  
وجبل اللكام يعترض بينهما وبينها وعلى سمت دمشق في الشرق مدينة بعلبك ثم مدينة  
حاص في الجهة الشمالية آخر الجزء عند منقطع جبل اللكام وفي الشرق عن بعلبك  
ونحصر بلدندمر ومجالات البادية الى آخر الجزء وفي الجزء السادس من أعلاه  
مجالات الاعراب تحت بلاد نجد واليمامة ما بين جبل العرج والسمان الى البحرين  
وهجر على بحر فارس وفي أسافل هذا الجزء تحت المجالات بلاد الحيرة والقادسية  
ومغايض القرآت \* وفيما بعدها شرف مدينة البصرة وفي هذا الجزء ينتهي بحر  
فارس عند عبادان والابل من أسافل الجزء من شماله ويصب فيه عند عبادان نهر  
دجلة بعد أن ينقسم مجداً اول كثيرة وتختلط به جدا ولآخرى من القرآت ثم تجتمع  
كلها عند عبادان وتصب في بحر فارس وهذه القطعة من البحر متسعة في أعلاه

متضابحة في آخره في شرقيه وضيقه عند منتهى مضابحة الحد الشمالي منه وعلى  
عدوتها الغربية منه أسافل البحرين وهجر والاحسا وفي غربها أخطب والعمان  
وبقية أرض البلمة وعلى عدوته الشرقية سواحل فارس من أعلاها وهو من عند  
آخر الجزء من الشرق على طرف قدامته من هذا البحر مشرقا ووراءه الى الجنوب في  
هذا الجزء جبال القفص من كرمان وقعت هرمز على الساحل بلد سراف ونجيرم على  
ساحل هذا البحر \* وفي شرقيه الى آخر الجزء وتحت هرمز بلاد فارس مثل صابور  
وداراجيرد وفسا واصطخر والشاهبان وشيراز وهي قاعدتها كلها وتحت بلاد فارس  
الى الشمال عند طرف البحر بلاد خوزستان ومنها الاهواز وتستر وصدى وصابور  
والسوس ورام هرمز وغيرها وأرجان وهي حتماين فارس وخوزستان وفي شرقي  
بلاد خوزستان جبال الأكرامتلة الى نواحي اصهبان وبها مساكنهم وبجبالهم  
وراءها في أرض فارس وتسمى الرسوم وفي الجزء السابع في الاعلى منه من المغرب  
بقية جبال القفص ويلها من الجنوب والشمال بلاد كerman ومكران ومن مدنها  
الرودان والشيرجان وجيرفت ويزدشير والهرج وتنت أرض كerman الى الشمال  
بقية بلاد فارس الى حدود اصهبان ومدينة اصهبان في طرف هذا الجزء ما بين غربه  
وشماله ثم في المشرق من بلاد كerman وبلاد فارس أرض مجستان وكوهستان في  
الجنوب وأرض كوهستان في الشمال عنها ويتوسط بين كerman وفارس وبين مجستان  
وكوهستان في وسط هذا الجزء المفاوز العظمية القليلة المسالك لصعوبة بها من مدن  
مجستان بست والطاق وأما كوهستان فغوى من بلاد خراسان ومن مشاهير بلادها  
سرخس وقوهستان آخر الجزء \* وفي الجزء الثامن من غربه وجنوبه بجبال  
البلخ من أم التزلتمتلة بأرض مجستان من غربها وأرض صكابل الهند من  
جنوبها وفي الشمال عن هذه الجبال القور وبلادها وقاعدتها غزنة قرنة  
الهند وفي آخر القورن الشمال بلاد مستراذ ثم في الشمال عنها الى آخر الجزء بلاد  
هراة وأوسط خراسان وبها اسفرابن وقاشان وبوشنج ومر والروذ والطالقان والبلخ وزجان  
وتنتهى خراسان هناك الى نهر جيحون \* وعلى هذا النهر من بلاد خراسان من  
غربه مدينة بلخ وفي شرقيه مدينة نقرمذ ومدينة بلخ كانت كبرى مملكة الترتلوه هذا النهر  
نهر جيحون يخرج من بلاد جارجي حدود دبخشان مما يلي الهند ويخرج من  
جنوب هذا الجزء وعند آخره من الشرق فينعطف عن قرب مغربا الى وسط الجزء  
ويسمى هناك نهر ترنا ب ثم ينعطف الى الشمال حتى يمر بخراسان ويذهب على سمت  
الى أن يصب في بحيرة خوارزم في الاقليم الخامس كانه مكرمة عند انعطافه في وسط

الجزء من الجنوب الى الشمال خمسة أشهر عظيمة من بلاد الختل والوخش من شرقه  
وأشهر أخرى من جبال البتم من شرقه أيضا وجوف الجبل حتى تسع ويعظم بها  
لا كفاؤه ومن هذه الأنهار الخمسة المدة له نهر وخشاب يخرج من بلاد التبت وهي  
بين الجنوب والشرق من هذا الجزء فيمر مغربا بانحراف الى الشمال الى أن يخرج الى  
الجزء التاسع فريسان من شمال هذا الجزء يعترضه في طريقه جبل عظيم عزم وسط  
الجنوب في هذا الجزء فيذهب مشرقا بانحراف الى الشمال الى أن يخرج الى الجزء  
التاسع فريسان من شمال هذا الجزء فيجوز بلاد التبت الى القطعة الشرقية الجنوبية من  
هذا الجزء ويحول بين الترتل وبين بلاد الختل وليس فيه الامساك واحد في وسط الشرق  
من هذا الجزء جعل فيه الفضل بن يحيى سد أو بن فيه بابا كسد يا جوج ومأ جوج فاذا  
خرج نهر وخشاب من بلاد التبت وأعرضه هذا الجبل فيمر تحتها في مدى بعيد الى  
أن يمر في بلاد الوخش ويصب في نهر جيحون عند حدود بلخ ثم يهابط الى الترمذ في  
الشمال الى بلاد الجوزجان وفي الشرق عن بلاد القوق وما بينها وبين نهر جيحون بلاد  
الناسان من خراسان وفي العدة الشرقية هناك من النهر بلاد الختل وأكبرها  
جبال وبلاد الوخش ويحدها من جهة الشمال جبال البتم يخرج من طرف  
خراسان غربا في نهر جيحون وتذهب مشرقة الى أن يتصل طرفها بالجبل العظيم الذي  
خلقه بلاد التبت ويمر تحتها نهر وخشاب كما قلناه في متصل به عند باب الفضل بن  
يحيى ويمر نهر جيحون بين هذه الجبال وأشهر أخرى تصب فيه منها نهر بلاد الوخش  
يصب فيه من الشرق تحت الترمذ الى جهة الشمال ونهر بلخ يخرج من جبال البتم  
من مسدنه عند الجوزجان ويصب فيه من غربه وعلى هذا النهر من غربه بلاد آمد  
من خراسان وفي شرقي النهر من هناك أرض الصغد وأسروشة من بلاد الترتل وفي  
شرقها أرض فرغانة أيضا الى آخر الجزء شرقا وكل بلاد الترتل تحوزها جبال البتم  
الى شمالها وفي الجزء التاسع من غربية أرض التبت الى وسط الجزء وفي جنوبها بلاد  
الهند وفي شرقها بلاد الصين الى آخر الجزء وفي أسفل هذا الجزء شمالا عن بلاد التبت  
بلاد الجزء الحية من بلاد الترتل الى آخر الجزء شرقا وشمالا ويتصل بها من غربيها أرض  
فرغانة أيضا الى آخر الجزء شرقا ومن شرقها أرض التترغر من الترتل الى آخر الجزء  
شرقاً وشمالاً • وفي الجزء العاشر في الجنوب متبعا بقية الصين وأسافله وفي  
الشمال بقية بلاد التترغر ثم شرقا عنهم بلاد خرخيز من الترتل أيضا الى آخر الجزء شرقا  
وفي الشمال من أرض خرخيز بلاد كتمان من الترتل وقبالتها في البحر المحيط بجزيرة  
الياقوت في وسط جبل مستدير لا منقذ منه اليها ولا مسلك وانصعد الى أعلاه من

خارجة صعب في الغاية وفي الجزيرة حياة قتالة وحشي من الباقوت كثيرة فيمتال  
أهل تلك الناحية في استخراجه بما يليهم الله إليه وأهل هذه البلاد في هذا الجزر  
التاسع والعاشر فيما وراء خراسان والجبال كلها بحالات التزلزلات لا تمضي وهم  
نلوا عن رحالة أهل ابل وشاء وبقرو خيل للتاج والركوب والاكل وطوائفهم  
كثيرة لا يصحهم الا خالقهم وفيهم مسلمون مما يلي بلاد النهر نهر جيحون وبقرون  
الكفار منهم الدائنين بالجوسية فيبيعون وقيصهم لمن يليهم ويخرجون الى بلاد  
خراسان والهند والعراق

(الاقليم الرابع) يتصل بالثالث من جهة الشمال \* والجزء الاول منه في غربيه  
قطعة من البحر المحيط مستطيلة من آوله جنوبا الى آخره شمالا وعليها في الجنوب  
مدينة طنجة ومن هذه القطعة تحت طنجة من البحر المحيط الى البحر الرومي في خليج  
متضائق بمقدار اثني عشر ميلا بين طرف والجزيرة الخضراء شمالا وقصر الجبل  
وسببة جنوبا ويذهب مشرقا الى أن ينتهي الى وسط الجزر الخامس من هذا الاقليم  
وينقسم في ذهابه بتدرج الى أن يغمر الاربعة أجزاء وأكثر الخامس ويغمر عن  
جانبه طرفا من الاقليم الثالث والخامس كما سنذكره يسمى هذا البحر البحر الشامي  
أيضا وفيه جزائر كثيرة أعظمها في جهة الغرب يابسة ثم مازقة ثم منقزة ثم سردانية ثم  
صقلية وهي أعظمها ثم بلونس ثم اقريطس ثم قبرص كما ذكرها كلها في أجزاءها  
التي بقيت فيها ويخرج من هذا البحر الرومي عند آخر الجزر الثالث منه وفي الجزر  
الثالث من الاقليم الخامس خليج البنادقة يذهب الى ناحية الشمال ثم تعطف عند  
وسط الجزر من جوفيه ويمر مغربا الى أن ينتهي في الجزر الثاني من الخامس ويخرج  
منه أيضا في آخر الجزر الرابع شرقا من الاقليم الخامس خليج القسطنطينية يمر في  
الشمال متضائقا في عرض رمية السهم الى آخر الاقليم ثم يفضي الى الجزر الرابع  
من الاقليم السادس ويتعطف الى بحر نطس ذهابا الى الشرق في الجزر الخامس  
كله ونصف السادس من الاقليم السادس كما ذكر ذلك في أماكنه وعند ما يخرج هذا  
البحر الرومي من البحر المحيط في خليج طنجة وينقسم الى الاقليم الثالث يلي في الجنوب  
عن الخليج قطعة صغيرة من هذا الجزر فيها مدينة طنجة على مجمع البحرين وبعدها  
مدينة سببة على البحر الرومي ثم قطاون ثم باديس ثم يغمر هذا البحر بقية هذا الجزر  
شرقا ويخرج الى الثالث وأكثر العمارة في هذا الجزر في شماله وشمالي الخليج منه وهي  
كلها بلاد الادلان الغربية منها ما بين البحر المحيط والبحر الرومي أولها طرف عند مجمع  
البحرين وفي الشرق منها على ساحل البحر الرومي الجزيرة الخضراء ثم مالتة ثم المنكب

ثم المرية وتحت هذ من لدن البحر المحيط غربا وعلى مغربه منه شريس ثم بلبله وقبالها  
فيه جزيرة قادس وفي الشرق عن شريس وبلبله اشيلدية ثم اسخنة وقرطبة ومدينة  
ثم غرناطة وجيان وأبدية ثم وادياش وبسطة وتحت هذه شتمرية وشلب على البحر  
المحيط غربا وفي الشرق غنهما بظليوس وماردة وبارية ثم غافق وبزجالة ثم قلعة  
رياح وتحت هذه أشبونة على البحر المحيط غربا وعلى نهر باجة وفي الشرق عنها  
شتمرين وموزية على النهر المذكور ثم قنطرة السيف ويسامت اشبونة من جهة  
الشرق جبل الشارات يبدأ من المغرب هناك ويذهب مشرقا مع آخر الجزء من  
شماله فينتهي الى مدينة سالم فيما بعد النصف منه وتحت هذا الجبل طليبة في الشرق  
من قورنة ثم طليطة ثم وادي الحجارة ثم مدينة سالم وعند أول هذا الجبل فيما  
بينه وبين اشبونة بلد قلريه هذه غربا الاندلس \* وأما شرق الاندلس فعلى ساحل  
البحر الرومي منها بعد المرية قرطاجنة ثم لقنة ثم دانية ثم بلنسية الى طرطوشة آخر الجزء  
في الشرق وتحتها شمالا ليورقة وشقورة وتاخمان بسطة وقلعة رياح من غرب  
الاندلس ثم مرسية شرقا ثم شاطبة تحت بالنسية شمالا ثم شقر ثم طرطوشة ثم طركونة  
آخر الجزء ثم تحت هذه شمالا أرض منبالة وريدة متاخمان لشقورة وطلليطة من  
المغرب ثم افراغة شرقا تحت طرطوشة وشمالا عنها ثم في الشرق عن مدينة سالم  
قلعة أيوب ثم سرقسطة ثم لاردة آخر الجزء شرقا وشمالا \* والجزء الثاني من  
هذا الاقليم غراما جميعه الاقطعة من غريبه في الشمال فيها بقية جبل البركات  
ومعناه جبل التنايا والسالك يخرج اليه من آخر الجزء الاول من الاقليم الخيامس يبدأ  
من الطرف المتسهي من البحر المحيط عند آخر ذلك الجزء جنوبا وشرقا ويترقى الجنوب  
بالبحر الى الشرق فيخرج في هذا الاقليم الرابع منصرفا عن الجزء الاول منه الى هذا  
الجزء الثاني فيقع فيه قطعة منه تنضى ثناياها الى البر المتصل وتسمى أرض  
عشكونية وفيه مدينة خريدة وقرطشونة وعلى ساحل البحر الرومي من هذه القطعة  
مدينة ترساونة ثم أرونة وفي هذا البحر الذي غمر الجزء جزائر كثيرة والكثيرة منها غير  
مذكورة لصغر هافق غريبه جزيرة سردانية وفي شرقه جزيرة صقلية متسعة الاقطار  
يقال ان دورها سبع مائة ميل وبها مدن كثيرة من مشاهيرها مرقوسة وبارم  
وطرابغة وماروزوميني وهذه الجزر تقابل أرض افريقية وفيما بينهما جزيرة  
أعدوش ومالطة \* والجزء الثالث من هذا الاقليم مغربا أيضا بالبحر الاثلاث  
قطع من ناحية الشمال الغربية منها أرض فلوزيه والوسطى من أرض بصرى  
والشرقية من بلاد البنادقة \* والجزء الرابع من هذا الاقليم مغربا أيضا بالبحر كما مر



وجرائره كثيرة وأكثرها غومسكون كما في الثالث والمعمر ومنها جزيرة بلونس في  
 الناحية الغربية الشمالية وجزيرة أقرطيش مستطيلة من وسط الجزر إلى ما بين  
 الجنوب والشرق منه \* والجزر الخامس من هذا الاقليم غرب البحر منه مثلثة كبيرة  
 بين الجنوب والغرب ينتهي الضلع الغربي منها إلى آخر الجزر في الشمال وفيه الضلع  
 الجنوبي منها إلى نحو الثلث من الجزر ويبقى في الجانب الشرق من الجزر قطعة نحو  
 الثلث يمر الشمال منها إلى الغرب منقطعاً مع البحر كما قلناه وفي النصف الجنوبي منها  
 أسفل الشام ويرقى وسطها جبل اللكام إلى أن ينتهي إلى آخر الشام في الشمال  
 فينقطع من هنالك ذاهباً إلى القطر الشرق الشمال ويسمى بعد انقطاعه جبل  
 السلسلة ومن هنالك يخرج إلى الاقليم الخامس ويحوي من غنم منقطعة قطعة من  
 بلاد الجزيرة إلى جهة الشرق ويقوم من عنده منقطعة من جهة المغرب جبال متصلة  
 بعضها بعض إلى أن ينتهي إلى طرف خارج من البحر الرومي متأخر إلى آخر الجزر من  
 الشمال وبين هذه الجبال تسامى الدروب وهي التي تنفض إلى بلاد لامين وفي هذا  
 الجزر قطعة منها بين هذه الجبال وبين جبل السلسلة فأما الجهة الجنوبية التي تقع ثمانية  
 فيها أسفل الشام وأن جبل اللكام معترض فيها بين البحر الرومي وآخر الجزر من الجنوب  
 إلى الشمال فعلي ساحل البحر منه بلد أنطوطوس في أول الجزر من الجنوب متاخمة لغزة  
 وطرابلس على ساحله من الاقليم الثالث وفي شمال أنطوطوس جبل ثم اللاذقية ثم  
 اسكندرونة ثم ساوقية وبعدها شمالاً بلاد الروم وأما جبل اللكام المعترض بين  
 البحر وآخر الجزر بخلافه فيصاقيه من بلاد الشام من أعلى الجزر جنوباً من غريبه  
 حصن الحوائى وهو العنينة الاسماعيلية ويعرفون لهذا العهد بالصدابية ويسمى  
 الحصن مصبات وهو قبالة أنطوطوس وقبالة هذا الحصن في شرق الجبل بلد سلمية في  
 الشمال عن حصن وفي الشمال عن مصبات بين الجبل والبحر بلد انطاكية ويقابلها  
 في شرق الجبل المعرة وفي شرقها المراغة وفي شمال انطاكية المصيصة ثم أذنة ثم  
 طرسوس آخر الشام ويحاذيها من غرب الجبل قسرين ثم عين زربة وقبالة قسرين في  
 شرق الجبل حلب ويقابل عين زربة منبج آخر الشام \* وأما الدروب فعن عينها ما بينها  
 وبين البحر الرومي بلاد الروم التي هي لهذا العهد للتركان وسلطانها ابن عثمان وفي ساحل  
 البحر منها بلد انطاكية والعلايا \* وأما بلاد الارمن التي بين جبل الدروب  
 وجبل السلسلة ففيها بالدمر عرش وملطية والمعرة إلى آخر الجزر الشمالي ويخرج من  
 الجزر الخامس في بلاد الارمن نهر جيجان ونهر سيمجان في شرقه فيمر بها جيجان جنوباً  
 حتى يجاوز الدروب ثم يمر بطرسوس ثم بالمصيصة ثم ينقطع هابطاً إلى الشمال وغرباً

حق يصب في البحر الرومي جنوب سلوقية ويمر نهر سيجان. وازيالنهر جيمان فيما زى  
المعرة ومرعش ونجبا و زجبال الدروب الى أرض الشام ثم يمر بعين زوبة ويجوز عن  
نهر جيمان ثم ينطف الى الشمال مغربا فيختلط بنهر جيمان عند المصيبة ومن غربها  
\* وأما بلاد الجزيرة التي يحيط بها. ينطف جبل اللكام الى جبل السلسلة في جنوبها  
بلد الرافضة والرفة ثم حران ثم سروج والرها ثم نصيبين ثم سباط وآمد تحت جبل  
السلسلة وآخر الجزء من شماله وهو أيضا آخر الجزء من شرقه ويمر في وسط هذه  
القطاعة نهر الفرات ونهر دجلة يخرجان من الاقليم الخامس ويمران في بلاد الارمن  
جنوبا الى أن يجاوزا جبل السلسلة فيمر نهر افرات من غربى سباط وسروج  
وينصرف الى الشرق فيمر يقرب الرافضة والرفة ويخرج الى الجزء السادس وتمر دجلة  
في شرق آمد وتنطف قريبا الى الشرق فيخرج قريبا الى الجزء السادس \* وفي  
الجزء السادس من هذا الاقليم من غربيه بلاد الجزيرة وفي الشرق منها بلاد العراق  
متصلة بها تنتهي في الشرق الى قرب آخر الجزء وترض من آخر العراق هنالك جبل  
اصبهان هابطا من جنوب الجزء منحرفا الى الغرب فاذا انتهى الى وسط الجزء من آخره  
في الشمال يذهب مغربا الى أن يخرج من الجزء السادس ويصل على سمنه بجبل  
السلسلة في الجزء الخامس فينقطع هذا الجزء السادس بقطعتين غربية وشرقية في  
الغربية من جنوبها يخرج الفرات من الخامس وفي ش. لها يخرج دجلة منه أما  
الفرات فأول ما يخرج الى السادس يمر بقرب سيات ويخرج من هنالك جدول الى  
الشمال ينساب في أرض الجزيرة ويفوص في نواحيها ويمر من قريبا غير بعيد ثم  
ينطف الى الجنوب فيمر يقرب الخابور الى غرب الرجة ويخرج منه جدول من هنالك  
يمر جنوبا ويبقى صفيين في غربيه ثم ينطف شرقا وينقسم بشعوب فيمر بعضها بالكوفة  
وبعضها بقصر ابن هبيرة وبالجامعين وتخرج جميعا في جنوب الجزء الى الاقليم الثالث  
فيغوص هنالك في شرق الحيرة والقادسية ويخرج الفرات من الرجة مشرقا على  
سمنه الى هيت من شمالها يمر الى الزاب والابار من جنوبها ثم يسب في دجلة عند  
بغداد \* وأما نهر دجلة فاذا دخل من الجزء الخامس الى هذا الجزء يمر مشرقا على  
سمنه ومحاذيا لجبل السلسلة المتصل بجبل العراق على سمنه فيمر بجزيرة ابن عمر على شمالها  
ثم بالموصل كذلك وتكرر وتنتهي الى الحديثة فينطف جنوبا وتبقى الحديثة في  
شرقه والزاب الكبير والصغير كذلك ويمر على سمنه جنوبا وفي غرب القادسية الى أن  
ينتهي الى بغداد ويختلط بالفرات ثم يمر جنوبا على غرب جرجرايا الى أن يخرج من الجزء  
الى الاقليم الثالث تستمر هنالك شعوبه وجدوله ثم يجمع ويصب هنالك في بحر فارس

عند عباده ان وفيما بين نهر المدجلة والفرات قبل مجعها ببغداد هي بلاد الجزيرة  
ويحتلط بنهر دجلة بعنبر ما رته ببغداد نهر آخر يأتي من الجهة الشرقية الشمالية منه  
ويغشى الى بلاد النهر وان قبالة بغداد شرقيها ثم ينطف جنوبا ويحتلط بدجلة قبل خروجه  
الى الاقليم الثالث ويقي ما بين هذا النهر وبين جبل العراق والا عجم بلاد جلولا هو في  
شرقها عند الجبل بلاد حلوان وصيرة . وأما القطعة الغربية من الجزيرة فبعضها جبل  
يبدأ من جبل الاعاجم مشرقا الى آخر الجزء ويسمى جبل شهرزور وشبهها بقطعتين  
وفي الجنوب من هذه القطعة الصغرى بلاد خوجان في الغرب والشمال عن اصهبان  
وتسمى هذه القطعة بلاد الهلوس وفي وسطها بلد نهاوند وفي شمالها بلد شهرزور وغربا عند  
ملتقى الجبلين والدي نور شرقيها عند آخر الجزء وفي القطعة الصغرى الثانية طرف من بلاد  
ارمنية قاعدتها المراغة والذي يقابلها من جبل العراق يسمى باربا وهو مساكن  
للاكراد والزاب الكبير والصغير الذي على دجلة من يوانه وفي آخر هذه القطعة من  
جهة الشرق بلاد اذربيجان ومنها تبريز واليلقان وفي الزاوية الشرقية الشمالية من  
هذا الجزء قطعة من بحر طش وهو بحر الخزر . وفي الجزء السابع من هذا الاقليم من  
غربه وجنوبه معظم بلاد الهلوس وفيها همدان وقزوين وبقيتها في الاقليم الثالث  
وفيها هنالك اصهبان ويحيط به من الجنوب جبل يخرج من غربها ويمر بالاقليم  
الثالث ثم ينطف من الجزء السادس الى الاقليم الرابع ويتصل بجبل العراق في شرقيه  
الذي مر ذكره هنالك وأنه يحيط ببلاد الهلوس في القطعة الشرقية ويحيط  
هذا الجبل المحيط باصهبان من الاقليم الثالث الى جهة الشمال ويخرج الى هذا الجزء  
الدائع فيحيط ببلاد الهلوس من شرقها ويحده هنالك فاشان ثم يذهب في قرب  
النصف من طريقه مغربا بعض الشيء ثم يرجع مستديرا فيسند غربا ثم يذهب  
الى الشمال حتى يخرج الى الاقليم الخامس ويشتمل على منطفه واستدادته على بلد  
الري في رقبه ويبدأ من منطفه جبل آخر يمر غربا الى آخر الجزء ومن جنوبه من  
هنالك قزوين ومن جانيه الشمال وجانب جبل الري المتصل معه ذهابا الى الشرق  
والشمال الى وسط الجزء ثم الى الاقليم الخامس بلاد طبرستان فيما بين هذه الجبال  
وبين قطعة من بحر طبرستان ويدخل من الاقليم الخامس في هذا الجزء في نحو الصف  
من غربه الى شرقيه ويعترض عند جبل الري وعند انعطافه الى الغرب جبل متصل  
يمر على حته مشرقا ويمتد الى قليل الى الجنوب حتى يدخل في الجزء الثامن من غربه  
ويبقى بين جبل الري وهذا الجبل من عند مبداها بلاد جرجان فيما بين الجبلين ومنها  
بسطام ووراء هذا الجبل قطعة من هذا الجزء فيها بقية المقارة التي بين فارس وخراسان

وهي في شرق قاشان وفي آخرها عند هذا الجبل بلد استرا باذ وحفا في هذا الجبل من شرقه الى آخر الجزء بلاد نسا بور من خراسان في جنوب الجبل وشرق القنطرة بلد نسا بور ثم مر والشاحبان آخر الجزء وفي شماله وشرق تيرجان بلده مرجان وخازرون وطوس آخر الجزء شرقا وكل هذه تحت الجبل وفي الشمال منها بلاد نسا ويحيط بها عند زاوية الجزأين الشمال والشرق معا ومن معطلة \* وفي الجزء الثامن من هذا الاقليم وفي غربيه نهر جيصون ذاهبا من الجنوب الى الشمال في عدوته القريبة ثم وآمل من بلاد خراسان والقاهرة والجرجانية من بلاد خوارزم ويحيط بالزاوية الغربية الجنوبية منه جبل استرا باذ المعترض في الجزء السابع قبله ويخرج في هذا الجزء من غربيه ويحيط به هذه الزاوية وفيه باقية بلاد هراة وعمر الجبل في الاقليم الثالث بين هراة والجوزجان حتى يصل بجبل البتم كما ذكرناه هناك وفي شرق نهر جيصون من هذا الجزء وفي الجنوب منه بلاد بخاري ثم بلاد الهغدو فاعدها سمرقند ثم بلاد أسروشنه ومنها تجندة آخر الجزء شرقا وفي الشمال عن سمرقند وأسروشنه أرض يلاق ثم في الشمال عن يلاق أرض الشاش الى آخر الجزء شرقا وأخذ قطعة من الجزء التاسع في جنوب تلك القطعة بقية أرض فرغانة ويخرج من تلك القطعة التي في الجزء التاسع نهر الشاش يمر متعرجا في الجزء الثامن الى أن ينصب في نهر جيصون عند مغرجه من هذا الجزء الثامن فيشمله الى الاقليم الخامس ويحتلط معه في أرض يلاق نهر باقي من الجزء التاسع من الاقليم الثامن تقوم بلاد التبت ويحتلط معه قبل مغرجه من الجزء التاسع نهر فرغانة وعلى سمت نهر الشاش جبل جيراغون يسد من الاقليم الخامس وينعطف شرقا ومضرا الى الجنوب حتى يخرج الى الجزء التاسع يحيط بأرض الشاش ثم ينعطف في الجزء التاسع فيصيب بالشاش وفرغانة هنالك الى جنوبه فسدخل في الاقليم الثالث وبين نهر الشاش وطرف هذا الجبل في وسط الجزء بلاد فأراب وينتهي وبين أرض بخاري وخوارزم معا ومن معطلة وفي زاوية هذا الجزء من الشمال والشرق أرض تجندة وفيها بلاد السحاب وطراز وفي الجزء التاسع من هذا الاقليم في غربيه بعد أرض فرغانة والشاش أرض النزل الحية في الجنوب وأرض الغليجية في الشمال وفي شرق الجزء كله أرض الكباصكية وتصل في الجزء العاشر كله الى جبل قوقيا آخر الجزء شرقا وعلى قطعة من البحر المحيط هنالك وهو جبل بأجوج وأجوج وهذه الامم كلها من شعوب الترتل انتهى

\* (الاقليم الخامس) \* الجزء الاول منه أكثر مغمور بالماء الاقليل من جنوبه وشرقه لأن البحر المحيط بهذه الجهة الغربية دخل في الاقليم الخامس والسادس

والابعاع عن الدائرة المحيطة بالاقليم فأما المكتشف من جنوه فمقطعة على شكل مثلث متصلة من هنالك بالاندرس وعليها بقية البحر من جهتين كأنهما ضلعان يحيطان بزاوية المثلث ففهما من بقية غرب الاندرس سعور على البحر عند أول الجزء من الجنوب والغرب وسلكة شرقاقتها وفي جنوها بحيرة وفي الشرق عن سلكة ابلة آخر الجنوب وأرض قتالة شرقاقتها وفيها مدينة شقونية وفي شمالها أرض ليون وبرغشت ثم وراها في الشمال أرض جليقية الى زاوية المقطعة وفيها على البحر المحيط في آخر الضلع الغربي بلد شنتياقو ومعها يعقوب وفيها من شرق بلاد الاندرس مدينة شطلمة عند آخر الجزء في الجنوب وشرقاً عن قتالية وفي شمالها وشرقها وشقة ونبالونه على سمها شرقا وشمالا وفي غرب نبالونه قسالة ثم نازرة فيما بينا وبين برغشت ويعترض وسط هذه المقطعة جبل عظيم محاذ للبحر وللضلع الشمالي الشرقي منه وعلى قريب ويصل به وبطرف البحر عند نبالونه في جهة الشرق الذي ذكرنا من قبل أن يتصل في الجنوب بالبحر الرومي في الاقليم الرابع ويصير مجرا على بلاد الاندرس من جهة الشرق وشباباً أبواب لها تنفض الى بلاد غشكونية من اعم القريش فها من الاقليم الرابع برشولة واربونة على ساحل البحر الرومي وخريدة وقرقشونة وراعهما في الشمال ومنهما من الاقليم الخامس طلوشة شمالاً عن خريدة \* وأما المكتشف في هذا الجزء من جهة الشرق فمقطعة على شكل مثلث مستطيل زاوية الحاذة وراة البركات شرقاً وفيها على البحر المحيط على رأس المقطعة التي يتصل بها جبل البركات بلدنبونية وفي آخر هذه المقطعة في الناحية الشرقية لشمالها من الجزء أرض بنطومن القريش الى آخر الجزء وفي الجزء الثاني في الناحية الغربية منه أرض غشكونية وفي شمالها أرض بنطو وبرغشت وقد ذكرناهما وفي شرق بلاد غشكونية في شمالها مقاطعة أرض من البحر الرومي دخلت في هذا الجزء من القسم مائلة الى الشرق قليلاً وصارت بلاد غشكونية في غمرها داخله في جون من البحر وعلى رأس هذه المقطعة شمالاً بلاد جنوة وعلى سمها في الشمال جبل نيت جون وفي شماله وعلى سمها أرض برغونة وفي الشرق عن طرف جنوة الخارج من البحر الرومي طرف آخر خارج منه يقي بينهما جون داخل من البر في البحر في غمره ييش وفي شرقه مدينة رومة العظمى كرسى ملك الانفرجة ومسكن البابا بتركمهم الاعظم وفيها من المباني النخمة ولها كل المهولة والكثائر العادية ما هو معروف الاخبار ومن عجائبها النهر الجاري في وسطها من المشرق الى المغرب مفروش قاعة يسلط الحاس وفيها كنيسة قنرس وبواس من الحواريين وهما مدفونان بها وفي الشمال عن بلاد رومة بلاد افرصية الى آخر الجزء

وعلى هذا الطرف من البحر الذي في جنوبه رومة بلاد دابل في الجانب الشرقي منه متصلة ببلد قلورية من بلاد القرنج وفي شمالها طرف من خليج البنادقة دخل في هذا الجزء من الجزء الثالث فز باوجه الشمال من هذا الجزء وانتهى الى نحو الثلث منه وعليه س من بلاد البنادقة دخل في هذا الجزء من جنوبه فيما بينه وبين البحر المحيط ومن شماله بلاد انكلانية في الاقليم السادس \* وفي الجزء الثالث من هذا الاقليم في غربيه بلاد قلورية بين خليج البنادقة والبحر الرومي يحيط بهامن شرقيه يوصل من برها في الاقليم الرابع في البحر الرومي في جون بن طرفين خرمان البحر على سمت الشمال الى هذا الجزء وفي شرقي بلاد قلورية بلاد انكبيده في جون بين خليج البنادقة والبحر الرومي ويدخل طرف من هذا الجزء في الجون في الاقليم الرابع وفي البحر الرومي ويحيط به من شرقيه خليج البنادقة من البحر الرومي ذاهبا الى سمت الشمال ثم يعطف الى الغرب محاذيا لآخر الجزء الشمالي ويخرج على سمت من الاقليم الرابع جبل عظيم ووازيه ويذهب منه في الشمال ثم يغرب منه في الاقليم السادس الى أن ينتهي قبالة خليج في شماله في بلاد انكلانية من أم المانيين كما ذكره س وعلى هذا الخليج وينه وبين هذا الجبل ماداما ذاهبين الى الشمال بلاد البنادقة فإذا ذهبا الى المغرب فبينهما بلاد حروايات بلاد المايبير عند طرف الخليج \* وفي الجزء الرابع من هذا الاقليم قطعة من البحر الرومي خرجت اليه من الاقليم الرابع مخرسة كلها بقطع من البحر ويخرج منها الى الشمال وبين س ل مرسين منها طرف من البحر في الجون بينهما وفي آخر الجزء شرقا قطع من البحر ويخرج منها الى الشمال خليج القسطنطينية يخرج من هذا الطرف الجنوبي ويذهب على سمت الشمال الى أن يدخل في الاقليم السادس ويعطف من هنالك عن قرب مشرقا الى بحر طبر في الجزء الخامس وبعض الرابع قبلة والسادس بعده من الاقليم السادس كما ذكره وبلد القسطنطينية في شرقي هذا الخليج عند آخر الجزء من الشمال وهي المدينة العظيمة التي كانت كرسى القباصرة وبها من آثار البناء والنقطة ما كثر عنه الاحاديث والقطعة التي ما بين البحر الرومي وخليج القسطنطينية من هذا الجزء وفيها بلاد مقدونية التي كانت لليونانيين وبنو السلاسلهم وفي شرقي هذا الخليج الى آخر الجزء قطعة من أرض باطوس وأظن هذا العهد مجالات التركان وبها ملك ابن عثمان وقاعدته بهارصة وكانت من قبلهم للروم وعلمهم عليها الامم الى أن صارت للترك كان \* وفي الجزء الخامس من هذا الاقليم من غربيه وجنوبه أرض باطوس وفي الشمال عنها الى آخر الجزء بلاد عوربية وفي شرقي عوربية ثم شرقا قب الذي يمتد القرات بخرج من

جبل هنالك ويذهب في الجنوب حتى يحاط الفرات قبل وصوله من هذا الجزء الى بحره  
 في الاقليم الرابع وهنالك في غربيه آخر الجزء في مبداء نهر سيحان ثم نهر جيهان غربيه  
 الذاهرين على سمتة وقسم ذكرهما وفي شرقه هنالك مبداء نهر الدجلة الذاهب على  
 سمتة وفي موازاته حتى يحاط به عند بغداد وفي الزاوية التي بين الجنوب والشرق من  
 هذا الجزء وراء الجبل الذي يدأ منه نهر دجلة ببلد صافارقين ونهر قباقيب الذي ذكرناه  
 يقسم هذا الجزء بقاعدتين احدهما غربية جنوبية وفيها أرض باطوس كما قلناه  
 وأسافلها الى آخر الجزء شمالا ووراء الجبل الذي يدأ منه نهر قباقيب أرض عوربة  
 كما قلناه والقطعة الثانية شرقية شمالية على الثلث في الجنوب منها مبداء الدجلة  
 والفرات وفي الشمال بلاد البيلقان متصلة بأرض عوربة من وراء جبل قباقيب  
 وهي عريضة وفي آخرها عند مبداء الفرات بالدخنة وفي الزاوية الشرقية الشمالية  
 قطعة من بحر نطس الذي عنده خليج القسطنطينية \* وفي الجزء السادس من هذا  
 الاقليم في جنوبه وغربه بلاد ارمنية متصلة الى أن يجاوز وسط الجزء الى جانب  
 الشرق وفيها بلاد أردن في الجنوب والغرب وفي شمالها نغليس وديبل وفي شرق أردن  
 مدينة خلاط ثم بردعة وفي جنوبها انحراف الى الشرق مدينة ارمنية ومن هنالك  
 يخرج بلاد ارمنية الى الاقليم الرابع وفيها هنالك بلاد المراغة في شرق جبل الاكراد  
 المسماة بارمي وقدم ذكره في الجزء السادس منه وشاخم بلاد ارمنية في هذا  
 الجزء وفي الاقليم الرابع قبل من جهة الشرق فيها بلاد أذربيجان وآخرها في هذا الجزء  
 شرقا بلاد أديبل على قطعة من بحر طبرستان دخلت في الناحية الشرقية من الجزء  
 السابع ويسمى بحر طبرستان وعليه من شماله في هذا الجزء قطعة من بلاد انخرز  
 وهم التركان ويبدأ من عند آخر هذه القطعة البحرية في الشمال جبال يصل بعضها  
 ببعض على سمت الغرب الى الجزء الخامس فقزقيته منعطفة ومحيطه ببلده ماغارة ن  
 ويخرج الى الاقليم الرابع عند آمد ويصل بجبل اناسله في أسافل الشام ومن هنالك  
 يصل بجبل اللكام كما ذكره وبين هذه الجبال الشمالية في هذا الجزء شيا كالابواب  
 تقضي من الجانبين في جنوبها بلاد الابواب متصلة في الشرق الى بحر طبرستان  
 وعليه من هذه البلاد مدينة باب الابواب وتتصل بلاد الابواب في الغرب من ناحية  
 جنوبها ببلاد ارمنية ويتسم في الشرق وبين بلاد أذربيجان الجنوبية بلاد الزاب  
 متصلة الى بحر طبرستان وفي شمال هذه الجبال قطعة من هذا الجزء في غربيها ملكة  
 السمرق في الزاوية الغربية الشمالية منها وفي زاوية الجزء كـ له قطعة أيضا من بحر  
 نطس الذي عنده خليج القسطنطينية وقدم ذكره ويحيط به هذه القطعة من نطس بلاد

السرير وعليها منها بلد أطرارينة وتصل بلاد السريرين جبل الابواب والجهة  
 الشمالية من الجزء الى أب ينحى شرقا الى جبل حاجر ينهاوين أرض الخزر وعند  
 آخرها مدينة صول ووراء هذا الجبل الحاجر قطعة من أرض الخزر تنحى الى الزاوية  
 الشرقية الشمالية من هذا الجزء من بحر طبرستان وآخر الجزء شمالا \* والجزء  
 السابع من هذا الاقليم غربية كله مغمور بحر طبرستان وخرج من جنوبه في الاقليم  
 الرابع القطعة التي ذكرناها هناك أن عليها بلاد طبرستان وجبال الديلم الى قزوين  
 وفي غربي تلك القطعة متصلة بها القطعة التي في الجزء السادس من الاقليم الرابع  
 ويشمل بهما من شمالها القطعة التي في الجزء السادس من شرقه أيضا وينكشف من  
 هذا الجزء قطعة عند زاوية الشمالية الغربية يصب فيها نهر ائيل في هذا البحر ويقي من  
 هذا الجزء في ناحية الشرق قطعة منكشفة من البحر هي بمجالات للغزن أم التل يحيط  
 بها جبل من جهة الجنوب داخل في الجزء الثامن ويذهب في الغرب الى مادون وسطه  
 فينعطف الى الشمال الى أن يلاقى بحر طبرستان فيتحفه ذاهبا معه الى بيشه في  
 الاقليم السادس ثم ينعطف مع طرفه وينأركه ويسمى هنالك جبل سياه ويذهب مغربا  
 الى الجزء السادس من الاقليم السادس ثم يرجع جنوبا الى الجزء السادس من الاقليم  
 الخامس وهذا الطرف منه هو الذي اعترض في هذا الجزء بين أرض السرير وأرض  
 الخزر وانصبت أرض الخزر في الجزء السادس والباقي حنفا في هذا الجبل المسمى جبل  
 سياه كما سيأتي \* والجزء الثامن من هذا الاقليم الخامس كله بمجالات للغزن أم اتوك  
 وفي الجهة الجنوبية الغربية منه بحيرة خوارزم التي يصب فيها نهر جيحون دورها  
 ثلثمائة ميل ويصب فيها أنهار كثيرة من أرض هذه المجالات وفي الجهة الشمالية  
 الشرقية منه بحيرة عرعون دورها أربعة مائة ميل وماؤها حار وفي الناحية الشمالية  
 من هذا الجزء جبل خنغار ومعناه جبل الثلج لانه لا يذوب فيه وهو متصل بآخر الجزء  
 وفي الجنوب عن بحيرة عرعون جبل من الحجر الصلب لا يذوب فيه يسمى عرعون وبه  
 سميت البحيرة ويطلب منه ومن جبل مرغار شمال البحيرة أنها لا تنصعد عنها  
 فتصب فيها من الجاتين \* وفي الجزء التاسع من هذا الاقليم بلاد أركس من أم  
 اتوك في غرب بلاد الغزن وشرق بلاد الكيماكية ويحده من جهة الشرق آخر الجزء  
 جبل قوقيا المحيط بياجوج وماجوج يعترض هنالك من الجنوب الى الشمال حتى  
 ينطفأ أول دخوله من الجزء العاشر وقد كان دخل اليمن آخر الجزء العاشر  
 من الاقليم الرابع قبله احتف هنالك بالبحر المحيط الى آخر الجزء في الشمال ثم انعطفت  
 مغربا في الجزء العاشر من الاقليم الرابع الى مادون نصفه وأحاط من أوله الى هناء بلاد



الكيمياء كيسة ثم خرج الى الجزء العاشر من الاقليم الخامس فذهب فيه مغرباً الى آخره  
وبقيت في جنوبيه من هذا الجزء قطعة مستطيلة الى القرب قبل آخر بلاد الكيمياء  
ثم خرج الى الجزء التاسع في شرقيه وفي الاعلى منه وانعطف قريباً الى الشمال وذهب  
على سبيله الى الجزء التاسع من الاقليم السادس وفيه السد هناك كما ذكره وبقيت  
منه القطعة التي أحاط بها جبل قوقيا عند الزاوية الشرقية الشمالية من هذا الجزء  
مستطيلة الى الجنوب وهي من بلاد أجوج وما أجوج وفي الجزء العاشر من هذا  
الاقليم أرض بأجوج متصلة فيه كله الاقطعة من البحر المحيط غمرت طرفاً في شرقيه  
من جنوبيه الى شماله والاقطعة التي يفصلها الى جهة الجنوب والقرب جبل قوقيا  
حين مرقبه وما سوى ذلك فأرض بأجوج وما أجوج والله سبحانه وتعالى أعلم

• (الاقليم السادس) • فالجزء الاول منه غمر البحر أكثر من نصفه واستدان شرفا مع  
الناحية الشمالية ثم ذهب مع الناحية الشرقية الى الجنوب وانتهى قريباً من  
الناحية الجنوبية فأنكشف قطعتين من هذه الارض في هذا الجزء داخله بين طرفين وفي  
الزاوية الجنوبية الشرقية من البحر المحيط كلجور فيه وينقسم طولاً وعرضاً وهي كلها  
أرض بريطانية وفي باها بين الطرفين وفي الزاوية الجنوبية الشرقية من هذا الجزء بلاد  
صاقيس متصلة ببلاد بطو التي مر ذكرها في الجزء الاول والثاني من الاقليم الخامس

• والجزء الثاني من هذا الاقليم دخل البحر المحيط من غربه وشماله فخر غربه قطعة  
مستطيلة أكبر من نصفه الشمالي من شرق أرض بريطانيا في الجزء الاول واتصلت بها  
القطعة الاخرى في الشمال من غربه الى شرقه وانقسمت في النصف الغربي منه  
بعض الشيء وفيه هنالك قطعة من جزيرة انكا طرة وهي جزيرة عظيمة متسعة مستطيلة  
على مدن وبها ملك ضخم وبقيتها في الاقليم السابع وفي جنوب هذه القطعة وجزر برتها  
في النصف الغربي من هذا الجزء بلاد ارمندية وبلاد افلاش متصلتين بها ثم بلاد  
افرنسية جنوباً وغرباً من هذا الجزء وبلاد برغونية شرقاً عنها وكلها الامم الافرنجية  
وببلاد الالمانيين في النصف الشرقي من الجزء فجنوبه بلاد انكلاية ثم بلاد برغونية شمالاً  
ثم أرض لهو بكة وشطونية وعلى قطعة البحر المحيط في الزاوية الشمالية الشرقية  
أرض افريية وكلها الامم الالمانيين • وفي الجزء الثالث من هذا الاقليم في الناحية  
الغربية بلاد دمراتيه في الجنوب وبلاد شطونية في الشمال وفي الناحية الشرقية بلاد  
انكوية في الجنوب وبلاد ياونية في الشمال يعترض بينهما جبل بلواط داخل من الجزء  
الرابع ويمتد من البحر الى الشمال الى أن يقف في بلاد شطونية آخر النصف الغربي  
• وفي الجزء الرابع في ناحية الجنوب أرض جنوبية وتحتها في الشمال بلاد الروسية

ويفصل بينهما جبل بلواط من أول الجزر مغربا إلى أن يقتضي النصف الشرقي وفي شرق  
 أرض بنو ليبة بلاد برمانية وفي الزاوية الجنوبية الشرقية أرض القسطنطينية  
 وفيها عند آخر الخليج الخارج من البحر الرومي وعند مدقعه في بحر نيطن قيع  
 قطعة من بحر نيطن في أعلى الناحية الشرقية من هذا الجزر ويمتد هذا الخليج  
 وينتهي في الزاوية ببلد مسينا. وفي الجزر الخامس من الأقاليم السادس ثم في الناحية  
 الجنوبية عند بحر نيطن يتصل من الخليج في آخر الجزر الرابع ويخرج على سمته  
 مشرقا في هذا الجزر كله وفي بعض السادس على طول ألف وثلاثمائة ميل من  
 مبدئه في عرض ستا فيل ويبقى وراء هذا البحر في الناحية الجنوبية من هذا الجزر  
 في غربها إلى شرقها برز مستطيل في غربه رقطة على ساحل بحر نيطن متصلة بأرض  
 ليلقان من الأقاليم الخامس وفي شرقه بلاد اللانية وقاعدتها سوتلي على بحر نيطن  
 وفي شمال بحر نيطن في هذا الجزر غربا أرض ترخان وشرقها بلاد الروسية وكلها على  
 ساحل هذا البحر وبلاد الروسية محيطة ببلاد ترخان من شرقها في هذا الجزر من شمالها  
 في الجزر الخامس من الأقاليم السابع ومن غربها في الجزر الرابع من هذا الأقليم \*  
 وفي الجزر السادس في غربيه بقية بحر نيطن ويعرف قلبه إلى الشمال ويبقى  
 بينه هناك وبين آخر الجزر شمالا بلاد دقائية وفي جنوبه ومنهجا إلى الشمال بما  
 انصرف هو كذلك بقية بلاد اللانية التي كانت آخر جنوبه في الجزر الخامس وفي  
 الناحية الشرقية من هذا الجزر متصل أرض الخزر وفي شرقها أرض برطاس وفي  
 الزاوية الشرقية الشمالية أرض بلغار وفي الزاوية الشرقية الجنوبية أرض  
 بلجربوزها هناك قطعة من جبل سياه كوه المنقطع مع بحر الخزر في الجزر السابع  
 بعده ويذهب بعد مفارقه مغربا فيصير في هذه القطعة ويدخل إلى الجزر السادس  
 من الأقاليم الخامس فيتصل هناك بجبل الإواب وعليه من هناك ناحية بلاد الخزر  
 \* وفي الجزر السابع من هذا الأقليم في الناحية الجنوبية ملبانه جبل سياه بعد  
 مفارقه بحر طبرستان وهو قطعة من أرض الخزر إلى آخر الجزر غربا وفي شرقها  
 القطعة من بحر طبرستان التي يحوزها هذا الجبل من شرقها وشمالها ووراء جبل  
 سياه في الناحية الغربية الشمالية أرض برطاس وفي الناحية الشرقية من الجزر  
 أرض صبر بويختل واهم أم الترك \* وفي الجزر الثامن والناحية الجنوبية منه  
 كلها أرض الجرج من الترك في الناحية الشمالية غربا والارض الممتدة وشرق  
 الارض التي يقال إن أجوج وأجوج خرج خروها قبل بناء السد وفي هذه الارض  
 المنتنة مبدأ نهر الأتل من أعظم أنهار العالم ويمر في بلاد الترك ومصب في بحر طبرستان

في الاقليم الخامس في الجزء السابع منه وهو كثير الانعطاف يخرج من جبل في الارض المنتمة من ثلاثة بنايس يجتمع في نهر واحد ويمر على سمت الغرب الى آخر السابع من هذا الاقليم فتنعطف شمالا الى الجزء السابع من الاقليم السابع فيمر في طرفه بين الجنوب والمغرب فيخرج في الجزء السادس من السابع ويذهب مغربا بغير بعيد ثم ينعطف ثانيا الى الجنوب ويرجع الى الجزء السادس من الاقليم السادس ويخرج منه جدول يذهب مغربا ويصب في بحر ينطش في ذلك الجزء ويمر في قطعة بين الشمال والشرق في بلاد بلغار فيخرج في الجزء السابع من الاقليم السادس ثم ينعطف ثالثة الى الجنوب ويتدفق في جبل ساهو ويمر في بلاد الخزر ويخرج الى الاقليم الخامس في الجزء السابع منه فيصب هناك في بحر طبرستان في القطعة التي انكشفت من الجزء عند الزاوية الغربية الجنوبية وفي الجزء التاسع من هذا الاقليم في الجانب الغربي منه بلاد خفشاخ من الترك وهم قبيحاق وبلاد التركس منهم ايضا وفي الشرق منه بلاد باجوج يفصل بينهما جبل قوقيا المحيط وقنمزد كرى يد من البحر المحيط في شرق الاقليم الرابع ويذهب معه الى آخر الاقليم في الشمال ويأرقه مغربا وياقحراف الى الشمال حتى يدخل في الجزء التاسع من الاقليم الخامس فيرجع الى سمت الاول حتى يدخل في هذا الجزء التاسع من الاقليم من جنوبه الى شماله باقحراف الى المغرب وفي وسطه ههنا السد الذي بناه الاسكندر ثم يخرج على سمت الى الاقليم السابع وفي الجزء التاسع منه فيمر فيه الى الجنوب الى أن يلي البحر المحيط في شماله ثم ينعطف معه من هناك غربا الى الاقليم السابع الى الجزء الخامس منه فيتصل هناك بقطعة من البحر المحيط في غربيه وفي وسط هذا الجزء التاسع هو السد الذي بناه الاسكندر كما قلناه والصحيح من خبره في القرآن وقد ذكر عبد الله بن خرداذبه في كتابه في الجغرافيا أن الواثق رأى في نامه كأن السد انفتح فأتته فزعا وبعت سلاما الترجان فوقف عليه وجاء بخبره ووصفه في حكاية طويلة ليست من مقاصد كتابنا \* وفي الجزء العاشر من هذا الاقليم بلاد مأجوج متصلة فيه الى آخره على قطعة من هناك من البحر المحيط أحاطت به من شرقه وشماله مستطيلة في الشمال وعريضة بعض الشيء في الشرق

(الاقليم السابع) والبحر المحيط قد غمر عامته من جهة الشمال الى وسط الجزء الخامس حيث يتصل بجبل قوقيا المحيط بأجوج ومأجوج فالجزء الاول والثاني مغوران بالماء الا ما انكشفت من جزيرة انكلطرا التي معظمها في الثاني وفي الاول منها طرف انعطاف باقحراف الى الشمال وبقية تامة من البحر مستديرة عليه في الجزء الثاني

من الاقليم السادس وهي مذكورة هناك والمجازم منها الى البر في هذه القطعة سعة اثني عشر ميلا ووراء هذه الجزيرة في شمال الجزء الثاني جزيرة وسلانده مستطيلة من الغرب الى الشرق \* والجزء الثالث من هذا الاقليم مغموراً كثره بالبحر الاقطعة مستطيلة في جنوبيه وتوسع في شرقها وفيها هناك متصل أرض فلوينة التي مذكروا في الثالث من الاقليم السادس وأنها في شماله وفي القطعة من البحر التي تفرع هذا الجزء ثم في الجانب الغربي منها مستديرة فسيحة وتصل بالبر من باب في جنوبيها يفضي الى بلاد فلوينة وفي شمالها جزيرة بوقاعة مستطيلة مع الشمال من المغرب الى المشرق \* والجزء الرابع من هذا الاقليم شماله كله مغمور بالبحر المحيط من المغرب الى المشرق وجنوبيه منكشف وفي غربه أرض قيمازل من الترتك وفي شرقها بلاد طست ثم أرض وسلانده الى آخر الجزء شرقا وهي دائرة الثلاث وعمرانها قليل ويتصل ببلاد الروسية في الاقليم السادس وفي الجزء الرابع والخامس منه \* وفي الجزء الخامس من هذا الاقليم في الناحية الغربية منه بلاد الروسية وينتهي في الشمال الى قطعة من البحر المحيط التي يصل بها جبل قوقيا كما ذكرنا من قبل وفي الناحية الشرقية منه متصل أرض القمانيه التي على قطعة بحر ينطش من الجزء السادس من الاقليم السادس وينتهي الى بحيرة طرى من هذا الجزء وهي عذبة تغلب اليها أنهار كثيرة من الجبال عن الجنوب والشمال وفي شمال الناحية الشرقية من هذا الجزء أرض التتارية من الترتكان الى آخره \* وفي الجزء السادس من الناحية الغربية الجنوبية متصل بلاد القمانيه وفي وسط الناحية بحيرة عمود عذبة تغلب اليها الأنهار من الجبال في النواحي الشرقية وهي جامدة دائماً لشدة البرد الا قليلاً في زمن الصيف وفي شرق بلاد القمانيه بلاد الروسية التي كان مبدؤها في الاقليم السادس في الناحية الشرقية الشمالية من الجزء الخامس منه وفي الزاوية الجنوبية الشرقية من هذا الجزء بقية أرض بلغار التي كان مبدؤها في الاقليم السادس وفي الناحية الشرقية الشمالية من الجزء السادس منه وفي وسط هذه القطعة من أرض بلغار ومنعطف سمرائل القطعة الاولى الى الجنوب كما مر في آخر هذا الجزء السادس من شماله جبل قوقيا متصل من غربه الى شرقه \* وفي الجزء السابع من هذا الاقليم في غربه بقية أرض يخنالك من أم الترتك وكان مبدؤها من الناحية الشمالية الشرقية من الجزء السادس قبله وفي الناحية الجنوبية الغربية من هذا الجزء ويخرج الى الاقليم السادس من فوقه وفي الناحية الشرقية بقية أرض مصر ثم بقية الارض المنتنة الى آخر الجزء شرقا وفي آخر الجزء من جهة الشمال جبل قوقيا المحيط متصلاً من غربه الى شرقه \* وفي الجزء

الساكن من هذا الاقليم في الجنوبية الغربية منه متصل الارض المنتنة وفي شرقها الارض المحفورة وهي من الجحائب خرق عظيم في الارض بعيد المهيوم فيج الاقطار تمتنع الوصول الى قعره يستدل على عمقته بالخان في النهار والنيران في الليل تضي وتقتني ويرى روى فيها نهر يشقها من الجنوب الى الشمال وفي الناحية الشرقية من هذه الجزء البلاد الخراب المتاخمة للسهل وفي آخر الشمال منه جبل فوقها متصلا من الشرق الى الغرب \* وفي الجزء التاسع من هذا الاقليم في الجانب الغربي منه بلاد خفساخ وهم قبيح يجوزها جبل قويا حين ينطف من شماله عند البحر المحيط ويذهب في وسطه الى الجنوب بانحراف الى الشرق فيخرج في الجزء التاسع من الاقليم السادس ويمر من صافيه وفي وسطه هنالك ستة يا جوج وما جوج وقد ذكرناه وفي الناحية الشرقية من هذا الجزء ارض يا جوج وراعي جبل قويا على البحر قليلة العرض مستطلة احاطت به من شرقه وشماله \* والجزء العاشر بحر رجب \* هذا آخر الكلام على الجغرافيا واقاليمها السبعة وفي خلق السموات والارض واختلاف الليل والنهار لايات للعالمين

### ( المقدمة الثالثة )

( في القسطنطينية من الاقليم والخرق وتاثيره في اوان البشر والكثير من احوالهم )

( قد بينا ) أن المعمور من هذا المنكشف من الارض انما هو وسطه لا فراط الخرق الجنوب منه والبر في الشمال \* ولما كان الجانبان من الشمال والجنوب متضادين في الخرق والبر وجب أن تتدرج الكيفية من كليهما الى الوسط فيكون معتدلا فالاقليم الرابع اعدل العمران والذي حفافيه من الثالث والخامس أقرب الى الاعتدال والذي يليهما والثاني والسادس بعيدان من الاعتدال والاول والسابع أبعد بكثير فلهذا كانت العلوم والصنائع والمباني والملابس والاقوات والقواكل والحوانات وجميع ما يتكون في هذه الاقاليم الثلاثة المتوسطة مخصوصة بالاعتدال وسكانها من البشر اعدل اجساما ولوانا واخلاقا وادبا واحق النبوآت فاقما توجد في الاكثر قريبا ولم تنفع على خبر بعثة في الاقاليم الجنوبية ولا الشمالية وذلك أن الانبياء والرسل انما يختص بهم كل النوع في خلقهم وأخلاقهم قال تعالى كنتم خيرا مرة أخرجت للناس وذلك لئلا يتقبلوا ما يأتهم به الانبياء من عند الله وأهل هذه الاقاليم كل لوجود الاعتدال لهم فحبهم على غايض الوسط في مساكنهم وملابسهم وأقواتهم وصنائعهم يتخذون البيوت

المنجدة بالحجارة المنقطة بالصناعة وتناغون في استجلدة الآلات والمواعين ويذهبون  
 في ذلك إلى الغاية وقد جعل لهم المعادن الطبيعية من الذهب والفضة والحديد  
 والنحاس والرصاص والقصدير وتصرفون في معاملاتهم بالتقديدين العزيزين  
 ويعبدون عن الانحراف في عامة أحوالهم وهؤلاء أهل المغرب والشام والجزائر  
 واليمن والعراق والهند والسند والصين وكذلك الأندلس ومن قرب منها من القرشجة  
 والحلاقة والروم واليونانيين ومن كان مع هؤلاء أو قرب منهم في هذه  
 الأقاليم المعتدلة ولهذا كان العراق والشام أعدل هذه كلها لأنها وسط من جميع  
 الجهات \* وأما الأقاليم البعيدة من الاعتدال مثل الأول والثاني والسادس  
 والسابع فأهلها أبعد من الاعتدال في جميع أحوالهم فبنائهم بالطين والقصب  
 وأقواتهم من الذرة والعنب وملابسهم من أوراق الشجر يخففونها عليهم أو الجلود  
 وأكثرهم عرايا من اللباس وفواكه بلادهم وأدمها غريسة التكوين مائلة إلى  
 الانحراف ومعاملاتهم بغیر الخبز الشريفي من نحاس أو حديد أو جلود يقتدرونها  
 للمعاملات وأخلاقهم مع ذلك قريية من خلق الحيوانات العجم حتى ينقل عن الكثير  
 من السودان أهل الأقاليم الأولى أنهم يسكنون الكهوف والقبائض ويأكلون  
 العشب وأنهم متوحشون غير مستأنسين يأكل بعضهم بعضا وكذا العقاب  
 والسباع في ذلك أنهم بعدهم عن الاعتدال يقرب عرض أمزجتهم وأخلاقهم من  
 عرض الحيوانات العجم ويعبدون عن الانسانية بمقدار ذلك وكذلك أحوالهم في  
 الديانة أيضا فلا يعرفون نبوة ولا يدنون بشريعة الأمن قرب منهم من جوارب  
 الاعتدال وهو في الأقل النادر مثل الحبشة المجاورين لليمن الدائنين بالنصرانية فيما  
 قبل الإسلام وما بعده لهذا العهد ومثل أهل مالى وكوكو والتكرور والمجاورين  
 لأرض المغرب الدائنين بالإسلام لهذا العهد يقال أنهم دائنوا في المائة السابعة  
 ومثل من دان بالنصرانية من أمم العقاب والأفرنجية والترك من الشمال ومن سوى  
 هؤلاء من أهل تلك الأقاليم المنحرفة جنوبا وشمالا الذين مجهول عندهم والعلم مفقود  
 بينهم وجميع أحوالهم بعيدة من أحوال الإناس قريية من أحوال البهائم ويخلق  
 ما لا تعلمون ولا يعترض على هذا القول بوجود اليمن وحضرموت والاحقاف وبلاد  
 الطراز والسامة وما الإيمان من جزيرة العرب في الأقاليم الأولى والثانية فإن جزيرة العرب  
 كلها أحاطت بها البحار من الجهات الثلاث كما ذكرنا فكان لرطوبتها أثر في رطوبة  
 هوائها فنقص ذلك من البشر والانحراف الذي يقتضيه الحر وصار فيها بعض  
 الاعتدال بسبب رطوبة البحر \* وقد توهم بعض النساين من لاعلم لديه بطبائع

الكلاب أن السودان هم ولد حام بن نوح اختصوا بلون السواد لدعوة كانت عليه من أبيه نهر أثرها في لونه وفيما جعل الله من الرق في عقبه ويثقلون في ذلك حكاية من خرافات القصص ودعا نوح على ابنه حام قد رقع في التوراة وليس فيه ذكر السواد وانما دعا عليه بأن يكون ولده عبيدا لولده أخوته لا غيره وفي القول بنسبة السواد إلى حام غفلة عن طبيعة الحر والبرد وأثرهما في الهواء وفيما يستكون فيه من الحيوانات وذلك أن هذا اللون يمثل أهل الاقليم الأول والثاني من مزاج هو انهم للحرارة المتضاعفة بالجنوب فان الشمس تسامت رؤسهم مرتين في كل سنة قريية احدها من الاخرى فطول المسامة عامة الفصول فيكثر الضوء لاجلها وبلغ المقيظ الشديد عليهم وتسود جلودهم لافراط الحر وتقل هذه في الاقليم عما يقابلها من الشمال الاقليم السابع والسادس مثل سكانهما أيضا البياض من مزاج هو انهم للبرد المفرط بالشمال اذا الشمس لا تزال بأفقهم في دائرة صرعى العين أو ما قرب منها ولا ترتفع إلى المسامة ولا ما قرب منها في نصف الحر فيها ويستند البرد عامة الفصول تنبض ألوان أهلها وتنتهي إلى الزعורה ويتبع ذلك ما يقتضيه مزاج البرد المفرط من زرقة العيون وبرش الجلود وصهوبة الشعور وتوسط بينهما الاقاليم الثلاثة الخامس والرابع والثالث فكان لها في الاعتدال الذي هو من ارجح المتوسط حظ وافر والرابع أبلغها في الاعتدال غاية لنهايته في المتوسط كما اقتضاه فكان لاهله من الاعتدال في خلقهم وخلقهم ما اقتضاه مزاج أهو يتبعه عن جانبه الثالث والخامس وان لم يلفا غاية المتوسط لميل هذا قليلا إلى الجنوب والحر وهذا قليلا إلى الشمال البارد الا أنهم لم ينتهيا إلى الانحراف وكانت الاقاليم الاربعة مخرقة وأهلها كذلك في خلقهم وخلقهم فالاول والثاني للحر والسواد والسابع والسادس للبرد والبياض ويسمى سكان الجنوب بسن الاقليم الاول والثاني باسم الحبشة والزيج والسودان اسماء مترادفة على الامم المتفرقة بالسواد وان كان اسم الحبشة محتصا منهم بين تجاه مكة والعين والزيج بين تجاه بحر الهند وليست هذه الاسماء لهم من أجل اقتباسهم إلى آدمي أسود لاحام ولا غيره وقد نجد من السودان أهل الجنوب من يسكن الرابع المعتدل أو السابع المخرف إلى البياض قتيض ألوان أعقابهم على التدرج مع الايام وبالعكس فيمن يسكن من أهل الشمال أو الرابع بالجنوب تسود ألوان أعقابهم وفي ذلك دليل على أن اللون تابع لمزاج الهواء قال ابن سينا في أرجوته في الطب

بالزنج غير الاجساد \* حتى كسا جلودها سوادا

والعقب اكتسب البياضا \* حتى غدت جلودها بياضا  
وأما أهل الشمال فلم يسموا باعتبار ألوانهم لأن البياض كان لون الأهل تلك اللغة  
الواضحة للجماع فلم يكن فيه غرابة تحمل على اعتباره في التسمية لموافقته واعتياده  
ووجدنا سكانه من الترك والصقالبة والطغرغ والخزرو واللات والكثير من الأفريقية  
ويأجوج ومأجوج أسماء متفرقة وأجبالا متعددة مسمين باسماء متنوعة \* وأما أهل  
الاطاليم الثلاثة المتوسطة أهل الاعتدال في خلقهم وخلقهم وسيرهم وكافة الاحوال  
الطبيعية لا اعتمار لديهم من المعاش والمساكن والصنائع والعلوم والرياسات والملك  
فكانت فيهم النبوات والملك والدول والشرائع والعلوم والبلدان والامصار والمباني  
والقراية والصنائع الفاتحة وسائر الاحوال المعتدلة وأهل هذه الاقاليم التي وقفنا  
على أخبارهم مثل العرب والروم وفارس وبنو اسرائيل واليونان وأهل الهند  
والهند والصين \* ولما رأى التسايون اختلاف هذه الامم بسماتها ومعارها جبرأ  
ذلك لأجل الانساب فجعلوا أهل الجنوب كلهم السودان من وادي حنم وازناوافي  
ألوانهم فتكلموا ونقل تلك الحكاية الواهية وجعلوا أهل الشمال كلهم أوا كثرهم  
من وليايف وأكثرا الامم المعتدلة وأهل الوسط المتحليين للعلوم والصنائع والملل  
والشرائع والسياسة والملك من ولد سام وهذا الزعم وان صادف الحق في انساب  
هؤلاء فليس ذلك بقياس مطرد انما هو اخبار عن الواقع لأن تسمية أهل الجنوب  
بالسودان والخيشان من أجل انسابهم الى حنم الاسود وما آذاهم الى هذا القاطع  
الاعتقاد هم ان التميز بين الامم انما يقع بالانساب فقط وليس كذلك فان التميز للجمال  
والا لامة يكون بالنسب في بعضهم كاللعب وبنو اسرائيل والقرس ويكون بالجهة  
والسمة كالألزيج والخيشة والصقالبة والسودان ويكون بالعوائد والشعار والنسب  
كما للعرب ويكون بغير ذلك من أحوال الامم وخواصهم وسمياتهم فتعميم القول في  
أهل جهة معينة من جنوب أو شمال بأنهم من ولد فلان المعروف لما شملهم من نخلة  
أولون أو سمة وجدت لذلك الابل انما هو من الاغاليل التي أوقع فيها الغفلة عن طبائع  
الاكوان والجهات وأن هذه كلها تبدل في الاعقاب ولا يجب استمرارها سنة الله في  
عماده ولن تجد لسنة الله تبديلا واقفه ووسوله أعلم بغيبه وأحكم وهو المولى المنعم  
الرفوف الرحيم

#### ( المقدمة الرابعة )

( في اثر الهواء في اخلاق البشر )

( قد رأينا ) من خلق السودان على العموم الخفة والطيش وكثرة الطرب فتجدهم



من اهلين بالرخص على كل توقيع موصوفين بالحق في كل قطر والسبب الصحيح في ذلك أنه  
 تنوّرت في موضعه من الحكمة أن طبيعة الفرح والسرور هي انتشار الروح الحيوانية  
 وتضيقه وطبيعة الحزن بالعكس وهو انقباضه وتكثفه وتقرّر أن الحرارة تمثلية  
 للهواء والبارد مخطئة لهذا في كيمته ولهذا يجد المنتهي من الفرح والسرور  
 ما لا يعبر عنه وذلك بما لا يدخل بخار الروح في القلب من الحرارة الغريبة التي تعشها  
 سورة الخمر في الروح من مزاجه فيمتشي الروح وتجي طبيعة الفرح وكذلك نجد  
 المتنعين بالجامات اذا تنفسوا في هوائها واتصلت حرارة الهواء في ارواحهم فتسخت  
 لذلك حدث لهم فرح وربما انبعث الكثير منهم بالغناء الناشئ عن السرور ولما كان  
 السودان ساكنين في الاقليم الحار واستولى الحر على ارض جنتهم وفي اصل تكوّنهم  
 كان في ارواحهم من الحرارة على نسبة ابدانهم وقلبيهم فتكون ارواحهم بالقياس  
 الى ارواح اهل الاقليم الرابع اشد حراً فتكون أكثر شيافاً تكون أسرع فرحاً  
 وسروراً وأكثر انبساطاً وبجى الطقس على اثر هذه وكذلك يلق بهم قليلاً اهل البلاد  
 البصرية لما كان هوائها متضاعف الحرارة بما يعكس عليه من أضواء بسيط البحر  
 وأشعتها كانت حصتهم من نوايع الحرارة في الفرح والخفة موجودة أكثر من بلاد  
 التلول والجبال الباردة وقد يجد بسيرهم من ذلك في اهل البلاد الجزيرية من الاقليم  
 الثالث لسور الحرارة فيها وفي هوائها الانعراقة في الجنوب عن الاياف والتلول  
 واعتبر ذلك أيضاً باهل مصر فانها في مثل عرض البلاد الجزيرية أو قريباً منها كيف  
 غلب الفرح عليهم والخفة والغفلة عن العواقب حتى انهم لا يدخرون أقوات سنتهم ولا  
 شهرهم وبنّما كلهم من أسواقهم ولما كانت فاس من بلاد المغرب بالعكس منها  
 في التوغل في التلول الباردة كيف ترى أهلها مطرقي أطراف الحزن وكيف أفرطوا  
 في تفار العواقب حتى ان الرجل منهم لم يدخر قوت سنتين من حبوب الحنطة ويأكل  
 الاسواق لشراء قوته ليومه مخافة أن يرأسب من مدخره وتبيع ذلك في الاقليم  
 والبلدان بقصد الاخلاق أثر من كيميات الهواء والله الخلاق العليم وقد تعرض  
 المسعودي للصحت عن السبب في خفة السودان وطيشهم وكثرة الطرب فيهم وحاول  
 تقليده فلم يأت بشئ أكثر من أنه نقل عن جالينوس ويعقوب بن اسحق الكندي  
 أن ذلك لضعف أدمغتهم وانشأ عنه من ضعف عقولهم وهذا كلام لا يحصل له ولا  
 برهان فيه والله هدى من يشاء الى صراط مستقيم

### ( المقدمة الخامسة )

في اختلاف احوال العمران في انصب والجموع وما يتنازعون ذلك من الآثار في ابدان البشر واختلافهم

(اعلم) أن هذه الاقاليم المعتدلة ليس كلها يوجد بها الخصب ولا كل سكانها في رغد من العيش بل فيها ما يوجد لاهله خصب العيش من الحبوب والادام والحنطة والقواكه زكاه النبات واعتماد الطينة ووفور العمران وفيها الارض الحرة التي لا تثبت زرعها ولا عشبها بالجملة فسكانها في شتلف من العيش مثل أهل الحجاز وجنوب اليمن ومثل الملثمين من صناجة السالكين بصراء المغرب وأطراف الرمال قباين البربر والسودان فإن هؤلاء يفتقدون الحبوب والادام جملة وانما أغذيتهم وأقواتهم الالبان واللحوم ومثل العرب أيضا الجائلين في القفار فانهم وإن كانوا يأخذون الحبوب والادام من التلول إلا أن ذلك في الاحياء وتحت ربة من حاميتها وعلى الاقلال لقلته وجددهم فلا يتوصلون منه الى سدة الخلقة اودونهم بفضل عن الرغد والخصب وتجددهم يقتصرون في غالب احوالهم على الالبان ولقوتهم من الحنطة أحسن معاض وتجبد مع ذلك هؤلاء الفاقدين للحبوب والادام من أهل القفار أحسن حال في جسدومهم وأخلاقهم من أهل التلول المنغمسين في العيش فألوانهم أصنى وأبدانهم أنقى وأشكالهم أتم وأحسن وأخلاقهم أبعدهم الانحراف وأذهانهم أنقى في المعارف والادراكات هذا أمر تشهد له التجربة في كل جبل منهم فكثير ما بين العرب والبربر ما يوصفناه وبين الملثمين وأهل التلول يعرف ذلك من خبره والسبب في ذلك واقعا علم أن كثرة الاغذية ورطوباتها تولد في الجسم فضلات رديئة ينشأ عنها بعد أخطار غير نسبة وكثرة الاخلاط القاسية العفنة ويتبع ذلك انكساف الالوان وقبح الاشكال من كثرة اللحم كما قلناه وتغطي الرطوبات على الازهار والافكار بما يضعها الى الدماغ من أعجزتها الرديئة فتحيى البلادة والفضلة والانحراف عن الاعتدال بالجملة واعتبر ذلك في حيوان الصفر ومواطن الجذب من الغزال والنعام والمهي والزرافة والحمار الوحشية والبقرة مع أمثالها من حيوان التلول والارياض والمراعي الخصب كيف يتحد بينها ما يبعد في صفاء أديمها وحسن رونقها وأشكالها وتناسب اعضائها وحيث قدم اركانها فالغزال أخو المعز والزرافة أخو البعير والحمار والبقرة أخو الحمار والبقر والبون بينهما ما رأيت وما ذاك الا لاجل أن الخصب في التلول فعل في أبدان هذه من الفضلات الرديئة والاخلط القاسية ما ظهر عليها أثره والجوع لحيوان القفر حسن في خلقها وأشكالها ما شاء واعتبر ذلك في الادميين أيضا فانما تجد أهل الاقاليم المخصبة العيش الكثرة الزرع والضرع والادام والقواكه تنصف أهلها غالباً بالبلادة في أذهانهم وانحسوتهم في أجسامهم وهذا شأن البربر المنغمسين في الادم والحنطة مع المتشقين في عيشهم المقصرين على الشعير والذرة

مثل المصادمة بينهم وأهل غمارة والسوس فبهذه هؤلاء أحسن حالا في عقولهم  
 وجوهمهم وكذا أهل بلاد المغرب على الجبل المنغمسون في الادم والبرمع أهل  
 الاندلس المقنود بأعضهم السمن جيلة وغالب عيشهم الذرة فبذلك لاهل الاندلس من  
 ذككاء العقول وخفة الاجسام وقبول التعليم ما لا يوجد لغربهم وكذا أهل  
 الضواحي من المغرب بالجبل مع أهل الحضرة والامصار فإن أهل الامصار وان كانوا  
 مكثرين مثلهم من الادم ومغصين في العيش إلا أن استعمالهم اياهادد العلاج بالبطيخ  
 والتلطيخ يجعلهم يطعمون معها فيذهب لذلك غلظتها ويرق قوامها وعلامة ما سلكهم لحوم  
 الضأن والنباح ولا يغطون السمن من بين الادم لتفاهته فتقل الرطوبات لذلك في  
 أغذيتهم ويصح ما توتيه الى أجسامهم من الفضلات الرديئة فذلك تجد جسام أهل  
 الامصار أنظف من جسام البادية الخشنة في العيش وكذلك تجد المعوزين  
 بالجويع من أهل البادية لأفضلات في جسامهم غلظة ولا لطيفة \* واعلم أن أثر هذا  
 النصب في البدن وأحواله يظهر حتى في حال الدين والعبادة تجد المتقشين من أهل  
 البادية أو الحاضرة ممن يأخذ نفسه بالجوع والتجافي عن الملاذ أحسن ديناً وأقبالاً  
 على العبادة من أهل الترف والنصب بل تجد أهل الدين قليلين في المدن والامصار لما  
 يعمها من التساوة والغفلة المتصلة بالاكثار من اللذات والادم ولباب البر  
 ويختص وجود العباد والرهاد لذلك بالمتقشين في غذائهم من أهل البوادي وكذلك  
 تجد مال أهل المدينة الواحدة في ذلك مختلفا باختلاف حالها في الترف والنصب  
 وكذلك تجد هؤلاء المخصين في العيش المنغمسين في طبائعه من أهل البادية وأهل  
 الحواضر والامصار اذا نزلت بهم السنون وأخذتهم الجماعات يسرع اليهم الهلاك  
 أكثر من غيرهم مثل برايرة المغرب وأهل مدينة فاس ومصر فبما يغناها مثل  
 العرب أهل القفر والبحراء ولا مثل أهل بلاد الفحل الذين غالب عيشهم التمر ولا مثل  
 أهل افريقية لهذا العهد الذين غالب عيشهم الشعير والزيت وأهل الاندلس الذين  
 غالب عيشهم الذرة والزيت فان هؤلاء وان أخذتهم السنون والجماعات فلا تنال منهم  
 مثلنا من أولئك ولا يكثرون فيهم الهلاك بالجوع بل ولا ينذر والسبب في ذلك والله  
 أعلم أن المنغمسين في النصب المتعوزين للادم والسمن خصوصاً كتكتسب من ذلك  
 أمه أو هم رطوبية فوق رطوبيتها الأصلية المزاجية حتى تجاوز حدتها فاذا خولف بها  
 العادة بقله الاقوات وفقدان الادم واستعمال الخشن غير المألوف من الغذاء أسرع  
 الى المعى اليبس والالتكاش وهو عضو ضعيف في النجاسة فيسرع اليه المرض وبذلك  
 صاحبه دفعة لانه من المقاتل فالهايكون في الجماعات انما يقتلهم الشيع المعناد

السابق لا الجوع الحادث اللاحق \* وأما المتعودون لقلة اللحم والسمن فلا تزال بطوبىهم الأصلية واقفة عند حدتها من غير زيادة وهي قالة لجميع الأغذية الطبيعية فلا يقع في معامهم تبدل الأغذية يس ولا انحراف فيسلون في القلب من الهلاك الذي يعرض لغيرهم بالنحب وكمية اللحم في الماسكل وأصل هذا كله أن تعلم أن الأغذية وائلها أو تركها انما هو بالعادة فمن عود نفسه غذاء ولا ممة تناوله كان لها ألوفها وصار الخروج عنه والتبطل به داء ما لم يخرج عن غرض الغذاء بالجملة كالسحوم واليتوع وما أفرط في الانحراف فأتاما وجد فيه التقنى والملازمة فبسر غذاء ما ألوفها بالعادة فإذا أخذ الإنسان نفسه باستعمال اللبن واللبق عر ضامن الحنطة حتى صار له ديدنا فقد حصل له ذلك غذاء واستغنى به عن الحنطة والحبوب من غير شك وكذلك من عود نفسه الصبر على الجوع والاستغناء عن الطعام كما ينقل عن أهل الرياضات فأتا سمع عنهم في ذلك أخبارا غريبة يكاد يشكرها من لا يعرفها والسبب في ذلك العادة فإن النفس إذا ألقت شيئا صار من جبلتها وطبيعتها أنها كثيرة التلون فإذا حصل لها اعتياد الجوع بالتدريج والرياضة فقد حصل ذلك عادة طبيعية لها وما يتوهمه الأطباء من أن الجوع مهلك تنس على ما يتوهمونه إلا إذا جلت النفس عليه دفعة وقطع عنها الغذاء بالكلية فإنه حينئذ ينحصر المعنى وشاله المرض الذي يخشى معه الهلاك وأما إذا كان ذلك القدر تدريجيا ورياضة باقلال الغذاء شيئا شيئا كما يضعه المتصوفة فهو مجزى عن الهلاك وهذا التدريج ضروري حتى في الرجوع عن هذه الرياضة فإنه إذا رجع به إلى الغذاء الأول دفعة خفيف عليه الهلاك وانما يرجع به كابد في الرياضة بالتدريج واقد شاهدنا من يصبر على الجوع أربعين يوما وصلاوا كثر \* وحضر أشباحنا مجلس السلطان أبي الحسن وقدر رفع اليه امر أنان من أهل الجزيرة انضراء وريدة حبسا أنفسهم ما عن الأكل جملة منذ سنين وشاع أمرهما ووقع اختيارهما فاصبح نائمهما وأصل على ذلك حالهما إلى أن ماتا ووراينا كثيرا من أصحابنا أيضا من يقتصر على حليب البقر المز يلقم نديها في بعض النهار وعند الاطوار ويكون ذلك غذاء واستدام على ذلك خمس عشرة سنة وغيرهم كثيرا لا يستكر ذلك \* واعلم أن الجوع أصح للبدن من اكثنا للأغذية بكل وجه لمن قد ر عليه وعلى الاقلال منها وأن له أثر في الأجسام والعقول في صفاتها وصلاتها كما قلناه واعتبر ذلك بانار الأغذية التي تحصل عنها في الجسوم فقد رأينا المتخذين بطوم الحيوانات الفاخرة العظيمة الجثمان نشأ أجبالهم كذلك وهذا ما شاهد في أهل البادية مع أهل الحاضرة وكذا

المفتقرين بألبان الابل ولحمها أيضاً مع ما يؤثر في أخلاقهم من الصبر والاحتمال  
والقدرة على حمل الانتقال الموجود ذلك للابل وتنشأ معاوهم أيضاً على نسبة أمعاء  
الابل في الصفة والقطر فلا يطرقة الروح ولا الضعف ولا ينالها من مضار الأغذية  
ما ينال غيرهم فيشربون البسوسات لاستطلاق بطونهم غير محجوبة كالحظير قبل  
لحمه والدياس والقريون ولا ينال أمعاءهم منها ضرر وهو لو تناولها أهل الحضر  
الرفيعة أمعاءهم بمائشأت عليه من لطيف الأغذية لكان الهلاك أسرع اليهم من  
طرفة العين لما فيها من السممة ومن تأثير الأغذية في الابدان ما ذكره أهل الصلابة  
وشاهد أهل التجربة أن الصباغ اذا غذيت بالحبوب المطبوخة في بحر الابل واتخذت  
يصهارم خضت عليه جلاء السيلج منها أعظم ما يكون وقديس فنون عن تغذيتها  
وطبخ الحبوب بطرح ذلك البصر مع البيض الحضر فيجاء دجاجها في غاية العظم  
وأشكال ذلك كثير فاذأنا نأخذ من الأغذية في الابدان فلا نشك أن الجوع  
أيضاً آثاراً في الابدان لأن الصديق على نسبة واحدة في التأثير وعنده فـ يكون  
تأثير الجوع في نفاة الابدان من الزيادات الفاسدة والرطوبات المختلطة الخلة بالجسم  
والعقل كما كان الغذاء مؤثراً في وجود ذلك الجسم والله محيط بعلومه

#### ( المقدمة السادسة )

(في أصناف المدركين للغيب من البشر بالفطرة او بالرأية وتقدمة الكلام في  
الوحي والرؤيا)

(اهل) أن الله سبحانه اصطفى من البشر أشخاصاً فقلهم بغطابه وفطرهم على  
معرفة وجههم وسائل بينه وبين عباده يعرفونهم بمصالحهم ويعتصرونهم على  
هدايتهم ويأخذون بحجراتهم عن السار ويدلونهم على طريق النجاة وكان فيما بالقبه  
اليهم من المعارف ويظهرهم على أنفسهم من الخوارق والاعمال الكائنات المغيبة عن  
البشر التي لا يسمي الى معرفتها الا من اقتبسوا طمهم ولا يعلمونها الا بتعليم الله اياهم قال  
صلى الله عليه وسلم لا اوتي الا علم الا ما علمني الله واعلم أن خبرهم في ذلك من خاصيته  
وضروته الصدق لما يتبين للهنديان حقيقة النبوة وعلامة هذا الصنف من البشر  
أن توجد لهم في حال الوحي غيبة عن الحاضرين معهم مع غطابه كأنهم اغشى أو اغما  
في دأى العين وليست منهم ما في شيء وانما هي في الحقيقة استغراق في لقاء الملك  
الروحاني تادار حكمهم المنسلب لهم الخارج عن مدارك البشر بالكلية ثم ينزل الى  
المدارك البشرية اما لجماع ذوي من الكلام فيتمهم أو بتمثل صورة شخص  
بخطابه بما يجابه من عند الله ثم تعجب عنه تلك الحال وقد دعى ما أتى اليه قال صلى الله

عليه وسلم وقد مثل عن الوحي أحياناً بما أتى به مثل صلصلة الجرس وهو أشده على قبيض عني وقد بعث ما قال وأحياناً بما مثل لي الملك رجلاً فيكلمني فأعي ما يقول ويدركه أثناء ذلك من الشدة والقطع ما لا يعبر عنه في الحديث فكان مما يعالج من التزبيل شدة وقالت عائشة كان ينزل عليه الوحي في اليوم الشديد البرد فيفصم عنه وإن جبينه ليقتصدعها وقال تعالى أنا أنزل عليك قولاً ثقيلاً ولاجل هذه الحالة في تنزل الوحي كان المشركون يرمون الأنبياء بالجنون ويقولون له ردى أو تابع من الجن وأنما البس عليهم بما شاهدوه من ظاهر تلك الأحوال ومن يضل الله فله من هاد \* ومن علاماتهم أيضاً أنه يوحد لهم قبل الوحي خالق الخير والركاء ومحاسبة المذمومات والرجس أجمع وهذا هو معنى العصمة وكأنه مغطى على التزبيل عن المذمومات والمنافرة لها وكأنها منافاة لطبيعته وفي الصحيح أنه جل الجارية وهو غلام مع عمه العباس لبناء الكعبة فجعلها في أزاره فأنكشف غطاء مغشا عليه حتى استقر أزاره وودي إلى مجمع ولمة فيها عرس ولعب فأصابه غشى النوم إلى أن طلعت الشمس ولم يحضر شيئاً من شأنهم بل نزهه الله عن ذلك كله حتى أنه يجبلته يتزهد عن الطعومات المستكرهة فقد كان صلى الله عليه وسلم لا يقرب البصل والثوم فقبل له في ذلك فقال إني أباي من لا تتاجون (وانظر) لما أخبر النبي صلى الله عليه وسلم خديجة رضى الله عنها بحال الوحي أول ما جاءه وأرادت اختياره فقالت اجعلني بينك وبينك فلا أفعل ذلك ذهب عنه فقالت أنه ملك وليس بشيطان ومعناه أنه لا يقرب النساء وكذلك سألته عن أحب الثياب إليه أن يأتبه فيها فقال البياض والخضرة فقالت أنه الملك يعنى أن البياض والخضرة من ألوان الخير والملائكة والسواد من ألوان الشر والنسباطين وأمثال ذلك \* ومن علاماتهم أيضاً دعاؤهم إلى الدين والعبادة من الصلاة والصدقة والعفاف وقد استدلت خديجة على صدقه صلى الله عليه وسلم بذلك وكذلك أبو بكر ولم يحتاج في أمره إلى دليل خارج عن حاله وخلقته وفي الصحيح أن هرقل حين جاءه كتاب النبي صلى الله عليه وسلم يدعو إلى الإسلام أحضر من وجد يملئهم من قريش وفيهم أبو سفيان ليسألهم عن حاله فكان فيما سأل أن قال يا مكرم فقال أبو سفيان بالصلاة والزكاة والصلوة والعفاف إلى آخر ما سأل فأجابته فقال إن يكن ما تقول خفافهوني وسملك ما تحب فدمي هاتين والعفاف الذي أشار إليه هرقل هو العصمة فانظر كيف أخضع من العصمة والدعاء إلى الدين والعبادة دليل على صحة نبوته ولم يحتاج إلى مجزة فدل على أن ذلك من علامات النبوة (ومن علاماتهم) أيضاً أن يكونوا ذوي حسب في قومهم وفي الصحيح ما بعث الله نبياً إلا في منعة من قومه وفي رواية أخرى

في ثروته من قومه استدركه الحاكم على العصيين وفي مسابقة هرقل لآني سفيان كما هو في  
 الصحيح قال كيف هو فيكم فقال أبوسفيان هو فينا ذو حسب فقال هرقل والزلزلت  
 في أحساب قومها ومعناه أن تكون له عصبة وشوكة تمنعه عن أذى الكفار حتى  
 يبلغ رسالة وبه ويتم مرادهم من الكمال بدنه وملكه (ومن علاماتهم) أيضا وقوع  
 الخوارق لهم شاهد بتصدقهم وهي أفعال يعجز البشر عن مثلها فسميت بذلك المعجزة  
 وليست من جنس مقدور العباد وإنما تقع في غير محل قدوتهم وللناس في كسبية  
 وقوعها ودلائلها على تصديق الأنبياء خلاف ما تكلمون بناء على القول بالتأخر  
 المختار فالتون بأنها واقعة بقدره الله لا بفعل النبي وإن كانت أفعال العباد عند المعجزة  
 صادرة عنهم إلا أن المعجزة لا تكون من جنس أفعالهم وليس للنبي فيها عند سائر  
 المتكلمين إلا التصدي بما أذن الله وهو أن يستدل بها النبي صلى الله عليه وسلم قبل  
 وقوعها على صدقه في دعواه فإذا وقعت تنزل منزلة القول الصريح من الله بأنه  
 صادق وتكون دلائلها حينئذ على الصدق قطعية فالمعجزة الدالة بجميع الخوارق  
 والتصدي ولذلك كان التصدي برأيتها (وعبارة المتكلمين) صفة نفسها وهو واحد لانه  
 معنى الذات عندهم والتصدي هو الفارق بينهما وبين الكرامة والبرهان إذا حاجة فيهما  
 إلى التصديق فلا وجود للتصدي إلا أن وجد اتفاقا وان وقع التصدي في الكرامة عند  
 من يعجزها وكانت لها دلالة فأنما هي على الولاية وهي غير التوبة ومن هذا منع الاستاذ  
 أبو إسحق وغيره وقوع الخوارق كرامة فرار من الالتباس بالتوبة عند التصدي  
 بالولاية وقد أرى نال المغفرة بينهما وأنه يصدي بغير ما يصدي به النبي فلا يلبس على أن  
 أنقل عن الاستاذ في ذلك ليس صريحا ويحتاج على انكار أن تقع خوارق الأنبياء  
 لهم بناء على اختصاص كل من الفريقين بخوارقه • وأما المعجزة فالمانع من وقوع  
 الكرامة عندهم أن الخوارق ليست من أفعال العباد وأفعالهم معتادة فلا فرق  
 وأما وقوعها على يد الكذاب فليس هو محال أما عند الأشعرية فلا تنصفه نفس  
 المعجزة التصديق والهداية فتوقعه بخلاف ذلك أنقلب الدليل شبهة والهداية ضلالة  
 والتصديق كذا واسمات الحقائق وانقلب صفات النفس وما يلزم من فرض وقوعه  
 المحال لا يكون ممكنا وأما عند المعتزلة فلا وقوع الدليل شبهة والهداية ضلالة قبيح  
 فلا يقع من الله • وأما الحكماء فالخوارق عندهم من فعل النبي ولو كان في غير محل  
 القدرة بناء على منزههم في الإيجاب الذاتي ووقوع الحوادث بعضها عن بعض  
 متوقف على الأسباب والشروط المجددة مستندة أخيرا إلى الواجب الفاعل بالذات  
 لا بالاختيار وأن النفس النبوية عندهم لها خواص ذاتية منها صدور هذه الخوارق

بقدره وطاعة العناصر له في التكوين والتي عندهم مجبول على التصرف في  
الأكوان مهما توجه إليها واستجمع لها ما جعل الله من ذلك والخارق عندهم يتبع  
لشيء كان التصدي أول يمكن وهو شاهد صدق من حيث دلالة على تصرف النبي  
في الأكوان الذي هو من خواص النفس النبوية لآياته يتنزل منزلة القول الصريح  
بالتصديق فلذلك لا تكون دلالتها عندهم قطعية كما هي عند المتكلمين ولا يكون  
التصديق جزءاً من المعجزة ولم يصبح خارقاً لها عن السحر والكرامة وخارقاً عندهم عن  
السحر أن النبي مجبول على أفعال الخير مصر وفعن أفعال الشر فلا يلم الشر  
بفوارقه والساحر على الضد فأضاهى كلها شر وفي مقاصد الشر وفارقه عن الكرامة  
أن خوارق النبي مخصوصة كالصعود إلى السماء والتفوق في الأجسام الكثيفة  
واحياء الموت وتكليم الملائكة والطيران في الهواء وخوارق الولي دون ذلك ككثير  
القليل والحديث عن بعض المستقبل وأما ما هو قاصر عن تصرف الأنبياء وبأق  
النبي بجميع خوارقه ولا يقدر هو على مثل خوارق الأنبياء وقد قرر ذلك المتسوقة  
فما كتب في طريقهم ولقنوه عن خبرهم وإذا قرر ذلك فاعلم أن أعظم المعجزات  
وأشرفها وأخصها دلالة القرآن الكريم المنزل على نبينا محمد صلى الله عليه وسلم فإن  
الخوارق في الغالب تقع مغايرة للوحي الذي يتلقاه النبي وبأق بالمعجزة شاهدة  
بصدقه والقرآن هو بنفسه الوحي المتدنى وهو الخارق المعجز فشاهده في حينه  
ولا يفترق إلى دليل مغايرة كسائر المعجزات مع الوحي فهو أوضع دلالة لاتحاد الدليل  
والمدلول فيه وهذا معنى قوله صلى الله عليه وسلم ما من نبي من الأنبياء إلا وفيه من  
الآيات ما من له آمن عليه البشر وإنما كان الذي أوتيته وحياً أوحى إلى قأنا  
أرجو أن أكون أكثرهم تابعاً يوم القيامة يشير إلى أن المعجزة متى كانت بهذه المثابة  
في الوضوح وقوة الدلالة وهو كونها نفس الوحي كان الصدق لها أكثر لوضوحها فكثر  
المصدق المؤمن وهو التابع والامة

ولنذكر الآن تفسير حقيقة النبوة على ما شرحه كثير من المحققين ثم نذكر حقيقة

الكهانة ثم الروا ثم شأن العرافين وغير ذلك من مدارك القسب فنقول

• (اعلم) • أرشدنا الله وإياك أنا شاهد هذا العالم بما فيه من الخلوقات كلها على  
هيئة من الترتيب والاحكام وربط الاسباب بالمسببات واتصال الأكوان بالأكوان  
وأخصاله بعض الموجودات إلى بعض لا تنفص عنها شيء في ذلك ولا تنهي غايته وأبدأ  
من ذلك بالعالم المحسوس الجسماني وأول عالم العناصر المشاهدة كيف تتدرج صاعداً  
من الأرض إلى الماء ثم إلى الهواء ثم إلى النار متصلاً ببعضها ببعض وكل واحد منها



مستعد إلى أن يستجمل إلى ما يليه صاعداً وهابطاً ويستجمل بعض الاوقات والصاعد  
منها ألقف مما قبله إلى أن ينتهي إلى عالم الافلاك وهو ألقف من الكل على طبقات  
اتصل بعضها ببعض على هيئة لا يدرى الحس منها الا الحركات فقط وبها يتبدى بعضهم  
إلى معرفة مقاديرها وأوضاعها وما بعد ذلك من وجود الذوات التي لها هذه الآثار  
فيها ثم انظر إلى عالم التكوين كيف ابتدأ من انبعاث ثم الثبات ثم الحيوان على هيئة  
بدية من التدريج آخر ألقى المعادن متصل بأول ألقى النباتات مثل الحشائش وما لا يدرى  
لهو آخر ألقى النباتات مثل النخل والكرم متصل بأول ألقى الحيوان مثل الحلزونات  
والصدف ولم يوجد لهما الاقوة للمس فقط ومعنى الاتصال في هذه المكتونات أن آخر  
ألقى منها مستعد للاستعداد الغريب لأن يصير أول ألقى الذي بعده واتسع عالم  
الحيوان وتعددت أنواعه وانتهى في تدريج التكوين إلى الانسان صاحب الفكر  
والروية ترتفع اليه من عالم القدرة التي اجتمع فيه الحس والادراك ولم ينته إلى الروية  
والفكر بالفعل وكان ذلك أول ألقى من الانسان بعده وهذا غاية شهودنا ثم انما نجد في  
العوالم على اختلافها آثاراً متنوعة ففي عالم الحس آثار من حركات الافلاك والعيان  
وفي عالم التكوين آثار من حركة النجوم والادراك تشهد كلها بأن لها مؤزماً بالاحكام  
فهو حافى ويتصل بالمكتونات لوجود اتصال هذا العالم في وجودها وذلك هو النفس  
المدركة والمحركة ولا بد فوقها من وجود آخر يعطيها قوى الادراك والحركة ويتصل بها  
أيضاً ويكون ذاته ادراكاً تفسر فاعقلاً محضاً وهو عالم الملائكة فوجب من ذلك  
أن يكون للنفس استعداداً للانسلاخ من البشرية إلى الملكية لصيرها للنفس من جنس  
الملائكة وقوام الاوقات في لحظة من اللحظات وذلك بعد أن تكمل ذاتها الروحانية  
بالفعل كما ذكره بعدو يكون لها اتصال باللقى الذي بعدها شأن الموجودات المرتبة  
كما قد منها فلها في الاتصال جهتا العلو والسفل هي متصلة بالبدن من أسفل منها  
ومكتسبة به المدارك الحسية التي تستعد بها للحصول على التعقل بالفعل ومتصلة من  
جهة الاعلى منها بألقى الملائكة ومكتسبة به المدارك العلمية والغيبية فإن عالم الحوادث  
موجود في تعقلا منهم من غير زمان وهذا على ما قد مناه من الترتيب المحكم في الوجود  
باتصال ذواته وقواه بعضها ببعض ثم أن هذه النفس الانسانية غائبة عن العيان  
وآثارها ظاهرة في البدن فكأنه وجب جميع أجزاءه مجمعة ومفترقة آلات للنفس ولقواها  
أما الفاعلية فالبطش باليد والمشي بالرجل والكلام باللسان والحركة الكلية  
بالبدن متداخلة وأما المدركة وإن كانت قوى الادراك ممتدة ومرتبعة إلى القوة  
العلمية منها من المفكرة التي يعبر عنها بالناطقة فتقوى الحس الظاهرة بالآلة من

السمع والبصر وسائر هارقي الى الباطن وأوله الحس المشترك وهو قوة تدرك  
 المحسوسات بمصرة ومجموعة وملوسة وغيرها في حالة واحدة وبذلك فارتقت قوة  
 الحس الطاهر لان المحسوسات لا ترتد حتم عليها في الوقت الواحد ثم يرد به الحس  
 المشترك الى النسيال وهي قوة تمثل الشيء المحسوس في النفس كما هو مجزوع عن المواد  
 الخارجية فقط وآلة هاتين القوتين في قصر يفهما البطن الاول من الدماغ مقدّمه  
 للاولى ومؤخره للثانية ثم يرتقى الخيال الى الواهمة والحافظة فالواهمة لادراك  
 المعاني المتعلقة بالتخصصات كعداوة زيد وصداقة عمرو ووجه الاب واقتراس الذئب  
 والحافظة لا يداع المدركات كلها مخيلة وغير مخيلة وهي لها كالخزانة تحفظها الوقت  
 الحاجة اليها والها تين القوتين في قصر يفهما البطن المؤخر من الدماغ آوله للاولى  
 ومؤخره للآخرى ثم ترتقى جميعها الى قوة الفكر وآله البطن الاوسط من الدماغ وهي  
 القوة التي يقع بها حركة الروية والتوجه فهو العقل قصر كذا النفس بها ادائها للاركان  
 فيها من النزوع للتخلص من ذلك القوة والاستعداد الذي للبشرية وتخرج الى العقل  
 في عقلها متشبهة بالمالا الاعلى الروحاني وتصير في آوله مراتب الروحانيات في  
 ادراكها بغير الآلات الجسمانية فهي معتزكة دائما ومتوجهة نحو ذلك وقد تنسلخ  
 بالكليمن البشرية وروحانياتها الى الملكية من الاقوى الاعلى من غير احتساب  
 بل بما جعل الله فيهم من الجبلية والقطرة الاولى في ذلك (والنفوس البشرية) على ثلاثة  
 اصناف صنف عاجز بالطبع عن الوصول الى الادراك الروحاني فينقطع بالحركة الى  
 الجهة السفلى نحو المدارك الحسية والخيالية وتركيب المعاني من الحافظة والواهمة  
 على قوانين محصورة وترتيب خاص يستفيدون به العلوم التصورية والتصديقية التي  
 للفكر في البدن وكلها خيالي منحصرة نطاقه اذ هو من جهة مبدئه ينتهي الى الاوليات  
 ولا يتجاوزها وان فسد فسد ما بعدها وهذا هو في الغلب نطاق الادراك البشري  
 الجسماني واليه تنتهي مدارك العلماء وفيه ترسخ أقدمهم ونصف توجه تلك  
 الحركة الفكرية نحو العقل الروحاني والادراك الذي لا يقتصر الى الآلات البدنية  
 بما جعل فيه من الاستعداد لذلك فينتسج نطاق ادراكه عن الاوليات التي هي نطاق  
 الادراك الأول البشري ويسرح في فضاء المشاهدات الباطنية وهي وجدان كلها  
 لانطاق لها من مبدئها ولا من منتهاها وهذه مدارك العلماء الاولياء أهل العلوم  
 اللدنيّة المرافقة للرياسة وهي الحاصلة بعد الموت لاهل السعادة في البرزخ وصنف  
 مفلطور على الانسلاخ من البشرية بجله جسمانياتها وروحانياتها الى الملائكة من  
 الاقوى الاعلى لمصر في محبة من السموات ملكها الفعل ويحصل في شهود الملائكة الاعلى

في أنفهم وسماع الكلام النفساني والخطاب الالهي في تلك اللحظة هو هؤلاء الانبياء  
 صلوات الله وسلامه عليهم جعل الله لهم الانسلاخ من البشرية في تلك اللحظة وهي  
 حالة الوحي فطروهم الله عليها وجبله صورهم فيها وبرزهم عن موانع البدن  
 وعوايقهم ماداموا ملايين لها بالذرية بخار كعب في غرائزهم من القصد والاستقامة  
 التي يحاذون بها تلك الوجهة وركز في طبائعهم رغبة في العبادة تكشف تلك الوجهة  
 وتسيغ نحوها فهم يتوجهون الى ذلك الاقرب بذلك النوع من الانسلاخ حتى شأوا  
 بسلك القطرة التي قطروا عليها الاباء كساب ولا صناعة فلذا توجهوا وانسلخوا عن  
 بشريتهم وتلقوا في ذلك الملا الأعلى ما يتلقونه عاجوا به على المدارك البشرية منزلا  
 في قواها الحكيمة التبليغ للعبادة تارة بسمع دوا كانه رمز من الكلام بأخذه المعنى  
 الذي ألقى اليه فلا ينقض الذوى الا وقد وعاه وفهمه وتارة بتلك الملك الذي يلقي اليه  
 رجلا فيكلمه ويحيي ما يقوله والتقى من الملك والر جوع الى المدارك البشرية وفهمه  
 ما ألقى عليه كانه في لحظة واحدة بل أقرب من لمح البصر لانه ليس في زمان بل كلها  
 تقع جميعا فيظهر كأنها سريعة ولذلك سميت وحيا لان الوحي في اللغة الاسراع (واعلم)  
 أن الأولى وهي حالة الدوى هي رتبة الانبياء غير المرسلين على ما حققوه والثانية  
 وهي حالة تمثل الملك رجلا يخاطب هي رتبة الانبياء المرسلين ولذلك كانت أكمل من  
 الأولى وهذا معنى الحديث الذي فسر فيه النبي صلى الله عليه وسلم الوحي لما سأله  
 الحارث بن هشام وقال كيف يأتيك الوحي فقال أحيانا يأتيني مثل صلصلة الجرس وهو  
 أشده عليّ فيفصم عني وقد وعيت ما قال وأحيانا يتمثل لي الملك رجلا فيكلمني فأعي  
 ما يقول وإنما كانت الأولى أشد لانها مبدأ الخروج في ذلك الاتصال من القوة الى  
 الفعل فيصير بعض العسر ولذلك لم يلجأ فيها على المدارك البشرية اختصت بالسمع  
 وصعب ما سواه وعند ما يتكرر الوحي ويكثر التلقي يسهل ذلك الاتصال فعند ما يرجع  
 الى المدارك البشرية يأتي على جميعها وخصوصا الاوضح منها وهو ادراك البصر وفي  
 العبارة عن الوحي في الأولى بصيغة الماضي وفي الثانية بصيغة المضارع لطيف من  
 البلاغة وهي أن الكلام جاء مجيء التتميل لما تلقى الوحي فمثل الحالة الأولى بالدوى  
 الذي هو في المتعارف غير كلام وأخبر أن الفهم والوحي يقع غيب انقضاه فناسب عند  
 تصور انقضائه وانفصاله العبارة عن الوحي بالماضي المطابق للانقضاء والانقطاع  
 ومثل الملك في الحالة الثانية رجلا يخاطب ويتكلم والكلام يساوقه الوحي فناسب  
 العبارة بالمضارع المقتضي للتجدد واعلم أن في حالة الوحي كلها صعودية على الجملة وشدة  
 قدأشار اليها القرآن قال تعالى اناسلقت عليك قولا نفيسا وقالت عائشة كان

مما يعاني من التزليل شدة وقالت كان ينزل عليه الوحي في اليوم الشديد البرد فيصم  
 عنه وإن جينه ليقتصد عرقاً ولذلك كان يحدث عنه في تلك الحالة من القسوة  
 والقطط ما هو معروف وسبب ذلك أن الوحي كما قرن بمقارفة البشرية إلى الداركة  
 الملكية وتلقى كلام النفس فيحدث عنه شدة من مقارفة الذات ذاتها وانسلاخها عنها  
 من أنفها إلى ذلك الاقنى الآخر وهذا هو معنى القط الذي عبر به في سبيل الوحي في  
 قوله فطيطي حتى يبلغ معنى الجهد ثم أرسلني فقال أقرأ فقلت ما أنا بقارئ وكذلك ثالثة  
 وثالثة كما في الحديث وقا يقضي الاعياد بالتدريج فيه شيئاً إلى بعض السهولة  
 بالقياس إلى ما قبله ولذلك كان تنزل نجوم القرآن وسوره وآيه حين كان بمكة أقصر  
 منها وهو بالمدينة وانظر إلى ما تنقل في نزول سورة براء في غزوة تبوك وأنها نزلت كلها  
 أو أكثرها عليه وهو يسير على ناقته بعد أن كان بمكة ينزل عليه بعض السور من قصار  
 المفضل في وقت وينزل الباقي في حين آخر وكذلك كان آخر ما نزل بالمدينة آية الدين  
 وهي ما هي في الطول بعد أن كانت الآية تنزل بمكة مثل آيات الرجن والذاريات والمقدر  
 والنهي والعلق وأمثالها واعتبر من ذلك علامة تميز بين المكى والمدني من السور  
 والآيات وإقاه المرشد للصواب هذا حصل أمر النبوة (وأما الكهانة) فهي أيضاً  
 من خواص النفس الانسانية وذلك أنه قد تقدم لنا في جميع ما مر أن للنفس الانسانية  
 استعداد الانسلاخ من البشرية إلى الروحية التي فوقها وأنه يحصل من ذلك نعمة  
 للبشر في صنف الانبياء بما فطر واعلم من ذلك ونقرأ أنه يحصل لهم من غير اكتساب  
 ولا استعانة بشيء من المداولات من التصورات ولا من الافعال البدنية كلاماً أو حركة  
 ولا بأمر من الامور انما هو انسلاخ من البشرية إلى الملكية بالقطرة في لحظة أقرب  
 من لمح البصر وإذا كان كذلك وكان ذلك الاستعداد موجوداً في الطبيعة البشرية  
 فيعطى التقسيم العقلي أن هنا صنفاً آخر من البشر ناقصاً عن رتبة الصنف الاول  
 نقصان الضد عن ضده الكامل لأن عدم الاستعانة في ذلك الادراك ضد الاستعانة  
 فيه وشتان ما بينهما فإذا أعطى تقسيم الوجود أن هنا صنفاً آخر من البشر مقطوعاً  
 على أن تتحرك قوته العقلية حركتها الفكرية بالارادة عند ما يعنها النزوع لذلك  
 وهي ناقصة عنه بالجسلة فيكون لها بالجسلة عند ما يعوقها الهجز عن ذلك نشب بأمور  
 جزئية محسوسة أو متخيلة كالأجسام الشفافة وعظام الحيوانات وجميع الكلام  
 وما سواه من طير أو حيوان فيستديم ذلك الاحساس أو التخيل مستعيناً به في ذلك  
 الانسلاخ الذي يقصده ويكون كالشيء له وهذه القوة التي فيها مبدأ ذلك الادراك  
 هي الكهانة ولكون هذه النفوس مقطوعة على النقص والقصور عن الكمال كان

ادراكها في الجزئيات أكثر من الكليات ولذلك تكون المفصلة فيهم في غاية القوة  
 لانها آلة الجزئيات تنفذها نفوسنا تماماً في يوم أو ليلة وتكون عندها حاضرة عبيدة  
 تخضعها المفصلة وتكون لها كلما تنظر فيها دائماً ولا يقوى الكاهن على الكمال في  
 ادراك العقول لان وجهه من وحى الشيطان وأرفع أحوال هذا الصنف  
 أن يستمعين بالكلام الذي فيه السجع والموازنة ليستقل به عن الحواس ويقوى  
 بعض الشيء على ذلك الاتصال الناقص فيهبس في قلبه عن تلك الحركة والذي  
 يشبهه من ذلك الاجنبى ما يقذفه على لسانه فربما صدق ووافق الحق وربما كذب  
 لانه يتم نفعه بأمر اجنبى عن ذاته المدركة وبأمر لها غير ملائم فعرض له الصدق  
 والكذب جميعاً ولا يكون موثقاً به وربما يفرغ الى الظنون والتخمينات حرصاً على  
 التفرغ بالإدراك والذكر وتقومهم على السائلين وأصحاب هذا السجع هم المخصوصون باسم  
 الكهان لانهم أرفع سائر أصنافهم وقد قال صلى الله عليه وسلم في مثله هذا من سجع  
 الكهان فجعل السجع مختصاً بهم يقتضى الاضافة وقد قال ابن صاعد حين سأله  
 كاشفاً عن حاله بالاختيار كيف يأتيك هذا الامر قال يأتينى صادق وكاذب فتقال  
 خلط عليك الامر يصعب أن النبوة خاصتها الصدق فلا يعتز بها الكذب بحال لانها  
 اتصال من ذات النبى بالملا الأعلى من غير مشييع والاستعانة بأجنى والكهانة لما  
 احتاج صاحبها بسبب عجزه الى الاستعانة بالتصورات الاجنبية فكانت داخله في  
 ادراكه والتبست بالادراك الذى توجه اليه فصا ومختلطاً بهما وطرقه الكذب من  
 هذه الجهة فامنع أن تكون نبوة وانما قلنا ان أرفع مراتب الكهانة حالة السجع  
 لان معنى السجع أخف من سائر الغيبات من المرتبات والمهوعات وتدل خفة المعنى  
 على قرب ذلك الاتصال والادراك البعدي عن العجز بعض الشيء (وقد نرى من بعض  
 الناس أن هذه الكهانة قد انقطعت منذ زمن النبوة بما وقع من شأن رجم الشياطين  
 بالشهب بين يدي البعثة وأن ذلك كان لنعهم من خبر السماء كما وقع في القرآن  
 والكهان انما يعرفون أخبار السماء من الشياطين فبطلت الكهانة من يومئذ  
 ولا يقر من ذلك دليل لان عالم الكهان كما تكون من الشياطين تكون من  
 نفوسهم أيضاً كما ترونه وأيضاً فالآية انما دلت على منع الشياطين من نوع واحد من  
 أخبار السماء وهو ما يتعلق بخبر البعثة ولم يمنعوا مما سوى ذلك وأيضاً فانما كان  
 ذلك الانقطاع بين يدي النبوة فقط ولعلها عادت بعد ذلك الى ما كانت عليه وهذا هو  
 الظاهر لان هذه المداولة كلها تنحصر في زمن النبوة كما تنحصر الكواكب والسرور  
 عند وجود الشمس لان النبوة هي النور الاعظم الذى يحق معه كل نور ويذهب

وقد زعم بعض الحكماء أنها انما توجد بين يدى النبوة ثم تقطع وهكذا مع كل نبوة وقعت لأن وجود النبوة لا يتلهم من وضع فلكي يستضي به وفي تمام ذلك الوضع تمام تلك النبوة التي تدل عليها ونقص ذلك الوضع عن التمام يقتضى وجود طبيعة من ذلك النوع الذى يقتضيه ناقصة وهو معنى الكاهن على ما قرئناه فقبل أن يتم ذلك الوضع الكامل يقع الوضع الناقص ويقتضى وجود الكاهن انما واحدا أو متعددا فإذا تم ذلك الوضع ثم وجود النبي بكامله وانقضت الاوضاع الدالة على مثل تلك الطبيعة فلا يوجد منها شئ بعد وهذا بناء على أن بعض الوضع الفلكي يقتضى بعض أثره وهو غير مسلم فلعل الوضع انما يقتضى ذلك الاثر بجهته الخاصة ولو نقص بعض أجزائها فلا يقتضى شأ لأنه يقتضى ذلك الاثر ناقصا كما قالوه ثم إن هؤلاء الكهان اذا عاصروا زمن النبوة فإنهم عارِفون بصدق النبي ودلالة معجزته لأن لهم بعض الوجودان من أمر النبوة كالمثل كل انسان من أمر اليوم ومعقولة تلك النسبة موجودة للكاهن بأشد مما للناثم ولا يصدهم عن ذلك ويوقعهم في التكذيب الاقوة المطامع في أنها نبوة لهم فيقعون في العناد كما وقع لامية بن أبي الصلت فإنه كان يطمع أن يتنبأ وكذا وقع لابن صباد ومسلمة وغيرهم فإذا غلب الايمان وانقطعت تلك الاماني آمنوا أحسن ايمان كما وقع لطليعة الاسدي وسواد بن قارب وكان لهما في الفتوحات الاسلامية من الآيات الشاهدة بحسن الايمان \* (وأما الرؤيا) فحققت مطالعة النفس الناطقة في ذاتها الروحية لحة من صور الواقعات فإنها عندما تكون روحانية تكون صور الواقعات فيها موجودا بالفعل كما هو شأن الذوات الروحية كلها وتصير روحانية بأن تتغير عن المواد الجسمانية والمداركة البدنية وقد يقع لها ذلك لحة بسبب النوم كما نذكره فقبس بها علم ما تشوف اليه من الامور المستقبل وتعود به الى مداركها فان كان ذلك الاقباس ضعيفا وغير جلي فالمحاكاة والمثال في الخيال لتقطعه فيحتاج من أجل هذه المحاكاة الى التعبير وقد يكون الاقباس قويا يستغنى فيه عن المحاكاة فلا يحتاج الى تعبير فلو صمد من المثال والخيال والسبب في وقوع هذه اللمعة للنفس أنهم اذا ذات روحانية بالقوة مستكملة له بالبدن ومداركة حتى تصير ذاتها تعقلا محضا ويكمل وجودها بالفعل فتكون حينئذ ذاتا روحانية مدركة بغير شئ من الآلات البدنية إلا أن نوعها في الروحانيات دون نوع الملائكة أهل الافق الاعلى على الذين لم يستكملوا ذاتهم بشئ من مدارك البدن ولا غيره فهذا الاستعداد حاصل لهم مادامت في البدن ومنه خاص كالذى للاولياء ومنه عام للبشر على العموم وهو أمر الرؤيا \* وأما الذى للانبياء فهو استعداد بالاتسلاخ من البشرية الى الملائكية

الخشنة التي هي أعلى الروايات ويخرج هذا الاستعداد فيهم متكررا في حالات  
 الوحي وهو عند ما يخرج على المدارك البدنية ويقع فيما يقع من الادراك الشبيهة بحال  
 النوم شيئا وشاوان كان حال النوم أدون منه بكثير فلاجل هذا الشبهه عبر الشارع  
 عن الرؤيا بأنهم اجز من ستة وأربعين جزءا من النبوة وفي رواية ثلاثة وأربعين وفي  
 رواية سبعين وليس العدد في جميعها مقصودا بالذات وإنما المراد الكثرة في تفاوت هذه  
 المراتب بدليل ذكر السبعين في بعض طرقه وهو لتكثير عند العرب وما ذهب اليه  
 بعضهم في رواية ستة وأربعين من أن الوحي كان في مبتدئها رؤيا سنة أشهر وهي  
 نصف سنة وثلثة النبوة كلها بمكة والمدينة ثلاثة وعشرون سنة ونصف السنة منها جزء  
 من ستة وأربعين فكلام بعيد من التحقيق لانه انما وقع ذلك للتي صلى الله عليه وسلم  
 ومن أين لنا أن هذه المدة وقعت لفريق من الانبياء مع أن ذلك انما يعطى نسبة من  
 الرؤيا من زمن النبوة ولا يعطى نسبة حقيقتها من حقيقة النبوة وإذا عين لك هذا انما  
 ذكرناه أولا علمت أن معنى هذا الجزء نسبة الاستعداد الاول الشامل للبشر الى  
 الاستعداد القريب الخاص بصنف الانبياء الفطري لهم حالات انهم عليهم اذ هو  
 الاستعداد البعيد وان كان عاملا في البشر ومعه عوائق وموانع كثيرة من حصوله  
 بالفعل ومن أعظم تلك الموانع الحواس الظاهرة ففطر الله البشر على ارتفاع حجاب  
 الحواس بالنوم الذي هو جلي لهم فتعرض النفس عند ارتفاعه الى معرفة  
 ما تشوف اليه في عالم الحق فتدرك في بعض الاحيان منه لمحة يكتفون فيها التفرغ  
 بالمطالع ولذلك جعلها الشارع من المبشرات فقال لم يبق من النبوة الا المبشرات  
 قالوا وما المبشرات يا رسول الله قال الرؤيا الصالحة براها الرجل الصالح أو رآه  
 (وأنما سبب ارتفاع حجاب الحواس بالنوم فعل ما أصغى لك وذلك أن النفس الناطقة  
 انما ادراكها وأفعالها بالروح الحيواني الجسماني وهو بخار لطيف غير مبال بتجويف  
 الايسر من القلب على ما في كتب التشریح بل بالنفوس وغيره وينبعث مع النعم في  
 الشرابات والعروق فيعطى الحس والحركة وسائر الانفعال البدنية ويرتفع لطيفه الى  
 الدماغ فيعدل من برده وتمت أفعال القوى التي في بطونه فالتفت الناطقة انما تدرك  
 وتقبل بهذا الروح البخاري وهي متعلقة بما اقتضت حكمته التكون في أن  
 اللطيف لا يؤثر في الكشف بل اللطيف هذا الروح الحيواني من بين المواد البدنية صار  
 محلا لأثار الذات المبينة له في جسمانيته وهي النفس الناطقة وصارت آثارها حاصلة  
 في البدن بواسطة ذلك كما قدمنا أن ادراكها على نوعين ادراكا ظاهرا وهو الحواس  
 الخمس وادراكا باطنا وهو بالقوى الغماضية وأن هذا الادراك كله صار لها عن

ادراكها مافوقهما من ذاتها الروحانية التي هي مستعدة لها بالقطرة ولما كانت  
 الحواس الظاهرة جسمانية كانت معرضة للوسوس والفصل بما يدركها من التعجب  
 والكلال وتغشى الروح بكثرة التصرف خلق الله لها طلب الاستجمام لتجرد الادراك  
 على الصورة الكاملة وانما يكون ذلك بانفخاس الروح الحيواني من الحواس الظاهرة  
 كلها ورجوعه الى الحس الباطن ويعين على ذلك ما يغشى البدن من البرد باليسيل  
 فتطلب الحرارة الغريزية أعماق البدن وتذهب من ظاهره الى باطنه فتكون شبعة  
 مركبها وهو الروح الحيواني الى الباطن ولذلك كان النوم للبشر في الغالب انما هو بالليل  
 فاذا انقضى الروح عن الحواس الظاهرة ورجع الى القوى الباطنة وخفضت عن النفس  
 شواغل الحس وموانعه ورجعت الى الصورة التي في الحافظة فتشغل منها بالتركيب  
 والتحليل صور خيالية وأكثر ما تكون معتادة لانها منتزعة من المدركات المتعاهدة  
 قريبا ثم ينزلها الحس المشترك الذي هو جامع الحواس الظاهرة فيدركها على أنحاء  
 الحواس الخمس الظاهرة وربما التفتت النفس لقنة الى ذاتها الروحانية مع منازعتها  
 القوى الباطنية قد درلنا دأرا كما الروحاني لانها تقطوع عليه وثقة بس من صور  
 لاشياء التي صارت متعلقة في ذاتها حيث تدرك بأخذ الخيال تلك الصور المدركة فيمثلها  
 بالحقيقة وأما كآفة في القوالب المعهودة والمحاكاة من هذه هي المحتاجة للتعبير  
 وتصرفها بالتركيب والتحليل في صور الحافظة قبل أن تدرك من تلك اللوحة مادركة  
 هي أضغاث أحلام (في الصحيح) أن النبي صلى الله عليه وسلم قال الرؤيا ثلاث رؤيا  
 من الله ورؤيا من الملك ورؤيا من الشيطان وهذا التفصيل مطابق لما ذكرناه فالجلى  
 من الله والمحاكاة الداعية الى التعبير من الملك وأضغاث الأحلام من الشيطان لانها  
 كلها باطل والشيطان يبرع الباطل هذه حقيقة الرؤيا وما يسيبها ويشيعها من النوم  
 وهي خواص للنفس الانسانية موجودة في البشر على العموم لا يختلوعنها أحد منهم  
 بل كل واحد من الانساني رأى في نومه ما صدر له في يقظته مما راى غير واحد وحصل  
 له على القطع أن النفس مدركة للغيب في النوم ولا بد واذا جاز ذلك في عالم النوم  
 فلا يتبع في غيره من الاحوال لان الذات المدركة واحدة وخواصها عامة في كل حال  
 والله الهادي الى الحق بمنه وفضله

(فصل -) ووقع ما يقع للبشر من ذلك غالبا انما هو من غير قصد ولا قدرة عليه وانما  
 تكون النفس متشوقة لذلك الشيء فيقع لها تلك اللوحة في النوم لانها تقصد الى ذلك  
 قترأ وقد وقع في كتاب الغاية وغيره من كتب أهل الرياضات ذكر أسماء تذكر عند  
 النوم فتكون عنها الرؤيا فيايشوف اليه ويسمعونها الحالومية وذكر منها مصلة في



كتاب الغاية حاكمة معها حاكمة الطباع التام وهو أن يقال عند النوم بعد فراغ  
 السر ووجه التوجه هذه الكلمات الاعمية وهي تماخض بعد ان يسود وتنداس  
 نونفا غادس ويذكر حاجته فانه يرى بالكشف عما يسأل عنه في النوم (وحكى)  
 أن بجلا فعل ذلك بعد رياضة ليل في مأكله وذكره فمثل له شخص يقول له أنا طابعك  
 النام فسا له وأخبر عما كان يشوف اليه وقد وقع في أنا بهذه الاسماء مرافى عجيبه  
 اطلعت بها على أمور كنت أتشوف اليها من أحوالي وليس ذلك بدليل على أن القصد  
 الرؤيا يجد بها وانما هذه الحالومات تحدث استعدادا في النفس لوقوع الزوايا فاقوى  
 الاستعداد كان أقرب الى حصول ما يستعد له وللشخص أن يفعل من الاستعداد  
 ما أحب ولا يصحكون دليلا على ايقاع المستعد له فالقدرة على الاستعداد غير القدرة  
 على الشيء فاعلم ذلك وتدبره فيما يحسن أمثاله والله الحكيم الخبير .

(فصل) ثم انما نجد في النوع الانساني أشخاصا يخبرون بالكائنات قبل وقوعها  
 بطبيعة فهم يتبينها من فهم عن مائر الناس ولا يرجعون في ذلك الى صناعة ولا  
 يستدلون عليه بأثر من النجوم ولا غيرها انما يجدوا ركنهم في ذلك بمقتضى طريقتهم  
 التي فطروا عليها وذلك مثل العزاقين والناترين في الاجسام الشفافة كالمرايا  
 وطساس الماء والناترين في قلوب الحيوانات وأكادها وعظامها وأهل الزجر في  
 الطير والسباع وأهل الطرق بالمعنى والحبوب من الحنطة والنوى وهذه كلها  
 موجودة في عالم الانسان لا يسع أحدا بحجبها ولا انكارها وكذلك المجانين يلقى على  
 ألسنتهم كلمات من الغيب فيخبرون بها وكذلك النائم والميت لا أول مونه أو نومه  
 يتكلم بالغيب وكذلك أهل الرياضات من المتصوفة لهم مدارك في الغيب على سبيل  
 الكرامة معروفة ونحن الآن نتكلم على هذه الادراكات كلها ونبتدئ منها  
 بالكهانة ثم نأتي عليها واحدة واحدة الى آخرها ونقدم على ذلك مقدمة في أن النفس  
 الانسانية كيف تستعد لادراك الغيب في جميع الاصناف التي ذكرناها وذلك أنها  
 ذات روحانية موجودة بالقوة من بين سائر الروحانيات كاذكرناه قبل وانما يخرج من  
 القوة الى الفعل بالبدن وأحواله وهذا أمر مدرك لكل أحد وكلنا بالقوة فله مادة  
 وصورة وصورة هذه النفس التي هي أتم وجودها وعين الادراكات العقل فهي توجد  
 أولا بالقوة مستعدة للادراك وقبول الصور الكلية والخزنية ثم يتم نشوؤها بوجودها  
 بالفعل بمساحة البدن وما يعود لها ويرود مدركاتها المحسوسة عليها وما يتزعم من تلك  
 الادراكات كلت من المعاني الكلية فتتعقل الصور مرة بعد أخرى حتى يحصل لها الادراك  
 والتعقل طورا بالفعل فتم ذاتها وتبقى النفس كالهيولى والصورت متعاقبة عليها بالادراك

واحدة بعد واحدة وانك تجد الصبي في أول نشأته لا يقدر على الادراك الذي له من ذاتها لانهم لا يكتشف ولا يغيرهما وذلك لان صورتهم التي هي عين ذاتها هي الادراك والعقل لم يتم بعد بل يتم لها انتزاع الكليات ثم اذا تم ذاتها بالفعل حصل لها مادامت مع البدن نوعان من الادراك الادراك الباطن لان الجسم تؤدبه اليها المداولة البدنية وادراكها من غير واسطة وهي محجوبة عنه بالانغماس في البدن والحواس ويشواغلها لان الحواس ابداء جاذبة لها الى الظاهر بما فطرت عليه ان لا من الادراك الجسماني وربما تنغمس من الظاهر الى الباطن فيرتفع حجاب البدن لحظة اما بالخاصة التي هي للانسان على الاطلاق مثل النوم وبالخاصة الموجودة لبعض البشر مثل الكهانة والطرق وبالباضة مثل أهل الكشف من الصوفية فتلقت حينئذ الى الذوات التي فوقها من الملا الاعلى لما بين أقدحها وأفقهم من الاتصال في الوجود كما قرناه قبل وتلك الذوات روحانية وهي ادراك محض وعقول بالفعل وفيها صور الموجودات وحقائقها كما مرفيت على فيها شيء من تلك الصور وتقبس منها علوما وربما دفعت تلك الصور المدركة الى الخيال فصر في القوالب المعتادة ثم راجع الحس بما أدركت اما مجزأ أو في قوالبه فقبضه \* هذا هو شرح استعداد النفس لهذا الادراك الغيبي \* ولترجع الى ما وعدناه من بيان أصنافه (فاما) الناظرون في الاجسام الشافقة من المرايا وطاس الماء وقلوب الحيوان وكأدها وعظامها وأهل الطرق بالحصى والنوى فكلهم من قبيل الكهان الا أنهم أضعف رتبة فيه في أصل خلقهم لان الكهان لا يحتاج في رفع حجاب الحس الى كثير معاناة وهو لا يعانونه بالتحصا والمداولة الحسية كلها في نوع واحد منها وأشرفها البصر فيعكف على المرقى البسيط حتى يدركه الذي يخبره عنه وربما يظن أن مشاهدة هؤلاء المايرون هو في سطح المرأة وليس كذلك بل لا يزالون يتطرون في سطح المرأة الى أن يغيب عن البصر ويبدوها بينهم وبين سطح المرأة حجاب كأنه غمام يمتلئ فيه صور هي مداركهم فيشبهون اليهم بالمقصود لما يتوجهون الى معرفته من ثقب أو اثبات فيخرون بذلك على نحو ما أدركوه وأما المرأة وما يدرك فيها من الصور فلا يدركونه في تلك الحال وانما نشأ لهم بها هذا النوع الاخر من الادراك وهو نفساني ليس من ادراك البصر بل يتشكل به المدرك النفساني للحس كما هو معروف ومثل ذلك ما يعرض للناظرين في قلوب الحيوانات وكأدها وللناظرين في الماء والطاس وأمثال ذلك \* وقد شاهدنا من هؤلاء من يشغل الحس بالصور فقط ثم العزائم للاستعداد ثم يخبر كما أدركوا ويرعون أنهم يرون الصور متمشخة في الهواء تحكي لهم أحوال ما يتوجهون الى ادراكه بالمثل

والاشارة وغيبه هو لا عن الحس أخف من الاولين والعالم أبو الغرائب • وأما الزبر  
وهو ما يحدث من بعض الناس من التكلم بالغيب عند سحر طائر أو حيوان والفكر  
فيه بعينه غيبه وهي قوة في النفس تبعث على الخرص والفكر فيما يعرفه من مرقى  
أو مسموع وتكون قوته الخيلة كما قدمناه قوية فيبعثها في البحث مستعيناً بما رواه  
أو سمعه فيؤديه ذلك الى ادراكها كما تشعل القوة الخيلة في النوم وعند ركود الحواس  
توسط بين المحسوس المرقى في يقطعه ويجمعه مع ما عقله فيكون عنها الرؤيا •  
وأما المجانين فنفسهم الناطقة ضعيفة التعلق بالبدن لقسداً من جهم غالباً وضعف  
الروح الحيواني فيها فتكون نفسه غير مستقرة في الحواس ولا منغمسة فيها بما شاغلها  
في نفسها من ألم النقص ومرضه ورجائها على التعلق به روحانية أخرى شيطانية  
تتشبث به وتضعف هذه عن محالها فيكون عنه التضييق فاذا أصابه ذلك التضييق أما  
لفساد مزاجه من فساد في ذاتها ولزاجعة من النفوس الشيطانية في تعلقه غاب عن  
حسب جهل قادر له الحق من عالم نفسه وانطبع فيها بعض الصور من رها الخيال وربما تعلق  
على لسانه في تلك الحال من غير ارادة التعلق وادراكه هؤلاء كلهم مشوب فيه الحق  
بالباطل لانه لا يحصل لهم الاتصال وان فقدوا الحس الا بعد الاستعانة بالتصورات  
الاجنبية كما قرئناه ومن ذلك يجي الكذب في هذه المدارك • وأما العزافون فهم  
المتعلقون بهذا الادراك وليس لهم ذلك الاتصال فيسلطون الفكر على الامر الذي  
يتوجهون اليه ويأخذون فيه بالظن والتميز بناء على ما يتوهمونه من مبادئ ذلك  
الاتصال والادراك ويدعون بذلك معرفة الغيب وليس منه على الحقيقة (هذا تفصيل  
هذه الامور) وقد تكلم عليها المسعودي في مروج الذهب فما صادف تحقيقاً ولا  
اصابة ويظهر من كلام الرجل أنه كان بعيداً عن الرسوخ في المعارف فينقل ما سمع من  
أهله ومن غير أهل هذه الادراكات التي ذكرناها موجودة كلها في نوع البشر  
فقد كان العرب يفرعون الى الصككمان في تعرف الحوادث ويتنافرون اليهم في  
الخصومات ليغزوههم بالحق فيما من ادراك غيبهم وفي كتب أهل الادب كثير من ذلك  
واشتهر منهم في الجاهلية شق من اغابر نزار وسطح بن مازن بن غسان وكان يدرج كما  
يدرج الثوب ولا عظم فيه الا بالجمعة ومن مشهور الحكايات عنهما تأويل رؤيا ربيعة  
ابن مضر وما أخبرا به من ملك الحبشة لليمن وملك مضر من بعدهم وظهور النبوة  
المحمدية في قرينش ورؤيا المودان التي أولها سطج لما بعث اليها كسرى عبد المسيح  
فاخبره بشأن النبوة وخراب ملك فارس وهذه كلها مشهورة وكذلك العرافون كان  
في العرب منهم كثير وذكروهم في اشعارهم قال

فقلت لعراف اليازمة داؤنى \* فأتك ان داؤيتنى لطيب  
وقال الآخر

جعلت لعراف اليازمة حكمه \* وعرف تجدان هماً شياى  
فقال شقائه الله والله مالنا \* بما حلت منك الضلوع يدان

وعراف اليازمة هو رياح بن عجلة وعراف تجدان الابلق الاسدى (ومن هذه المدارك الغيبة) ما يصدر لبعض الناس عند مقارفة البقطة والتباسه بالنوم من الكلام على الشيء الذى يتشوف اليه بما يعطيه غيب ذلك الامر كما يريد ولا يقع ذلك الا في مبادئ النوم عند مقارفة البقطة وذهاب الاختيار في الكلام فيتكلم كما انه مجبول على النطق وغايته أن يسمعه ويفهمه وكذلك يصدر عن المقتولين عند مقارفة رؤسهم وأوساط أبدانهم كلام يمثل ذلك \* ولقد بلغنا عن بعض الجبابرة القاطنين أنهم قتلوا من محبوبهم أشخاصا لينعرفوا من كلامهم عند القتل عواقب أمورهم في أنفسهم فأعلموهم بما يستشع \* وذكر مسلمة في كتاب الغاية له في مثل ذلك أن آدميا إذا جعل في دنّ مله يدهى السم ومكث فيه أربعين يوما يقضى بالتين والجوز حتى يذهب لجه ولا يبقى منه الا العروق وشئون رأسه فيخرج من ذلك الدهن خفين يحفف عليه الهواء فيجيب عن كل شيء يسأل عنه من عواقب الامور الخاصة والعامة وهذا فعل من مناكير أفعال السحرة لكن فيهم منه عجائب العالم الانساني \* ومن الناس من يحاول حصول هذا المدارك الغيبية بالرياضة فيها ولون بالمجاهدة متواصنا بامانة جميع القوى البدنية ثم يحوّل أثارها التي تلون بها النفس ثم تقضيها بالذكور لتزداد قوة في نشئها ويحصل ذلك بجمع الفكر وكثرة الجوع ومن المعلوم على القطع أنه اذا نزل الموت بالبدن ذهب الحس وحجابه واطلقت النفس على ذاتها وعالمها فصار لون ذلك بالاكتساب ليقع لهم قبل الموت ما يقع لهم بعده وتطلع النفس على الغيبات ومن هؤلاء أهل الرياضة السحرية يراضون بذلك ليحصل لهم الاطلاع على الغيبات والتصرفات في العوالم وأكثر هؤلاء في الاقاليم المتفرقة جنوبا وشمالا خصوصا بلاد الهند ويسمون هنالك الحوكية ولهم كتب في كيفية هذه الرياضة كثيرة والاخبار عنهم في ذلك غريبة \* وأما المتصوفة فراضهم دقة وعريه عن هذه المقاصد المنمومة وانما يقصدون جمع المهمة والاقبال على الله بالكلية ليحصل لهم أدواق أهل العرفان والتوجيد ويريدون في رياضتهم الى الجمع والجوع التغذية بالذكور فيها تتم وجهتهم في هذه الرياضة لانه اذا نشأت النفس على الذكر كانت أقرب الى العرفان بالله واذا عريت عن الذكر كانت شيطانية وحصول ما يحصل من معرفة الغيب والتصرف

لهؤلاء المتصوفة انما هو بالعرض ولا يكون مقصودا من أول الامر لانه اذا قصد ذلك كانت الوجهة فيه لغرضه وانما هي لقصد التصرف والاطلاع على الغيب وأخسر بها صفقة فانها في الحقيقة شرك قال بعضهم من أمر العرفان للعرفان فقد قال الثاني فهم بقصدون بوجههم المعبود لا شيئا سواه واذا حصل إنشاء ذلك ما يحصل قبل العرض وغير مقصود لهم وكثير منهم يقر منه اذا عرض له ولا يحفل به وانما يريد الله لانه لا يقدره وحصول ذلك لهم معروف ويسمون ما يقع لهم من الغيب والحديث على الخواطر فراسة وكشفا وما يقع لهم من التصرف كرامة وليس شيء من ذلك بشكر في حقهم وقد ذهب الى انكاره الاستاذ أبو الحق الاسفراييني وأبو محمد بن أبي نير المالكي في آخرين فرار من التباس المجيزة بغيرها والمحول عنه عند المتكلمين حصول التفرقة بالتعدي فهو **كاف** \* وقد ثبت في الصحيح أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال إن فيكم محدثين وإن منهم عرو وقد وقع للخصامة من ذلك وقائع معروفة فثبت بذلك في مثل قول عمر رضي الله عنه بأسارية الجبل وهو سارية بن زئيم كان قائدا على بعض جيوش المسلمين بالعراق أيام الفتوحات وفورط مع المشركين في معتز وهو بالانهمزام وكان بقره جبل يتجهز اليه فرفع لعمرك ذلك وهو يخطب على المنبر بالمدينة فناداه بأسارية الجبل وسمعه سارية وهو يمكانه ورأى شخصه هنالك والقصة معروفة ووقع مثله أيضا لأبي بكر في وصيته عائشة ابنته رضي الله عنها في شأن ما فعلها من أوسق القمر من حديثه ثم نهها على جذاذه لتخوزه عن الثورثة فقال في سباق كلامه وانما هما أخوان وأختان فقالت انما هي أسماء لمن الأخرى فقال ان ذابطن بنت خارجة أراها جارية فكانت جارية وقعت في الموطأ في باب ما لا يجوز من التصل ومثل هذه الوقائع كثيرة لهم ولمن بعدهم من الصالحين وأهل الاقتداء الآن أهل التصوف يقولون انه يقل في زمن النبوة اذ لا يبقى للمريد حالة بمحضرة النبي حتى انهم يقولون ان المرید اذا جاء للمدينة النبوية يسلب حاله ما دام فيها حتى يقارنها والله يرزقنا الهداية ويرشدنا الى الحق

(فصل) ومن هؤلاء المريدین من المتصوفة قوم بالبل معتوهون أشبه بالمجانين من العقلاء وهم مع ذلك قد صحت لهم مقامات الولاية وأحوال الصديقين وعلم ذلك من أحوالهم من يشهد عنهم من أهل الذوق مع أنهم غير مكلفين ويقع لهم من الاخبار عن المغيبات عجائب لانهم لا يتقصدون بشيء فيطلقون كلامهم في ذلك وبأنون منه بالعجائب وربما شكر النفساء أنهم على شيء من المقامات لما يرون من سقوط التكليف عنهم والولاية لا تحصل الا بالعبادة وهو غلط فان فضل الله بؤيته من

بناءً ولا يتوقف حصول الولاية على العبادة ولا غيرها وإذا كانت النفس الانسانية  
 ناشئة الوجود بالله تعالى يخصصها علمنا من مواهبه وهؤلاء القوم لم تصدم نفوسهم  
 الناطقة ولا فسدت كمال المجانين وانما فقد لهم العقل التي ساط به التكليف وهي  
 صفة خاصة للنفس وهي علوم ضرورية للانسان يستند بها ظواهره ويعرف بأحوال  
 معاشه واستقامته منزله وكانه اذا مر بأحوال معاشه واستقامته منزله لم يبق له عذو في قبول  
 التكليف لاصلاح معاده وليس من فقد هذه الصفة بمقادير نفسه ولا داهل عن  
 حقيقته فيكون موجود الحقيقة معدوم العقل التكليفي الذي هو معرفة المعاش  
 والاستمالة في ذلك ولا يتوقف اصطفاؤه الله عباده للمعرفة على شيء من التكاليف  
 واذا صرح ذلك فاعلم انه وبما يتيسر حال هؤلاء المجانين الذين تصد نفوسهم الناطقة  
 ويلتصقون بالبهائم والى في قبيحهم علامات منها أن هؤلاء البهاليين قبلهم وجهة ما  
 لا يتفكرون عنها أصلاً من ذكر وعبادة لكن على غير الشرط الشرعية لم يتفكروا  
 من عدم التكليف والمجانين لا قبلهم وجهة أصلاً ومنها أنهم يخفون على البهمن  
 أول نشأتهم والمجانين يعرض لهم الجنون بعلمقة من العمر لوارض بدنية طبيعة  
 فاذا عرض لهم ذلك وفقدت نفوسهم الناطقة ذهبوا بالبلية ومنها كثرة تصرفهم في  
 الناس بالغير والشر لا ينهم لا يتوقفون على اذن لعدم التكليف في حقهم والمجانين  
 لا تصرف لهم وهذا فصل انتهى بنا الكلام اليه والله المرشد للصواب

(فصل) وقديرهم بعض الناس أن هناك ارباب الغيب من دون غيبة عن الحس منهم  
 المتصونون القائلون بالدلالات النجومية ومقتضى أوضاعها في النك والارهاق  
 العناصر وما يحصل من الامتزاج بين طباعها بالنساطر وينتأدى من ذلك المزاج الى  
 الهوا وهو لاء المتصمون ليسوا من الغيب في شيء انما هي ظنون حدسية وتخصيمات  
 مبنية على التامرات النجومية وحصول المزاج منه للهوا اجمع من يحدث يقف به الناظر  
 على تفضيله في التخصيمات في العالم كما قاله بطليموس ونحن نبين بطلان ذلك في محلهان  
 شاء الله وهو لو ثبت فغايتة حدسية وتخصمين وليس مما ذكرناه في شيء \* ومن  
 هؤلاء قوم من الصلابة استنبطوا الاستخراج الغيب وتعرف الكائنات صناعة جموها  
 خط الرمل نسبة الى المائدة التي يضعون فيها عملهم ومحصول هذه الصناعة أنهم صيروا  
 من النقط أشكالاً ذات أربع مراتب تختلف باختلاف مراتبها في الزوجية والفردية  
 واستوائها في سماها فكانت ستة عشر شكلاً لانها ان كانت أزواجا كلها أو أفرادا  
 كلها فشكلان وان كان الفرد فيهما في مرتبة واحدة فقط فأربعة أشكال وان كان  
 الفرد في مرتبتين فستة أشكال وان كان في ثلاثة مراتب فأربعة أشكال جاءت

ستة عشر شكلا ميزوها كلها بأسمائها وأنواعها الى سعود ونحوس شأن الكواكب  
 وجعلوا لها ستة عشر ينابيعية بزعمهم وسموا بها البرق الاشاعر التي للثلاث  
 والارناد الاربعة وجعلوا لكل شكل منها ينابيعا وحظوظا ودلالة على صنف من  
 موجودات عالم العناصر يختص به واستنبطوا من ذلك فنا حاذوا به فن النجامة ونوع  
 قضاه الا ان احكام النجامة مستندة الى اوضاع طبيعية كازعم بطليموس وهذه انما  
 مستندة الى اوضاع تصحكها وهواء اتفاقية ولا دليل يقوم على ثبوتها ويزعمون  
 ان اصل ذلك من النبوة القديمة في العالم وربما نسبوها الى دانيال او الى اديس  
 صلوات الله عليهما شأن الصانع كلها وربما يزعمون مشروعيته ويحتجون بقوله صلى  
 الله عليه وسلم كان نبى يخط فن وافق خطه نذال وليس في الحديث دليل على مشروعية  
 خط الرمل كازعم بعض من لا تحصيل لديه لان معنى الحديث كان نبى يخط فيأتيه  
 الوحي عند ذلك الخط ولا استحالة في أن يكون ذلك عادة لبعض الانبياء فن وافق  
 خطه ذلك النبي فهو الذي هو صحيح من بين الخط بما عضده من الوحي لذلك النبي  
 الذي كانت عادته أن يأتيه الوحي عند الخط وأما اذا أخذ ذلك من الخط مجردا من غير  
 موافقة وحي فلا وهذا معنى الحديث والله أعلم \* فاذا أرادوا استخراج مغيب  
 بزعمهم عدوا الى قرطاس أو رمل أو دقن فوضعوا التقط سطورا على عدد المراتب  
 الاربعة ثم ~~سحروا~~ واذك أربع مرات فتتبع ستة عشر سطرا ثم يطرحون النقط  
 أزواجا ويضعون ما بقى من كل سطر زوجا كان أو فردا في مرتبة على الترتيب فتتبع  
 أربعة أشكال يضعونها في سطر متتالية ثم يولدون منها أربعة أشكال أخرى من جانب  
 العرض باعتبار كل مرتبة وما قبلها من الشكل الذي بازائه وما يجتمع منهما من زوج  
 أو فرد فتكون ثمانية أشكال موضوعة في سطر ثم يولدون من كل شكلين شكلا فتتبعها  
 باعتبار ما يجتمع في كل مرتبة من مراتب الشكلين أيضا من زوج أو فرد فتكون أربعة  
 أخرى تحتها ثم يولدون من الاربعة شكلين كذلك تحتها ثم الشكلين شكلا كذلك  
 تحتها ثم هذا الشكل الخامس عشر مع الشكل الاول شكلا يكون اثنا ستة عشر  
 ثم ~~يصحكون~~ على الخط كله بما اقتضته أشكال من السعودة والعوسمة بالذات  
 والنظر والحلول والامتزاج والدلالة على أصناف الموجودات وسائر ذلك فصحا غريبا  
 وكثرت هذه الصناعة في العمران ورضعت فيها التآليف واشتهر فيها الاعلام من  
 المتقدمين والمتأخرين وهي كآيات تحكيم وهوى والتحقق الذي ينبغي أن يكون  
 نسب فكل من أن القيوب لا تدرك بصناعة البتة ولا سبيل الى تعرفها الا للخواص من  
 البشر المقطوعين على الرجوع عن عالم الحس الى عالم الروح ولذلك يسمى التجمعون هذا

الصنف كلهم بالزهرين نسبة الى ما تقتضيه دلالة الزهرة بزعمهم في أصل مواليدهم على ادراك الغيب فالخط وغيره من هذه ان كان الناظر فيه من أهل هذه الخاصية وقصد بهذه الامور التي يتطرق فيها من النقط أو العظام وغيرها اشغال الحس لترجع النفس الى عالم الروحانيات لحظة ما فهو من باب الطرق بالخصى والنظر في قلوب الحيوانات والمرأيا الشافقة كما ذكرناه وان لم يكن كذلك وانما قصد معرفة الغيب بهذه الصناعة وأنما تفيد ذلك فهد من القول والعمل والله يهدي من يشاء \* والعلامة لهذه القطرة التي فطر عليها أهل هذا الادراك الغيبي أنهم عند توجههم الى تعارف الكائنات يعتبرهم خروج عن حالتهم الطبيعية كالنثاوب والتمطط وبمادى الغيبة عن الحس ويختلف ذلك بالقوة والضعف على اختلاف وجودها فيهم فمن لم توجد له هذه العلامة فليس من ادراك الغيب في شيء وانما هو ساع في تحقيق كذبه

(فصل) ومنهم طوائف يضعون قوانين لاستخراج الغيب ليست من الطور الاذلي الذي هو من مدارك النفس الروحانية ولا من الحدس المبني على تأثيرات التجويم كما زعمه بطليموس ولا من الظن والتخمين الذي يحاول عليه العرافون وانما هي مغالط يجعلونها كالمبادئ لاهل العقول المستضعفة ولست أذكر من ذلك الا ما ذكره المصنفون وولع به الخواص \* فمن تلك القوانين الحساب الذي يسمونه حساب التيم وهو مذكور في آخر كتاب السياسة المنسوب لارسطو يعرف بالغالب من المغالط في التمارين من الملوك وهو أن تحسب الحروف التي في اسم أحدهما بحساب الجمل المصطلح عليه في حروف أبيجد من الواحد الى الالف اعدادا وعشرات ومئين وألوف فاذا حسبت الاسم وتحصل للثمنه عدد فاحسب اسم الآخر كذلك ثم اطرح كل واحد منهما تسعة تسعة واحفظ بقية هذا بقية هذا ثم انظر بين العددين الباقيين من حساب الاسمين فان كان العددين مختلفين في الكمية وكانا معا زوجين أو فردين معا فصاحب الأقل منهما هو الغالب وان كان أحدهما زوجيا والاخر فردا فصاحب الاكثر هو الغالب وان كانا متساويين في الكمية وهما معا زوجان فالملطوب هو الغالب وان كانا معا فردين فالطالب هو الغالب ويقال هنالك بيتان في هذا العمل اشتهرا بين الناس وهما

أرى الزوج والافراد يسموا قلها \* وأكثرها عند التخالف غالب  
ويطلب مطلوب اذا الزوج يسموى \* وعند استواء الفرد يغلب طالب  
ثم وضعوا المعرفة ما بقي من الحروف بعد طرحها تسعة فانها معروفة عندهم في طرح تسعة وذلك أنهم جعلوا الحروف الدالة على الواحد في المراتب الاربع وهي ا



الدالة على الواحد وى الدالة على العشرة وهي واحد في مرتبة العشرات و في  
 الدالة على المائة لانها واحد في مرتبة المئين و ش الدالة على الالف لانها واحد  
 في مرتبة الالف وليس بعد الالف عدد يدل عليه بالحروف لان الشين هي آخر  
 حروف أبجد ثم تروا هذه الحروف الاربعة على نسق المراتب فكان منها كلمة رباعية  
 وهي ايقش ثم فعلوا ذلك بالحروف الدالة على اثنين في المراتب الثلاث واسقطوا  
 مرتبة الالف منها لانها كانت آخر حروف أبجد فكان مجموع حروف الاثنين  
 في المراتب الثلاث ثلاثة حروف وهي ب الدالة على اثنين في الاحاد و ل الدالة  
 على اثنين في العشرات وهي عشرون و ر الدالة على اثنين في المئين وهي مائتان  
 وصبروها كلمة واحدة ثلاثية على نسق المراتب وهي بكر ثم فعلوا ذلك بالحروف الدالة  
 على ثلاثة فتشأت عنها كلمة جلس وكذلك الى آخر حروف أبجد وصارت تسع  
 كلمات نهاية عدد الاحاد وهي ايقش بكر جلس دمت هنت وصخر زعد حفظ  
 طضع مرتبة على توالى الاعداد ولكل كلمة منها عدد الذي هي في مرتبة فالواحد  
 لكلمة ايقش والاثنان لكلمة بكر والثلاثة لكلمة جلس وكذلك الى  
 التاسعة التي هي طضع فتكون لها التسعة فاذا ارادوا طرح الاسم تسعة فنظروا كل  
 حرف منه في أى كلمة هو من هذه الكلمات وأخذوا عددها مكانه ثم جمعوا الاعداد  
 التي يأخذونها بدل من حروف الاسم فان كانت زائدة على التسعة أخذوا ما فضل  
 عنها والاخذوه كما هو ثم يفعلون كذلك بالاسم الاخر وينظرون بين الخارجين بما  
 قد مناه والسرفى هذا القانون بين وذلك ان الباقي من كل عقد من عقود الاعداد  
 بطرح تسعة انما هو واحد فكانه يجمع عدد العقود خاصة من كل مرتبة فصارت  
 اعداد العقود كما أنها آحاد فلا فرق بين الاثنين والعشرين والمائتين والالفين  
 وكلها اثنان وكذلك الثلاثة والثلثون والثلثمائة والثلاثة الالف كلها ثلاثة ثلاثة  
 فوضعت الاعداد على التوالي دالة على اعداد العقود لا غير وجعلت الحروف الدالة  
 على أصناف العقود في كل كلمة من الاحاد والعشرات والمئين والالف رصا بعدد  
 الكلمة الموضوع عليها تايعن كل حرف فيها سواء دل على الاحاد والعشرات  
 أو المئين فيؤخذ عدد كل كلمة عوضا من الحروف التي فيها وتجمع كما هي آخرها  
 كما قلناه هذا هو العمل المتداول بين الناس منذ الامر القديم وكان بعض من لقيناه  
 من شيوخنا يرى أن الصحيح فيها كملت أخرى تسعة مكان هذه ومتوالية كتواليها  
 ويقولون بها في الطرح بتسعة مثل ما يفعلونه بالآخرى سواء وهي هذه أرب يسق  
 جزلط مدوص هف تحذن عش خغ نضظ تسع كلمات على توالى العدد

ولكل كلمة منها عهدا الذي في مرتبة فيها الثلاثي والرابعي والثاني وليست  
جارية على أصل مطرد كما تراها لكن كان شيوخنا يتناولون من شيخ المغرب  
في هذه المعارف من السيميا وأسرار الحروف والنجامة وهو أبو العباس بن البناء  
ويقولون عنه أن العمل بهذه الكلمات في طرح حساب النجوم أصح من العمل  
بكلمات ايقش والله أعلم كيف ذلك وهذه كلها مدارك للغيب غير مستندة إلى برهان  
ولا تحقيق والكاتب الذي وجد فيه حساب النجوم غير معزى إلى أرسطو وعند المحققين  
لما فيه من الآراء البعيدة عن التحقيق والبرهان يشهد ذلك تصفحه إن كنت  
من أهل الرسوخ اه ومن هذه القوانين الصناعية لاستخراج القيوب فيما يزعمون  
الزايحة المسماة بزايحة العالم المعززة إلى أبي العباس سيدي أحمد السبكي من  
أعلام المتصوفة بالمغرب كان في آخر المائة السادسة بمراكش ولعهدي أبي يعقوب  
المتصور من ملوك الموحدين وهي غريبة العمل صناعة وكثير من الخواص يولعون  
بإفادة القيب منها بعلمها المعروف المعروف فيصرون بذلك على حد رمزه وكشف  
غامضه وصورتها التي يقع العمل عندهم فيها دائرة عظيمة في داخلها دوائر متوازية  
للأفلاك والعناصر والمكونات والروحانيات وغير ذلك من أصناف الكائنات والعلوم  
وكل دائرة مقسومة بأقسام فلذلكها أما البروج وأما العناصر أو غيرهما وخطوط  
كل قسم مارة إلى المركز ويظهر فيها الأوتار وعلى كل وتر حروف متتابعة موضوعة  
فمنها برشوم الزمان التي هي أشكال الأعداد عند أهل الدواوين والحساب بالمغرب  
لهذا العهد ومنها برشوم الغبار المتعارفة في داخل الزايحة وبين الدوائر أسماء  
العلوم ومواضع الأكوان وعلى ظاهر الدوائر جدول متكرر البيوت المتقاطعة  
طولا وعرضا يشتمل على خمسة وخمسين يتنافى العرض ومائة واحد وثلاثين في الطول  
جوانب منه معمورة البيوت تارة بالعدد وأخرى بالحروف وجوانب خالية  
البيوت ولا تعلم نسبة تلك الأعداد في أوضاعها ولا القسمة التي عينت البيوت الهامة  
من الخالية وحقا في الزايحة آيات من عروض الطويل على روى اللام المنصوية  
تتضمن صورة العمل في استخراج المطلوب من تلك الزايحة إلا أنهم من قبيل  
الانفاز في عدم الوضوح والجلالة وفي بعض جوانب الزايحة يتنم من الشعر  
منسوب لبعض أكابر أهل الدلائل بالمغرب وهو مالك بن وهيب من علماء أشيلية  
كان في الدولة الممتونية ونقض البيت

سؤال عظيم الخلق حزن فصن ادن \* غرائبك ضبطه الجده مثلا  
وهو البيت المتداول عندهم في العمل لاستخراج الجواب من السؤال في هذه

الزايرة وغيره فإذا أرادوا استخراج الجواب عما يسئل عنه من المسائل ~~كتبوا~~  
 ذلك السؤال وقطعوه خروفا ثم أخذوا الطالع لذلك الوقت من بروج الثقل ودرجها  
 وعملوا الى الزايرة ثم الى الوتر المكتشف بها بالبرج الطالع من أوله باز الى المركز  
 ثم الى محيط الدائرة قبة الطالع فأخذون جميع الحروف المكتوبة عليه من أوله الى  
 آخره والاعداد المرسومة بينهما ويصبرونها حروفاً بحساب الجمل وقد يتقنون أحادها  
 الى العشرات وعشراتهما الى المئين وبالعكس فيهما كما يتضيه قانون العمل عندهم  
 ويضعونها مع حروف السؤال ويضيفون الى ذلك جميع ما على الوتر المكتشف بالبرج  
 الثالث من الطالع من الحروف والاعداد من أوله الى المركز فقط لا يتجاوزونه الى  
 المحيط ويضفون بالاعداد ما فعلوه بالأول ويضيفونها الى الحروف الاخرى ثم  
 يقطعون حروف البيت الذي هو أصل العمل وقانونه عندهم وهو بيت مالك بن وهيب  
 المتقدم ويضعونها ناحية ثم يضربون عدد درج الطالع في أس البرج وأسسه عندهم  
 هو بعد البرج عن آخر المراتب عكس ما عليه الأس عند أهل صناعة الحساب  
 فانه عندهم البعد عن أول المراتب ثم يضربونه في عدد آخر يسعونه الأس الأكبر  
 والدور الاصل ويدخلون بما تجميع لهم من ذلك في بيوت الجدول على قوانين معروفة  
 وأعمال مذكورة وأدوار معدودة ويستخرجون منها حروفاً ويسقطون أخرى  
 ويقابلون بجمعهم في حروف البيت ويتقنون منه ما يتقنون الى حروف السؤال  
 وما معها ثم ينظر حروف تلك الحروف بأعداد معلومة يسعونها الادوار ويخرجون في  
 كل دور الحرف الذي ينتهي عنده الدور بما ورون ذلك بعدد الادوار المعينة عندهم  
 لذلك فيخرج آخرها حروف متقطعة وتعرف على التوالي قصير كملت منظومة في  
 بيت واحد على وزن البيت الذي يقابل به العمل ورويه وهو بيت مالك بن وهيب  
 المتقدم حسبما ذكر ذلك كله في فصل العلوم عند كيفية العمل بهذه الزايرة \*  
 وقد رأينا كثيراً من الخواص يتهاقنون على استخراج الغيب منها بتلك الاعمال  
 ويحسبون أن ما وقع من مطابقة الجواب للسؤال في توافق الخطاب دليل على مطابقة  
 الواقع وليس ذلك بصحيح لانه قد مر أن الغيب لا يدرك بأمر صناعي البتة وانما  
 المطابقة التي فيها بين الجواب والسؤال من حيث الان فهم والتوافق في الخطاب حتى  
 يكون الجواب مستقيماً وموافقاً للسؤال ووقوع ذلك بهذه الصناعة في تكبير  
 الحروف المجتمعة من السؤال والادوار والدخول في الجدول بالاعداد المجتمعة من  
 ضرب الاعداد المتروضة واستخراج الحروف من الجدول بذلك وطرح أخرى  
 ومعاودة ذلك في الادوار المعودة ومقابله ذلك كله بحروف البيت على التوالي غير

مستنكر وقد يقع الاطلاع من بعض الاذكياء على تناسب بين هذه الاشياء فيقع له  
 معرفة الجهول فالتناسب بين الاشياء هو سبب الحصول على الجهول من المعارف  
 الحاصل للنفس وطريق لحصوله سيما من أهل الرياضة فانها تقيده العقل قوة على  
 القياس وزيادة في الفكر وقد متر على ذلك غير مرة ومن أجل هذا المعنى فسمون  
 هذه الزاوية في الغالب لاهل الرياضة فهي منسوبة للسبق ولقد وقعت على أخرى  
 منسوبة لتسهل بن عبد الله ولعمري انها من الاعمال الغريبة والمعاينة العجيبة  
 والجواب الذي يخرج منها فالسرفى خروجه منظوما يظهر لى أعماهاو المقابلة بحروف  
 ذلك البيت ولهذا يكون النظم على وزنه ورويه ويدل عليه أنا وجدنا أعمالا أخرى  
 لهم في مثل ذلك أسقطوا فيها المقابلة بالبيت فلم يخرج الجواب منظوما كما تراهم عند  
 الكلام على ذلك في موضعه وكثير من الناس تضيق مداركهم عن التصديق بهذا  
 العمل وتفوزوا الى المطلوب فينكر صحتها ويحسب أنها من التخيلات والايهامات  
 وأن صاحب العمل بها ثبت حروف البيت الذي ينظمه كما يريدين أثناء حروف  
 السؤال والاوتار ويقل تلك الصناعات على غير نسبة ولا قانون ثم يجيى ما لبيت  
 ويوهم أن العمل جاء على طريقة منضبطة وهذا الحديان توهم فاسد حمل عليه القصور  
 عن فهم التناسب بين الموجودات والمعدومات والتفاوت بين المداد والعقول  
 ولا يمكن من شأن كل مدرك انكار ما ليس في طوقه ادراكه ويكتفى في رد ذلك  
 مشادة العمل بهذه الصناعة والحدس القطعي فانها جاءت بعمل مطرد وقانون  
 صحيح لا مريية فيه عند من يسائر ذلك من لذكاه وحدهن واذا كان كثير من المعايات  
 في العدد الذي هو وضع الواضحات بعصر على الفهم ادراكا بعد النسبة فيه وخفائها  
 فخطئك بمثل هذا مع خفاء النسبة فيه وغرابتها فلنذكر مسئلة من المعايات ينضج لك  
 جهاني مما ذكرنا مثاله لو قيل لك خذ عددا من الدراهم واجعل بازا ~~ص~~ كل  
 درهم ثلاثة من الفلوس ثم اجمع الفلوس التي أخذت واشتر بها طائرا ثم اشتر بالدراهم  
 كلها طيرا رابعا ذلك الطائر فكم الطيور المشتراة بالدراهم فجاوبه أن تقول هي  
 تسعة لانك تعلم أن فلوس الدراهم أربعة وعشرون وأن الثلاثة تنهوا عن عدة أعنان  
 الواحدة ثمانية فاذا اجعت الثمن من الدراهم الى الثمن الآخر فكان كله ثمن طائره هي  
 ثمانية طيور عدة أعنان الواحد تزيد على الثمانية طائرا آخر وهو المشتري بالفلوس  
 المأخوذة أولا وعلى سعره اشترى بالدراهم فتكون تسعة فأت ترى كيف خرج  
 لك الجواب المضمر بسر التناسب الذي بين اعداد المسئلة والوهم أول ما يلقى اليك هذه  
 وأمثالها انما يجعله من قبيل الغيب الذي لا يمكن معرفته وظهر أن التناسب بين

الامور هو الذي يخرج مجهولها من معلومها وهذا انما هو في الواقعات الحاصلة في الوجود أو العلم وأما الكلمات المستقبلة اذ لم تعلم أسباب وقوعها ولا شئت لها خبر صادق عنها فهو غيب لا يمكن معرفته واذا تبين لك ذلك فالاعمال الواقعة في الزايرة كلها انما هي في استخراج الجواب من ألقاظ السؤال لانها كما رأيت استنباط حروف على ترتيب من تلك الحروف بعينها على ترتيب آخر وسر ذلك انما هو من تناسب بينهما يطلع عليه بعض دون بعض فمن عرف ذلك التناسب تيسر عليه استخراج ذلك الجواب بتلك القوانين والجواب يدل في مقام آخر من حيث موضوع ألقاظه وتراكيبه على وقوع أحد طرف السؤال من نفي أو اثبات وليس هذا من المقام الاقل بل انما يرجع لمطابقة الكلام لما في الخارج ولا سبيل الى معرفة ذلك من هذه الاعمال بل البشر محجوبون عنه وقد استأثر الله بعلمه واقفه به لم وأنتم لاتعلمون

### ( الفصل الثاني )

في العمران البدوي والامم الوحشية والقبائل و ما يعرض في ذلك من الاحوال وفيه اصول وتمهيدات

### ١ ( فصل في ان اجيال البدو والحضر طبيعية )

• (اعلم) • ان اختلاف الاجيال في احوالهم انما هو باختلاف فحلهم من المعاش فان اجتماعهم انما هو للتعاون على قصده والابتداء بما هو ضروري منه وتنشيط قبل الحياجي والكمالي فتمهم من يستعمل القلع من القراصة والزراعة ومنهم من يتنقل القيام على الحيوان من الغنم والبقرة والعز والنحل والله ودلتها واستخراج فضلاتها وهؤلاء القائمون على القلع والحيوان تدعوهم الضرورة ولا بد الى البدو لانه متسع لما لا يتسع له الحواضر من المزارع والقدن والمسارح للحيوان وغير ذلك فـ كان لا يتصور هؤلاء بالبدو امر اضروريالهم وكان حينئذ اجتماعهم وتعاونهم في حاجاتهم وبعثهم وعمرانهم من القوت والكن والدفا انما هو بالمقصد الذي يحفظ الحياة ويحصل بركة العيش من غير من يدعي له للجهز عا واذ ذلك ثم اذا اتسعت احوال هؤلاء المتحضرين للمعاش وحصل لهم ما فوق الحاجة فمن الغنى والرفه دعاهم ذلك الى السكون والدعة ولما وافي الزائد على الضرورة واستكثر وامن الاقوات والملابس والتأتق فيها وتوسعة البيوت واختطاط المدن والامصار للتخصر ثم تزيد احوال الرفه والدعة فتجي عوائد الترف البالغة مبالغة في التأتق في علاج

القوت واستجابة المطامح واستقاء الملابس الفاخرة في أنواعها من الحرير والدياج وغير ذلك ومعالجة البيوت والصروح واحكام وضعها في تصيدها والانتباه في السناقع في الخروج من القوة الى الضعف الى غاياتها فيتحذرون التصور والمنازل ويجرون فيها المياه ويعالون في صرحها ويباعون في تصيدها ويحفظون في استجابة ما يتخذونه لمعاشرهم من ملابس وأفراس وأتية وماعون وهذا لهم الحضر ومعناه الحاضر من أهل الامصار والبلدان ومن هؤلاء من يتصل في معاشه الصنائع ومنهم من يتصل التجارة وتكون مكاسبهم أنحى وأرفه من أهل البدول لأن أحوالهم زائدة على الضرورى ومعاشهم على نسبة وجدهم قد تدعى أن أجيال البدو والحضر طبيعية لا يدينهما كما قلناه

## ٢ ( فصل في ان جيل العرب في الخلقة طبيعي )

قد قدّمنا في الفصل قبله أن أهل البدو هم المتصلون للمعاش الطبيعي من القطع والقيام على الاتعام وأنهم مقتصرون على الضرورى من الاقوات والملابس والمساكن وسائر الاحوال والعوائد ومقصرون عما فوق ذلك من حاجى وكالى يتخذون البيوت من الشعر والوبر أو الشجر أو من الطين والجبانة غير متعمدة انما هو قصد الاستقلال والكن لا موارء وقديما وون الى الغيران والكهوف وأما اقواتهم فيقتاتون بها بسرايعلاج أو بغير علاج البتة الامامسته النار فمن كان معاشهم في الزراعة والقيام بالنخل كان المقام به أرى من القطع وهذا مكان المداشر والقرى والجبال وهم عامة البربر والاعاجم ومن كان معاشه في السائمة مثل الغنم والبقرفهم ظعن في الاغلب لا ريتاد المسارح والمياه لحيو اناتهم فالنقل في الارض أصعب بهم ويعمون شايوة ومعناه القاشقون على الشتاء والبقرو لا يعدون في القفر لقصد ان المسارح الطبية وهذا مثل البربر والتركوا وخوانهم من التركان والصقالبة وأتامن كان معاشهم في الابل فهم أكثر ظعننا وأبعد في القفر مجالا لأن مسارح التلول ونباتها وشجرها لا يستغنى بها الابل في قوام حياتها عن مراعى الشجر والبقرو وورديماحه الملهة والنقل فصل الشتاء في نواحيه قرارا من أدنى البرد الى دقاء هوائه وطلبا لما خسر التناج في رماله اذا ابل أصعب الحيوان فصلا ومخاضا وأحوالها في ذلك الى الدفاء فاضطروا الى ابعاد النجعة ورجعوا ذاتهم الحامية عن التلول أيضا فأرغوا فيه القفار نفرة عن الضعف منهم فكانوا لذلك أشد الناس توحنا وينزلون من أهل الحواضر منزلة الوحش غير المقدور عليه والمختص من الحيوان الهجم وهو لا هم

العرب وفي معناه طعون البروقنة بالغرب والاكراد التركمان والتركيا المشرق  
الا أن العرب أبعد بقعة وأشد اوة لانهم مختصون بالقيام على الابل فقط وهؤلاء  
يقومون عليها وعلى الشيا والبرقمهما فقد تبين لك أن جيل العرب طبيعي لا بد منه في  
العمران والله سبحانه وتعالى أعلم

٣ فصل في ان البدو قدم من الحضرة سابق عليه وان البداوة اصل العمران والامصار مدوله

قد ذكرنا أن البدو هم المقتصرون على الضروري في أحوالهم العاجزون عما فوقه  
وأن الحضرة المعتنون بحاجات الترف والكمال في أحوالهم وعوائلهم ولا شك  
أن الضروري أقدم من الحاجي والكمال وسابق عليه لأن الضروري أصل والكمال  
فرع نأثي عنه فالبدو أصل والمدن والحضر وسابق عليه لما لا أقل مطالب الانسان  
الضروري ولا ينهي الى الكمال والترف الا اذا كان الضروري حاصلًا غشوة  
البداوة قبل رقة الحضارة ولهذا نجد القدن غاية للبدو يجرى اليها وينحى بسبعه  
الى مقترحه منها متى حصل على الرياض الذي يحصل له أحوال الترف وعوائله فأتج  
الى الدعة وأمكن نفسه الى قيادة المدينة وهكذا شأن القبائل المتبذية كلهم  
والحضرى لا يتشوق الى أحوال البداوة الا لضرورة تدعو اليها أو لتقصير عن  
أحوال أهل مدنيته وما يشهد لنا أن البدو أصل للحضر ومتقدم عليه أنا اذا قننا  
أهل مصر من الامصار وجدنا أولية أكثرهم من أهل البدو الذين ناحت به ذلك المصر  
وفي قراءاتهم أيسر وافسكو المصر وعدلوا الى الدعة والترف الذي في الحضرة وذلك  
يدل على أن أحوال الحضارة ناشئة عن أحوال البداوة وأنهم أصل لها ففهمه ثم  
ان كل واحد من البدو والحضر متفاوت الاحوال من جنبه فرب حى أعظم من حى  
وقبله أعظم من قبله ومصر أوسع من مصر ومدينة أكثر عمران من مدينة فقد تبين  
أن وجود البدو متقدم على وجود المدن والامصار وأصل لها بما أن وجود المدن  
والامصار من عوائد الترف والدعة التي هي متأخرة عن عوائد الضرورة المعاشية  
والله أعلم

٤ (فصل في ان اهل البدو اقرب الى الخير من اهل الحضرة)

وسيد ان النفس اذا كانت على القطرة الاولى كانت متبذية لقبول ما يرد عليها  
ويطبع فيها من خيرا وشر فالصلى الله عليه وسلم كل مولود يولد على الفطرة  
فأواه يهودانه أو ينصرانه أو يمجسانه وقد ما سبق اليها من أحد الخلقين بعد  
عن الآخر ويصعب عليها كسايه فصاحب الخير اذا سبق الى نفسه عوائد

الخيرو حصلت لها ملكته بعد عن الشر وصعب عليه طريقه وكذا صاحب الشر  
 اذا سبقت اليه ايضا عوائد أهل الحضرة لكثرة ما يعانوا من قنوت الملاذ وعوائد  
 الترف والاقبال على الدنيا والعكوف على شهوراتهم منها قد تلونت أنفسهم بكثير  
 من مذمومات الخلق والشر وبعدت عليهم طرق الخير ومسالكه بقدر ما حصل لهم  
 من ذلك حتى اقدت هبت عنهم مذاهب الحشمة في أحوالهم فبعد الكثير منهم بقذعون  
 في أقوال الفحشاء في مجالسهم وبين كبارهم وأهل محارمهم لا يصنعهم عنه وازرع  
 الحشمة لما أخذتهم به عوائد السوء في التظاهر بالقواضيل ولا وعلا وأهل البدو  
 وان كانوا مقبلين على الدنيا مثلهم الا أنه في المقدار الضروى لاني الترف ولا في شيء  
 من أسباب الشهوات والذوات ودواعيها فعوائدهم في معاملاتهم على نسبتها  
 وما يحصل فيهم من مذاهب السوء مذمومات الخلق بالنسبة الى أهل الحضرة أقل  
 بكثير فيهم أقرب الى النظرة الاولى وأبعد عما ينطبع في النفس من سوء الملكات بكثرة  
 العوائد المذمومة وقصها فيسهل علاجهم عن علاج الحضرة وهو ظاهر وقد توسع فيما  
 بعد أن الحضارة هي نهاية العمران وخروجها الى الفساد ونهاية الشر والبعد عن  
 الخير فقدمت أن أهل البدو أقرب الى الخير من أهل الحضرة والله يحب المتقين  
 ولا يعترض على ذلك بما ورد في صحيح البخاري من قول الجراح لسلمة بن الأكوع وقد  
 بلغه أنه خرج الى سكنى البادية فقال له ارتددت على عقبيك تعربت فقال لا ولكن  
 رسول الله صلى الله عليه وسلم أذن لي في البدو فاعلم أن الهجرة افترضت أول الاسلام  
 على أهل مكة ليكونوا مع النبي صلى الله عليه وسلم حيث حل من المواطن فيصرونه  
 ويظاهرونه على أمره ويحرسونه ولم تكن واجبة على الاعراب أهل البادية لأن أهل  
 مكة يحسهم من عصية النبي صلى الله عليه وسلم في المظاهرة والحراسة ما لا يحس غيرهم  
 من بادية الاعراب وقد كان المهاجرون يستعيدون بالله من التعرب وهو سكنى البادية  
 حيث لا تجب الهجرة وقال صلى الله عليه وسلم في حديث سعد بن أبي وقاص عند  
 مرضه بمكة اللهم امض لاصحابي هجرتهم ولا تردهم على أعقابهم ومعناه أن وفقهم  
 للملازمة المدينة وعدم التحول عنها فلا يرجعوا عن هجرتهم التي استدوا بها وهو من  
 باب الرجوع على العقب في السعي الى وجهه من الوجهه وقيل أن ذلك كان خاصا  
 بما قبل الفتح حين كانت الحاجة داعية الى الهجرة لقله المؤمنين وأما بعد الفتح وحين  
 كثرت المسلمون واعتزوا وتكفل الله انبياءه بالعصمة من الناس فإن الهجرة ما قطعت حينئذ  
 لقوله صلى الله عليه وسلم لا هجرة بعد الفتح وقيل سقط انشاؤها عن يسلم بعد الفتح  
 وقيل سقط وجوبها عن أسلم وهاجر قبل الفتح والكل مجمعون على أنها بعد الوفاة



ساقطة لأن المصلحة اقترقوا من يومئذ في الاتفاق وانتشروا ولم يبق الافضل السكنى  
 بالمدينة وهو هجرة تقول الخراج لسلة حين سكن البادية ارتدت على عقبك  
 تعربت نبي عليه في ترك السكنى بالمدينة بالاشارة الى الدعاء المأثور الذي قد تمناه وهو  
 قوله ولا تردهم على أعقابهم وقوله تعربت اشارة الى أنه صار من الاعراب الذين  
 لا يهاجرون وأجاب سلة بانكار ما أزمه من الامرين وأن النبي صلى الله عليه وسلم  
 أذن له في البدو ويكون ذلك خاصا به كشهادة خزيمه وعناق أبي بردة أو يكون الخراج  
 انما نفي عليه ترك السكنى بالمدينة ففقه لعلمه يسقط الهجرة بعد الوفاة وأجابه سلة بأن  
 اعتناهم لاذن النبي صلى الله عليه وسلم أولى وأفضل فآثره به واختصه الالمعنى  
 علمه فيه وعلى كل تقدير فليس دليلا على منعة البدو الذي عبر عنه بالتعرب لأن  
 مشروعية الهجرة انما كانت كما علت لمظاهرة النبي صلى الله عليه وسلم وحراسته لامتنة  
 البدو فليس في النعي على تركه هذا الواجب بالتعرب دليل على منعة التعرب والله  
 سبحانه أعلم وبه التوفيق

#### ٥ (فصل في ان اهل البدو اقرب الى الشجاعة من اهل الحضرى)

والسبب في ذلك أن اهل الحضرى القوا جنوبهم على مهاد الراحة والدعة وانغمسوا  
 في التعمير والترف ووصكوا أو أمرهم في المدافعة عن أموالهم وأنفسهم الى والهم  
 والحاكم الذي يسوسهم والحامية التي تولت حراستهم واستناموا الى الاسوار التي  
 تحوطهم والحرز الذي يحول دونهم فلا تهميهم هبة ولا يغفلهم صيد غارتون  
 آمنون قد أقوا السلاح وفوات على ذلك منهم الاجيال وتزولوا منزلة النساء والولدان  
 الذين هم عيال على أبيئهم أو أمهم حتى صار ذلك خلقا يتنزل منزلة الطبيعة وأهل  
 البدو تفرزهم عن المجتمع ويوحشهم في السواحي وبعدهم عن الحامية والتبازهم  
 عن الاسوار والابواب فاقفون بالمدافعة عن أنفسهم لا يكلونهم الى سواهم  
 ولا يثقون فيها بغيرهم فهم دائموا يحملون السلاح وينلقون عن كل جانب في الطرق  
 ويتجافون عن الجوع الاغراق في المجالس وعلى الرجال فوق الاقتاب ويتوجسون  
 للنبات ولهجات ويتقربون في القفر والبيداء مدلين بآسهم واثقين بأنفسهم قد صار  
 لهم البأس خلقا والشجاعة حجة يرجعون اليها متى دعاهم داع أو استنفرهم صرخ  
 وأهل الحضرى مهملوا خلطوهم في البادية أو صاحبوهم في السفر عيال عليهم لا يملكون  
 معهم شيئا من أمر أنفسهم وذلك مشاهد بالعيان حتى في معرفة النواحي والجهات  
 وموارد المياه ومشارع السبل وببذلك ما شرحناء وأصله أن الانسان ابن عوائد

وأوفوه لا ابن طبعته ومن أجبه فالذى ألفه فى الاحوال حتى صار خلقا مملوكا  
رعادة تنزل منزلة الطبيعة والجبلية واعتبر ذلك فى الآدميين بحجده كثيرا وصحوا والله يخلق  
ما يشاء

(فصل فى ان معاناة اهل الحضرة الاحكام مفسدة للباس فيهم ذاهبة بالمصلحة منهم)

وذلك أنه ليس كل أحد مالك أمر نفسه اذ الرؤساء والامراء المملكون لاهل الناس  
قليل بالنسبة الى غيرهم فمن الغالب أن يكون الإنسان فى ملكة غيره ولا بد أن كانت  
الملكه رتيقة وعادلة لا يعانى منها حكم ولا يمنع ومدة كان من تحت يدها مدلين  
بما فى أنفسهم من شجاعة وأوجين واثقين بعلم الوازع حتى صاراهم الادلال جبهة  
لا يعرفون سواها وما اذا كانت الملكة وأحكامها بالقهر والسطوة والاخافة فتكسر  
حينئذ من سورة بأسهم وتذهب المصلحة عنهم لما يكون من التكاليف فى النفوس  
المضطهدة كآيئته وقد نهى عمر سعد ارضى الله عنهما عن مثلها لما أخذ زهرة بن  
حوية سلب الجالوتوس وكانت قيمته خمسة وسبعين ألفا من الذهب وكان اتسع  
الجالوتوس يوم القادسية فقتله وأخذ سلبه فانزعج منه سعد وقال هلا انتظرت فى  
اتباعه اذنى وكتب الى عريستائه فكتب اليه عمر بعد الى مثل زهرة وقد مىلى بما  
صلى به وبقي عليك ما بقى من حرك وتكسر فوقه وتفسد قلبه وأمنى له عمر سلبه وأما  
اذا كانت الاحكام بالعقاب فذهب اللباس بالكلفة لأن وقوع العقاب به ولم  
يدافع عن نفسه يكسبه المذلة التى تكسر من سورة بأسه بلاشك وأما اذا كانت  
الاحكام تأديبية وعلمية وأخفت من عهد الصبا أثرت فى ذلك بعض الشيء لم يرد على  
الخافة ولا نقبادة لا يكون مدلا بأسه ولهذا نجد المتوحشين من العرب أهل البدو  
أشد بأسا ممن تأخذ الاحكام ونجد أيضا الذين يعاونون الاحكام وملكتهم من لندن  
مر باهم فى التأديب والتعليم فى الصنائع والعلوم والديانات ينقص ذلك من بأسهم  
كثيرا ولا يكتفون يدفعون عن أنفسهم عادية بوجه من الوجوه وهذا شأن طلبة  
العلم المتبحرين للقراءة والاختراع والاشغال والامعة الملائسين للتعليم والتأديب فى  
مجالس الوقار والهيبة فيهم هذه الاحوال وذهابها بالمصلحة والباس ولا تستفكر  
ذلك بما وقع فى الصحابة من أخذهم بأحكام الدين والشريعة ولم ينقص ذلك من بأسهم  
بل كانوا أشد الناس بأسا لان الشارع صلوات الله عليه لما أخذ المسلمون عندهم  
كان وازعهم فيه من أنفسهم لما نال عليهم من الترغيب والترهيب ولم يكن يتعليم  
صناعي ولا تأديب تعليمي انما هى أحكام الدين وآدابه المتعلقة تقلايا بأخذون أنفسهم

بها بما ربح ففهم من عقائد الايمان والتصديق فلم تزل سورة بأسهم مستحكمة كما كانت ولم تتخذها أظفار التأديب والحكم قال عمر رضي الله عنه من لم يؤدبه الشرع لا أدبه الله سر ما على أن يكون الوازع لكل أحد من نفسه ويقيناً بأن الشارع أعلم مصالح العباد ولما ناقص الدين في الناس وأخذوا بالاحكام الوازعة ثم صار الشرع علماً وصناعة يؤخذ بالتعليم والتأديب ويرجع الناس الى الحضارة وخلق الانقياد الى الاحكام فنقصت بذلك سورة البأس ففقدت أن الاحكام السلطانية والتعليمية مفسدة للبأس لأن الوازع فيها أجنبي وأما الشرعية فغير مفسدة لأن الوازع فيها ذاتي ولهذا كانت هذه الاحكام السلطانية والتعليمية مما تؤثر في أهل الحواضر في ضعف نفوسهم وخضد الشوكه منهم بمعانئهم في ولدهم وكهولهم والبدو يبعزل عن هذه الميزة لبعدهم عن احكام السلطان والتعليم والآداب ولهذا قال محمد بن أبي زيد في كتابه في احكام المعلمين والمتعلمين انه لا ينبغي للمؤدب أن يضرب أحد من الصبيان في التعليم فوق ثلاثة أسواط نقله عن شرح القاضي واحتج له بعضهم بما وقع في حديث بدء الوحي من شأن الفظ وأنه **كان ثلاث مرات وهو ضعيف لا يصلح شأن الفظ** أن يكون دليلاً على ذلك لبعده عن التعليم المعارف والله الحكيم الخبير

#### ٧ (فصل في ان سكنى البدو لا يكون الا للقبائل اهل المعصية)

\* (اعلم) \* أن الله سبحانه وكتب في طبائع البشر الخير والشر كما قال تعالى وهديناه النجدين وقال فالهمها لجورها وتقواها والشر أقرب الخلال اليه اذا أهل في مرمى عوائده ولم يهذب الاقتداء بالدين وعلى ذلك الجمل الغفير الامن وفقه الله ومن أخلاق البشر فيهم الظلم والعدوان بعض على بعض فمن امتدت عينه الى متاع أخيه امتدت

يده الى أخذها الا أن يصده وازع كما قال

والظلم من شيم النفوس فان تجدد \* ذاعنة فلعلة لا ينظم

فأما المدن والامصار فعدوان بعضهم على بعض تدفعه الاحكام والدولة بما مضوا على أيدي من تحتهم من الكافة أن يعتد بعضهم على بعض أو يعدو عليه فهم مكسوحون بحكمة القهر والسلطان عن التظالم الادا **كان** من الحاكم بنفسه أما لعدوان الذي من خارج المدينة فيدفعه سياج الاسوار عند الغنلة أو القرية قليلاً أو الهجر عن المقاومة نهاراً أو يدفعه ذباد الحامية من أعوان الدولة عند الاستعداد والمقاومة وأما أحياء البدو فيخرج بعضهم عن بعض مشايخهم وكبرائهم بما وقر في نفوس الكافة لهم من الوفاق والتعطف وأما حلالهم فأنما يذود عنها من خارج حامية الى من انجباهم

وقديانهم لأمروفين بالشجاعة فيهم ولا يصدق دفاعهم وزيادهم الا اذا كانوا عصبية  
وأهل نسب واحد لانهم بذلك تشتد شوكتهم ويخشى جانيهم اذ نفرة كل أحد على  
نسبه وعصبية أهم وما جعل الله في قلوب عباده من الشفقة والنفرة على ذوى أرحامهم  
وقربائهم موجودة في الطبايع البشرية وبها يكون التعاضد والتناصر وتعظم رغبة  
العدو لهم واعتبر ذلك فيما حكاه القرآن عن اخوة يوسف عليه السلام حين قالوا  
لا يه لئن أكله الذئب ونحن عصبة انا اذا الخاسرون والمعنى أنه لا يتوهم العدو ان  
على أحد جمع وجود العصبة له وأما المتفردون في انسابهم ففضل أن تصيب أحد منهم  
نفرة على صاحبه فاذا أظلم الجوّ بالشر يوم الحرب تسلسل كل واحد منهم بيني وبين  
نفسه حيفة واستبحاشا من التخاذل فلا يقدر من أجل ذلك على سكتى الفقر  
لما أنهم حينئذ طعموا من يلتمهم من الامم سواهم واذا اتين ذلك في السكنى التي  
تحتاج للمدافعة والحماية فبمثلها يتبين لك في كل أمر يحصل للناس عليه من نبوة وأقامة  
ملك أو دعوة أو باع الغرض من ذلك كله انما يتم بالقتال عليه لما في طبايع البشر من  
الاستعصاء ولا بد في القتال من العصبية فاذا كرهنا أن نقاتلهم انا ما تقسدى به فيما  
يورد عليك بهد والله الموفق للصواب

### (فصل في ان العصبية انما تكون من الالتحام بالنسب او ما في معناه)

وذلك أن صلة الرحم طبعية في البشر الا في الأقل ومن صلتها النفرة على ذوى القرى  
وأهل الارحام أن ينالهم ضيم أو تصيبهم هلكة فان القريب يعبد في نفسه غضاظة  
من ظلم قريبه أو العداء عليه ويود لو يحول بينه وبين ما يصله من المعاطب والممالك نزعة  
طبيعية في البشر منذ كانوا فاذا كان النسب المتواصل بين المتناصرين قريبا جدا  
بحيث حصل به الاتحاد والالتحام كانت الوصلة ظاهرة فاستدعت ذلك بغير دها  
ووضوحها واذا بعد النسب بعض الشيء فربما تنوسى بعضها ويبقى منها شهرة فتعمل  
على النفرة لذوى نسبها بالامر المشهور منه فرارا من الغضاظة التي يتوهمها في نفسه  
من ظلم من هو منسوب اليه بوجه ومن هذا الباب الولاء والخلف اذ نفرة كل أحد على  
أهل ولانه وحلفه للثلاثة التي تطلق النفس من اهتمام بآرها وقربائها ونسبها بوجه  
من وجود النسب وذلك لاجل الجمعة الخاصلة من الولاء مثل لجة النسب أو قريبا  
منها ومن هذا تفهم معنى قوله صلى الله عليه وسلم تعلموا من أنسابكم ما تصلون به  
أرحاكم بمعنى أن النسب انما فائدة هذا الالتحام الذي يوجب صلة الارحام حتى تقع  
المناصرة والنفرة وما فوق ذلك مستغنى عنه اذا النسب أمر وهى لاجقيقة له

ونفعه انما هو في هذه الوصلة والالتحام فاذا كان ظاهرا واضحا جل النفوس على طبيعتها من البقرة كالثور واذا كان انما استفاد من الخبر البعيد ضعف فيه الوهم وذهبت فائدة وصار الشغل به مجانا ومن أعمال الله والمهي عنه ومن هذا الاعتبار معنى قولهم النسب علم لا يقع وجهاله لا تفرع عن أن النسب اذا خرج عن الوضوح وصار من قبيل العلوم ذهبت فائدة الوهم فيه عن النفس وانتفت البقرة التي تحمل عليها العصبية فلا منفعة فيه حيث ذوالله سبحانه وتعالى أعلم

٩ ( فصل في ان الصريح من النسب انما يوجد للمتوحشين في المقفر من العرب ومن في معنهم )

وذلك لما اختصوا به من كذا العيش وشطف الاحوال وسوء المواطن جعلهم عليها الضرورة التي عنت لهم تلك القسمة وهي لما كان معاشهم من القيام على الابل وتاجها وحياتها والابل تدعوهم الى التوحش في المقفر عما من شجره وتساكنها في رماله كما تقدم والقفر مكان الشطف والغب فصار لهم الفاعادة وبقيت فيه اوجالهم حتى تمكنت خلقا وجبله فلا ينزع اليهم أحسن الامن ان يساهمهم في حالهم ولا يأنس بهم أحسن الاجيال بل لو وجدوا حدمتهم السبيل الى القفار من حاله وامكنه ذلك لما تركه فيؤمن عليهم لاجل ذلك من اختلاط انسابهم وقساها ولا تزال بينهم محفوفة صريحة واعتد ذلك في مضر من قريش وكثانة وثقيف وبني أسد وهذيل ومن جاورهم من خزاعة كانوا أهل شطف ومواطن غريزات زرع ولا شرع وبعدوا من أرياف الشام والعراق ومعادن الأدم والحبوب كيف كانت انسابهم صريحة محفوفة لم يدخلها اختلاط ولا عرف فيهم شوب \* وأما العرب الذين كانوا بالتلول وفي معادن الحصب للمراعي والعيش من جبر وكهلان مثل نهم وحزام وغسان وطبي وقضاة وايدا فاختلطت انسابهم وتداخلت شعوبهم ففي كل واحد من يوتهم من اختلاف عند الناس ما تعرف وانما لباهم ذلك من قبل العجم ومخاطبتهم وهم لا يعتدرون المحافظة على النسب في يوتهم وشعوبهم وانما هذا للعرب فقط \* قال عمر رضي الله تعالى عنه تعلموا النسب ولا تكونوا كنبط السواد اذا سئل أحدهم عن أصله قال من قرية كذا هذا اي ما خلق هؤلاء العرب أهل الأرياف من الأزد حام مع الناس على البلد الطيب والمراعي الخصبة فكثرت الاختلاط وتداخلت الانساب وقد كان وقع في صدر الاسلام الاتهام الى المواطن فيقال جند قنسر بن جند دمشق جند العواصم وانتقل ذلك الى الاندلس ولم يكن لا طراح العرب أمر النسب وانما كان لاختصاصهم

بالمواطن بعد الفتح حتى عرفوا بها وصارت لهم علامة زائدة على النسب يتميزون بها عند  
أمرائهم ثم وقع الاختلاط في الحواضر مع الجعم وغيرهم وقسدت الانساب بالجلالة  
وقسدت غمرتها من العصبية فاطرحت ثم تلاشت القبائل ودرث فدرث العصبية  
بدورها وبقي ذلك في البدو كما كان والله وارث الارض ومن عليها

## ١٠ ( فصل في اختلاط الانساب كيف يقع )

\* (اعلم) \* أنه من المين أن بعضا من أهل الانساب يسقط الى أهل نسب آخر بقراءة  
اليهم أو حلف أو ولاء أو لفرا من قوم بجناية أصابها فيدعى بنسب هؤلاء ويعتد منهم  
في غمراته من الغفرة والقود وحل الديات وسائر الاحوال واذا وجدت غمرات النسب  
فكانت وجدلانه لامعنى لكونه من هؤلاء ومن هؤلاء الاجريان أحكامهم وأحوالهم  
عليه وكأنه النعم بهم ثم انه قد ينسبى النسب الاقل بطول الزمان ويذهب أهل العلم به  
فيض على الأكثر وما زالت الانساب تنقطع من شعب الى شعب وبتصهم قوم بأخرين في  
الجاهلية والاسلام والعرب والجعم \* وانظر خلاف الناس في نسب آل المنذر  
وغيرهم تبين لك شيء من ذلك ومنه شأن بجيلة في عرقة بن هرثة لما ولده عمر عليهم فسألوه  
الاعظام منه وقالوا هو فبنينا زبى أى دخل ولم يبق وطلبوا أن يولى عليهم جريرا فسأله  
عمر عن ذلك فقال عرقة صدقوا يا أمير المؤمنين أنا رجل من الازد أصيت دعما في قومي  
ولحق بهم وانظروا منه كيف اختلط عرقة ببصلة وليس جلدتهم ودعى بنسبهم حتى  
ترشح للرياسة عليهم ولولا علم بعضهم وشأنهم ولو غفلوا عن ذلك وامتد الزمن لتنسى  
بجيلة وعندهم بكل وجه ومذهب فانهجه واعتبر سر الله في خلقته ومثل هذا كثير  
بهذا العهد ولما قبلهم اليهود والله الموفق للصواب بمنه وفضله وكرمه

## ١١ ( فصل في ان الرياسة لا تزال في نصابها المخصوص من أهل العصبية )

\* (علم) \* أن كل حى أو بطن من القبائل وان ~~صدا~~ أو عصابة واحدة تنسبهم العام  
ففيهم أيضا عصبيات أخرى لانساب خاصة هي أشد الصلابة من النسب العام  
لهم مثل عشيرة واحد أو أهل بيت واحد أو أخوة بنى أب واحد لا مثل بنى العتم  
الاقربين أو الاعداء فهو هؤلاء فعند بنسبهم المخصوص ويشاركون من سواهم  
من العصاب في النسب العام والغفرة تنفع من أهل نسبهم المخصوص ومن أهل  
النسب العام لأنها في النسب الخاص أشد تقرب اللمعة والرياسة فيهم انما  
تكون في نصاب واحد منهم ولا تكون في الكل ولما كانت الرياسة انما تكون  
القلب وجب أن تكون عصبية ذلك النصاب أقوى من سائر العصاب ليقع الغلب

جهلتم الرياضة لاهلها فاذا وجب ذلك نعين أن الرياضة عليهم لا تزال في ذلك النصاب  
المخصوص أهل القلب عليهم اذ لو خرجت عنهم وصارت في العصاب الاخرى النازلة  
عن عصبيتهم في القلب لما تمت لهم الرياضة فلا تزال في ذلك النصاب مستقلة من فرع منهم  
الى فرع ولا تنتقل الا الى الاقوى من فروعها لقلتها من سر القلب لان الاجتماع  
والعصبة بمثابة المزاج المتكون والمزاج في المتكون لا يصلح اذا تكافأت العناصر  
فلا بد من غلبة أحدها واللام يتم التكوين فهذا هو سر اشتراط الغلب في العصبة ومنه  
نعين استمرار الرياضة في النصاب المخصوص بها كما تقررناه

١٢ (فصل في ان الرياضة على اهل العصبة لا تكون في غير نسبهم)

وذلك أن الرياضة لا تكون الا بالقلب والقلب انما يكون بالعصبة كما قدمناه فلا بد في  
الرياضة على القوم أن تكون من عصبة غالبة لعصبتهم واحدة واحدة لان كل عصبة  
منهم اذا احتست بقلب عصبة الرئيس لهم أفرقوا بالاذعان والاسراع والساقط في نسبهم  
بالجمله لا تكون لعصبة قيسم بالنسب انما هو ملحق بزيق وغاية التعصب بالاولاد  
والحلف وذلك لا يوجب لمطلب عليهم البتة واذا فرضنا أنه قد اتهم بهم واختلط وتوحي  
عهده الاول من الالتصاق ولبس جلدهم ودعى بنسبهم فكيف له الرياضة قبل هذا  
الاتصام ولا أحد من خلفه والرياضة على القوم انما تكون متناقلة في منبت واحد  
نعين في القلب بالعصبة فالأولية التي كانت لهذا الملق قد عرف فيها التصاقه من غير  
شك ومنه ذلك الاتصاق من الرياضة حيث تدفك كيف تنوقلت عنه وهو على حال  
الاتصاق والرياضة لا بد وأن تكون مودونة عن مستحقها لقلتها من القلب بالعصبة  
وقد تدور في كثير من الرؤساء على القبائل والعصائب الى انساب يلجعون بها اما  
لمخصوصية فضيلة كانت فاهل ذلك النسب من شجاعة أو كرم أو ذكر كيف اتفق  
فتزعمون الى ذلك النسب وتزعمون بالعدوى في شعوبه ولا يعلمون ما يوقعون فيه  
أنفسهم من القدر في رياستهم والطعن في شرفهم وهذا كثير في الناس لهذا العهد في  
ذلك ما يدعونه فانه جله أنهم من العرب ومنه ادعاءه اولاد قبائل المعروفين بالعجائزين من  
بنى عامر أحد شعوب رغبة أنهم من بنى سليم ثم من الشريد منهم ملحق جدتهم بنى عامر  
نجدار يصنع الحربان واختلط بهم واتهم بنسبهم حتى رأس عليهم ويسموونه بالعجائز  
ومن ذلك ادعاء بنى عبد القوي بن العباس بن توجين أنهم من ولد العباس بن عبد  
المطلب رغبة في هذا النسب الشريف وغلطاً باسم العباس بن عطية بنى عبد القوي  
ولم يدخلوا أحسن العباسيين الى المغرب لانه كان منذ أول دولتهم على دعوة  
العلويين أعدائهم من الادارة والعبيدين فكيف يقطع العباس الى أحسن شعبة

الاولين \* وكذلك ما يدعيه أنسبه زيان ملونه لسان من بن عبد الواحد أنهم من ولد القاسم بن ادريس ذهبا إلى ما اشتهر في نسبهم أنهم من ولد القاسم فيقولون بلسانهم الزناني أنت القاسم أي بنو القاسم ثم يدعون أن القاسم هذا هو القاسم بن ادريس أو القاسم بن محمد بن ادريس ولو كان ذلك صحيحا فغاية القاسم هذا أنه فتر من مكان سلطانه مستعبر بهم فكيف تتم له الرئاسة عليهم في باديتهم وانما هو غلط من قبل اسم القاسم فانه كثيرا الوجود في الادارة فتوهوا أن قاسمهم من ذلك النسب وهم غير محتاجين لذلك فان مثالهم للملك والعزة انما كان بصيتهم ولم يكن بادعاء علوية ولا عباسية ولا شي من الانساب وانما يحمل على هذا المتقربون الى الملوك بنسبنازهم ومذاهم ويشتهر حتى يبعد عن الرد \* ولقد بلغني عن نعيم بن زيان مؤثر سلطانه أنه لما قيل له ذلك أنكروه وقال بلغته الزانية ما معناه أما الدنيا والملك فقلنا بسوقنا لا بهذا النسب وأمانعه في الآخرة فرددوا الى الله وأعرض عن التقرب اليه بذلك \* ومن هذا السلب ما يدعيه بنو سعد بنوخ بن يزيد بن زغبة أنهم من ولد أبي بكر الصديق رضي الله عنه بنو سلالة شبيهة في بدلتهم من توجين أنهم من سليم والزواودة شيوخ رباح أنهم من أعقاب الرامكة وكذا بنوه هي أمراطى بالمشرق يدعون فعلا بلسانهم أنهم من أعقابهم وأما مثال ذلك كثير ورأسهم في قومهم مانعة من ادعاء هذه الانساب كما ذكرناه بل تعين أن يكونوا من صرح ذلك النسب وأقوى عصيانهم فاعتبره واجتنب المغالطة ولا تجعل من هذا الباب الحاق مهدي الموحدين بنسب العلوية فان المهدي لم يكن من منب الرئاسة في هرقة قومه وانما رأس عليهم بعد اشتهاره بالعلم والدين ودخول قبائل المصامدة في دعوته وكان مع ذلك من أهل المنابت المتوسطة فيهم والله عالم الغيب والشهادة

### ١٣ فصل في ان البيت والشرف بالاصالة والحقيقة لاهل

العصية ويكون لغيرهم بالجواز والشبه

وذلك أن الشرف والحسب انما هو بالخلال وسعى البيت أن بعدد الرجل في آياته أشرا فامدح كورين تكون له ولادتهم اياه والانتساب اليهم تجله في أهل بلدته لما وقرق نفوسهم من تجله تائه وشرفهم بخلالهم والناس في نشأتهم وتسلطهم معادن قال صلى الله عليه وسلم الناس معادن خيارهم في الجاهلية خيارهم في الاسلام اذا فقهوا محسنى الحسب راجع الى الانساب وقد بينا أن غرة الانساب وقائدها انما هي العصية للفرقة والتناصر غرض تكون العصية مراهوية ومخشعة والتمت فيها ركني عجمي تكون فائدة النسب أوضح وغرتها أقوى وعلية الانشراق من الآباء زمان في قائدها فيكون الحسب والشرف أصيلا في أهل العصية لوجود غرة النسب وتفاوت



البيوت في هذا الشرف تتفاوت العصية لانه سرها ولا يكون للمنفرد من أهل  
 الامصار بيت الاباهازان فهو مفر خرق من الدعوى واذا اعتبرت الحسب في أهل  
 الامصار وجدت معنما أن الرجل منهم يعد سقا في خلال الخمر ومخالطة أهله مع  
 الركون الى العافية ما استطاع وهذا ما قيل لرسر العصية التي هي غرة الذنب وتعدد  
 الآباء لكنه يطلق عليه حسب بيت بالجار لعلقة ما فيه من تعدد الآباء المتعاقبين  
 على طريقة واحدة من الخمر وسالكه وليس حديا بالحقيقة وعلى الاطلاق وان ثبت  
 أنه حقيقة فيها ما بالوضع القوي فيكون من المشكك الذي هو في بعض مواضعه أولى  
 وقد يكون لبيت شرف أقل بالعصية والخلال ثم ينسبون منه لذهابها بالاضارة  
 كما تقدم ويحتلون بالفار ويسمى في نفوسهم وسواس ذلك الحسب يعتقدون بانفسهم  
 من أشرف البيوت أهل العصاة وليسوا منها في شيء لذهاب العصية جلة وكثير من  
 أهل الامصار والناسئين في بيوت العرب أو العجم لأقل عهدهم وسوسون بذلك وأكثروا  
 ما روى السواس في ذلك لبي اسرائيل فانه كان لهم بيت من أعظم بيوت العالم بالبيت  
 أولا لما قصد في سفهم من الانبياء والرسل من لدن ابراهيم عليه السلام الى موسى  
 صاحب ملتهم وشريعتهم ثم بالعصية ما نساها آتاهم الله من الملك الذي وعدهم  
 به ثم انسفروا من ذلك أجمع وضربت عليهم الذلة والمسكنة وكتب عليهم الجلاء في  
 الارض واقرروا بالاستعباد للكفر الأظلم السنين وما زال هذا السواس مما حبا  
 لهم فحبهم يقولون هذا هاروني هذا من نسل يوشع هذا من عقب كالب هذا من  
 سبط يهوذا مع ذهاب العصية ورسوخ الذل فيهم منذ أحقاب متطاولة وكثير من  
 أهل الامصار وغيرهم المنقطعين في أنسابهم عن العصية يذهب الى هذا المذهب  
 وقد غلط أبو الوليد بن رشد في هذا المذكر الحسب في كتاب الخطابة من تلخيص كتاب  
 المعلم الأول والحسب هو أن يكون من قوم قديم نزلهم بالمدينة ولم يتعرض للمذكراه  
 وليت همى ما الذي يتبعه قدم نزلهم بالمدينة ان لم تكن له عصابة يرب بها جنبه  
 وتقبل غيرهم على القبول منه فكأنه أطلق الحسب على تعدد الآباء فقط مع أن  
 الخطابة انما هي استمالة من تؤثر استمالاته وهم أهل الحل والعقد وأما من لا قدرة  
 له البتة فلا يفتق اليه ولا يقدر على استمالة أحد ولا يستمال هو وأهل الامصار من  
 المضطرب المذنب الآن ابن رشد بن في جيل وبلد يمارسوا العصية ولا آمنوا  
 أحراهم ابق في أمر البيت والحسب على الأمر المشهور من تعدد الآباء على الاطلاق  
 ولم يرجع فيه حقيقة العصية وسر حافى الخطبة والله بكل شيء عليم اه

فصل في ان البيت والشرف المراد بالامتناع فينا هو بهو البهيم لا بالناس

وذلك أناته. ثم أن الشرف بالاصالة والحقيقة انما هو لاهل العصبة فاذا اصطنع  
 أهل العصبة قومًا من غير نبيهم أو استقرقوا المبدان والموالي وألصقوا به كما قلناه  
 ضرب معهم أولئك الموالي والمدطعون بندبهم في تلك العصبة ولبسوا بجلدتها كأنها  
 عصبتهم وحصل لهم من الانتظام في العصبة مساهمة في نبيها كما قال صلى الله تعالى  
 عليه وسلم مولى القوم منهم وسواهم سكان مولى رفقاً ومولى اصطناع وحاف وليس  
 نسب ولادته ينفع له في تلك العصبة اذ هي مباينة لذلك النسب وعصبة ذلك النسب  
 مفقودة لذهاب سرها عند الصامه بهذا النسب الآخر وفقدانه أهل عصبتها فيصير  
 من هو لا يدرج فيهم فاذا تعددت له الآيات في هذه العصبة كان له فيهم شرف وبيت  
 على نسبه في ولايتهم واصطناعهم لا يابى وزهوا الى شرفهم بل يكون أدون منهم على كل  
 حال وهذا شأن الموالي في الدول والخلفه كلهم فانهم انما يشرفون بالرسوخ في ولاه  
 الدولة وخدمتها وتعددا الآيات في ولايتها لا ترى انى موالى الاثر في دولة بنى العباس  
 والى بنى برمك من قبلهم وبنى فوجت كيف أدركوا البيت والشرف وشوا المجد  
 والاصالة بالرسوخ في ولاه الدولة فكان حقه من يحيى بن خالد من أعظم الناس بيتا  
 وشرفا بالنسب الى ولاه الرشيد وقومه لا بالنسب الى الفرس وكذاه والى كل دولة  
 وخلفها انما يكون لهم البيت والحسب بالرسوخ في ولايتها والاصالة في اصطناعها  
 ويحصل نسبة الاقدم من غير نسبها ويبقى لمنى لاعتباره في اصالته ومجده وانما المعتمد  
 نسبة ولانه واصطناعه اذ فيه سر العصبة التى بها البيت والشرف فكان شرفه مستقفا  
 من شرف مواليه وشاؤه من شأنهم فلم يتفقه نسب ولادته وانما بنى مجده نسب الولاه  
 في الدولة ولجة الاصطناع فيها والتربية وقد يكون نسبة الاول في لجة عصبيته ودولته  
 فاذا ذهب وصار ولاؤه واصطناعه في أخرى لم يفقه الاول لذهاب عصبيته وانقطع  
 بالنسبة لوجودها وهذا حال بنى برمك اذ المتقول أنهم كانوا أهل بيت في الفرس من  
 سدة بيوت النار عنددهم ولما صاروا الى ولاه بنى العباس لم يكن بالاول اعتبار وانما  
 كان شرفهم من حيث ولايتهم في الدولة واصطناعهم وما سوى هذا فهوهم قسوس به  
 النفوس الخائفة ولا حقيقة له والوجود شاهد بما قلناه وان أكرمكم عند الله أتقاكم  
 والله ورسوله أعلم

١٥ (فصل في ان نهاية الحسب في العقب الواحد اربعة آيات)

• (اعلم) • أن العالم المنصرى يملأه كائن فاعلم ان ذواته ولأين نسأله  
 فالمكونات من المعدن والنبات وجميع الحيوانات الانسان وغيره كلها فاسدة

بالمعاني **وهكذا** ما يعرض لها من الاحوال وخصوصا الانسانية فالعلوم تنشأ  
 ثم تدرس وكذا الصنائع وأمثالها والحسب من العوارض التي تعرض للتمييز  
 فهو كائن فاسد لا محالة وليس يوجد لاحد من أهل الخلق شرف متصل في آتائه من لدن  
 آدم اليه الا ما كان من ذلك للتي صلى الله عليه وسلم كرامة به وحياطة على السرفيه  
 وأول **صكك** شرف خارجية كما قبل وهي الخروج عن الرياسة والشرف الى الضعة  
 والابتذال وعدم الحسب ومعناه أن كل شرف وحسب فقدمه سابق عليه شأن كل  
 محدث ثم ان نهيته في أربعة آباء وذلك ان باي المجد عالم بما عاين في حياته ومحافظ على  
 الخلال التي هي أسباب كونه وقائه وابته من بعده مباشر لا يه قد سمع منه ذلك وأخذ  
 عنه الا أنه مقصر في ذلك تقصير السامع بالشيء عن المعاني له ثم اذا جاء الثالث كان  
 حظه الاقتفاء والتقليد خاصة فقصر عن الثاني تقصير المقلد عن المجتهد ثم اذا جاء الرابع  
 قصر عن طريقهم جملة وأضاع الخلال الحافظة لبناء مجدهم واحتقرها وتوهم أن  
 ذلك البناء لم يكن بمعانة ولا تكلف وانما هو أمر وجب لهم منذ أول النشأة بمجرد  
 اتساعهم وليس بصابة ولا جلال لما يرى من العجالة بين الناس ولا يعلم كيف كان  
 حدودهم ولا سيما ويتوهم أنه التسبب فقط فربما بنفسه عن أهل عصيته ويرى الفضل  
 له عليهم وتوفا بما يرى فيه من استتباعهم وجهلا بما أوجب ذلك الاستتباع من الخلال  
 التي منها التواضع لهم والاختلاص بجماع قلوبهم فيستقرهم بذلك فينصتون عليه  
 ويحتقرونه ويذبلون منه سواء من أهل ذلك المنبت ومن فروعه في غير ذلك العقب  
 لا لدعاء لعصيتهم كما قلناه بعد الوثوب بما رضونه من خلاله فتتم فروع هذا وتذوي  
 فروع الاول وينهدم بناءه هذا في الملوك **وهكذا** في بيوت القبائل والامراء  
 وأهل العصية أجمع ثم في بيوت أهل الامصار اذا انقضت بيوت نشأت بيوت أخرى  
 من ذلك النسب ان يشاء يذهبكم وبأت يخلق جديد وما ذلك على الله بعزيز واشتراط  
 الاربعة في الاحساب انما هو في الغالب والافتقار الى بيت من دون الاربعة ويتلانشي  
 وينهدم وقد يتصل أمرها الى الخامس والسادس الا في الخطاط وذهاب واعتبار  
 الاربعة من قبل الاجبال الاربعة بان ومباشره ومقلدها ذم وهو أقل ما **يكن**  
 انما الكريم ابن الكريم ابن الكريم يوسف بن يعقوب بن اسحق بن ابراهيم  
 اشارة الى أنه بلغ الغاية من الحمد وفي التوراة ما معناه انا الله ربك طائفي غيوبة مطالب  
 بذنوب الاربعة للجن على الثواب وعلى الروابع وهذا يدل على أن الاربعة الاعقاب غايه  
 في الانسانية والحسب \* ومن كتاب الاماني في اخبار عريف الغواني أن كسرى

قال النعمان هل في العرب قبيلة تشرف على قبيلة قال نعم قال بأى شئ قال من كان له ثلاثة آباء متواليه رؤساء ثم اتصل ذلك بكال الرابع قاليت من قبيلته وطلب ذلك فلم يجد الا آل حذيفة بن بدر النزارى وهم بيت قيس وآل ذى الجذنين بيت شيان وآل الاشعث بن قيس من كندة وآل حاجب بن زرارة وآل قيس بن عاصم المذقرى من بنى تميم فجمع هؤلاء الرط ومن تبعهم من عشائهم وأقصدهم الحكام والمعدول فقام حذيفة بن بدر ثم الاشعث بن قيس لقربائهم من النعمان ثم بسطام بن قيس بن شيان ثم حاجب بن زرارة ثم قيس بن عاصم وخطبوا واثروا فقال كسرى كلهم سيد يصلح لموضعه وكانت هذه البيوتات هي المذكورة في العرب بعد بنى هاشم ومعهم بيت بنى الذيان من بنى الحرث بن كعب بيت اليافى وهذا كله يدل على أن الاربعة الاربعة في الحساب والله أعلم

## ١٦ (فصل في ان الامم الوحشية اقدر على التغلب من سواها)

• (اعلم) • انه لما كانت البداءة سببا في الشجاعة كما قلناه في المقدمة الثالثة لاجرم كان هذا الجبل الوحشى أشد شجاعة من الجبل الاخر فهم اقدر على التغلب وانتزاع ما في أيدي سواهم من الامم بل الجبل الواحد يختلف أحواله في ذلك باختلاف الاعصار فكما نزلوا الارياض وتفنكوا النعيم والقوا عوائد الخصب في المعاش والنعيم نفس من شجاعتهم بمقدار ما نقص من قوتهم وبدوتهم واعتبر ذلك في الحيوانات العجم بدواجن الغنم والبقر الوحشية والحمر اذا زال قوتها بمخالطة الآدميين وأخصب عيشها فكيف يختلف حالها في الاتهاض والشد حتى في مشيتها وحسن أدائها وكذلك الآدمي التوحش اذا أنس وألف وبيده أن تكون السباع والطباع انما هو عن المألوفات والعوائد واذا كان القلب للام انما يكون بالاقدام والنسالة فمن كان من هذا الاجيال أعرق في البداءة وأكثر وحشا كان أقرب الى التغلب على سواها اذا تقارب في العدد وتكافأ في القوة والعصية وانظر في ذلك شأن مضرمع من قبلهم من حمير وكمهلان السابقين الى الملك والنعيم ومع ربيعة المتوطنين بأرياف العراق ونعيم السابق مضرمع بدوتهم وتقدمهم الآخرون الى خصب العيش وغضارة النعيم كيف أرهقت البداءة حدهم في التغلب فغلبوهم على ما في أيديهم وانتزعوهم منهم وهذا حال بنى طي فربى عامر بن صعصعة وبنى سليم بن منصور من بعدهم لما تآخروا في باديتهم عن سائر قبائل مضرمع واليمن ولم يلبسوا بشئ من دنسهاهم كيف أمسكت حال البداءة عليهم قوة عصيتهم ولم تحلقهم امداً هب الترف حتى صاروا أغلب على الهم منهم وكذا

كل من العرب بل نعيموا عيشا خصبادون الحى - الاخر فان الحى المبدى يكون  
أغلب هو أقدر عليه اذا تكافأ فى القوة والعدد سنة الله فى خلقه

## ١٧ (فصل فى ان الغاية التى تجري اليها العصبية هي الملك)

وذلك لاننا قد متنا ان العصبية هى تكون الحماية والمدافعة والمطالبة وكل أمر يجتمع  
عليه وقت متنا ان الادميين بالطبيعة الانسانية يحتاجون فى كل اجتماع الى وازع وحاكم  
يرزع بينهم عن بعض فلا بد ان يكون متغلبا عليهم تلك العصبية والالم تتم قدرته على  
ذلك وهذا التغلب هو الملك وهو أمر زائد على الرئاسة لان الرئاسة انما هى سود  
وصاحبها متبوع وليس له عليهم قهر فى أحكامه وأما الملك فهو التغلب والحكم  
بالقهر وصاحب العصبية اذا بلغ الى رتبة طلب ما فوقها فذا بلغ رتبة السود والاباء  
ووجد السبيل الى التغلب والقهر لا يتركه لانه مطلوب للنفس ولا يتم اقتدارها عليه  
الا بالعصبية التى يكون بها متبوعا فالتغلب الملكى غاية للعصبية كما رأيت ثم ان القبيل  
الواحد وان كانت فيه ميونات متفرقة وعصبيات متعددة فلا بد من عصبية تكون  
أقوى من جميعها تغلبها وتستبجها وتلجم جميع العصبيات فيها وتصر كإنها عصبية  
واحدة ~~تسمى~~ كبرى والواقع الاقتران المنضى الى الاختلاف والتنازع ولولا دفع الله  
الناس بعضهم ببعض لفسد الارض ثم اذا حصل التغلب تلك العصبية على قومها  
طلب بعلها التغلب على أهل عصبية أخرى بعيدة عنها فان كانوا أو مانعها كانوا  
اقتالا وأنظروا لكل واحدة منهما التغلب على حوزتها وقومها شأن القبائل والامم  
المفترقة فى العالم وان غلبتها واستتبعها التعمت بها أيضا وازدادت قوتها فى التغلب الى  
قوتها وطلبت غاية من التغلب والتحكم أعلى من الغاية الاولى وأبعد وهكذا دائما  
حتى تكافى بقوتهم اقوة الدولة فان أدركت الدولة فى هرمها ولم يكن لها مانع من  
أولياء الدولة أهل العصبيات استولت عليها وانزعجت الامر من يدها وصار الملك  
أجمع لها وان انتهت الى قوتها ولم يشار ذلك هرم الدولة وانما تارن حاجتها الى  
الاستظهار بأهل العصبيات اتعلمتها الدولة فى أوليائها فتظهر على ما بين من  
مقاصدها وذلك ملك آخر دون الملك المستبد وهو كواقع للترك فى دولة بنى العباس  
ولصنهاجة وزنا مع كامة ولبنى حمدان مع ملوك الشيعة من العلوية والعباسية  
فقد ظهر أن الملك هو غاية العصبية وأنها اذا بلغت الى غايتها حصلت للتبعية الملك انما  
بالاستبداد وبالمظاهرة على حسب ما يبعه الوقت المقارن لذلك وان عاقها عن بلوغ  
الغاية عوائق كما نسينه وقتت فى مقامها الى أن يقضى الله أمره

١٨ فصل في ان من عوائق الملك حصول الترف و انتهاز القليل في النعم

وسبب ذلك ان القليل اذا غلبت بعصيته بعض الغلب استولت على النعمة بمقداره وشاركت أهل النعم والخصب في نعمتهم وخصبهم وشربت معهم في ذلك بسهم وحصة بمقدار غلبها واستطهارا الدولة بها فان كانت الدولة من القوة بحيث لا يطمع أحد في انتزاع أمرها ولا مشاركتها فيه أذعن ذلك القليل لولايتها والقنوع بما يستوعبون من نعمتها ويشركون فيه من جبايتها ولم تقسم أموالهم الى شيء من منازع الملك ولا أسبابها انما همستهم النعم والكسب وخصب العيش والسكون في ظل الدولة الى الدعة والراحة والاخذ بمذهب الملك في المباني والملابس والاستكثار من ذلك والتأنيق فيه بمقدار ما حصل من الرياش والترف وما يدعو اليه من نواحي ذلك فتذهب خشونة البداوة وتضعف العصية والبسالة وتنعمون فيما آتاهم من البسطة وتنبشأ بنوهم وأعقابهم في مثل ذلك من الترفع عن خدمة أنفسهم وولاية حاجاتهم ويستنكفون عن سائر الامور الضرورية في العصية حتى يصير ذلك خلقا لهم وسجية فتقص عصيتهم وبسالتهم في الاجيال بعدهم تعاقبها الى أن تنقرض العصية فيأذون بالانقراض وعلى قدر ترفهم ونعمتهم يكون اثر افهم على الفناء فضلا عن الملك فان عوارض الترف والفرق في النعم كسر من سورة العصية التي بها التغلب واذا انقرضت العصية قصر القليل عن المداقة والحماية فضلا عن المطالبة والتمتهم الامم سواهم فتدتين أن الترف من عوائق الملك والله يؤتي ما يشاء

١٩ (فصل في ان من عوائق الملك حصول المذلة للقليل والانقياد الى سوامم)

وسبب ذلك أن المذلة والانقياد كسر ان لسورة العصية وشدة فان انقيادهم ومثلتهم دليل على فقدانها فمارعوا للمذلة حتى يهزوا عن المداقة ومن يهز عن المداقة فأولى أن يكون عاجزا عن المقاومة والمطالبة واعتبر ذلك في بني اسرائيل لما دعاهم موسى عليه السلام الى ذلك الشام وأخبرهم بأن الله قد خصب لهم ملكها كيف يهزوا من ذلك وقالوا انهم اقوام جبارين واننا لن ندخلها حتى يهز جوامعنا أي يهزجهم الله تعالى منها بضرب من قوته غير عصيتنا تكون من يهز انك يا موسى وما عزهم عليهم لحوا وارتكبوا العصيان وقالوا له اذهب أنت وبربك ففانا ولوما ذلك الامم أنسوا من أنفسهم من الهز عن المقاومة والمطالبة كما تنفضه الآية وما يبرز في تفسيرها وذلك بما حصل فيهم من خلق الانقياد ومارعوا من المذل للذلة أحقادا حتى ذهبت العصية منهم بجهة مع أنهم لم يؤمنوا حتى الايمان بجهلهم بموسى من

أن الشأم لهم وأن المخالفة الذين ككناوا بأريحا فربتهم بحكم من الله قدر لهم  
 فأقصروا عن ذلك وعجزوا قويا على ما علوا من أنفسهم من العجز عن المطالبة لما  
 حصل لهم من خلق المذلة وطعنوا فيما أخبرهم به نبيهم من ذلك وما أمرهم به فعاقبهم  
 الله بالتيه وهو أنهم تاهوا في قفر من الأرض ما بين الشأم ومصر أربعين سنة لم يأوا  
 فيها العميران ولا نزحوا مصر ولا خاطوا بشرا كما قصه القرآن لفظه العالة بالشأم  
 والقيط بمصر عليهم لعجزهم عن مقاومتهم كازعموه ويظهر من مساق الآية ومفهوما  
 أن حكمه ذلك التيه مقصودة وهي فناء الجيل الذين خرجوا من قبضة الذل  
 والقهر والفتنة وتغلبوا به وأفسدوا من عصيتهم حتى نشأ في ذلك التيه جيل آخر  
 عزيز لا يعرف الأحكام والقهر ولا يدعوا بالمذلة فنشأت لهم بذلك عصية أخرى اقتدروا  
 بها على المطالبة والتغلب ويظهر لك من ذلك أن الأربيعين سنة أقل ما يأتي فيها فناء جيل  
 ونشأة جيل آخر سبحانه الحكيم العليم وفي هذا أوضح دليل على شأن العصية وأنها هي  
 التي تكون بها المدافعة والمقاومة والحماية والمطالبة وأن من فقدوها عجز عن جيع ذلك  
 كله ويلحق بهذا الفصل فيما يجب المذلة لقبيل شأن المقارم والضرائب فإن القبيل  
 الغارمين ما أعطوا اليدين ذلك حتى رضوا بالمذلة فيه لأن في المقارم والضرائب  
 ضياع ومذلة لا تحسمها النفوس الا اذا استموتت من القتل والتلف وان  
 عصيتهم حينئذ ضعيفة عن المدافعة والحماية ومن كانت عصيته لا تدفع عنه الضيم  
 فكيف له لمقاومة والمطالبة وقد حصل له الانقياد للذل والمذلة بما قلته من  
 قوله صلى الله عليه وسلم في شأن الحرث لما رأى سكة المهرات في بعض ديار الانصار  
 ما دلت هذه اذ يقوم الادب لهم الذل فهو دليل مريح على أن المقارم موجب للذلة  
 هذا الى ما يوجب ذل المقارم من خلق المكر والخديعة بسبب ملكة القهر فاذا رأيت  
 القبيل بالمقارم في ربة من الدل فلا تراع لها بل آخر الدهر ومن هنا يمين لك غلط  
 من يزعم أن زناته بالمغرب كانوا شأوية يؤدون المقارم ان كان على عهدهم من  
 المولود وهو غلط فاحش كما رأيت اذ لو وقع ذلك لما استتب لهم ملك ولا تمت لهم دولة  
 وانظر فيما قاله شهر براز ملك الباب لعبد الرحمن بن زريقا اطل عليه وسأل شهر براز  
 أماته على أن يكون له فقال أنا اليوم منكم يدي في أيديكم وصري معكم فرجا بكم  
 وبارك الله لسواكم وجزيتنا اليكم التضرل لكم والقيام بما تحبون ولا تذولوا بالجزية  
 فتوهنوا فعدوكم فاعتبر هذا فيما قلناه فانه كاف

٢٠ (فصل في ان من علاهات الملوك المتنافس في الجلاله الحيدية والمكس)

لما كان الملك طبعاً للانسان لمناقبه من طبيعة الاجتماع كإقتلناه وكان الانسان  
 أقرب الى خلال الخير من خلال الشر بأصل فطرته وقوته الناطقة العاقلة لأن الشر  
 انجبابه من قبل القوى الحيوانية التي فيه وأما من حيث هو انسان فهو الى الخير  
 وخلافة أقرب والملك والسياسة انما كان له من حيث هو انسان لانها خاصة للانسان  
 لا للحيوان فاذا خلال الخير فيه هي التي تناسب السياسة والملك اذا الخير هو المناسب  
 للسياسة وقد ذكرنا أن المجدلة أصل ينبت عليه وتحقق به حقيقته وهو العصية  
 والعبر رفرع يتم وجوده وبكماله وهو الخلال واذا كان الملك غاية العصية فهو غاية  
 لثرونها وتمتاتها وهي الخلال لأن وجوده دون مقاماته كوجود شمع مقلوع  
 الاعضاء أو ظهوره عن يابن الناس واذا كان وجود العصية فقط من غير اتصال  
 الخلال المحيطة تنصافي أهل البيوت والاحساب فاعطيك بأهل الملك الذي هو غاية  
 لكل مجد ونهاية لكل حسب وأيضاً فالسياسة والملك هي كفالة الخلق وخلافة الله في  
 العباد لتتقيد أحكامه فيهم وأحكام الله في خلقه وعباده انما هي بالخير ومراعاة  
 المصالح كما تشهد به الشرائع وأحكام البشر انما هي من الجهل والشيطان بخلاف  
 قدرة الله سبحانه وقدره فانه فاعل للخير والشر معا وقد رهبنا اذا فاعل سواء فمن  
 حصلت له العصية الكفيلة بالقدره وأرست منه خلال الخير المناسبة لتتقيد أحكام  
 الله في خلقه فقد تم التلافة في العباد وكم كفاية الخلق ووجدت فيه الصلاحية  
 لذلك وهذا البرهان أو ثقي من الأول وأصح معنى قدسيت أن خلال الخير شاهدة بوجود  
 الملك لمن وجدت له العصية فاذا نظرنا في أهل العصية ومن حصل لهم القلب على كثير  
 من النواحي والامم فوجدناهم يتنافسون في الخير وخلافة من الكرم والعفوع  
 الزلات والاحتمال من غير التقادر والقوى للضيوف وحمل الكل وكم كسب المعدم  
 والصبر على المكارة والوفاء بالعهد وبذل الاموال في صوت الاحراض وتغلب الشريعة  
 واجلال العلماء الحاملين لها والوقوف عند ما يحقدونه لهم من فعل أو ترك وحسن  
 الظن بهم واعتقاد أهل الدين والتبرك بهم ورغبة الدعاء منهم والحيامن الاكابر  
 والشافخ وتوقيرهم واجلالهم والانتقاد الى الحق مع الداعي اليه وانصاف  
 المستضعفين من أنفسهم والتبذل في أحوالهم والانتقاد للفق والتواضع للمسكين  
 واحتماع شصكوى المستغنين والتدين بالشرائع والعبادات والقيام عليهم وهي  
 أسبابها والتبافي عن القدر والمكر والخديعة ونقض المهد وأمثال ذلك علمنا أن هذه  
 خلق السياسة قد حصلت لديهم واستقوا بها أن يكونوا أساساً لمن تحت أيديهم أو على  
 العموم وأنه خير ما قام الله تعالى اليهم مناسب لمصيتهم وعلمهم وليس ذلك سدى فيهم



ولا يوجد عبثا منهم والمك أنسب المراتب والخبرات لعصيتهم فعملنا بذلك أن الله تآذن  
لهم الملك وساقه اليهم وبالعكس من ذلك إذا تآذن الله بقراض الملك من أمة جعلهم  
على ارتكاب المذمومات وانفصال الرذائل وسلك طرقها فتفقد الفضائل السياسية  
منهم جهة ولا تزال في انتقاص الى أن يخرج الملك من أيديهم ويقتل به سواهم ليكون  
نعاعليهم في سلب ما كان الله قد آتاهم من الملك وجعل في أيديهم من الخير وإذا أردنا  
أن نهلك قرية أمرنا متريفا ففسدوا فيها الحق عليها القول فدمرناها تدميرا واستقر  
ذلك وتبعه في الامم السابقة تبعده كثيرا عما قبلناه ورسمناه والله يخلق ما يشاء ويختار  
(واعلم) أن من خلال الكمال الذي يتنافس فيها القبائل أو لولا العصية وتكون شاهدتهم  
بالمك أكرام العلماء والصالحين والاشراف وأهل الاحساب وأصناف التجار والغرباء  
وانزال الناس منازلهم وذلك أن اكرام القبائل وأهل العصيات والعشائر  
يشاهدتهم في الشرف ويحاذيهم جبل العشير والعصية ويشاركونهم في اتساع الجاه  
أمر طبيعي يحتمل عليه في الاكثر الرغبة في الجهاد والخفاقة من قوم المكرم أو القماس  
مثلها منه وأما أمثال هؤلاء من ليس لهم عصية تتق ولا جارية تتج فيندفع الشك في  
شأن كرامتهم ويتخصص القصد فيهم أنه لا يجدوا اتصال الكمال في الغلال والاقبال على  
السياسة بالكلية لأن أكرام أقتاله وأمثاله ضروري في السياسة الخاصة بين قبيله  
ونظراته وأكرام الطوائرين من أهل الفضائل والخصوصيات كمال في السياسة العامة  
فالصالحون للدين والعلماء للباب اليهم في اقامة مراسم الشريعة والتجارة للترغيب  
حتى تتم المنفعة بما في أيديهم والغرباء من مكارم الاخلاق وانزال الناس منازلهم من  
الاتصاف وهو من العدل فعلم بوجود ذلك من أهل عصيته انما وهم للسياسة العامة  
وهي الملك وأن الله قد تآذن بوجودها فيهم لوجود علاماتها ولهذا كان أول ما يذهب  
من القبيل أهل الملك إذا تآذن الله تعالى بسلب ملكهم وسلطانهم اكرام هذا الصنف  
من الخلق فإذا رأيتهم قد ذهب من أمة من الامم فاعلم أن الفضائل قد أخذت في  
الذهاب عنهم وارتقب زوال الملك منهم وإذا أراد الله بقوم سوء فلا مرد له والله  
تعالى أعلم

## ٢١ (فصل في ان اذا كانت الامة وحشية كان ملكها اوسع)

وذلك لانهم أقدر على التغلب والاستبداد كما قلناه واسة عباد الطوائف لقد رتبهم على  
مخاربه الامم سواهم ولانهم يتزولون من الاهلين منزلة المفتقر من الحيوانات الجعم  
وهو لا يمثل العرب وزناة ومن في معناهم من الاكراد والتركمان وأهل الشام من

منها جنة وأيضاً فهو لاء المتوحشون ليس لهم وطن يرتافون منه ولا بلد يجنحون اليه فنسبة الاقطار والمواطن اليهم على السواء فلهذا لا يقتصرهم على ملكة قطرهم وما جاورهم من البلاد ولا يفتخرون عند حدود أقطابهم بل يطفرون الى الاقاليم البعيدة ويتغلبون على الامم النائية وانظر ما يحكي في ذلك عن عمر رضي الله عنه لما وبع وقام يحرض الناس على العراق فقال ان الجبال ليس لكم بدا الا على القبة ولا يقوى عليه اهلها الا بذلك أين القراء المهاجرون عن موعدكم مسيروا في الارض التي وعدكم الله في الكتاب أن يورثكموها فقال ليظهره على الذين كله ولو كره المشركون واعتبر ذلك أيضاً بحال العرب السالفة من قبل مثل التبايعه وجبر كيف كانوا يخطون من اليمن الى القرب مرة وإلى العراق والهند أخرى ولم يكن ذلك لقباً للعرب من الامم وكذا حال الملتحقين من المغرب لما نزعوا الى الملك طغروا من الاقاليم الأولى وبجالاتهم منه في جوار السودان الى الاقليم الرابع وانغمس في عمالك الاندلس من غير واسطة وهذا شأن هذه الامم الوحشية فلذلك تكون دولهم أوسع نطاقاً وأبعث من أراضيها نهاية زانته بقدر الليل والليل هو الواحد القهار لا شريك له

٢٢ فصل في ان الملك اذا ذهب عن بعض الشعوب من امة فلا بد من

عوده الى شعب آخر منها ما دامت لهم العصبية

والسبب في ذلك أن الملك انما حصل لهم بعد سورة القلب والاذعان لهم من سائر الامم سواهم فيعين منهم المباشرين للامر الحاملون لسير الملك ولا يكون ذلك لجمعهم لما هم عليه من الكثرة التي يضيق عنها نطاق المزاوجة والغيرة التي تجدد أنوف كثير من المتطاولين للربة فاذا تعين أولئك القاطنون بالدولة انغمسوا في النعيم وغرقوا في بحر الترف والخصب واستعبدوا اخوانهم من ذلك الجيل وأنفقوا هم في وجوه الدولة ومذاهبها وبقي الذين بعدوا عن الامر وكبوا عن المشاركة في ظل من عز الدولة التي شازكوها بنسبهم وبغيباتهم المهرم لبعدهم عن الترف وأسبابه فاذا استولت على الاقاليم الايام وأباد غرضاءهم المهرم فطعنهم الدولة وكل الدهر عليهم وشرب بما أرغفت النعيم من حذهم واشتقت غريرة الترف من مائهم وبلغوا غايتهم من طبيعة الجدين الانساني والغلب السيامي (شعر)

كدود القز ينسج ثم يفتق • بمرکز جسده في الانعكاس

كذلك خلدت عصبية الآخرين موفورة وسورة عليهم من الكامن مخفوفة وشارتهم في الغايين معلومة فتمسوا أعمالهم الى الملك الذي كانوا هموعين منه بالقوة الغالبة من

جنس عصيبتهم وترفع المنازعة لما عرف من غلبهم فيستولون على الامر ويصير اليهم  
وكذا يتفق فيهم مع من يقي أيضا متبذاعنسه من عشائرا تهم فلا يزال الملك الجاني  
الاتة الآن تنكسر سورة العصية منها أوفى سائر عشائرها سنة الله في الحياة  
الدنيا والآخره عند ربك المتقين واعتبر هذا بما وقع في العرب لما انقرض ملك  
عاد قام به من بعدهم اخوانهم من عود ومن بعدهم اخوانهم العمالة ومن بعدهم  
اخوانهم من جبر ومن بعدهم اخوانهم التبايع من جبر أيضا ومن بعدهم الادواء  
كذلك ثم جاءت الدولة للضر وكذا القرص لما انقرض امر الكينية ملك من بعدهم  
الساسانية حتى تأذن الله بانقراضهم أجع بالاسلام وكذا اليونانيون انقرض أمرهم  
واستقل الى اخوانهم من الروم وكذا البربر بالمغرب لما انقرض أمر مغراوة وكلمة  
المالوك الاول منهم رجع الى صنهاجة ثم الملقين من بعدهم ثم المصامدة ثم من يقي من  
شعوب زناتة وهكذا سنة الله في عبادته وخلقه وأصل هذا كله انما يكون بالعصية  
وهي متفاوتة في الاجيال والملك يحلقه الترف ويذهب به كما ذكره بعد فان انقرضت  
دولة فاعايتنا ولي الامر منهم من له عصية مشاركة لعصية عليهم التي عرف لها التسليم  
والاقتصاد وأوس منها الغلب لجميع العصيات وذلك انما يوحى في السب القريب  
منهم لأن تفاوت العصية بحسب ما قرب من ذلك التسب التي هي فيه وبعد حتى اذا  
وقع في العالم تبديل كبير من تحويل ملة أو ذهاب عمران أو مشاء الله من قدره حينئذ  
يخرج عن ذلك الجيل الى الجيل الذي يأذن الله ببقائه بذلك التبديل كما وقع لمصر حين  
غلبوا على الامم والدول وأخذوا الامر من أيدي أهل العالم بعد أن كانوا مكبوحين  
عنه أحقابا

٢٣ فصل في ان المملوك مولع ابدا بالاعتداء بالغالب في شعاره وريه  
وبخلته وسائر احواله وعيونه

والنسب في ذلك أن النفس اذا تعقدت الكمال فيمن غلبها وانقاد اليه انما انظره  
بالكمال بما وقع عسدها من تعطيجه أو لما تقاطع به من أن انقيدها ليس لغلب طبيعي  
انما هو لكان الغالب فادغالطت بذلك واتصل لها حصل اعتقادها فاضلت جميع  
مذاهب العالم وتشبهت به وذلك هو الاقتداء والملازمة والله أعلم من أن غلب الغالب  
لهالين بعصية ولا قوة بأس وانما هو مما يتخلط من العواطف والميذاهب فغالط أيضا  
بذلك من القلبية وهذه لرا جميع للاول والآخرى المملوكين تشبه به أيضا بالغالب في مصلحه  
ومن يصب كبحه من لاله في اقتاده لولا عكسها لكان طفيا سائرا لعلوا في انظار ذلك في

الابناء مع آباءهم كيف تعبدهم منسحبين بهم دائماً وذلك الاعتقادهم التكامل فيهم  
 وانظر الى كل خطر من الاقطار كيف يقلب على أهله زى الحامسة وجند السلطان في  
 الاكر لانهم الغالبون لهم حتى انه اذا صككت أمتجاً ورأى أخرى ولها القلب عليها  
 فيسرى اليهم من هذا التشبه والاعتقاد حفظ كبير كما هو في الاندلس لهذا العهد مع أم  
 الخلافة فانك تجدهم يشبهونهم في ملابسهم وشاراتهم والكثير من عوائدهم  
 وأحوالهم حتى في رسم القاتيل في الجدران والمصانع والبيوت حتى لقد يستشعر  
 من ذلك الناظر بعين الحكمة انه من علامات الاستيلاء والامره \* وتأمل في هذا  
 من قولهم العاقبة على دين الملك فانه من باب اذ الملك غالي بن تحت يده والرجعة مقتدون  
 به لاعتقاد التكامل فيه اعتقاد الابناء بآبائهم والمتعلمين بعلمهم والله العليم الحكيم وبه  
 سبحانه وتعالى التوفيق

٢٤ (فصل في ان الامة اذا غلبت وصارت في ملك غيرها اسرع اليها الفناء)

والسبب في ذلك والله اعلم ما يحصل في الشعوب من التسكسل اذا ملك أمرها عليها  
 وصارت بالاستعداد لا لسواها وعالة عليهم فيقصر الامل ويضعف التناسل والاعتقاد  
 انهم من جنة الامل وما يحدث عنه من النشاط في القوى الحيوانية فاذا ذهب  
 الامل بالتسكسل وذهب ما يدعو اليه من الاحوال وكانت العصبية ذاهبة بالقلب  
 الجاهل عليهم تناقص عمرانهم وتلاشت مكاسبهم ومساعدتهم وعجزوا عن المدافعة عن  
 أنفسهم بل خضعوا للغلب من شوكتهم فأصبحوا مغلبين لكل متغلب طعمة لكل آكل  
 وسواء كانوا احصوا على غايتهم من الملك أو لم يحصلوا وفيه والله أعلم سر آخر وهو أن  
 الانسان رئيس بطبيعته يقتضي الاختلاف الذي خلق له والرئيس اذا غلب على رياسته  
 وكبح عن غاية عزه تسكسل حتى عن شعب بطنه وري كبدته وهذا موجود في اخلاق  
 الاناسي ولقد يقال مثل في الحيوانات المفترسة وانما الاناس اذا كانت في ملكة  
 الآدميين فلا يزال هذا القبيل المملوك عليه أمره في تناقص واضمحلال الى أن  
 يأخذهم الفناء والبقاء وحده واعتبر ذلك في أمة العرب كيف كانت قدماء  
 العالم كثره ولما فئت حامية في أيام العرب بقي منهم كثر وأكثروا كثر من الكثير وقال  
 ان هذا أحصى من وراء الدائن مكنوا مائة ألف وسبعة وثلاثين ألفاً منهم سبعة  
 وثلاثون ألفاً عرب وما اتصلوا في ملكة العرب وقبضة القهر لم يكن يتأولهم  
 الاقليد يذروا كأن لم يكونوا ولا تحسبن أن ذلك لظلم نزلهم أو وعدوان شملهم  
 فلكة الاسلام في العدل لما علمت وانما هي طبيعة في الانسان اذا غلب على أمره

وصار آلة لغيره ولهذا اعتمد عن الرق في الغالب أمم السودان انقص الانسانية فيهم  
وقربهم من عرض الحيوانات البهيم كإقتناء أو من رجعوا بنظامه في ربيعة الرق حصول  
رتبة أو إغادة مال أو عرض كبيع لمالك العرب بالشرق والعروج من الخلافة والفرجة  
بالاندلس فان العادة جارية باستغلال الدولة لهم فلا يأنفون من الرق لما يملونه من  
الجاه والرتبة باصفاء الدولة والله سبحانه وتعالى أعلم به التوفيق

## ٢٥ (فصل في ان العرب لا يتغلبون الا على البسائط)

وذلك أنهم بطبيعة التوحش الذي فيهم أهل انتهاب ويحبون ما قدر واعليه  
من غير مقابلة ولا ركوب خطر ويشرون الى متجنبهم بالنفر ولا يذهبون الى المزاخنة  
والمخاطرة الا اذا دفعوا بذلك عن أنفسهم فكل معقل أو مستعصب عليهم فهم يتركوه  
الى ما يسيل عنه ولا يعرضون له والمائل المتبعة عليهم بأعلا الجبال بمضايقهم هشهم  
وفسادهم لانهم لا يتسبون اليهم الهضاب ولا يركبون الصعاب ولا يصالحون الخطر  
وأما البسائط متى أقدر واعليها بقصدان الحامية وضد الدولة فهي خير لهم  
وطعمة لا كلهم يردون عليها الفاقة والتهب والزخا لسهولة عليهم الى أن يصعب  
أهلها مغلبين لهم ثم يتعاضدونهم باختلاف الأيدي والفراف السياسية الى أن يقرض  
عمرانهم والله قادر على خاقه وهو الواحد القهار لا ريب غيره

## ٢٦ (فصل في ان العرب اذا تغلبوا على اوطان اسرع اليها الخراب)

والسبب في ذلك أنهم أمة وحشية باستحكام موائل التوحش بأسبابه فيهم فصار لهم  
خلقها وجهه وكان عندهم ملذوذ الحاقية من الخروج عن ربيعة الحكم وعدم الانقياد  
للسياسة وهذه الطبيعة منافية للعمارة ومنافضة للفتاة الاحوال العادية كلها  
عندهم الرحلة والتغلب وذلك مناقض للسكون الذي به العمران ومناف له فالجرح مثلا  
انما حاجتهم اليه لئلا ينافي للقدرة فيقلونه من المباني ويجربونها عليه ويعتقونه  
لذلك والخشب أيضا انما حاجتهم اليه ليعمروا به خيامهم ويتخذوا الاوتاد منه لبيوتهم  
فيضربون السقف عليه لذلك فصارت طبيعة وجودهم منافية للبناء الذي هو أصل  
العمران هذا في حالهم على العموم وأضاف عليهم انتهاب ما في أيدي الناس  
وان رزقهم في ظلال زماحهم وليس عندهم في أخذ أموال الناس حتى يمتنون اليه  
بل كلما امتدت أعينهم الى مال أو متاع أو ما عاون انتهبوه فاذا تم اقتدارهم على ذلك  
بالتغلب والمالك بطلت السياسة في حفظ أموال الناس ونزب العمران وأيضلا فلانهم

يتلقون على أهل الاعمال عن الصنائع والحرف أعمالهم لا يرون لها قيمة ولا تقسط من  
 الاحرار والخن والاعمال كما سئد كره هي أصل المكاسب وحققتها وإذا فسدت  
 الاعمال وصارت مجانا ضحفت الآمال في المكاسب وانقبضت الأيدي عن العمل  
 وابتذروا الناس كمن وفداله ميران وأيضاً فانهم ليست لهم عناية بالاحكام وزجر الناس  
 عن المفاسد ودفاع بعضهم عن بعض انما همهم ما يأخذونه من أموال الناس فيها  
 أو يفر ما فإذا توصلوا إلى ذلك حصلوا عليه أو عرضوا عما به دمه من تسديد أحوالهم  
 والنظر في مصالحهم وقهر بعضهم عن أغراض المفاستدور عاترضوا العقوبات  
 في الأموال حرصا على تحصيل الفائدة والحباية والاستكثار منها كما هو شأنهم وذلك  
 ليس بحسن في دفع المفاسد وزجر المتعرض لها بل يكون ذلك رائداً فيها لاستسهال الغرم  
 في جانب حصول الغرض فتبقى الرعايا في ملكتهم كأنها فوضى دون حكم والقوضى  
 مهلكة للبشر ففسد العمران بما ذكرناه من أن وجود الملك خاصة طبيعة للذات  
 لا يستقيم وجودهم واجتماعهم الا بها وتقدم ذلك أول الفصل وأضافهم متنافسون  
 في الرئاسة وقل أن يسلم أحدهم من الامر لغيره ولو كان أباه أو أخاه أو صغيره غيرته  
 الا في الأقل وعلى كرم من أجل الحياة في تعدد الاحكام بينهم والامر ان يختلف الأيدي  
 على الرعية في الحباية والاحكام فيفسد العمران وينقص قال الامراء في الواقع على  
 عهد الملك لئلا يفسد الخراج وأراد التناهي عليه عند بعض السياسة والعمران فقال  
 تركته يظلم وحده وانظر الى ما يملكوه وتقلبوا عليه من الاوطان من لدن الحقيقة  
 كيف تقوض عمرانه وأقفر ساكنه وبذلك الأرض فيه غير الأرض فالين قرارهم  
 خراب الاقليل من الانصار وعراق العرب كذلك قد خرب عمرانه الذي كان للفرس  
 أجمع والشام لهذا العهد كذلك وافريقية والمغرب لما جاز إليها يهودا ل ونبوسليم  
 منذ أقل المائة الخامسة وتخرسوا بها التلخاة وخس من السنين قد لحق بها وعاودت  
 بساطه خراباً كلها بعد ان كان ما بين السودان والبحر الرومي كعه عمران تشهد بذلك  
 آثارا العمران فيهم من المعالم وتنايل البناء وشواهد القرى والمدامر واقعيرت الأرض  
 ومن عليها وهو خير الوارثين

٢٧ فصل في ان العرب لا يحصل لهم الملك الا بصيغة دينية من نبوة

او ولاية او اثر عظيم من الدين على الجملة

والسبب في ذلك أنهم خلقوا في قديم أصعب الامم اقتصادا لبعضهم لبعض  
 للقلطة والافتة وبعد الهممة والمنافسة في الرياسة فخلقوا مجتمعاً أعلا وأهمل فاعادوا

الدين بالنبوة أو الولاية كان الوازع لهم من أنفسهم وذهب خلق الكبر والمناقسة  
منهم فسهل انقيادهم واجتماعهم وذلك بما يشملهم من الدين المذهب للقطعة والافقة  
الوازع عن التماسد والتنافس فإذا كان فيهم النبي أو الولي الذي يعينهم على القيام  
بأمر الله ويذهب عنهم مذمومات الأخلاق يأخذهم بمحمودها ويؤلف كلتهم  
لاظهار الحق ثم اجتماعهم وحصل لهم التغلب والملك وهم مع ذلك أسرع الناس  
قبول الحق والهدى لسلامة طباعهم من عوج الملكات وبراءتهم من ذم الأخلاق  
الاما كان من خلق التوحش القريب المعاناة المتهمة لقبول الخير بقاءه على القطرة  
الاولى وبعبه عما ينطبع في النفوس من قبيح العوائد وسوء الملكات فإن كل مولود  
يولد على الفطرة كما ورد في الحديث وقد تقدم

٢٨ (فصل في ان العرب ابعد الامم عن سياسة الملك)

والسبب في ذلك أنهم أكثر بدابة من سائر الامم وأبعد مجالا في الفقر وأقرب عن  
حاجات التول وجوبها لاعتيادهم الشطط وخشونة العيش فاستغنوا عن غيرهم  
فصعب انقياد بعضهم لبعض لا يلا فهم ذلك والتوحش وزيستهم محتاج اليهم غالبا  
للعصبة التي بها المدافعة فكان مضطرا الى احسان ملكتهم وترؤس امرهم للاستقلال  
عليه شأن عصبة فمكون فيها هلاكة وهلاكهم وسياسة الملك والسلطان تقتضي  
أن يكون السائس وازعما بالقهر والام تستقيم سياسته وايضا فان من طبيعتهم كما  
قدمناه أخذنا في أيدي الناس خاصة والتماع في عماسوى ذلك من الاحكام بينهم ودفاع  
بعضهم عن بعض فاذا ملكوا اتفقوا من الامم جعلوا غاية ملكهم الانتفاع بأخيلنا في  
أيديهم وتر كوا ماسوى ذلك من الاحكام بينهم وربما جعلوا العقوبات على المفاصد في  
الاموال سرا على كثرة الجبايات وتحصيل القوائد فلا يكون ذلك وازعا ورما يكون  
باعثا بحسب الاغراض الباعثة على المفاصد واستهانة ما يعطى من ماله في جانب غرضه  
فتتو المفاصد بذلك ويقع تخريب العمران فتبقى تلك الامة كأنها قوضت مستطيلة  
أيدي بعضهم على بعض فلا يستقيم لها عمران وتخرب سريعا شأن القوض كما قدمناه  
فعدت طباع العرب بذلك ~~ككله~~ عن سياسة الملك وانما يصيرون اليها بعد انقلاب  
طبائعهم وتبدلها بصيغة دنية فتمو ذلك منهم وتجعل الوازع لهم من أنفسهم  
ويتم لهم على دفاع الناس بعضهم عن بعض كاذكرناه واعتبر ذلك بدولهم في الملة لما  
شيد لهم الدين أمر السياسة بالشرعية وأحكامها المراجعة لمصالح العمران يظهرها  
وإبطالها وتتابع فيها الخطا عظم حينئذ ملكهم وقوى سلطانهم فكان يسمى ابنهم أي

المستلين يجتمعون للصلاة يقول كل عركبدي يعلم الكلاب الآداب ثم انهم بعد ذلك  
انقطعت عنهم عن الدولة آجبال بنذوا الدين فسوا السياسة ورجعوا الى قعرهم  
وجعلوا شأن عصيتهم مع أهل الدولة يبعدهم عن الاقتصاد واعطاء النصفة فتوحشوا  
كما كانوا ولم ين لهم من اسم الملك الا أنهم من جنس الخلفاء ومن جيلهم ولما ذهب  
أمر الخلافة وانعمى رومها انقطع الامر جلة من أيديهم وغلب عليهم العجم دونهم  
وأقاموا بادية في قفارهم لا يعرفون الملك ولا سياسته بل قد يجهل الكثير منهم أنهم قد  
كان لهم ملك في القديم وما كان في القديم لاحضن الامم في الخلقة تما كان لاجيالهم  
من الملك ودول عاد وغردود والصالقة وسيدوا اتباعه شاهد بذلك ثم دولة مضر في  
الاسلام بنى أمية وبنى العباس لكن بعد عهدهم بالسياسة لما نسوا الدين فرجعوا الى  
أصلهم من البداوة وقد يحصل لهم في بعض الاحيان غلب على الملوك المستضعفة كما  
في المغرب لهذا العهد فلا يكون ما له وغايته الا تخريب ما يستولون عليه من  
العمران كما قد مناه الله يؤتى ما حكمه من يشاء

٢٩ (فصل في ان البوادي من القبائل والمصائب مغلوبون لأهل الأمصار)

قد تقدم لنا أن عمران البادية ناقص عن عمران الحواضر والامصار لأن الامور  
الضرورية في العمران ليس كلها موجودة لاهل البدو وانما وجد لديهم في مواطنهم  
أمور الفخ وموادها معدومة ومعظمها الصنائع فلا توجد لديهم بالسكينة من شجار  
وخياط وخذاد واما ذلك مما يقيم لهم ضروريات معاشهم في الفخ وغيره وكذا  
الدنانير والدراهم مفقودة لديهم وانما بأيديهم أعراضهم من مغل الزراعة وأعمال  
الحبوان أو فضلاته ألبانها وبارا وأشعارا واهابا مما يحتاج اليه أهل الامصار  
فيعوضونهم عنه بالدنانير والدراهم الا أن حاجتهم الى الامصار في الضروري وحاجة  
أهل الامصار اليهم في الحاجي والسكالي فهم محتاجون الى الامصار بطبيعة  
وجودهم فاداموا في البادية ولم يحصل لهم ملك ولا استيلاء على الامصار فهم  
محتاجون الى أهلها ويتصرفون في مصالحهم وطاعتهم متى دعواهم الى ذلك  
وطالبوهم وان كان في المصرك كان خضوعهم وطاعتهم لغلب الملك وان لم يكن في  
المصرك فلا بد فيه من رياسة ونوع استبداد من يرض أهل على الباقي والانتقص  
عمرانه وذلك الرئيس يحملهم على طاعته والسعي في مصالحه اما طوعا مبذل المال لهم  
ثم يمدى لهم ما يحتاجون اليه من الضروريات في مصره فيستقيم عمرانهم واما كرها  
ان تمت قدرته على ذلك ولو بالتقريب بينهم حتى يحصل له جانب منهم يغالب به الباقي



فمضت الباقيين الى طاعته بما يتوقعون لذلك من فساد عرائهم ورجع اليهم بمقارفة تلك النواحي الى جهات أخرى لأن كل الجهات معجور بالبدو الذين غلبوا عليها ومنعواهم عن غيرهم فلا يجد هؤلاء ملجأ الاطاعة المصروفة بالضرورة مغلوبون لاهل الامصار والله تاهر فوق عبادته وهو الواحد الاحد القهار

الفصل الثالث من الكتاب الاول في الدولة العامة والملك والمراتب السلطانية وما يعرض في ذلك الاحوال ، وفيه قواعد ومبادئ .

١ (فصل في ان الملك والدولة العامة انما يحصل بالقبيل والعصية)

وذلك انما قررنا في الفصل الاول ان المغالبة والمعاينة انما تكون بالعصية لما فيها من النغرة والتذامر واستمالة كل واحد منهم دون صاحبه ثم ان الملك منصب شريف ملذوذ يشغل على جميع انظيرات النبوية والشهوات البدنية والمالاذ النفسانية فيقع فيه التنافس غالباً وقل أن يسلمه أحد لصاحبه الا اذا غلب عليه قوة المنازعة وتفضي الى الحرب والقتال والمغالبة وشئ منها لا يقع الا بالعصية كما ذكرناه آنفاً وهذا الامر بعيد عن افهام الجمهور بالجملة ومنسائون له لانهم نسوا عهد تهديد الدولة منذ اولها وطال أمد مدمر باهم في الحضارة وتعاظم فيها جيل بعد جيل فلا يعرفون ما فعل الله اول الدولة اعتماداً على كون أصحاب الدولة وقد استحكمت صبغتهم ووقع التسليم لهم والاستغناء عن العصية في تهديد أمرهم ولا يعرفون كيف كان الامر من آوله ومآلتي أولهم من المتساعبدونه وخصوصاً أهل الاندلس في نسب ان هذه العصية وأثرها الطول الامد واستغنائهم في الغالب عن قوة العصية بما تلاشى وطنهم وخلان العصاب والله قادر على ما يشاء وهو بكل شئ عليم وهو حسبنا ونعم الوكيل

٢ (فصل في انه اذا استقرت الدولة وتمهدت فقد تستغني عن العصية)

والسبب في ذلك ان الدول العامة في أولها يصعب على النفوس الانقياد لها الا بقوة قوية من الغلب للقرابة وان الناس لم يألفوا ملكها ولا اعتادوه فاذا استقرت الرئاسة في أهل النصاب المخصوص بالملك في الدولة وتوارثوه واحدا بعد آخر في أعقاب كثيرين ودول متعاقبة نسبت النفوس شأن الأولية واستحكمت لاهل ذلك النصاب صبغة الرئاسة ورسخ في القاندين الانقياد لهم والتسليم وقاتل الناس معهم على أمرهم قتالهم على العقائد الايمانية فلم يحتاجوا حينئذ في أمرهم الى كبير عصابة بل كان طاعتها

كتاب الله لا يستدل ولا يعلم خلافه ولا أمر بتأويل الكلام في الإمامة آخر الكلام على  
 العقائد الإجمالية كأنه من جملة حقوقها ~~يكون~~ استظهارهم حيث تدعى على سلطانهم  
 ودولتهم المخصوصة أمّا بالمواثيق والمصطنعين الذين نشأوا في ظل العصبة وغيرها وأما  
 بالعصائب الخارجين عن نسبها الداخلين في ولايتها ومثل هذا وقع لبني العباس فإن  
 عصبة العرب كانت فسدت لهدد دولة المعتصم وابنه الواثق واستظهارهم بعد ذلك  
 إنما كان بالمواثيق من العجم والترك والديلم والسطوق وغيرهم ثم تغلب العجم الأولياء  
 على التواشي وتقلص ظل الدولة فلم ~~تسكن~~ تعدوا أعمال بغداد حتى زحف إليها الديلم  
 وملكوها وصاروا للاتق في حكمهم ثم انقضت أمرهم وملك السطوقية من بعدهم  
 فصاروا في حكمهم ثم انقضت أمرهم وزحف آخر التتار فقتلوا الخلقة ومحو اسم  
 الدولة وكذا صنهاجة بالمغرب فسدت عصبيتهم منذ المائة الخامسة وأما قبلها وإن عزت  
 لهم الدولة مقطعة الظل بالمهدية وبجاية والقلعة وسائر نغور إفريقية وبعثت في  
 تلك الثغور من نازعهم الملك واعتصم فيها والسلطان والمثلث مع ذلك مسلم لهم حتى  
 تأذن الله بأنقاض الدولة وجاء المرحدون بقوة قوية من العصبة في المصادمة فمحو  
 آثارهم و~~سكن~~ أذلة في أمية بالاندلس لما فسدت عصبيتها من العرب استولى ملوك  
 الطوائف على أمرها واقتسموا خطتها وتنافسوا بينهم ووزعوا أعمال الدولة وانقرى  
 كل واحد منهم على ما سكن في ولايته وشيخ يأنفه وبلغهم شأن العجم مع الدولة  
 العباسية فتلقبوا بألقاب الملك وليسوا بأشارته وأمنوا من ينقض ذلك عليهم أو يغروه  
 لأن الأندلس ليس بدراعصائب ولا قبائل كما سئد كره واستمر لهم ذلك كما قال ابن شرف  
 عمارة بن في أرض اندلس \* أسماء معتصم فيها ومعتصم  
 ألقاب ملكة في غير موضعها \* كالتبريحي انتفاخ صورة الاسد

فاستظهروا على أمرهم بالمواثيق والمصطنعين والطرائع على الأندلس من أهل العدو  
 من قبائل البربر وزانة وغيرهم اقتداهم بالدولة في آخر أمرها في الاستظهار بهم حين  
 ضغفت عصبة العرب واستبد ابن أبي عامر على الدولة فكان لهم دول عظيمة استبد كل  
 واحد منها بجانب من الأندلس وحظ كبير من الملك على نسبة الدولة التي اقتسموها ولم  
 ينالوا في سلطانهم ذلك حتى جاز اليهم البحر المار بطون أهل العصبة القوية من لبتونة  
 فاستبدوا بهم وأزالوهم عن مراكزهم ومحو آثارهم ولم يتقدروا على مدافعهم لقصدان  
 العصبة لديهم فهذه العصبة ~~يكون~~ تمهيد الدولة وحجياتها من أولها وقد نطق  
 الطرطوشي أن حامية الدول باطلاق هم الجند أهل العطاء المقرض مع الأهله ذكر  
 ذلك في كتابه الذي سماه مرآة الملوك وكلامه لا يتناول تأسيس الدول العاتية في أولها

وانما هو مخصوص بالدول الاخيرة بعد التمهيد واستقرار الملك في النصاب واستحكام الصيغة للاحل فالرجل انما أدرك الدولة عندهم وما وخلق جذتها ووجوعها الى الاستقلال بالموالي والصنائع ثم الى المستخدمين من ورائهم بالاجر على المدافعة فانه انما أدرك دول الطوائف وذلك عند اختلال دولة بني أمية وانقراض عصبيتها من العرب واستبداد كل أمير بقطره وكان في االة المستعين بن هود وابنه المنظر أهل سر قسطة ولم يكن في لهم من أمر العصبة شيء لا ابتلاء التعرف على العرب منذ ثلثائة من السنين وهلاكهم ولم ير الا سلاطنة استبدت بالملك عن عشائره قد استحكمت له صيغة الاستبداد منذ عهد الدولة بوقية العصبة فهو لذلك لا ينزع فيه ويستعين على أمره بالاجراء من المرتزة فأطلق الطرطوش في القول في ذلك ولم يتفطن لكيفية الامر منذ أقول الدولة وأنه لا يتم الا لاهل العصبة فتفطن أنت له وافهم سره فله فيه والله يوفق ملككم من يشاء

### ٣ (فصل في انه قد يحدث لبعض اهل النصاب الملكي دولة تستغني عن العصبة)

وذلك انه اذا كان لعصبة غلب كثير على الامم والاجيال وفي نفوس القاطنين بأمره من أهل القاصبة اذعان لهم وانقياد فاذا نزع اليهم هذا الخارج واتبذ عن مقر ملكه ومنبت عزه اشتهوا عليه وقاموا بأمره وظاهره على شأنه وعنوا بتمهيد دولته يرجون استقراره في نصابه وتناوله الامر من يداؤه امه وجزاءه لهم على مظاهره باصطفايهم لقب الملك وخططه من وزارة أو قيادة أو ولاية نفرو لا يطمعون في مشاركته في شيء من سلطانه تسليم العصبة وانقياد الما استحكم له ولقومه من صيغة الغلب في العالم وعمق مدة اعجابه استقرت في الاذعان لهم فلوراموها معه أو دونه لزلزلت الارض زلايها وهذا كاقوع للادارسة بالمغرب الأقصى والعبيدين بافريقية ومصر لما اتبذ الطالبليون من المشرق الى القاصبة واتعد واعن مقر الخلافة وجوا الى طلبها من أيدي بني العباس بعد أن استحكمت الصيغة ابني عبد مناف لبني أمية وأولام لبني هاشم من بعدهم فخرجوا بالقاصبة من المغرب ودعوا لانفسهم وقام بأمرهم البربر مرة بعد أخرى فأورية ومغيلة للادارسة وكأمة وصنهاجة وهؤلاء العبيد يرفسبوا دولتهم ومهدوا بعصائهم أمرهم واقتطعوا من ممالك العباسيين المغرب كله ثم افريقية ولم يزل ظل الدولة يتقلص وظل العبيدين يعتمد الى أن ملكهم كوامصر والشام والجزائر وقاصروهم في الممالك الاسلامية شي الا بالة وهؤلاء البربر القاطنون بالدولة مع ذلك كله مسلمون للعبيدين أمرهم مدعونون للملكهم وانما كانوا يتنافسون

في الرتبة عندهم خاصة تسليم الماحصل من جمعة الملتصقين هاشم ولما استحكم من  
القلب لقريش ومضر على سائر الامم فلم يزل الملك في أعقابهم -م الى أن انقرضت دولة  
العرب بأسرها واهلككم لامعقب الحكيمه

٤ فصل في ان الدول العمامة الاستيلاء المنظمة الملك اصلها اللين امامن نبوة او دعوة حق

وذلك لان الملك انما يحصل بالتغلب والتغلب انما يحصل كون بالعصية واتفاق الاهواء  
على المطالبة وجمع القلوب وتآلفها انما يكون بمعونة من الله في اقامة دينه قال تعالى  
لو انفق ما في الارض جميعا ما آلفت بين قلوبهم وسرهم أن القلوب اذا تداعت الى  
أهواء الباطل والميل الى الدنيا حصل التنافس وفشا الخلاف واذا انصرفت الى الحق  
ورفضت الدنيا الباطل وأقبلت على الله اتحدت وجهتهما فذهب التنافس وقل  
الخلاف وحسن التعاون والتعاوض واتسع نطاق الكلمة لذلك فغلظت الدولة كما بين  
لك بعد ان شاء الله سبحانه وتعالى وبه التوفيق لارب سواه

٥ فصل في ان الدعوة الدينية تزيد الدولة في اصلها  
قوة على قوة العصية التي كانت لها من عذر

السبب في ذلك كما تقدمناه أن الصبغة الدينية تذهب بالتناثر والاعساد الذي في أهل  
العصية وتفرق الوجهة الى الحق فاذا حصل لهم الاستعصار في أمرهم لم يقبلهم شيء  
لان الوجهة واحدة المطلوب متسا وعندهم وهم مستعينون عليه وأهل الدولة التي هم  
طالبوها وان كانوا أضعافهم فأغراضهم متباينة بالباطل وتخاذلهم لتقية الموت حصل  
فلا يبقا وموتهم وان كانوا أكثر منهم لم يغلبون عليهم ويعاجلهم الفناء بمقتضى  
من الترف والنل كما تقدمناه وهذا كما وقع للعرب صدور الاسلام في الفتوحات فكانت  
جيوش المسلمين بالقادسية واليرموك بضعا وثلاثين ألفا في كل معسكر وجوع فارس  
مائة وعشرين ألفا بالقادسية وجوع هرقل على مائة الف والاندلس أربع مائة ألف فلم  
يقف للعرب أحد من الجانيين وهزمهم وغلبهم على ما بأيديهم واعتبر ذلك أيضا في  
دولة التتار ودولة الموحدين فقد كان المغرب من القبائل كثيرين يتقدمهم في العدد  
والعصية أو يشف عليهم -م الآن الاجتماع الديني ضاعف قوة عصيتهم بالاستعصار  
والاستقامة كما قلناه فلم يقبل لهم شيء واعتبر ذلك اذا حالت صبغة الدين وفسدت  
كيف ينقض الامر ويصير الغالب على نسبة العصية وحدها دون زيادة الدين فتغلب  
الدولة من كان تحت يدها من العصابات المكافئة لها وأزائدة القوة عليها الذين غلبتهم  
بضاعة الدين أدوتها ولو كانوا أكثر مصيبة منها وأشد بدارا واعتبر هذا في الموحدين

مع زناة المصائد زناة أبدى من المصامدة وأشد قوحا وكان المصامدة الدعوة  
الدينية باتباع المهدي فلبسوا صبغتها وتضاعفت قوة عصيتهم بها فغلبوا على زناة  
أولا واستبعوهم وإن كانوا من حيث العصية والبداءة أشد منهم فلما خلو عن تلك  
الصبغة الدينية انتفضت عليهم زناة من كل جانب وغلبوهم على الأمر وانه عوهم منهم  
واقه غالب على أمره

## ٦ (فصل في ان الدعوة الدينية من غير عصبية لا تتم

وهذا لما قدمناه من أن كل أمر تحمل عليه الكافة فلا بد لمن العصية وفي الحديث  
الصحيح كما مر يابث الله نبياً إلا في منعة من قومه وإذا كان هذا في الأنبياء وهم  
أولى الناس بفرق العوائد فما ظنك بغيرهم أن لا تفرق له العادة في القلب بغير عصبية  
وقد وقع هذا لابن قسي شيخ الصوفية وماحب كتاب خلع التعلين في التصوف ناز  
بالاندلس داعياً إلى الحق وحمي أصحابه بالباطنين قبل دعوة المهدي فاستتب له  
الأمر قليلاً لخل لقوته بملاهم من أمر الموحدين ولم تكن هناك محاسب ولا قبائل  
بدفعوه عن شأنه فلم يلبث حين استولى الموحدين على المغرب أن أذعن لهم ودخل  
في دعوتهم وتابعهم من عقله بحسن أو كسر وأمكنهم من نغره وكان أول داعية  
لهم بالاندلس وكانت قوته تسمى ثورة المرابطين ومن هذا الباب أحوال الثوار القاطنين  
بتغيير المنكر من العادة والقضاء فان كثيراً من المتخلفين للعبادة وسلوك طرق الذين  
يذهبون إلى القيام على أهل الجور من الأمر ادعى إلى تفسير المنكر والنهي عنه  
والأمر بالمعروف ورجاء الثواب عليه من الله فيكثر أتباعهم والمتشبهون بهم من الفوعة  
والدهماء ويعرضون أنفسهم في ذلك لالهالك وأكبرهم به يكون في تلك السبل  
ما زورين غير مأجورين لأن الله سبحانه لم يكتب ذلك عليهم وإنما أمر به حيث تكون  
القدرة عليه قال صلى الله عليه وسلم من رأى منكم منكراً فليغيره بيده فإن لم يستطع  
فليمنه فإن لم يستطع فليقلبه وأحوال الملوك والدول راجعة قوية لا يزعزحها ويهدم  
بنائها إلا المطالبة القوية التي من وراءها عصبية القبائل والعشائر كقادتائه وهكذا  
كان حال الأنبياء عليهم الصلاة والسلام في دعوتهم إلى الله بالعشائر والعصائب  
وهم المؤيدون من الله بالكون كله لو شاء لكنه إنما أجرى الأمور على مستقر العادة والله  
حكيم عليم فإذا ذهب أحسن الناس هذا المذهب وكلن فيه محققاً قصره الانفراد عن  
العصبة فطاح في هوة الهلاك وأما أن كان من التلبس بذلك في طلب الرياسة فأجدر  
أن نعوقه العوائق ونقطع به المهالك لأنه أمر الله لا يتم الإرضاء وعائته والاخلص

له والنصيحة للمسلمين ولا ينشك في ذلك مسلم ولا يرتاب فيه ذو بصيرة وأول ابتداء هذه  
الترعة في الله يغداد حين وقعت قسنة طاهر وقتل الامين وأبطل المؤمنين بجزاسان عن  
مقدم العراق ثم همدل على بن موسى الرضا من آل الحسين فكشف بنو العباس عن  
وجه التكبر عليه وتداعوا للقيام وخلع طاعة المؤمنين والاستبدال منه وبويع  
ابراهيم بن المهدي فوق الهرج يغداد وانطلقت أيدي الزعرة بهما من الشطار  
والخرية على أهل العافية والصون وقطعوا السبل وامتلأت أيديهم من نهاب  
الناس وباعوها علانية في الاسواق واستعدى أهلها الحكام فلم يعدوهم فتوافر أهل  
الدين والصالح على منع الفساق وكشف عاديتهم وقام يغداد رجل يعرف بخالد  
الدريوس ودعا الناس الى الامر بالمعروف والنهي عن المنكر فاجابه خلق وقاتل أهل  
الزعرة فقلبهم وأطلق يده فيهم بالضرب والتشكيل ثم قام من بعده رجل آخر من سواد  
أهل بغداد يعرف بسهل بن سلامة الانصاري ويكنى أبا حاتم وعلق مصحفه في عنقه  
ودعا الناس الى الامر بالمعروف والنهي عن المنكر والعمل بكتاب الله وسنة نبيه صلى  
الله عليه وسلم فاتبعه كافة الناس من بين شريف ووضيع من بني هاشم فن دوتهم  
ونزل قصر طاهر واتخذ الدوان وطاف يغداد ومنع كل من أخاف المارة ومنع  
الخفارة لاولئك الشطار وقاتله خالد الدريوس أبا الأعب على السلطان فقال له سهل  
لكني اقاتل كل من خالف الكتاب والسنة كأننا من كان وذلك سنة احدى وماتين  
وجهز له ابراهيم بن المهدي العساكر فقلبه وأسرهم واغفل أمرهم سريرا وذهبوا بما  
نفسه ثم اقتدى بهم هذا العمل بعد كثير من الموسوسين يأخذون أنفسهم بأقامة الحق ولا  
يعرفون ما يحتاجون اليه في اقامته من العصبة ولا يشعرون بغيبة أمرهم وما ك  
أحوالهم والذي يحتاج اليه في أمر هؤلاء اما المداواة ان كانوا من أهل الجنون واما  
التشكيل بالقتل أو الضرب ان أحدوا هرجا واما اذا دعا الضرية منهم وعقدهم من جهة  
المصالحين وقد يتسبب بعضهم الى القاطمى المنتظرا ما بأنه هرا وبأنه داع له وليس مع  
ذلك على علم من أمر القاطمى ولا ما هو وأكثرا المتخلفين لئلا هذا اتجدهم موسوسين  
أو مجانين أو ملبسين بطلبون بمثل هذه الدعوة رياسة امتلات بها جوارحهم وبجزوا عن  
التوصل اليها بشئ من أسبابها العادية فيجسبون أن هذا من الأسباب الباقية بهم  
الى ما يؤتونه من ذلك ولا يحسبون ما يتألم فيه من الهلكة فيسرع اليهم القتل بما  
يحذرونه من القسنة وتسوء عاقبة صكرهم وقد كلن لأول هذه المائة نرج بالوس  
رجل من المتوفقة يدعى التويزى عمد الى مسجد ماسة ساحل البحر هناك وزعم أنه  
القاطمى المنتظر تليسا على العامة هنالك بملاملة قلوبهم من الحذران بانتظاره

هناك وان من ذلك المجد يكون أصل دعوته فتهاقت عليه طوائف من غائقة البربر  
 تهاقت الفرائش ثم خشي رؤساقهم اتساع نطاق الفتنة فدرس اليه كبير المصامدة  
 يومئذ عمر السكبيوي من قتلته في فراشه ~~و~~ كذلك خرج في غارة أيضا أقل هذه  
 المسافة رجل يعرف بالعباس وادعى مثل هذه الدعوة واتبع نعيمة الازدولون من بينها  
 تلك القبائل ونجارهم وزحف الى بادس من أمصارهم ودخلها عنوة ثم قتل لاربعين يوما  
 من ظهو وردعوته ومضى في الهالكين الاوابين وأمثال ذلك كثير وانفاط نفسه من  
 الغفلة عن اعتبار العصية في مثلها وأما ان ~~كان~~ التلييس فأحوى أن لا يتم له  
 أمر وأن يومئذ وبذلك جزاء الظالمين والله سبحانه وتعالى أعلم وبه التوفيق لارب غيره  
 ولا معبود سواه

## ٧ (فصل في ان كل دولة لها حصة من الممالك والاطوان لا تزيد عليها)

والسبب في ذلك أن عصابة الدولة وقومها القاطنين بها المهيدين لها لا بد من توقيفهم  
 حصصا على الممالك والثغور التي تصير اليهم ويستولون عليها لما يتهم من العدو وامضاء  
 أحكام الدولة فيها من جباية وردع وغير ذلك فاذا توفرت العصابات كلهم على الثغور  
 والممالك فلا بد من نفاد عددهم وقد بلغت الممالك حينئذ الى حد يكون ثغرا  
 للدولة وتحمها لوطنها ونضاها لمرسلتها فان تكلفت الدولة بعد ذلك زيادة على  
 ما يدها بقي دون حامية ~~و~~ كان موضعها لانتهاز القرصة من العدو والمجاور  
 ويعود وبإل ذلك على الدولة بما يكون فيه من التجاسر وخرق سباح الهيبة  
 وما كانت العصابة موفورة ولم يتعد عددها في توزيع الحصص على الثغور والتواصي  
 بقي في الدولة قوة على تناول ما وراء الغاية حتى ينشعب نطاقها الى غايته والعللة الطبيعية  
 فلهذا هي قوة العصابة من سائر القوى الطبيعية ~~و~~ كل قوة يصدر عنها  
 فصل من الافعال فتأنها ذلك في فعلها والدولة في مركزها أشد بما يكون في الطرف  
 والنطاق واذا انتهت الى النطاق الذي هو الغاية عجزت وأقصرت عما وراءه شأن  
 الاشعة والانوار اذا انبعثت من المراكز والدوائر المنضعة على سطح الماء من  
 النور عليه ثم اذا أدركها الهرم والضعف فانما تأخذ في التناقص من جهة الاطراف  
 ولا يزال المركز محفوظا الى أن يتأذن الله بانقرض الامر بجملة في حينئذ يكون انقرض  
 المركز واذا غلب على الدولة من مركزها فلا تقع بقاء الاطراف والنطاق بل تضئل  
 لوقتها فان المركز كالقلب يذى تدعى منه الروح فاذا غلب القلب وملك انهمزم  
 جميع الاطراف وانظر هذا في الدولة النارية كان مركزها المدائن فلما غلب المسلمون

على المدائن انقراض أمر فارس أجمع ولم يتبق برزجر ما بقي يسده من اطراف محالكم  
وبالعكس من ذلك الدولة الرومية بالشام لما كان مركزها القسطنطينية وغلهم  
المسلمون بالشام تميزوا الى مركزهم بالقسطنطينية ولم يضرهم انتزاع الشام من أيديهم  
فلم ينزل ملكهم متصلا بها الى أن تأذن الله بانقراضه وانظر أيضا شان العرب أول  
الاسلام لما كانت عصائهم موفورة كيف غلبوا على ما جاورهم من الشام والعراق  
ومصر لاسرع وقت ثم تجاوزوا ذلك الى ما وراءهم من السند والحشة وافريقية  
والمغرب ثم الى الاندلس فلما انقرضوا احصا على الممالك والثغور وزلوا حامية ونفذ  
عدددهم في تلك التوزيعات أقصروا عن الفتوحات بعد و انتهى أمر الاسلام ولم  
يتجاوز تلك الحدود ومنه تراجعت الدولة حتى تأذن الله بانقراضها وكذا كان حال  
الدول من بعد ذلك كل دولة على نسبة القائم بها في القلة والكثرة وعند نفاد عدددهم  
بالتوزيع ينقطع لهم الفتح والاستيلاء سنة الله في خلقه

٨ فعل في ان عظم الدولة واتساع نطاقها وطول امدها على نسبة القائم بها في القلة والكثرة  
والسبب في ذلك أن الملك انما يكون بالعصبة وأهل العصبة هم الخاصة الذين ينزلون  
بممالك الدولة وقطارها وينقسمون عليها فكان من الدولة العامة قبيلها وأهل  
عصائهم أكثر كانت أقوى وأكثر ممالكها وأوطانها وكان ملكها أوسع لذلك واعتبر ذلك  
بالدولة الاسلامية لما ألف الله كلمة العرب على الاسلام وكان عدد المسلمين في غزوة  
تبوك آخر غزوات النبي صلى الله عليه وسلم مائة ألف وعشرة آلاف من مضر وخطان  
مابين فارس وراجل الى من أسلم منهم بعد ذلك الى الوفاة فلما توجهوا للطلب مافي أيدي  
الامم من الملك لم يكن دونه حتى ولا ورفا استيج حتى فارس والروم أهل الدولتين  
العظيمتين في العالم لعهدهم والترك بالشرق والافريقية والبربر بالمغرب والقوط بالاندلس  
وخطوا من الجبال الى السوس الاقصى ومن اليمن الى الترك بأقصى الشمال واستولوا  
على الاقاليم السبعة ثم انظر بعد ذلك دولة صنهاجة والموحدين مع العبيدين قبلهم لما  
كان قبيل كلمة القائم بدولة العبيدين أكثر من صنهاجة ومن المصامدة كانت  
دولتهم أعظم فلكوا افريقية والمغرب والشام ومصر والجزائر ثم انظر بعد ذلك دولة زقانة  
لما كان عدددهم أقل من المصامدة قصر ملكهم عن ملك الموحدين لقصور عدددهم  
عن عدد المصامدة منذ أول أمرهم ثم اعتبر بعد ذلك حال الدولتين لهذا العهد زقانة بنى  
مدين بنى عبد الواد لما كان عدد بنى مدين لأول ملكهم أكثر من بنى عبد الواد كانت  
دولتهم أقوى منها وأوسع نطاقا وكانت لهم عليهم الغلب مرة بعد أخرى \* يقال ان



عدي بن مرزبان لاقول ملكهم كان ثلاثة آلاف وان بن عبد الواد كانوا أيضا الآن الدولة  
 بالرفق وكثرة التابع كثرت من أعدادهم وعلى هذه النسبة فاعداد المتغلبين لاقول الملك  
 يكون اتساع الدولة وقوتها وأما طول أمدھا أيضا فعلى تلك النسبة لأن عمر الحادث من  
 قوة ضارجه ومزاج الدول انما هو بالعصية فاذا كانت العصية قوية كان المزاج  
 تابعها وكان أمد العمر طويلا والعصية انما هي بكثرة العدد ووفوه وكاقلناه والسبب  
 الصحيح في ذلك أن النقص انما يند في الدولة من الاطراف فاذا كانت بمالكها كثيرة  
 كانت أطرافها بعيدة عن مركزها وكثرة وكل نقص يقع فلا بد له من زمن فتكثر أزمان  
 النقص لكثرة الممالك واختصاص كل واحد منها بنقص وزمان فيكون أمدھا طويلا  
 وانظر ذلك في دولة العرب الاسلامية كيف كان أمدھا أطول الدول لابن العباس  
 أهل المركز ولا بنو أمية المستنقون بالاندلس ولم ينقص أمر جمعهم الا بعد الاربعمائة  
 من الهجرة ودولة العبيدين كان أمدھا قريبا من مائتين وعشرين سنة ودولة صفهجة  
 دونهم من لدن تقليد معز الدولة أمرا فريقية لبليكين بن زبري في سنة ثمان وخمسين  
 وثلثمائة الى حين استيلاء الموحد بن علي الفلعة وبجاية سنة سبع وخمسين  
 ودولة الموحد بن لهذا العهد تناهز مائتين وسبعين سنة وهما كذا نسب الدول في  
 أعمارها على نسبة القامعين بها سنة الله التي قد خلت في عبادته

## ٩ (فصل في ان الارطان الكثيرة القبائل والمصائب قل ان تستحكم فيها)

والسبب في ذلك اختلاف الاراء والاهواء وان وراء كل رأي منها وهوى عصبية  
 تتنافع دونها فيكثر الاتفاض على الدولة والخروج عليها في كل وقت وان كانت ذات  
 عصبية لأن كل عصبية من تحت يد هاتطن في نفسها منعة وقوة وانظر ما وقع من ذلك  
 بافريقية والمغرب منذ أول الاسلام ولهذا العهد فان ساكن هذه الاوطان من  
 البربر أهل قبائل وعصيات فلم يغن فيهم الغلب الاقل الذي كان لابن ابي سرح عليهم  
 وعلى الافريقية شيئا وبما ودوا بعد ذلك الثورة والردة مرة بعد أخرى وعظم الانحنا من  
 المسلمين فيهم ولما استقر الدين عندهم عادوا الى الثورة والخروج والاخذ بدين  
 الخوارج مرات عديدة قال ابن أبي زيد ارتدت البرابرة بالمغرب اثنتي عشرة مرة ولم  
 تستقر كلمة الاسلام فيهم الا لعهد ولاية موسى بن نصير فابعدوه وهذا في مائة سنة  
 عمران افريقية مفرقة لغلوب أهلها إشارة الى ما فيها من كثرة المصائب والقبائل  
 الحاملة لهم على عدم الاذعان والانقياد ولم يكن العراق لذلك العهد تلك الصفة  
 ولا الشام انما كانت حاصيتا من فارس والروم والكافة دهماء أهل مدن وأمصار

فلما غلبهم المسلمون على الامر وانتزعوه من أيديهم لم يبق فيها معانق ولا مشاقق والبربر  
قبائلهم بالمغرب أكثر من أن تحصى وكلهم يادية وأهل عصاب وعشار وكل أهلكت  
قبيلة عادت الأخرى مكانها وإلى دينها من الخلاف والردة فطال أمر العرب في تهديد  
الدولة بوطون إفريقية والمغرب وكذلك كان الأمر بالشام لعهد بني إسرائيل كان  
فيه من قبائل فلسطين وكنعان وبني عيصو وبني مدين وبني لوط والروم ويونان  
والعمالقة واكرينس والبط من جانب الجزيرة والموصل ما لا يحصى كثرة وتوغلوا  
في العصبة فصعب على بني إسرائيل تهديد دولتهم ورسوخ أمرهم واضطرب عليهم  
الملوك مرة بعد أخرى وسرى ذلك الخلاف إليهم فاختلقوا على سلطانهم وخرجوا عليه  
ولم يكن لهم ملك موطن سائر أيامهم إلى أن غلبهم الفرس ثم يونان ثم الروم آخر أمرهم  
عند الجلاء والله غالب على أمره وبالعكس هذا أيضا الأوطان الخالصة من العصابات  
يسهل تهديد الدولة فيها ويكون سلطانها وازعاقها الهرج والانتقاض ولا يحتاج  
لدولة فيها إلى كثير من العصبة كما هو الشأن في مصر والشام لهذا العهد اذهى خلوا  
من القبائل والعصابات كأن لم يكن الحاكم معدنهم كما قلناه ذلك مصر في غاية الدعوة  
والرسوخ لقلعة الخوارج وأهل العصاب إنما هو سلطان ورعية ودولتها قائمة بما لولا  
الترك وعصائبتهم يغلبون على الأمر واحد بعد واحد وينتقل الأمر فيهم من منبت  
إلى منبت والخلافة مسماة للعباسي من أعقاب الخلفاء يفتدوا وكذا الشأن بالاندلس  
لهذا العهد فان عصبة ابن الأحمر سلطانها لم تكن لأول دولتهم بقوة ولا كانت كرات  
انما يكون أهل بيت من بيوت العرب أهل الدولة الأموية بقوا من ذلك القلة وذلك أن  
أهل الاندلس لما انقرضت الدولة العربية منه ولما لم يكن لهم البربر من المتونة والموحدين  
سماؤا ملكتهم وثقلت وطأهم عليهم فأثريت القلوب بغضاهم وأمكن الموحدون  
والسادة في آخر الدولة كثير من الحصون للطاغية في سبيل الاستظهار به على شأنهم  
من تلك الحضرة مرا كش فاجتمع من كان بقي بها من أهل العصبة القديمة معادن من  
بيوت العرب يتحاف بهم المنبت عن الحاضرة والامصار بعض الشيء ورسوخا في العصبة  
مثل ابن هود وابن الأحمر وابن مردئش وأمثالهم فقتل ابن هود بالأمر ودعا بدعوة  
الخلافة العباسية بالمشرق وحل الناس على الخروج على الموحدين فقبضوا اليهم  
العهد وأخرجوهم واستقل ابن هود بالأمر بالاندلس ثم سما ابن الأحمر بالأمر وخالف  
ابن هود في دعوته فدعا هؤلاء لابن أبي حفص صاحب إفريقية من الموحدين وفام  
بالأمر وتناوله بعصاه قليلة من قرابته كانوا يسمون الرؤساء ولم يحتج لأكثر منهم لقلعة  
العصاب بالاندلس وأنها سلطان ورعية ثم استظهر بعد ذلك على الطاغية بمن يجيز

المه الجهر من أعين من زناة قصار وامعه عصبية على المناغرة والرباط ثم بما صاحب  
المغرب من ملوك زناة أمل في الاستلاء على الاندلس قصاراً ولئلك الاعصاص عصابة  
ابن الاجر على الامتناع منه الى أن تأمل أمره وروح وألقته النفوس وبجز الناس  
عن مطالبة وورثه أعقاب لهذا العهد فلا تظن أنه بقية عصابة فليس كذلك وقد كان  
مبدوء بعصابة الأتباع قبله وعلى قدر الحاجة فان قطر الاندلس لقلبه العصاب  
والله ائله فيه يغنى عن كثرة العصبية في التغلب عليهم والله غنى عن العالمين

١٠ (فصل في ان طبيعة الملك والانفراد بالجد)

وذلك أن الملك كما قد تمناه انما هو بالعصبية والعصبية متألقة بين عصابات كثيرة تكون  
واحدة منها أقوى من الأخرى كلها فتغلبها وتستولى عليها حتى تصيرها جميعاً في ضمها  
وبذلك يكون الاجتماع والغلب على الناس والدول وسرمد أن العصبية العامة للقبيل  
هي مثل المزاج المنسكون والمزاج انما يكون عن العناصر وقد تدين في موضعه  
ان العناصر اذا اجتمعت متكافئة فلا يقع منها مزاج أصلاً بل لابد أن تكون واحدة  
منها هي الغالبة على الكل حتى تجمعها وتوكلها وتصيرها عصبية واحدة شاملة لجميع  
العصاب وهي موجودة في ضمها وتلك العصبية الكبرى انما تكون لقوم أهل بيت  
ورئاسة فيهم ولا بد أن يكون واحد منهم رئيساً لهم غالباً عليهم فيتعين رئيساً للعصبات  
كلها فليست بمنتبة لجمعها واذا تعين له ذلك من الطبيعة الحيوانية خلق الكبر والافقة  
فبأنف حينئذ من المساهمة والمشاركة في استنباطهم والتحكم فيهم ويحيى خلق  
التأله الذي في طباع البشر مع ما تقتضيه السياسة من انفراد الحاكم لفساد الكل  
باختلاف الحكم لو كان فيهما آلهة الا الله لفسدنا فجمع حينئذ أنوف العصبات  
ويبلغ شكاهم عن أن يسموا الى مشاركتهم في التحكم وتفرع عصبيتهم عن ذات  
ويستقرب ما استطاع حتى لا يتزلزل احد منهم في الامر لاناقة ولا جلا فيمرد ذلك الجهد  
بكيته ويدفعهم عن مساهمته وقد يتيم ذلك الملاقاة من ملوك الدولة وقد لا يتم الاثنائي  
والثالث على قدر عمانية العصبات وقوتها الا أنه أمر لابد منه في الدول سنة الله  
التي قد دخلت في عبادته والله تعالى أعلم

١١ (فصل في ان من طبيعة الملك الترف)

وذلك أن الآلة اذا تغلبت وملكت ما بأيدي أهل الملك قبلها كتر ياتونها ونعمتها  
فتكثروا ندهم وينبأون ضرورات العيش وخشونته الى نوافله ورقه وزينته  
ويذهبون الى اتباع من قبلهم في عواندهم وأحوالهم وتصير تلك التوافل عوائد

ضرورية في تحصيلها وينزعون مع ذلك الحرق في الاحوال في المطاعم والملابس والقرش والآتية ويتفخرون في ذلك ويفخرون فيه غيرهم من الامم في كل الطب وليس الاثني وركوب القاهرة ويناغى خلفهم في ذلك سلفهم الى آخر الدولة وعلى قدر ملكهم يكون خلفهم من ذلك وترفعهم فيه الى أن يلقوا من ذلك الغاية التي للدولة أن تبلغها بحسب قوتها وعوايد من قبلها سنة الله في خلقه والله تعالى أعلم

## ١٢ - فصل في ان طبيعة الملك الدعة والسكون .

وذلك أن الامة لا يحصل لها الملك الا بالمطالبة والمطالبة غايةها الغلب والملك وإذا حصلت الغاية انتفى السعي اليها (قال الشاعر)

جئت لسعي الدهر مني وبينها \* فلما انتفى ما بيننا كان الدهر  
فاذا حصل الملك أقصر واعن المتاعب التي كانوا يتكفونها في طلبه وآثروا الراحة  
والسكون والدعة ورجعوا الى تحصيل ثمرات الملك من المباني والمساكن والملابس  
فينتفون القصور ويمجرون المياه ويعرسون الرياض ويستقون بأحوال الدنيا ويؤثرون  
الراحة على المتاعب ويتأنقون في أحوال الملابس والمطاعم والآتية والقرش  
ما استطاعوا وبالقون ذلك ويورثونه من بعدهم من أجيالهم ولا يزال ذلك يتزايد فيهم  
الى أن يتأذن الله بأمره وهو خير الحاكمين والله تعالى أعلم

## ١٣ - فصل في انه اذا استحكمت طبيعة الملك من الانفراد بالجد

وحصول الترف والدعة اقبلت الدولة على الهرم .

وبانه من وجود \* الاقل أنهم انتفى الانفراد بالجد كما قلناه ومهما كان الجهد  
مشتركا بين العصابة وكان سعيهم هو واحد كانت هممهم في التغلب على الغير والذب  
عن الحوزة اسوة في طموحها وقوة شكاكها ومرماهم الى العز جميع وهم يستطيعون  
الموت في بناء مجدهم ويؤثرون الهلكة على فسادهم واذا انفراد الواحد منهم بالجد قرع  
عصيتهم وكبح من أعنتهم واستأثروا بالاموال دونهم فتكاملوا عن العز وفشل ربحهم  
ورغم المدة والاستعداد ثم في الجليل الثاني منهم على ذلك يحسبون ما ينالهم من  
المطاء أبر من البطلان لهم على الحماية والمعونة لا يجري في عقولهم سواء وقبل  
أن يستأجر أحد نفسه على الموت فيصير ذلك وهنا في الدولة وخضد امن الشوكه وتقبل  
به على مناسخ الضعف والهرم لفساد العصية بذهاب البأس من أهلها \* الوجه  
الثاني أن طبيعة الملك انتفى الترف كما قلناه فسكن عوايدهم وتزيد نفقاتهم على  
اعباتهم ولا يفي دخلهم بخرجهم فالتقدير أنهم يملك والمترف يستغرق عطاءه بقرقه ثم

يزداد ذلك في أجيالهم المتأخرة إلى أن يقصر العطايا كلها عن الترف وعوائده ويمسهم الحاجة وتطالبهم ملوكهم بمحصر نفقاتهم في الغزو والحروب فلا يجدون وليعة عنها فيوقون بهم العقوبات ويتزعمون ما في أيدي الكثير منهم يستأثرون به عليهم أربوزون به ابتاءهم وصنائع دولتهم فيضعفونهم لذلك عن إقامة أحوالهم ويضعف صاحب الدولة بعضهم وأيضاً إذا كثرت الترف في الدولة وصار عطاؤهم مقصر عن حاجاتهم ونفقاتهم احتاج صاحب الدولة الذي هو السلطان إلى الزيادة في إعطائهم حتى يستغلهم ويزرع عليهم والجبابة مقدراتهم معلوم ولا تزيد ولا تنقص وإن زادت بما يتحدث من المكوس فيصير مقدارها بعد الزيادة محدوداً فإذا وزعت الجبابة على الإعطيات وقد حدثت فيها الزيادة لكل واحد مما حدث من ترفهم وكثرة نفقاتهم نقص عدد الخامية حينئذ عما كان قبل زيادة الإعطيات ثم يظلم الترف وتكثر مقادير الإعطيات لذلك فينقص عدد الخامية وثالثنا وأما إلى أن يعود العسكر إلى أقل الأعداد فتضعف الحماية لذلك ونسقط قوة الدولة ويتجاسر عليها من يجارها من الدول أو من هو تحت يديها من القبائل والعصائب ويأذن الله فيها للفناء الذي كبه على خليقته وأيضاً فالترف مفسد للخلق بما يحصل في النفس من ألوان الشر والسففة وعوائدها كما يأتي في فصل الحضارة فتذهب منهم خلال الخمر التي كانت علامة على الملك ودليله عليه ويتصفون بما يناقضها من خلال الشر فيكون علامة على الإديار والافتراض بما جعل الله من ذلك في خليقته وتأخذ الدولة مبادئ العطب وتضعف أحوالها وتزل بها أمراض مزمنة من الهرم إلى أن يقضي عليها

الوجه الثالث أن طبيعة الملك تقتضي الدعة كما ذكرناه وإذا اتخذوا الدعة والراحة ما ألفوا خلقاً صار لهم ذلك طبيعة وجبله شأن العوائد كلها وإلا فها قد يرى أجيالهم الحاضرة في غصارة العيش وههنا الترف والدعة وبقاب خلق التوحش وينسون عوائد البسادة التي كان بها الملك من ثمة البأس وتعود الافتراض وركوب البسادة وههنا الفقرة لا يفرق بينهم وبين السوق من الحضر إلا في الثقافة والشارع فتضعف حمايتهم ويذهب بأسهم وتختشد شوكتهم ويعود وبال ذلك على الدولة بما تبس به من ثياب الهرم ثم لا يزالون يتلون بعوائد الترف والحضارة والسكون والدعة ورقة الحاشية في جميع أحوالهم وينقسمون فيها وهم في ذلك يعودون عن البسادة والخشونة وينسجون عنها ثياباً فشيئاً وينسون خلق البسالة التي كانت بها الحماية والمدافعة حتى يعودوا على حماية أخرى إن كانت لهم واعتبر ذلك في الدول التي أخارها في الضعف الذين تجد ما قلته لك من ذلك هيحييها من غير رية وربما يحدث في الدولة إذا

طرقها هذا الهرم بالتزرف والراحة أن يتخضر صاحب الدولة أنما راوشبعة من غير  
جلدتهم عن تقود اغشوة فيتخذهم جندا يكون أصبر على الحرب وأقدر على معاناة  
الشدائد من الجوع والتخلف ويصكون ذلك دواء للدولة من الهرم الذي عساه  
أن بطرقها حتى بأن أن اقنعها بأمره وهذا كما وقع في دولة الترك بالشرق فإن غالب  
جندها الموالين الترك فتخضروا لو كه من أولئك الممالك الجبلوين اليهم فرسانا  
وجندا فيكونون أجرا على الحرب وأصبر على التخلف من أبناء الممالك الذين كانوا  
قبلهم وروا في سماء التعميم والسلطان وظله وكذلك في دولة الموحد بن باقر يشية  
فإن صاحبها كثيرا ما يتخذ أجنادا ممن زناؤه والعرب ويستكرمهم ويترك أهل الدولة  
المتعدين للتعرف فتسجد الدولة بذلك عمرا آخر الماس من الهرم واقه واث الارض  
ومن عليها

١٤ (فصل في ان الدولة لها اعمار طبيعية كما للأشخاص)

اعلم أن العمر الطبيعي للأشخاص على ما نزع الأطباء والمصنفون مائة وعشرون سنة  
وهي سنو القمر الكبرى عند المصنفين ويختلف العمر في كل جيل بحسب القرات  
فيزيد عن هذا ويقص منه فتكون أعمار بعض أهل القرات مائة ثمانية وبعضهم  
خمس مائة وأربعين أو سبعين على ما تقتضيه أدلة القرات عند الناظرين فيها وأعمار هذه  
الأمم مائة السنين إلى السبعين كما في الحديث ولا يزيد على العمر الطبيعي الذي هو مائة  
وعشرون إلا في السور النادرة وعلى الأوضاع الفريضة للكل كما وقع في شأن نوح  
عليه السلام وقليل من قوم عاد وحمود وأما أعمار الدول أيضا وإن كانت تختلف بحسب  
القرات إلا أن الدولة في القالب لاتعدو أعمار ثلاثة أجيال والجيل هو عمر شخص  
واحد من العمر الوسط فيكون أربعين الذي هو انتهاء القوة والنشأ إلى غايته قال  
تعالى حتى إذا بلغ أشده وبلغ أربعين سنة ولهذا قلنا أن عمر الشخص الواحد هو  
عمر الجيل ويؤيده ما ذكرناه في حكمة الله الذي وقع في بني إسرائيل وأن المقصود  
بالأربعين فيه فناء الجيل الأحياء ونشأة جيل آخر لم يعدوا للذل ولا عرفوه فدل على  
اعتبار الأربعين في عمر الجيل الذي هو عمر الشخص الواحد وإنما قلنا أن عمر الدولة  
لا يعدو في القالب ثلاثة أجيال لأن الجيل الأول لم ير الوأعلى خلق البداءة وخشونتها  
وفوحها من شغل العيش والبالة والاقتباس والاشتغال في المجد فلا تزال بذلك  
سورة العصبية مخضوطة فيهم فخذهم مرهف وجابهم مرهوب والناس لهم  
مقلوبون والجيل الثاني تحول حالهم بالملك والترفع من البداءة إلى الحضارة ومن

الشغف الى الترف والخصب ومن الاشتراك في المجد الى انفراد الواحد به وكل  
 الباقي عن السعي فيه ومن عز الاستطالة الى ذل الاستكانة فشكس سورة العصية  
 بعض الشيء وتوئس منهم المهانة والخضوع وبقى لهم الكثير من ذلك بما أدر كوا الجيل  
 الاول وياشروا أحوالهم وشاهدوا من اعزازهم وسعيهم الى المجد ومراهم  
 في المدافعة والحماية فلا يسعهم لتلك الكلفة وان ذهب منه ما ذهب ويكونون على  
 رجا من مراجعة الاحوال التي كانت للجيل الاول أو على غل من وجودها فيهم  
 وأما الجيل الثالث فينسبون عهد البداوة والخشونة كان لم تكن وينقدون حلولة  
 العز والعصية بما هم فيه من ملكة القهرو يبلغ فيهم الترف غايته بما تنسكوه من  
 التعم وغضارة العيش فيصرون عمالا على الدولة ومن جعله النساء والولدان المحتاجين  
 للمدانة عنهم وتنسقط العصية بالجله ونسبون الحماية والمدافعة والمطالبة ويلبسون  
 على الناس في الشارة والزى وركوب الخيل وحسن الثقافة يمتدحون بها وهم  
 في الاكثر اجبن من النسون على ظهروها فاذا اجاب الطالب لهم لم يقاوموا مدافعتهم  
 فيحتاج صاحب الدولة حينئذ الى الاستظها بربواهم من أهل العجدة ويستكثر  
 بالوالي ويصطنع من يغنى عن الدولة بعض الغناء حتى يتأذن الله بانقرضها فتذهب  
 الدولة بما حلت فهذه كآثر ائلاثة أجيال فيها يكون هرم الدولة وتخلتها ولهذا كان  
 انقراض الحسب في الجيل الرابع كما مر في أن المجد والحسب انما هو في أربعة آباء  
 وقد أتينا لقيه بمرهان طبيعي كاف ظاهر مبني على ما مهدناه قبل من المقدمات  
 فتأمله فلي تعدد وجه الحق ان كنت من أهل الانصاف وهذه الاجيال الثلاثة  
 عمرها مائة وعشرون سنة على ما مر ولا تعدد الدول في الغالب هذا العمر بتقريب قبله  
 أو بعده الان عرض لها عارض آخر من فقدان الطالب فيكون الهرم حاصل  
 مستوليا والطالب لم يضرها ولو قد جاء الطالب لما وجد مدافعا فاذا جاء أجلهم  
 لا يستأخرون ساعة ولا يستقدمون فهذا العمر للدولة بمثابة عمر الشخص من التزايد  
 الى سن الوقوف ثم الى سن الرجوع ولهذا يجري على السنة الناس في المشهور أن عمر  
 الدولة مائة سنة وهذا معناه فاعتبره واتخذ منه قانونا يصبح لك عدد الآباء في عود  
 النسب الذي تريد من قبل معرفة السنين الماضية اذا كنت قد استرقت في عددهم  
 وكانت السنين الماضية منذ أولهم محصلة لديك فعد لكل مائة من السنين ثلاثة من  
 الآباء فان نفدت على هذا القياس مع نفود عددهم فهو صحيح وان نقصت عنه بجيل  
 فتدغل عددهم بزيادة واحد في عود النسب وان زادت مثله فقد سقط واحد وكذلك  
 تأخذ عدد السنين من عددهم اذا كان محصلا لديك فتأمله تجده في الغالب صحيحا

اعلم أن هذه الاطوار طبيعية للدول فإن الغلب الذي يكون به الملك انما هو العصبية  
ومما يتبعها من شدة البأس وتعود الافتراض ولا يكون ذلك غالبا الامع البدوة فطور  
الدولة من أولها بدوة ثم اذا حصل الملك تسعة الرقة واتساع الاحوال والحضارة انما  
هي تقذف في الترف واحكام الصنائع المستعملة في وجوهه ومذاهبه من المطابخ  
والملابس والمباني والفرش والابنية وسائر عوائد المنزل وأحواله فكل واحد منها  
صناعة في استحيادته والتأنيق فيه تختص به ويتلو بعضها بعضا وتتكرر باختلاف  
ما تترفع اليه النفوس من الشهوات والملاذ والتسليم بأحوال الترف وما تتلون به من  
العوائد فصار تطور الحضارة في الملك يتبع طور البدوة ضرورة لضرورة تجة الرقة  
للملك وأهل الدول أبدا يقلدون في طور الحضارة وأحوالها للدولة السابقة قبلهم  
فأحوالهم يشاهدون ومنهم في الغالب يأخذون ومثل هذا وقع للعرب لما كان  
الفتح ولمذكروا فارس والروم واستخدموا بناتهم وأبنائهم ولم يكونوا ذلك العهد  
في شيء من الحضارة فقد حكى أنه قدم لهم المرقق فكانوا يصحبونه رفعا وعشرا على  
الكافور في خراش كسرى فاستعملوه في عيניהم ملحا وأمثال ذلك فلما استعبدوا أهل  
الدول قبلهم واستعملوهم في مهنتهم وحاجيات منازلهم واختاروا منهم المهرة في أمثال  
ذلك والقومعة عليه أفادوهم علاج ذلك والقيام على عمله والتقني فيه مع ما حصل لهم  
من اتساع العيش والتقني في أحواله فباقوا الغاية في ذلك وتطوروا بطور الحضارة  
والترف في الاحوال واستجداد المطاعم والمشارب والملابس والمباني والاسلحة  
والفرش والابنية وسائر الماعون والخرق وكذلك أحوالهم في أيام المباشرة  
والولائم ولباس الاعراس فانوا من ذلك وراء الغاية وانظر ما نقله السعدي  
والطبري وغيرهما في اعراس المأمون يوران بنت الحسن بن سهل وما بذل أبوها  
لحاشية المأمون حين وافاه في خطبتها الى داره بهم الصلح وركب اليها في السفين  
وما أنفق في اميلاكها وما ملأها المأمون وأنفق في عرسها اتفق من ذلك على العجب  
فانه أن الحسن بن سهل نذر يوم الاملا في الضيف الذي حضره حاشية المأمون فنذر  
على الطبقة الاولى منهم نفاق المهلك ملثوثه على الرقاق بالضياع والعقار مسوقة لمن  
حصلت في يده يقع لكل واحد منهم مأذاه اليه الانفاق والنجت وفرق على الطبقة  
الثانية بدرا الدنانير في كل بدرة عشرة آلاف وفرق على الطبقة الثالثة بدرا درهم



كذلك بعد أن اتفق في مقامة المأمون بداره أضاع ذلك . ومنه أن المأمون أعطاها  
في شهر هالية زفافها ألف حصاة من الباقوت وأوقد شعوع العنبر في كل واحدة مائة  
من وهو رطل وثلاثون وبسط لها فرشاً كان الحصى منها مئسو جبال الذهب مكللاً بالدر  
والباقوت وقال المأمون حين رآه قاتل الله أبانواس كأنه أبصر هذا حيث يقول  
في سفة النجر

كان صغرى وكبرى من فواقهما \* حصاة دور على أرض من الذهب  
وأعد دار الطبخ من الحطب لليلة الوليمة نقل مائة وأربعين بخلاء سنة عام كامل ثلاث  
مرات في كل يوم وفي الحطب ليلتين وأوقدوا الجريد يصبون عليه الزيت وأرسل إلى  
النواية ما حصار السفن لاجلزة الخواص من التماس بدجلة من بغداد إلى قصور  
الملك بجدة المأمون لحضور الوليمة فكانت الحزاقات المعقدة ثلاثين ألفاً أجازوا  
الناس فيها آخرات نهارهم وكثير من هذا وأمثاله هو كذلك عرس المأمون بن ذى  
التون بطلطة تعلقه ابن بسام في كتاب الذخيرة وابن حبان بعد أن كانوا كلهم في الطور  
الأول من البداوة عاجزين عن ذلك جلة لتفقدان أساليب والقائمين على صناعتهم في  
مخاضتهم وسداجتهم يذكر أن الحجاج أولم في اختتان بعض ولده فاستحضر بعض  
الدهاقين يسألهم ولأن الفرس وقال أخبرني بأعظم صنيع شهدته فقال لهم أيها  
الامير شهدت بعض مرازية كسرى وقد صنع لاهل فارس صنيعاً أحضر فيه صراف  
الذهب على أخوة النقة أربعاً على كل واحد وقمعه أربع وصافه ويجلس عليه  
أربعة من الناس فإذا طعموا اتبعوا أربعتهم المائدة بصافها ووصافها فقال الحجاج  
يا غلام انحر الجزر وأطعم الناس وعلم أنه لا يستقل بهذه الأبهة وكذلك كان  
ومن هذا الباب أعطية بن أمية وجوائزهم فأنما كان أكثرها الابل أخذاً  
بذاهب العرب وبداهتهم ثم كانت الجوائز في دولة بني العباس والعبيد يمين بعدهم  
ما علت من أحوال المال ونحوت الثياب وأعداد الخيل عراكبها وهكذا كان شأن  
كأما مع الاغلبة بأفريقية وكذلك بنى طفج بمصر وشان ثلثة مع ملوك الطوائف  
بالاندلس والموحدين كذلك وشان زمانة مع الموحدين وعلت جزائرت قبل الحضارة من  
الدول السالقة إلى الدول الخالقة فانتقلت حضارة الفرس للعرب بنى أمية وبني  
العباس وانتقلت حضارة بنى أمية بالاندلس إلى ملوك المغرب من الموحدين زمانة  
لهذا العهد وانتقلت حضارة بني العباس إلى الديلم ثم إلى التتر ثم إلى السلجوقية ثم إلى  
التتر المعالدين بمصر والتتر بالعراقين وعلى قدر عظم الدولة يكثر شأنها في الحضارة  
إذا موروا الحضارة من توابع الترف والترف من توابع الثروة والنعمة والقوة والنعمة

من توابع الملك ومقدار ما يستولى عليه أهل الدولة فعلى نسبة الملك يكون ذلك كله  
فاعتد به وتضمه وتأمله تجده مهيأ في العمران واقه واث الأرض ومن عليها وهو  
خير الوارثين

#### ١٦ (فصل في ان الترف يزيد الدولة في اولها قوة الى قوتها)

والسبب في ذلك أن القبيل اذا حصل لهم الملك والترف كثر الناسل والولدو وعمومية  
فكثرت العصابة واستكثروا أيضا من الموالي والصنائع وريت أجبا لهم في جود ذات  
النعم والرفه فازدادوا بهم عددا الى عدد هم وقوة الى قوتهم بسبب كثرة العصاب  
حينئذ بكثر العدد ذاهب الجيل الاول والثاني وأخذت الدولة في الهم لم تستقل  
أولئك الصنائع والموالي بأنفسهم في تأسيس الدولة ونعمهم ملكها لانهم ليس لهم من  
الامر شيء انما كانوا عابا على أهلها ومعونة لها فاذا ذهب الاصل لم يستقل  
الفرع بالربوخ فيذهب ويتلاشى ولا تبقى الدولة على حالها من القوة واعتبر هذا  
بما وقع في الدولة العربية في الاسلام كان عدد العرب كما قلنا لم عهد النبوة والخلافة مائة  
وخمسين الفا وما يقاربهم من مضر وخطاطن ولما بلغ الترف مبالغه في الدولة وتوفر قوتهم  
بتوفر النعمة واستكثر الخلفاء من الموالي والصنائع بلغ ذلك العدد الى أضعافه يقال  
أن المعتصم نازل عورية لما افتتحها في تسعمائة ألف ولا يعلم مثل هذا العدد أن  
يكون مهيأ اذا اعتبرت حاميتهم في الثغور الدانية والقاصية شرقا وغربا الى الجاند  
الحاملين سرير الملك والموالي والمصطنعين وقال المهودي أحصى بنو العباس بن  
عبد المطلب خاصة أيام المأمون للانفاق عليهم فكانوا ثلاثين ألفا بن ذكران واثان  
فانظر مبالغ هذا العدد لاقل من مائتي سنة واعلم أن سببه الرفه والنعم الذي حصل  
للدولة وربي فيه أجبا لهم والافعد العرب لاقول الفتح لم يبلغ هذا لاقرب يامنه والله  
اخلاق العليم

#### ١٧ (فصل في اطوار الدولة واختلاف احوالها وخلق أهلها باختلاف الاطوار)

(اعلم) أن الدولة تشغل في أطوار مختلفة وحالات مجتدة ويكتسب القاطنون بها في  
كل طور خلقا من أحوال ذلك الطور لا يكون مثله في الطور الاخر لان الخلق تابع  
بالطبع لمزاج الحال الذي حو فيه وحالات الدولة وأطوارها لا تعد وفي الغالب خمسة  
أطوار الطور الاول طور النفر بالبغيه وغلب المدافع والممانعة والاستلاء على الملك  
وانتزاعه من أيدي الدولة السالطة قبلها ان يكون صاحب الدولة في هذا الطور اسوة  
قومه في اكتساب المحوج بجاية المال والمدافعة عن الحوزة والحماية لا يتفردو عنهم

بشئ لا ذلك هو مقتضى العصبة التي وقع بها الغلب وهي لم تزل بعد بحالها الطور  
 الثاني طور الاستبداد على قومه والافتراء دونهم بالملك وكنجهم عن التناول  
 للمساومة والمشاركة ويكون صاحب الدولة في هذا الطور معينا باصطناع الرجال  
 واتخاذ الموالي والصنائع والاستكثار من ذلك ليدفع أنوف أهل عصيته وعشيرته  
 المقامين له في نسبة الضارين في الملك مثل سهمه فهو يدا فهم عن الامر ويصد هم  
 عن موارد موردهم على أعقابهم أن يخلصوا اليه حتى يقر الامر في نصابه ويفرد أهل  
 شبه بما ينشئ من مجده فعاني من مدافعتهم ومما لبثهم مثل ما عاناه الأولون في طلب  
 الامر وأشد لأن الأولين دافعوا لاجانب فكان ظهورهم على مدافعتهم أهل  
 العصبة يأجمعهم وهذا يدفع لا قارب لا نظا هره على مدافعتهم الا الاقل من الابعاد  
 فير كبح معي من الامر الطور الثالث طور الفراغ والدعة لتصيل ثمرات الملك  
 مما تفرغ طباع البشر اليه من تحصيل المال وتخليد الامور وبعد الصبب فيستفرغ  
 وسعه في الجباية وضبط الدخل والخروج واحصاء النفقات والقصف فيها يقتصد المباني  
 الحافظة والمصانع العظيمة والامصار المتسعة والهيكل المرتفعة واجادة الوفود من  
 أشراف الامم ووجوه القبائل وبث المعروف في أهله هذا مع التوسعة على صائمه  
 وحاشيته في أحوالهم بالمال والجلاء واعتراض جنوده وادار اوزانهم وانصافهم في  
 أعطياتهم لكل هذا حتى يظهر أثر ذلك عليهم في ملايسهم وشككتهم وشاراتهم من دم  
 الزينة فيبهايهم هم الدول المسالمة ويرهب الدول المحاربة وهذا الطور آخر اطوار  
 الاستبداد من أصحاب الدولة لانهم في هذه الاطوار كلها مستقلون بآرائهم بانون لعزمهم  
 موضعون الطرق لمن يصد هم الطور الرابع طور القنوع والمسالمة ويكون صاحب  
 الدولة في هذا تافها بما يأتى أولوه سلبا لا نظاره من الملوك واقتاله مقلدا لما ضين من  
 ساقه فتبع آثارهم حذر التعل بالعل ويقتنى طرقهم بأحسن مناهج الاقتداء ويرى  
 أن في الخروج عن تقليدهم فساد أمره وأنهم أبصر بما كانوا من مجده الطور الخامس  
 طور الاسراف والتبذير ويكون صاحب الدولة في هذا الطور مبتليا لما جاع أولوه في  
 سبل الشهوات والملاذ والكرم على بطاشته وفي مجالسه واصطناع أخذان السوء  
 وخضراء الدمن وتقليد هم عظيما الامور التي لا يستقلون بعملها ولا يعرفون  
 ما بانون ويذرون منها مستهدا الكبار الاوليا من قومه وصنائع سلفه حتى يضطغوا  
 عليه ويتخاذلوا عن نصرته مضده من جنده بما اتفق من أعطياتهم في شهواته ويجب  
 عنهم وجه مباشرة وتفقه فيكون بخرا بما كان سلفه يؤسسون وهذا لما كانوا  
 ينون وفي هذا الطور تحصل في الدولة طبيعة الهرم ويستولى عليها المرض المزمر

الذى لا تكاد تخلص منه ولا يكون لها معه بر الى أن تنقرض كما ينبيه في الاحوال التى  
نسردها والله خير الوارثين

١٨ (فصل في ان آثار الدولة كلها على نسبة قوتها في اصلها)

والسبب في ذلك أن الامارات لا تحدث عن القوة التى بها سكنت أولا وعلى قدرها  
يكون الاثر فمن ذلك مباني الدولة وهياكلها العظيمة فأنما تكون على نسبة قوة الدولة  
في أصلها لأنها لا تتم الا بكثرة الفعلة واجتماع الايدي على العمل والتعاون فيه فإذا  
كانت الدولة عظيمة فسبحه الجوانب كثيرة المال والرعايا كمن الفعلة كثيرين جدا  
وحشروا من آثار الدولة وأقطارها فتم العمل على أعظمها كله ألا ترى الى مصانع  
قوم طوغود ومقامه ما قرآن عنهما وأقطارها ما شاهدت اوان كسرى وما اقتدر  
فيه القرس حتى انه عزم الرشيد على هدمه وتخريبه فتكلم عنه وشرع فيه ثم أدركه  
البحر وقصة انتشاره ليعيى بن خلف فثأرته معروفة فاقطر كيف تصد دولة على بناء  
لا تستطيع أخرى على هدمه مع كون ما بين الهدم والبناء في السهولة تعرف من ذلك  
بوساين الدولتين وانظر الى بلاط الوليد يمشى وجامع بن أمية بقرطبة والقنطرة  
التي على واديهما وكذلك بناء اخنايا جلب الماء الى قرطاجنة في القناة الراكبة  
عليها وأثار شرشال بالمغرب والاهرام بمصر وكثير من هذه الآثار الماثلة للعيان  
تعلم منه اختلاف الدول في القوة والضعف واعلم أن تلك الافعال للاقدمين انما كانت  
بالهدام واجتماع الفعلة وكثرة الايدي عليها فبذلك شيدت تلك الهياكل والمصانع  
ولا تروهم حاسوها العاقبة ان ذلك لعظم أجسام الاقدمين عن أجسامنا في أطرافها  
وأقطارها فليس بين البشر في ذلك كبيرون كما تجد بين الهياكل والآثار ولقد دلو على  
القصاص بذلك ونفالوا فيه وسطروا عن عاد وحمود والعمالقة في ذلك أجبا واعريقة  
في الكذب من أغرب ما يحكون عن عوج بن عناق رجل من العمالقة الذين قاتلهم  
بنو اسرائيل في الشام زعموا أنه كان لطوله يتناول السمك من الخريت وشويه الى  
الشمس ويندون الى جهلهم بأحوال البشر الجهل بأحوال الكواكب لما اعتقدوا  
أن الشمس حارة وأنها شديدة فيما قرب منها ولا يعلمون أن الحز هو الضوء وأن الضوء  
فيما قرب من الارض أكثر لا تنعكس الاشعة من سطح الارض بتقاطيع الاضواء  
فتتضاعف الحرارة هنالا جيل ذلك واذا تجاوزت مطارج الاشعة المنعكسة فلا حشر  
هنالك بل يكون فيه البرد حيث مجارى البحاب وان الشمس في نفسها الحارة ولا ياردة  
وانما هو جسم بسيط معزى لاخراج له وكذلك عوج بن عناق هو فيما ذكره من  
العمالقة أو من الكنعانيين الذين كانوا فرسة بني اسرائيل هدم قصصهم الشام

وأطوال بني اسرائيل وجسمانهم لذلك العهد قسيمة من هياكلنا تهب ذلك أبواب  
بيت المقدس فانها وان خربت وجددت لم تزل المحافظة على اشكالها ومقادير أبوابها  
وكيف يكون التفاوت بين عوج وبين أهل عصره بهذا المقدار وانما ثمار غلظتهم في  
هذا أنهم استغفروا آثار الامم ولم يفهموا حال الدول في الاجتماع والتعاون وما يحصل  
بذلك وبالهندام من الآثار العظيمة فصر فوه الى قوة الاجسام وشدة تباعظ هياكلها  
وليس الامر كذلك وقد دعى المسمودى ونقله عن الفلاسفة من عمال مستدله  
الاتحكم وهو أن الطبيعة التي هي جسيمة للاجسام لما برأ الله الخلق كانت في تمام  
الكرة ونهاية القوة والكمال وكانت الاعمار أطول والاجسام أقوى لكلال تلك  
الطبيعة فان طرق الموت انما هو بانحلال اقوى الطبيعة فاذا كانت قوية كانت  
الاعمار أزيد فكان الفاني أولية نشأته تام الاعمار كامل الاجسام ثم لم يزل ينقص  
لنقصات المادة الى أن بلغ الى هذه الحال التي هو عليها ثم لا يزال ينقص الى وقت  
الانحلال وانقراض العالم وهذا رأى لا وجه له الا التحكم كما تراء وليس له علة طبيعية  
ولاسبب برهاني ونحن نشاهد ماساكن الاولين وأبوابهم وطرقهم فيما أحدثوه  
من البنان والهاكل والديار والمساكن كديار غودا المحبوبة في اهل المدن الضعيفة  
صغاراً وأبوابها ضيقة وقمأشار صلي الله عليه وسلم الى أنها ديارهم ونهى عن  
استعمال مبانيهم وطرح ما يحسن به وأهرق وقال لا تدخلوا مساكن الذين ظلموا  
أنفسهم الا أن تكونوا باكن أن يصيبكم ما أصابهم وكذلك أرض عاد ومصر والشام  
وسائر قاع الأرض شرقاً وغرباً والحق ما قرأناه ومن آثار الدول أيضاً حال في الاعراس  
والولايم كاذكرناه في وليمة توران ومنيع الجايح وابن ذي النون وقد ردت كل ومن  
آثارها أيضاً عظام الدول وأنها تكون على نسبتها ويظهر ذلك فيما لو أشرفت على الهرم  
فإن الهرم التي لاهل الدولة تكون على نسبة قوت ملكهم وقوايمهم لانس والمهم لا تزال  
مصاحبة لهم الى انقراض الدولة واعتبر ذلك بجوار ترابن ذي برن لوفد قريش كيف  
أعطاهم من أرطال الذهب والفضة والاعبد والومات عشر اعشار ومن كرش  
العنبر واحدة وأضعف ذلك بشرة أمته لعبد المطلب وانما ملكه يوم تقرأه المين  
خاصة تحت استبداد فارس وانما حله على ذلك همة نفسه بما كان لقوته التبابعة من  
الملك في الارض والطلب على الامم في العراقين والهند والمغرب ولكن الصنهاجيون  
بافريقية أيضاً اذا أجازوا الوفا من أمراء زناتة الوافدين عليهم فانما يعطونهم المال  
أجالا والمكسأ تخونا مملوأة والحلات جنائب عديدة وفي تاريخ ابن الرقيق من ذلك  
أخبار كثيرة وكذلك كان عطاء البرامكة وجوارزهم ونفقاتهم وكانوا اذا اكسبوا مدينا

فانما هو الولاية والنعمة آخر الدهر لا الصلاه الذي يستغفده يوم أو بعض يوم وأخبارهم  
 في ذلك كثيرة مطبوعة وهي كلها على نسبة الدول بآرية هذا جوهر الصقلي  
 الكاتب قائد جيش العبيدين لما ارتحل الى فخر مصر استعظم من القيرون بأفحل  
 من المال ولا تنهى اليوم دولة الى مثل هذا وكذلك وجد بخط أحد بن محمد بن عبد  
 الحميد عمل يجامع الى بيت المال يقفاد أيام المأمون من جميع النواحي تقطع من  
 جراب الدولة • (غلات السواد) • سبع وعشرون ألف ألف درهم مرتين وغنائمة  
 ألف درهم ومن الخلال الصراية مائتا حلة ومن طور الختم مائتان وأربعون رطلا  
 • (كنكر) • أحد عشر ألف ألف درهم مرتين وسفانة ألف درهم • (كوردجلة) •  
 عشرون ألف ألف درهم وغنائمة دراهم • (سلوان) • أربعة آلاف ألف درهم  
 مرتين وغنائمة ألف درهم • (الاهواز) • خمسة وعشرون ألف درهم مرة ومن  
 السكر ثلاثون ألف رطل • (فارس) • سبعة وعشرون ألف ألف درهم ومن  
 ماء الورد ثلاثون ألف فاروق ومن الزيت الاسود عشرون ألف رطل • (كرمان) •  
 أربعة آلاف ألف درهم مرتين ومائتا ألف درهم ومن المتاع اليباني خمسمائة ثوب  
 ومن الفرو عشرون ألف رطل • (مكران) • أربعة مائة ألف درهم مرة • (السند  
 وباليه) • أحد عشر ألف ألف درهم مرتين وخمسمائة ألف درهم ومن العود الهندي  
 مائة وخمسون رطلا • (بهستان) • أربعة آلاف ألف درهم مرتين ومن الثياب  
 المعينة ثلاثمائة ثوب ومن الفوائد عشرون رطلا • (خراسان) • ثمانية وعشرون  
 ألف ألف درهم مرتين ومن نفرا الفضة الفاترة ومن البراذير أربعة آلاف ومن  
 الرقيق ألف رأس ومن المتاع عشرون ألف ثوب ومن الاطيل ثلاثون ألف رطل  
 • (جرجان) • اثنا عشر ألف ألف درهم مرتين ومن الابريس ألف شقة • (قزوین) •  
 ألف ألف مرتين وخمسمائة ألف من نفرا الفضة • (طبرستان والروبان ونم اوند) •  
 ستة آلاف ألف مرتين وثلاثمائة ألف ومن الفرس الطبرى ستمائة قطعة ومن  
 الاكسية مائتان ومن الثياب خمسمائة ثوب ومن المناديل ثلثمائة ومن الحمامات  
 ثلثمائة • (الري) • اثنا عشر ألف ألف درهم مرتين ومن العسل عشرون  
 ألف رطل • (همدان) • أحد عشر ألف ألف درهم مرتين وثلاثمائة ألف ومن  
 رب الزمان ألف رطل ومن العسل اثنا عشر ألف رطل (ما بين البصرة والكوفة)  
 عشرة آلاف ألف درهم مرتين وسبع مائة ألف درهم • (ماسبدان والديار) • أربعة  
 آلاف ألف درهم مرتين • (شهرزور) • ستة آلاف ألف درهم مرتين وسبع مائة  
 ألف درهم • (الموصل وما إليها) • أربعة وعشرون ألف ألف درهم مرتين ومن

العسل الايض عشرون ألف ألف دبل • (إذريجان) • أربعة آلاف ألف  
 درهم مرتين • (الجزيرة وما يليها من أعمال الفرات) • أربعة وثلاثون ألف ألف  
 درهم مرتين ومن الرقيق ألف رأس ومن العسل اثنا عشر ألف ذوق ومن البراة عشرة  
 ومن الأكبية عشرون • (أرمينية) • ثلاثة عشر ألف ألف درهم مرتين ومن  
 القسط المحصور عشرون ومن الزم خمسة وثلاثون وطلا من المساجع السود ما هي  
 عشرة آلاف دبل ومن الصويع عشرة آلاف دبل ومن البغال مائة من المهرة  
 ثلاثون • (قنبرين) • أربع مائة ألف دينار ومن الزيت ألف جبل • (دمشق) •  
 أربع مائة ألف دينار وعشرون ألف دينار • (الأردن) • سبعة وثمانون ألف  
 دينار • (فلسطين) • ثلاث مائة ألف دينار وعشرة آلاف دينار ومن الزيت ثمانية  
 ألف دبل • (مصر) • ألف ألف دينار وتسعمائة ألف دينار وعشرون ألف دينار  
 • (برقة) • ألف ألف درهم مرتين • (أفريقية) • ثلاثة عشر ألف ألف درهم  
 مرتين ومن البسط مائة وعشرون • (اليمن) • ثلثمائة ألف دينار وسبعون ألف  
 دينار وسوى المتاع • (الطاجز) • ثلاث مائة ألف دينار انتهى • وأما الأندلس فأنه  
 ذكره التتامن مؤرخها أن عبد الرحمن الناصر قلب في بيوت أمواله خمسة  
 آلاف ألف ألف دينار مكررة ثلاث مرات يكون جملتها بالقطار خمسة آلاف قطار  
 • يدأيت في بعض نواحي الرشيد أن المحمول إلى بيت المال في أيامه سبعة آلاف  
 قطار وخمسة قطار في كل سنة فاعتبر ذلك في نسب الدول بعضها من بعض  
 ولا تنكرن ما ليس بمجهود عندك ولا في عصر لشي من أمثاله فقتضى حوصلتك عند  
 ملئ القطر المكثات فكثير من الخواص إذا سمعوا أمثال هذه الأخبار عن الدول السالفة  
 بادربال انكار وليس ذلك من الصواب فان أحوال الوجود والعمران تتفاوتة ومن  
 أدرك منها رتبة على أو وسطى فلا يحصر المدارك كلها فيها ونحن إذا اعتبرنا ما ينقل  
 لنا عن دولة بني عباس وبني أمية والعبيدين وناسبنا العجم من ذلك والذي لا شك  
 فيه بالتي نشاهد من هذه الدول التي هي أقل بالنسبة إليها وجدنا بها نواحيها وها  
 بينهما التفاوت في أصل قوتها وعمرانها على ما كان لها جارية على نسبة  
 الأصل في القوة كما تقدمناه ولا يصعنا انكار ذلك عنها اذ كثير من هذه الأحوال في غاية  
 الشهرة والوضوح بل فيها ما يلحق بالستقيض والمتواتر وفيها ما يرى والمشاهد من آثار  
 البناء وغيره نغذ من الأحوال المنقولة مراتب الدول في قوتها وضعفها وخضاعتها  
 أو عجزها باعتبار ذلك بما تنص عليه من هذه الحكاية المستطرفة وذلك أنه ورد  
 بالحرب لعهد السلطان أبي عنان من ملوك بني مرين وجبل من مشيخة طنجة يعرف

باب بطولته كن رجل من عشرين سنة قبلها الى المشرق وتطير في بلاد العراق  
 واليمن والهند ودخل مدينة دهل حاضرة ملك الهند وهو السلطان محمد شاه واتصل  
 بملكها الذلة العهد وهو فيروز جوهر وكان له منه مكان واستعمله في خطة القضاء بمذهب  
 المالكية في علمه ثم انقلب الى المغرب واتصل بالسلطان أبي عنان وكان يحدث عن شأن  
 رحلته وما رأى من المجائبات عما لك الارض وأكثر ما كان يحدث عن دولة صاحب  
 الهندو يأتي من أحواله بما يستغربه السامعون مثل أن ملك الهند اذا خرج الى  
 السفر أحصى أهل مدينته من الرجال والنساء والولدان وفرض لهم رزق ستة أشهر  
 تدفع لهم من عطائه وأنه عند رجوعه من سفره يدخل في يوم مشهود يزيقه الناس  
 ككافته الى صحراء البلد ويطوفون به وينصب أمامه في ذلك الحفل مخضبات على  
 الظهر تزي بها أسكار الدراهم والدينار على الناس الى أن يدخل ابوانه وأمثال هذه  
 الحكايات فتناجي الناس بكذبه • ولقيت أبا مشد وزير السلطان فارس بن  
 وردار البعد الصب فساوخته في هذا الشأن وأرته انكارا خبار ذلك الرجل لما  
 استدأض في الناس من تكذبه فقال لي الوزير فارس بالأن تستنكر مثل هذا  
 من أحوال الدول بما نكلمه فتكون كائن الوزير الناشئ في السجن وذلك أن وزرا  
 اعتقله سلطانه ومكث في السجن سنين ربي فيها ابنه في ذلك الحبس فلما أدرك وعقل نأل  
 عن اللهم الذي كان يتغذى به فقال له أبوه هذا لحم الغنم فقال وما الغنم فصفها له  
 أبوه شيئا رفقته فاقبول يا أبت تراها مثل النار في سكر عليه ويقول أين الغنم من  
 النار وكذا في لحم الابل والبقر اذ لم يعاين في محبسه من الحيوانات الا النار في سكرها  
 كما أبدأ جنس النار وهذا كثير ما يعترى الناس في الاخبار كما يعترىهم الوسواس في  
 الزيادة عند قصد الاغراب كما قد تمناه أول الكتاب فليرجع الانسان الى أصوله وليكن  
 مهتما على نفسه وعيما بغير طبيعة المحكم والمتبع بصريح عقله واستقيم فطرته فما  
 دخل في نطاق الامكان قبله وما خرج عنه رفضه وليس مرادنا الامكان العقلي المطلق  
 فان نطاقه أوسع من شئ فلا يرض حداث الواقعات وانما مرادنا الامكان بسبب المادة  
 التي للشيء فاننا اذا نظرنا اصل الشئ وجنسه وصفه ومقدار عظمه وقوته أجرى الحكم  
 من نسبة ذلك على أحواله بحكمه نانا لا امتناع على ما خرج من نطاقه وقل رب زدني علما  
 وأنت أرحم الراغبين والله سبحانه وتعالى أعلم

١٩ (فصل في استظهار صاحب الدولة على قومه أهل عصبته بالموالي والمصطنعين

(اعل) أن صاحب الدولة انما يتم أمره كالقضاء بشومه فهم عصبته وتظهر أوه على شأنه



ولهم شارع الخوارج على دولته ومنهم من نقله أعمال مملكته ووزارته دولته وجباية أمواله لانهم أعوانه على القلب وشركاؤه في الامر ومساهموه في سائر مهماته هذا مادام الطور الاول للدولة كما قلناه فادابيه الطور الثاني وظهور الاستبداد عنهم والاتقاد بالحدود انهم عنه بارج صاروا في حقيقة الامر من بعض أصدقاءه واحتاج في مدافعهم عن الامر وصدتهم عن المشاركة الى أوليه أكثر من غير جلدتهم يستظهر بهم عليهم يتولاهم دونهم فيكونون أقرب اليه من سائرهم وأخص به قربا واصطناعا وأولى ايشاؤا وجاهلما أنهم يستقرون دونه في مدافعة بقوه عن الامر الذي كان لهم والرثة التي ألغوها في مشاركتهم فيستخلصهم صاحب الدولة حينئذ ويضمهم بمزيد التكرمة والائثار ويقسم لهم مثل مال الكثيرين قومه ويقلدهم جليل الاعمال والولايات من الوزارة والقيادة والجبابة وما يخص به نفسه وتكون خاصة له دون قومه من ألقاب المملكة لانهم حينئذ أولياؤه الأقربون وخصاؤه المخلصون وذلك حينئذ يؤذن باهتمام الدولة وعلامة على المرض المزمن فيه الفساد العسية التي كان ينه القلب عليها ومرض كلوب أهل الدولة حينئذ من الامتحان وعداؤا السلطان فيضطفون عليه ويتربصونه الدوائر ويعود بال ذلك على الدولة ولا يطمع في برئها من هذا الداء فلا ماضى يتأ كفى الاعتقاد الى أن يذهب روحها واعتبر ذلك في دولة بني أمية كيف كانوا انحابت نظرون في حروبهم وولاية أعمالهم برجال العرب مثل عمرو بن سعد بن أبي وقاص وعبيد الله بن زياد بن أبي سفيان والحجاج بن يوسف والمهلب بن أبي صفرة وخالد بن عبد الله القسري وابن هبيرة وموسى بن نصير وبلال بن أبي بردة بن أبي موسى الأشعري ونصر بن سيار وأمثالهم من رجال آل العرب وكذا صدور من دولة بني العباس كان الاستظهار فيها أيضا برجال آل العرب فلما صارت الدولة للأفراد بالحدود كبح العرب عن التناول للولايات صارت الوزارة لهم والصنائع من البرامكة ونسي سهل بن قتيبة ونسي طاهر بن قويه وموالي الترك مثل بغا ومبكي واناس وبالكاء وابن طولون وأبنائهم وغير هؤلاء من موالى الجسم فتكون الدولة لتغير من مهداها والفرقير من اجتلبه سنة الله في عباد الله تعالى أعلم

## ٢٠ (فضل في احوال الموالى والمصطنعين في الدول)

اعلم أن المصطنعين في الدول يتفاوتون في الاتهام بصاحب الدولة يتفاوت قديمهم وحديثهم في الاتهام بصاحبها والسبب في ذلك أن المقصود في العسية من المدافعة والمغالبة انما يتم بالنسب لاجل التناصر في ذوى الارحام والقربى والتضال في

الاجانب والبعداء كما قمتنا موالا لولاية وانما لطف بالرفق وباللطف منزل ذلك لان  
 أمر النسب وان كان طبيعيا فاعماله وهى والمعنى الذى كان به الاتهام اغلحو  
 العشرة والمداخلة وطول الممارسة والعصبية بالمرى والرضاع وسائر احوال الموت  
 والحياة واذا حصل الاتهام بذلك جاست النعرة والتناصر وهذا ما تهادين الناس  
 واعتبره مثله فى الاصطناع فانه يحدث بين المصطنع ومن اصطنعه نسبة خاصة من  
 الوصلة منزل هذه المنزلة وتوقد كد اللجمة وان لم يكن نسب ففترات النسب موجودة  
 فاذا كانت هذه الولاية بين القبيل وبين اوليائهم قبل حصول الملك لهم كانت عروقها  
 اوضح وعقائدها اوضح ونسبها اوضح لوجهين أحدهما أنهم قبل الملك اسوة فى حالهم  
 فلا يتميز النسب عن الولاية الا عند الاقل منهم فيسترون منهم منزلة ذوى قرابتهم وأهل  
 أرحامهم واذا اصطنعهم بعد الملك كانت مرتبة الملك جمعة للسيد عن المولى ولاهل  
 القرابة عن أهل الولاية والاصطناع لما تقتضيه احوال الرئاسة والملك من تميز الرتب  
 وتفاوتها وتميز حالهم ويسترون منزل الاجانب ويكون الاتهام بينهم أضعف والتناصر  
 لذلك أبعد ذلك أنقص من الاصطناع قبل الملك \* الوجه الثاني أن الاصطناع  
 قبل الملك يبعد عهده عن أهل الدولة بطول الزمان ويحجب شأن تلك اللجمة ويظن بها فى  
 الاكثريات نسب أقوى حال العصبية وأما بعد الملك فيقرب العهد ويستوى فى  
 معرفة الاكثر فتنين اللجمة وتتميز عن النسب فتضعف العصبية بالنسبة الى الولاية  
 التى كانت قبل الدولة واعتبر ذلك فى الدول والرياسات تجده مكل من كان اصطناعه قبل  
 حصول الرئاسة والملك لمصطنعه تجده أشد التهاما به وأقرب قرابة اليه ويستزل منه منزلة  
 أبنائه وأخوانه وذوى زوجه ومن كان اصطناعه بعد حصول الملك والرئاسة لمصطنعه  
 لا يكونه من القرابة واللجمة مالا أولين وهذا ما تهادى بالبيان حق ان الدولة فى آخر  
 عمرها ترجع الى استعمال الاجانب واصطناعهم ولا يبقى لهم مجد كما ينادى المصطنعون قبل  
 الدولة تقرب العهد حينئذبا وليستهم ومشاورة الدولة على الانقراض فيكونون منقطعين  
 فيمهاوى الشعة وانما يحصل صاحب الدولة على اصطناعهم والعلول اليهم عن  
 أوليائهم الاقدمين وصنائعها الأولين ما يعترهم فى أنفسهم من العزلة على صاحب الدولة  
 وقلة الخضوع له ونظرة بيا نظره بقبيله وأهل نسبه لتأكد اللجمة منذ العصور  
 المتطاولة بالمرى والاتصال بآبائه وسلف قومه والاتهام مع كبراهل بيته فيحصل لهم  
 بذلك الدالة على اعتزازهم بفسادهم واسمها صاحب الدولة ويعزل عنهم الى استعمال  
 سواهم ويكون عهد استقلالهم واصطناعهم قريبا فلا يلقون رب المجد ويقون  
 على حالهم من الخارجية وهكذا شأن الدول فى آخرها وأكثرا يطلق اسم الصنائع

والاولياء على الاولين وأما هؤلاء المحدثون فخدموا أعوان وألقه ولي المؤمنين وهو على كل شيء وكيل

### ٢١ (فصل فيما يرضى في الدول من حجب السلطان والاستبداد عليه)

إذا استقر الملك في نصاب معين ومنبت واحد من القبيل انقاعين بالدولة وانقرد رايه ودفعوا سائر القبيل عنه وتداوله بنوهم واحدا بعد واحد بحسب الترشيع فربما حدث التغلب على المنصب من وزرائهم وحاشيتهم وسببه في الاضطراب ولا يهتدى بصغير أو مضغ من أهل المنبت يترشح للولاية بعده أي أوترشع ذويه وخوله ويؤنس منه المجهز عن انقيام بالملك فيقوم به خلفه من وزراء أبيه وحاشيته ومواليه وأقبيله ويورى بهنظ أمره عليه حتى يؤنس منه الاستبداد ويجعل ذلك ذريعة للملك فيجيب العبي عن الناس ويعوده المذات التي يدعوه بها زف أحواله ويسيه في مراعيها متى أمكنه ويسيه النظر في الامور السلطانية حتى يستبد عليه وهو بما عوده يستقد أن حظ السلطان من الملك انما هو جلوس السرور واعطاء الصفة وخطاب التهنيل والقعود مع النساء خلف الحجاب وان الحل والربط والأمر والنهي وبمباشرة الاحوال الملوكية وتفقدوها من النظر في الجديس والمال والثغور انما هو للوزير وبسمله في ذلك الى أن تستحكم له صبغة الرياسة والاستبداد ويحول الملك اليه ويؤثر به عشيرته وأبناءه من بعده كما وقع لبي بويه والترك وكافورا لاخشيدي وغيرهم بالمشرق والمصوبين أبي عامر بالاندلس وقد يتفطن ذلك المحجود المقلب لشأنه فيصاويل على الخروج من ربة الحجر والاستبداد ويرجع الملك الى قصاد ويضرب على أيدي المتغلبين عليه اما يقتل أو يرفع عن الرسة فقط الآن ذلك في النادر الاقل لأن الدولة اذا أخذت في تقلب الوزراء والاولياء استمر لها ذلك وقل أن يخرج عنه لان ذلك انما يوجد في الاكثر عن أحوال الترف ونشأة أبناء الملك منه سين في نعيمه قدسوا وعهد الرحولة وألنوا أخلاق الدايات والأطيار وروبو اعليها فلا يزعمون الى رياسة ولا يعرفون استبداد من تغلب انما هم مهم في التنوع بالاشبه والتفنن في المذات وأنواع الترف وهذا التغلب يكون للموالي والمصطنعين عند استبداد عشير الملك على قومهم وانفرادهم به ودرهم وهو عارض للدولة ونسروى كما قد مناه وهذا من مرضان لآبرء للدولة منها ما لا في الاقل النادر والله يؤتي ملكه من يشاء وهو على كل شيء قدير

### ٢٢ (فصل في ان المتغلبين على السلطان لا يشاركون في لقب الناس بالملك)

وذلك أن الملك والسلطان حصل لاولاهه هذا قول الدولة بصبغة قومه وعصيته التي

استتبعهم حتى استحكمت له ولقومه صبغة الملك والغلب وهي لم تزل باقية وبها  
 انحفظ رسم الدولة وبقاؤها وهذا المتقلب وان كان صاحب عصية من قبيل الملك أو  
 الموالي والصنائع فصيته مندرجة في عصية أهل الملك وتابعة لها وليس له صبغة في  
 الملك وهو لا يحاول في استبداده انتزاع الملك ظاهرا واعيا يحاول انتزاع ثمراته من  
 الامر والنهي والحل والعقد والابرار والنقض يوهب فيها أهل الدولة أنه متصرف عن  
 سلطانته متنفذ في ذلك من وراء الحجاب لاحكامه فهو يتجافى عن سمات الملك وشواربه  
 وألقابه جهده ويعبد نفسه عن التهمة بذلك وان حصل له الاستبداد لانه مستقر في  
 استبداده ذلك بالحجاب الذي ضربه السلطان وأولوؤه على أنفسهم عن القبيل منذ أول  
 الدولة ومغالط عنه بالنسبة ولو تعرض لشي من ذلك لنفسه عليه أهل العصية وقبيل  
 الملك وحاولوا الاستناب به دون ذلك لم تستحكم له في ذلك صبغة تحملهم على التسليم له  
 والانقياد في تلك الاقل وهله وقد وقع مثل هذا العبد الرحمن بن الناصر بن المنصور بن  
 أيمن عاصر حين سما الى مشاركة هشام وأهل بيته في لقب الخلافة ولم يقنع بما فتح به أبوه  
 وأخوه من الاستبداد بالحل والعقد والمراسم المتتابعة فطلب من هشام خلقه أن  
 يعهد له بالخلافة فنقض ذلك عليه بنورمان وسائر قرش وبايعوا الابن عم الخلافة  
 هشام محمد بن عبد الجبار بن الناصر وعرجوا عليهم وكلن في ذلك خراب دولة العاصرين  
 وهلاك المويدي خليفهم واستبدل منه سوامن أعيان الدولة الى آخرها واختلف  
 من اسم ملكهم والله خير الوارثين

### ٢٣ (فصل في حقيقة الملك واصنافه)

الملك منصب طبيعي للانسان لا فاعدينا أن البشر لا يمكن حيلهم ووجودهم  
 الا باجتماعهم وتعاونهم على تحصيل قوتهم وضروا تهم واذا اجتمعوا دعت الضرورة  
 الى المعاملة واقضاء الحاجات ومد كل واحد منهم يده الى حاجته يأخذها من صاحبه  
 لما في الطبيعة الحيوانية من الظلم والعدوان بعضهم على بعض وبما لقيه الاخر عنها  
 بمقتضى الغضب والانتقام ومقتضى القوة البشرية في ذلك فيقع التنازع المقتضى الى  
 المعاقلة وهي تؤدي الى الهرج وسفك الدماء واذهاب النفوس المقتضى ذلك الى انقطاع  
 النوع وهو مما خصه البارئ سبحانه بالمحافضة فاستحال جأؤهم فوضى دون حاكم يزع  
 بعضهم عن بعض واحتاجوا من أجل ذلك الى الوازع وهو الحاكم عليهم وهو مقتضى  
 الطبيعة البشرية الملك القاهر المحكم ولا بد في ذلك من العصية لما تقدم منه من أن  
 المطالبات كلها والمداينات لآتم الا بالعصية وهذا الملك كآثر منصب شريف تتوجه

نحوه المطالبات ويحتاج الى المدافعات ولا يتم شئ من ذلك الا بالعصيات كما مر  
والعصيات متفاوتة وكل عصية قلها تحكم وتقلب على من عليها من قومها وعشيرها  
وليس الملك لكل عصية وانما الملك على الحقيقة لمن يستعبد الرعية ويحيى الاموال  
ويبعث البعوث ويحصى الثغور ولا تكون فوقه يد ظاهرة وهذا معنى الملك وحقيقته  
في المشهور فمن قصرت به عصيته عن بعضها مثل حياية الثغور او حباية الاموال او  
بعث البعوث فهو ملك ناقص لم تتم حقيقته كما وقع لكثير من ملوك البربر في دولة  
الانغالبة بالثغور وان ملوك العجم مدراء الدولة العباسية ومن قصرت به عصيته اضعاف  
الاستعلاء على جميع العصيات والضرب على ساير الاليدى وكان فوقه حكم غيره فهو  
ايضا ملك ناقص لم تتم حقيقته وهؤلاء مثل امراء التواحي وروساء الجهات الذين  
تجمعهم دولة واحدة وكثيرا ما يوجد هذا في الدولة المتسعة النطاق اعني توجد ملوك  
على قومهم في التواحي القاصية يدينون بطاعة الدولة التي جمعهم مثل مناجحة مع  
العبيدين وزياد مع الامويين تارة والعبيدين تارة اخرى ومثل ملوك العجم في دولة  
بنى العباس ومثل امراء البربر وملوكهم مع القرشجة قبل الاسلام ومثل ملوك  
الطواقيس من القرص مع الاسكندر وقومه اليونانيين وكثيرين هؤلاء فاعتبره بقدره  
والله القاهر فوق عباده

٢٤ (فصل في ان ارهاق الحد مضر بالملك ومفسد له في الاكثر)

اعلم ان مصلحة الرعية في السلطان ليست في ذاته وجسمه من حسن شكله وملاحه  
وجهه أو عظم جفائه أو اتساع عمله أو جودة خطه أو تقرب ذهنه وانما مصلحة لهم فيه  
من حيث اضافته اليهم فان الملك والسلطان من الامور الاضافية وهي نسبة بين  
متسبين حقيقة السلطان انه المالك للرعية القائم في امورهم عليهم فالسلطان من له  
رعية والرعية من لها سلطان والصفة التي لمن حيث اضافته اليهم هي التي تسمى الملكية  
وهي كونه يملكهم فاذا كانت هذه الملكية وتوابعها من الجوده بمكان حصل المقصود ومن  
السلطان على اتم الوجوه فانها ان كانت جملة صالحة كان ذلك مصلحة لهم وان كانت  
سببة متعصفة كل ذلك ضرر عليهم واهلا كلهم ويعود حسن الملكية الى الرفق فان  
الملك اذا كان قاهرا باطشا بالعقوبات متقبعا عن عورات الناس وتعديد ذنوبهم شغلهم  
انحرف والنل ولا توامنه بالكذب والمكر والخديعة فخلقوا به وفسدت بضارهم  
وأخلاقهم وورعنا خلوهم في مواطن الحروب والمدافعات ففسدت الحماية بضياد النبات  
ورعا أجمعوا على قتله لذلك ففسد الدولة وتحرب السيلح وان دام امره عليهم قهره

فسدت العصية لما قلناه أو لا وفسد السباح من أصلها بالعجز عن الحياطة وإذا كان  
وفيقا بهم محبا وزاعنا يشاكهم استنماوا اليه ولا توبوا وأشر بواجبه واحتاوا أدونه  
في محاربة أعدائه فاستقام الأمر من كل جانب وتماقوا مع حسن الملكة فهي النعمة  
عليهم والمدافعة عنهم والمدافعة بها تتر حقيقته الملك وأما نعمة عليهم والاحسان لهم  
فمن جهة الرفق بهم والنظر اليهم في معاشهم وهي أصل كبير في الحب إلى الرعية وأعلم  
أنه قلما تكون ملكة الرفق فيمن يكون يتفنا شديد الذكاء من الناس وأكثر ما يوجد  
الرفق في الغفل والتغفل وأقل ما يكون في البقظ أنه يكلف الرعية فوق طاقتهم لنفوذ  
نظره فيأمر وأمرهم واطلاعه على عواقب الأمور في مبادئها بالمعينة فهل يكون  
لذلك قال صلى الله عليه وسلم مروا على سيرة نبيكم ومن هذا الباب انتمط الشارع  
في الحاكم قلة الإفراط في الذكاء وما أخذه من قصة زياد بن أبي سفيان لما عزله عمر عن  
العراق وقال لم عزلتني يا أمير المؤمنين العجز أم لئيمانه فقال عمر لم أعزلك لواحدة منهما  
ولكني كرهت أن أحل فضل عقلت على الناس فأخضن هذا أن الحاكم لا يكون مغرطا  
الذكاء والكيس مثل زياد بن أبي سفيان وعمر بن العاصي لما يتبع ذلك من التعف  
وسوء الملكة وحل الوجود على ما ليس في طبعه كما يأتي في آخر هذا الكتاب والله خير  
المالكين وتتر من هذا أن الكيس والذكاء عيب في صاحب السيادة لانه إفراط في  
الفكر كان البلادة إفراط في الجود والطر فان مذمومان من كل صفة انسانية  
والحمود هو التوسط كما في الكرم مع التيزر والفضل وكما في الشجاعة مع الهوج  
والجبن وغير ذلك من الصفات الانسانية ولهذا اوصف الشديد الكيس بصفات  
الشیطان فية الشيطان ومنشيطن وأمثال ذلك والله يخلق ما يشاء وهو العليم القدير

## ٢٥ (فصل في معنى الخلافة والامامة)

لماسكانت حقيقة الملك أنه الاجتماع الضروري للبشر وقد خضعوا للقلب والتهور  
الذات هم من آثار النضب والحيوانية كانت أحكام صاحبه في الغالب جائرة عن  
الحق مجففة عن تحديده من الخلق في أحوال دنياهم لجهلها بهم في الغالب على ما ليس في  
طوقهم من أغراض وشهوات ويختلف ذلك باختلاف المقاصد من الخلف والسلف  
منهم فتعسر طاعته لذلك وتجي العصية المنضية إلى الهرج والقتل فوجب أن يرجع  
في ذلك إلى قوانين سياسية مفروضة يسلمها الكافة ويتقادون إلى أحكامها كما  
كان ذلك للفرس وغيرهم من الأمم وإذا خلت الدولة من مثل هذه السياسة لم يستتب  
أمرها ولا يتم استيلاؤها سنة الله في الذين خلوا من قبل فاذا كانت هذه القوانين

مفروضة من العقلاء وأكابر الدولة وبصرائها كانت سياسة عقلة وإذا كانت مفروضة من الله بنار عيقرها وبشرعها كانت سياسة دينية دفعة في الحياة الدنيا وفي الآخرة وذلك أن الخلق ليس المقصود بهم دنياهم فقط فأنها كلها عبث وباطل إذ غايتها الموت والقضاء والله يقول أخفسيتم أعما خلقناكم عبثا فالفقه وديهم أنما هو دنيهم المقضى بهم إلى السعادة في آخرتهم صراط الله الذي له ما في السموات وما في الأرض بخاف من الشرائع بمحملهم على ذلك في جميع أحوالهم من عبادة ومعاملات حتى في الملك الذي هو طبيعي للاجتماع الانساني فأجرته على منهاج الدين ليكون الكل محمولا بنظر الشارع فما كان منه بمقتضى القهر وانقلب وإهمال القوة انقضت في مرعاهما فجور وعدوان ومذموم عنده كما هو مقتضى الحكمة السياسية وما كان منه بمقتضى السياسة وأحكامها فمذموم أيضا لأنه نظير غير نور الله ومن لم يجعل الله له نورا فإنه لن نور لأن الشارع أعلم بمصالح الكافة فيها هو غيب عنهم من أمور آخرتهم وأعمال البشر كلها عامة عليهم في معادهم من ملكا وغيره قال صلى الله عليه وسلم تنهاى أفعالكم ترد عليكم وأحكام السياسة انما تطلع على مصالح الدنيا فقط يعلمون ظاهرا من الحياة الدنيا ومقصود الشارع بالناس صلاح آخرتهم فوجب بمقتضى الشرائع حل الكافة على الأحكام الشرعية في أحوال دنياهم وآخرتهم وكان هذا الحكم لاهل الشريعة وهم الانبياء ومن قام فيهم مقامهم وهم الخلفاء فقد بين لك من ذلك معنى الخلافة وإن الملك الطبيعي هو حل الكافة على مقتضى الغرض والشهوة والسبب هو حل الكافة على مقتضى النظر العقلي في جلب المصالح الدنيوية ودفع المضار والخفة هي حل الكافة على مقتضى النظر الشرعي في مصالحهم الأخروية والدنيوية. الرجعة إليها إذا أحوال الدنيا ترجع كلها عند الشارع إلى اعتبارها بمصالح الآخرة فهي في الحقيقة خلافة عن صاحب الشرع في حراسة الدين وسياسة الدنيا فافهم ذلك واعتبره فيلنورده عليك من بعد والله الحكيم العليم

٢٦٠ (فصل في اختلاف الامة في حكم هذا المنصب وشروطه)

وأذ قد بينا حقيقة هذا المنصب وأنه نيابة عن صاحب الشريعة في حفظ الدين وسياسة الدنيا بتسيخ خلافة وإمامة والقائم به خليفة وإماما فأما سمته إماما فتسببها إمام الصلاة في أتباعه والافتدائه به ولهذا يقال الإمامة الكبرى وأما سمته خليفة فلكونه يخلف النبي في أئمة فيقال خليفة باطلاق وخطبة رسول الله واختلف في تسميته خليفة الله فأجازه بعضهم اقتباسا من الخلافة العاتية التي لا يمين في قوله تعالى إني

جاعل في الارض خليفة وقوله جعلكم خلافة الارض ومنع الجمهور منه لان معنى  
 الآية ليس عليه وقد نهى أبو بكر عن ملأ دعي به وقال لست خليفة الله ولكني خليفة  
 رسول الله صلى الله عليه وسلم ولأن الاختلاف انما هو في حق الغائب وأما الحاضر فلا  
 ثم ان نصب الامام واجب قد عرف وجوبه في الشرع باجماع الصحابة والتابعين لان  
 أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم عند وفاته بادروا الى بيعة أبي بكر رضي الله عنه  
 وتسليم النظر اليه في امورهم وكذا في كل عصر من بعد ذلك ولم تترك الناس فوضى في  
 عصر من الاعصار واستقر ذلك اجماعا دالا على وجوب نصب الامام وقد ذهب بعض  
 الناس الى أن مدرك وجوبه العقل وأن الاجماع الذي وقع انما هو قضاء بحكم العقل  
 فيه قالوا وانما وجب بالعقل لضرورة الاجتماع للبشر واستحالة حياتهم ووجودهم  
 منفردين ومن ضرورة الاجتماع التنازع لازدحام الاغراض فلم يكن الحاكم الوازع  
 أفضى ذلك الى الهرج المؤذن بهلاك البشر وانقطاعهم مع أن حفظ النوع من مقاصد  
 الشرع الضرورية وهذا المعنى بعينه هو الذي لحظه الحكماء في وجوب النبوات في  
 البشر وقد نهى على فسادهم وان احدى مقدماته أن الوازع انما يكون بشر من الله  
 تسلم له الكفاية لتسليم ايمان واطاعة وهو غير مسلم لأن الوازع قد يكون بطلوة الملك  
 وقهر أهل الشوك ولو لم يكن شرع كافي أتم الجوس وغيرهم عن ليس له كتاب ولم تبلغه  
 الدعوة أو تقول يكفي في رفع التنازع معرفة كل واحد بصره الظلم عليه بحكم العقل  
 فادعاهم أن ارتفاع التنازع انما يكون بوجود الشرع هناك ونصب الامام هنا غير  
 صحيح بل كما يكون بنصب الامام يكون بوجود الرؤساء أهل الشوك أو بامتناع الناس  
 عن التنازع والتظالم فلا ينهض دليهم العقلي المتيقن على هذه المقدمة فدل على أن  
 مدرك وجوبه انما هو بالشرع وهو الاجماع الذي قدمناه وقد شد بعض الناس فقال  
 بعدم وجوب هذا النسب رأسا بالعقل ولا بالشرع منهم الا من من المعتزلة وبعض  
 الخوارج وغيرهم والواجب عندهم انما هو لامضاء أحكام الشرع فاذا اتوا طأت  
 الامة على العدل وتنفيذ أحكام الله تعالى لم يحتاج الى امام ولا يجب نصبه وهو لا  
 محجوجون بالاجماع والذي جلهم على هذا المذهب انما هو القرار عن الملك ومذاهبه  
 من الاستطالة والتغلب والاستمتاع بالدين المأرا والشرعية ممتثلة بدم ذلك والنبي  
 على أهله ومرغبة في رفضه واعلم أن الشرع لم يذم الملك لذاته ولا حظ في القيام به وانما  
 ذم المقاسد الناشئة عنه من القهر والظلم والتمتع بالذات ولا شك أن في هذه مفساد  
 محظورة وهي من وابعه كما نرى على العدل والنصفة واقامة مراسم الدين والذب عنه  
 وأوجب بانها الثواب وهي كلها من تواب الملك فاذا انما وقع الذم للملك على مفة



وحال دون حال أخرى ولم يذته لذاته ولا طلب تركه كما ذم الشهوة والغضب من المكلفين وليس مراده تركهما بالكلية لدعاية الضرورة اليها وانما المراد قصر يفهما على مقتضى الحق وقد كان لداود وسليمان صلات الله وسلامه عليهما الملك الذي لم يكن لغيرهما وهذا من أنبياء الله تعالى وأكرم الخلق عنده ثم يقول لهم إن هذا القرار عن الملك بعدم وجوب هذا النصب لا يغنيكم ثبأتكم موافقون على وجوب إقامة أحكام الشريعة وذلك لا يحصل إلا بالعصية والشوكة والعصية مقتضية بطيعها الملك فيحصل الملك وإن لم ينصب إمام وهو عين ما فرت عنه وإذا اقتصر أن هذا النصب واجب بإجماع فهو من فروض الكفاية ويراجع إلى اختيار أهل العقد والحل فتبين عليهم نصبه ويجب على الخلق طيعا طاعته لقوله تعالى أطيعوا الله وأطيعوا الرسول وأولى الأمر منكم\* وأما شروط هذا النصب فهي أربعة العلم والعدالة والكفاية وسلامة الخواص والأعضاء مما يؤثر في الرأي والعمل واختلف في شرط خامس وهو النسب القرشي فأما اشتراط العلم فظاهر لانه انما يكون منتقدا لأحكام الله تعالى إذا كان عالما بما رآه يعلمها لا يصح تقديمه لها ولا يكفي من العلم إلا أن يكون مجتهدا لأن التقليد ناقص والامامة تستدعي الكمال في الاوصاف والاحوال وأما العدالة فلانه منصب ديني ينظر في سائر المناصب التي هي شرط فيها فكان أولى باشتراطها فيه ولا خلاف في انتفاء العدالة فيه بفسق الخوارج من ارتكاب المخطورات وأمثالها وفي انتفاءها لبدء الاعتقادية خلاف وأما الكفاية فهو أن يكون جرياً على إقامة الحدود واقحام الحروب بصيرها كفاً لا بجملة الناس عليها عارفاً بالعصية وأحوال الدهاقوي على معاد السياسة ليصح له ذلك ما جعل اليه من حجابة الدين وجهاد العدو إقامة الأحكام وتبديل الصالح وأما سلامة الخواص والأعضاء من النقص والعطلة كالجنون والعمى والصمم والخرس وما يؤثر في فقد من الأعضاء في العمل كنفق اليدين والرجلين والاثنتين فنشترط السلامة منها كلها التأثير ذلك في تمام عمله وقيامه بما جعل إليه وإن كان انما يشين في المنظر فقط كنفق إحدى هذه الأعضاء فنشترط السلامة منه شرط كمال ويلحق بفقدان الأعضاء المنع من التصرف وهو ضربان ضرب يلحق بهذه في اشتراط السلامة منه شرط وجوب وهو القهر والحجز عن التصرف بجملة بالاسرو وشبهه وضرب لا يلحق بهذه وهو الحجز باستيلاء بعض أعوانه عليه من غير عصيان ولا مشاققة فينتقل النظر في حال هذا المستوى فإن جرى على حكم الدين والعدل وحيد السياسة جازا قراره والاستعصم المسلمون بمن يقضيه عن ذات ويدفع عنه حتى تشدد فعل الخليفة

وأما النسب القرشي فلا جاع العصاة يوم السقفة على ذلك واحتج قريش على  
الانصار لما هموا يومئذ ببيعة سعد بن عباد وقالوا منكم أمير وممنكم أمير بقوله صلى الله  
عليه وسلم لا أئمة من قريش وبأن النبي صلى الله عليه وسلم أوصانا بأن نخسن إلى  
محبسكم ونجاء وزعن مدينتكم ولو كانت الامارة بكم لم تكن الوصية بكم فحبوا  
الانصار ورجعوا عن قولهم منكم أمير وشكم أمير وعدلوا عما كانوا هموا به من بيعة  
سعد ذلك وثبت أيضاً في الصحيح لا يزال هذا الأمر في هذا الحى من قريش وأمثال  
هذه الأدلة كثيرة إلا أنه لما ضعف أمر قريش وتلاشت مصيبتهم عما نالهم من القرب  
والنعم وبما أفقتهم الدولة في سائر أقطار الأرض عجزوا بذلك عن جعل الخلافة  
وتغلبت عليهم الأعاجم وصاروا لحل والعقد لهم فاشتبه ذلك على كثير من المحققين حتى  
ذهبوا إلى أني اشتراط القرشية وعزلوا على ظواهر في ذلك مثل قوله صلى الله عليه  
وسلم اسمعوا وأطيعوا وإن ولي عليكم عبد حبشي ذو زبينة وهذا لا تقوم به حجة في ذلك  
فانه خرج مخرج القنيل والقرش للمبالغة في إيجاب السمع والطاعة ومثل قول عمر  
لو كان سالم مولى حذيفة حياً لوليه أو لما دخلتني فيه الظنة وهو أيضاً لا يفيد ذلك لما  
علمت أن مذهب الصحابي ليس بحجة وأيضاً غوى القوم منهم وعصية الولاء حاصلة تسالم  
في قريش وهي الفائدة في اشتراط النسب ولما استعظم عمر أمر الخلافة ورأى شروطها  
كأنهم مفقودة في ظنه عدل إلى سالم لتوفر شروط الخلافة بحسبه فيه حتى من  
النسب المقصد العصية كالأدلة كرو لم يبق الاصرحة النسب فرآه غير محتاج إليه إذا الفائدة  
في النسب إنما هي العصية وهي حاصلة من الولاء فكان ذلك حراً صلباً عن رضى الله  
عنه على الظن للمسلمين وتقليد أمرهم بل لا تلحقه فيه لائمة ولا عليه فيه عهدة ومن  
القاتلين بنى اشتراط القرشية القاضى أبو بكر الباقلاى لما أدلى عليه عصية قريش  
من التلاشي والاضمحلال واستبداد ملوك الهجيم على الخلفاء فأقطع شرط القرشية  
وإن كانوا اقتضوا إلى أي الخوارج لما رأى عليه حال الخلفاء لعهددهم ببقى الجهود على  
القول باشتراطها وصحة الامامة للقرشي ولو كان عاجزاً عن القيام بأمرها لمسلمين ووذ  
عليهم سقوط شرط الكفاية التي يقولون على أمره لانه اذا ذهب الشوك بذهاب  
العصية فقد ذهب الكفاية واذا وقع الاخلال بشرط الكفاية تطرق ذلك أيضاً إلى  
العالم والذين وسقط اعتبار شرط هذا المنصب وهو خلاف الاجماع وتسلم الآن  
في حكمة اشتراط النسب ليتحقق به الصواب في هذه المذاهب فنقول ان الاحكام  
الشرعية كلها لا بد لها من مقاصد وحكم تشتمل عليها وتشرع لاجلها ونحن اذا  
بحثنا عن الحكمة في اشتراط النسب القرشي ومقصد الشارع منه لم يقتصر فيه على

التبر بنبوة النبي صلى الله عليه وسلم كما هو في المشهور وان كانت تلك الولاية  
 موجودة والتبر لنسبها حاصل لكن التبر ليس من المقاصد الشرعية كما علمت فلا بد  
 اذن من المصلحة في اشتراط النسب وهي المقصودة من مشروعيها واذا سبرنا وقعنا  
 فيها الا اعتبار العصبة التي تكون بين الحماية والمطالبة ويرتفع الخلاف والفرقة  
 بوجودها صاحب المنصب فتمكن اليه الملة وأهلها وينتظم جبل الالفة فيها وذلك  
 أن قریشا كانوا عصبه مضر وأصلهم وأهل الغلب منهم وكان لهم على سائر مضر العزة  
 بالكثرة والعصبة والشرف فكان سائر العرب يعترف لهم بذلك ويستكينون لعلهم  
 فلو جعل الامر في سواهم لتوقع اقتراق الكلمة بمنازعتهم وعدم انقيادهم ولا يقيد  
 غيرهم من قبائل مضر أن يردهم عن الخلاف ولا يحملهم على الكثرة فتعترف الجماعة  
 وتختلف الكلمة والشارع محذور من ذلك حريص على اتفاقهم ورفع النزاع والشتات  
 بينهم لتصل المحمة والعصبة وتحسن الحماية بخلاف ما اذا كان الامر في قریش لانهم  
 قادرين على حوق الناس بعصا الغلب الى ما راد منهم فلا يخشى من أحد خلاف عليهم  
 ولا فرقة لانهم كفولون حينئذ يدفعها ومنع الناس منها فاشترط نسبهم القرشي في هذا  
 المنصب وهم أهل العصبة القوية ليكون أبلغ في انتظام الملة واتفاق الكلمة واذا  
 انتظمت كلمتهم انتظمت بانتظامها كلمة مضر أجمع فأذن عن لهم سائر العرب وانقادت  
 الامم سواهم الى أحكام الملة ووطئت جنودهم قاصدة البلاد كما وقع في أيام الفتوحات  
 واستقر بعدها في الدولتين الى أن اضمحل أمر الخلافة وتلاشت عصبة العرب ويعلم  
 ما كان لقریش من الكثرة والغلب على بطون مضر من ما رس أخبار العرب  
 وسبرهم وتغطين لذلك في أحوالهم \* وقد ذكر ذلك ابن اسحق في كتاب السيرة -  
 فاذا ثبت أن اشتراط القرشية انما هو لدفع التنازع عما كان لهم من العصبة والغلب  
 وعلينا أن الشارح لا يخصص الاحكام بحيل ولا عصر ولا أمة علمنا أن ذلك انما هو من  
 الكفاية فرددناه اليها وطردها الى الله المشتملة على المقصود من القرشية وهي وجود  
 العصبة فاشتراطنا في القائم بامور المسلمين أن يكون من قوم أولى بعصبة قوية تابعة  
 على من معها البصر بالستتبع وامن سواهم وتجتمع الكلمة على حسن الحماية ولا يعلم  
 ذلك في الاقطار الا فاق كما كن في القرشية اذ الدعوة الاسلامية التي كانت لهم كانت  
 عامة وعصبة العرب كانت واقية بها فغلبوا سائر الامم وانما يخص لهذا العهد كل  
 قطر عن تكون فيه العصبة الغالبة واذا نظرت سر الله في الخلافة لم تعد هذا  
 لانه سبحانه انما جعل الخليفة تابعاً عنه في القيام بامور عباده ليعلمهم على مصالحهم  
 ويردهم عن مضارهم وهو مخاطب بذلك ولا مخاطب بالامر الامن له قدرة عليه ألا ترى

ما ذكره الامام ابن المطالع في شأن النساء وانهم في كثير من الاحكام الشرعية جعلوا  
 تبعاً لرجال ولم يدخلوا في الخطاب بالوضع وانما دخلوا عنده بالقياس وذلك لما لم يكن  
 لهم في من الامر شي وكان الرجال قوامين عليهن اللهم الا في العبادات التي كل واحد فيها  
 قائم على نفسه فخطا من غيرها بالوضع لا بالقياس ثم ان الوجود شاهد بذلك فانه لا يقوم  
 بأمر آتة أو جليل الا من غلب عليهم وقتل ان يكون الامر الشرعي مخالفاً للامر  
 الوجودي والله تعالى اعلم

## ٢٧ (فصل في مذاهب الشيعة في حكم الامامة)

(اعلم) ان الشيعة ملقة هم العصب والاباع ويطلق في عرف الفقهاء والمتكلمين من  
 الخلف والنسب على اتباع علي عليه رضى الله عنهم ومذهبهم جميعاً متفقين  
 عليه ان الامامة ليست من المصالح العامة التي تنزول الى فطر الامة ويتعين القائم بها  
 بشعيرتهم بل هي ركن الدين وقاعدة الاسلام ولا يجوز توليها اغفالاً ولا تفويضاً الى  
 الامة بل يجب عليه تعيين الامام لهم ويكون معصوماً من الكبار والصغار  
 وان عايد رضى الله عنه هو الذي عينه سنوات الله وسلامه عليه بخصوص يتقوون بها  
 ويؤثرون بها على مقتضى مذهبهم لا يعرفها جهابذة السنة ولا قلة الشيعة بل أكثرها  
 موضوع أو مطعون في طريقه أو بعيد عن تأويلاتهم القاسدة وتنقسم هذه النصوص  
 عندهم الى جلي وخبى فالجلي مثل قوله من كنت مولاه فعلي مولاه قالوا ولم تطرد هذه  
 الولاية الا في علي ولهذا اختلفوا في غير ما صحت مولى كل مؤمن ومؤمنة ومنها قوله  
 اقضاكم على ولاة من الامامة الا القضاء باحكام الله وهو المراد بأولى الامر الواجبة  
 فاعلمهم بقوله اطعوا الله واطعوا الرسول وأولى الامر منكم والمراد الحكم  
 بالقضاء ولو هذا كان حكاي في نسبة الامامة يوم الشيعة دون غيره ومنها قوله من  
 يبايعني على روجه وهو رضى وولى هذا الامر من بعدى فليبايعه الاعلى ومن اخفى  
 عندهم بعث النبي صلى الله عليه وسلم علياً لقراءة سورة براءة في الموسم حين أنزلت  
 فانه بعث بها أولاً بابكر ثم أوحى اليه ليلقه رجلاً منك أو من قومي فبعث علياً ليكون  
 لقارئ المبلغ قالوا وهذا يدل على تقديم علي وأيضاً لم يعرف أنه قدم أحد اعلى على  
 وأما أبو بكر وعمر فقد تم عليهم ما في غزاتين أسامة بن زيد وعمر بن العاصي أخرى  
 وهذه كلها أدلة شاهدة بتعين علي للخلافة دون غيره فتم ما هو غير معروف ومنها ما هو  
 معدن تأويلهم ثم منهم من يرى أن هذه النصوص تدل على تعيين علي وتخصيصه  
 كذلك تنقل منه الى من بعده وهو لا هم الامامية ويتبرؤون من الشيعين حيث لم

يقتدوا عليا ويابعدوه بمقتضى هذا النصوص ويعصون في امامتهم ولا يلتفت  
الى نقل القدر فيهم من غلاتهم فهو مردود عندنا وعندهم ومنهم من يقول ان هذه  
الادلة انما اقتضت تعيين علي بوصف لا بالشخص والناس مقصرون حيث لم يضعوا  
الوصف موضعه وهؤلاء هم الزيدية ولا يتركون من الشيعين ولا يعصون في امامتهم  
ضع قولهم بأن علما افضل منهم ما لكانهم يجوزون امامة المقضول مع وجود افضل ثم  
اختلفت نقول هؤلاء الشيعة في مساواة الخلافة بعد علي فمنهم من ساقها في ولد فاطمة  
بالنص عليهم واحد بعد واحد الى ما ذكر بعد هؤلاء يسمون الامامية نسبة الى  
مقاتلهم باشرط معرفة الامام وتعيينه في الايمان وهي اصل عندهم ومنهم من ساقها في  
ولد فاطمة لكن بالاختيار من الشيوخ وبشرط أن يكون الامام منهم عالما زاهدا  
جوادا شجاعا ويخرج داعيا الى امامته وهؤلاء هم الزيدية نسبة الى صاحب المذهب  
وهو زيد بن علي بن الحسين السبط ، وقد كان ينظر اثناء محمد الباقر على اشتراط  
الخروج في الامام بآية الباقرب لا يكون أبوهم ازين للعابدن اماما لانه لم يخرج ولا  
تعرض للخروج وكان مع ذلك شئ عليه مذاهب المعتزلة وأخذوا بها عن واصل بن  
عطاء ولما نظر الامامية زيد في امامة الشيعين ورأوه يقول بامامتهم ولا يترأفونهم  
رفضوه ولم يجعلوه من الأئمة وبذلك سوراضة ومنهم من ساقها بعد علي وابنه السبطين  
على اختلافهم في ذلك الى أخيهما محمد بن الحنفية ثم الى ولده وهم الكيسانية نسبة الى  
كيسان مولاوه وبين هذه الطوائف اختلافات كثيرة تركاها اختصارا ومنهم طوائف  
يسمون القلاعة تجاوزوا حد العقل والايمان في القول بالوهمية هؤلاء الأئمة اما على انهم  
بشر انصفوا بصفات الالهية أو ان الاله حل في ذاته البشرية وهو قول بالحلول  
يوافق مذهب النصاري في عيسى صلوات الله عليه ولقد حرق علي رضي الله عنه بالنار  
من ذهابه الى ذلك منهم ومخط محمد بن الحنفية المختار بن أبي عبيد الله بلغه مثل ذلك  
عنه فصرح ببلغته والبراءة منه وكذلك فعل جعفر الصادق رضي الله تعالى عنه بجمرة  
بلغه مثل هذا عنه ومنهم من يقول ان كمال الامام لا يكون لغيره فاذا مات اتفقت  
روحه الى امام آخر اكون فيه ذلك الكمال وهو قول بالتنازع ومن هؤلاء القلاعة من  
يقف عند واحد من الأئمة لا يتجاوز الى غيره بحسب من يعين لذلك عندهم وهؤلاء هم  
الواقعة في بعضهم بقول هو حليمات الأئمة غائب عن أعين الناس ويستشهدون لذلك  
بقصة انضر قيل مثل ذلك في علي رضي الله عنه وأنه في السحاب والارعد صوته والبرق  
في سوطه وقالوا منه في محمد بن الحنفية وأنه في جبل رضوى من أرض الحجاز وقال

شاعرهم

ألا ان الأئمة من قريش \* ولادة الحق أربعة سواء  
 على الثلاثة من نبيه \* هم الأسباط ليس بهم خفاء  
 فسبط سبط إيمان وبر \* وسبط غيبة ~~مكر~~ بلا  
 وسبط لا يذوق الموت حتى \* يقود الجيش يقدمه اللواء  
 فغيب لا يرى غيبهم زمانا \* برضوى عنده غسل وما

وقال مثله غلاة الامامية وخصوصا الاثني عشرية منهم يزعمون أن الثاني عشر من  
 أئمتهم وهو محمد بن الحسن العسكري يلقبونه المهدي يدخل في سرداب دارهم بالحلة  
 ونقيب حين اعتل مع أمه وغاب هناك وهو يخرج آخر الزمان فيعلا الأرض عدلا  
 يشيرون بذلك إلى الحديث الواقع في كتاب الترمذي في المهدي وهم إلى الآن ينتظرونه  
 ويسمونه المنتظر لذلك ويقفون في كل ليلة بعد صلاة المغرب يلب هذا السرداب وقد  
 نتموا أمر ~~م~~ كما فيه تفون باسمه ويدعونه للخروج حتى تشتبك النجوم ثم ينفضون  
 ويرجعون الأمر إلى الليلة الأتية وهم على ذلك لهذا العهد وبعض هؤلاء الواقعة  
 قول ان الامام الذي مات يرجع إلى حياته الدنيا ويستشهدون لذلك بما وقع في القرآن  
 لكريم من قصة أهل الكهف والذي مر على قرية وقتل بنى اسرائيل حين شرب  
 نظام البقرة التي أمر واذبحها وشمل ذلك من الخوارق التي وقعت على طريق  
 المعجزة ولا يصح الاستشهاد بها في غير مواضعها وكان من هؤلاء السيد المجري ومن  
 مره في ذلك

إذا ما المرشباب قد زال \* وعلمه المواصل بالخصاب  
 فقد ذهب بشاشته وأوى \* فقم يا صاح نيك على الشباب  
 إلى يوم تنوب الناس فيه \* إلى دنياهم وقبل الحساب  
 فليس بعائد ما فات منه \* إلى أحسد إلى يوم الابلاب  
 أدين بأن ذلك دين حق \* وما أنا في التشور بندي ارتباب  
 كذا قاله أخبر عن أناس \* حيوا من بعد درس في التراب

قد كفنا ماثونة هؤلاء الغلاة أئمة الشيعة فانهم لا يعرفون بها ويطولون احتجاجا بهم  
 لها وأما الكيسانية فاساقوا الامامة من بعد محمد بن الحنفية إلى ابنه أبي هاشم  
 هؤلاء هم الهاشمية ثم افترقوا فاتهم من ساقها بعد إلى أخيه علي ثم إلى ابنه الحسن بن  
 علي وآخرون يزعمون أن أبا هاشم لما مات بأرض السراة منصرفا من الشام وأوصى إلى  
 محمد بن علي بن عبد الله بن عباس وأوصى محمد إلى ابنه ابراهيم المعروف بالانام وأوصى  
 ابراهيم إلى أخيه عبد الله بن الحارثية الملقب بالسفاح وأوصى هو إلى أخيه عبد الله

أي جعفر الملقب بالمنصور وواتقلت في ولده بالنص والعهد واحد بعد واحد إلى آخرهم وهذا مذهب الهاشمية الثمانين بدولة بني العباس وكان منهم أبو مسلم وسليمان ابن كثير وأبو سلمة الخلال وغيرهم من شعبة العباسية وربما يعضدون ذلك بأن حقهم في هذا الأمر يصل إليهم من العباس لأنه كان حيا وقت الوفاة وهو أولى بالوراثة بعصبة العمومة وأما الزيدية فساقوا الإمامة على مذهبهم فيها وأنهم باختيار أهل الحل والعقد لا بالنص فقالوا بإمامة علي ثم ابنه الحسن ثم أخيه الحسين ثم ابنه علي زين العابدين ثم ابنه زيد بن علي وهو صاحب هذا المذهب وخرج بالكوفة داعيا إلى الإمامة فقتل وصلب بالصليبية وقال الزيدية بإمامة ابنه يحيى من بعده فغضب إلى خراسان وقتل بالجوزجان بعد أن أوصى إلى محمد بن عبد الله بن حسن بن الحسن السبط ويقال له النفس الزكية فخرج بالجزيرة ولقب بالهدى وجاهته عساكر المنصور فقتل وعهد إلى أخيه إبراهيم فقام بالبصرة ومعه عيسى بن زيد بن علي فوجه إليهم المنصور عساكره فهزم وقتل إبراهيم وعيسى وكان جعفر الصادق أخبرهم بذلك كله وهي معدودة في كراماته وذهب آخرون منهم إلى أن الإمام بعد محمد بن عبد الله للنفس الزكية هو محمد بن القاسم بن علي بن عمر وهو أخو زيد بن علي فخرج محمد بن القاسم بالطالقان فتقبض عليه وسبق إلى المعتصم بفسقه ومات في حبسه وقال آخرون من الزيدية أن الإمام بعد يحيى بن زيد هو أخوه عيسى الذي حضر مع إبراهيم بن جعفر الله في قتاله مع المنصور وقاتلوا الإمامة في عقبه وإليه انتسب حتى الزنج كما نذكره في أخبارهم وقال آخرون من الزيدية أن الإمام بعد محمد بن عبد الله أخوه إدريس الذي فر إلى المغرب ومات هناك وقام بأمره ابنه إدريس واختط مدينة فاس وكان من بعده عقبه ملوك بالمغرب إلى أن انقرضوا كما نذكره في أخبارهم وبنى أمر الزيدية بعد ذلك غير منقطع وكان منهم الداعي الذي ملك طبرستان وهو الحسن بن زيد بن محمد بن اسمعيل بن الحسن بن زيد بن علي بن الحسن السبط وأخوه محمد بن زيد ثم قام بهذه الدعوة في الديلم الناصر الأتروش منهم وأسلوا على يده وهو الحسن بن علي بن الحسن بن علي بن عمر وعمر أخو زيد بن علي فكانت لبنه بطبرستان دولة وتوسل الديلم من نسهم إلى الملائكة والاستبداد على الخلفاء بغداد كما نذكر في أخبارهم وأما الإمامية فساقوا الإمامة من علي الرضا إلى ابنه الحسن بالوصية ثم إلى أخيه الحسين ثم إلى ابنه علي زين العابدين إلى ابنه محمد الباقر ثم إلى ابنه جعفر الصادق ومن هنا افترقوا فرقة ساقواوها إلى ولده اسمعيل وبعرفونه بينهم بالإمام وهم الاسماعيلية وفرقة ساقواها إلى ابنه موسى الكاظم وهم الاثناعشرية لوقوفهم عند الثاني عشر من الأئمة وقولهم بغيته إلى آخر

الزمان كما مرنا أما الاسماعيلية فقالوا يا امامة اسمعيل الامام بالنص من آية جعفر  
وقائدة النص عليه عندهم وان كان قدماء قبل آية انما هو بقاء الامامة في عقبه  
كقصه هرون مع موسى ماوات الله عليهما قالوا ثم انتقلت الامامة من اسمعيل الى  
ابنه محمد المسمى **مكتوم** وهو أول الائمة المستورين لأن الامام عندهم قد لا يكرن له شكوة  
فيستتر وتكون دعائه ظاهرين اقامة اللعبة على الخلق واذا كاتبه شكوة ظهر وأظهر  
دعونه قالوا وبعد محمد المكتوم ابنة جعفر الصادق وبعده ابنة محمد الحبيب وهو آخر  
المستورين وبعده ابنة عبد الله المهدي الذي أظهر دعونه أبو عبد الله الشيعي في  
كلمة وتابع الناس على دعونه ثم أخرجه من معتقله بصلماسة وملك القيروان  
والقريب وملك بنوهم بعده مصر كاهو معروف في أخبارهم ويسمى هؤلاء الاسماعيلية  
نسبة الى القول بامامة اسمعيل ويسمون أيضا الباطنية نسبة الى قولهم بالامام الباطن  
أى المستور ويسمون أيضا المهدي لما في ضمن مقالاتهم من الاحادولهم مقالات قديمة  
ومقالات جديدة دعا اليها الحسن بن محمد الصباح في آخر المائة الخامسة وملك حصونا  
الشام والعراق ولم تزل دعوته فيها الى أن توزعها المهلا بين ملوك الترك بمصر ولؤلؤ  
البحر بالعراق فانقرضت ومقالة هذا الصباح في دعوته مذكورة في كتاب الملل والنحل  
لشهرستاني \* وأما الاثناعشرية فربما خصوا باسم الامامية عند المتأخرين منهم  
فقالوا يا امامة موسى الكاظم ابن جعفر الصادق لوقاة أخيه الاكبر اسمعيل الامام في  
حياة أبيهما جعفر فنص على امامة موسى هذا ثم ابنة علي الرضا الذي عهد اليه المأمون  
ومات قبله فلم يتم له أمر ثم ابنة محمد التي ثم ابنة علي المهدي ثم ابنة محمد الحسن  
لعسكري ثم ابنة محمد المهدي المنتظر الذي قدمناه قبل وفي كل واحدة من هذه  
لمقالات للشيعة اختلاف **كثير** الآن هذه أشهر مذاهبهم ومن أراد استيعابها  
ومطالعها فعليه بكتاب الملل والنحل لابن حزم والشهرستاني وغيرهما فسيبان ذلك  
والله يضل من يشاء ويهدي من يشاء الى صراط مستقيم وهو العلي الكبير

## ٢٨ (فصل في انقلاب الخلافة الى الملك)

اعلم أن الملك غاية طبيعة للعصية ليس وقوه عنها اختيار انما هو بضرورة الوجود  
وترتبه كإقلائه من قبل وأن الزرائع والديانات وكل أمر يحمل عليه الجهور فلا بد  
فيه من العصية اذ المعالبة لا تتم الا بها كما قدمناه فالعصية ضرورة للعلة في وجودها  
بتم أمر الله منها وفي الصحاح ما بعث الله نبييا الا في منعة من قومه ثم وجدنا نالاراع  
قد دم العصية ونذب الى أطرافها وتركها فقال ان الله أذهب عنكم عبية الجاهلية



وغرهاب الآباء أبتهم بنو آدم وآدم من تراب وقال تعالى إن أكرمكم عند الله أتقاكم  
 ووجدناه أيضا قد ذم الملك وأهله ونهى على أهله أحوالهم من الاستعانة بالخلق  
 والاسراف في غير القصد والتسكع عن صراط الله وانعاش على الآفة في الدين  
 وحذر من الخلاف والفرقة \* واعلم أن الدنيا كلها وأحوالها عند الشارع مطية  
 للآخرة ومن فقد المطية فقد الوصول وليس مراده فيما ينهى عنه أريدته من أفعال  
 البشر أو يندب إلى تركها بالكلية أو اقتلاعها من أصله وتعليل القوى التي ينشأ  
 عليها بالكلية انما قصده تصريفها في أغراض الحق جهدا لاستطاعة حتى تصير  
 المقاضد كلها حقا وتعد الوجهة كما قال صلى الله عليه وسلم من كانت هجرته إلى الله  
 ورسوله فهجرته إلى الله ورسوله ومن كانت هجرته إلى دنيا يصيبها أو امرأة يتزوجها  
 فهجرته إلى ما هاجر إليه فلم يذم الغضب وهو يقصد نزعه من الإنسان فإنه لو زالت  
 منه قوة الغضب لفقده منه الاتصاف بالحق وبطل الجهاد وإعلاء كلمة الله وانعيل الغضب  
 للشيطان وللأغراض الدنية فإذا كان الغضب لذلك كان مذموما وإذا كان  
 الغضب في الله ولله كان محمودا وهو من شمائله صلى الله عليه وسلم وكذا ذم الشهوات  
 أيضا ليس المراد بابطالها بالكلية فإن من بطلت شهوته كان نقصا في حقه وانما المراد  
 تصريفها فيما أبيع به باشغالها على المصالح ليكون الإنسان عبدا متصرفا طوعا أو امرأ  
 الإلهية وكذا العصية حيث نهى الشارع وقال لن تنفعكم أرحمكم ولا أولادكم فانما  
 مراده حيث تكون العصية على الباطل وأحواله كما كانت في الجاهلية وأن يكون  
 لاحد غفرها أو حق على أحد لأن ذلك يجهل من أفعال العقلاء وغير نافع في الآخرة  
 التي هي دار القرار فاما إذا كانت العصية في الحق وإقامة أمر الله فأمر مطلوب ولو  
 بطل لطلت الشرائع اذ لا يتم قوامها إلا بالعصية كما قلناه من قبل وكذا الملك لما  
 ذمه الشارع لم يذم منه الغلب بالحق وقهر الكافة على الدين ومراعاة المصالح وانعاشته  
 لما فيه من التغلب بالباطل وتصريف الأتباع طوعا أو إكراه في الشهوات كما قلناه  
 فلو كان الملك مختصا في غلبه للناس أنه لله ولجملهم على عبادة الله وجهاد عدوه لم يكن  
 ذلك مذموما وقد قال سليمان صاوات الله عليه رب هب لي ملكا لا ينبغي لاحد من بعدي  
 لما علم من نفسه أنه يعجز عن الباطل في النبوة والملك \* ولما لم يعاونه بمعين  
 الخطاب رضي الله عنهما عند قدومه إلى الشام في أبيهة الملك وزيه من العديد والعدة  
 استنكر ذلك وقال اكسروني يا معاوية فقال يا أمير المؤمنين أنا في نغري بقاء العدو وبنا  
 إلى مباهاة من بريئة الحرب والجهاد حاجتنا فسكت ولم يخطئه لما احتج عليه بمقتضى  
 مقاصد الحق والدين فلو كان القصد ورفض الملك من أصله لم يقنع هذا الجواب في تلك

الكسروية واقعا لها بل كان يجترئ على خروجه عنها بالجملية وانما أراد عمر  
 بالكسروية ما كان عليه أهل فارس في ملكهم من ارتكاب الباطل والظلم والبغى  
 وسلوك سبيله والافضل عن الله واجابه معاوية بأن القصد بذلك ليس كسروية فارس  
 واطلمهم وانما قصد منها وجه الله فسكت وهكذا كان شأن الحصابة في رفض الملك  
 وأحواله ونسبانه عوانده حذرا من التماسه بالباطل فلما استخضر رسول الله صلى الله  
 عليه وسلم استخلف أبابكر على الصلاة اذ هي أهم أمور الدين وارتقاء الناس للخلافة  
 وهي حل الكافة على أحكام الشريعة ولم يجز للملك ذلك كما أنه مظنة للباطل  
 وقوله يومئذ لاهل الكفر وأعداء الدين فقام بذلك أبو بكر ما شاء الله متبعاً سنن صاحبه  
 وقائل أهل الرتبة حتى اجتمع العرب على الاسلام ثم عهدوا في عرفات في أثره وقائل الامم  
 فظلمهم وأذن للعرب في انتزاع ما بأيديهم من الدنيا والملك فظلمهم عليه وانزعوه منهم  
 ثم صارت الى عثمان بن عفان ثم الى علي رضي الله عنهما والكل متبرؤ من الملك  
 منكبون عن طريقه وكذلك لديهم ما كانوا عليهم من غضاظة الاسلام وبداوة  
 العرب فقد كانوا بعد الامم عن أحوال الدنيا وترفعها لامن حيث دينهم الذي يدعوه  
 الى الزهد في النعيم ولامن حيث بداوتهم ومواطنهم وما كانوا عليهم من خشونة العيش  
 يشتغلونه الذي ألفوه فلم تكن أمة من الامم أسغب عيشاً من مضركم كانوا بالجازي  
 ارض غير ذات زرع ولا ضرع وكانوا ممنوعين من الارياك وجيوب البسدها  
 واختصاصها بمن وليها من ربيعة واليمن فلم يكونوا يتطاولون الى خصباها ولقد كانوا  
 كثير ما ياكلون العقارب والخنائس ويفخرون بأكل العلل وهو ووراء الابل بهونه  
 بالجمارة في الدم ويطبخونه وقرى يامن هذا كانت حال قرى في مطاعهم ومساكنهم  
 حتى اذا اجتمعت عصية العرب على الدين بما كرمهم الله من نبوة محمد صلى الله عليه  
 وسلم زحفوا الى أم فارس والروم وطلبوا ما كتب الله لهم من الارض بوعد الصدق  
 فابتزوا ملكهم واستباحوا دنياهم فزحزحت بحار الرقة لديهم حتى سكنان القارس  
 الواحد يقسم له في بعض الغزوات ثلاثون ألفاً من الذهب ويقوموا فاستولوا من ذلك  
 على ما لا يأخذ الحمر وهم مع ذلك على خشونة عيشهم فكان عمر يرقع ثوبه بالجلد  
 وكان علي يقول يا صفراء ويا ضامقري غري وكن أبو موسى يعقبا عن أكل  
 الدجاج لانه لم يعهدها العرب لظلمها ومنذ وكانت المناخل مفعودة عندهم بالجملية وانما  
 كانوا يأكلون الحنطة بفخالها ومكاسهم مع هذا أتم ما كانت لاحد من أهل العالم قال  
 المسعودي في أيام عثمان اتقى الحصابة الضياع والمال فكان له يوم قتل عند خازنه  
 خسون ومائة ألف دينار وألف ألف درهم وقيمة ضياعه بوادي القرى وخيز

وغيرهما مائة ألف دينار وخلف ابلا وخيلا كثيرة وبلغ الثمن الواحد من متروكة الزبير  
 بعد وفاته خمسين ألف دينار وخلف ألف فرس وألف أمة وكنانة طلبة  
 من العراق ألف دينار كل يوم ومن ناحية السراة أكثر من ذلك وكان على مربي  
 عبد الرحمن بن عوف ألف فرس وله ألف بعير وعشرة آلاف من الغنم وبلغ الرعي من  
 متروكة بعد وفاته أربعة وعشرين ألفا وخلف ثوبين ثابته من القصة والذهب ما كان  
 يكسر بالفرس غير ما خلف من الاموال والضمايع مائة ألف دينار وبني الزبير داره  
 بالبصرة وكذلك بني بصير والكوفة والاسكندرية وكذلك بني طلبة داره بالكوفة وشيد  
 داره بالمدينة وبناها بالحصن والاشجر والساج وبني سعد بن أبي وقاص داره بالعقيق  
 ورفع سمكها وأوسع فضاءها وجعل على أعلاها شرافات وبني المقداد داره بالمدينة  
 وجعلها بحصنة الظاهر والباطن وخلف يعلى بن منبه خمسين ألف دينار وعقار وغير  
 ذلك ما قيمته ثلثمائة ألف درهم اكلام المسعودي فكانت مكاسب القوم كآثاره ولم  
 يكن ذلك منعبا عليهم في دينهم اذ هي أموال حلال لانها غنائم وفيه ولم يكن تصرفهم  
 فيها بأسراف انما كان على قصد في أحوالهم كما قلنا مظهر ذلك بقادح فهم وان  
 كان الاستكثار من الدنيا مذموما فانما يرجع الى ما أشرنا اليه من الاسراف والخروج  
 به عن القصد واذا كان حالهم قصدا ونفقة تهم في سبل الحق ومذاهب كان ذلك  
 الاستكثار عونا لهم على طرق الحق واكتساب الدار الآخرة فلما تدبرت البداوة  
 والغضاضة الى نهايتها وجاءت طبيعة الملك التي هي مقتضى العصبة كما قلنا وحصل  
 التغلب والقهر كان حكم ذلك الملك عندهم حكم ذلك الرنة والاستكثار من الاموال  
 فلم يصرفوا ذلك التغلب في باطل ولا خرجوا به عن مقاصد الديانة ومذاهب الحق  
 ولما وقعت الفتن بين علي ومعاوية وهي مقتضى العصبة كان طريقهم فيها الحق  
 والاجتهاد ولم يكونوا في محاببتهم لغرض ديني أو لئلا يشار باطل أو لامتداد حقد كالحقد  
 يتوهمه متوهم ينزع اليه ملحد وانما اختلف اجتهدهم في الحق وسفه كل واحد  
 نظر صاحبه باجتاده في الحق فاقتتلوا عليه وان كان المصيب عليا لم يكن معاوية قائم  
 فيما بقصد الباطل انما قصد الحق وأخطأ والكل كان في مقاصدهم على حق ثم اقتضت  
 طبيعة الملك الانفراد بالجد واستئثار الواحد به ولم يكن لمعاوية أن يدفع ذلك عن نفسه  
 وقومه فهو أمر طبيعي ساقته العصبة بطبيعتها واستشعرته بنو أمية ومن لم يكن على  
 طريقه معاوية في اقتفاء الحق من أشاعهم فاعصوا عليه واستقنوا ودونه ولو  
 حلهم معاوية على غير تلك الطريقة وحققهم في الانفراد بالامر لوقع في افتراق الكلمة  
 التي كان جمعها وتأليفها أهم عليه من أمر ليس وراءه كبير مخالفة وقد كان صبر بن

عبد العزيز رضى الله عنه يقول اذا رأى القاسم بن محمد بن أبي بكر لو كان لي من الامر شئ  
لوليت الخليفة ولو اذ أن يعهد اليه لفعل ولكنه كان يخشى من بنى أمية أهل الحل  
والعقد لما ذكرناه فلا يقدر أن يحول الامر عنهم لئلا تقع القرعة وهذا كله الخلل عليه  
منازع الملك التي هي مقتضى العصبية فالملك اذا حصل وفرضاً أن الواحد انفراد به  
وصرفه في مذاهب الحق ووجوهه لم يكن في ذلك تكدير عليه ولقد انفر سليمان وأبوه  
داود صلوات الله عليهما بك بنى اسرائيل لما اقتضته طبيعة الملك فيهم من الانفراد به  
وكانوا ما علمت من التبرؤ والحق وكذلك عهد معاوية الى يزيد خوفاً من افتراق الكلمة  
بما كانت بنو أمية لم يرؤوا تسليم الامر الى من سواهم فلو قد عهد الى غيره اختلفوا  
عليه مع أن ظنهم كان به صالحاً ولا يرتاب أعد في ذلك ولا يثقل عاوبه غيره فلم يكن  
ليعهد اليه وهو يعتقد ما كان عليه من الفسق حاشا لمعاوية من ذلك وكذلك كان  
مروان بن الحكم وابنه وان كانوا ما لو كان لم يكن مذهبهم في الملك مذهب أهل البطالة  
والبنى إنما كانوا مختصين لمقاصد الحق جهدهم الا في ضرورة فعملهم على بعضها مثل  
خشية افتراق الكلمة الذي هو أهم لديهم من كل مقصد يشهد لذلك ما كانوا عليه من  
الاتباع والاعتقاد وما علم السلف من أحوالهم فقد احتج مالك في الموطأ بعمل عبد الملك  
وأما مروان فكان من الطبقة الاولى من التابعين وعهد اليهم معروف ثم تدرج الامر  
في ولد عبد الملك وكانوا من الذين بالمكان الذي كانوا عليه وتوسطهم عمر بن عبد العزيز  
فتزعج الى طريقة الخلفاء الاربعة والعصاة جهنم ولم يعمل ثم جاء خلفهم واستعملوا  
طبيعة الملك في أغراضهم الدنيوية ومقاصدهم وشيئاً ما كان عليه سلفهم من تحرر  
القصد فيها واعتماد الحق في مذاهبها فكان ذلك عماداً للناس الى أن فعوا عليهم  
افعالهم وأدالوا بالدعوة العباسية منهم وولى رجالها الامر فكانوا من العدالة يمكن  
وصرفوا الملك في وجوه الحق ومذاهبه ما استطاعوا حتى جاء بنو الرشيد من بعده فكان  
منهم الصالح والطالح ثم افضى الامر الى بنيهم فأعطوا الملك والترف حقه وانقصوا  
في الدنيا وباطلها ونسبوا الدين وراهم ظهر رافقاً ذن الله بجرهم واتزاع الامر من  
أيدي العرب حلة وأمكن سواهم منه والله لا ينظم مثقال ذرة ومن تأمل سيره هؤلاء  
الخلفاء والمؤلف واختلافهم في تحرر الحق من الباطل علم صحة ما قلناه وقد حكى  
المسعودي مثله في أحوال بنى أمية عن أبي جعفر المنصور وقد حضر عرومته وذكرنا  
بنى أمية فقال أما عبد الملك فكان جباراً لا يالي بما صنع وأما سليمان فكان همه بطنه  
وفرجه وأما عرفة فكان أعور بين عيمان وكان رجل القوم هشام قال ولم ير لي بنو أمية  
ضابطين لمساعدتهم من السلطان يحولونه ويصونون ما وحب لقلهم منه مع تسخيرهم

معالى الامور ورؤفهم دنيا سها حتى افضى الامر الى انبائهم المترفين فكانت همهم  
 قصدا لشهوات وركوب الذات من معاصي الله جهلا باستدراجهم وامنهم المكر مع  
 اطراحهم صيانة الخلافة واختصاصهم بحق الرئاسة وضعفهم عن السياسة قلبهم  
 الله العز والابهم النذل ونفى عنهم النعمة ثم استنصر عبد الله بن مروان فقص عليه  
 خبره مع ملك النوبة لما دخل أرضه فأمر أيام الصباح قال أقتل مدائنهم أناى ملكهم  
 ففعل على الارض وقد بسطت له فرش ذات قيمة فقلت له ما منعك من القعود على  
 ثيابنا فقال انى ملك وحق لكل ملك أن يتواضع لعظمة الله اذ رفعه الله ثم قال لىلم  
 قسرون النجروهي محزنة عليكم في كتابكم فقلت اجترأ على ذلك عبيدنا وانا عانا قال  
 فلم تطون الزرع بدايكم والله ادمحتم عليكم قلت فعل ذلك عبيدنا وانا عانا يجملهم  
 قال فلم تلبسون الديساج والذهب والحرير وهو محترم عليكم في كتابكم قالت ذهب منا  
 الملك واتنصرنا بقوم من العجم دخلوا في ديننا فلبسوا ذلك على الكرم متافطرق تنكت  
 يده في الارض ويقول عبيدنا وانا عانا واما عجم دخلوا في ديننا ثم رفع رأسه الى وقال  
 ليس كما ذكرت بل أنتم قوم استغلت ما حرم الله عليكم وأنتم ما عنه نهيتهم وظلمتم  
 فيما ملكتهم فلبسكم الله العز واللبسكم النذل بذنوبكم والله نعمة لم تبلغ غايتها فيكم وانا  
 خائف أن يهمل بكم الصداق وأنتم يلبسوا فينا الى معكم وانما الصداقة ثلاث فترؤذا  
 بما احبب اليه وارحل عن أرضي فتعجب المتصوروا طرق فقد تبين لك كيف اقبلت  
 الخلافة الى الملك وأن الامر كان في أوله خلافة ووارع كل أحد فيها من نفسه وهو  
 الدين وكانوا يؤثرونه على أمور دنياهم وان أقضت الى خلاصهم وحدهم دون المكافئة  
 فهذا عثمان المحصر في الدار بجاه الحسن والحسين وعبد الله بن عمرو ابن جعفر  
 وامنالهم يريدون المدافعة عنه فأبى ومنع من سل السيوف بين المسلمين مخافة الفرقة  
 وحفظ الالفة التي بها حفظ الكلمة ولو أدى الى هلاكه وهذا على اشار عليه المغيرة  
 لأول ولاته باستنقاذهم ببر ومعاوية وطلحة على أعمالهم حتى يجمع الناس على بيعته  
 وتتفق الكلمة ولبعد ذلك ما شاء من أمره وكل ذلك من سياسة الملك فأبى فرار من  
 القصر الذي بناه في الاسلام وغدا عليه المغيرة من القداة فقال لقد أشرت عليك بالاس  
 بما أشرت ثم عدت الى نظري فقلت أنه ليس من الحق والنصيحة وأن الحق فيما رأيت  
 أنت فقال على لا والله بل أعلم أنك تعصتي بالاس وعصيتني اليوم ولكن معنى عما  
 أشرت به ذائد الحق وهكذا كانت أحوالهم في اصلاح دينهم ضااا دنياهم ونحن  
 نرفع دنيانا بقرين ديننا \* فلا ديننا حتى ولا مرقع  
 فقد رأيت صكيف صار الامر الى الملك وبقيت معالى الخلافة من تهرى الدين

ومذاهبه والجري على منهاج الحق ولم يظهر التغير الا في الوازع الذي كان ديناً ثم انقلب  
عصية وسفاوه ~~كذا~~ كان الامر لعهد معاوية ومن وان ابنه عبد الملك والصدر  
الاول من خلفاء بني العباس الى الرشيد وبعض ولده ثم ذهبت معاني الخلافة ولم يبق  
الا اسمها وصار الامر ملكاً بحتاً وجرت طبيعة التغلب الى غاية ما واستعملت في  
أغراضها من القهر والتغلب في الشهوات والملاذ ~~وكذا~~ كان الامر لولده عبد  
الملك وان جاء بعد الرشيد من بني العباس واسم الخلافة باقياً فيهم لبقاء عصية العرب  
واختلافه والملك في الطورين ملتبس ببعضهما بعض ثم ذهب رسم الخلافة وأثرها  
بذهاب عصية العرب وفناء جيلهم وتلاشي أحوالهم وبقي الامر ملكاً بحتاً كما كان  
الشأن في ملوك العجم بالشرق يدينون بالماعة الخليفة تبركا والملك بجميع القاب  
ومناحية لهم وليس للخليفة منه شيء وكذلك فعل ملوك زانة بالمغرب مثل صنهاجة مع  
العبيدين ومقرارة وبني يقربن أيضاً مع خلفاء بني أمية بالأندلس والعبيدين بالقبروان  
فقد تبين أن الخلافة قد وجدت بدون الملك أو لا ثم التبت هاتين ما واختلفت ثم اتفرد  
الملك حيث افتردت عصيته من عصية الخلافة والله مقتدر الليل والنهار وهو الواحد  
القهار

#### ٢٩ (فصل في معنى البيعة)

اعلم أن البيعة هي العهد على الساقية ~~كأن~~ المبايع بعاهداً أميره على أنه يسلم له  
النظر في أمره ~~وهو~~ وأمور المسلمين لا ينزعه في شيء من ذلك وبطبيعة فيما يملكه به من  
الامر على المنطق والمكره وكانوا إذا بايعوا الأمير وعقدوا عهده جعلوا أيدهم في يده  
تأكيداً للعهد فأشبه ذلك فعل البائع والمشتري فسمى بيعة مصدر باع وصارت البيعة  
مصاحبة لما لا يدى هذا ما دللها في عرف اللغة ومعهود الشرع وهو المراد في الحديث  
في بيعة النبي صلى الله عليه وسلم ليلة العقبة وعند الشجرة رحيمة الله وردها اللفظ ومنه  
بيعة الخلفاء ومنه أيمان البيعة كان الخلفاء يستخفون على العهد ويستوعبون  
الأيمان كلها لذلك تسمى هذا الأمانة بآيمان البيعة وكان الأكرام فيها أكثر وأغلب  
ولهذا لما أتى مالك بن نويرة رضي الله عنه بسقوط عيين الأكرام أنكرها والولاة عاينها ورأوها  
فادسح في أيمان البيعة ووقع ما وقع من محنة الامام رضي الله عنه وأما البيعة  
الشهورة لهذا العهد فهي تحية الملوك ~~التي~~ يسروها بمن تقبل الارض أو البلد  
أو الرجل أو الذيل أطلق عليها اسم البيعة التي هي العهد على الطاعة بما كان  
هذا المنطوق في التحية والتزام الآداب من لوازم الطاعة وتوابعها وغلبت به حتى

صارت حقيقة عرفة واستغنى بها عن مصافحة أيدي الناس التي هي الحقيقة في الأصل لما في المصافحة لكل أحد من التزول والابتدال المتنافين للرياسة وصون المنصب الملوكة إلا في الأقل ممن يقصد التواضع من الملوكة فأخذ به نفسه مع خواصه ومشاهير أهل الدين من رعيته فأفهم معنى البيعة في العرف فنهأك كيد على الإنسان معرفته ما يلزمه من حق سلطانه وإمامه ولا تكون أفعاله عبثاً ومجازاً واعتبر ذلك من أفعال مع الملوكة والله القوي العزيز

### ٣٠ (فصل في ولاية العهد)

اعلم أن نقدنا الكلام في الإمامة ومشروعيتها المتأخراً من المصلحة وأن حقيقتها النظر في مصالح الأمة لديهم وديارهم فهو وليهم والأمن عليهم ينظر لهم ذلك في حياته وتوسع ذلك أن ينظر لهم بعد مماته ويقيم لهم من يتولى أمورهم كما كان هو يتولاها ويتقون بنظر لهم في ذلك كما وثقوا به فيما قبل وقد عرف ذلك من التسرع بأجماع الأمة على جوازها وانعقادها ذوق بعهد أبي بكر رضي الله عنه لعمر بمحض من الصحابة وأجازوه وأوجبوا على أنفسهم بطاعة عمر رضي الله عنه وعنهم وكذلك عهد عمر في الشورى إلى الستة بقية العشرة وجعل لهم أن يختاروا المسلمين ففوت بعضهم إلى بعض حتى أفضى ذلك إلى عبد الرحمن بن عوف فاجتهد وناظر المسلمين فوجدهم متفقين على عثمان وعلى أبي قحافة عثمان بالبيعة على ذلك لما وافقته أيامه على لزوم الاقتداء بما للشخص في كل ما يعين دون اجتاده فانهقدأمر عثمان لذلك وأوجبوا طاعته والملازمة الصحابة حاضرون للدلالة والثبات ولم يشكروه أحد منهم فدل على أنهم متفقون على صحة هذا العهد عارفون بمشروعيته والأجماع حجة كما عرف ولا يتهم الإمام في هذا الأمر وإن عهد إلى ابنه أو ابنه لأنه مأمون على النظر لهم في حياته فأولى أن لا يحمل فيها تبعه بعد مماته خلافاً لما قال باتهامه في الولد والوالد أولن خصص التهمة بالولد دون الوالد فإنه يبعد عن الظنة في ذلك كله لا سيما إذا كانت هناك داعية تدعو اليمن أشار مصلحة أو توقع مفيدة فتنتفي الظنة عند ذلك رأساً كما وقع في عهد معاوية لا يبر من يدوان كان فعل معاوية يمتنع وفاق الناس له حجة في الباب والذي دعاه معاوية لا يشار إليه يزيد بالعهد دون من سواه اتهموا مرة المصلحة في اجتماع الناس واتفاق أهوائهم بانفاق أهل الحل والعقد عليه حينئذ من بني أمية أذنبوا أمية ثم لا يرضون سواهم وهم عصاة قريش وأهل الملة أجمع وأهل القلوب منهم فآثره بذلك دون غيره من بني أمية فأولى بها عدل عن الفاضل إلى المفضل سوا على الاتفاق واجتماع الأهواء التي شأنهم

عند الشارع وان كان لا يظن بجماعية غيره هذا فقد اتته وصيته مانعة من سوى ذلك وحضوراً كبار الصعابة لذلك وسكوتهم عنه دليل على اتقاء الرب فسه فليسوا بمن يأخذهم في الحق هوادة وليس معاوية بمن تأخذ العزة في قبول الحق فانهم كلهم أجل من ذلك وعند التهم مانعة منه وفرار عبد الله بن عمر من ذلك انما هو محمول على تورعه من الدخول في شيء من الامور مباساً تكن أو محظوراً كما هو معروف عنه ولم يبق في الخالفة لهذا العهد الذي اتفق عليه الجهور والابرار الزبير وذو الرخاف معروف ثم انه وقع مثل ذلك من بعد معاوية من الخلفاء الذين كانوا يهترون الحق ويعلمون به مثل عبد الملك وسليمان من بني أمية والسفاح والمتصور والمهدي والرشيد من بني العباس وأمثالهم من عرف عدالتهم وحسن رأيهم المسلمين والنظر لهم ولا يعاب عليهم ايشراً بآلتهم واخوانهم وخروجهم عن سنن الخلفاء الاربعة في ذلك فشانهم غرسان اولئك الخلفاء فانهم كانوا على حين لم يتحدث طبيعة الملك ولكن الوازع دينياً فعند كل أحد وازع من نفسه فعهدوا الى من يرضيه الدين فقط وآثروا على غيره واكلوا كل من يسهو الى ذلك الى وازعه وأما من بعدهم من لدن معاوية فكانت العصية قد أشرفت على غايتها من الملك والوازع الذي قد ضعف واحتجج الى الوازع السلطاني والعصبي فلو عهد الى غير من يرضيه أصبحت ذلك العهد وانتقض أمره مرعياً وصارت الجماعة الى الفرقة والاختلاف ما لرجل عليه رضى الله عنه ما بال المسلمين اختلفوا عليك ولم يختلفوا على أبي بكر وعمر فقال لأن أبا بكر وعمر كانوا الذين على منلى وأنا اليوم والى على مثلك بشير الى وازع الدين أفلا ترى الى المأمون لماعهد الى على بن موسى بن جعفر الصادق وسماه الرضا كيف أنكرت العباسية ذلك وتقضوا بيعته بايعوا العمه ابراهيم بن المهدي وظهر من الهرج والخلاف وانقطاع السبل وتعدد الثوار والخوارج ما كاد أن يسطم الامر حتى يادر المأمون من خراسان الى بغداد ورد أمرهم لمعهده فلا بد من اعتبار ذلك في العهد فالصورت تحت باختلاف ما يحدث فيها من الامور والقبائل والعصيات ويختلف باختلاف المصالح ولكل واحد منها حكم يخصه لطفان الله بعباده وأما أن يكون القصد بالعهد حفظ التراث على الأناء فليس من المقاصد الدينية اذ هو أمر من الله يخص به من يشاء من عباده فينبغي أن تحسن فيه التوبة ما أمكن خوفاً من العتب بالمناصب الدينية والملك لله يؤتبه من يشاء \* وعرض هنا أمور تدعو الضرورة الى بيان الحق فيها \* فالاول منها ما حدث في بين يمين النسخ أيام خلافته فاياك أن تظن بجماعية رضى الله عنه أنه علم ذلك من يزيد فانه أعدل من ذلك وأفضل بل كان يعذله أيام حياته في خبايا



القضاء ونهاه عنه وهو أقل من ذلك وكانت مذاهبهم فيه مختلفة ولما حدث في زيد  
 ما حدث من القسح اختلف الصحابة حينئذ في شأنه فذهب من رأى الخروج عليه ونقض  
 بيعته من أجل ذلك كما فعل الحسين وعبد الله بن الزبير رضى الله عنهما ومن اتبعهما في  
 ذلك ومنهم من أباملقية من إمارة القسنة وكثرة القتل مع العجز عن الوفاة لأن شوكة  
 يزيد يومئذ هي عصيابة بن أمية وجهور أهل الحل والعقد من قريش وتستعصية  
 مضر أجمع وهي أعظم من كل شوكة ولا نفاق مقاربتهم فأقصر وأعن يزيد بسبب ذلك  
 وأقاموا على الدعاء بهذا وبالراحة منه وهذا كان شأن جهو المسلمين والكل مجتهدون  
 ولا شكر على أحد من الفريقين فخاصدهم في البر والبحر إلى طعن معروفه وفقنا الله  
 لاقتدامهم والامر الثاني هو شأن العهد من النبي صلى الله عليه وسلم وما ندبه  
 الشيعة من وصيته له صلى الله عليه وسلم وهو أمر لم يصح ولا نقله أحد من أمته القتل  
 والذي وقع في الصحيح من طلب الدواة والقراطيس لكتب الوصية وأن عمر متع من ذلك  
 فدلل واضح على أنه لم يقع وكذا قول عمر رضى الله عنه حين طعن وسئل في العهد فقال  
 إن أهدفة دعهم من هو خير مني يعني أبا بكر وإن أتركة قد تزل من هو خير مني يعني  
 النبي صلى الله عليه وسلم لم يعهد وكذلك قول علي للعباس رضى الله عنهما حين دعاه  
 للدخول إلى النبي صلى الله عليه وسلم لأنه عن شأنهما في العهد فأنى على من ذلك  
 وقال أنه إن منعناهم فلا نطمع فيها آخر الدهر وهذا دليل على أن علياً لم يأمهم  
 ولاعهده إلى أحد وشبهة الامامة في ذلك انما هي كون الامامة من أركان الدين كما  
 يزعمون وليس كذلك وانما هي من المصالح العامة المخوضة إلى نظر الخلق ولو كانت من  
 أركان الدين لكان شأنها شأن الصلاة ولكن يستغنى فيها كما استغنى أبا بكر في الصلاة  
 ولما كان يشتهر كما اشتهر أمر الصلاة واحتجاج العصاة على خلافة أبي بكر بقباضها على  
 الصلاة في قولهم ارتضاه رسول الله صلى الله عليه وسلم لدينا أقلنا زنا مدنياً لدليل  
 على أن الوصية لم تقع وبذلك أيضاً على أن أمر الامامة والعهد به لم يكن متهما كما  
 هو اليوم وشأن العصية المراجعة في الاجتماع والافتراق في مجاري العادة لم يكن يومئذ  
 بذلك الاعتبار لأن أمر الدين والاسلام كان كله بخوارق العادة من تأليف القلوب  
 عليه واستقامة الناس دونه وذلك من أجل الأحوال التي كانوا يشاهدونها في حضور  
 الملائكة لتصرهم وترد خبر السماء بينهم وتجدد خطاب الله في كل حادثة تلي عليهم فلم  
 يحتاج إلى مراعاة العصية لما شغل الناس من صبغة الاتقياء والأذعان وما يستقرهم  
 من تبايع المجرزات النازقة والأحوال الإلهية الواقعة والملائكة المترددة التي وجوها  
 منها ودعوا من تابعها فكان أمر الخلافة والملك والعهد والعصية وسائر هذه

الأنواع منسوبة جاف ذلك التمييز كما وقع فلما انقصر ذلك المدد حاب تلك المجهزات  
 ثم مضى القرون الذين شاهدوها فاستصالت تلك الصبغة قليلا قليلا وذهبت الخوارق  
 وصار الحكم للمادة كما كان فاعتبر أمر العصية ويجلرى العوائد فيما نشأ عنهما من  
 المصالح والمقاصد وأصبح الملك والخلافة والعهد بينهما من المهمات الأكيفة كما  
 زعموا ولم يكن ذلك من قبل فاقطر كيف كانت الخلافة لعهد النبي صلى الله عليه وسلم  
 غير مهينة فلم يهد فيها ثم تدرجت الأهمية زمان الخلافة بهن الشيء فمدحت  
 الضرورة السبق في الحماية والجهاد وشأن الردة والفتوح فكانوا بالخيار في القتل  
 والترك كما ذكرنا من عمرو بن أبي سلمة ثم صارت اليوم من أهم الأمور للاقعة على الحماية  
 والقيام بالمصالح فامتدت فيها العصية التي هي سر الوازع عن القرعة والتضال ومنشأ  
 الاجتماع والتوافق الكفيل بمقاصد الشريعة وأحكامها والامر الثالث شأن  
 الحروب الواقعة في الاسلام بين الصحابة والتابعين فاعلم أن اختلافهم انما يقع في  
 الأمور الدينية ونشأ عن الاجتهاد في الأدلة العvisية والمدلول العvisية واليه يجهدون  
 اذا اختلفوا فان قلنا أن الحق في المسائل الاجتهادية واحد من الطرفين ومن لم  
 يصادقه فهو مخطئ فان جهنمه لا تبين بإجماع فيبقى العvisل على احتمال الأصلية  
 ولا تبين الخطي منها والتأنيب مدفوع عن الكل اجمالا وان قلنا أن الكل حق وان كل  
 مجتهد مصيب فآخرى بنى الخطا والتأنيب ونغاية الخلاف الذي بين الصحابة والتابعين  
 أنه خلاف اجتهادي في مسائل دينية ظنية وهذا حكمه والذي وقع من ذلك في  
 الاسلام انما هو واقعة على مع معاوية ومع الزبير وعائشة وطهارة الحسين مع  
 يزيد وواقعة ابن الزبير مع عبد الملك فأما واقعة على قاتل الناس كانوا عند مقتل عثمان  
 فمترفين في الامصار فلم يشهدوا ببيعة على والذين شهدوا انهم من بايع ومنهم من وقف  
 حتى يجتمع الناس ويتفقوا على امام كعبد وسعيد وابن عمر وأسامة بن زيد والخيرة بن  
 شعبة وعبد الله بن سلام وقدامة بن مظعون وأبي سعيد الخدري وكعب بن عجرة  
 وكعب بن مالك والنعمان بن بشير وحنان بن ثابت ومسلمة بن مخلد وفضال بن عبيد  
 وأمثالهم من أكابر الصحابة والذين كانوا في الامصار عدلوا عن بيعته أيضا إلى الطلب  
 بدم عثمان وتركوا الامر فوضي حتى يكون شورى بين المسلمين بولونه وظنوا به على  
 هوادة في السكوت عن نصر عثمان من قاتله لافي المبالاة عليه فحاش لله من ذلك  
 ولقد كان معاوية اذا صرح بعلامته انما يجو جهها علمه في سكونه فقط ثم اختلفوا بعد  
 ذلك فرأى على أن بيعته قد انعدمت ولزم من تأخر عنها باجماع من اجتمع عليها  
 بالدين دار النبي صلى الله عليه وسلم وموطن الصحابة وأرجأ الامر في المطالبة بدم

عثمان الى اجتماع الناس واتفاق الكلمة فيمكن حينئذ من ذلك وراعى الآخرون  
 أن يسهلوا تنقذ لافراق العصابة أهل الحل والعقد ولا تتركهم يفتقدون ولا هم غيرهم وأمن  
 القليل منهم وأن المسلمين حينئذ فوضي فيطالبون أو لا بد من عثمان ثم يجتمعون على امام  
 وذهب الى هذامعاقبة وعمر بن العاصي وأم المؤمنين عائشة والزبير وابنه عبد الله  
 وطه وأبوه محمد وسعد وسعيد والنعمان بن بشير ومعاوية بن خديج ومن كان على  
 رأيهم من العصابة الذين تحلفوا عن بيعته على بالمدية كما ذكرنا الآن أهل العصر  
 الثاني من بعدهم اتفقوا على انعقادبيعة على ولزومها للمسلمين أجمعين ونصوب رأيهم  
 فيذهب اليه وتعين الخطا من جهة معاوية ومن كان على رأيهم وخصوصا طه  
 والزبير لانتفاضهما على علي بعد البيعة فماتل مع دفع التائب عن كل من القريتين  
 كالتائب في المهديين وصار ذلك اجتماعا من أهل العصر الثاني على أحد قولي أهل  
 العصر الأول كما هو معروف ولقد سئل علي رضي الله عنه عن قتل الجمل وصفين فقال  
 والذي نفسي بيده لا يوتر أحد من هؤلاء موقله نقي إلا دخل الجنة يشير الى القريتين  
 الله الطبري وغيره فلا يقنع عند ذلك في عدالة أحد منهم ولا داح في شيء من ذلك  
 فهم من عتوا قواهم وأفعالهم انما هي عن المستندات وعدالتهم مفورغ منها عند  
 أهل السنة الاقوال المعترلة فيمن قاتل عليا لم يلقه اليه أحد من أهل الحق ولا خرج  
 عليه وإذا نظرت بين الانصاف عذرت الناس أجمعين في شأن الاختلاف في عثمان  
 واختلاف العصابة فمن بعدهم وعلت أنها كانت قسنة ابتلى الله بها المؤمنين  
 قد ذهب الله عدوهم وملكهم أرضهم وديارهم ووزلوا الامصار على حدودهم  
 بالبصرة والكوفة والشام ومصر وكان أكثر العرب الذين زلوا هذه الامصار جفاة لم  
 يستكروا من حجة النبي صلى الله عليه وسلم ولا هذبهم سيره وآدابه ولا راضوا  
 بخلقهم مع ما كان فيهم من الجاهلية من الجفاء والعصية والتفاخر والبعد عن سكة  
 الايمان واذا بهم عند استعمال الدولة قد أصبحوا في ملكة المهاجرين والاصحاب من  
 قريش وكثارة وثقفوه هذيل وأهل الحجاز ويثرب السابقين الأولين الى الايمان  
 فاستكفوا من ذلك وخصوصا الجليليون لا تقسمهم من التقدم بأناسهم وكثرتهم  
 ومصادمة فارس والروم مثل قبائل بكر بن وائل وعبد القيس بن ربيعة وقبائل كندة  
 والازديين البهن وتيم وقيس من مضر فصلوا الى الفضل من قريش والافطه طهم  
 والقرين في طاعتهم والعدل في ذلك بالتظلم منهم والاستعداد عليهم والظعن فيهم  
 بالهجرة من السرية والعدل في القسم عن السوية وقتت القاتلة بذلك وانتهت الى

المدينة وهم من علمت فأعظموه وأبلقوه عثمان فبعث إلى الأمصار من يكشف له خبر  
 بعث ابن عمرو محمد بن مسلمة وأسلمة بن زيد وأمثالهم فلم ينكروا على الأمر أشد  
 ولا رأوا عليهم طعنا وأدوا ذلك كما علموه فلم يقطع الطعن من أهل الأمصار وما زالت  
 الشائعات تنجس روى الوليد بن عتبة وهو على الكوفة بشرب الخمر وشهادة جماعة  
 منهم وحده عثمان وعزله ثم جاء إلى المدينة من أهل الأمصار أبو النون عزل العمال وشكروا  
 إلى عاقشة وعلى والزبير وطه وعزل لهم عثمان بعض العمال فلم يقطع بذلك ألسنتهم  
 بل وقد سجد بن العاصي وهو على الكوفة فلما رجع اعترضوه بالطريق ورددوه معزولاً ثم  
 اتقل الخلاف بين عثمان ومن معه من الصحابة بالمدينة ونصوا عليه امتناعه عن العزل  
 فإلى الآن يكون على برجة ثم نقلوا الكثير إلى غير ذلك من أفعاله وهو مفسك  
 بالاجتهاد وهم أيضاً كذلك ثم تجمع قوم من المصنفين وجاءوا إلى المدينة فظهروا  
 طلب النصفة من عثمان وهم بضميرون خلاف ذلك من قتله وفيهم من البصر والكوفة  
 ومصر وقام معهم في ذلك على وعائشة والزبير وطه وغيرهم يصارون فكيف  
 الأمور ورجوع عثمان إلى رأيهم وعزل لهم عامل مصر فاندرفوا قليلاً ثم روى هو أوقف  
 أسواراً بكتاب مدلس روى أنهم لقوه في دجالة إلى عامل مصر بأن يقتلهم  
 وحلف عثمان على ذلك فقالوا ساكن من مروان فإنه كاتبك تخلف مروان فقال عثمان  
 ليس في الحكم أكثر من هذا الخاسر وبدا به ثم يذوه على حين غفلة من الناس  
 وقتلوه وانفتح باب الفتنة فلكل من هؤلاء عذر بما روى وكلهم كانوا متقين بأمر الدين  
 ولا يضيعون شيئاً من تعلقاته ثم نظروا بعد هذا الواقع واجتهدوا لولا الله مطلع على  
 أحوالهم وعالم بهم ونحن لا نطق بهم إلا خبراً لما شهدت به أحوالهم ومقالات المصادق  
 فيهم • وأما الحسين فإنه لما ظهر فتى يزيد عند الكوفة من أهل عصره بعثت شعبة  
 أهل البيت بالكوفة للصين أن يأتيهم فيقوموا بأمره فرأى الحسين أن الخروج على  
 يزيد متعين من أجل فسقه لاسيما من له القدرة على ذلك وظنها من نفسه بأهليته  
 وشوكته فأما لأهلية فكانت كائناً وزائدة وأما الشوكته فكانت بوجهه  
 لأن عصية مضركان في قريش وعصية قريش في عديناف وعصية عديناف إنما  
 كانت في أمية تعرف خلف لهم قريش وسائر الناس ولا ينكروه وإنما في ذلك أول  
 الإسلام لما نقل الناس من الذلول بالخوارق وأمر الوحى وتردد الملائكة لصرة  
 المسلمين أنغفلوا أمور عوائدهم وذهبت عصية الجاهلية ومنازعاتها ونيت ولم ينو إلا  
 العصية الطبيعية في الحماية والدفاع فتجمع بها في أطمية الدين وجهاد المشركين والذين  
 فيها يحكم والمادة هزولة حتى إذا انقطع أمر النبوة والخوارق الموهولة تراجع الحكم

بعض الشيء العوائد فصادت العصابة كما كانت ولن كانت وأصبحت مضراً أطوع لبق  
أمية من سوادهم بما كان لهم من ثقل قبل (فقد) تبن لك غلط الحسين الأتة في أمر  
ديوى لا يضراً لغلط فيه وأما الحكم الشرعي فلم يغلط فيه لانه منوط بظنه وكان  
ظنه القدرة على ذلك ولقد عذله ابن العباس وابن الزبير وابن عمر وابن الخنفصة أخوه  
وعبده في مسيره الى الكوفة وعلوا غلظه في ذلك ولم يرجع عما هو بسبيله لما أراد الله  
وأما غير الحسين من العصابة الذين ~~مكثوا~~ بالبحار ومع يزيد بالكوفة والعراق ومن  
التابعين لهم قرأوا أن الخروج على يزيد وان كان فاسقاً لا يجوز لما نشأ عنه من الهرج  
والدماء فاقصروا عن ذلك ولم يتابعوا الحسين ولا أنكروا عليه ولا أنعموا لانه يجتهد وهو  
أسوة للمجتهدين ولا يذهب بك الغلط أن تقول بتأنيهم هؤلاء بمخالفة الحسين وقعودهم  
عن نصره فانهم أكثر العصاة وكانوا مع يزيد ولم يروا الخروج عليه ولكن الحسين  
يتشهد بهم وهو يقال بكر بلا على فضله وحقه ويقول سألوا جابر بن عبد الله  
وأبا سعيد الخدري وأبى بن مالك وسهل بن سهيل وزييد بن أرقم وأمثالهم فلم ينكروا  
عليهم قعودهم عن نصره ولا تعرض لذلك لعله أنه عن اجتهادهم كما كان فعله عن  
اجتهادهم وكذلك لا يذهب بك الغلط أن تقول بتصويب قتلهم كان عن اجتهاد وان  
كان هو على اجتهاد ويكون ذلك كما يجحد الشافعي والمالكي الحنفي على شرب  
النبيذ واعلم أن الأمر ليس كذلك وقتله لم يكن عن اجتهاد هؤلاء وان كان خلافه عن  
اجتهادهم وانما انفرد بقتله يزيد وأصحابه ولا تقول ان يزيد وان كان فاسقاً ولم يجز  
هؤلاء الخروج عليه فأفعله عندهم صحيحة واعلم أنه إنما تخلف عن أعمال الفاسق ما كان  
مضروماً وقاتل البغاة عندهم من شرطه أن يكون مع الامام العادل وهو مفقود  
في مستثنى فلا يجوز قتال الحسين مع يزيد ولا يزيد بل هي من فعلاته المؤكدة لنفسه  
والحسين فيها شهيد مثاب وهو على حق واجتهادوا العصابة الذين كانوا مع يزيد على  
حق أيضاً واجتهاد وقد غلط القاضي أبو بكر بن العربي المالكي في هذا فقال في  
كتابه الذي سماه بالعوامم والقواصم ما هنا ان الحسين قتل بشريع جده وهو غلط  
جلته عليه الغلظة عن اشتراط الامام العادل ومن أعظم من الحسين في زمانه في امامته  
وعدايته في قتال أهل الآراء وأما ابن الزبير فانه رأى في منامه ما وأداه الحسين ووطن  
كاننن وغلظه في أمر الشوكة أعظم لأن في أعداء بقاومون بن أمية في باهلية  
ولا اسلام والقول بتعين الخطا في جهة مخالفة كما كان في جهة معاوية مع علي لا سبيل  
اليه لأن الاجماع هنالك قضى لنا به ولم يجده ههنا \* وأما زيد فبعض خطأ نفسه  
وعبد الملك صاحب ابن الزبير أعظم الناس عدداً وناهيك بعد الله احتجاج مالك

بفعله وعدول ابن عباس وابن عمر إلى بيعة عن ابن الزبير وهم مع الجانب مع أن الكثير من الصحابة كانوا يرون أن بيعة ابن الزبير لم تنعقد لانه لم يحضرها أهل العقد والحبل كبسعة مروان وابن الزبير على خلاف ذلك والكل يجاهدون مجولون على الحق في الظاهر وان لم يتعين في جهة منهما والقيل الذي نزل به بعد تقرر ما قرأناه يحيى على قواعد الفقه وقوايته مع أنه شهيد مثاب باعتبار قصده وتحزبه الحق هذا هو الذي ينبغي أن تحصل عليه أفعال السلف من الصحابة والتابعين فهم خيار الاتقوا إذا جعلناهم عرضة للقدح فن الذي يختص بالعدالة والذي صلى الله عليه وسلم يقول خير الناس قرني ثم الذين يلونهم مرتين أو ثلاثاً ثم يفسوا الكذب فجعل الخير وهي العدالة مختصة بالقرن الأول والذي يليه فأبالي أن تعود نفسك أو لسانك التعرض لاحد منهم ولا يشوش قلبك بالريب في شيء مما وقع منهم والنفس لهم مذهب الحق وطرقها استطعت فهم أولى الناس بذلك وما اختلفوا الا عن بيعة وما قاتلوا وقتلوا الا في سبيل جهاد أو اظهر الحق واعتقد مع ذلك أن اختلافهم رحمة لمن بعدهم من الاته ليقندي كل واحد عن مختاره منهم ويجعله امامه وهاديه ودليله فافهم ذلك عشرين حكمة الله في خلقه واكوانه واعلم أنه على كل شيء قدير واليه المرجع والمصير واته تعالى أعلم

### ٣٢ (فصل في الخطط الدينية الخلافة)

لما تبين أن حقيقة الخلافة نيلية من صاحب الشرع في حفظ الدين وسيااسة الدنيا فصاحب الشرع منصرف في الأمرين أنافي الدين فيقتضي التكليف الشرعية الذي هو أمور يبلغيها وحل الناس علم أو أما سيااسة الدنيا فيقتضي رعايته لمصالحهم في العمران البشري وقد قدما أن هذا العمران ضروري للبشر وأن رعايته مصالحه كذلك لا يخفى أن أهلنا وقدما أن الملك ومطونه كاف في حصول هذه المصالح فم انما تكون أكل اذا كانت بالاحكام الشرعية لانه أعلم بهذه المصالح فقد صار الملك يدرج تحت الخلافة اذا كان اسلاميا ويكون من قوابعها وقد يتقرر اذا كان في غير الخلافة على كل حال من ائمة خادمة ووظائف تابعة تتعين خططها وتوزع على رجال الدولة ووظائف فيقوم كل واحد بوظيفته جميعا يعينه الملك الذي تكون بيده عالية عليهم فيتم بذلك أمره ويحسن قيامه بسلطانه وأما المنصب الخلافي وان كان الملك يدرج تحتها فهذا الاعتبار الذي ذكرناه يقتصر في الدين فيختص بخطط ومراتب لا تعرف الا للنفهاء الاسلاميين فان ذكر الآن الخطط الدينية المختصة بالخلافة فم رجع

الى الخطط الملوكية السلطانية فاعلم ان الخطط الدينية الشرعية من الصلاة والقضاء  
والجهاد والحسبة كلها مندرجة تحت الامامة الكبرى التي هي الخلافة  
فكانها الامام الكبير والاصل الجامع وهذه كلها متفرعة عنها وادخل فيها العموم قطر  
الخلافة وتصرّفها في سائر احوال الملة الدينية والدنيوية وتنفيذ احكام الشرع فيها  
على العموم فاما امامة الصلاة فهي ارفع هذه الخطط كلها وادفع من الملك بخصوصه  
المتدرج معها تحت الخلافة ولقد يشهد لذلك استدلال الصحابة في شأن أبي بكر ورضي  
الله عنه باختلافه في الصلاة على اختلافه في السياسة في قولهم ارتضاه رسول الله  
صلى الله عليه وسلم ليدبنا أنفلتار ضاه الدنيا فاعلم أن الصلاة ارفع من السياسة لجامع  
القصاص واذ انت ذلك فاعلم أن المساجد في المدينة صنفان صنفان مخصوصة بكثرة  
الفاشية معدة للصلاة المشهورة وأخرى دونها مختصة بقوم ومجتمعة وليست  
للمساجد العامة فأما المساجد الضخمة فأمرها راجع الى الخليفة أو من يفوض اليه  
من سلطان أو وزير أو قاض فينصب لها الامام في الصلوات الخمس والجمعة والعدين  
والمسوقين والاستسقاء وتعين ذلك انما هو من طريق الاولى والاستحسان وللاقتضات  
الرباعية عليه في شئ من النظر في المصالح العامة وقد يقول بالوجوب في ذلك من يقول  
بوجوب امامة الجمعة فيكون نصب الامام لها عنده واجبا وأما المساجد المختصة  
بقوم أو مجتمعة فأمرها راجع الى الجيران ولا يحتاج الى نظر خليفة ولا سلطان واحكام  
هذه الولاية وشروطها والمولى فيها معروف في كتب الفقه وبمبسطة في كتب الاحكام  
السلطانية لما وردى وغيره فلا تطول بذكرها ولقد كان الخلفاء الاولون لا يخلدون بها  
لغيرهم من الناس وانظر من طعن من الخلفاء في المسجد عند الاذان بالصلاة  
وترصدهم فذات في أوقاتنا يشهد ذلك بما شرعهم لها وأنهم لم يكونوا يستخفون فيها  
وكذا كان رجال الدولة الاموية من بعدهم استشاريا واستغاثا لمرتبها بحكم من  
عبد الملك أنه قال لسلجيه قد جعلت لك حجابة بابي الا هن ثلاثة صاحب الطعام فانه  
يفسد بالتأخير والاذن بالصلاة فانه داع الى اقامه والبريد فان تأخير فساد القاصية  
فالمساجد بطبيعة الملك وعوارض من الفلطة والترفع من مساواة الناس في دينهم  
ودناهم استنابوا في الصلاة فكانوا يستأثرون بها في الاحسان وفي الصلوات العامة  
كالعدين والجمعة اشادة وتنويعها فعل ذلك كثير من خلفاء بني العباس والبنيين  
صدرت ولهم وأما القضاة فللمصلحة تنصع اهل العلم والتدريس وذا القضاة من هو  
اهل لها واعاته على ذلك موضع من ليس أهلا لها وزجر لانها من مصالح المسلمين في  
أديانهم فوجب عليهم مراعاتها فلا يصرض لذلك من ليس له اهل فضل للناس والمجدوس

الانحساب لتعليم العلم وشره والجلوس لذلك في المساجد فان كانت من المساجد العظام  
التي للسلطان والولاية علم والنظر في أمتها كما مر فلا بد من امتدانه في ذلك وان كانت  
من مساجد العامة فلا يتوقف ذلك على إذن على أنه ينبغي أن يكون لكل أحد من  
المؤمنين والمدرسين زيارته من نفسه بمنع من التمسك بالدين له بأهل يفضل به المستدي  
ويفضل به المدرس وفي الأثر أجروا على الفتا أجرواكم على جرائم جهنم فليسلطان  
فيهم لذلك من الظلمات وجبه المصلحة من اجازة أودعه وأما قضاءه ومن الوظائف  
الداخلية تحت الخلافة لانه منصب الفصل بين الناس في المنصوبات حسب التداخي  
وقطع التنازع الأما بالأحكام الشرعية المتقاة من الكتاب والسنة فكان لذلك من  
وظائف الخلافة ومن درجاني عمومها وكان الخلقاء في صدر الاسلام يشارونه بأنفسهم  
ولا يسمون القضاء الى من سواهم وأول من دفعه الى غيره وقوضه فيه هو رضى الله  
عنه نولى أبا الدرداء معه بالمدينة وولى شريح بالبصرة وولى أبا موسى الأشعري  
بالمسكوفة وكتب له في ذلك الكتاب المشهور الذي تدور عليه أحكام القضاء وهي  
ستون قاعدة يقول أما بعد فإن القضاء فرع محكمة وسنة متبعة فافهم إذا أدى  
الدين فانه لا يتبع تكام بحق لا تافذه وأمس بين الناس في وجوه ومجلسك وعدلك  
حق لا يطعم شريف في حيفك ولا يأس ضعيف من عدلك البينة على من أذى واليمين  
على من أنكروا الصالح جازين المسلمين الاصلها أحل حراماً أو حرم حلالاً ولا يمنعك  
نساء قضيت أمس فراجمت اليوم فيه عطفك وهديت فيه رشيدك لهذا أن ترجع الى الحق  
فإن الحق قديم ومراجعة الحق خير من التماهي في الباطل اتهم اتهم فاعلم تلج في  
صدرك بحاليس في كتاب ولا سنة ثم اعرف الامثال والاشباه وقدر الامور بنظرها  
واجعل إن أدنى حقائقها أو شبهة أمداً يغتنى اليه فان أحضر بينته أخذت له بحقه  
والاحكام التي تقتضيه عليه فان ذلك أننى لذلك وأجل للعامة المسلمون عدول بعضهم  
على بعض المجلود في حدة أو مجوز بأعله شهادة زوراً وتلبنافى نسباً أو لا فان الله  
سبحانه يحسم الإيمان ودوا بالبيانات والبال والخلق والنصر والتأفف بالخصوم فان  
استقرار الحق في مواطن الحق يظم الله له الاجر ويحسن به الذكروا السلام انتهى  
كتاب محرراً كما كانوا يملكون القضاء فصرهم وان كلن مما يتعلق بهم لقضاءهم بالساعة  
الصلوة وكثرة أشغالهم من الجهاد والفتوحات وسد الثغور ووجاهة البينة ولم يكن  
ذلك مما يقوم به ضرهم أعظم الناجية فاستقروا القضاء في الواجبات بين الناس واستقلوا  
فيهم من يقوم به تحقيقاً على أنفسهم وكانوا مع ذلك انما يملكونه أهل عصيتهم بالقب  
أو الولاء ولا يملكونه لمن بعد عنهم في ذلك وأما أحكام هذا المنصب وشروطه فمعرفة



في كتب الفقه ونحوها كتب الاحكام السلطانية الا ان الثاني انما كان له  
 في عصر الخلفاء الفصل بين المصوم فقط ثم دفع لهم بعد ذلك امورا اخرى على التدرج  
 بحسب اشتغال الخلفاء والولول بالسياسة الكبرى واستقر منصب القضاء آخر الامر  
 على انه يجمع مع الفصل بين المصوم استيفاء بعض الحقوق الهامة للمساجين بالنظر في  
 احوال المحبوس عليهم من الجاهلين واليهنات والمغلبين وأهل السنة وفي وصايا المسلمين  
 وأوقافهم وتزويج الايتام عند فقد الاولياء على رأى من رآه والنظر في مصالح  
 الطرقات والابنية ونصيح الشهود والامناء والنواب واستيفاء العلم والخبرة منهم  
 بالعدالة والحرص ليحصل له الوثوق بهم وصارت هذه كلها من تعلقات وظرفية وتوابع  
 ولايته وقد كان الخلفاء من قبل يجعلون للقاضي النظر في المظالم وهي وظيفة متميزة  
 من سطوة السلطنة ونسفة القضاء وتحتاج الى علو قيد وعظيم رتبة تدفع الظالم من  
 الخصمين وتزجر المعتدى وكأنه يعضى ما يحز النضاة وغيرهم عن امضاءه ويكون نظره  
 في البنات والتقرير واعتماد الامارات والقرائن وتأخير الحكم الى احتياج الحق  
 وحل الخصمين على الصلح واختلاف الشهود وذلك أوسع من نظر القاضي \* وكان  
 الخلفاء الاولون يباشرونهم بانفسهم الى ايام المهدي من بن العباس وربما كانوا  
 يجعلونها لقضاة هم كافل عمر رضى الله عنه مع قاضيه ابي ادريس الخولاني وكافله  
 المأمون ابي بن ابيهم والمعتصم لاحد بن ابي داود وربما كانوا يجعلون للقاضي  
 قيادة الجهاد في عساكر الطوائف وكان يحيى بن اكنم يخرج ايام المأمون بالطائفة  
 الى ارض الروم وكذا منذ بن سعيد قاضي عبد الرحمن الناصر من بن امة بالاندلس  
 فكانت تولى هذه الوظائف انما تكون للخلفاء أو من يجعلون ذلك له من وزير مفوض  
 أو سلطان منقلب وكان ايضا النظر في الجرائم واقامة الحدود في الدولة العباسية  
 والاموية بالاندلس والعبيدين بمصر والمغرب واجعا الى صاحب الشرطة وهي  
 وظيفة اخرى دنية كانت من الوظائف الشرعية في تلك الدول توسع النظر فيها عن  
 احكام القضاء قليلا فيجعل للثمة في الحكم مجالا ويغرض العقوبات الزائرة قبل  
 ثبوت الجرائم ويقيم الحدود الناشئة في محالها ويحكم في التودد والتصاص ويقيم التعزير  
 والتأديب في حق من لم يمتنع عن الجريمة ثم تنويع شأن هاتين الوظيفتين في الدول التي  
 تنويع فيها امر الخلافة فصار امر المظالم راجعا الى السلطان كان تفويض من الخليفة  
 أو لم يمكن واختمت وظيفة الشرطة فحين منها وظيفة التهمة على الجرائم واقامة  
 حدودها وباشرة القطع والتصاص حيث يعين ونصب لذلك في هذه الدول كما يحكم  
 فيها بموجب السياسة دون مراجعة الاحكام الشرعية ويبنى تاريخهم الزاوي وتارة

باسم الشرطة وبني قسم التعازير و إقامة الحدود في الجرائم الثابتة شرعا لجمع ذلك للقاضي مع ما تقدم وصار ذلك من توابع وظرفته وولايته واعتقر الامر لهذا العهد على ذلك وخرجت هذه الوظيفة عن أهل عصبة الدولة لأن الامر لما كان خلافاً دينية وهذه الخط من مراسم الدين فكانوا لا يؤتون فيها الا من أهل عصبتهم من العرب ومواليهم بالحلف وبالارق وبالاضطناخ ممن يؤثق بقبائله وغنايه فيما يدفع اليه ولما انقضى شأن الخلافة وطورها وصار الامر كله ملكاً أو سلطاناً صارت هذه الخطا الدينية بعيدة عنه بعض الشيء لانهم ليست من ألقاب الملك ولا امرأته ثم خرج الامر كله من العرب وصار الملك لسواهم من أم الترك والبربر فزادت هذه الخطا الخلافة بعد انهم خصها وعصبتها بذلك أن العرب ~~مكافون~~ لا يرون أن الشريعة دينهم وأن النبي صلى الله عليه وسلم منهم وأحكامه وشرائعهم من بينهم وبينهم وغيرهم لا يرون ذلك انما كانوا يهابون التعظيم لما ادوا بالماله فقطعوا رايها قبلدونها من غير عاصبتهم عن كن تأهل لها في دول الخلفاء السالفة وكان أولئك التأهلون لما أخذهم ترف الدول منذئذ من السنين قد نسوا عهد البداوة وخشونتها والتبسوا بالحضارة في عوائد ترفهم ودعوتهم وقلة الممانعة عن أنفسهم وصارت هذه الخطا في الدول الملوكية من بعد الخلفاء محتمة بهذا الصنف من المستضعفين في أهل الامصار ونزل أهلها عن مراتب العزلة فقد لاهية بأنسابهم وما هم عليهم من الحضارة فلهذا من الاحتقار والحقوق الحضر المنغمسين في الترف ولادة البعداء عن عصبة الملك الذين هم عيال على الحماية وصار اعتبارهم في الدولة من أجل قسائمها بالمال وأخذها بأحكام الشريعة لما أنهم الحاسلون للاحكام المقتدون بها ولم يكن ايشارهم في الدولة حينئذ اكراما لذواتهم وانما هو لما يتلج من ان يجعل بكنهم في مجالس الملك لتعظيم الرتب الشرعية ولم يكن لهم فيها من الحل والعقد شيء وان حضرة حضور رسمي لاحقة وراءه اذ حقيقة الحل والعقد انما هي لاهل القدرة عليه من لا قدرة له عليه فلا حل له ولا عقد عليه اللهم الا اخذ الاحكام الشرعية عنهم وتلقى القناوى منهم فتم واقع الموفق وبما يتلق بعض الناس أن الحق فيما ورا ذلك وأن فعل الملوكة فيما فعلوه من اخراج النفه والافاضة من الشورى مرجوح وقد قال صلى الله عليه وسلم العلماء ورثة الانبياء فاعلم أن ذلك ليس كأخطه وحكم الملك والسلطان انما يجري على ما تنص فيه طيبة العمران والا كان بعيدا عن السبابة فطبيعة العمران في هؤلاء لا تقتضى لهم شيئاً من ذلك لأن الشورى والحل والعقد لا تكون الا صاحب عصبة لا يقتدر بها على حل أو عقد أو فعل أو ترك وأما من لا عصبة له ولا يتلج من امر نفسه شيئاً

ولامن حاجتها وانما هو يبال على غيره فأى مدخل له في الشورى أى معنى يدعو  
الى اعتبار ربه فيها اللهم الاشوراه فيما يعلمه من الاحكام الشرعية فوجوده في الاستفتاء  
خاصة وأما شوراه في السياسة فهو بعد عنها النقد انه العصبية والقيام على معرفة  
أحوالها وأحكامها وانما أكرامهم من تبرعات الملوك والأمراء الشاهدة لهم بمجمل  
الاعتقاد في الدين وتعظيم من ينسب اليه بأى جهة انسب وأما قوله صلى الله عليه  
وسلم العلماء ورثة الانبياء فاعلم أن لفتها في الاغلب لهذا العهد وما اختلف به انما حلوا  
الشريعة أقوالا في كيفية الاعمال في العبادات وكيفية القضاء في المعاملات يصونها  
على من يحتاج الى العمل بها هذه غاية أكابرهم ولا يتصفون الا بالاقر منها وفي بعض  
الاحوال والسلف رضوان الله عليهم وأهل الدين والورع من المسلمين جلوا الشريعة  
اتصافها وتحققا بذا جهات من حالها اتصافا وتحققا دون نقل فهو من الوارثين مثل أهل  
رسالة القشيري ومن اجتمع له الامران فهو العالم وهو الوارث على الحقيقة مثل فقهاء  
التابعين والسلف والائمة الاربعة ومن اختلف في طريقهم وجاء على اثرهم وإذا انفرد  
واحد من الامة بأحد الامرين فالعابد أحق بالوراثة من الفقيه الذي ليس بعابد لأن  
العابد ورث صفة والفقيه الذي ليس بعابد يرث شيئا انما هو صاحب أقوال ينصها عينا في  
كيفية العمل وهو لاه أكثر فتهام عصرنا الا الذين آمنوا وعملوا الصالحات وقليل ما هم  
\* (العدالة) وهي وظيفة دينية تابعة للقضاء ومن مواضع ربه وحقيقته هذه  
الوظيفة القيام عن اذن القاضي بالشهادة بين الناس فيما لهم وعليهم تحمل عند الشهادات  
وأداء عند التنازع وكتابة السجلات تحفظ به حقوق الناس واملا كلهم ودينهم  
وسائر معاملاتهم وشرط هذه الوظيفة الاتصاف بالعدالة الشرعية والبراءة من الجرح  
ثم القيام بكتب السجلات والامانة ومن جهة عباراتها وانتظام فصولها ومن جهة  
احكام شروطها الشرعية وعقودها فيحتاج حينئذ الى ما يتعلق بذلك من الفقه ولاجل  
هذه الشروط وما يحتاج اليه من المراتب على ذلك والممارسة له اختصر ذلك ببعض  
العدول وصار الصنف القاعون به كأنهم مختصون بالعدالة وليس كذلك وانما العدالة  
من شروط اختصاصهم بالوظيفة ويجب على القاضي تصفح أحوالهم والكشف عن  
سيرهم رعاية لشرط العدالة فيهم وأن لا يحمل ذلك لما يعين عليه من حفظ حقوق  
الناس فالعهد عليه في ذلك كله وهو ضمن دركه وإذا تعين هؤلاء هذه الوظيفة عمت  
النافذة في تعيين من يتحقق عدالته على القضاة بسبب اتساع الامصار واشتداد الاحوال  
واضطراب القضاة الى النصل بين المتنازعين بالبينات الموثوقة فيه ولون غالبيا في الوثوق  
بها على هذا الصنف ولهم في سائر الامصار دكاكين ومصابيح يتخفون بالجلوس

عليها فبما عاهدتهم أحباب المصلحات للاشهاد وتقييده بالكتاب وصار مدلول هذه اللفظة مشتركا بين هذه الوظيفة التي تبين مدلولها وبين العدالة الشرعية التي هي اخت الجرح وقد تواردان ويفترقان والله تعالى أعلم \* (الحسنة والسكة) \* أما الحسنة فهي وظيفة دينية من باب الامر بالمعروف والنهي عن المنكر الذي هو فرض على القائم بأمر المسلمين يعني لذلك من يراه اهلاله فبنيته من فرضه عليه ويتخذ الاعوان على ذلك ويبحث عن المنكرات ويعزروا يؤدب على قدرها ويحمل السامر على المصالح العاتية في المدينة مثل المنع من المضايقة في الطرقات ومنع الخالين وأهل السفن من الاكثار في الحل والحكم على أهل المباني المتداعية للسقوط بهدمها وازالة ما يتوقع من ضررها على السابلة والضرب على أيدي المعلنين في المكاتب وغيرها في الابلاغ في نهرهم للصبيان المتعلمين ولا يتوقف حكمه على تنازع أو استعلاء بل له النظر والحكم فيما يصل الى علمه من ذلك ويرفع اليه وليس له امضاء الحكم في الدعاوى مطلقا بل فيما يتعلق بالنفس والتدليس في المدايش وغيرها وفي المكاييل والموازين وله أيضا حل الماطلين على الانصاف وأمثال ذلك مما ليس فيه جماع بينه ولا انفاذ حكم وكأنها أحكام ينزه القاضي عنها له ومهاومته ولا اغراضها قد دفع الى صاحب هذه الوظيفة ليقوم بهم افوضها على ذلك أن تكون خادمة لمنصب القضاء وقد كانت في كثير من الدول الاسلامية مثل العبيدين بمصر والمغرب والامويين بالاندلس داخله في عموم ولاية القاضي بدني فيها باختياره ثم لما انفردت وظيفة السلطان عن الخلافة وصار نظره حائفا في أمور السياسة اندرجت في وظائف الملك واقررت بالولاية

\* (وأما السكة) \* فهي النظر في النقود المتعامل بها بين الناس وحفظها مما يداخلها من الغش أو النقص ان كان يتعامل بها عدداً وما يتعلق بذلك ويوصل اليه من جميع الاعتبار ثم في وضع علامة السلطان على تلك النقود بالاستجداء والخلوص برسم تلك العلامة فيها من خاتم حديد اتخذ لذلك ونقش فيه نقوش خاصة به فوضع على الديار بعد أن يقدر ويضرب عليه بالمطرقة حتى ترسم فيه تلك النقوش وتكون علامة على جودته بحسب الغاية التي وقف عندها السبك والتخلص في متعارف أهل القطر ولما ذهب الدولة الحاكمة فإن السبك والتخلص في النقود لا يقف عند غاية وانما ترجع غايته الى الاجتهاد فاذا وقف أهل أفق أو قطر على غاية من التخلص وقفوا عندها وسعوا اماما وعبارة يعبرون به نقودهم وينقدونها بعمائنته فان نقص عن ذلك مكان زبوا والنظر في ذلك كله لصاحب هذه الوظيفة وهي دينية بهذا الاعتبار فتندرج تحت الخلافة وقد كانت تندرج في عموم ولاية القاضي ثم اقررت لهذا

العهد كما وقع في الحسبة هذا آخر الكلام في الوظائف والخلافة وبقت منها وظائف  
ذهبت بذهب ما يتطرق فيه وأخرى صارت لسلطنة فوظيفة الأمانة والوزارة والحرب  
والخراج صارت لسلطنة تكلم عليها في أماكنها بدو وظيفة الجهاد ووظيفة الجهاد  
بطلت بطلانه إلا في قليل من الدول بحارسونه ويدرجون أحكامه غالباً في السلطانيات  
ومسكدة نقابة الأنساب التي توصل بها إلى الخلافة أو أطلق في بيت المال قد بطلت  
لدورها الخلافة ورسومها وبالجملة قد اندرجت رسوم الخلافة ووظائفها في رسوم الملك  
والسياسة في سائر الدول لهذا العهد والله مصرف الأمور كيف يشاء

٣٣ فصل في القلب بأمر المؤمنين وأنه من سمات الخلافة وهو محدث منذ عهد الخلفاء

وذلك أنه لما بويع أبو بكر رضي الله عنه كان الصحابة رضي الله عنهم وسائر المسلمين  
يسمونه خليفة رسول الله صلى الله عليه وسلم ولم يزل الأمر على ذلك إلى أن هلك فلما  
بويع لعمر بعده إليه كانوا يدعونه خليفة خليفة رسول الله صلى الله عليه وسلم  
وكانهم استقلوا هذا القلب بكثرته وطول اضافته وأنه يتزايد فيما بعد دائماً إلى أن  
ينتهي إلى الهينة ويذهب منه التميز بعد الإضافات وكثرتها فلا يعرف فكلوا  
يعملون عن هذا القلب إلى ما سواه مما يناسبه ويدعيه مثله وكانوا يسمون قواد  
البعوث باسم الأمير وهو فصيل من الأمانة وقد كن الجاهلية يدعون النبي صلى الله  
عليه وسلم أمير مكة وأمير الحجاز وكن الصحابة أيضاً يدعون سعد بن أبي وقاص أمير  
المؤمنين لأمانته على جيش القادسية وهم معظم المسلمين يومئذ واتفق أن دعاب بعض  
الصحابة عمر رضي الله عنه أمير المؤمنين فاستحسنه الناس واستصوبوه ودعوه به يقال  
إن أول من دعاه بذلك عبد الله بن جهم وقبل عمرو بن العاصي والمغيرة بن شعبة وقبل  
بريد بن جراح بالفتح من بعض البعث ودخل المدينة وهو يسأل عن عمرية قول أبي أمير  
المؤمنين ومجهاً بأميرهم فاستحسنوه وقالوا أوصت والله اسمه أنه والله أمير المؤمنين  
حقاً فدعوه بذلك وذهب لقبه في الناس وتوارثه الخلفاء من بعده سنة لا يشاركهم  
فيها أحد سواهم سائر دولة بني أمية ثم ان الشعة خصوصاً اعلموا باسم الامام فصاروا بالامامة  
التي هي أخت الخلافة وتقرضاً بذهبهم في أنه أحق بالامامة الصلوات أن يكرملها هو  
مذهبهم ويدعونه بذهبهم هذا القلب ولين يسوقون إليه منصب الخلافة من بعده  
فكانوا كلهم يسمون بالامام ما داموا يدعون لهم في الخلفاء حتى اذا يستولون على  
الدولة يحولون القلب فيمن بعدهم إلى أمير المؤمنين كما فعله شيعة بني العباس فانهم ما زالوا  
يدعون أئمتهم بالامام إلى إبراهيم النخعي جهر وبالدعاء له وعقدوا الزيات للحرب على

أمره فلما هلك دعى أخوه السفاح بأمير المؤمنين وكذا الرافضة بأفريقية فأنهم ما زالوا يدعون أنتمهم من ولد اسمعيل بالامام حتى انتهى الامر الى عبيد الله المهدي وكانوا أيضا يدعون بالامام ولابنه أي أنقاسهم من بعده فلما استوسق لهم الامر دعوا من بعدهما بأمير المؤمنين وكذلك الادارسة بالمغرب كانوا يلقبون ادريس بالامام وابنه ادريس الأصغر كذلك وهكذا شأنهم وتوارث الخلفاء هذا اللقب بأمير المؤمنين وجعلوه مع لمن ملك الحجاز والشأم والعراق الموطن التي هي ديار العرب ومراكز الدولة وأهل الملة والفتح وازداد ذلك في عنفوان الدولة وبذخها لقب آخر للخلفاء يتميز به بعضهم عن بعض لما في أمر من الاشترايينهم فاستحدث ذلك بنو العباس حجابا لاسمهم الاعلام عن امتنانها في السنة السوقة وصوالها عن الاشتغال فلقبوا بالسفاح والمنصور والمهدي والهادي والرشيد الى آخر الدولة واقتفى أثرهم في ذلك العبيديون بأفريقية ومصر وتجاوئ بؤامة عن ذلك بالشرق قلبهم من الغضاضة والسذاجة لأن العروبة ومنازعهم تفارقهم حينئذ ولم يتحول عنهم شعار البداوة الى شعار الحضارة وأما بالاندلس فلقبوا كلفهم مع ما علموه من أنفسهم من القصور عن ذلك بالقصور عن ملك الحجاز أصل العرب والملة والبعد عن دار الخلافة التي هي مركز العصية وأنهم انما منعوا بامارة القصية أنفسهم من مهالك بنو العباس حتى اذا جاء عبد الرحمن الداخل الأسخ منهم وهو الناصر بن محمد بن الامير عبد الله بن محمد ابن عبد الرحمن الاوسط لاول المائة الرابعة واشتهر ما نال الخلافة بالشرق من الظفر واستبداد الموالى وعيبتهم في الخلفاء بالعزل والاستبدال والقتل والسمل ذهب عبد الرحمن هذا الى مثل مذاهب الخلفاء بالشرق وأفريقية وتسمى بأمير المؤمنين وتلقب بالناصر لدين الله واخذت من بعده عادة ومذهب اقرن عنه ولم يكن لآبائه وصف قومه واستمر الحال على ذلك الى أن انقرضت عصية العرب أجمع وذهب رسم الخلافة وتقلب الموالى من العجم على بنو العباس والصنائع على العبيدين بالقاهرة وسنهاجة على امرأ افريقية وزنانة على المغرب وملوك الطوائف بالاندلس على أمر بني أمية واقتسموه واقتروا أمر الاسلام فاختلفت مذاهب الملوك بالمغرب والشرق في الاختصاص بالالقب بعد أن سمو اجميعا باسم السلطان \* فاما ملوك الشرق من العجم فيمكن الخلفاء بخصوصهم بالالقب تشريفة حتى يستشعر منها انقيادهم وطاعتهم وحسن ولايتهم مثل شرف الدولة وعضد الدولة وركن الدولة ومعز الدولة ونصير الدولة وتظام الملك وبهاء الدولة وذخيرة الملك وأمثال هذه وكان العبيديون أيضا يخصون بها أمرهم سنهاجة فلما استبدوا على الخلافة قنعوا بهذه الالقب

وتجافوا عن ألقاب الخلافة أدامها وعدوا عن محاسنها المختصة بها شأن المتغلبين  
المستبدّين كما قلناه قبل ونزع المتأخرون أعاجم المشرق حين قويا استبدادهم على  
الملك وعلا كعبهم في الدولة والسلطان وتلاشت عصية الخلافة واضمحلت بالجملة  
إلى اتصال الألقاب الخاصة بالملك مثل الناصر والمنصور زيادة على ألقاب يحتمون بها  
قبل هذا الاتصال مشعرة بالخروج عن رتبة الولاء والاصطناع بما أضافوه إلى الدين  
فقط فيقولون صلاح الدين أسد الدين نور الدين \* وأما ملوك الطوائف بالاندلس  
فاحتسروا ألقاب الخلافة وتوزعوا القوة استبدادهم عليها كانوا من قبلها وعصيتها  
تلقبوا بالناصر والمنصور والمعقد والمظفر وأمثالها كما قال ابن أبي شرف يعني عليهم  
بما رزقوني في أرض اندلس \* أحما معقد فيها ومعتمد  
ألقاب ملكة في غير موضعها \* كآلهة يحكي اتفاقا صورة الأسد

وأما من حاجة فاقصروا على الألقاب التي كان الخلفاء العبيدون يلقبون بها للتنويه  
مثل نصير الدولة ومعز الدولة واتصل لهم ذلك لما أدوا من دعوة العبيدين بدعوة  
العاصيين ثم بعثت الثقة بينهم وبين الخلافة ونسوا عهد انفسوا هذه الألقاب  
واقصروا على اسم السلطان و كذا شأن ملوك مغراوة بالمغرب لم يتصلوا شيئا من  
هذه الألقاب إلا اسم السطان جريا على مذاهب البداوة والغضاضة ولما حكي رسم  
الخلافة وتعالى دستها وقام بالمغرب من قبائل البربر يوسف بن تاشفين التي تروى تلك  
العدوتين و كان من أهل الخبر والاقبادة نزعته بهمته إلى الدخول في طاعة  
الخليفة بتكميل مراسم دينه فغاطب المستظهر العباسي وأوفد عليه بيعة عبد الله  
ابن العربي وأبته القاضي أبابكر من مشيخة أشيلية يطلبان توليته إياه على المغرب  
وقدمه ذلك فأنقلبوا إليه بعهد الخلافة له على المغرب واستنعار بهم في لبوسه  
وربته وناطبه فيه بأمر المؤمنين تشرى بالله واختصاصا فاحتد القبا ويقال إنه  
صلى الله على أمير المؤمنين من قبل أدبا مع رتبة الخلافة لما كان عليه هو وقومه  
المرابطون من اتصال الدين واتساع السنة وجه المهدي على أثرهم داعيا إلى الحق  
أخذوا بمذاهب الأشعرية فاعيا على أهل المغرب عدولهم عنها إلى تقليد السلف في تولد  
التأويل لقوا هر الشريعة وما يؤل إليه ذلك من التعصب كما هو معروف من مذهب  
الأشعرية وهي اتباعه الموحدين تعريضا بذلك التكبر وكان يرى رأى أهل البيت في  
الامام المعصوم وأنه لا بد منه في كل زمان يحفظ بوجوده نظام هذا العالم فهي بالامام  
أولاً لما انقضاء من مذهب الشيعة في ألقاب خلفائهم وأردف بالمعصوم إشارة إلى  
مذهب في عصمة الامام وتتره عند اتساعه عن أمير المؤمنين أخذوا بمذاهب المتقدمين

من الشيعة ولم يفهم من مشاورة الانصار والولدان من أعقاب أهل الخلافة يومئذ بالشرق ثم اتحل عبد المؤمن ولي عهد القبط بأمر المؤمنين وجرى عليه من بعده خلفاء بني عبد المؤمن وآل أبي حفص من بعدهم استشارا به عن سواهم لمداها اليه شيخهم المهدي من ذلك وأنه صاحب الامر وأولاه من بعده كذلك دون كل أحد لا تنفاه عصية قريش ولا شيها فكان ذلك دأبهم ولما انتفض الامر بالمغرب وانتزعه زنانة ذهب أولهم مذاهب البدوة والسذاجة وانتبغ لتونة في اتصال القبط بأمر المؤمنين أدبهم رتبة الخلافة التي كانوا على طاعتها لبني عبد المؤمن أولا ولبنى أبي حفص من بعدهم ثم نزع المتأخرون منهم إلى القبط بأمر المؤمنين واتصلوا بهذا العهد ابتلاغا في منازع الملك وتجميعا لمذاهبه وسماته والله غالب على أمره

٣٤ فصل في شرح اسم البابا البطرك في الملة النصرانية وامم اللو من عند اليهود

(اعلم) أن الملة لا بد لها من قائم عند غيبة النبي يصح لهم على أحكامها وشراعتها ويكون كالخليفة فيهم للنبي فيما جابه من التكليف والنوع الانساني أينما تقدم من ضرورة السياسة فيهم للاجتماع البشري لا بد لهم من شخص يصح لهم على مصالحهم ويرعهم عن مفاسدهم بالقهر وهو المسمى بالملك والملة الاسلامية لما كان الجهاد فيها مشروعا وعموم الدعوة وحمل الكافة على دين الاسلام طوعا أو كرها اتخذت فيها الخلافة والملك تمويه الشوك من القائمين بها الهامعا وأما ما سوى الملة الاسلامية فلم تكن دعوتهم عامة ولا الجهاد عندهم مشروعا الا في المدافعة فقط فصارا قائما بأمر الدين فيها لا يعنيه شئ من سياسة الملك وانما وقع الملك بين وقع منهم بالعرض ولا امر غير ديني وهو ما اقتضته لهم العصبة لما فيها من اطلب للملك بالطبع لما تقدمناه لانهم غير مكلفين بالغلب على الامم كافي الملة الاسلامية وانما هم مطلوبون بأقامة دينهم في خاصهم ولذلك بنى بنو اسرائيل من بعدهم موسى ويوشع صلوات الله عليهما نحو أربعمائة سنة لا يعنون بشئ من أمر الملك انما همهم اقامة دينهم فقط وكان لقائهم بينهم يسمى الكوهر كانه خليفة موسى صلوات الله عليه يقيم لهم أمر الصلاة والتقربان ويشترطون فيه أن يكون من ذرية هرون صلوات الله عليه لان موسى لم يعقب ثم اختاروا والاقامة السياسة التي هي للبشر بالطبع سبعين شيئا كانوا يتولون أحكامهم العامة والكوهر أعظم منهم رتبة في الدين وأبعد عن شغب الاحكام واتصل ذلك فيهم إلى أن استحكمت طبيعة العصية وتمحضت الشوك لملك فقلبو الكنعانيين على الارض التي أورثهم الله بيت المقدس وماجاورها كما بين لهم على لسان موسى صلوات



الله عليه فخارهم أمم الفلستين والكتعانين والارمن وأردت وثمان ومأرب ورياستهم  
 في ذات راجعة الى شيوخهم وأقاموا على ذات شعوا من أرب مائة سنة ولم تكن لهم  
 صولة الملك ونحضر بنو اسرائيل من مطالبة الامم طلبوا على لسان شعويل من أنبيائهم  
 أن يأذن الله لهم في عليك رجل عليهم طالوت وغلب الامم وقتل جالوت ملك الفلستين ثم  
 ملك بعده داود ثم سليمان صلوات الله عليهم حوا واستفعل ملكه وامتد الى الحجاز ثم اطراف  
 اليمن ثم الى اطراف بلاد الروم ثم افترق الاسباط من بعد سليمان صلوات الله عليه  
 بمقتضى العصبية في الدول كما قدمناه الى دولتين كانت احدهما بالجزيرة والموصل  
 للاسباط العشرة والاخرى بالقدس والشام لبني يهوذا وبنامين ثم غلبهم يحنجر ملك  
 يابل على ما كان بأيديهم من الملك اولا الاسباط العشرة ثم ثانيا بن يهوذا وبيت  
 المقدس بعد اتصال ملكهم فحواف سنة وخرب مسجدهم وأحرق توراتهم وأمان  
 دينهم وقطعهم الى اصهبان وبلاد العراق الى أن ردهم بعض ملوك الكيانية من افرس  
 الى بيت المقدس من مئتين سبعين سنة من خروجه فبنوا المسجد وأقاموا أمر دينهم  
 على الرسم الاول للكهنة فقط والملك للفرس ثم غلب الاسكندرون يونان على الفرس  
 وصاروا الى ودفن ملكهم ثم قتل أمر اليونانيين فاعتزالهم ودعاهم بالعصبية الطبيعية  
 ودفعوهم عن الاستيلاء عليهم وقام عليهم الكهنة الذين كانوا فيهم من بني حشناى  
 وقتلوا يونان حتى انقرض أمرهم وغلبهم الروم فصاروا تحت أمرهم ثم رجعوا الى  
 بيت المقدس وفيما بنوه هردوس اصهار بن حشناى وبقيت دولتهم فخلصوهم مدة  
 ثم افتحوها عنوة وأخشوا في القتل والهدم والتخريب وخرابوا بيت المقدس  
 وأجلوهم عنها الى رومة وماوراءها وخراب الثاني للمسجد وبسجيه اليهود  
 بالملوة الكبرى فلم يبق لهم بعدها ملك ان فقدان العصبية منهم وبقوا بعد ذلك في ملكة  
 الروم ومن بعدهم بقي لهم أمر دينهم الرئيس عليهم المسمى بالكوهن ثم جاء المسيح  
 صلوات الله وسلامه عليه بعاجدهم به من الدين والتسخيل بعض أحكام التوراة  
 وظهرت على يديه الخوارق الهيبة من ابراء الائمة والارمن واحياء الموتى واجتمع  
 عليه كثير من الناس وآمنوا به وأكثرتهم الحواريون من أصحابه وكانوا اثني عشر  
 وبعضهم رسلا الى الآفاق داعين الى الله وذلك أيام أوغسطس أول ملوك  
 القياصرة وفي سنة هردوس ملك اليهود الذي اتزعج الملك من بني حشناى اصهاره  
 فحسده اليه ودكذبه وكتب هردوس ملك القياصرة أوغسطس بغيره به  
 فأذن لهم في قتله ووقع ما ناله القرآن من أمره واقترب الحواريون شيئا ودخل  
 أكثرهم بلاد الروم داعين الى دين النصرانية وكان بطرس كبيرهم قتل برومة دار

ملك القياصرة ثم كتبوا الانجيل الذي انزل على عيسى صلوات الله عليه في نسخ أربع على اختلاف رواياتهم فكذب متى انجيله في بيت المقدس بالعبرانية وقته يوحنا بن زبدي منهم الى اللسان اللطيني وكتب لوقا منهم انجيله باللطيني الى روم أكابر الروم وكتب يوحنا بن زبدي منهم انجيله برومة وكتب بطرس انجيله باللطيني ونسبه الى مرقاس تلميذه وبأختلفت هذه النسخة الاربع مع الانجيل مع أنها ليست كلها وحدا صر قابل مشوبة بكارم عيسى عليه السلام وبكلام الحوارين وكاهما مواعظ وعصم والاحكام فيها قليلا جدا واجتمع الحواريون الرسل لذلك العهد برومة ووضعوا قوانين الملة النصرانية وصبروها يسد اقليم بطرس وكتبوا فيها عدد الكتب التي يجب قبوله ما زال عمل بها فن شرعية اليهود القديمة التوراة وهي خمسة أسفار وكتاب يوشع وكتاب القضاة وكتاب راعوث وكتاب يرم وذا وأسفار المجلد أربعة وعشر بنامين وكتب المتأين لابن كرون هذه وكتاب عزرا الامام وكتاب اوشير وقصة هانان وكتاب ايوب الصديق ومن امروا وعليه السلام وكتب ابنه سليمان عليه السلام خمسة ونحوات الانبياء البكار والصغار ستة عشر وكتاب يشوع ع من شرح وزر سليمان ومن شرعية عيسى صلوات الله عليه المتفق من الحوارين نسخ الانجيل الاربعة وكتب القضاة سبع رسائل ونامتها الايريكسيس في قصص الرسل وكتاب بولس أربع عشرة رسالة وكتاب اقليمطس وفيه الاحكام وكتاب ابونا المديس وفيه رؤيا يوحنا ابن زبدي واختلف ثمان القياصرة في الاخذ بهذه الشريعة تارة وتعظيم أهلها ثم تركها أخرى والتمس عليهم القتل والبقي الى أن جاء قسطنطين وأخذهم واستمروا عليها وكان صاحب هذا الدين والمقيم لمراجه يسمونه البطرك وهو رئيس الملة عندهم وخليفة المسيح فيهم يعث نوابه وخطاهه الى ما بعد عنه من أئم النصرانية ويسمونه الاسقف أي نائب البطرك ويسمون الامام الذي يقيم الصلوات ويقيمهم في الدين بالقسيس ويسمون المنقطع الذي حبس نفسه في الخلوة لعبادة الراهب وأكبر خلواتهم في الصوامع وكان بطرس الرسول رأس الحوارين وكبير التلاميذ برومة يقيم بهادين النصرانية الى أن قتله نيروز خامس القياصرة فيمن قتل من البطارق والاساقفة ثم قام بخلافته في كرسي رومة اريوس وكان مرقاس الانجيلي بالاسكندرية ومصر والخبر بدا عيا سبع سنين فقام بعده حنانيا وتسمي بالبطرك وهو أقل البطارقة فيها وجعل معه اثني عشر قساعلى أنه اذا مات البطرك يكون واحدا من اثني عشر مكانه ويختار من المؤمنين واحد امكان ذلك الثاني عشر فكان أخر البطارقة الى القسوس ثم لما وقع الاختلاف بينهم في قوا عدد دينهم وعقائده واجتمعوا بيقينية أيام قسطنطين

تصريح الحق في الدين واتفق الثمانية وعشرون من أممهم على رأي واحد في الدين  
فكتبوه وسماه الامام وصيره أملا رجوعوا اليه وكان فيما كتبوه أن البطرك القسامة  
بالدين لا يرجع في تعيينه الى اجتهد الامة كما قرره حنا نيسا تيا ذمرا قاس وأبطلوا ذلك  
الرأي وانما قد تم من ملا واختيار من أئمة المؤمنين ورؤسائهم في الامر كذلك ثم  
اختلفوا بعد ذلك في تقرير قواعد الدين وكانت لهم جماعات في تقريره ولم يختلفوا في  
هذه القاعدة في الامر فيها على ذلك وتصل فيهم نيابة الاساقفة عن البطرك وكان  
الاساقفة يدعون البطرك بالرب أيضا تعظيما له قال تبة الاسم في أعلاه متطاوله يقال  
آخره بطركية قرط لا تكندرية أرادوا أن يميزوا البطرك عن الاسقف في التعظيم  
فدعوه البابا ومعناه أبو الآباء وظهر هذا الاسم أول ظهوره بمصر على ما زعم جرجيس  
ابن العبد في تاريخه ثم نقلوه الى صاحب الكرسي الاعظم عندهم وهو كرسي رومة لانه  
كرسي بطرس الرسول كما قد صنفه في رتبة سمعته عليه الى الآن ثم اختلفت النصارى في دينهم  
بعد ذلك وفيما يعتقدونه في المسيح وصاروا طوائف وفرقا واستظهروا بملوك النصرانية  
كل على صاحبه فاختلف الحال في العصور في ظهور فرقة دون فرقة الى أن استقرت  
لهم ثلاثة طوائف هي فرقةهم ولا يلتفتون الى غيرها وهم المصلكية واليعقوبية  
والنسطورية ولم نر أن نخضع أوراق الكتاب بذكر مذاهب كفرهم نهى على الجملة  
معروفة وكلها كفر كما صرح به القرآن الكريم ولم يبق بيننا وبينهم في ذلك جدال  
ولا استدلال انعموا الاسلام والخزينة والقتل ثم اختلفت كل فرقة منهم بطرك فبطرك  
رومة اليوم المسمى بالبابا على رأي الملكية ورومة للفرنجة وملكتهم قائم تلك الباقية  
وبطرك المعاهدن بمصر على رأي اليعقوبية وهو ساكن بين ظهرانيهم والحبشة  
يدعون دينهم ولبطرك معبر فيهم أساقفة يثوبون عنه في اعامه دينهم هنالك واختص  
اسم البابا بطرك رومة لهذا العهد ولا تسمى المعاقبة بطركهم بهذا الاسم وضبط هذه  
اللفظة ما بين موردين من أسفل والمنطق بها متخمة والشانية مشددة ومن مذاهب  
البابا عند الفرنجة أنه يحضهم على الاتقياء لذلك واحدير جعون اليه في اختلافهم  
واجتماعهم فخر جان اقتراح الكلمة ويتحري به العصية التي لا فوقها منهم لتكون  
يدها على جميعهم ويسمونه الانبذور وورقه الوسيط بين الال والالاهة المجتمعة  
ومباشره يضع التسليح على رأسه للبركة فيسمى المتوج ولعلهم معنى اللفظة الانبذور وهذا  
المخص ما وردنا من شرح هذين الاسمين اللذين هما البابا والكوهن والله بطل من  
يشاء ويهدي من يشاء

اعلم أن السلطان في نفسه ضعيف يجعل أمره أثقلا فلا بد له من الاستعانة بأبناء جنسه  
وإذا كان يستعين بهم في ضرورة عايشه ودائره فلهذا فاعانته بسياسة نوعه ومن  
استمرعاه الله من خلقه وعبادته وهو محتاج إلى حياية السكافة من عدوهم بالمدافعة عنهم  
والى كفه عدوان بعضهم على بعض في أنفسهم بامضاء الاحكام الخريضة فيهم وكف  
العدوان عليهم في أموالهم بإصلاح سابلهم وإلى حماهم على صالحهم وما نفعهم به  
البلى في معاشهم ومعاملاتهم من تفقد المعاش والمكاييل والموازين حذرهم من  
التطريف وإلى الخاف في السكة يحفظ انتقود التي يتعاملون بها من الغش وإلى سياستهم  
بما يرضونه من الانقياد والرضا بقضائهم وتفقدوا بالجدد وتهم فيتحمل من  
ذلك فوق الغاية من معاناة القلوب قال بعض الاشراف من الحكام المجاندة قبل  
الجمال من أما كتبها هون على من معاناة قلوب الرجال ثم ان الاستعانة اذا كانت بأولى  
القربى من أهل النسب والتربية أو الاصطناع القديم للدولة كانت أكمل لما يقع في  
ذلك من مجانسة خلقهم لخلقهم فتمت المشاكلة في الاستعانة قال تعالى واجعل لي وزيرا  
من أهلي هرون أخى أشد ديه أزرى وأشركه في أمرى وهو أمان يستعين في ذلك  
بسيفه وأقله وأراه أومعافه أو بحجابه عن الناس أن يزدجوا عليه فيشتغلوه عن  
النظر في مهماتهم أو يدفع النظر في الملك كله ويعول على كفايته في ذلك وأضطلع  
فلذلك قد توجد في رجل واحد وقد تفرق في أشخاص وقد يفرع كل واحد منها إلى  
فروع كثيرة كالقلم يفرع إلى قلم الرسائل والمناطبات وقلم الصكوك والاقطاعات وإلى  
قلم المحاسبات وهو صاحب الجباية والعتاء ودوان الجيش وكالسيف يفرع إلى  
صاحب الحرب وصاحب الشرطة وصاحب البريد وولاية الخوارج ثم اعلم أن الوظائف  
الساطنة في هذه الملة الإسلامية مندرجة تحت الخلافة لا تحت منصب الخلافة على  
الدين والدنيا كما قد ناه فلا حكم الشرعية متعلقة بجميعها وموجودة لكل واحدة  
منها في سائر أوجهها العموم تعلق الحكم الشرعي بجميع أفعال العباد والفقيه  
يتفرع من رتبة الملك والسلطان وشروط تقليدها استبعاد أعلى الخلافة وهو معنى  
السلطان أو تعويضها وهو معنى الوزارة عندهم كما يأتي وفي نظره في الاحكام  
والاموال وسائر السياسات مطلقا أو مقيدا أو في موجبات العزل ان عرضت وغير ذلك  
من معاني الملك والسلطان وكذا في سائر الوظائف التي تحت الملك والسلطان من وزارة  
أوجباية أو ولاية لايتلافه من النظر في جميع ذلك كما قد ناه من انسحاب حكم  
الخلافة الشرعية في الملة الإسلامية على رتبة الملك والسلطان الآن كلامنا في وظائف  
الملك والسلطان ورتبته انما هو بمقتضى طبيعة العمران ووجود البشر لا بمقتضاها

من أحكام الشرع فليس من غرض كتابنا كما علمت فلا نحتاج الى تفصيل أحكامها الشرعية مع أنها مستوفاة في كتب الأحكام السلطانية مثل كتاب القاضي أبي الحسن المارودي وغيره من أعلام الفقهاء فإن أردت استنباط ما نعلمك به من المعانيات وانما نكلمنا في الوظائف الخلاقية وأفرادها التميز عنها وبين الوظائف السلطانية فقط لا يتحقق أحكامها الشرعية فليس من غرض كتابنا وانما استكمل في ذلك بما تقتضيه طبيعة العمران في الوجود الانساني والله الموفق

• (الوزارة) • وهي أم الخطط السلطانية والرتب الملوكة لأن اسمها يدل على مطلق الاعانة فإن الزيادة مأخوذة أمام من الموازنة وهي المعاينة أو من الوزر وهو النقل كأنه يجعل مع مفاعله أو زاره أو ناقه وهو راجع الى المعاونة المطلقة وقد كلفنا في أول الفصل أن أحوال السلطان وتصرفاته لاتعدو أربعة لانها أمانة تكون في أمر وحماية الكلفة وأسبابها من النظر في الجند والسلاح والحروب وسائر أمور الحماية والمعاينة وصاحب هذا هو الوزر بالمعارف في الدول القديمة بالشرق ولهذا العهد بالغرب وأما أن تكون في أمور محاطة لمن بعد عنه في المكان أو في الزمان وتنفيذ الأوامر فهو محبوب عنه وصاحب هذا هو الكاتب وأما أن تكون في أمور جارية للعال وقفاقه وضبط ذلك من جميع وجوهه أن يكون بجميعه وصاحب هذا هو صاحب المال والجباية وهو المسمى بالوزر بل هذا العهد بالشرق وأما أن يكون في مدافعة الناس ذوي الحاجات عنه أن يزدحوا عليه فيثقلوه عن فهمه وهذا راجع لصاحب الباب الذي يحجبه فلا تعدو أحواله هذه الأربعة بوجه وكل خطوة أو رتبة من رتب الملك والسلطان فالها يرجع الآن الارتفاع منها ما كانت الاعانة فيه عانة فهو تحت يد السلاطين من ذلك المذهب اذ هو يقتضي مباشرة السلطان دائما ومشاركته في كل شيء من أحوال الملك وأما ما كان خاصا ببعض الناس أو ببعض الجهات فيكون دون الرتبة الأخرى كضادة نقرأ ولاية جباية خاصة أو النظر في أمر خاص كحسبة الطعام أو النظر في السكة فإن هذه كلها نظري أحوال خاصة فيكون صاحبها تعالاهل المنظر العلم وتكون رتبة مرتفعة لا وثلك وما زال الأمر في الدول قبل الإسلام هكذا حتى جاء الإسلام وصار الأمر خلافة فذهبت تلك الخطط كلها بهتلب رسم الملك الى ما هو طبيعي من المعاونة بالرأى والمقاومة فيه فلم يمكن زواله اذ هو أمر لا يمتنع فكان صلى الله عليه وسلم يشاور أصحابه ويخاضهم في مهماته العاتية والخاصة ويختص مع ذلك بأبجسكر بخصوصيات أخرى حتى كان العرب الذين عرفوا الدول وأحوالها في كسرى وقبصر والنجاشي يسمون أبابكر وزيه ولم يكن لفظ الوزر يعرف بين

المسان لذهاب رتبة الملك بسداجة الاسلام وكذا امرهم في بكر وعلى وعثمان مع عمر  
 واتحاشل الجباية والاشفاق والحسبان فلم يكن عندهم رتبة لان المقوم كانوا عارفاً بأمير  
 لا يحسنون الكتاب والحساب فكانوا يستعملون في الحساب أهل الكتاب أو أفراداً  
 من موالى المعجم ممن يجيده وكان قلائدهم وأما أشرافهم فلم يكونوا يجيدونه لان الآتية  
 كانت صفة لهم انهم اقل من اهلها وكذا حال الخطاطين وتنفيذ الاداء ولم تكن عندهم رتبة  
 خاصة للآتية التي كانت فيهم والامانة العامة في كتمان القول وتأديته ولم يخرج  
 السباسة الى اختياره لان الخلافة انما هي دين ليست من السباسة المملوكية في شيء  
 وايضا فلم تكن الكتابة صناعة فيستجد الخليفة أحسنها لان الكل كانوا يعبرون عن  
 مقاصدهم بأبلغ العبارات ولم يرق الانطباع فكان الخليفة يستعين في كتابته معي عن له  
 من يحسنه \* وأما مدانعة ذوي الحاجات عن ابوابهم فكان محظوراً بالشرعية فلم  
 يفعلوه بل انقلب الخلافة الى الملك وجاءت رسوم السلطان وألقابه كل أول شيء يدي  
 به في الدولة شأن الباب وسد دون الجمهور بما كانوا يتحشون على أنفسهم من اعتيال  
 انوارج وغيرهم كما وقع بعمر وعلى ومعاوية وعمر بن العاص وغيرهم مع ما في قصصهم من  
 ازدحام الناس عليهم وشغلهم بهم عن المهمات فاتخذوا من يقولهم بذلك رجوعه الحاجب  
 وقد جاء أن عبد الماشي الى حاجبه قال له قد وليتك بحاجة ناني الاعن ثلاثة المؤذن  
 للصلاة فإنه داعي الله وصاحب البرية فأمر ما جاء به وصاحب الطعام لئلا يفسد ثم  
 استعمل الملك بعد ذلك فظهر المشاور والمعين في أمور القبايل والعصائب واستتلافهم  
 وأطلق عليه اسم الوزير يرقى أمر الحسبان في الموالى والفتن واتخذ للصحلات كاتب  
 مخصوص حوالة على أسرار السلطان أن تشهر فتفسد سياسته مع قومه ولم يكن يشبهه  
 الوزير لانه انما احتيج له من حيث الخط والكتاب لانه حيث اللسان الذي هو الكلام  
 اذ اللسان لذلك العهد على حاله لم يفسد فكانت الوزارة لذلك أرفع رتبهم يومئذ هذا  
 في سائر دولته في أئمة فكان النظر للوزير عارفاً في أحوال التدبير والمقاومات وسائر  
 أمور الحفائظ والمطالبات وما يتبعها من النظر في ديوان الخندق وقرض العطاء لاهله  
 وغير ذلك فليجاءت دولة بني العباس واستعمل الملك وعظمت مراتبه وارتفعت عظم  
 شأن الوزير وصارت اليه النيابة في انشاء الحل والعقد وتعنت مرتبة في الدولة وعنت  
 لها الرجوع وخضعت لها الرقاب وجعل لها النظر في ديوان الحسبان لما تنبأ له اليه  
 خطته من قسم الاعطيات في الجند فأحتاج الى النظر في جمعه وتفرقه وأضعف اليه  
 النظر فيه ثم جعل له النظر في القلم والترميل لصون أسرار السلطان ولحفظ البلاغة لما  
 كان اللسان قد فسد عند الجمهور وجعل الخاتم للصحلات السلطان ليصونها من النباغ

والشياح ودفع اليه فصار اسم الوزير جامعا لخلق السيف والقلم وسائر مداني الوزارة  
والجملانية حتى لقد دعى جعفر بن يحيى بالسلطان أيام الرشيد إشارة الى عموم نظره  
وبما به بالدولة ولم يخرج عنه من الرتب السلطانية كلها الا الحجابة التي هي القيام على  
الباب فلم تكن للاحتكاك به عن مثل ذلك ثم جاء في الدولة العباسية شأن الاستبداد على  
السلطان وتعاويرة الاستبداد الوزارة مرة والسلطان أخرى وصار الوزير اذا استبد  
محتاجا الى امتتابة الخليفة اياه لذلك تصح الاحكام الشرعية وتجي على حالها كما تقدم  
فانقسمت الوزارة حينئذ الى وزارة تنفيذ وهي حال ما يكون السلطان قائما على نفسه  
والى وزارة تفويض وهي حال ما يكون الوزير مستبدا عليه ثم استقر الاستبداد وصار  
الامر لولاة العجم وتعطل رسم الخلافة ولم يكن لأولئك المنتقلين أن يتصلوا بالقباب  
الخلافة واستنكفوا من مشاركة الوزراء في القاب لانهم خول لهم قسموا بالامانة  
والسلطان وكان المستبد على الدولة يسمى أمير الامراء وبالسلطان الى ما يجلس به  
الخليفة من القباب كما تراه في القبابهم وتركوا اسم الوزارة الى من يتولاهم الخليفة في  
خاصته ولم يزل هذا الشأن عندهم الى آخر دولتهم وفسد اللسان خلال ذلك كله وصارت  
صناعة يتخللها بعض الناس فامتنت وترفع الوزراء عنها لذلك ولاتهم بهم وليس تلك  
البلاغة هي المقصودة من لسانهم فقصر لها من سائر الطبقات واختصت وصارت  
خادمة للوزير واختص اسم الأمير بصاحب الحروب والجند وما يرجع اليها يده مع  
ذلك عالمة على أهل الرتب وأمره نافذ في الكل امتناية أو استبداد واستقر الامر على  
هذا ثم جاءت دولة الترك آخر ما صرنا وأأن الوزارة قد استبدت وترفع أولئك عنها  
ودفعها لمن يقوم بها الخليفة المحجور ونظروا مع ذلك متعقب بنظر الأمير فصار من رتبة  
ناقصة فاستنكف أهل هذه الرتبة العالية في الدولة عن اسم الوزارة وصار  
صاحب الاحكام والنظر في الجند يسمى عندهم بالنائب لهذا العهد وبقي اسم  
الحاجب في مدلوله واختص اسم الوزير عندهم بالنظر في الحجابة \* وأما دولة بني  
أمية بالاندلس فأنقوا اسم الوزير في مدلوله أول الدولة ثم قسموا خطه أصنافا  
وأقرروا الكل منصف وزير فجعلوا لحسان المال وزيرا ولترسيم وزير والنظر في  
حوارج المظنن وزير والنظر في أحوال أهل النغور وزير وجعل لهم بيت مجلسون  
فيه على فرس منضدة لهم ويتخذون أمر السلطان هناك كل فيما جعل له وأقر للتردد  
بينهم وبين الخليفة واحدمتهم ارتفع عنهم مباشرة السلطان في كل وقت فازتفع  
مجلسه عن مجالسهم ونصوه باسم الحاجب ولم يزل الشأن هذا الى آخر دولتهم فارتفعت  
خطة الحاجب ومرتبة على ما رالرتب حتى صار ملوك الطوائف يتناولون لقبها

فأكثرهم يومئذ يسمى الحجاب كما ذكره ثم جاءت دولة السبعة بقرية وأخيراً  
وكانت ثلثين عاماً في البداوة فاعتقلوا أمر هذه الخطة وأولت فيهم أسماهم  
أدركت دوائهم الحاضرة فصاروا إلى تقليد الدولتين قبلهم في وضع أسماهم كما ذكره في  
أخبار دولهم \* ولما جاءت دولة الموحدين من بعد ذلك اعتقلت الأمر أولاً ليدأوا  
ثم صارت إلى اتصال الأسماء واللقاب وكان اسم الوزير في مدلوله ثم اتبعوا دولة  
الأمويين ولقد وهبوا في مذاهب السلطان واختاروا اسم الوزيرين بحسب السلطان  
في مجازهم ويعتقد بالونود والداخلين على السلطان عند الحدود في تعيّنهم وخطبهم  
والآداب التي تليق في الكون بين يديه ورفعوا خطة الحجابة عنه مثلما وأول برل الشان  
ذلك إلى هذا العهد وأما في دولة الزنك المشرق فيسبون هذا الذي يقف بالناس على  
حدود الآداب في اللقاء والصفة في مجالس السلطان والتقدم بالوفود بين يديه  
الديدار ويضيفون إليه استيلاء كاتب السر وأصحاب البريد المتصرفين في مساجات  
السلطان بالقاصمة والحاضرة وحلهم على ذلك لهذا العهد واقعه في الأمور بل يشاء  
\* (الحجابة) قد قدمنا أن هذا اللقب كان مخصوصاً في الدولة الأموية والعباسية بمن  
يحجب السلطان عن العائنة ويقطع بابه دونهم أو يفحص لهم على قدره في مواقفه  
وكانت هذه منزلة يومئذ عن الخطط مرسومة إما إذا الوزير متصرف في عابره وهكذا  
كانت سائر أيام بني العباس وإلى هذا العهد ففي مصر مرسومة لصاحب الخطة العباس  
المسمى بالنائب \* وأما في الدولة الأموية بالاندلس فكانت الحجابة لمن يحجب السلطان  
عن الخاصة والعائنة ويكون واسطة بينه وبين الوزراء فمن دونهم فكانت في دولتهم  
رفيعة غاية كما تراعى في أخبارهم كابن حديد وغيره من حجابهم ثم لما جاء الاستيلاء على  
الدولة اختص المستبد باسم الحجابة لشرقا فكان المنصور بن أبي عامر وأماؤه كذلك  
ولما بدوا في مظاهر الملك وأطوارهم من بعدهم من أول الخوارج فلم يتركوا لقبها  
وكانوا يعدونها شرفاً لهم وكان أعظمهم ملكاً بعد اتصال اللقب الملك وأما ما لا بد له  
من ذكر الحجاب وذو الوزيرين يعنون به السيف والقلم ويدلون بالحجابة على حجابة  
السلطان عن العائنة والخاصة وذو الوزيرين على جمعه لخطي السيف والقلم لم يكن  
في دول العرب وأما بقية ذكر لهذا الاسم للبداوة التي كانت فيهم وربما وجد في دولة  
العبيديين بمصر عند استعظامها وحضارتها إلا أنه قليل \* ولما جاءت دولة الموحدين  
لم تستمكن فيها الحضارة الداعية إلى اتصال اللقب وتغيير الخطط وتعيينها بالأسماء  
الآخر فلم يكن عندهم من الرتب إلا الوزير فكانوا أولاً يختصون بهذا الاسم الكتاب  
المتصرف في المشاركة للسلطان في خاص أمره كأمين عطية وعبد السلام الكوي وكان له



فمع ذلك النظر في الحساب والاشغال المائية ثم صار بعد ذلك اسم الوزير لاهل نسب  
الدولة من الموحدين كابن جامع وغيره ولم يكن اسم الحاجب معروفا في دولتهم فومئذ  
(وأما بنو أبي حفص باقر بقية) فكانت الرئاسة في دولتهم أولا والتقديم لوزير الرأى  
والمشورة وكان يخص باسم شيخ الموحدين وكان له النظر في الولايات والعزل وقود  
العساكر والحروب واختص الحسان والديوان برتبة أخرى ويسمى متوليا لصاحب  
الاشغال يتفرغ فيها للنظر المطلق في الدخل والمخرج ويحاسب ويستخلص الاموال  
ويعاقب على التقرب وكن من شرطه أن يكون من الموحدين واختص عندهم لقلم  
أيضا بمن يجيد الترسيل ويؤمن على الاسرار لان الكتابة لم تكن من متعلقات القوم ولا  
الترسيل بلسانهم فلم يشترط فيه القسب واحتاج السلطان لاتساع ملكه وكثرة المرتزقين  
بداره الى قهرمان خاص بداره في أحواله يجرى بها على قدرها وترتيبها من رزق وعطاء  
وكسوة ونفقة في المطابخ والاصطبلات وغيرهما وحصر الذخيرة وتنفيذ ما يحتاج اليه  
في ذلك على أهل الجباية فخصوه باسم الحاجب وربما أضافوا اليه كناية العلامة على  
السيارات اذا اتفق أنه يحسن صناعة الكتابة وربما جعلوه لقبه واسم الامر على  
ذلك وجب السلطان نفسه عن الناس فصار هذا الحاجب واسطة بين الناس وبين  
أهل الرتب كلهم ثم جع له آخر الدلالة السيف والحرب ثم الرأى والمشورة فصارت  
الخطبة أرفع الرتب وأوعىها الخطط ثم جاء الاستبداد والجزءة من بعد السلطان الثاني  
عشر منهم ثم استبد بعد ذلك حفيده السلطان أبو العباس على نفسه وأذهب أثابا عجز  
والاستبداد باذهاب خطة الجباية التي كانت سببا اليه وبأشراؤه كلها بنفسه من  
غير استعانة بأحد والامر على ذلك لهذا العهد

• (وأما دولة زناتة بالمغرب) • وأعظمها دولة بني مرين فلا تزال اسم الحاجب عندهم  
وأما رئاسة الحرب والعساكر فهي للوزير ورتبة القلم في الحسان والرسائل واجهة الى  
من يحسنها من أهلها وان اختص ببعض البيوت المصطنعين في دولتهم وقد شجع  
عندهم وقد تفرق وأما باب السلطان ويحبه عن العامة فهي رتبة عندهم يسمى  
صاحب بالزرار ومعناه المتقدم على الجنادة المتصرفين باب السلطان في تنفيذ أوامره  
وتصريف عقوباته وانزال سطواته وحفظ المعتقلين في حجونه والعرف عليهم في ذلك  
فالباب له وأخذ الناس بالوقوف عند الحدود في دارالعامته راجع اليه فكانوا وزارة  
صغرى

• (وأما دولة بني عبد الواد) • فلا تزال عندهم لشي من هذه الالقاب ولا تميز الخطط  
لبداوت دولتهم وقصورها وانما يخلصون باسم الحاجب في بعض الاحوال منفذ

الخاص بالسلطان في داره كما كان في دولة بني آبي حفص وقد يجتمعون له الحسبان والسجل كما كان فيما حلهم على ذلك تقليد الدولة بما كانوا في تبعها وفاقين بدعوتها منذ أول أمرهم

• (وأما أهل الأندلس لهذا العهد) • فالخصوص عندهم بالحسبان وتعيين حال السلطان وسائر الأمور المالية يسهونه بالوكيل وأما الوزير فكان الوزير الأئمة قديما جمع له الترسل والسلطان عندهم يضع خطه على السجلات كلها فليس هناك خطة العلامة كالغيرهم من الدول

• (وأما دولة الترك) • فاسم الحاجب عندهم موضوع لحاكم من أهل الشوك وهم الترك يتخذ الاحكام بين الناس في المدينة وهم متعددون وهذه الوظيفة عندهم تحت وظيفة النيابة التي لها الحكم في أهل الدولة وفي العاقبة على الإطلاق وللنائب التولية والعزل في بعض الوظائف على الاحسان ويقطع القليل من الأرزاق ويشتها وتتخذ أواخره كما تتخذ المراسم السلطانية وكان له النيابة المطلقة عن السلطان وللحجاب الحكم فقط في طبقات العلية والجند عند الترافع اليهم واجبار من أي الاضداد اليهم وطورهم تحت طور النيابة والوزير في دولة الترك هو صاحب جباية الأموال في الدولة على اختلاف أصنافها من خراج أو مكس أو جزية ثم في قصر يفها في الانتقادات السلطانية أو الجرايات المقدرة ولهم مع ذلك التولية والعزل في سائر الأعمال المباشرة لهذه الجباية والتفويض على اختلاف مراتبهم وتباين أصنافهم ومن عواندهم أن يكون هذا الوزير من صنف القبط القاطنين على ديوان الحسبان والجباية لاختصاصهم بذلك في مصر منذ عصور قديمة وقد يوليها السلطان بعض الاحيان لأهل الشوك من رجال التركة أو أبناءهم على حسب الداعية لذلك والله مدبر الأمور ومصر فيهم بحكمته لا اله الا هو رب الأولين والآخرين

### ( ديوان الاعمال والجبايات )

اعلم أن هذه الوظيفة من الوظائف الضرورية للملك وهي القيام على أعمال الجبايات وحفظ حقوق الدولة في الدخل والخرج وإحصاء العساكر بأسمائهم وتقدير أرزاقهم وصرف أعطياتهم في أباتهم والرجوع في ذلك الى القوانين التي يرتبها حكومة تلك الاعمال وقهارة الدولة وهي كلها مسطورة في كتاب شاهدتها في ذلك في الدخل والخارج مبني على جزء كبير من الحساب لا يقوم به الا المهرة من أهل تلك الاعمال ويسمى ذلك الكتاب بالديوان وكذلك مكان جلوس العمال المباشرين لها \* ويقال ان

أصل هذه السمة أن كسرى نظر روما إلى كتاب ديوانه وهم يحسبون على أنفسهم  
 كأنهم يحادون فقال ديوانه أي مجازين بلغة الفرس فسمى موضعهم بذلك وحسنت  
 اليها لكثرة الاستعمال تخفيفا فقبل ديوان ثم نقل هذا الاسم إلى كتاب هذه الأعمال  
 المتضمن للقوانين والحسابات وقيل أنه اسم للشياطين بالقارسية سمي الكتاب بذلك  
 لسهولة تفوقهم في فهم الأمور وقوفهم على الجلي منها والخفي وبجهم لما شذو وتفرق  
 ثم نقل إلى مكان جلوسهم لتلك الأعمال وعلى هذا فبتنا أول اسم الديوان كتاب الرسائل  
 ويمكن جلوسهم بباب السلطان على ما يأتي بعد وقد تفرده هذه الوظيفة بطائر واحد يتفر  
 في سائر هذه الأعمال وقد يفر كل صنف منها بطائر كما يفر في بعض الدول النظر في  
 العساكر واقطاعاتهم وحسابان أعطيتهم أو غير ذلك على حسب مصطلح الدولة  
 وما قرره أولوها \* وأعلم أن هذه الوظيفة انما تحدث في الدول عند تمكن القلب  
 والاستيلاء والنظر في أعطاف الملك وفنون التهديد وأقول من وضع الديوان في الدولة  
 الإسلامية عمر بن عبد الله بن أبي سبب قال لسبب ما أتى به أبو هريرة رضي الله عنه من  
 البحرين فاستكثروه وتبعوا في نفسه فسماوا إلى إحصاء الأموال وضبط العطاء والحقوق  
 فأشار خالد بن الوليد بالديوان وقال رأيت ملوك الشام يدقون فقبل منه عمر وقيل بل  
 أشار عليه به الهرمزان لما رأى بيت البعوث بغير ديوان فقبل له ومن يعلم فبينة من  
 يغيب منهم فأتى من تخلف أخل بمكانه وانما يضبط ذلك الكتاب فأتى لهم ديوانا وسأل  
 عمر عن اسم الديوان فغير له ولما اجتمع ذلك أمر عقيل بن أبي طالب ومخزوم بن نوفل  
 وجبير بن مطعم وكانوا من كتاب قريش فكتبوا ديوان العساكر الإسلامية على ترتيب  
 الأنساب مبتدأ من قرابة رسول الله صلى الله عليه وسلم وما بعدها الأقرب فالأقرب  
 هكذا كان اسم ديوان الجيش وروى الزهري عن سعيد بن المسيب أن ذلك كان في  
 المحرم سنة عشرين \* وأما ديوان الخراج والجنبايات فبني بعد الإسلام على ما كان  
 عليه من قبل ديوان العراق بالقارسية وديوان الشام بالرومية وكتاب الدواوين من  
 أهل العهد من القرين ولما جاء عبد الملك بن مروان واستحال الأمر ملكا وانتقل  
 القوم من غضاضة البدوة إلى رونق الحضارة ومن سدا جة الأمانة إلى حذف الكتابة  
 وتظهر في العرب ومواليهم مهرة في الصكوك والحيان فأمر عبد الملك سليمان بن  
 سعد وإلى الأردن لعده أن ينقل ديوان الشام إلى العريضة فأكله لستعنى يوم  
 ابتداءه ووقف عليه سرحون كاتب عبد الملك فقال لكتاب الروم اطلبوا العرش في غير  
 هذه الصناعة فقد قطعها الله عنكم \* وأما ديوان العراق فأمر الخليل كاتبه صالح  
 ابن عبد الرحمن وكان يكتب بالعربية والقارسية ولحق ذلك عن زاذان فروخ كاتب

الحاج قبله ولما قتل زاذان في حرب عبد الرحمن بن الأشعث استخلف الحاج صالحا  
 هذا مكانه وأمره أن يتقل الديوان من القادرية الى العربية ففعل ورغم ذلك كآب  
 الفرس وكان عبد الحميد بن يحيى يقول لله در صالح ما أعظم منه على الكتاب ثم جعلت  
 هذه الوظيفة في دولة بني العباس مضافة الى من كان له النظرية كما كان شأن بني برمك  
 وبني سهل بن نوحث وغيرهم من وزراء الدولة \* وأما ما يتعلق بهذه الوظيفة من  
 الاحكام الشرعية مما يختص بالجيش أو بيت المال في الدخل والخرج وغير النواحي  
 بالصلح والعنوة وفي تقليد هذه الوظيفة لمن يـ~~مكن~~ وشروط الناظر فيها والكتاب  
 وقوانين الحسابات فأمر راجع الى كتب الاحكام السلطانية وهي مسطورة هناك  
 وليست من غرض كتابنا وانما تسلم فيها من حيث طبيعة الملك الذي ضمن إصدار الكلام  
 فيه وهذه الوظيفة جزء عظيم من الملك بل هي ثالثة أركان له لأن الملك لا بد له من الجند  
 والمال والمخاطبة لمن غاب عنه فاحتاج صاحب الملك الى الاعوان في أمر السفى وأمر  
 القلم وأمر المال فيقرده صاحب الملك بجزء من رياسة الملك وكذلك كان الأمر في دولة  
 بني أمية بالاندلس والطوائف بعدهم \* وأما في دولة الموحدين فكان صاحبها انما  
 يكون من الموحدين يستقل بالنظر في استخراج الاموال وجعلها وضبطها وتعبق نظر  
 الولاة والعمال فيها ثم تقيدها على قدرها في مواقيتها وكان يعرف بصاحب الاشغال  
 وكان يعاينها في الجهات غير الموحدين ممن يحسنها \* ولما امتد بنو أبي حفص  
 بافريقية وكان شأن الجالية من الاندلس قد قدم عليهم أهل البيوتات وفيهم من كان  
 يستعمل ذلك في الاندلس مثل بني سعيد أصحاب القلعة جوار غرناطة المعروفين بنى  
 أبي الحسن فاستكفوا بهم في ذلك وجعلوا لهم النظر في الاشغال كما كان لهم بالاندلس  
 ودالوا فيها بينهم وبين الموحدين ثم استقل بها أهل الحسبان والكتاب وخرجت عن  
 الموحدين ثم لما استغلت أمر الحاجب ونفذ أمره في كل شأن من شؤون الدولة تعطل  
 هذا الرسم وصار صاحبه مرئيا للحاجب وأصبح من جملة الجباة وذهبت تلك الرياسة  
 التي كانت في الدولة \* وأما دولة بني مرين لهذا العهد فحسبان العطاء والخراج مجموع  
 لواحد وصاحب هذه الرتبة هو الذي يصحح الحسابات كلها ويرجع الى ديوانه ونظيره  
 معقب نظر السلطان أو الوزير وخطه معتبر في صحة الحسبان في الخراج والعطاء هذه  
 أصول الرتب وانحطت السلطانية وهي الرتب العالية التي هي عامة النظر ومباشرة  
 للسلطان \* وأما هذه الرتبة في دولة الترتل فتشوقة وصاحب ديوان العطاء يعرف بالتاظر  
 الجيش وصاحب المال بخصوص باسم الوزير وهو الناظر في ديوان الجباية العامة  
 للدولة وهو أعلى رتب التاظرين في الاموال لأن النظر في الاموال عندهم يتنوع

الى رتب كثيرة لانفساح دولتهم وعظمة سلطانهم واتساع الاموال والجاهات عن أن يستقل بضبطها الواحد من الرجال ولو بلغ في العصفافية مبالغه معينة للنظر العام منها هذا المخصوص باسم الوزير وهو مع ذلك وديف لمولى من موالى السلطان وأهل عصبية وأرباب السيوف في الدولة يرجع فطر الوزير الى نظره ويجهدهم في متابعته ويسعى عندهم استاذ الدولة وهو أحد الاحرار الكبار في الدولة من الجند وأرباب السيوف ويتبع هذه الخطة خطط عندهم أخرى كلها راجعة الى الاموال والحسبان مقصورة النظر على أمور خاصة مثل تأطر الخاص وهو المباشر لاموال السلطان الخاصة به من اقطاعه وأسهمانه من أموال الخراج وبلاد الجباية مما يمر من أموال المملين العلية وهو تحت يد الامير استاذ الداروان كان الوزير من الجند فلا يكون لاستاذ الدار فطر عليه ونظر الخاص تحت يد الخازن لاموال السلطان فمن مما يملكه المسمى خازن الدار الاختصاص وفيه تمام اعمال السلطان الخاص \* هذا بيان هذه الخطة بدولة الترتيب المشرق بعدما قدمناه من أمرها بالمغرب والله مصرف الأمور لارب غيره

### ❖ (ديوان الرسائل والكتابة) ❖

هذه الوظيفة غير ضرورية في الملك لاستغناء كثير من الدول عنها رأسا كما في الدول العريقة في البداوة التي لم يأخذها تذيب الحضارة ولا استحكام الصنائع وانما أكد الحاجة اليها في الدولة الاسلامية شأن اللسان العربي والبلاغة في العبارة عن المقاصد نصار الكتاب يؤدى كنه الحاجة بأبلغ من العبارة اللسانية في الاكثر وكان الكاتب الامير يكون من أهل نسبه ومن عظماء قبيله كما كان للثقلاء وأمره العصابة بالشام والعراق اعظم أمانيهم وخواص أسرارهم لما قصد اللسان وصار صناعة اختص بهن بحسنه وكانت عندهن العباس رقيقة وكان الكاتب يصدر السجلات مطلقه ويكتب في آخرها اسمه ويختتم عليها بخاتم السلطان وهو طابع منقوش فيه اسم السلطان وأشارته يفسس في طين أحر مذاب بالماء ويسمى طين الختم ويطبع به على طرفي السجل عند طيه والصاقه ثم صارت السجلات من بعدهم تصدر باسم السلطان ويضع الكاتب فيها علامته أولا أو آخر اعلى حسب الاختيار في محلها وفي لفظها ثم قد تزل هذه الخطة بارتفاع المكان عند السلطان لغير صاحبها من أهل المراتب في الدولة أو استبداد وزير عليه قصير علامة هذا الكتاب ملفاة بالحكم بعلامة الرئيس عليه يستدل بها فيكتب ضرورة علامته المعهودة والحكم بعلامة ذلك الرئيس كما وقع أخرا الدولة

المخصصة لما ارتفع شأن الخبايا وصار أمرها إلى التقويض ثم الاستبداد صار حكم  
 العلامة التي للكتاب ملحق وصورتها ثابتة اتباعا لمسلم من أمرها فصار الحاجب  
 يرسم للكتاب امضاء كتابه ذلك بخط يصنعه ويغيره من صيغ الانفاذ ما شاء فأنظر  
 الكتاب به ويضع العلامة المعتادة وقد يخص السلطان بنفسه موضع ذلك إذا كان  
 مستقبلا بأمره فأنظر على نفسه ف يرسم الأمر للكتاب ليضع علامته \* ومن خطط  
 الكتابة التوقيع وهو أن يجلس الكاتب بين يدي السلطان في مجالس حكمه وفصله  
 و يوقع على القصص المرفوعة إليه أحكامها والفصل فيها امتقاة من السلطان بأو جز  
 لنظره وأبلاغه فاما أن تصدر كذلك واما أن يصدر الكتاب على مثالها في سجل يكون بيد  
 صاحب القصة ويحتاج الموقع إلى عارضة من البلاغة يستقيم ما وقع به وقد كان  
 جعفر بن يحيى يوقع في القصص بين يدي الرشيد ويرعى بالقصة إلى صاحبها فكانت  
 توقيعها تنافس البلاغة في تحصيلها للوقوف فيها على أساليب البلاغة وفنونها حتى  
 قيل انها كانت تباع كل قصة منها دينار وهكذا كان شأن الدول \* و اعلم أن صاحب  
 هذه الخطة لابد أن يقرر من أرفع طبقات الناس وأهل المروءة والحشمة منهم وزيادة  
 العلم وعارضة البلاغة فانه معرض للنظر في أصول العلم لما يعرض في مجالس الملوك  
 ومقاصد أحكامهم من أمثال ذلك مع ما تدعو اليه عشرة الملوك من القيام على  
 الآداب والخلق بالفضائل مع ما يضطر اليه في الترسل وتطبيق مقاصد الكلام من  
 البلاغة وأسرارها وقد تكون الرتبة في بعض الدول مستندة إلى أرباب السوف لما  
 يقتضيه طبع الدولة من البعد عن معاناة العالوم لأجل سداجة العصبية فيختص  
 السلطان أهل عصبته بخط دولته وسائر رتبة فيقلد المال والسيف والكتابة منهم  
 فاما رتبة السيف فتستغنى عن معاناة العلم واما المال والكتابة فيضطر إلى ذلك للبلاغة  
 في هذه والحسبان في الأخرى فيختارون لها من هذه الطبقة ما دعت إليه الضرورة  
 ويقلدونه إلا أنه لا يكون يد آخر من أهل العصبية غالبه على يده ويكون نظره متصرفا  
 عن نظره كما هو في دولة الترك لهذا العهد بالمشرق فان الكتابة عندهم وان كانت لصاحب  
 الانشاء إلا أنه تحت يد أمير من أهل عصبته السلطان يعرف بالوديدار وتعويل  
 السلطان ووثوقه واستنافته في غالب أحواله إليه وتعويله على الأخرى في أحوال  
 البلاغة وتطبيق المقاصد وكتمان الاسرار وغير ذلك من فوائدها \* واما الشروط  
 المعتمدة في صاحب هذه الرتبة التي يلاحظها السلطان في اختياره واتقائه من أصناف  
 الناس فهي كثيرة وأحسن من استوعبها عبد الحميد الكاتب في رسالته إلى الكتاب  
 وهي أما بعد حفظكم ألقاها أهل صناعة الكتابة وحاطكم ووفقكم وأرشدكم فان

الله عز وجل جعل الناس بعد الانبياء والمرسلين صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين  
 ومن بعد الملوك المكرمين أصنافاً وان كانوا في الحقيقة سواء وصرفهم في صنوف  
 الصناعات وضروب المحاولات الى أسباب معاشهم وأبواب أرزاقهم فجعلكم  
 معشر الكتاب في أشرف الجهات أهل الادب والمروءات والعلم والزناة بكم تنظم  
 للخلافة محاسنها وتستقيم أمورها وينصحاكم يصلح الله لخلق سلطانهم وتعمر بلدانهم  
 لا يستغنى الملك عنكم ولا يوجد كاف الامنكم فوقكم من الملوك موقع أجمعهم التي  
 بها يجمعون وأبصارهم التي بها يصرون وألسنتهم التي بها ينطقون وأيديهم التي بها  
 يبطشون فأنتم عكم الله بما خصكم من فضل صناعتكم ولا تزع عنكم ما أنصفكم من  
 النعمة عليكم وليس أحد من أهل الصناعات كلها أحوج الى اجتماع خلال الخبير  
 المحمود ونخال الفضل المذكور المعدودة منكم أيها الكتاب إذا كنتم على ما يأتي  
 في هذا الكتاب من صفاتكم فإن الكتاب يحتاج من نفسه ويحتاج منه صاحبه الذي  
 ينقضي في مهمات أموره أن يكون حليماً في موضع الحلم فهما في موضع الحكم مقدما  
 في موضع الاقدام متجسماً في موضع الاجسام مؤثراً للعقاب والعدل والانصاف  
 كتموم الاسرار وفيما عند الشدائد ما يبعث في من التوازل يضع الامر ومواضعها  
 والطوارق في أماكنها قد تنظر في كل قرن من فنون العلم فأحكمه وان لم يحكمه أخذ  
 منه بمقدار ما يكتفي به يعرف بغريزة عقله وحسن أدبه وفضل تجربته ما يرد عليه قبل  
 وروده وعاقبه ما يصد عنه قبل صدوره فيعدل لكل أمر عذته وعناده ويهي لكل وجه  
 هيئته وعادته فتناقصوا يا معشر الكتاب في صنوف الآداب وتفقهوا في الدين  
 وأبدوا بعلم كتاب الله عز وجل والقراءات ثم العربية فانها تناف ألسنتكم ثم أجيدوا  
 الخط فانه حلية كتبكم وارووا الاشعار واعرفوا غريبها ومعانيها وأيام العرب  
 والعجم وأحاديثها وسرورها فان ذلك معين لكم على ما تسموا اليه همكم ولا تنصيعوا  
 النظر في الحساب فانه قوام كتاب الخراج وارغبوا بأنفسكم عن المطامع منها ودنياها  
 وسفاسف الامور ومخاقرها فانها مذل للرقاب مفسدة للكتاب ونزهة واصنافكم عن  
 الدناءة وآربوا بأنفسكم عن السعاية والنجمة وما فيه أهل الجهالات وإياكم والكبر  
 والسفك والغفلة فانها عداوة محتملة من غير احنة وتحبوا في الله عز وجل في  
 صناعتكم وتواصوا عليها الذي هو أليق لاهل الفضل والعدل والتبلى من سلفكم  
 وان بنا الزمان برجل منكم فاعطفوا عليه وواسوه حتى يرجع اليه حاله ويثوب اليه  
 أجره وان أقعد أحد انكم الكبر عن مكسبه ولقاء اخوانه فزوروه وعظموه  
 وشاوروه واستظهروا بفضل تجربته وقديم معرفته وليكن الرجل منكم على من

اصطنعه واستظهر به ليوم حاجته اليه أحوط منه على ولده وأخيه فان عرضت في  
 الشغل محدة فلا يصرفها الا الى صاحبه وان عرضت مذمة فليحملها هو من دونه  
 وليحذر السقطه والزلة والخلل عند تغير الحال فان اللعب اليكم معشر الكتاب  
 أسرع منه الى القراء وهو لكم أفسد من عملها فقد علمت أن الرجل منكم اذا صحبه من  
 يميل له من نفسه ما يجب له عليه من حقه فواجب عليه أن يعتقده من وقائه وشكره  
 واحتماله وخيره ونصيخته وكتمان سره وتدبير أمره ما هو جزم لحقه ويصدق ذلك تبعاً  
 له عند الحاجة اليه والاضطرار الى ماله فاستشعروا ذلك وفقكم الله من أنفسكم  
 في حالة الرخاء والشدّة والجحمان والمواساة والاحسان والسرّاء والضراء فنعمت  
 الشيعة هذه من سببها من أهل هذه الصناعة الشريفة واذا ولي الرجل منكم أو صير  
 اليه من أمر خلق الله وعباله أمر فليراقب الله عز وجل ولا يوترط عنه ولكن على  
 الضعيف رفقاً والمطلوم منصفاً فان الخلق عيال الله وأحبه اليه أرفقهم بعباله ثم ليكن  
 بالعدل حاكماً ولا اشراف مكرماً ولقي موفراً وللبلاء عاصراً وللمعونة تلقاً وعن  
 أذا هم متخلفاً وليكن في مجلسه متواضعاً حليماً وفي سجلات خواجه واستقضا محقوقه  
 رفقاً واذا صحب أحدكم رجلاً فليختبر خلّاقه فاذا عرف حسنها وقيسها أعانته على  
 ما يوافقهم الحسن واحتمال على صرفه عما يهملهم من القبح بأطف حيلة وأجل  
 وسيلة وقد علمت أن سائر البهيمة اذا كان بصيرا يسايرها النفس معرفة أخلاقها  
 فان كانت رموحاً لم يسبها اذا ركها وان كانت شجوراً اتقاها من بين يديها وان خاف  
 منها شر ودانوا فاما من ناحية رأسها وان كانت حروناً قيرق هو اهائي طرقها فان  
 استقرت عطفها يسير افساسه قيادها وفي هذا الوصف من السياسة دلائل لمن  
 ساس الناس وعاملهم وجربهم وداخلهم والكتاب لفضل أدبه وشريف  
 صنعه ولطيف حيلته ومعاملته لمن يحاوله من الناس وينظره ويضهم عنه  
 أربخاف سطوة أولى بالرفق لصاحبه وسداراته وتقويم أوده من سائر  
 البهيمة التي لا تخير جواباً ولا تعرف صواباً ولا تفهم خطايا الا بقدر ما يصيرها اليه  
 صاحبها الرابك عليها الا فارفقوا راسكم الله في النظر واعملوا ما أمكنكم فيه من  
 الروية والفكر تأمنوا باذن الله عن صحبته التوبة والاستئصال والنفوة ويصبر منكم  
 الى الموافقة وتصبروا منه الى المواخاة والشفقة ان شاء الله ولا يجاوز الرجل منكم في  
 هيئة مجلسه وملبسه ومركبه ومطعمه ومشربه ونسائه وخدمه وغير ذلك من فنون  
 أمره قدر حقه فانكم مع ما فضلكم الله به من شرف صنعتكم خدمة لا تتحلون في  
 خدمتكم على التقصير وحفظة لائحة على منكم أفعال التضييع والتبذير واستعينوا



على غشافكم بالقصد كل ما ذكره لكم وقصصته عليكم واحذروا متاع السرف  
وسوء عاقبة الترف فانهم ما يقبضان الفقر ويذلان الرقاب ويغضبان أهلهم ولا سيما  
الكتاب وأرباب الآداب وللأمور أسبابا وبعضها دليل على بعض فاستدلووا على  
مؤتلف أعمالكم عاصيت الله تعجزكم ثم اسلكوا من مسالك التدبير وأعضا محجة  
وأصدقا محجة وأجدها عاقبة واعلموا أن للتدبيراً فمتلقة وهو الوصف الشاغل  
لصاحبه عن انفاذ علمه ورويته فليقصد الرجل منكم في مجلسه قصد الكافي من منطقته  
وليخرج في أسدائه وجوابه وليأخذ بجميع حجه فان ذلك مصلحة لفعله ويندفعه  
للاشغال عن أكتاره وليضرب الى الله في حلة توفيقه وامداده بقسديته محفظة وقوعه  
في الخطأ المضرب عنه وعظه وآدابه فانه ان ظن منكم ظناً أو قال قائل ان الذي يرزق  
جمل صنعه وقوته حركته انما هو فضل جلته وحسن تدبيره فقد تعرض بحسن ظنه  
أو مقالته الى أن يكلمه الله عز وجل الى نفسه فيصير منها الى غير كاف وذلك على من تأتله  
غير خاف ولا يقول أحسنكم انه أبصر بالأمور وأجل لعب التدبير من مراقبه في  
صناعته ومصاحبه في خدمته فان عقل الرجلين عند ذوي الالباب من ربي بالحب  
وراحظهم ورأى أن أصحابه أعقل منه وأجل في طريقته وعلى كل واحد من القرينين  
أن يعرف فضل نعم الله جل ثناؤه من غير اعترا برأيه ولا تركية لنفسه ولا يكثر على  
أخيه أو تدبيره ومصاحبه وعشيرته وجداً لله واجب على الجميع وذلك بالتواضع لعظمته  
والتذلل لعزته والتحدث بنعمته (وأنا أقول) في كتابي هذا ما سبق به المثل من تآلفه  
النصيحة يلزمه العمل وهو جوهر هذا الكتاب وغزة كلامه بعد الذي فيه من ذكر  
الله عز وجل فلذلك جعلته آخره ونعمته ولا نالقهوا يا كم يا معشر الطلبة والكتبة بما  
يتولى به من سبق علمه باسعاده وارشاده فان ذلك اليه ويده والسلام عليكم ورحمة  
الله وبركاته اهـ (الشرطة) هـ ويسمى صاحب هذا العهد بأمرية الحاكم وفي  
دولة أهل الاندلس صاحب المدينة وفي دولة الترك الوالي وهي وظيفة من رتبة صاحب  
السخف في الدولة وسكنه نافذ في صاحبها في بعض الأحيان وكان أصل وضعها في  
الدولة العباسية لقيم أحكام الجرائم في حال استبدادها أو لآلهم الحدود بعد استيفائها  
فان انهم التي تعرض في الجرائم لا تنظر للشرع الا في احتياج حدودها والسياسة النظر  
في استقامت جبايتها لقرار يكرهه عليه الحاكم اذا احتفت به القرائن لما توجه  
المصلحة العامة في ذلك فكان الذي يقوم بهذا الاستبداد واستيفاء الحدود بعد ذلك اذا  
تمزعه القاضي يسمى صاحب الشرطة وربما جعلوا اليه النظر في الحدود والامام  
بالطلاق وأقردها من نظر القاضي ونزهوا هذه المرتبة وقلدوها كبار القواد وعلما

الخاصة من مواليتهم ولم تكن عاتة التنفد في طبقات الناس انما كان حكمهم على  
الدهماء وأهل الريب والضرب على أيدي الرعاء والقبضة ثم عظمت بناهتها في دولة  
بني أمية بالاندلس وتوعدت الى شرطة كبرى وشرطة صغرى وجعل حكم الكبرى  
على الخاصة والدهماء وجعل له الحكم على أهل المراتب السلطانية والضرب على  
أيديهم في الظلمات وعلى أيدي أئامهم ومن اليهم من أهل الجاه وجعل صاحب  
الصغرى مخصوصا بالعاتة ونصب صاحب الكبرى كرسي "باب دار السلطان ورجال  
يموثون المقاعد بين يديه فلا يدحون عنها الا في نصرته وكانت ولايتها لا كبر من  
رجال الدولة حتى كانت ترشيحا للوزارة والجليلة \* وأما في دولة الموحدين بالقرطبة  
فكان لها حظ من التنويه وان لم يجعلوها عامة ولكن لا يليها الا رجال الموحدين  
وكبرائهم ولم يكن له التحكم على أهل المراتب السلطانية ثم قد اليوم منصبها  
وخرجت عن رجال الموحدين وصارت ولايتها لمن قام بها من المظنعين \* وأما  
في دولة بني مرين لهذا العهد بالشرق فولايتها في بيوت من مواليتهم وأهل اصطنامهم  
وفي دولة الترتل بالشرق في رجال الترتل أو أعقاب أهل الدولة قبلهم من العسكر  
يخبرونهم لها في النظر عما يظهر منهم من الصلاية والمضاه في الاحكام لقطع مواد  
الفساد وحسم أبواب الذخيرة وتخريب مواطن القسوق وتفريق مجامع معاقمة  
الحدود الشرعية والسياسية كما تقتضيه رعاية المصالح الصالحة في المدينة واتهم قلب  
الليل والنهار وهو العزيز الجبار واقفه تعالى أعلم

\* (قيادة الاساطيل) وهي من مراتب الدولة وخططها في حلك المغرب وافريقية  
ومرؤسة لمصاحب السيف وتحت حكمه في كثير من الاحوال ويسمى صاحبها في  
عرفهم المند بتقسيم اللام منقولاً من لغة الافرنجية فانه اسمها في اصطلاح لغتهم وانما  
اختصت هذه المرتبة بملك افريقية والمغرب لانهم جميعا على شفة البحر الزروني من  
جهة الجنوب وعلى عدوته الجنوبية بلاد البربر كلهم من نسبة الى الاسكندرية الى  
الشأم وعلى عدوته الشمالية بلاد الاندلس والافرنجية والصقالية والروم الى بلاد  
الشأم أيضا ويسمى البحر الرومي والبحر الشامي نسبة الى أهل عدوته والسكان  
بسياف هذا البحر وسواحلهم من عدوته بهائون من أحوالها لاتعانيه امة من أمم  
البحار فقد كانت الروم والافرنجية والقوط بالعدوة الشمالية من هذا البحر الرومي  
وكانت أكثرهم ومناجرهم في السفن فكانوا مهرة في ركوبه والحرب في أساطيله  
ولما أسف من أسف منهم الى ملك العدوة الجنوبية مثل الروم الى افريقية والقوط الى  
المغرب أبجازوا في الاساطيل وملكوها وتقلبوا على البربر بها واقتزعوا من أيديهم

أمرها وكان لهم بها المدن الحافلة مثل قرطاجنة وسيطة وسلاو ومروناق وشرشال  
وطنجة وكان صاحب قرطاجنة من قبلهم يحارب صاحب دومة ويعتد الاساطيل  
لحربه مشهورة بالعساكر والعدة فكانت هذه عادة لاهل هذا البحر الساكنين حفايه  
معروفة في القديم والحديث وللهلك المسلمون مصر كتب عمر بن الخطاب الى عمرو بن  
الاحاصي رضي الله عنهما أن صفى البحر فكتب اليه أن البحر خلق عظيم يركبه خلق  
ضعيف ودود على عود فأوعز حينئذ بشع المسلمين من ركوبه ولم يركبه أحد من العرب  
الأمين اقتات على عمر في ركوبه ونال من عقابه كإفعل بعرقه بن هرقة الأزدي سجد  
بجيلة لما أغزاه عمان فبلغه غزوه في البحر فأنكر عليه وعنفه أنه ركب البحر لغزوه ولم  
يزل الشأن ذلك حتى إذا كان لعهد معاوية أذن للمسلمين في ركوبه والجهاد على  
أعداءه والسبب في ذلك أن العرب كانوا البداءة بهم لم يكونوا أول الأمر مهرة في ثقافته  
وركوبه والزوم والافرنجة لما رستم أحواله ومروياهم في القلب على أعداءه مرونا  
عليه فأحكموا الدرية بثقافته فلما استقر الملك للعرب وشيخ سلطانهم وصارت أم النجم  
خولاهم وتحت أيديهم وتقرب كل ذي صنعة اليهم بمبلغ صناعته واستخدموا من  
النوايسة في حاجاتهم البحرية أمما وكررت ممارستهم للبحر وثقافته استحدثوا  
بصراعهم فشر هو الى الجهاد فيه وأنشؤا السفن فيه والشواني وشعروا بالاساطيل  
بالرجال والسلاح وأطوها العساكر والمقاتلة لمن وراء البحر من أم الكفر واختصوا  
بذلك من ممالكهم ونفوذهم ما كان أقرب لهذا البحر وعلى حافته مثل الشام وافريقية  
والمغرب والاندلس وأوعز الخليفة عبد الملك الى حسان بن النعمان عامل افريقية  
بالتخاذل والصناعة تونس لانشاء الاسلحة البحرية حرصا على مراسم الجهاد ومنها كان  
فتح صقلية أيام زيادة الله الأول ابن ابراهيم بن الاغلب على يد أسد بن القرات شيخ  
القبائل وفتح قوصرة أيضا في أيامه بهد أن كن معاوية بن حديج أعزى صقلية أيام معاوية  
ابن أبي سفيان فلم يفتح الله على يديه وفتحت على يد ابن الاغلب وقائده أسد بن القرات  
وكانت من بعد ذلك أساطيل افريقية والاندلس في دولة العبيدين والامويين  
تتعاقب الى بلادهم في سبيل الفتنه فقبضوا خلال السواحل بالانفاذ والتعريب  
وانتهى أسطول الاندلس أيام عبد الرحمن الناصر الى ما تقي مراكب وأنحواها  
وأسطول افريقية كذلك مثله وأقر يسانه وكان قائد الاساطيل بالاندلس ابن رباح  
ومروفا للبط والاقلاع بجاية والمريه وكانت أساطيلها مجتمعة من سائر الممالك من كل  
بلد تغذيه السفن أسطول يرجع نظره الى قائد من النوايسة يدبر أمر حربه وسلاحه  
ومقاتلته ورئيس يدبر أمر جريته بالبحر أو بالبحايف وأمر أرسائه في مرقته فإذا

اجتمعت الاساطيل لغزو محتل أو غرض ملطاف مهمم عسكرت بمرقبتها المعظم  
وشعها السلطان برجاله واتحاد دعاكره ومواليه وبجلهم لنظر أميروا سمن أعلى  
طبقات أهل مملكته يرجعون كلهم اليه ثم يسرحهم لوجههم ويشتتر باليهيم بالفتح  
والضيقه ولكن المسلمون لهذا الدولة الاسلاميه قد غلبوا على هذا البحر من جميع  
جوانبه وعظمت حوالتهم وسلطانهم فيه فلم يكن للام النصرانيه قبل أساطيلهم بشي  
من جوانبه وامتطوا ظهره للفتح سائر أيامهم فكانت لهم المقامات المعروفة من الفتح  
والغنائم وملكوا سائر الجزائر المنقطعة عن السواحل فيه مثل ميورقة ومنورقة  
ويابسة وسردانية وصقلية وقوصرة ومالطة واقرطش وقبرص وسائر بحالت الروم  
والافرنج وصكان أبو القاسم الشيبى وأبناءه يغزون أساطيلهم من المهدية بجزيرة  
جنوبه فتقلب بالنظر والفتنة واقنع مجاهد العاصرى صاحب دانية من مالوك  
الطوائف جزيرة سر دانية في أساطيله سنة خمس وأربعمائة وارتجفها النصارى لوقتها  
والمسلمون خلال ذلك كله قد تغلبوا على كثير من بقية هذا البحر وسارت أساطيلهم فيهم  
جارية وذاهبة والعساكر الاسلاميه تجيز البحر في الاساطيل من صقلية الى البر الكبير  
المقابل لها من العدو الشمالية فتوقع ملوك الافرنج وتفنن في محالكم كما وقع في  
أيام بنى الحسين مالوك صقلية القشاشين فيها بدعوة العبيدين وانحازت ام النصرانيه  
بأساطيلهم الى الجانب الشمالى الشرقى منهم من سواحل الافرنج والصقلية وجزائر  
الرومانية لابعادها وأساطيل المسلمين قد ضربت عليهم ضربا الاستدلى فريسته وقد  
ملأت الاكثمن بيسط هذا البحر عتة وعددا واختلفت في طرقه سلوحوهم باقلم تسبح  
للتصراية فيه الواح حتى اذا أدركت الدولة العبيدية والاموية القشل والوهن وطرقها  
الاعتلال معد النصارى أيديهم الى جزائر البحر الشرقية مثل صقلية واقرطش ومالطة  
فملكوها ثم ألحوا على سواحل الشام في تلك الفترة وملكوا طرابلس وصقلان وصور  
وعكا واستولوا على جميع الثغور بسواحل الشام وغلبوا على بيت المقدس وبنوا عليه  
كنيسة لظاهر دينهم وعبادتهم وغلبوا بنى خزرون على طرابلس ثم على قابس وصفاقس  
ووضعوا عليهم الجزية ثم ملكوا المهدية مقر مالوك العبيدين من يد أعقاب بلكين بن  
فريز وكانت لهم في المائة الخامسة الكثرة بهذا البحر وضعف شأن الاساطيل في دولة  
مصر والشام الى أن انقطع ولم يعتنوا بشي من أمره لهذا العهد بعد ان كان لهم  
به في الدولة العبيدية عناية تجاوزت الحد كما هو معروف في أخبارهم فبطل رسم هذه  
الوظيفة هناك وبقيت افريقية والمغرب فصار تحتها بها وكن الجانب الغربى  
من هذا البحر لهذا العهد موفورا لاساطيل ثابت القوة لم يهضمه عدو ولا كانت لهم به

كثر فكان قائد الاسطول بالعهدة مقره بنى مهيون وبوساميز مرة قادس ومن أيديهم  
 أخذ عاهيد المؤمنين بتسليمهم وطاعتهم وانتهى عهد أساطيلهم الى المائة من بلاد  
 العدوتين جميعا \* ولما استجملت هولة الموحدين في المائة السادسة وملكوا  
 العدوتين أقاموا خطه هذا الاسطول على أتم ما عرف وأعظم ما عهد وصكان قائد  
 أسطولهم أحمد الصقلي أحد من صدقائهم الوطنيين يجزيرة جربة من سريو كنش  
 أسره التجارى من سواحلها وروى عندهم واستخلصه صاحب مقلية واستكفاه ثم  
 حاك وولى ابنه فأخطه بعض الرغبات وخشى على نفسه وطلق تونس وزل على  
 السيد بها من بنى عبد المؤمن وأجاز الى مراكنش فتلقاء الخليفة يوسف بن عبد المؤمن  
 بالبرية والكرامة وأجرل الصلة وقلده أمر أساطيله فىلى فى جهاد أم التصويات  
 وكانت له آثار وأخبار ومقامات مذكورة فى دولة الموحدين \* وانتهت أساطيل  
 المسلمين على عهدهم فى الكثرة والاستجابة الى ما لم تلحقه من قبل ولا بعد فبعاهدهم ولا قام  
 صلاح الدين يوسف بن أيوب ملك مصر والشام لعهده باسترجاع نفور الشام من يدا  
 النصرانية وتطهير بيت المقدس من رجس الكفر وبناؤه تناعت أساطيلهم الكفرية  
 بالمدة تلك النفور من كل ناحية قريسة لبيت المقدس الذى كانوا قد استولوا عليه  
 فأمد بهم بالعدد والاقوات فلم تقاومهم أساطيل الاسكندرية لاستمرار القلب لهم فى  
 ذلك الجانب الشرقى من البحر وتعدد أساطيلهم فيه وضعف المسلمين منذ زمان طويل  
 عن معانعتهم هناك كما أسرف اليه قبل فأوقد صلاح الدين على أبي يعقوب المنصور  
 سلطان المغرب لعهدهم من الموحدين دسوفه عبد الكريم بن منقمن يث بن منقذ ملوك  
 شيرز وكان ملكها من أيديهم وأبقى عليهم فى دولته فبعث عبد الكريم منهم هذا الى  
 ملك المغرب طاب السدد الاساطيل لتحول فى المغربين أساطيل الكفرة وبين من امهم  
 من أمداد النصرانية بنفورا والشام وأحبه كتاب اليه فى ذلك من انشاء القاضل  
 النيسابى يقول فى افتتاحه فتح الله سيدنا أبواب المناج والميامن حسانا قله العماد  
 الاسفهانى فى كتاب الفتح القدس فنقم عليهم التصور نجافهم عن خطابه بأمر المؤمنين  
 وأسرها فى نفسه وحلهم على مناهج البر والكرامة توردتهم الى مرسلهم ولم يجبه الى  
 حاجته من ذلك \* وفى هذا دليل على اختصاص ملك المغرب بالاساطيل وما حصل  
 للنصرانية فى الجانب الشرقى من هذا البحر من الاستطالة وعدم عناية الدول بمصر  
 والشام ذلك العهد وما بعده لثأن الاساطيل البحرية والاستعداد منها للدولة ولما  
 هلك أبو يعقوب المنصور واعتلت دولة الموحدين واستولت امم الجلالقة على الاكثر  
 من بلاد الاندلس وأجروا المسلمين الى سيف البحر وملكوا الجزائر التى بالجانب

الغربي من البحر الرومي قويت ريجهم في بسطة هذا البحر واشتدت شوكتهم وكثرت فيه أساطيلهم وراجعت قوة المبجلين فيه الى المساواة معهم كما وقع لعهد السلطان أبي الحسن ملك زنادة بالمغرب فان أساطيله كانت عند مرأه الجهاد مثل عمدة النصرانية وعبيدهم ثم راجعت عن ذلك قوة المسلمين في الاساطيل لضعف الدولة ونسيان عوائد البحر بكثرة العوائد البدوية بالمغرب وانقطاع العوائد الاندلسية ورجع النصراني فيه الى دينهم المعروف من الدربة فيه والمران عليه والبصر بأحواله وغلب الام في بلخته وعلى أعواده وصار المسلمون فيه كالاجانب الاقل من أهل البلاد الساحلية لهم المران عليه لو وجدوا وكثرة من الانتصار والاعوان أو قوتهم في الدولة تستحيي لهم أعوانا وتوضح لهم في هذا الغرض مسلكا وبقيت الرتبة لهذا العهد في الدولة الغربية محفوظة والرسم في معاناة الاساطيل بالانشاء والركوب معهود المصاهة تدعو اليه الحاجة من الأغراض السلطانية في البلاد البحرية والمسلمون يستهينون بالرجح على الكفر وأهلهم من المشتهرين أهل المغرب عن كتب الحدان أنه لا بد للمسلمين من الكزة على النصرانية واقتتاح ما وراء البحر من بلاد الافريقية وان ذلك يكون في الاساطيل والله ولي المؤمنين وهو حسينا ونم الوكيل

٣٦ (فصل في التفاوت من مراتب السيف والقلم في الدول)

(اعلم) أن السيف والقلم كلاهما آلة لصاحب الدولة يستعين بهما على أمره الآن الحاجة في أول الدولة الى السيف مادام أهلها في تمهيد أمرهم أشد من الحاجة الى القلم لأن القلم في تلك الحال خادم فقط منفذ للحكم السلطاني والسيف شريك في المعونة وكذلك في آخر الدولة حيث تضعف حصنها كما ذكرناه ويقل أهلها بما ينالهم من الهرم الذي قتمناه فتحتاج الدولة الى الاستظهار بأرباب السيف وتقوى الحاجة اليهم في حجابة الدولة والمدافعة عنها كما كل الشأن أول الامر في تمهيد ما فيكون للسيف منزلة على القلم في الحالتين ويكون أرباب السيف حيث أشد وسع جاهها وأكبر نفعة وأخفى اقتطاعا واما في وسط الدولة فيستغنى صاحبها ببعض الشيء عن السيف لانه قد تمهد أمره ولم يبق همه الا في تحصيل غرات الملك من الجباية والاضط ومباهاة الدول وتنفيذ الاحكام والقلم هو المعين له في ذلك فتعظم الحاجة الى تصريفه وتكون السيف مهملة في مضاجع اغمارها الا اذا نابت نائبة أو ذهبت الى سدة فرجة وما سوى ذلك فلا حاجة اليها فتكون أرباب الأقلام في هذه الحاجة أوسع جاهها وأعلى رتبة وأعظم نفعة وزورة وأقرب من السلطان مجلسا وأكثر اليه تردها وفي خلواته غيا لا به حيث أشد آله التي بها يستظهر على تحصيل غرات ملكه والنظر في إعطائه وتنقيف أطرافه والمباهاة

بأحواله ويكون الوزراء محيطة بأهل السيف ومستغنى عنهم مبعدين عن باطن  
السلطان حذرين على أنفسهم من نوادره \* وفي معنى ذلك ما كتب به أبو مسلم  
للمصور حين أمره بالقدوم أما بعد فإنه مما حفظناه من وصايا القرس أخوف  
ما يكون للوزراء إذا سكنت الدهماء سنة الله في عبادته والله سبحانه وتعالى أعلم

### ٣٧ فصل في شارات الملك والسلطان الخاصة به

(اعلم) أن السلطان شارات وأحوالاً تقتضيها الأبهة والبلخ فيقتصر بها وتميزاً بها  
عن الرعية والبطانة وسائر الرؤساء في دولته فلذلك كما هو مشتهر منها يبلغ المعرفة وفوق  
كل ذي علم عليم \* (الآلة) \* فمن شارات الملك اتخاذ الآلة من نشر الألوكة والرايات  
وقرع الطبول والتعز في الأوقات والقرون وقد ذكر أرسطو في الكتاب المنسوب إليه  
في السياسة أن السر في ذلك إرهاب العدو في الحرب فإن الاصوات الهائلة لها تأثير في  
النفوس بالروعة ولعمري أنه أمر وجداني في مواطن الحرب يجده كل أحد من نفسه  
وهذا السبب الذي ذكره أرسطو أن كان ذكره فهو صحيح يعجز الاعتبارات \* وأما  
الحق في ذلك فهو أن النفس عند سماع النغم والاصوات يدركها الفرح والطرب  
بلا شك فيصيب مزاج الروح نشوة يستسهل بها الصعب ويسقط في ذلك الوجه الذي  
هو فيه وهذا موجود حتى في الحيوانات العجم بأنفعال الأبل بالحداء والليل بالصفير  
والصريح كما علمت ويريد ذلك تأثيراً إذا كانت الاصوات مناسبة كما في الغناء وأنت تعلم  
ما يحدث لسامع من مثل هذا المعنى ولاجل ذلك اتخذ العجم في مواطن حروبهم  
الآلات الموسيقية لأطبالاً ولأبواقاً فيمدق المغنون بالسلطان في موكبه بالآلاتهم  
ويغنون فيحركون نفوس الشجعان بضربهم إلى الاستمالة واقصد رأيك في حروب  
العرب من يتغنى أمام الموكب بالشعر وطرب قتيش هم الإبطال بما فيها ويسارعون إلى  
مجال الحرب وينبعث كل قرن إلى قرنه وكذلك زناتة من أمم المغرب يتقدم الشاعر  
عندهم أمام الصفوف ويتغنى فيحرك بغناؤه الجبال الرواسي ويسعد على الاستمالة  
من لا يظن بها ويسمون ذلك الغناء ناصوكايت وأصله كلمة فرح يحدث في النفس فتنبعث  
عنه الشهادة كما تنبعث عن نشوة الخمر يحدث عنهما من الفرح والله أعلم \* (وأما) \*  
تكميل الرايات وتلوينها واطالها فالقصبة التهويل لأشهر وروما يحدث في  
النفوس من التهويل زيادة في الاقدام وأحوال النفوس وتلوينها غريزة والله  
اخلق العليم \* ثم إن الملوك والدول يختلفون في اتخاذ هذه الشارات فبهم مكر  
ومتهم مقل حسب اتساع الدولة وعظمها فأما الرايات فانها شعار الحروب من عهد

الخليفة ولم تزل الامم تعقد هاتي مواطن الحروب والغزوات ولعهد النبي صلى الله عليه  
 وسلم ومن بعدهم من الخلفاء \* وأما قرع الطبول والتفخ في الابواق فكانت المسلمين  
 لاول الله متعبان عنه فتزاهن غلظة الملك وفضلا حواله واحقاد الابهة التي  
 ليست من الحق في شئ حتى اذا اعلنت اختلاف مملكتي وخصموا ازره الدنيا وتبعها  
 ولا بسهم الموالي من القرص والروم أهل الدول السالفة وأروهم ما كان أولئك  
 يتصلون من مذاهب المبدع والترف فكانت مما استحسنوه اتخذوا لا كما أخذوها  
 وأذنوا العمالهم في اتخاذها تنويعا بالملك وأهله فكثيرا ما كان العامل صاحب الثغر  
 أو قائد الجيش يعقده الخليفة من العباسيين أو العبيدين لوائه ويخرج الى بعثه  
 أو علمه من دار الخليفة أو دياره فيموا كبمن أصحاب الرايات والاسلحة فلا يعزبن  
 موكب العامل والخليفة لا بكثرة الاولية وقتلها أو بما اختص به الخليفة من الألوان  
 رايتهم كالسواد في رايات بني العباس فان راياتهم كانت سودا حرا على شهدائهم من بني  
 هاشم ونسبا على بني أمية في قتلهم ولذلك سموا المسودة \* ولما افترق أمر الهاشمين  
 وخرج الطالبيون على العباسيين في كل جهة وعصر ذهبوا الى مخالفتهم في ذلك فالتفتوا  
 الرايات يضاوموا المبيضة لذلك سائر أيام العبيدين ومن خرج من الطالبين في ذلك  
 العهد بالشرق كالداي بطبرستان وداي صعدة ومن دعا الى بدعة الرافضة من غيرهم  
 كالقرامطة \* ولما نزح المأمون عن لبس السواد شعاره في دولته عدل الى لون  
 الخضرة فجعل رايتهم خضراء أما الاستكثار منها فلا ينهي الى حد وقد كانت آلة  
 العبيدين لما خرج العزيز الى فتح الشام خضراء من البنود وخضراء من الابواق  
 وأما ملوك البربر بالمغرب من صنهاجة وغيرها فلم يقتصروا بلون واحد بل وشوها  
 بالذهب واتخذوها من الحرير الخالص ملونة واستقروا على الاذن فيها العمالهم حتى اذا  
 جاءت دولة الموحدين ومن بعدهم من زانة قصر والاكمن الطبول والبنود على  
 السلطان وحظرها على من سواه من عماله وجعلوا الهاموكا خاصا يتبع أئمة السلطان  
 في سيره يسمى الساقه وهم فيه بين مكثرو ومقل باختلاف مذاهب الدول في ذلك فهم  
 من يقتصر على سبع من العدد تدرج كالسبعة كما هو في دولة الموحدين وبني الاحمر  
 بالاندلس ومنهم من يبلغ العشرة والعشرين كما هو عند زانة وقد بلغت في أيام السلطان  
 أبي الحسن ثمانين ألفا من الطبول ومائتين البنود ملونة بالحرير منسوجة  
 بالذهب ما بين كبير وصغير يأذنون للولاة والعمال والقواد في اتخاذ راية واحدة  
 صغيرة من الكتان يضاوم طييل مصفيا أيام الحرب لا يتجاوزون ذلك \* وأما دولة  
 الترك لهذا العهد بالشرق فيخزون أول راية واحدة عظيمة وفي رأسها خلة كبيرة



من الشعر ينعمونها الثالث والجثروهي شعار السلطان عندهم ثم تعدد الرايات  
ويسمون السناجق واحدها سنجق وهي الراية بلسانهم وأما الطبول فيبالغون في  
الاستكثار منها ويسمون الكوسات ويصيحون لكل أميراً وقائد عسكرياً أن يتخذ من  
ذلك ما يشاء الا لاختلافه خاص بالسلطان \* وأما الجلالة لهذا العهد من أمم الافرنجة  
بالاندلس فأكثرت شأنهم اتخاذ الألوية القليلة ذاهبة في الجوصعد ومعها قارع الاوتار  
من الطنابير ونفخ القبطات يذهبون فيها مذهب الفناء وطريقته في مواطن حروبهم  
هكذا يلقنا عنهم وعن وراءهم من ملوك العجم ومن آياته خلق السموات والارض  
واختلاف ألستكم وألوانكم ان في ذلك لآيات للعالمين

\* (السري) \* وأما السري والمنبر والتخت والكرسي وهو أعواد منصوبة  
أو أرائك منصفة جلوس السلطان عليها مرتفعان أهل مجلسه أن يساو بهم في  
الصعيد ولم يزل ذلك من سنن الملوك قبل الاسلام وفي دول العجم وقد كانوا يجلسون على  
اسرة الذهب وكان سليمان بن داود صلوات الله عليهم ما وسلامه كرسى وسري من علاج  
مغشى بالذهب الا أنه لا تأخذه الدول الابدع الاستعمال والترفشان الأبهة كلها كما  
قلناه وأما في أول الدولة عند البدو فلا يشقون اليه \* وأول من اتخذ في الاسلام  
معاوية واستأذن الناس فيه وقال لهم اني قد نبئت فأذنوا له فاتخذ واتبه الملوك  
الاسلاميون فيه وصار من منازع الأبهة ولقد كان عمرو بن العاصي بمصر يجلس  
في قصره على الارض مع العرب وبأبيه المقوقس الى قصره ومعه سري من الذهب  
محمول على الابدى جلوسه شأن الملوك فيجلس عليه وهو أمامه ولا يغيرون عليه وفاء له بما  
اعتقد معهم من الثقة وطرا حالاً به الملك ثم كان بعد ذلك لبي العباس والعبيدين  
وسائر ملوك الاسلام شرفا وغر بامن الاسرة والمنابر والتخوت ما عفا عن الاكسرة  
والقباصرة واقفه مقلب الليل والنهار

\* (السكة) \* وهي انتم على الدنانير والدراهم المتعامل بها بين الناس بطابع جديد  
ينقش فيه صوراً وكلت مقنونة ويضرب بها على الدنانير والدرهم فخرج رسوم تلك  
التقوس عليها ظاهرة مستقيمة بعد أن يعتبر عيارا تقدم من ذلك الجنس في خلوصه  
بالسبك مرة بعد أخرى وبعد تقدير أشخاص الدراهم والدنانير ومن تعين به السبك  
عليه فيكون التعامل بها عددا وان لم تقدر أشخاصها يكون التعامل بها في ثقلها فقط  
السكة كان اسما للطابع وهي الحسنة المتخذة لذلك ثم نقل الى أثرها وهي النقوش المائلة  
على الدنانير والدراهم ثم نقل الى القيام على ذلك والنظر في استيفاء ما عليه وشروطه وهي  
الوظيفة فصار علم عليها في عرف الدول وهي وظيفة ضرورية لملك انبها بتميزها بالخص

من المغشوش بين الثامن في النقود عندنا المعاملات ويتقون في سلامتها الغش بضم  
السلطان عليها تلك النقوش المعروفة وكان ملوك العجم يخذونها وينقشون فيها  
تمائيل تكون مخصوصة بها مثل تمثال السلطان لهدايا أو تمثيل حصن أو حيوان  
أو مصنوع أو غير ذلك ولم يزل هذا الشأن عند العجم الى آخر أمرهم \* ولما جاء  
الاسلام اغفل ذلك لسداجة الدين وبداوة العرب وكانوا يتعاملون بالذهب والفضة  
وزناوص كانت دنابر القرس ودراهمهم بين أيديهم يردونها في معاملتهم الى الوزن  
ويتصارقون بها بينهم الى أن تفاخس الغش في الدنانير والدراهم لقفلة الدولة عن ذلك  
وأمر عبد الملك الخلاج على ما نقل سعيد بن المسيب وأبو الزناد بضرِب الدراهم وتمييز  
المغشوش من النخالص وذلك سنة أربع وسبعين وقال المدايني سنة خمس وسبعين ثم  
أمر بصرفها في سائر النواحي سنة ست وسبعين وكتب عليه الله أحد الله الصمد ثم ولى  
ابن هبيرة العراق أيام يزيد بن عبد الملك فجود السكة ثم بالغ خالد القسري في تجويدها  
ثم يوسف بن عمر بعده وقيل أول من ضرب الدنانير والدراهم صعب بن الزبير بالعراق  
سنة سبعين بأمر أخيه عبد الله لما ولى الحجاز وكتب عليه في أحد الوجهي بركة الله  
وفي الآخر اسم الله ثم غيرها الخلاج بعد ذلك بسنة وكتب عليها اسم الخلاج وقدر وزن  
على ما كانت استقرت أيام عمر وذلك أن الدرهم كان وزنه أول الاسلام ستقودائق  
والمثقال وزنه درهم وثلاثة أسباع درهم فتكون عشرة دراهم بسبعة مثاقيل وكان  
السبب في ذلك أن أوزان الدرهم أيام القرس كانت مختلفة وكان منها على وزن المثقال  
عشرون قيراطا ومنها اثنا عشر ومنها عشرة فلما احتيج الى تقديره في الزكاة أخذ الوسط  
وذلك اثنا عشر قيراطا فكان المثقال درهما وثلاثة أسباع درهم وقيل كان منها  
البغلي بمائة دواقي والطبري أربعة دواقي والمغربي مائة دواقي والبغلي ستة  
دواقي فأمر عمر أن ينظر الاغلب في التعامل فكان البغلي والطبري وهما اثنا عشر  
دائقا وكان الدرهم ستة دواقي وان زدت ثلاثة أسباع كان مثقالا وإذا نقصت ثلاثة  
أهشارا المثقال كان درهما فلما رأى عبد الملك اتخاذ السكة لصيانة التقديرين الجارين  
في معاملة المسلمين من الغش فعين مقدراهما على هذا الذي استقر له بعد عرضي الله عنه  
واتخذ طابع الحديد واتخذ به كلمات لاصور الان العرب كان الكلام والبلاغة أقرب  
مناحيسهم وأظهرها مع أن الشرع نهى عن الصور فلما فعل ذلك استقر بين الناس في  
أيام الملة كلها وكان الدينار والدرهم على شكلين مدورين والكتابة عليهما في دوائر  
متوازية يكتب فيها من أحد الوجهي أسماء الله تمللا وتحميدا وصلاته على النبي  
 وآله وفي الوجه الثاني التاريخ واسم الخليفة وهكذا أيام العباسيين والعباسيين

والامويين وأما منهاجته فلم يتخذ واسكة إلا آخر الامر اتخذها منصور صاحب بجاية  
 ذكر ذلك ابن حنبل في تاريخه ولما جاءت دولة الموحدين كان عماس لهم المهدي اتخذ  
 سكة الدرهم مربع الشكل وأن يرسم في دائرة الدينار شكل مربع في وسطه وعلا  
 من أحد الجانبين تهليلا وتحميدا ومن الجانب الآخر كتابا في السطور باسمه واسم  
 الخلفاء من بعده ففعل ذلك الموحدون وكانت سكتهم على هذا الشكل لهذا العهد  
 واقد كان المهدي فيما ينقل سعت قبل ظهوره بصاحب الدرهم المربع نفته بذلك  
 المتكلمون بالحد ثان من قبله المخبرون في ملاحظهم عن دولته وأما أهل المشرق لهذا  
 العهد فسكتهم غير مة ذرة وانما تعاملون بالدينار والدرهم وزنا بالضمان المقدرة  
 بعدة منها ولا يطبعون عليها بالسكة نقوش الكلمات بالتهليل والصلاة واسم السلطان  
 كما يفعله أهل المغرب ذلك تقدير العزيز العليم (ولتختم الكلام) في السكة بذكر حقيقة  
 الدرهم والدينار الشرعيين وبيان حقيقة مقدارهما

وذلك أن الدينار والدرهم مختلفا السكة في المقدار والموازين بالآفاق والأماصار  
 وسائر الاعمال والشرع قد تعرض لذكرهما على كثير من الاحكام بهما في الزكاة  
 والانكحة والحدود وغيرهما فلا بد لهما عنده من حقيقة ومقدار معين في تقدير  
 تجري عليهما احكامهم دون غير الشرعي منهما فاعلم أن الاجماع منعقد منذ صدر  
 الاسلام وعهد العصابة والتابعين أن الدرهم الشرعي هو الذي تزن العشرة منه سبعة  
 مثاقيل من الذهب والاقية منه أربعين درهما وهو على هذا سبعة اعشار الدينار  
 ووزن المثقال من الذهب ثمان وسبعون حبة من الشعير فالدرهم الذي هو سبعة  
 اعشاره خمسون حبة وخمسة وخمسة وهذه المقادير كلها ثابتة بالاجماع فان الدرهم  
 الجاهلي كان يتنهم على أنواع أجودها الطبري وهو ثمانية دوانق والبغلي وهو أربعة  
 دوانق فجعلوا الشرعي بينهما وهو ستة دوانق فكانوا يوجبون الزكاة في مائة درهم بغلية  
 ومائة طبرية خمسة دراهم وسعنا وقد اختلف الناس هل كان ذلك من وضع عبد الملك  
 أو اجماع الناس بعده عليه كما ذكرناه ذلك الخطام في كتاب معالم السنن والماوردي  
 في الاحكام السلطانية وانكره المحققون من المتأخرين لما يلزم عليه أن يكون الدينار  
 والدرهم الشرعيان مجهولين في عهد العصابة ومن بعدهم مع تعلق الحقوق الشرعية  
 بهما في الزكاة والانكحة والحدود وغيرهما كما ذكرناه والحق أنهم ما كانوا يعلمون  
 المقدار في ذلك العصر لجرى ان الاحكام يومئذ بما يتعلق بهم من الحقوق وكان  
 مقدارهما غير مشخص في الخارج وانما كان متعارفا بينهم بالحكم الشرعي على المقدار  
 في مقدارهما ووزنهم ما حتى استعمل الاسلام وعظمت الدولة ودعت الحال الى

تخصصهما في المقدار والوزن كما هو عند الشرع ليستريحوا من كثرة التقدير وفارز ذلك أيام عبد الملك فتخصص مقدارهما وعينهما في الخارج كما هو في الذهن ونقش عليهما السكة باسمه وتاريخه اثر الشهادتين الايمائيتين وطرح النقود الجاهلية رأسا حتى خلصت ونقش عليهما سكة وتلاشي وجودها فهذا هو الحق الذي لا يحيد عنه ومن بعد ذلك وقع اختيار أهل السكة في الدول على مخالفة المقدار الشرعي في الدينار والدرهم واختلفت في كل الاقطار والافاق ورجع الناس الى تصور مقاديرهما الشرعية ذهنا كما كان في الصدر الاول وصار أهل كل أمة يستخرجون الحقوق الشرعية من سكتهم معرفة النسبة التي بينها وبين مقاديرها الشرعية وأما وزن الدينار باثنين وسبعين حبة من الشعير الوسط فهو الذي نقله المحققون وعليه الاجماع الا ابن حزم خالف ذلك وزعم أن وزنه أربعة وعشرون حبة نقل ذلك عنه القاضي عبد الحق وردة المحققون وعدوه وهم ما غلطوا وهو الصحيح والله يحق الحق بكلماته وكذلك تعلم أن الاوقية الشرعية ليست هي المتعارفة بين الناس لان المتعارفة مختلفة باختلاف الاقطار والشرعية محددة ذهنا لا اختلاف فيها والله خلق كل شيء فقدره تقديرا

\*(الختام)\* وأما الختام فهو من الخطط السلطانية والوظائف الملوكية وانتم على الرسائل والصكوك لمعروف الملوك قبل الاسلام وبعده وقد ثبت في الصحيحين أن النبي صلى الله عليه وسلم أراد أن يكتب الى قيسر فيسبل له ان العجم لا يقبلون كتابا الا أن يكون محتوما فاحتجنا ثمان فضة ونقش فيه \* محمد رسول الله \* قال البخاري جعل الثلاث كلمات في ثلاثة أسطر وختم به وقال لا ينقش أحد مثله قال وقصم به أبو بكر وعمر وعثمان ثم سقط من يد عثمان في بئر أريس وكانت قليلة الماء فلم يدركه فصرها بعدوا غم عثمان وتطير منه وصنع آخر على مثله وفي كيفية نقش الختام وانتم به وبوجه وذلك أن الختام يطلق على الآلة التي تجعل في الاصبع ومنه تختم اذ ليسه ويطبق على النهاية والتمام ومنه ختم الامر اذا بلغت آخره وختم القرآن كذلك ومنه خاتم النبيين وخاتم الامر ويطبق على السداد الذي يسد به الاواني والدنان ويقال فيه ختام ومنه قوله تعالى ختام ممسك وقد غلط من فسر هذا بالنهاية والتمام قال لأن آخر ما يجدونه في شراهم ربح المسك وليس المعنى عليه وانما هو من الختام الذي هو السداد لان الحجر يجعل له في الدن سداد الطين والقمار يحفظها ويطيب عرفها وذوقها قبل تلغ في وصف خبر الجنة بأن سدادها من المسك وهو أطيب عرفا وذوقا من القمار والطين المعهودين في الدنيا فاذا صاح المطلق الختام على هذه كلها صح

الاطلاق على أثرها الثاني عنها وذلك أن الخاتم اذا نقش به كلمات أو أشكال ثم نحس في مداف من الطين أو سداد ووضع على صفح القتراس بقي أكثر الكلمات في ذلك الصفح وكذلك اذا طبع به على جسم لين كالشمع فإنه يبقى نقش ذلك المكتوب مرئيا فيه وإذا كانت كلمات أو نسبت فقصديقرأ من الجهة اليسرى اذا كان النقش على الاستقامة من اليمنى وقد يقرأ من الجهة اليمنى اذا كان النقش من الجهة اليسرى لأن الختم يقلب جهة الخط في الصفح عما كان في النقش من يمن أو يسار فيحصل أن يكون الختم بهذا الخاتم بنفسه في المداد والطين ووضع على الصفح فتنتقش الكلمات فيه ويكون هذا من معنى النهاية والتعلم معنى صحة ذلك المكتوب ونقوده كأن الكتاب انما يتم العمل بهذه العلامات وهو من دون ما ملغى ليس يتم وقد يكون هذا الختم بالخط آخر الكتاب أو أوله بكلمات منتظمة من تجميع أو تسبيح أو باسم السultan أو الامير أو صاحب الكتاب من كان أو شيء من نوعه يكون ذلك الخط علامة على صحة الكتاب ونقوده يسمى ذلك في المعارف علامة وينبغي ختمات يباله بأثر الخاتم الاصحى في النقش ومن هذا خاتم القاضي الذي يعثبه للتصوم أي علامته وخطه الذي يتخبرها أحكامه ومنه خاتم السultan أو الخليفة أي علامته قال الرشيد الجي ابن خالقا أراد أن يستوزر جعفر أو يستبدل به من الفضل أخيه فقال لا يسمي بجي بأبى انى أردت أن أحول الخاتم من يمنى الى شمالى فكفى له بالخاتم عن الوزارة لما كانت العلامة على الرسائل والصكوك ومن وظائف الوزارة لعهدهم ويشهد لصحة هذا الاطلاق ما نقله الطبرى أن معاوية أرسل الى الحسن عنده امرأته اياه في الصلح صحيفة ايضا منتم على أسفلها وكتب اليه أن اشترط في هذه الصحيفة التي ختمت أسفلها ما شئت فهو لى ومعنى الختم هنا علامة في آخر الصحيفة بخطه أو غيره ويحتمل أن يمتنم به في جسم لين فتنتقش فيه حروفه ويجعل على موضع الختم من الكتاب اذا حزم وعلى المودوعات وهو من السداد كما هو وهو في الوجهين آثار الخاتم فيطابق عليه خاتم وأول من أطلق الختم على الكتاب أي العلامة معاوية لأنه أمر لعمر بن الزبير بفسد زياد بالكوفة جماعة ألف ففتح الكتاب وصير المائتين ورفع زياد حسابه فأكرها معاوية وطلب بها عمر وجسه حتى قضاها عنه أخوه عبد الله وانجده معاوية عند ذلك ديوان الخاتم ذكره الطبرى وقال آخره حرم الكتب ولم تكن تجزم أي جعل لها السداد وديوان الختم عبارة عن الكتاب القاسمين على انقاذ كتب السultan والختم عليها ما بالعلامة أو بالحزم وقد يطلق الديوان على مكان جلوس هؤلاء الكتاب كما ذكرناه في ديوان الاعمال والحزم للكتب يكون اما بلس الورق كما في عرف كتاب

المغرب وأما بلقيش رأس الحقيقة على ما تنطوي عليه من الكتاب كما في عرف أهل  
 المشرق وقد يجعل على مكان الدس أو الإصاق علامة يؤمن بمعها من قسده والإطلاع  
 على ما فيه فأهل المغرب يجعلون على مكان الدس قطعة من الشمع ويحتون عليها بخاتم  
 نقش فيه علامة لذلك فيرسم النقش في الشمع وكان في المشرق في الدول القديمة يختم  
 على مكان الصق بخاتم منقوش أيضا قد غص في مداف من الطين معد لذلك صبغه  
 أحمر فيرسم ذلك النقش عليه وكان هذا الطين في الدولة العباسية يعرف بطين الختم  
 وكان يجعل من سراف فيظهر أنه مخصوص بها فهذا الخاتم الذي هو العلامة المكتوبة  
 أو النقش للسداد والختم للكتب خاص بديوان الرسائل وكان ذلك للوزير في الدولة  
 العباسية ثم اختلف العرف وصار ين إلى الترسل وديوان الكتاب في الدولة ثم صاروا  
 في دول المغرب يعدون من علامات الملك وشارته الخاتم بالإصبع فيصيدون صوغه  
 من الذهب ويرصونه بالقصوص من الباقوت والقيروان والزرع ويطلبه السلطان  
 شارة في عرفهم كما كانت البردة والقضيب في الدولة العباسية والمظلة في الدولة العبيدية  
 وأما مصرف الأمور بحكمه

\* (الطراز) \* من أمة الملك والسلطان ومذهب الدول أن ترسم أسماءهم وأعلامات  
 تختص بهم في طراز أو أوجهم المعهدة للباسهم من الحرير أو الديباج أو الأبريسم تعتبر كناية  
 خطها في نسج الثوب الحامو وسدى بخط الذهب أو ما يتخالف لون الثوب من الخيوط  
 الملونة من غير الذهب على ما يحكمه الصناع في تقدير ذلك ورضه في صناعة نسجهم  
 فتصير الثياب الموكمة معلمة بذلك الطراز قصد التنويه بلباسها من السلطان في دوله  
 أو التنويه بمن يختصه السلطان بلبوسه إذا قصد نشر بفضله بذلك أو ولايته لوظيفة من  
 ونطاق دولته وكان ملوك الجيم من قبل الإسلام يجعلون ذلك الطراز بصور الملوكة  
 وأشكالهم أو أشكال وصور معينة لذلك ثم اعتاض ملوك الإسلام عن ذلك بكتب  
 أسمائهم مع كلمات أخرى تجري مجرى القال أو السجلات وكان ذلك في الدولتين من أمة  
 الامور أو أغم الاحوال وكانت الدورات المعهدة لنسج أو أوجهم في قصورهم تسمى دور الطراز  
 لذلك وكان القائم على النظر فيها يسمى صاحب الطراز تنظر في أمور الصباغ والآلة  
 والحيا كدفها وإجراء رزاقهم وتسهيل آلاتهم ومشارفة أعمالهم وكانوا يتخذون ذلك  
 نصوص دولتهم وثقات مواليمهم وكذلك كان الحال في دولة بني أمية بالأندلس  
 والعواثم من بعدهم وفي دولة العبيدين بمصر ومن كن على عهدهم من ملوك الجيم  
 بالمشرق ثم لما ضاق نطاق الدول عن الترف والتفنن فيه اضيق نطاقها في الاستيلاء  
 وتعددت الدول قطعت هذه الوظيفة والولاية عليهم من أكثر الدول بليلة \* ولما

بانت دولة الموحد بن المغرب بعد بنى أمية أول المائة السادسة ولم يأخذوا بذلك أول دولتهم لما كانوا عليهم من منازع الحياة والسداجة التي لفتوها عن امامهم محمد بن تومرت المهدي وكفوا بتورعون عن لباس الحرير والذهب فسلطت هذه الوظيفة من دولتهم واستبدوا بشئنا أعقابهم آخر الدولة طر فال يمكن تلك التباهة وأما لهذا العهد فأذكر كتاب المغرب في الدولة المرينية لعنفوانهم وشموخهم بما جالسوا للقتوم من دولة ابن الأحمر معاصرهم بالاندلس وأتبع هو في ذلك ملوك الطوائف حتى منه بلعبة شاهدة بالآثر \* وأما دولة الترك بمصر والشام لهذا العهد فقيم من الطرز غير آخر على مقدار ملكهم وعمران بلادهم الآن ذلك لا يصنع في دورهم وقصورهم وليست من وظائف دولتهم وإنما ينسج ما تطلبه الدولة من ذلك - ند صناعهم من الحرير ومن الذهب الخالص ويسعون المزرع كش قطة أجمية ويرسم اسم السلطان أو الأمير عليه ويعتد الصناعات لهم فيما يعتدونه للدولة من طرف الصناعة اللاتقة بها والله مقدر الدليل والنهار والله خير الوارئين

#### ( القساطيط والسياح )

اعلم أن من شارات الملك وترفه اتخاذا لاختية والفساطيط والقضازات من ثياب الصكك والصفوف والقطن يجدل الكتان والقطن فيبايها في الاسقار وتتوع منها الألوان ما بين كبير وصغير على نسبة الدولة في الثروة واليسار وإنما يكون الأمر في أول الدولة في بيوتهم التي جرت عاداتهم باتخاذها قبل الملك وكان العرب لعهد الخلفاء الأولين من بنى أمية أنما يسكنون بيوتهم التي كانت لهم خياما من الوبر والصفوف ولم تزل العرب لذلك العهد يدين الا الاقل منهم فكانت أسفارهم لغزو اتهم وحروبهم يظفونهم وسائر ظلمهم وأحيائهم من الأهل والولد كما هو شأن العرب لهذا العهد وكانت عساكرهم لذلك كثرة الخلل ببيعة ما بين المنازل متفرقة الإحياء يغيب كل واحد منها عن نظر صاحبه من الأخرى كشأن العرب ولذلك ما كان عبد الملك يحتاج إلى مسافة تحشد الناس على أثره أن يقيموا إذا ظعن ونقل أنه استعمل في ذلك الخيل حين أشابه روح ابن زبئاع وقصتها في أبراق فساطيط روح وخيامه لأول ولايته حين وجدهم مقيمين في يوم رحيل عبد الملك قصة مشهورة ومن هذه الولايات تعرف رتبة الخيل بين العرب فإنه لا يتولى أراذلهم على الظعن الا من يأمن بإدار السهول من أحيائهم بحالهم العصية الحائلة دون ذلك ولذلك اختص عبد الملك بهذه الرتبة ثقة بضائه فيها بعصيته وصرامته فلما تفتت الدولة العربية في مذاهب الخفارة والبذخ

وزلوا المدين والامصار واتقلوا من سكنى الخيام الى سكنى القصور ومن ظهر الخلف الى ظهر الحفر اتخذوا السكنى في أسفارهم ثياب السكان يستعملون منها يوتاً مختلفة الاشكال مقدرة الامثال من القورا والمستطيلة والمربعة ويحتفلون فيها بأبلغ مذاهب الاحتفال والزينة ويدير الامير والقائد المعسكر على فساطيطه وفازانه من بينهم سياج من السكان يسمى في المغرب بلسان البربر الذي هولسان أهله أقر النبال الكاف التي بين الكاف والقاف ويخص به السلطان بذلك القطر لا يكون لغيره \* وأما في المشرق فيتخذ كل أمير وان كان دون السلطان ثم جنحت الدعاء بالنساء والولدان الى المقام بقصورهم ومنازلهم تغفل ذلك ظهرهم وتقاربت الساح بين منازل العسكر واجتمع الجيش والسلطان في معسكر واحد يحصره البصر في بسيطة زهواً أتبعا لاختلاف ألوانه واستقر الحال على ذلك في مذاهب الدول في بنائها وترزفها وكذا كانت دولة الموحدين وزانة التي أطلنا كان سفرهم أول أمرهم في بيوت سكاهم قبل الملك من الخيام والقباطين حتى اذا أخذت الدولة في مذاهب الترف وسكنى القصور عادوا الى سكنى الاخبية والقساطيط وبلغوا من ذلك فوق ما أرادوه وهو من الترف بمكان الآن العساكرية تصير عرضة للبيات لاجتماعهم في مكان واحد تتعلمهم فيه الصيحة وتغفلهم من الامل والولد الذين تكون الاستمارة دونهم فيحتاج في ذلك الى تحفظ آخر والله اقوى العزير

### ( المصورة للصلاة والدعاء في الخلعة )

وهما من الامور الخلاقية ومن شارات الملك الاسلامي ولم يعرف في غير دول الاسلام \* فأما البيت المصوري من المسجد لصلاة السلطان فيتخذ سياجا على المهراب فيحور به وما يليه فأول من اتخذهما معاوية بن أبي سفيان حين طعنه الخارجي والقصة معروفة وقيل أول من اتخذهما مروان بن الحكم حين طعنه البياضي ثم اتخذها الخلفاء من بعدهما وصارت سنة في جميع السلطان عن الناس في الصلاة وهي انما تحدث عند حصول الترف في الدول والاستقبال شأن أحوال الابهة كلها وما زال الشأن ذلك في الدول الاسلامية كلها وعند اقتراف الدولة العباسية وتعد الدول بالشرق وكذا بالاندلس عند اقتراف الدولة لأموية وتعد دماؤ الطوائف وأما المغرب فكان بنو الأغلب يتخذونها بالقيروان ثم الخلفاء العبيديون ثم ولاتهم على المغرب من صنهاجة بنو باديس بقاس بنو جلد بالقلعة ثم ملك الموحدون سائر المغرب والاندلس ومحو ذلك الرسم على طريقة البداءة التي كانت شعارهم ولما استتمت الدولة وأخذت يخطئها من



الترف وجاء أبو يعقوب المنصور ثالث ملوكهم فاحتض هذه المنصورة وبقيت من بعده  
 مدة ملوك المغرب والأندلس وهكذا كان الشأن في سائر الدول سنة الله في عباده \*  
 (وأما الدعاء على المنابر) في الخطبة فكان الشأن أن أول اعتد الخلفاء ولاية الصلاة بأنفسهم  
 فكانوا يدعون لذلك بعد الصلاة على النبي صلى الله عليه وسلم والرضاعن أصحابه  
 وأول من اتخذ المنبر عمرو بن العاص لما بنى جامعهم بمصر وأول من دعا الخليفة على المنبر  
 ابن عباس دعا على الحق ورضي الله عنهم ما في خطبته وهو بالبصرة عامل له عليه أفتال اللهم  
 انصر عليا على الحق واتصل العمل على ذلك فيما بعد وبعداً أخذ عمرو بن العاصي المنبر  
 بلغ عمرو بن الخطاب ذلك فصحب اليه عمر بن الخطاب أما بعد فقد بلغني أنك اتخذت  
 منبراً ترقى به على رقاب المسلمين أو ما يكتسبك أن تكون قائماً والمسلمون تحت عتبك  
 فغزمت عليك إلا ما كسرتة فلما حدثت الأئمة وحدث في الخلفاء المانع من الخطبة  
 والصلاة استنابوا فيهما فكان الخطيب يشهد بذكر الخليفة على المنبر ثم يهاجسه ودعاء  
 له بما جعل الله مصلحة العالم فيه ولأن تلك الساعة مظنة للإجابة ولما ثبت عن السلف  
 في قولهم من كانت له دعوة مصلحة فليضعها في السلطان وكان الخليفة يشر بذلك فلما  
 جاء الخبر والالتداد صاروا يخلعون على الدول كثيراً ما يشاركون الخليفة في ذلك  
 ويشاد باسمهم عقب اسمه وذهب ذلك بذهاب تلك الدول وصار الأمر إلى اختصاص  
 السلطان بالدعاء على المنبر دون من سواه وحظر أن يشاركه فيه أحد أو يدعو إليه  
 وكثيراً ما يفضل الماهدون من أهل الدول هذا الرمز عندما تكون الدولة في أسوأ  
 الغضاضة ومشاحي البداءة في التغافل والخسونة ويقنعون بالدعاء على الأعمام  
 والأجال ابن ولي أمر المؤمنين ويسمون مثل هذه الخطبة إذا كانت على هذا المصحي  
 عباسية يعنون بذلك أن الدعاء على الأجال انما يتناول العباسي تقليد في ذلك لما  
 سلف من الأمر ولا يحفلون بمجاوزة ذلك من زعمه والتصريح باسمه \* يحكى أن  
 يغمرا سن بن زيان ماهد دولة بني عبد الواد لم يظله الأمير أبو زكريا يحيى بن أبي حفص  
 على تلسان شهيد الله في إعادة الأمر إليه على شروط شرطها كان فيها ذكر اسمه على منابر  
 عمله فقال يغمرا سن تلك أعوادهم يذكرون عليها من شأوا وكذلك يعقوب بن عبد  
 الحق ماهد دولة بني مرين حضره رسول المنتصر الخليفة تيس من بني أبي حفص  
 وثالث ملوكهم يخلف بعض أيامه عن شهود الجمعة فقبل له لم يحضر هذا الرسول  
 كراهية لخواطبة من ذكر سلطانه فأذن في الدعاء له وكن ذلك سبباً لاختلافهم بدعونه  
 وهكذا شأن الدول في بدايتها وتنتهي في الغضاضة والبداوة فإذا انتهت عيون  
 سياستهم ونظروا في إعطائهم ملكهم واسعة وأشباه الحضارة ومعاني البذخ والأئمة

انصلوا جميع هذه السمات وتغنوا فيها وتجاروا الى غايتها وأنقوا من المشاركة فيها  
ويزرعوا من انقادها وخالود ولهم من آثارها والى الميستان والله على كل شيء رقيب

٣٨ (فصل في الحروب ومذاهب الامم في ترتيبها)

اعلم ان الحروب وأنواع المقاتلة لم تنزل واقعة في الخلقة منذ بدأها الله وأصلها ارادة  
انتقام بعض البشر من بعض فيتعصب لكل منها أهل عصبته فإذا تذاكرها والذات  
ونواقض الطائفتان أحدهما تطلب الانتقام والاخرى تدافع وكانت الحرب  
وهو أمر طبيعي في البشر لا تخلو عنه امة ولا جيل وسبب هذا الانتقام في الاكثر اما  
غرة ومناقصة واما عدوان واما غضب لله ولدينه واما غضب الملك وهي في عهده  
قالا قول أكرمنا يجرى بين القبائل المتجاورة والعشائر المتناظرة والثاني وهو  
العدوان أكرمنا يكون من الامم الوحشية الساكنين بالقر كالعرب والترك والتركان  
والاكراد واسياهم لانهم جعلوا اعداءهم في ديارهم وماشهم فيما بأيدي غيرهم ومن  
دافعهم عن مقامه اذ نوب الحرب لا بقية لهم فيما وراء ذلك من رتبة ولا ملك وانما لهمهم  
ونصب أعينهم غلب الناس على ما في أيديهم والثالث هو المسمى في الشر بعة بالجهاد  
والرابع هو حروب الدول مع الخارجيين عليها والماتعين لطاعتها فهذه أربعة أصناف  
من الحروب الصفات الاقوال منها حروب بني وقته والصفان الاخيران حروب جهاد  
وعادل وصفة الحرب الواقعة بين الخلقة منذ أول وجودهم على نوعين نوع  
بالزحف صفوا ونوع بالهجوم والقر أما الذي بالزحف فهو قتال الجحيم كلهم على  
تعاقب أجيالهم وأما الذي بالهجوم والقر فهو قتال العرب والبربر من أهل المغرب  
وقتال الزحف أوثق وأشد من قتال الكر والقر وذلك لان قتال الزحف ترتب فيه  
الصفوف ونسوى كما نسوى القديح أو صفوف الصلاة ويشتون بصوفهم الى العدو  
قدما فذلك تكون أثبت عند المصارع وأصدق في القتال وأرعب للعدولانه كالحائط  
الممتد والقصر المسيد لا يطمع في ازالته وفي التنزيل ان الله يحب الذين يقاتلون في  
سبيله صفا كما أنهم يتيان مرصوص أي يشتد بعضهم بعضا بالثبات وفي الحديث الكريم  
المؤمن المؤمن كالنيران يشتد بعضه بعضا ومن هنا يظهر لك حكمه الجليل الثبات  
وتحريم التولي في الزحف فان المقصود من الصف في القتال حفظ النظام كما قلناه فمن  
ولى العدو ظهره فقد أدخل المصاف وبإيمانهم الهزيمة ان وقعت وصاروا كما نعتهم جردا على  
المسلمين وأمكن منهم عدوهم فعظم الذنب لعموم القصد هو عديتها الى الدين بخرق  
سياجه فعد من البكائر ويظهر من هذه الدلالة أن قتال الزحف أشد عند الشارع وأما

قتال الكر والقر فليس فيه من الشدة والامن من الهزيمة ما في قتال الزحف لانهم قد يتخذون وراءهم في القتال مصافاً ثابتاً يلجئون اليه في الكر والقر ويقوم لهم مقام قتال الزحف كما نذكره بعد ثم ان الدول القديمة الكثيرة الجنود المتسعة الممالك كانوا يسعون الجيوش والعساكر اقساما يسعونها كاديس ويسعون في كل كردوس صفوه وسبب ذلك انهم كانوا كثير جنودهم الكثرة الباقية وحشدوا من قاصية النواحي استدعى ذلك ان يجهل بعضهم بعضا اذا اختلطوا في مجال الحرب واءتروا مع عدوهم الطعن والضرب فيحشوا من تدافعهم فيما بينهم لاجل الشكراء وجعل بعضهم بعض فلذلك كانوا يسعون العساكر جوعا ويضمون المتعارفين بعضهم لبعض ويرتبونها قريسا من الترتيب الطبيعي في الجهات الاربع ورئيس العساكر كلهم من سلطان أو قائد في القلب ويسعون هذا الترتيب التسمية وهو مذكور في أخبار فارس والروم والدولتين صدر الاسلام فيجعلون بين يدي الملك عسكرا منفردا بصفوه مقبلا بقائده ورايته وشعاره ويسعون المقدمة ثم عسكرا آخر من ناحية اليمين عن موقف الملك وعلى سمته يسعون المنة ثم عسكرا آخر من ناحية الشمال كذلك يسعون المصرة ثم عسكرا آخر من وراء العسكر سمونه الساقة ويقف الملك وأصحابه في الوسط بين هذه الاربع ويسعون موقفه القلب فاذا تم لهم هذا الترتيب المحكم اما في مدى واحد للبصر أو على مسافة بعيدة أكثرها اليوم واليومان بين كل عسكرين منها أو كيفما أعطاه حال العساكر في القلة والكثرة في تذييل يكون الزحف من بعد هذه التسمية وانظر ذلك في أخبار امة وحادث وأخبار الدولتين بالشرق وكيف كانت العساكر لعهد عبد الملك تختلف عن رجله بعد المدى في التعبئة فاحتج بان يسوقها من خلفه وعن ذلك الجاحج بن يوسف كما أشرنا اليه وكما هو معروف في أخباره وكان في الدولة الأموية بالاندلس أيضا كثير منه وهو مجهول في بلادنا لانما أدر كان ولا قليلا العساكر لا تنتهي في مجال الحرب الى التناكر بل أكثر الجيوش من العائقتين معا يجتمعن لمناخه أو مدنية ويعرف كل واحد منهم قرنه ويناديه في حومة الحرب باسمه ولقبه فاستغنى عن تلك التسمية

(فصل) ومن مذاهب أهل الكر والقر في الحروب ضرب المصاف وراء عسكرهم من الجمادات والحيوانات العجم فيتخذونها ملجأ للنبالة في كسرهم وفرقهم يطلبون به شات المقاتلة ليكون أديم الحرب وأقرب الى القلب وقد يفعل أهل الزحف أيضا ليزيدهم نباتا وشدة فقد كان الفرس وهم أهل الزحف يتخذون الضيلة في الحروب يمدون عليها أبراجا من الخشب أمثال الصروح مشحونة بالمقاتلة والسلاح

والرايات ويصفون بأوزارهم في حومة الحرب كأنهم حصون فتقوى بذلك نفوسهم  
ويرددون نفوسهم وانظروا وقع من ذلك في القادسية وأن فارس في اليوم الثالث اشتدوا  
بها على المسلمين حتى اشتدت رجالات من العرب على الطور وبهجوها بالسوف في  
خراطيمها فغرت ونصصت على أعقابها إلى مرابطها بالمدائن فجعلها مستكر فارس  
لذلك رانهم زمواني اليوم الرابع • وأما الروم وملوك القوط بالاندلس وأكثرا الجهم  
فصكواوا يتخذون ذلك الأسيرة ينصون للملك سريزه في حومة الحرب ويصفون  
خدمه وحاشيته وجنوده من هوزيم بالاستماتة دونه وترفع الرايات في أركان السير  
ويحدونه سباح آخر من الزما والرحلة فيعظم هيكل السير ويصير فتنة للمقاتلة وملأ  
السكر والقمر وجعل ذلك القوس أيام القادسية وكان رسمه بالسيف على سريره  
لجأه حتى اختلقت صفوف فارس وخالطه العرب في سريزه ذلك فتعزل عنه إلى  
الفرات وقتل • وأما أهل الكرك والقمر من العرب وأكثرا الامم البدوية الرحلة  
فبصفون لذلك الجهم والتظهر الذي يصل لظلماتهم فيكون فتنة لهم ويسمونهم الجحونة  
وليس أمة من الامم الا وهي تفعل ذلك في حروبها وزمما وتوق في الجولة وآمن من الغيرة  
والهزيمة وهو أمر مشاهد وقد انقضت الدول لعهدنا بالجيلة واعتاضوا عنه بالظهر  
الحامل للانتقال والفساطحة يصطوبها سائق من خلفهم ولا تقضي غناه الفيلة والابل  
فصاروا الساسك كذلك عرضة للزائم ومستعرة للقراري المواقف • وكان  
الحرب أقول الاسلام كله زخا وكان العرب انما يعرفون الكرك والفرات لكن جعلهم على  
ذلك أقول الاسلام أمران أحدهما أن عدوهم كانوا يقاتلون زخفا فيضربون إلى  
مقاتلهم مثل قتالهم الثاني أنهم كانوا مستقيين في جهادهم لما رغبوا فيه من الصبر وال  
رسم فيهم من الإيمان والزحف إلى الاستماتة أقرب • وأقول من أبطل الصف في  
الحروب وصار إلى التعبية كراديس مروان بن الحكم في قتال الفضالة الخارجي  
والحبيري بعده قال الطبري الماذكر قتال الحبيري يقول الخوارج عليهم شيان بن عبد  
العزير الشكري ويلقب بأماندائه وقتلهم مروان بعد ذلك بالكراديس وأبطل  
الصف من يومئذ انتهى فتنوسى قتال الزحف بأبطال الصف ثم تنوسى الصف وراء  
المقاتلة بجاء داخل الدول من الترف وذلك أنها حينما كانت بدوية وسكانهم انهم كانوا  
يستكثرون من الابل وسكنى النساء والولدان معهم في لاجية فلم يصلوا على زرف  
الملك وأنفوا سكنى القصور والخوانسور تركوا شأن البادية والقفروا ذلك عهد  
الابل والطعان وصعب عليهم اتخاذها فخلعوا النساء في الاسفار وحملهم الملك والترف  
على اتخاذ النساء لطيف والاختبة فاقصر وأعلى الظهر الحامل للانتقال والابنية وكان

ذلك صفتهم في الحرب ولا يغني كل الغناء لانه لا يدعوا الى الاستقامة كما يدعوا اليها الاذل  
والمال فيصف الصبر من أجل ذلك وتعرفهم الميعات وتغرم صفوفهم

(فصل) ولما ذكرنا من ضرب المصاف وراه العساكر وتأكد في قتال الكثر  
والفرصار مولك المغرب يتخذون طائفة من الافرنج في جندهم واختصوا بذلك لأن  
قتال أهل وطنهم كله بالكبر والفر والفر والفر تأكد في حقهم ضرب المصاف لكبر ردا  
للمقاتلة أمامه فلا بد وأن يكون أهل ذلك الصف من قوم متعودين للثبات في الزحف  
والأجفلاو على طريقة أهل الكبر والفر فأنهزم السلطان والعساكر بأجفلاهم  
فاحتاج المولى بالمغرب أن يتخذوا جندا من هذه الامة المتعوده للثبات في الزحف وهم  
الافرنج ويرتبون مصافهم المحدق بهم منها هذا على ما فيه من الاستعانة بأهل الكفر  
وانما استخفوا ذلك للضرورة التي أربنا كها من تخوف الأجفلا على مصاف السلطان  
والافرنج لا يعرفون غير الثبات في ذلك لأن عادتهم في القتال الزحف فكانوا أقوم بذلك  
من غيرهم مع أن المولى في المغرب انما يفعلون ذلك عند الحرب مع أم العرب والبربر  
وقتا هم على الطاعة وأما في الجهاد فلا يستعينون بهم حذو من عمالاتهم على المسلمين  
هذا هو الواقع بالمغرب لهذا العهد وقد أبدى ناسبيه والله بكل شيء عليم  
(فصل) وبلغنا أن أم الترك لهذا العهد قتالهم مناضلة بالسهم وأن تعبته الحرب  
عندهم بالمصاف وأنهم يسمعون بثلاثة صفوف يضربون صفوا وراصف ويتربجلون  
عن خيولهم ويفترغون سهامهم بين أيديهم ثم يتناضلون جلوسا لكل صف رده الذي  
أمامه أن يكسبهم العدو إلى أن يتم النصر لاحدى الطائفتين على الاخرى وهي  
تعبية محكمة غربية

(فصل) وكان من مذاهب الاول في حروبهم حفر الخنادق على معسكرهم عند  
ما يتقاربون للزحف حذرا من معرفة البليات والهجوم على العسكر بالليل لما في ظلمته  
ووحشته من مضاعفة الخوف فيلوذ الجيش بالقرار رقبه النفوس في الظلمة سترامن  
عاره فاذ انما رافى ذلك أربف العسكر ووقعت الهزيمة فكانوا لذلك يهتفرون  
الخنادق على معسكرهم اذا نزحوا وضربوا أغنيتهم ويديرون الحفائر نطقا فاعلمهم من  
جميع جهاتهم حرصا أن يحاط بهم العدو بالبليات فيخذلوا وكانت للدول في أمثال  
هذا قوة وعناية اقتدارا باحتشاد الرجال وجمع الايدي عليه في كل منزل من منازلهم بما  
كانوا عليه من وفور العمران وخصامة الملك فلما خرب العمران وتبعه ضعف الدول  
وقلة الجنود وعدم النقلة نسي هذا الشأن جملة كانه لم يكن والله خير القاديرين وانظر  
وصية على رضى الله عنه وتقر يرضه لاصحابه يوم صفين تجدد كثيرا من علم الحرب ولم يكن

أحد أبصر به لمنه قال في كلامه فسو واصفوكم بالبيان المرموص وقدموا  
 المدارع وأخروا الحامر وعضوا على الأضراس فانه أنى للسوق عن الهام والتروا  
 على أطراف الرماح فانه أصون للإسنة وغضوا البصائر فانه أربط للجان وأسكن  
 للقلوب واخفوا الأصوات فانه أطرد للفنسل وأولى بالوقار وأقبوا إياكم فلا  
 تميلوها ولا تجعلوها إلا بأيدى شجعانكم راستعينوا بالصدق والصبر فانه بقدر الصبر  
 ينزل النصر وقال الاشتريومثد يحرض الأزد عضوا على التواجد من الأضراس  
 واستقبلوا القوم بهلمكم وشذوا شذو قوم موثريين ذأرون بآبائهم وأخوانهم حناها  
 على عدوهم وقد وطنوا على الموت أنفسهم ثلاث سبعة وأوتروا ولا يلحقهم في المدياعار  
 وقد أنار إلى كثير من ذلك أبو بكر الصري في شاعرته وأهل الاندلس في كلمة يدح بها  
 ناشقين بن علي بن يوسف ووصف شأته في حرب شهداها ويذكره بأمر الحرب في  
 وصايا ونذرات تنهك على معرفة كثير من سياسة الحرب يقول فيها

يا أيها الملأ الذي يتقنع \* من منكم الملك الهام الاروع  
 ومن الذي غدر العدو به دجى \* فاقض كل وهو لا يستزع  
 تخفى الفوارس والطعان يمتدأ \* عنه ويدمرها الوفاء فترجع  
 والليل من وضع الترائك انه \* صبح على هام الجيوش يلح  
 أتى فزعم يابى منهاجحة \* والميكو في الروع كان المنزع  
 انسان عين لم يصبه منكم \* حزن وقلب أملت له الاضلع  
 وصددقو عن ناشقين وانه \* لعقابه لوئاء فيكم موضع  
 ما أنتموا الا أسود خفية \* كل لكل كربة مستطلع  
 يا ناشقين أقسم بجليلك عذره \* بالليل والنقد الذي لا يدفع  
 (ومنها في سياسة الحرب)

أهديك من أدب السياسة ما به \* كانت ملوك القرس قبلك تولع  
 لأننى أدري بها الصككها \* ذكرى تحض المؤمنين وتنفع  
 والبس من الخلق المضاعفة التي \* وصى بها صنع الصنائع تبع  
 والهند والى الرقيق فانه \* أمضى على جد الدلاص وأقطع  
 وأركب من الخيل السوابق عذة \* حصنا حصينا ليس فيه مدفع  
 خندق عليك اذا ضربت محلة \* سبان تتبع ظانرا أو تتبع  
 والواد لا تعبوه وانزل عنده \* بين العدو وبين جيشك بقطع  
 واجعل مناجرة الجيوش عشية \* ووراء الصدق الذي هو أمنع

واذا تضايقت الجيوش بمعرك \* ضحك فأطراف الرياح توسع  
 واصدحه أول وهلة لا تكترث \* شيئاً فاطهار التكلول يضعف  
 واجعل من اطلاع أهل شهامة \* للصدق فيهم شعبة لا تخضع  
 لانزع الكذاب حاطه رجفا \* لا رأى للكذاب فيما يصنع

قوله واصدحه أول وهلة لا تكترث أليست مخالفاً لما عليه الناس في أمر الحرب فقد  
 قال عمر لابي عبيد بن مسعود الثقفي لما ولاه حرب فارس والعراف فقال له اسمع وأطع  
 من أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم وأشر كهم في الأمر ولا تجبن تسرع حتى  
 تبين فانه الحرب ولا يصلح لها إلا الرجل المكث الذي يعرف الفرصة والكف وقوله  
 في أخرى انه لن ينجح من أن أوامر سليطا الاسرعة في الحرب وفي التسرع في الحرب إلا  
 من بيان ضياع والله لولا ذلك لآثرته لكن الحرب لا يصلحها إلا الرجل المكث هذا  
 كلام عمر وهو شاهد بأن التنافل في الحرب أولى من الخوف حتى تبين حال تلك الحرب  
 ولت عكس ما قاله الصيرفي الآن يريد أن الصدم بعد البيان فلا وجه والله تعالى أعلم  
 (فصل) ولا ووف في الحرب بالظفر وان حصلت أسبابه من العدة والعيد وانما  
 الظفر فيها والغلب من قبيل البحث الاتفاق وبيان ذلك أن أسباب الغلب في الأكثر  
 مجمعة من أمور ظاهرة وهي الجيوش ووفورها وكال الأسلحة واستعدادها وكثرة  
 الشجعان وترتيب المصاف ومنه صدق قتال وما جرى مجرى ذلك ومن أمور خفية  
 وهي أمان خدع البشر وحياتهم في الارباب والتشايخ التي يقع بها التخاذل وفي  
 التقدم الى الاماكن المرتفعة ليكون الحرب من أعلى فيتوهم المنخفض لذلك وفي  
 الكمون في الفياض ومطعم الأرض والتواري بالكدي عن العدو حتى يتداولهم  
 العسكرية وقد تورطوا فيتلتمون الى النجاة وأمثال ذلك وانه أن تكون تلك  
 الأسباب الخفية امورا مجاورة لاقدرة للبشر على اكتسابها تلي في القلوب فيستولى  
 رهب عليهم لا جلاها فتقتل من اكرهم فتقع الهزيمة را ثم ما تقع الهزائم عن  
 هذه الأسباب الخفية لكثرة ما يعقل لكل واحد من الفريقين فيها حراص على الغلب  
 فلا بد من وقوع التأخير في ذلك لاحدهما ضرورة ولذلك حال صلى الله عليه وسلم الحرب  
 خدعة ومن أمثال العرب رب حيلة أنفع من قبيلة فقد تبين أن وقوع الغلب في  
 الحروب غالباً عن أسباب خفية غير ظاهرة ووقوع الاشياء عن الأسباب الخفية هو  
 معنى البحث كما ترز في موضعه فاعتبره وتنبه من وقوع الغلب عن الامور السماوية  
 كما شرحتا معنى قوله صلى الله عليه وسلم نصرت بالعرب مسيرة شهر وما وقع من غلبه  
 للمشركين في حياته بالعدد القليل وغلب المسلمين بعده كذا في الفتوحات

فان الله سبحانه وتعالى تكفل لثيابه بالقائه الرعب في قلوب الكافرين حتى يستولى  
 على قلوبهم فينهزجوا بهزوا لرسوله صلى الله عليه وسلم فكان الرعب في قلوبهم سببا  
 للهزائم في الفتوحات الاسلامية كلها الا انه غنى عن العيون \* وقد ذكر  
 الطرطوشي ان من اسباب الغلب في الحروب أن تحصل عذة الفرسان المشاهير من  
 لشجعان في أحدهم على عدتهم في الجانب الآخر مثل أن يكون أحد الجانبين  
 في عشرة أو عشرين من الشجعان المشاهير وفي الجانب الآخر جماعة أو ستة عشر  
 فألجأت الزائد ولو هو واحد يكون له الغلب وأعاد في ذلك وأبدى وهو راجع إلى الأسباب  
 الظاهرة التي قد متناول ليس بصحيح وإنما الصحيح المعترف في الغلب حال العصبية أن يكون  
 في أحد الجانبين عصبية واحدة جامعة لكلهم وفي الجانب الآخر عصاب متعده  
 لأن العصاب إذا كانت متعده يقع بينهما من التضاد ما يقع في الوجدان المتفرقين  
 الفاعلين للعصبية إذ تنزل كل عصابة منهم منزلة الواحد ويكون الجانب الذي عصابته  
 متعده لا يقاوم الجانب الذي عصبية واحدة لأجل ذلك فتفهمه واعلم أنه أصبح في  
 الاعتبار مملأ به الطرطوشي ولم يجعله على ذلك إلا لبيان شأن العصبية في حله  
 وبطله وانهم انما يرون ذلك الدفاع والحماية والمطالبة إلى الوجدان والجماعة الناشئة  
 عنهم لا يدعرون في ذلك للعصبية ولا نسباً وقد بينا ذلك أول الكتاب مع أن هذا أولاً مثاله على  
 تقدير حتمته انما هو من الأسباب الظاهرة مثل اتفاق الجيش في العدة وصدق القتال  
 وكثرة الاسلحة وما أشبهها فكيف يجعل ذلك كسبلاً للذنب ونحن قد ذكرنا لك الآن  
 أن شيئاً منها لا يعارض الأسباب الخفية من الحيل والتداع ولا الأمور السماوية من  
 الرعب والخذلان الإلهي ففهمه وقهم أحوال الكون والله قد راليل والنهار  
 (فصل) ويلحق بمعنى الغلب في الحروب وأن أسبابه خفية وغير طيبة حال الشهرة  
 والصيت فقل أن تصادف موضعها في أحد من طبقات الناه من الملوك والعلماء  
 والصالحين والمتصلين للفضائل على العموم وكثير من اشتهر بالشرف وهو بخلافه وكثير  
 ممن تجاوزت عنه الشهرة وهو أحق بها وأهلها وقد تصادف موضعها وتكون طبقاً  
 على صاحبها والسبب في ذلك أن الشهرة والصيت انما هما بالآخبار والآخبار يداخلها  
 الذهول عن المقاصد عند التنقل ويدخلها التعصب والتشيع ويدخلها الأوهام  
 ويدخلها الجهل بمطابقة الحكايات للأحوال نفاثتها بالتليس والتضيق أو الجهل  
 التنقل ويدخلها التقرب لأصحاب التهمة والمراتب الدينية بالنماء والمدح وتخصين  
 الأحوال وإشاعة الذكر بذلك والنفس مولعة بحب النماء والناس متطلون إلى  
 الدنيا وأسبابها من جاه أو ثروة وليسوا في الأكثر راغبين في الفضائل ولا منافسين في



أهلها وأبن مطابقة الحق مع هذه كلها فقتل الشهرة عن أسباب خفية من هذه  
وتكون غير مطابقة وكل ما حصل بسبب خفي فهو الذي يعبر عنه بالبحث كما تقرر والله  
سبحانه وتعالى أعلم به التوفيق

### ٣٩ (فصل في الجباية وسبب قتلها وكثرتها)

اعلم أن الجباية أول الدولة تكون قليلة الوزائع كثيرة الجملة وآخر الدولة تكون كثيرة  
الوزائع قليلة الجملة والسبب في ذلك أن الدولة إن كانت على سنن الدين فليست  
الامقارم الشرعية من الصدقات والخراج والجزية وهي قليلة الوزائع لأن مقدار  
الزكاة من المال قليل كما علمت وكذا زكاة الحبوب والماشية وكذا الجزية والخراج  
وجميع المقارم الشرعية وهي حدود لا تتعدى وإن كانت على سنن التغلب والعصية  
فلا يتعدى من البداوة في أولها كما تقدم والبداهة تقتضي المسامحة والمكارمة وخفض  
الجناح والتجافي عن أموال الناس والفقلة عن تحصيل ذلك إلا في النادر فيقل لذلك  
مقدار الوظيفة الواحدة والوزيرة التي تجمع الأموال من مجموعها وإذا قلت الوزائع  
والوظائف على الرعايا نشطوا للعمل ورغبوا فيه فكثرت الاعتماريات ويزيد محصول الاعتياد  
بقلة المغموم وإذا كثرت الاعتماريات كثرت أعداد تلك الوظائف والوزائع فكثرت الجباية التي  
هي جملتها فإذا استمرت الدولة واتصلت وتعاقب ملوكها واحد بعد واحد واتفقوا  
بالعكس وذهب شر البداهة والسذاجة وخافها من الأغنياء والتجافي وباه الملك  
العنوض والحضارة الداعية إلى الكيس وتخلق أهل الدولة حينئذ بتخلق التخلق  
وتكثرت عوائدهم وحوائجهم بسبب ما انعموا فيه من النعم والترف فيكثرون  
الوظائف والوزائع حينئذ على الرعايا والأكرة والفلاحين وسائر أهل المقارم ويزيدون  
في كل وظيفة ووزيرة مقدار اعطياهم الكثير لهم الجباية ويضعون المكس على  
البابيات وفي الأبواب كما ذكر بعد ثم تدرج الزيادات فيها بعدد وبعدهم مقدار تدرج  
عوائدهم في الدولة في الترف وكثرة الحاجات والاتفاق بسببه حتى تنقل المقارم على الرعايا  
وتنهم وتضيع عادة مفروضة لأن تلك الزيادة تدرج قليلا قليلا ولم يشعر أحد بمن  
فادها على التعيين ولأنهم هو واضعها انما يتعسف على الرعايا في الاعتمار لذهاب الأمل من  
نفسهم بقلة النفع إذا قابل بين نفعه ومغارمه وبين غمرته وفائدة فنقص كثير من  
الأيدي عن الاعتمار لجهلهم فنقص جملة الجباية حينئذ بنقصان تلك الوزائع منها وربما  
يزيدون في مقدار الوظائف إذا رأوا ذلك النقص في الجباية ويحسبونه جبر المناقص  
حتى تنتهي كل وظيفة ووزيرة إلى غاية ليس وراءها نفع ولا فائدة لكثرة الاتفاق حينئذ

في الاعتماد وكثرة المغارم وعدم وفاء الفائدة المرجوة به فلا تزال الجبلية في نقص  
ومقدار الوظائف والوظائف في زيادتها يعتقدونه من جبر الجبلية بما إلى أن ينقص  
ال عمران بندها بالآمال من الاعتماد ويعود بال ذلك على الدولة لأن فائدة الاعتماد  
عائدة اليها وإذا فهمت ذلك علمت أن أقوى الأسباب في الاعتماد تقليل مقدار الوظائف  
على المعمرين ما أمكن فبذلك تنبسط النفوس اليه لثقتها بادرال المنفعة فيه واقه  
سبعائه وتعالى مالك الامور كلها ويسد مملكون كل شئ

#### ٤٠ (فصل في ضرب المكوس او اخر الدولة)

اعلم أن الدولة تكون في أولها بدو به كما قلنا فتكون لذلك قليلة الحاجات لعدم  
الترف وعوائده فيكون خرجها وانفاقها قليلا فيكون في الجبلية حينئذ وفاء بأزديتها  
بل يفضل منها كثير عن حاجتهم ثم لا تلبث أن تأخذ بن الحاضرة في الترف وعوائدها  
وتجبر على نهب الدول السابقة قبلها فيكثر لذلك خراج أهل الدولة ويكثر خراج  
السلطان خصوصا كثرة بالغة بنقته في خاصته وكثرة عطائه ولأن في ذلك الجبلية  
فتحتاج الدولة الى الزيادة في الجبلية لما تحتاج اليه الخامية من العطاء والسلطان من  
النفقة فيزيد في مقدار الوظائف والوظائف أولا كما قلناه ثم يزيد انخراج والحاجات  
والدريج في عوائد الترف وفي العطاء للخامية ويدرك الدولة الهرم ونقص عسايتها  
عن جباية الاموال من الاعمال والقاصية فتقل الجبلية وتكثر العوائد ويكثر بكثرتها  
أرزاق الجند وعطاؤهم فيستحدث صاحب الدولة أنوعا من الجبلية يضر بها على  
البياعات ويقرض لها قدر ما معلوما على الأمن في الاسواق وعلى أعيان السلع  
في أموال المدينة وهو مع هذا مضطر لذلك بما دعاه اليه ترف الناس من كثرة العطاء  
مع زيادة الجيوش والخامية ورجمايز بذلك في أواخر الدولة زيادة بالغة فتكسر  
الاسواق وانقصاد الآمال ويؤذن ذلك باختلال العمران ويعود على الدولة ولا يزال  
ذلك يتزايد الى أن تضجمل وقد كان وقع منه بأمصا المشرق في آخريات الدولة  
العباسية والعبيدية كثير وفرضت المغارم حتى على الحاج في الموسم وأسقط صلاح  
الدين أيوب تلك الرسوم جله وأغاضها بما ماوا الخبر وكذلك وقع بالاندلس لعهد  
الطوائف حتى محارمه يوسف بن تاشفين أمير المرابطين وكذلك وقع بأمصا الجريد  
بأمر ربيعة لهذا العهد حين استبد بها رؤساؤها والله تعالى أعلم

#### ٤١ (فصل في التجارة من السلطان مضرة بالرعابا مفسدة للجبلية)

اعلم أن الدولة إذا ضاقت جبايتها بما قدمناه من الترف وكثرة العوائد والنفقات وقصر

الحاصل من جبايتها على الوفا بمطالبها ونفقاتها واحتاجت الى مزيد المال والجباية  
قتارة توضع المكوس على بيعات الرعايا وأسواقهم كما قلنا ذلك في الفصل قبله وتارة  
بالزيادة في القباب المكوس ان كان قد استحدث من قبل وتارة بمقاسمة العمال والجباية  
وامتلاك عظامهم ليربون أنهم قد حصلوا على شيء طائل من أموال الجباية لا يظهره  
الحسبان وتارة باستحداث التجارة والقلاحة للسلطان على تسمية الجباية ليربون  
التجار والقلاحين يحصلون على القوائد والغلات مع بساطة أموالهم وأن الأرباح  
تكون على نسبة رؤوس الاموال فيأخذون في اكتساب الحيوان والنبات لاستغلاله  
في شراء البضائع والتعرض به لحالة الاسواق ويحسبون ذلك من امداد الجباية  
وتكثر القوائد وهو غلط عظيم وادخال الضرر على الرعايا من وجوه متعددة فأولا  
مضايقة القلاحين والتجار في شراء الحيوان والبضائع وتيسر اسباب ذلك فان الرعايا  
مشككون في اليسار متقاربون وعزاجه بعضهم بعضا تنتهي الى غاية موجودهم  
أو تقرب واذ اراقهم السلطان في ذلك وماله أعظم كثيرا منهم فلا يكاد أحد منهم  
يحصل على غرضه في شيء من حاجاته ويدخل على النفوس من ذلك غم ونكد ثم  
ان السلطان قد يتزعج الكثير من ذلك اذا تعرض له غش أو بأسر عن أول ما يجلس  
بناقشه في شرائه فيجسس عنه على بائعه ثم اذا حصل قوائد القلاحة ومغلاها كله من  
زرع أو حرر أو عمل أو سكر أو غير ذلك من أنواع الغلات وحصلت بضائع التجارة  
من سائر الانواع فلا يفترون به حوالة الاسواق ولا اتفاق البائعين لما يدعوهم اليه  
تسكالف الدولة فيكلفون أهل تلك الاصناف تاجر أو فلاح بشرائهم تلك البضائع  
ولا يرضون في أثمانها الا القيم وأزيد فيستوعبون في ذلك ناض أموالهم وتبقى تلك  
البضائع بأيديهم عروضا جامدة ويمكثون عطلا من الادارة التي فيها كسبهم ومعاشهم  
وربما تدعوهم الضرورة الى شيء من المال فيبيعون تلك السلع على كساد من الاسواق  
بأبخس ثمن وربما تكرر ذلك على التاجر والقلاح منهم بما يذهب رأس ماله فيقع  
عن سوقه ويتعد ذلك ويكرر ويدخل به على الرعايا من الغت والمضايقة وقاد  
الارباح ما يقبض آمالهم عن السعي في ذلك جله ويؤدي الى فساد الجباية فان معظم  
الجباية انما هي من القلاحين والتجار لا سيما بعد وضع المكوس ونحو الجباية بها فاذا  
انقبض القلاحون عن القلاحة وقعد التجار عن التجارة ذهبت الجباية جله أو دخلها  
النقص المتفاحش واذ اهايس السلطان بين ما يحصل له من الجباية وبين هذه الارباح  
القليلة وجدها بالنسبة الى الجباية أقل من الظليل ثم انه ولو كان يقصد افيضه  
بخط عظيم من الجباية فيباعها من شراء أو بيع فانه من البعيد ان يوجد فيه من

المكس ولو كان غيره في تلك الصفقات لكان تكسبها كلها حاصل من جهة الجباية ثم فيه التعرض لاهل عمرانه واختلال الدولة بفسادهم ونقصه فان الرعايا اذا قعدوا عن توفير أموالهم بالنزاحة والتجارة نقصت وتلاشت بالتفقات وكان فيما تلاف أحوالهم قافهم ذلك وكان القرض لا يمكن كون عليهم الا من أهل بيت المملكة ثم يختارونه من أهل الفضل والدين والادب والسخاء والشجاعة والكرم ثم يشترطون عليهم مع ذلك العدل وأن لا يتخذ منعة فيضرب بجبرانه ولا يتاجر فيصيب غلاء الاسعار في البضائع وأن لا يستخدم العبيد فانهم لا يشعرون بخير ولا مصلحة • واعلم أن السلطان لا ينبغي ماله ولا يدوم وجوده الا بالجباية وادارها انما يكون بالعدل في أهل الاموال والنظر لهم بذلك فبذلك تنسبط أموالهم وتشرح صدورهم ولا اخذ في تغير الاموال وتمنعها فتعظم منها جباية السلطان وأما غير ذلك من تجارة أو فسخ فانهما مضرّة عاجلة للرعايا وفساد للجباية ونقص للعمارة وقد ينتمى الحال بهم ولولا المتسكين التجارة والفلاحة من الاصرار والمتغلبين في البلدان انهم يتعرضون لشراء الغلات والسلع من أربابها الواردين على بلدهم ويفرضون لذلك من الثمن ما يشاؤون ويبيعونها في وقتها لمن تحت أيديهم من الرعايا بفرضون من الثمن وهذه أشد من الاولى وأقرب الى فساد الرعية واختلال أحوالهم وربما يحصل السلطان على ذلك من يد اخله من هذه الاصناف أعنى التجار والفلاحين لما هي صناعته التي نشأ عليها فيحصل السلطان على ذلك ويضرب معه بسهم نفسه يحصل على غرضه من جمع المال سر يعاسي مع ما يحصل له من التجارة بلا مغرم ولا مكس فانها أجدد بنقود الاموال وأسرع في تغيره ولا يفهم ما يدخل على السلطان من الضرر بنقص جبايته فيبقى السلطان أن يحذر من هؤلاء ويعرض عن سعياتهم المضرة بجبايته وسلطانه والله يلهمنا رشداً ونففسنا ونفعنا بالصالح الاعمال والله تعالى أعلم

#### ٤٢ (فصل في ان ثروة السلطان وحاشيته انما تكون في وسط الدولة)

والسبب في ذلك أن الجباية في أول الدولة تنوزع على أهل القبل والعصية بمقدار غنائمهم وعصبيتهم ولأن الحاجة اليهم في عهد الدولة كما قلنا من قبل فرئيسهم في ذلك متضاف لهم عساكرهم اليهم الجباية معنّاه عن ذلك بما هو روم من الاستعداد عليهم فله عليهم عزة وله اليهم حاجة فلا يطير في سهمانه من الجباية الا الاقل من حاجته فتبصر حاشيته لذلك وأذياه من الوزراء والكاتب والموالي علقين في القالب وجاههم متخلص لانه من جاء محمد ومهم ونطاقه قد ضاق بمن يراجه فيه من أهل عبيته فاذا

استعملت طبعة الملك وحصل لصاحب الدولة الاستبداد على قومه قرض أيديهم  
عن الجبايات إلا ما يطير لهم بين الناس في سمانهم وتقل حقلو عليهم اذ ذللتهم عنائهم  
في الدولة بما انكسر من أعتهم وصاروا الى والصنائع مساهمين لهم في القيام بالدولة  
وقهيد الامر فينفرد صاحب الدولة حينئذ بالجباية أو معظمها ويحتوى على الاموال  
ويصحبها النفقات في مهمات الاحوال فتكثر رونه ويقل عزائنه ويتسع نطاقها  
ويقتصر على ما يرقوم فيعظم حال حاشيته وذويه من وزير وكتاب وحاجب ومولى  
وشرطي ويتسع جاههم ويقتنون الاموال ويتأثرون بها ثم اذا أخذت الدولة في الهرم  
بشلاشي العصية وفناء القليل الماهدين للدولة احتاج صاحب الامر حينئذ الى  
الاحوان والانصار لكثرة الخواارج والمنازعين والثوار فوهم الانتقاض فصار  
خواجه نظرائه وأعرائه وهم أرباب السيوف وأهل العصيات وأنفق خزائنه  
وسايله في مهمات الدولة وتقلت مع ذلك الجباية لما قد مناه من كثرة العطاء والاتفاق  
فقلل الخراج وتشتد حاجة الدولة الى المال فيقلص ظل النعمة والترف عن الخواص  
والجباب والكتاب يتقلص الجاه عنهم وضيق نطاقه على صاحب الدولة ثم تشتد حاجة  
صاحب الدولة الى المال وتشتد أبناء البطانة والحاشية مأثله آثوهم من الاموال  
في غير سيلاهم اعانة صاحب الدولة ويقبلون على غير ما كان عليه آثوهم وسلطهم من  
المناصحة ويرى صاحب الدولة أنه أحتى تلك الاموال التي اكتسبت في دولة سلفه  
وبجاههم فيصلها ويترجمها منهم لنفسه شيئا فشيئا وواحد بعد واحد على نسبة رتبهم  
وتتكرر الدولة لهم ويعودون بال ذلك على الدولة بفناء حاشيتها ورجالها وأهل التروة  
والنعمة من بطانتها ويتقوض بذلك كثير من مبادئ المجد بعد أن يدعه أهلها ويرفعوه  
واقلروا وقع من ذلك لوزراء الدولة العباسية في بني قطبة وبني برمك وبني سهل وبني  
طاهر وأمثالهم ثم في الدولة الاموية بالاندلس عند انحلالها أيام الطوائف في بني شهيد  
وبني أبي عبدة وبني حدير وبني برداء أمثالهم وكذا في الدولة التي أدركاها العهد ناسنة  
الله التي قد خلت في عبادته

(فصل) ولما توقع أهل الدولة من أمثال هذا المعاطب صار الكثير منهم يفرعون  
الى القراوين والرتب والتخلص من ربة السلطان بما حصل في أيديهم من مال الدولة  
الى قطر آخر ويرون أنه أهنا لهم وأسلم في اتفاه وحصول غرته وهو من الاعطال  
الفاخرة والالوهام المسعدة لاحوالهم وديارهم واعلم أن الخلاص من ذلك بعد  
الحصول فيه عبر منع فان صاحب هذا الغرض اذا كان هو الملك نفسه فلا يمكنه  
الرجوع من ذلك طريقة عين ولا أهل العصية المزاجون ليل في ظهور ذلك منه عنهم

للملكة واتلاف لنفسه بجاري العادة بذلك لأن ربة الملك يصير الخلاص منها سببا عند  
 استعمال الدولة ووضق نطاقها وما يمرض فيها من البعد عن المجد والخلال والخلق  
 بالشر وأما إذا كان صاحب هذا الغرض من بطانة السلطان وحاشيته وأهل الرتب  
 في دولته فقل أن يحظى بينه وبين ذلك أما أولا فللملأمة الملوك أن ذوهم وحاشيتهم بل  
 وسائر عباياهم عماليك لهم مطلقون على ذات صدورهم فلا يسمعون بحمل ربة منهم  
 الخدمة ضنا بأسرارهم وأحوالهم أن يطلع عليها أحد وغيره من خدمته لسواهم ولقد  
 كان نبوأمية بالاندلس ينعون أهل دولتهم من السفر لفريضة الحج لما يتوهمونه من  
 وقوعهم بآيدي بني العباس فلم يحج سائر أيامهم أحد من أهل دولتهم وما أبيع الحج  
 لأهل الدول من الاندلس إلا بعد فراغ شأن الاموية ورجوعها إلى الطوائف وأما  
 ما يافلانهم وان سمو بحمل ربة هو فلا يسمعون بالتصافي عن ذلك المال لما يرون  
 أنه جر من ماله من كاريون أنه جر من دولتهم ان لم يكتب الاجاوفي نل تجاهاتهم  
 نفوسهم على انتزاع ذلك المال والتقامه كما هو جر من الدولة ينفقون به ثم إذا  
 توهمنا أنه خلع بذلك المال إلى قطر آخر وهو في النادر الأقل فتمتد إليه أعين الملوك  
 بذلك القطر ويتزعونه بالارهاب والتخويف تضرضا أو بالقهر ظاهرا لما يرون أنه مال  
 الجباية والدول وأنه مستحق للاتفاق في المصالح وإذا كانت أعينهم تمتد إلى أهل الثروة  
 واليسار المتكسبين من وجوه المعاش فأسرى بها أن تمتد إلى أموال الجباية والدول  
 التي تجتهد السبل إليه بالشرع والعادة ولقد حاول السلطان أبو يحيى ذكر ابن أحمد  
 الحيداني تاسع أو عاشر ملوك الخفصيين بأفريقية الخروج عن عهدة الملك والمصالح  
 بمصر فزار من طلب صاحب الثغور الفريضة لما استجمع لقزوتونس فاستعمل الليثاني  
 الرحلة التي نفر طرابلس يورى بجهده وركب السفين من هنالك وخلص إلى  
 الاسكندرية بعد أن حل جميع ما وجدته بيت المال من الصامت والذخيرة وباع كل  
 ما كان يخزأ منهم من المتاع والعقار والجوهر حتى الكتب واحتفل ذلك كله إلى مصر  
 ونزل على الملك التامر محمد بن قلاوون سنة سبع عشرة من المائة الشافعة فأكرم نزله  
 ووقع مجلسه ولم يزل يستخلص ذخيره شيئا فشيئا بالتعريض إلى أن حصل عليها ولم يبق  
 معاش أبي الليثاني إلا في جرايته التي فرض له أن يهلك سنة ثمان وعشرين حبا  
 نذكر مفا أخباره فهذا أو أمثاله من جملة الوسواس الذي يعتري أهل الدول لما  
 يتوهمونه من ملوكهم من المطالب وانما يخلصون ان اتفق لهم الخلاص بأنفسهم  
 وما يتوهمونه من الحاجة فغلط ووهو والذي حصل لهم من الشهرة بخدمة الدول كاف  
 في وجدان المعاش لهم بالجرايات السلطانية أو بالجلد في اتعمال طرق الكسبيين

القبارة والفلاحة والدول أنساب لكن  
التنفس رغبة إذا رغبتها \* وإذا نزل إلى قليل تنقع  
واقفه سبحانه هو الرزاق وهو الموفق عنه وفعله والله أعلم

٤٣ (فصل في ان نقص العطاء من السلطان نقص في الجباية)

والسبب في ذلك أن الدولة والسلطان هي السوق الأعظم للعالم ومنه مادة العمران  
فإذا احتجب السلطان الاموال والجبايات أو نفذت فلم ينصرفها في مصارفها قل حثثت  
ما بأيدي الحاشية والحليمة وانقطع أيضا ما كان يصل منهم لحاشيتهم وذويهم وقلت  
نتجاتهم بجهلهم ومعظم السواد ونفقاتهم أكثر مادة للاسواق من سواهم فيقع  
الكساد حثثت في الاسواق ونقص الارباح في المتاجر فيقل الخراج لذلك لأن الخراج  
والجباية إنما تكون من الاعتمروا المعاملات ونفاق الاسواق وطلب الناس للقوائد  
والارباح ويوال ذلك عائد على الدولة بالنقص لقله أموال السلطان حثثت بقله الخراج  
فإن الدولة كافتائها هي السوق الأعظم أم الاسواق كلها وأصلها ومآذنها في الدخل  
والخرج فان كسدت وقلت مصارفها فأجد وجبايتها من الاسواق أن يلحقها مثل  
ذلك وأشد منه وأيضا فالمل انما هو متردد بين الرعية والسلطان منهم اليه ومنه  
اليهم فإذا حبس السلطان عنده فقدته الرعية سنة الله في عباد

٤٤ (فصل في ان المظلم مؤذن بخراب العمران)

اعلم أن العدو وان على الناس في أموالهم ذاهبا ماله في تصحيلها أو كسبها لما  
برونه حثثت من أن غابها ومصرها انتابها من أيديهم وإذا ذهبت أموالهم في كسبها  
وتصحيلها انتقضت أيديهم عن السعي في ذلك وعلى قدر الاعتداء ونسبته يكون  
انتقاض السعي في الاكتساب فإذا كان الاعتداء كثيرا غاب في جميع أبواب  
المعاش كان القهود عن الكسب كذلك ذاهبا بالأمال جملة بدخوله من جميع  
أبوابها وإن كان الاعتداء مبسرا كان الانتقاض عن الكسب على نسبه والعمران  
ووقوره ونفاق أسواقه انما هو بالأعمال وسعي الناس في المصالح والمكاسب ذاهبين  
وجائين فإذا اعتد الناس عن المعاش وانتقضت أيديهم عن المكاسب كسدت أسواق  
لعمران وانتقضت الاحوال وانذر الناس في الاتقان من غير تلك الآلة في طلب  
الرزق فيعاجز عن نطاقها تخف ساكن القطر وختل ديناره ونزبت أمصاره واختل  
باختلال حال الدولة والسلطان لما أنها صورة للعمران تنسب بقساد ما تهم ضرورة  
وانظر في ذلك ما حكاه المسعودي في أخبار القرس عن الموبدان صاحب ثوبين

عندهم أيام هرام بن هرام وما عرّض به للملك في ابتكار ما كان عليه من الظلم والغفلة عن  
عائده على الدولة بضرب المثال في ذلك على لسان اليوم حين سمع الملك أصواتها وسأله  
عن فهم كلامها فقال لها أن يومًا ذكر ابروم نكاح يوم أثنى وأنها شرطت عليه عشرين قرينة  
من الخراب في أيام هرام فقبل شرطها وقال لها إن دامت أيام الملك أقطعتك الأقربة  
وهذا أسهل مما قتبته الملك من غفلته وخلاب المولى إذ أن وسأله عن مراده فقال له  
أيها الملك إن الملك لا يتم عزه إلا بالشريعة والقيام لله بطاعته والتصرف تحت أخذه  
ونهيته ولا أقوام للشريعة إلا بالملك ولا عز للملك إلا بالرجال ولا أقوام للرجال إلا بالمال  
ولا يصيل إلى المال إلا بالعمارة ولا يصيل للعمارة إلا بالعدل والعدل للميزان المنصوب  
بين الخليفة ونسبه الرب وجعل في قما وهو الملك وأنت أيها الملك عدت إلى الضياع  
فانزعجتهم من أربابها وعمارها وهم أرباب الخراج ومن تؤخذ منهم الأموال والاعمال كلها  
الحشية والتقدم وأهل البطالة فتركوا العمارة والنظر في العواقب وما يصلح الضياع  
وسمحو في الخراج لقرية هم من الملك ووقع الخيف على من بقي من أرباب الخراج  
وعمار الضياع فأنجلوا عن ضياعهم وخلوا ديارهم وآووا إلى ما تعذر من الضياع  
فسكنوها فقلت العمارة خربت الضياع وقلت الأموال وهلك الجنود والحصنة  
وطمع في ملك فارس من جاوهم من الملوكة العلمهم بانقطاع المواد التي لا تستقيم دعائم  
الملك إلا بها فلما سمع الملك ذلك أقبل على النظر في ملكه وانتزعت الضياع من أيدي  
الخاصة وردت على أربابها وجعلوا على رسومهم السالفة وأخذوا في العمارة وقوى  
من ضعف منهم فعمرت الأرض وأصبحت البلاد وكثرت الأموال عند حياة الخراج  
وقويت الجنود وقطعت مواد الأعداء ونصفت الثغور وأقبل الملك على مبلثرة  
أموره بنفسه فحسنت أيامه وانتظم ملكه ففهم من هذه الحكاية أن الظلم محزب  
للعمران وإن عائدة الخراب في العمران على الدولة بالفساد والانتقاض ولا تنظر في ذلك  
إلى أن الاعتدال قد يوجد بالامصار العظيمة من الدول التي بها ولم يقع فيها خراب واعلم  
أن ذلك انحطاه من قبل المناسبة بين الاعتدال وأحوال أهل المصرف فلما كان المصير  
كبيرًا وعمرائه كثيرًا وأحواله متسعة بما لا ينحصر كان وقوع النقص فيه بالاعتدال  
والظلم يسيرًا لأن النقص انما يقع بالتدريج فإذا خفي بكثرة الأحوال واتساع الأعمال  
في المصير لم يظهر أثره إلا بعد حين وقد تذهب تلك الدولة المعتمدة من أصلها قبل  
خراب المصير وتبقى الدولة الأخرى فقرعه مجتهدتها وتغير النقص الذي كان خفيًا فيه  
فلا يكاد يشعر به إلا أن ذلك في الأقل التادرو المارد من هذا أن حصول النقص في  
العمران عن الظلم والعدوان أمر واقع لا بد منه لما قدمنا وبالله عائدة على الدول



ولا تحبب الظلم انما هو أخذ المال أو المثلث من يد المال كمن غير عوض ولا سبب كما هو المشهور بل الظلم أعم من ذلك وكل من أخذ مالا أحداً وغصبه في عمله أو طالبه بشيء حتى أو فرض عليه حقاً لم يفرضه الشرع فقد ظلمه نجاسة الاموال بغصبها ظلمة والعبدون عليها ظلمة والمتهبون لها ظلمة والممانعون لحقوق الناس ظلمة وغصب الاملا على العصور ظلمة ووبال ذلك كله عائد على الدولة بجرب العمران الذي هو مآذها الاذها به الا مال من أهله واعلم أن هذه هي الحكمة المقصودة للشارع في تحريم الظلم وهو ما نشأ عنه من فساد العمران وخرابه وذلك مؤذن بانقطاع النوع البشري وهي الحكمة العامة المراعاة للشرع في جيع مقاصده الضرورية الخمسة من حفظ الدين والنفس والعقل والنسل والمال فلما كان الظلم كما رأيت مؤذناً بانقطاع النوع لما أذى الله من تخريب العمران كانت حكمة المظفر فيه موجودة فكان تحريمه مهما وأدته من القرآن والسنة كثيراً كثر من أن يأخذها قانون الضبط والحصر ولو كان كل واحد قادراً عليه لوضع يداً من العقوبات الزاجر ما وضع يداً من المفسدات للنوع التي يقدر كل أحد على اقترافها من الزنا والقتل والسكر الا أن الظلم لا يقدر عليه الا من يقدر عليه لانه انما يقع من أهل القدرة والسلطان فبولغ في ذمته وتكرير الوعيد فيه عسى أن يكون الوازع فيه للقدرة عليه في نفسه وما ربك بظلام للعبيد \* ولا تقول ان العقوبة قد وضعت ما زا الحراية في الشرع وهي من ظلم القادر لان المحارب زمن حراية قادر ان في الجواب عن ذلك طريقين احدهما أن تقول العقوبة على ما يقره من الجنائيات في نفس أو مال على ما ذهب اليه كثير وذلك انما يكون بعد القدرة عليه والمطالبة بجنايته وأما نفس الحراية فهي خلو من العقوبة \* الطريق الثاني أن تقول المحارب لا يوصف بالقدرة لانه انما يعنى بقدرة الظالم اليد الميسرة التي لاتعارضها قدرة نفى المؤذنة بالخراب وأما قدوة المحارب فانما هي الحاقه يجعلها ذريعة لاختصاص الاموال والمداخلة عنها يدا الكل موجود شرعاً وسياسة فليست من القدر المؤذن بالخراب والله قادر على ما يشاء

(فصل) ومن أشد الظلمات وأعظمها في افساد العمران تكليف الاعمال وتضيير الرعايا بغرض حق وذلك أن الاعمال من قبيل المتولات كالمسنيين في غاب الرزق لان الرزق والكسب انما هو قيم أعمال أهل العمران فاذا ماسعهم وأعمالهم كلها متولات ومكاسبهم بل لا مكاسب لهم سواها فان الرعية المعقولة في العمارة انما عاشهم ومكاسبهم من اعمالهم ذلك فاذا كثروا العمل في غير شأنهم واتخذوا ضريفاً

معاشهم بطل كسبهم واغتصبوا قيمة عملهم ذلك وهو متوكلهم فدخل عليهم المشرور  
وذهب لهم مخط كبر من معاشهم بل هو معاشهم بالجملة وان تذكر ذلك عليهم أقضد  
آمالهم في العبارة وقعدوا عن السعي فيها جلة فأدّى ذلك الى اتة اخر العمران  
وتخسر رة واقعة صغارة وتعالى اعلم وبه التوفيق

(فصل) وأعظم من ذلك في الظلم وفساد العمران والدولة التسلط على أموال الناس  
بشره ما بين أيديهم بأبخس الأثمان ثم فرض البضائع عليهم بأرفع الأثمان على وجه  
الغصب والأكراد في الشراء والبيع ورجعوا فرض عليهم تلك الأثمان على النواحي  
والتأجيل فيقولون في تلك الخسارة التي تلحقهم بما تعهدتهم المطامع من جبر ذلك بحجالة  
الأسواق في تلك البضائع التي فرضت عليهم بالفلا الى بيعها بأبخس الأثمان وتعود  
خسارتهم ما بين الصفتين على رؤس أموالهم وقديهم ذلك أسناف التجار المقيمين بالمدينة  
والخارجين من الاتقان في الطامع وسائر السوق وأهل الكا كين في الماشكل  
والنواكس وأهل الصنائع فيما يتضمن الإكالات والمواغين فتشغل الخسارة سائر  
الاحتصاف والطبقات وتساوي على الساعات وتجسد برؤس الاموال ولا يهدون عنها  
ولجبة الاتقود عن الاسواق لذهاب رؤس الاموال في جبرها بالارباح ويتشاكل  
الواردون من الاتقان لشراء البضائع ويعتاضون أجل ذلك فتكسد الاسواق ويطل  
معاش الرعايا لان عانتهم من البيع والشراء واذا كانت الاسواق عطالة لم يطل  
معاشهم وتخص جباية السلطان أو تفسد لان معظمهم من أوسط الدولة وما بعدها انما  
هو من المكوس على البضائع كما تقدمناه ويؤلف ذلك الى ثلاثي الدولة وفاد العمران  
المدينة ويظهر هذا الخلل على التدرج ولا يشعر به هذا ما كن بأمثال هذا المذراع  
والانحطاط الى أخذ الاموال وأما أخذها مجبانا والعبدوان على الناس في أموالهم  
بحزمهم ودمائهم وأسراهم وأعراضهم فهو يغطي الى الخلل والقساد دفعة  
وتقتض الدولة سرعيا بما ينشأ عنه من الهرج المتضى الى الاتقاض ومن أجل هذه  
الفساد خطر التسرع ذلك كله وشرع المكابسة في البيع والشراء وحظر أكمل  
أموال الناس بالاطلسد الابواب القاسد المقصحة الى انتقاض العمران بالهرج  
أو بطلان المعاش واعلم أن الداعي لذلك كله انما هو حاجة الدولة والسلطان الى  
الاكثار من المال ما يعرض لهم من الترف في الاحوال فتكثر نفقاتهم ويعظم التفرج  
ولا يفي به الدخل على القوانين المعتادة يستعدون انما باوجودها ويسعون بها الجباية  
لغيرهم الدخول بالتفرج ثم لا يزال الترفيز به والتفرج بسببه يكثر والحاجة الى أموال  
الناس تستقر فطالق الدولة بذلكين يدالي أن تنجى دأوتها ويذهب برحمتها ويظلمها

اعلم أن الدولة في أول أمرها تكون بعيدة عن منازع الملك صكها مقدمه لانه لا بد لها من العصية التي بها يتم أمرها ويحصل استيلائها والبدوة هي شعارا العصية والدولة ان كان قيامها بالدين فانه بعيد عن منازع الملك وان كان قيامها بعز القلوب فقط فالبدوة التي بها يحصل القلب بعيدة أيضا عن منازع الملك ومنذابه فاذا كانت الدولة في أول أمرها بدوية كان صاحبها على حال الغضاضة والبدوة والقرب من الناس وسهولة الاذن فاذا رشح عزه وصار الى الانفراد بالمجد واحتاج الى الانفراد بتصفية عن الناس للجديث مع أوليائه في خواص شؤنه لما يكثر حينئذ من يحاشيته فيطلب الانفراد من العامة ما استطاع ويقض الاذن بيا به على من لا يأمنه من أوليائه وأهل دوائمه ويخذل حاجبائه عن الناس ببقية بيا به لهذه الوظيفة ثم اذا استقبل الملك وجبات مذهب ومنازعه استخالت خلق صاحب الدولة الخ خلق الملك وهي خلق غريبة مخصوصة يحتاج مباشرها الى مداراتها ومعاملتها بما يجب لها ويرعى جاهل تلك الخلق منهم بعض من يشارهم فوق فيما لا يرضيهم فمضطوعون وصاروا الى حالة الانتقام منه فانهم بدع هذه الآداب الخواص من أوليائهم ويجبروا غير أولئك الخاصة عن لقائهم في كل وقت حفظا على أنفسهم من معاينة بسخطهم وعلى الناس من التفرغ لعقابهم فصارت لهم حجاب آخر أخص من الحجاب الأول يقضي اليهم منه بنواصهم من الأولياء ويحجب دونهم من سواهم من العالقة والحجاب الثاني يقضي الى محالس الأولياء ويحجب دونهم من سواهم من العامة والحجاب الأول يكون في أول الدولة كما ذكرنا كما حدث لا يام معاوية وعبد الملك وخلفاء بني أمية وكان القائم على ذلك الحجاب يسمى عندهم الحجاب جريا على مذهب الاشتقاق الصحيح ثم لما جاءت دولة بني العباس وجدت الدولة من الترف والعز ما هو معروف وكنت خلق الملك على ما يجب انما قد عاد ذلك الى الحجاب الثاني وصار اسم الحجاب أخص به وصار يباب الخلق ما داران للعباسة دارا الخاصة ودارا العامة كما هو مسطور في أخبارهم ثم حدثت في البويع الحجاب ثالث أخص من الأولين وهو عند محاولة الخلع على صاحب الدولة وذلك أن أهل الدولة وخواص الملك اذا نصبوا الابناء من الاعقاب وحاولوا الاستبداد عليهم بقاؤنا ما يسد به ذلك المستبد أن يحجب عنه بطانة ابنه وخواص أوليائه بوجهه أن في مباشرتهم ايامه ترق حجاب الهيبة وفساد قانون الادب ليقطع بذلك لقاء الغير ويعوده

ملايسة أخلاقه هو حتى لا يتبدل به سواء إلى أن يستحكم الاستيلاء عليه فيكون  
هذا الخلب من دواعيه وهذا الخلب لا يقع في الغالب إلا أواخر الدولة كما قدمناه في  
الخبر ويكون دليلا على هرم الدولة وتناقص قوتها وهو مما يحسنه أهل الدول على أنفسهم  
لأن القاطنين بالدولة يحاولون على ذلك بطباعهم عند هرم الدولة وذهاب الاستبداد  
من أعقاب ملوكهم لما ركب في النفوس من محبة الاستبداد بالملك وخصوصا مع  
الترشيح لذلك وحصول دواعيه ومبادئه

#### ٤٦ (فصل في انقسام الدولة الواحدة بدولتين)

اعلم أن أول ما يقع من آثار الهرم في الدولة انقسامها وذلك أن الملك عند ما يستعمل  
ويبلغ أحوال الترف والنعيم إلى غايتها ويستبد صاحب الدولة بالمجد ويقتدر به بأفق  
حينئذ عن المشاركة ويصير إلى قطع أسبابها ما استطاع باهلال الشئ استراب به من ذوي  
قربته المرتشين لمنصبه فرعا رتاب الماهمون له في ذلك بأنفسهم ونزعوا إلى القاصمة  
الهمم من يلحق بهم مثل حالهم من الاعتزاز والاستراب ويكون نطاق الدولة قد أخذ  
في التضايق ورجع عن القاصمة فيستبد ذلك النازع من القرابة قهوا ولا يزال أمره  
يعظم يتراجع نطاق الدولة حتى يقاسم الدولة أو يكاد وانظر ذلك في الدولة الإسلامية  
العربية حين كان أمرها حاربا مجتهدا ونطاقها تمتد في الاتساع وعصبة بني عبد مناف  
واحدة تغالب على سائرهم فلم ينض عرق من الخلاف سائرا بأمره إلا ما كان من بدعة  
الخوارج المسبطين في شأن بدعتهم لم يكن ذلك نزعاً. لك ولأرياسة ولم يتم أمرهم  
لمزاحمتهم العصبة القوية ثم لما خرج الأمر من بني أمية واستقل بنو العباس بالأمر  
وكانت الدولة العربية قد بلغت الغاية من القلب والترف وأدبت بالقصر عن القاصمة  
نزع عبد الرحمن الداخل إلى الأندلس قاصمة دولة الاسلام فاستحدث بها المصككا  
واقطعها عن دولتهم وصير الدولة دولتين ثم نزع ادريس إلى المغرب وخرج به وقام  
بأمره وأمر ابنه من بعده البربرية من أوردية ومغيلة وزانة واستولى على ناحية  
المغربين ثم ازدادت الدولة تقلصا فاضطرب الاغالبية في الامتناع عليهم ثم خرج الشيعة  
وقام بأمرهم كرامة وصنهاجة واستولوا على إفريقية والمغرب ثم مصر والشام  
والحجاز وغلبوا على الادارية وقسموا الدولة دولتين ثم خرجين وصارت الدولة العربية  
ثلاث دول دولة بني العباس بمركز العرب وأصلهم ومادتهم الاسلام ودولة بني أمية  
المجدين بالأندلس ملكهم القديم وخلافتهم بالشرق ودولة العبيدين بإفريقية  
ومصر والشام والحجاز ولم تزل هذه الدرة إلى أن كان انقراضها متقاربا وجميعا

وكذلك انقسمت دولة بني العباس بدول أخرى وكان القاضية بنو ساسان فيما وراء  
النهر وخراسان والعلوية في الديلم وطبرستان وآل ذلك إلى استيلاء الديلم على العراقيين  
وعلى بغداد والحقاه ثم جاء السلجوقية فلما كوا جميع ذلك ثم انقسمت دولتهم أيضاً بعد  
الاستيلاء **كما هو معروف في أخبارهم** وكذلك اعتبره في دولة منها جمة المغرب  
وأفر يقية لما بلغت إلى نهايتها أيام باديس بن المنصور خرج عليه عه حاد واقطع  
عما لك العرب من قومه ما بين جبل أوراس إلى تلسان وملاوية واخطت القلعة بجبل  
كامة جبال المسيلة ونزلها واستولى على مركزهم أشير بجبل يطري واستعدت ملكا  
آخر قسم الملك آل بلديس وبني آل بلديس بالقيروان وما إليها ولم يزل ذلك إلى أن انقضت  
أمرها جميعاً **وكذلك دولة الموحد بن لما تغلص ظلها** ثم أفر يقية بنو أبي حفص  
فاستقلوا بها واستعدوا ملكاً لا عقابهم بنو احياء ثم لما استعمل أمرهم واستولى على  
القضاة خرج على الممالك القريبة من أعقابهم الأمير أبو بكر يحيى ابن السلطان أبي  
الحق إبراهيم رابع خلفائهم واستعدت ملكاً بجاية وقسنطينة وما إليها ورثه بنوه  
وقسموا به الدولة قسمين ثم استولى على كرسى الحضرة بنو تونس ثم انقسم الملك ما بين  
أعقابهم ثم عاد الاستيلاء منهم وقد انتهى الانقسام إلى أكثر من دولتين وثلاثة  
وفي غير أعباس الملك من قومه **كما وقع في ملوك الطوائف بالاندلس وملوك الألبان**  
بالمشرق وفي ملك منها جمة بقية فقد كان لا تحرد دولتهم في كل حين من حصون  
أفريقية ثم استقل بأمره كما تقدم ذكره وكذا حال البربريدو الزاب من أفريقية  
قبل هذا العهد كما ذكره وهكذا شأن كل دولة لا يدور أن يعرض فيها عوارض الهرم  
بالترق والدعة وتقلص ظل القاب فيقسم أحياءها أو من يغلبه من رجال دولتها  
الأمر ويتعد فيها الدولة واقهوارث الأرض ومن عليها

#### ٤٧ (فصل في أن الهرم إذا نزل بالدولة لا يرتفع)

قد تقدمنا ذكر العوارض المؤقتة بالهرم وأسبابها وأحد بعد واحد بيننا أنها تحدث  
للدولة بالطبع وأنها كلها أمور طبيعية لها وإذا كان الهرم طبيعياً في الدولة كان  
حدوثه بمثابة حدوث الأمور الطبيعية كما يحدث الهرم في المزاج الحيواني والهرم من  
الأمرض المزمنة التي لا يمكن دواؤها ولا ارتفاعها لما أنه طبيعي والأمور الطبيعية  
لا تتقبل وقديته كثير من أهل الدول عن له مختلفة في السياسة فيرى منازل بدولتهم  
من عوارض الهرم وينظرون أنه يمكن الارتفاع فما أخف نفسه تلاقى الدولة وأصلاح  
مزاجها عن ذلك الهرم ويحسب أنه لها تصير من قبل من أهل الدولة وعظمتهم

وليس كذلك فانها امور طبيعية للدولة والعوائد هي المانعة لمن تلافها والعوائد  
منزلة طبيعية أخرى فان من أدولستلأبأه وأكثراً هل ينه يلبسون الحرير والديبايح  
ويتجولون بالذهب في السلاح والمراكب ويختصون عن الناس في المجالس والصلوات  
فلا يمكنه مخالقة سلفه في ذلك الى الخشونة في اللباس والري والاختلاط بالناس اذ  
العوائد حينئذ تنقعه وتقع عليه مرتكبه ولو فقه لهرى بالجنون والوسواس في الخروج  
عن العوائد دفعة وخشى عليه عائدة ذلك وعاقبته في ساطانه وانظر شأن الانبياء في  
انكار العوائد ومخالفتها لولا التأيد الالهى والنصر السماوى وربما يكون  
العصية قد ذهبت فتكون الابهة تعوض عن موقفه من النفوس فاذا انزلت تلك  
الابهة مع ضعف العصية تصحسرت الرعايا على الدولة بذهاب اوهام الابهة فتدزع  
الدولة بتلك الابهة ما أمكنها حتى تقضى الامر وربما يحدث عند آخر الدولة قوة وهم  
أن المهرم قد ارتفع عنها ويومض ذبا لها ايماضه المخود كما يقع في الدبال المشتعل فانه عند  
مقاربة انطفائه يومض ايماضه نوهماً أنها اشتعال وهي انطفاء فاعتذر ذلك ولا تغفل سر  
الله تعالى وحكمته في الطراد وجوده على ما تدرى به ولكل أجل كتاب

#### ٤٨ (فصل في ان كيفية طروق الخلل للدولة)

اعلم أن مبنى الملك على أساسين لا بد منهما فالأول الشوكة والعصية وهو المعبر عنه بالخشنة  
والثاني المال الذى هو قوام أولئك الخسنة فكلما ما يحتاج اليه الملك من الاحوال  
والخلل اذا طرقت الدولة طرقها في هذين الاسدين فلنذكر أولاً طروق الخلل في الشوكة  
والعصية ثم نرجع الى طروقه في المال والجباية واعلم أن تهديد الدولة وتأسيسها كما  
قلناه انما يكون بالعصية وأنه لا بد من عصية كبرى جامعة للعصائب مستتعبة لها  
وهي عصية صاحب الدولة الخاصة من عشيرة وقبيلة فاذا اجاحت الدولة طبيعة الملك من  
الترف وجدع أنوف أهل العصية كل أول ما يجدع أنوف عشيرته وذوى قرابه  
المقربين له فاسم الملك فيستبدق جدع أنوفهم بما بلغ من سوادهم وبأخذهم التوفيق  
أيضاً أكثر من سوادهم لكانهم من الملك والعز والطلب فيصط بهم فادمان وهما الترف  
والقهر ثم يصير القهر آخر الى القتل لما يحصل من مرهنة خلوهم عند سوح الملك  
لصاحب الامر فيقلب غيرة منهم الى الخوف على ملكهم فأخذهم بالقتل والاجاة وسلب  
النعمة والترف الذى تعودوا الكثير منه فيكون وجاؤون وتفسد عصية صاحب  
الدولة منهم وهي العصية الكبرى التى كانت تجمع بها العصائب وتستتبعها فتقتل  
عروبها وتضعف حكميتها وتبديل عنها بالجباية من موالى النعمة وحسنات الاجسان

وتتخذ منهم عصية إلا أنهم ليست مثل تلك الشدة المشككية لفقذان الرحم والقرابة  
دها وقد كان قدما أن ثمان العصية وقوتها انما هي بالقرابة والرحم لما جعل الله في  
ذلك فينشردها صاحب الدولة عن العشيرة والانصار الطبيعية ويحس بذلك أهل العصاب  
الأخرى فينجسرون عليه وعلى بطائمه تجاسر طبيعيا فيلزمهم صاحب الدولة وينبهم  
بالقتل وأجدد بعدوا حدو بقلدا الآخرون من أهل الدولة في ذلك الأول مع ما يكون قد  
نزل بهم من مهلكة الترف الذي قد منافستولي عليهم الهالك الترف والقتل حتى  
يخرجوا عن صيغة تلك العصية وينشوا بعزتها وشورتها وبصيرها أو جز على  
الحماية ويقطون لذلك قتل الخامية التي تنزل بالاطراف والتغور في تجاسر الرعايا على  
بعض الدعوى في الاطراف ويأدرا الخوارج على الدولة من الاعاص وغيرهم الى تلك  
الاطراف لما يرجون حينئذ من حصول غرضهم بعبادة أهل القاصية لهم وأمنهم من  
وصول الخامية إليهم ولأن ذلك يتدرج ونطاق الدولة يتصايق حتى يصير الخوارج  
في أقرب الاماكن الى مركز الدولة ويبدأ انقسمت الدولة عند ذلك بدواين أو ثلاثة  
على قدر قوتهم في الاصل كالقنانه ويقوم بأمرها غير أهل عديتها لكن ادعاء الاصل  
لعصيتها واعطيت المعهود وأعتبر هذا في دولة العرب في الاسلام انتهت أولا الى الاندلس  
والهند والصين وكان أمر بني أمية نافذا في جميع العرب بعصية بني عبدة مناف حتى  
لقد أمر سليمان بن عبد الملك من دمشق بقتل عبد العزيز بن موسى بن نصير بقرطبة  
فقتل ولم ير ذا أمره ثم تلاشت عصية بني أمية عما أصابهم من الترف فانقرضوا وجاء  
بني العباس فقصوا من أعنة بني هاشم وقتلوا الطالبيين وشردوهم فأنحلت عصية عبد  
مناف وتلاشت وتجاسر العرب عليهم فاستبد عليهم أهل القاصية مثل بني الأغلب  
بالخرقة وأهل الاندلس وغيرهم وانقسمت الدولة ثم خرج بنو ادريس بالمغرب وهاجم  
أبر بنوهم ادعاء للعصية التي لهم وأما أن فصلهم مقاتلة أو حامية للدولة فإذا  
تبرج الدعاء آخر ايقبلون على الاطراف والقاصية ويحصل لهم هناك دعوة ومالك  
تتقدم به الدولة ويرجاء بذلك متى زادت الدولة تقصا الى أن ينهي الى المركز  
وتنصف البطانة بعد ذلك بما أخذ منها الترف فتملك وتضعف الدولة المنقسمة  
كلها ورجا لئلا يمدحها بعد ذلك فتستغنى عن العصية عما حصل لها من الصيغة في  
نفوس أهل اياتها وهي صيغة الاعتقاد والتسليم منذ السنين الطويلة التي لا يعقل أحد  
من الاجيال عبدا لها ولا أوليتها فلا يعقلون الا التسليم لصاحب الدولة فتستغنى بذلك  
عن قوة العصاب ويكتفي صاحبها بما حصل لها في تمهيد أمرها الاجرا على الخامية من  
جذو ومرزوق ويحسد ذلك ما وقع في النفوس عامة من التسليم فلا يكاد أحد أن

يتصور عسباً ما وأخروجا الا والجمهور منكرون عليه مخالفة قولهم فلا يقدر على التضدي  
 لذلك ولو جهده ورجا كانت الدولة في هذا الحال أسلم من انخوار ج والمنازعة  
 لاستحقاقهم صبغة التسليم والانتقاد لهم فلا تكاد النفوس تحدث سرها بمخالفة  
 ولا يتخلج في ضميرها المخراف عن الطاعة فيكون أسلم من الهرج والانتقاض الذي  
 يحدث من العصيان والعشائر ثم لا يزال أمر الدولة كذلك وهي تتلاشى في ذاتها  
 شأن الحرارة القريبة في البدن العادم للغذاء الى أن تنتهي الى وقتها المقدور ولكل  
 أجل كتاب ولكل دولة أمد والله يقدر الليل والنهار وهو الواحد القهار \*  
 وأما الخلل الذي يطر من جهة المال فاعلم أن الدولة في أولها تكون بدوية كما مر  
 فيكون خلق الرقيق بالرعيا والقصد في النفقات والتعفف عن الاموال فتجبا في عن  
 الامعان في الجباية والتخلف والكس في جمع الاموال وحسبان العمال ولا داعية  
 حينئذ الى الاسراف في النفقة فلا يحتاج الدولة الى كثرة المال ثم يحصل الاستيلاء  
 ويعظم ويستفحل الملك فيدعو الى الترف ويكثر الانفاق بسببه فتعظم نفقات السلطان  
 وأهل الدولة على العموم بل يتعدى ذلك الى أهل المصرو يدعو ذلك الى الزيادة في  
 أعطيات الجنود وأزاق أهل الدولة ثم يعظم الترف فيكثر الاسراف في النفقات  
 ويتشتر ذلك في العسبة لأن الناس على دين ملوكهم عوائد لها ويحتاج السلطان  
 الى ضرب المكوس على أثمان الباعات في الاسواق لا ادارا للجباية لما يرام من ترف  
 المدبنة الشاهد عليهم بالفه ولما يحتاج هو اليه من نفقات سلطانه وأزاق جنده ثم يزيد  
 عوائد الترف فلا تفي بها المكوس وتكون الدولة قد استغلت في الاستطالة والقهر لمن  
 تحت يدها من الرعايا فتدأ يديهم الى جمع المال من أموال الرعايا من مكس أو تجارة  
 أو نقد في بعض الاحوال بشبهة أو بغير شبهة ويكون الجنود في ذلك الطور قد تجاسروا على  
 الدولة بما لحقها من الفشل والهزم في العسبة فتتوقع ذلك منهم وتدأوى بسكينة  
 الاعطيات وكثرة الانفاق فيهم ولا تجد عن ذلك وليجة وتكون جباة الاموال في الدولة قد  
 عظمت ثروتهم في هذا الطور بكثر الجباية وكونها بأيديهم وبما اتسع لذلك من  
 جاههم فيتوجه اليهم باحتياج الاموال من الجباية ونفسو السعاية فيهم بعضهم من  
 بعض المتنافسة والحقد قمعهم النكبات والمصادرات واحدا واحدا الى أن تذهب  
 ثروتهم وتتلاشى أحوالهم ويقدم ما كان للدولة من الائمة والجمال بهم واذا اصطلمت  
 نعمتهم تجاوزتهم الدولة الى أهل الثروة من الرعايا سواهم ويكون الوهن في هذا  
 الطور قد لحق الشوك وضعفت عن الاستطالة والقهر فتصرف سياسة صاحب الدولة  
 حينئذ الى مداراة الامور يذل المال ويراءه رفع من السيف لقله غناؤه فتعظم حاجته



الى الاموال زيادة على النفقات وأرزاق الجند ولا يبقى قمار يد ويعظم الهرم بالدولة  
وتعاسر عليها أهل النواحي والدولة تعمل عراها في كل طور من هذه الى أن تقضي  
الى الهلاك وتسعوس من الاستيلاء الكل فان قصدها ما لب انترعها من أيدي  
الضامين بها والابقيت وهي تتلشى الى أن تفصل كالدبال في السراج اذا فتريته  
وطفت واقامت الامور ومدبرا لا كون لا اله الا هو

#### ٤٩ (فصل في ان حدوث الدولة وتجدها كيف يقع)

اعلم ان نشأة الدول وبدايتها اذا أخذت الدولة المستقرة في الهرم والاتصاف يكون  
على نوعين اما بان يستبد ولاية الاعمال في الدولة بالقاصية عندما يقص ظلمها عنهم  
فيكون لكل واحد منهم دولة يستبد بها قوم ومما يستقر في نصابه ربه عنه  
أبناءؤه ومواليه ويستعمل لهم الملك بالتدريج وبما يزدجون على ذلك الملك  
ويتقارعون عليه ويتنازعون في الاستنابه ويقبض منهم من يكون له فضل قوة على  
صاحبه ويستخرج ما في يده كما وقع في دولة بني العباس حين أخذت دولتهم في الهرم وتقلص  
ظلمها عن القاصية واستبد بنو سامان بما وراء النهر وبوجدان بالموصل والشام وبنو  
طولون بمصر وكما وقع بالدولة الاموية بالاندلس واقترب حكمها في الطوائف الذين كانوا  
ولاتها في الاعمال وانقسمت دولها وكأورنوها من بعدهم من قرايتهم وأموالهم  
وهذا النوع لا يكون بينهم وبين الدولة المستقرة حرب لانهم مستقرون في رياستهم  
ولا يطمعون في الاستيلاء على الدولة المستقرة بحرب وانما الدولة أدركها الهرم  
وتقلص ظلمها عن القاصية وعجزت عن الوصول اليها والنوع الثاني بأن يخرج على  
الدولة خارج عن مجاورها من الامم والقبايل اما بدعوة يحمل الناس عليها كما أشرفنا  
اليه أو يكون صاحب شوكة وعصية كبير في قومه قد استعمل أمره فيسموهم الى  
الملك وقد حدثوا به أنفسهم بحاصل لهم من الاعتزاز على الدولة المستقرة وما نزل بها  
من الهرم فيتمتع له وقومه الاستيلاء عليها وعارسونهم بالمطالبة الى أن يظفروا بها  
ويرثون أمرها كما تبين والله سبحانه وتعالى أعلم

• فصل في ان الدولة المستجدة انما تستولي على الدولة المستقرة بالمطالبة لا بالناحزة

قد ذكرنا أن الدول الحادثة المتجددة نوعان نوع من ولاية الاطراف اذا تقلص ظل  
الدولة عنهم وانحصر تيارها وهذا لا يقع منهم مطالبة للدولة في الاكثر كما قدمناه لان  
قصارا هم القنوع بما في أيديهم وهونهاية قوتهم والنوع الثاني نوع الدعاة  
والطواغيت على الدولة وهو لا يبدلهم من المطالبة لان قوتهم وافية بها فان ذلك انما

يكون في نصاب يكون له من العصبة والاعتزاز ما هو كفا ذلك وواف به فيقع بينهم  
 وبين الدولة المستقرة حروب محال تكرر وتصل الى أن يقع لهم الاستيلاء والتظفر  
 بالمطوب ولا يحصل لهم في الغالب خطر بالتجارة والسبب في ذلك أن الظفر في الحروب  
 انما يقع كالتصديع بأموه وتضايقة وهمية وان كان العدد وال سلاح ومدد القتال  
 كضلاليه لكنه فاصرمع تلك الامور الوهمية كما مر وقلك كان الخداع من أضعف  
 ما يستعمل في الحرب وأكثر ما يقع الظفر به وفي الحديث الحرب خدعة والدولة  
 المستقرة تقدم من العوائد المألوفة طاعتها ضرورية واجبة كما تقدم في غير موضع  
 فتكثر بذلك العوائق لصاحب الدولة المستقرة ويكثر من هم أناعه وأهل شريكه  
 وان كان الاقربون من بطاته على بصيرة في طاعته وموازته إلا أن الآخرين أكثر  
 وقد دخلهم القتل تلك العقائد في التسليم للدولة المستقرة فيحصل بعض القصور  
 بينهم ولا يكاد صاحب الدولة المستقرة يتجاوز ما يحب الدولة المستقرة فيرجع الى العبد  
 والمطالبة حتى يتضح هرم الدولة المستقرة فيحصل عتاد التسليم لها من قومه  
 وتنبعث منهم الهم لصدق المطالبة معه فيقع الظفر والاستيلاء وأيضا فالدولة المستقرة  
 كثيرة الرزق بما استحكم لهم من الملك وتوسع من النعيم والذات واخصوا به دون غيرهم  
 من أموال الجباية فيكثر عندهم ارتباط الخيول واستعباد الاسلحة وتعلم فيهم  
 الابهة الملكية وتفيض العطاء بينهم من ملوكهم اخيارا واضطرا فافيرجون بذلك  
 كله عدوهم وأهل الدولة المستقرة يعزل عن ذلك ملهم فيمن البداوة وأحوال  
 الفقر والنحاسة فيسبق الى قلوبهم أهوام الرعب بما يلغهم من أحوال الدولة  
 المستقرة ويصرمون عن قتالهم من أجل ذلك فيصبروا مرهم الى المطالبة حتى تأخذ  
 المستقرة ماخذها من الهرم ويستحكم الخلل فيها في العصبة والجباية فينتزح جند  
 صاحب الدولة المستقرة فرصه في الاستيلاء عليها بعد حين منذ المطالبة سنة التقى  
 عباداه وأيضا فاعل الدولة المستقرة كلهم مبيسون للدولة المستقرة بانسابهم  
 وعوائدهم وفي ما تروا حجبهم ثم هم مقاضرون لهم ومتابذون بما وقع من هذه المطالبة  
 ويطعمهم في الاستيلاء عليه فتتمكك المباعدة بين أهل الدولتين سترأ وجها ولا يصل  
 الى أهل الدولة المستقرة خبر عن أهل الدولة المستقرة يصيرون من غرة باطنا وظاهرا  
 لا تقطاع المداخل بين الدولتين فيقيمون على المطالبة وهم في اجماع ويشكون عن  
 المناصرة حتى يأذن الله بزال الدولة المستقرة وفناء عمرها وفور الخلل في جميع  
 جهاتها وانقض لاهل الدولة المستقرة مع الايام ما كان يحق منهم من هرمها وتلاشيها  
 وقد عظمت قوتهم بما اقتطعوه من أعمالها ونصروهم من أطرافها فتنبعث همهم هذا

واختبة للمناجزة ويذهب ملحقين كان ميث عزائمهم من التوهجات وتنتهي المطالبة  
الرجحانها ويقع الاستيلاء آخر المواجهة واعتبر ذلك في دولة بني العباس حين ظهورها  
حين قام المشيخة بخراسان بعد افتقار الدعوة واجتماعهم على المطالبة عشرين  
أون مائة سنة ثم تهم الظفر واستولوا على الدولة الاموية وكذا العلوية بطبرستان عند  
ظهور دعوتهم في الديلم وكيف كانت مطالباتهم حتى استولوا على تلك الناحية ثم لما  
انقضى أمر العلوية وسما الديلم الى ملك فارس والعراقين فكثروا اسنين كثيرة يطاولون  
حتى انقطعت اصهارهم ثم استولوا على الخليفة بغداد وكذا العبيديون اقام داعيتهم  
بالقرب ابو عبد الله الشيعي يني كامة من قبائل البربر عشرين ويزيد تطاول في  
الاغلب افرقة حتى ظفروا واستولوا على المغرب كله وسما الى ملك مصر فكثروا  
ثلاثين سنة وانجوها في طلبها يجهزون اليها العساكر والاساطيل في كل وقت ويجيء  
المندلدا فتمت بهم رايو بخراسان بغداد والشام وملكوا الاسكندرية والقيوم والصعيد  
وتخلف دعوتهم من هنالك الى الحجاز واقفيت بالحرمين ثم نازل قائدهم جوهر الكاتب  
بعضا كرمدينة مصر واستولى عليها واقطع دولة بني طغيج من اصولها واختط  
البحر وفاء الخليفة بعد الميزانين الله فز لها السنين سنة وأغروها منذ استيلائهم على  
الاسكندرية وكذا السبطوقية ملوك القتل استولوا على بني سامان وأجازوا من وراء  
النهر مكتوا نحوهم ثلاثين سنة يطاولون بني سبكه بخراسان حتى استولوا  
على دولته ثم زحفوا الى بغداد فاستولوا عليها وعلى الخليفة بها بعد أيام من الدهر وكذا  
التيمن بعدهم خرجوا من المقاتلة أعوام سبع عشرة وسقاة فلم يسم لهم الاستيلاء  
الا بعد أربعين سنة وكذا أهل المغرب خرج به المراءطون من لتونة على ملوكهم من  
اغمر او قضا ولهم سنين ثم استولوا عليه ثم خرج الموحدين بدعوتهم على لتونة فكثروا  
نحوهم ثلاثين سنة يصارونهم حتى استولوا على كرسيم براكن وكذا بنو مرين من  
لوانة خرجوا على الموحدين فكثروا يطاولونهم نحوهم ثلاثين سنة واستولوا على فاس  
واقطعوا هوائا عما من ملكهم ثم اقاموا في محاربهم ثلاثين اخرى حتى استولوا على  
كرسيم براكن حينئذ كره ذلك كله في تواريخ هذه الدول فهكذا حال الدول  
المتجذبة مع المبتدعة في المطالبة والمطالبة سنة الله في عباده ولن تعبد لسنة الله تبديلا  
ولا يضر من ذلك عما وقع في الفتوحات الاسلامية وكيف كان استيلائهم على فارس  
والروم ثلاث أو أربع من وفاة النبي صلى الله عليه وسلم واعلم أن ذلك انما كان مجزأة  
من معجزات نبي صلى الله عليه وسلم سرها استقامة المسلمين في جهاد عدوهم استيعادا  
بالإيمان وما أوقع الله في قلوب عدوهم من الرعب والتضليل فكان ذلك كله تارفا

للعادة المقررة في مطاوعة الدول المستجدة للمستقرة وإذا كان ذلك نازلاً فهو من معجزات نينا صلوات الله عليه المتعارف ظهورها في الملة الاسلامية والمعجزات لا يتناسب عليها الامور العادية ولا يعترض بها والله سبحانه وتعالى أعلم وبه التوفيق

٥١ (فصل في وفود العمران آخر الدولة وما يقع فيها من كثرة الموتان والجماعات)

اعلم أنه قد تقررت في ماضي الدولة في أول أمرها لا بد لها من الرفق في ملكها والاحتدال في ايلاتها المامن الدين ان كانت الدعوة دينية أو من المكارمة والمحاسنة التي تقتضيها البداوة الطبيعية للدول وإذا كانت الملكة رفيعة محسنة انبسطت آمال الرعايا وانتطو للعمران وأسبابه متوفرة ويكثر التناسل وإذا كان ذلك كله بالتدريج فأنما يظهر أثره بعد جيل أو جيلين في الأقل وفي انقضاء الجيلين تشرف الدولة على نهاية عمرها الطبيعي فيكون حينئذ العمران في غاية الوفور والنماء ولا تقولن انه قد مر ذلك أن آخر الدولة يكون فيها الاجحاف بالارعايا وسوء الملكة فذلك صحيح ولا يعارض ما قلناه لان الاجحاف وان حدث حيث ذوقت الجبايات فأنما يظهر أثره في تناقص العمران بعد حين من أجل التدريج في الامور الطبيعية ثم ان الجماعات والموتان تكثر عند ذلك في آخر الدول والسبب فيه أما الجماعات فلقبض الناس أيدهم عن القطع في الاحتكار بسبب ما يقع في آخر الدولة من العدوان في الاموال والجبايات أو الفتن الواقعة في انتفاص الرعايا وكثرة الخوارج لهرم الدولة فيقل احتكاك الزرع غالباً وليس صلاح الزرع وغمرته بمسقم الوجود ولا على وتيرة واحدة فطبيعة العالم في كثرة الامطار وقلتها مختلفة والمطر يقوى ويضعف ويقل ويكثر والزرع والثمار والمضرع على نسبه الا أن الناس وانفقوا في أقواتهم بالاحتكار فاذا فقد الاحتكار عظم وقع الناس للمجاعات فغلا الزرع وبهرجته أو ولو انحصار فهلكوا وهكذا كان بعض السنوات والاحتكار مفضو فتشمل الناس الجوع وأما كثرة الموتان فلها أسباب من كثرة المجاعات كما ذكرناه أو كثرة الفتن لاختلال الدولة فيكثر الهرج والقتل أو وقوع الوباء وسببه في الغالب فساد الهواء بكثرة العمران لكثرة ما يناظره من العفن والرطوبات الفاسدة وإذا فسد الهواء فهو غذاء الروح الحيواني ولا يلبس دأماً فيسرى الفساد الى مزاجه فان كان الفساد قوياً وقع المرض في الرئة وهذه هي الطواعين وأمر اضها مخصوصة بالرئة وان كان الفساد دون القوى والكثير فيكثر العفن ويتضاعف فتكثر الجبايات في الامزجة وتعرض الابدان وتهلك وسبب كثرة العفن والرطوبات الفاسدة في هذا كله كثرة العمران ووفوره آخر الدولة

لما كان في أوائلها من حسن الملكة ورفقها وقلة المخرم وهو ظاهر ولهذا تبين في موضعه من الحكمة أن تحلل الغلاء والقفريين العمران ضروري ليكون قروح الهوام يذهب بما يحصل في الهوام من الفساد والعفن بمخالطة الحيوانات وبأق بالهوام الصحى ولهذا أيضا فان الموتان يكون في المدن الموقورة العمران أكثر من غيرها بكثير كصر بالشرق وفاس بالمغرب والله بقدر ما يشاء

٥٢ (فصل في ان العمران الشرعي لا بد له من سياسة ينظم بها امره)

اعلم أنه قد تقدم لنا في غير موضع أن الاجتماع للبشر ضروري وهو معنى العمران الذي تسلم فيه وأنه لا بد لهم في الاجتماع من وازع حاكم يرجعون اليه وحكمه فهم تارة يكون مستندا الى شرع منزل من عند الله فيوجب اقيادهم اليه ايمانهم بالثواب والعقاب عليه الذي جاء به مبلغه وتارة الى سياسة عقلية فيوجب اقيادهم اليها ما يتوقعونه من فواب ذلك الحاكم بعدم معرفته بمصالحهم فالاولى يحصل نفعها في الدنيا والاخرى تعلم الشارع بالمصالح في العاقبة ولمراعاه نجات العباد في الاخرة والثانية انما يحصل نفعها في الدنيا فقط وما تسعه من السياسة المدنية فليس من هذا الباب وانما معناه عند الحكماء ما يجب أن يكون عليه كل واحد من أهل ذلك المجتمع في نفسه وخلفه حتى يستغنوا عن الحكماء وأساو يسعون المجتمع الذي يحصل فيه ما ينسب من ذلك بالمدنية الفاصلة والقوانين المراعاة في ذلك بالسياسة المدنية وليس مرادهم السياسة التي يحصل عليها أهل الاجتماع بالمصالح العامة فان هذه غير تلك وهذه المدنية الفاصلة عندهم نادرة أو بعيدة الوقوع وانما يتكاهون عليها على جهة القرض والتقدير ثم ان السياسة العقلية التي قد منها تكون على وجهين أحدهما يراعى فيها المصالح على العموم ومصالح السلطان في استقامة ملكه على الخصوص وهذه كانت سياسة الفرس وهي على جهة الحكمة وقد أغناها الله تعالى عنها في الملة ولهذا الخلافة لأن الاحكام الشرعية مغنية عنها في المصالح العامة والخاصة والآفات وأحكام الملل مندرجة فيها \* الوجه الثاني أن يراعى فيها مصلحة السلطان وكيف يستقيم له الملك مع القهر والاستطالة وتكون المصالح العامة في هذه تارة وهذه السياسة التي يحصل عليها أهل الاجتماع التي لا تراعى في العالم من مسلم وكافر إلا أن ملوك المسلمين يجرون منها على ما تقتضيه الشريعة الاسلامية بحسب جهدهم وقوايتها اذا اجتمعت من أحكام شرعية وآداب خلقية وقوانين في الاجتماع طبيعة وأشياء من مراعاة الشوكة والعصية ضرورية والاقضاء فيها بالشرع أو لا ثم الحكماء في آدابهم

والمولوف سيهم ومن أحسن ما كتب في ذلك وأودع كتاب طاهر من الحسن لانه  
 عند الله بن طاهر لاولاد المؤمن الرقة ومصر وما ينتم ما فكتب اليه أبو طاهر كناية  
 المشهور وعده اليه فيه ووصاه بجميع ما يحتاج اليه في دولته وسلطانه من الآداب  
 الدينية والخلقية والسياسة الشرعية والمالوكية وحثه على مكارم الاخلاق ومحاسن  
 الشيم بما لا يستغنى عنه ملك ولا سوقه \* ونص الكتاب (بسم الله الرحمن الرحيم)  
 أما بعد فعليك بتقوى الله وحده لا شريك له وخشيته ومراقبته عز وجل ومزاياه  
 حفظه واحفظ رعيته في الليل والنهار والزم ما ألبسك الله من العافية بالذکر لمعادك  
 وما أنت صائر اليه وموقوف عليه ومسؤول عنه والعمل في ذلك كله بما يصحك  
 الله عز وجل ويصلح يوم القيامة من عقابه وألم عذابه فان الله سبحانه قد أحسن  
 اليك وأوجب الرأفة عليك بمن استعالت أمرهم من عباد وأركان العدل فيهم والقيام  
 بجمعه وحدوده عليهم والذب عنهم والدفع عن حرهم ومنصبهم والحقن لدمائهم والأمن  
 لسرهم وادخال الراحة عليهم ومؤاخذك بما فرض عليك وموقفك عليه وساتك  
 عنه ومشييك عليه بما تقتضيه وأخرت فقرغ ذلك فهمك وعقلك وبصرك ولا يشغلك  
 عنه شاغل وأنه رأس أمرك وملأ لشأنك وأول ما وقفك الله عليه ولكن أقر ما تازم  
 به نفسك وتنسب اليه ففعلك المواظبة على ما فرض الله عز وجل عليك من الصلوات  
 الخمس والجماعة عليها بالناس قلبك وتوابعها على سننهم من أساغ الوضوء لها واقتناح  
 ذكر الله عز وجل فيها ورتل في قراءتك وتمكن في ركوعك وسجودك ونشهدك  
 وتصرف فيه رأيك بينك واحضض عليه جماعة ممن معك ونحت بينك وأدأب عليها  
 قائمها كما حال الله عز وجل تنهى عن الفحشاء والمنكر ثم أتبع ذلك بالاختياف من رسول  
 الله صلى الله عليه وسلم والامانة على خلافة واقفائه أثر السلف الصالح من بعده  
 واذا ورد عليك أمر فاستمع عليه باستخارة الله عز وجل وتقواه وبلزوم ما أنزل الله  
 عز وجل في كتابه من أمره ونهيه وحلاله وحرامه وانقياد ما جاء به إلا ما رعن رسول  
 الله صلى الله عليه وسلم ثم قم فيه بالحق لله عز وجل ولا تميل عن العدل فيما أحببت أو  
 كرهت لقرب من الناس أو لبعيد وأثر الفقه وأهل العلم والدين وحلت وكتاب الله عز  
 وجل والأهلين به فان أفضل ما يترين به المراءفة في الدين والطالب والحث عليه  
 والعرفه بما يقرب به الى الله عز وجل فانه الدليل على انذاره والقائد اليه والامر  
 به والنهْي عن المعاصي والمواقف كلها ومع توفيق الله عز وجل يزداد المراءفة  
 واجلاله ودرجك الدرجات العلى في المعاد مع ما في ظهوره للناس من التوقير  
 لأمره والهيبة لسلطانك والانسبة بك والثقة بعدك وعليك بالاقتصاد في الامور كلها

فليس شيء أمين نفعا ولا أخص أمنا ولا أجمع فضلا منه والصدد ادعية الى الرشد والرشد  
دليل على التوفيق والتوفيق كائد الى السعادة وقوام الدين والسنن الهادية بالاعتقاد  
وكذا في دينك كلها ولا تقتصر في طلب الآخرة والاجر والاعمال الصالحة والسنن  
المعروفة ومعالم الرشد والاعانة والاستعانة من البر والسعي له اذا كان يطلب  
به وجه الله تعالى ومرضاته وموافقة أوليائه الله في دار كرامته أما تعلم أن القصد في  
شأن الدنيا يورث الغزو ويحصد من الذنوب وألكن تحوط نفسك من قاتل ولا تصلح  
أمورك بأفضل منه فاته واهتد به تتم أمورك وترد مقدرك ويصلح عاتقك وخاصيتك  
وأحسن ظنك بالله عز وجل تستقيم لك رعييتك والقس الوسيلة اليه في الامور كلها  
تستدبر به النعمة عليك ولا تهتم أحد من الناس فيما يليه من عملك قبل أن تكشف  
أمره فان ايقاع المتهم بالبراءة والظنون السيئة بهم أثم اثم فاجعل من شأنك حسن الظن  
بأصحابك وأطرد عنك سوء الظن بهم وأرضه فيهم بعنك ذلك على استطاعتهم ورياضتهم  
ولا تقتصد عدو الله الشيطان في أمرك معدا فاته انما يكتفي بالقليل من وهنك ويدخل  
عليك من التهم بسوء الظن بهم ما ينقص لداذة عينك واعلم أنك تجد بحسن الظن قوة  
وراحة وتكفي في ما أحبت كفايته من أمورك وتدعو به الناس الى محبتك  
والاستقامة في الامور كلها ولا يمنعك حسن الظن بأصحابك والرافعة برعييتك أن  
تستعمل المسئلة والبعت عن أمورك والمباشرة لامور الاولياء وحياطة الرعية  
والنظر في حوائجهم وجل مؤاتهم أينسر عندك مما سوى ذلك فانه أقوم للدين وأجبي  
للسنة واخلص نيتك في جميع هذا وتفرّد بقويم نفسك تفرّد من يعلم أنه مسئول عما  
صنع ومجزي بما أحسن ومواخذ بما أساء فان الله عز وجل جعل الدنيا حرا وعزا  
ورفع من اتبعه وعززه واسلك بمن تسوسه وترعاه نهج الدين وطريقه الا هدى وأقم  
حدود الله تعالى في أصحاب الجرائم على قدره ما زلهم وما استحقوه ولا تعطل ذلك ولا  
تتهاون به ولا تؤخر عتوبة أهل العقوبة فان في تفريطك في ذلك ما يفسد عليك حسن  
ظنك واعتم على أمرك في ذلك بالسنن المعروفة وبجانب البدع والشبهات يسلم لك  
دينك وتتم لك مروءاتك واذا عاهدت عهدا فأوف به واذا وعدت اخيرا فأنجزه واقبل  
الحسنة وادفع بها وانغص عن عيب كل ذي عيب من رعييتك واشدد لسانك عن قول  
الكذب والزور وانقض أهل النجاسة فان أول فساد أمورك في عابليها وأجلها تفرّب  
الكذب والجرائم على الكذب لان الكذب رأس المآثم والزور والنجاسة خاتم الآثام  
النجاسة لا يسلم صاحبها وقاطلها لا يسلم له صاحب ولا يستقيم له أمر واجب أهل الصلاح  
والصدق وأعن الاشراف بالحق وأعن الضعفاء واصل الرحمة واتبع بذلك وجهه الله الى

واعزاز أمره والتمس فيه ثوابه والدار الآخرة واجتنب سوء الأهواء والجور واصر  
منهما ما أياك وأعلم براءتك من ذلك لرعيك وأنعم بالعدل سياستهم وقم بالحق فيهم  
وبالعفة التي تنتهي بك إلى سبيل الهدى وأملك نفسك عند الغضب وأزل الظلم والوقار  
وابالذوالحدة والطيش والغرور فبما أنت بسبيله وابالذ أن تقول أنا مسلم أنفعل ما أشاء  
فإن ذلك سبيل سريع إلى نقص الرأي وقلة اليقين لله عز وجل وأخلص لله وحده النية فيه  
واليقين واعلم أن الملك لله سبحانه وتعالى يؤتيه من يشاء وينزع به من يشاء ولن تجد تغير  
النعمة وحلول النعمة إلى أحد أسرع منه إلى جهلة النعمة من أصحاب السلطان  
والمسبوط لهم في الدولة إذا كفر وأنعم الله وإحسانه واستطالوا بما أعطاهم الله عز  
وجل من فضله ودع عنك شره نفسك ولكن ذنابك وكنوزك التي تذخر وتكثر البر  
والتقوى واستصلاح الرعية وعمارة بلادهم والتفقد لامورهم والحفظ لدمائهم  
والإغانة للمهوفهم واعلم أن الأموال إذا كثرت واذخرت في الخزائن لا تنمو وإذا  
كانت في صلاح الرعية وأعطاهم حقوقهم وكف الأذى عنهم تمت وركت وصلحت به  
العامة وترتب به الولاية وطاب به الزمان واعتقد فيه العز والمنفعة فليكن كثرنا أنتك  
تفريق الأموال في عمارة الإسلام وأهله ووفرنه على أولياء أمير المؤمنين قبلك  
حقوقهم وأوف من ذلك حصصهم وتعهد ما يصلح أمورهم ومعاشهم فإنك إذا فعلت  
قررت النعمة لك واستوجبك المزيد من الله تعالى وكتب بذلك على جبابه أموال رعيك  
وخراجك أنقدروا كل الجمع لما لهم من علك وإحسانك أساس لطاعتك وطب نفسا  
بكل ما أردت واجهد نفسك فيما حدثت لك في هذا الباب وليعظم جحك فيه وانما يبق  
من المال ما تنفق في سبيل الله وفي سبيل حقه واعرف للساكرين حقهم وأثبتهم عليه  
وابالذ أن تنسبك الدنيا وغرورها حول الآخرة فتنهاون بما يحق عليك فإن التهاون  
بورث التقريط والتفريط بورث البوار وليكن عملك لله عز وجل وفيه وارج الثواب  
فإن الله سبحانه قد أسبغ عليك فضله واعتصم بالشكر وعليه فاعتد بذلك الله خيرا  
واحسانا فإن الله عز وجل يكتب بقدر شكر الشاكرين واحسان المحسنين ولا تحقرن  
ذنبا ولا تعمالن حاسدا ولا ترجن فاجرا ولا تصلن كفورا ولا تداهن عدوا ولا تصدقن  
نماما ولا تأمن عدوا ولا تولن فاسقا ولا تتبعن غاويا ولا تحمدن مرأيا ولا تحقرن  
انسانا ولا تردنسا ولا فقيرا ولا تحسن باطلا ولا تلاحظن مضحكا ولا تحلفن وعدا ولا  
تذهبن غمرا ولا تطهرن غضبا ولا تباينن رجاء ولا تشينن مرحا ولا تزكبن سقيا ولا  
تفرطن في طلب الآخرة ولا ترفع للتمام عينا ولا تقمص عن ظالم رهبة منه أو محاباة  
ولا تطلبن ثواب الآخرة في الدنيا وأكثر مشاورة الفقهاء واستعمل نفسك بالعلم



وخذ عن أهل التجارب وذوى العقل والرأى والحكمة ولا تدخلن في مشورتك أهل  
 الرفه والجل ولا تسمن لهم ولا فان ضرهم أكثر من نفعهم وليس شيء أسرع فسادا  
 لما استقبلت فيه أمر رعيك من الشيع واعلم أنك إذا كنت حريصا كنت كثير  
 الاخذ قليل العطية وإذا كنت كذلك لم يستقم أمرك الا قليلا فان رعيك لما اعتقد  
 على محبتك بالكف عن أمر والهم وتزلجوا عليهم ووال من صفالك من أولائك  
 بالاتصال اليهم وحسن العطية لهم واجتنب النسخ واعلم أنه أول ما عصى به الانسان به  
 وأن العاصي بمنزلة الحرى وهو قول الله عز وجل ومن يوف شح نفسه فأولئك هم  
 المفلطون فهل طريق الجود بالحق واجعل للمسلمين كلهم في بيتك خطا ونصيبا وأيقن  
 أن الجود أفضل أعمال العباد فأهد نفسك خلقا وأرض به عملا ومذها و تفقد الجود  
 في دواوينهم ومكاتبهم وأدر عليهم أرزاقهم ووسع عليهم في معاشهم يذهب الله عز  
 وجل بذلك فاقتم فيقوى لك أمرهم وتزيد قلوبهم في طاعتك وأمرك خلوصا وانسراحا  
 وحسب ذى السلطان من السعادة أن يكون على جنده ورعيته رجة في عدله  
 وعطيته وانصافه وعنايته وشقيقته وبره وتوسعته فذلك مكره أحد البابين باستشعار  
 فضله الباب الآخر ولزم العمل به تلقى ان شاء الله تعالى به نجاحا وصلاحا وفلاحا  
 واعلم أن القضاء من الله تعالى بالمكان الذى ليس له به شيء من الامور لانه ميزان الله الذى  
 يعدل عليه أحوال الناس في الارض وباقامة العدل في القضاء والعمل تصلح أحوال  
 الرعية وتأمين السبل ويتصف المظالم وتأخذ الناس حقوقهم وتحسن المعيشة  
 ويؤدى حق الطاعة ويرزق من الله العافية والسلامة ويقيم الدين ويمجى السنن  
 والشرائع في مجاريها واشتد في أمر الله عز وجل وتورع عن النطق وامض لا تامة  
 الحدود وأقل البجيلة وابعد عن الخبر والقلق واقنع بالقسم واتفع بحريتك وانتبه  
 في صحتك واسدد في منطقك وانصف الخصب وقص عند الشبهة والبلغ في الحجة ولا  
 يأخذك في أحد من رعيك محاباة ولا جمالة ولا لومة لائم وثبت وتأن وراقب وانظر  
 وتفكر وتدبر واعتبر وواقع لربك وارفق بجميع الرعية وسلط الحق على نفسك ولا  
 تسرع الى السفك الدماء فان الدماء من الله عز وجل بمكان عظيم انتهيا كلها بغير حقها  
 وانظر هذا الخراج الذى استقامت عليه الرعية وجعله الله لاسلام عز اورفعه ولا اله  
 نوسعة وهشعة واعدوه كبتا وغنطا ولاهل الصكر من معادهم ذلوا وصغرا فوزعه  
 بين أمهات به بالحق والعدل والتسوية والعموم ولا تدفعن شيئا منه عن شريف لشرفه  
 ولا عن غنى لغناه ولا عن كاتبك ولا لخدم من خاصتك ولا حاشيتك ولا تأخذن منه  
 فوق الاحتمال له ولا تكلف أمر فيه شطط واجل الناس كلهم على أمر الحق فان ذلك

أجمع لافتهم والزم ارضاء العاتية واعلم أنك خلقت بولايتك خازنًا وحافظًا واعلم أنما  
سعى أهل عملك رعيًا لا لأمر أعينهم وقيمهم فخذ منهم ما أعطوك من عقوبهم ونقصه في  
قوام أمرهم وصلاحيهم وتقويم أودهم واستعمل عليهم أوى الرأي والتدبير والتجربة  
والخبرة بالعلم والعدل بالسياسة والصفاء ووسع عليهم في الرزق فان ذلك من الحقوق  
اللازمة لك فيما خلقت واستند اليك فلا يثقل عنه شأخل ولا يصرفك عنه مصارف  
فأنت سعي آخرته وقت فيه بالواجب استدعت زيادة النعمة من ربك وحسن  
الاحدونه في عملك واستقررت به المحبة من وعينك وأعنت على الإصلاح فدرت الخيرات  
بذلك وفشت العافية بآحياتك ونظهر الخصب في كورك وكدر ارباك وتوفرت  
أموالك وقويت بذلك على ارتباط جندك وارضاء الهمة بما فاضل الطاء فهم من  
نفسك وكنت محمود السياسة مرضى العدل في ذلك عند عدوك وكنت في أموالك كلها  
ذاهل وآلة وقوة وعدة تنافس فيها ولا تقدم عليها شيئًا تحمد عاقبة أمرك ان شاء الله  
تعالى واجعل في كل كورة من عملك أمينًا يخبرك خبر عملك ويكتب اليك بغيرهم  
وأعمالهم حتى كأنك تسلك كل عامل في علمه معانيبنا لا مودة كلها واذا أردت أن تأمر بهم  
بأمر فأنظر في عواقب ما أردت من ذلك فان رأيت السلامة فيه والعافية ودرجته  
فيه حسن الدفاع والصنع فأمضه واقتضه عنه وراجع أهل البصر والعلم به ثم جف  
فيه عدته فانه ربما نظر الرجل في أمره وقد آناه على ما بهوى فأغوا ذلك وأعجبه فان لم  
يتطرق في عواقبه أهل حكمه ونقص عليه أمره فاستعمل الخزم في كل ما أردت وبأمره بعد  
عون الله عز وجل بالقوة وأكثر من استخارة ربك في جميع أموالك وافرغ من عمل يومك  
ولا تؤخره وأكرم بأمره بنفسك فان لغد أمورًا وحوادث تلهيك عن عمل يومك  
الذي أخرت واعلم أن اليوم اذا مضى ذهب بعاقبه فاذا أخرت عمله اجتمع عليك عمل  
يومين فيثقل ذلك حتى ترضى منه واذا أمضيت لكل يوم عمله أرحب بذلك ونفسك  
وجعت أمر سلطانك وانظر احوال الناس وذوى الفضل منهم من يلوث صاحبًا مطويعهم  
وشهدت مودتهم لك ومظاهرتهم بالنصح والمحافظة على أمرك فاستخلصهم وأحسن  
اليهم وتعاهد أهل البيوتات بمن قد دخلت عليهم الحاجة وحقول مؤنتهم وأصلح حالهم  
حتى لا يجردوا ونظمتهم من اقراء وأمر نفسك بالنظر في أموال الفقراء والمساكين ومن  
لا يقدر على رفع منزلته اليك والمهتر الذي لا علم له بطلب حقه فسل عنه أخفى مثله  
وكل بأمانه أهل الإصلاح في رعيك ومرهم برفع حوائجهم وخلصهم لتصرفه بأصل  
الله به أمرهم وتعاهد ذوى البأساء ويتألمهم وأراملهم واجعل لهم أرزاقا من بيت  
المال اقتداءً بأمر المؤمنين أعز الله تعالى في العطف عليهم والجلية لهم ليصلح الله بذلك

عيتهم وبرزة لك بركة وزيادة وأجر للامرا من بيت المال وقدم حله القرآن منهم  
والخاطفين لا كثره في الجرائد على غيرهم وانصب لرضى المسلمين دوراً وأوهم وقواماً  
برفقون بهم وطابعاً يعللون أسقامهم وأسعفهم بشهواتهم طام بؤذ ذلك السرف  
في بيت المال واعلم أن الناس إذا أعطوا حقوقهم وفضل أماتهم لم يبرهم وربنا ترم  
المتصفح لأمور الناس لكثرة ما برد عليه وبشغل ذكره وفكره منها ما يناله به مؤنة  
ومشقة وليس من يرغب في العدل ويعرف بحاسن أموره في العاجل وفضل نواب  
الآجل كالذي يستغفر بما يقربه إلى الله تعالى وتلقى به رحته وأكثر الأذن للناس  
عليك وأرهم وجهك وسكن حراسك واخفض لهم جناحك وأظهر لهم بشر لؤلؤ لهم  
في المنزلة والطقى واعطف عليهم بعبودك وفضلك وإذا أعطيت فأعط به حاسة وطيب  
نفس والناس للصنعة والاجر من غير تكدير ولا امتنان فإن العطية على ذلك تجارة  
مرجة ان شاء الله تعالى واعتبر بما ترى من أمور الدنيا ومن مضي من قبل من أهل  
السلطان والرياسة في القرون الخالية والامم البائدة ثم اعتمد في أحوال كلها الله  
سبحانه وتعالى والوقوف عند محبته والعمل بشريعته وصنعه وبأقامته وشه وكتابه  
واجتنب ما فارق ذلك وخالفه ودع إلى حفظ الله عز وجل واعرف ما يجمع عمالاً من  
الأموال وما ينفقون منها ولا يجمع حراماً ولا تنفق اسرافاً ولا كثر في مسألة العلماء  
ومشاورتهم ومخالطتهم وليكن هو التابع السنن وأقامتها وإيثاره كإمام الأخلاق  
ومقاتلها وليكن أكرم خللائك وخاصتك عليك من إذا رأى عيباً لم تنمعه هيبك من انهاء  
ذلك اليك في ستر وأهملك بمحلقه من النقص فإن أولئك أصعب أوليائك ومظاهريك  
لك وانظر عمالك الذين يهضرتك وكما لك فوقك لكل رجل منهم في كل يوم وقتا يدخل فيه  
بكيبه ومؤامره وما عسده من حوائج عمالك وأمور الدولة ورعبك ثم فرغ لما ورد  
عليك من ذلك جمعك وبصرك وفهمك وعقلك وكررا لنظرفيه والتدبيره فما كان  
موافقاً للصق والخزم فأماضه واستغفر الله عز وجل فيه وما كان مخالفاً لذلك فأصرفه إلى  
المنزلة عنه والتبى ولا تنح على وجهك ولا يفرهم بمعروف تنويه اليهم ولا تقبل من  
أخذ الألوفا والاستقامة والعون في أمور المسلمين ولا تضع المعروف الاعلى ذلك  
وتفهم كافي اليك وأمعن النظرفيه والعمل به واستعن بالله على جميع أمور ولو استغره  
فإن الله عز وجل مع الصلاح وأهله وليكن أعظم سيرتك وأفضل رغبتك ما كان لله عز  
وجل رضا ولا يشه تقلاماً ولا هلعز أو تمكيناً والملة والمنة عدلا وملاحاً وأنا أسأل  
الله عز وجل أن يحسن عونك وتوفيقك ورشدك وكلائك والسلام \* وحذث  
الاجاريون أن هذا الكتاب لم يظهر وشاع أمر ما أعجبه الناس وانصل بأما مون فلما

قرئ عليه قال ما أرى أبو الطيب يعني طاهر أشبه من أمور الدنيا والدين والتدبير  
والرأى والسياسة وملاح الملك والرعية وحفظ السلطان واطاعة الخلفاء وتقويم  
الخلافة الا وقد أحكمه وأوصى به ثم أمر المأمون فكتب به الى جميع العمال في  
التواحي ليقبلوا به ويعملوا بما فيه هذا أحسن ما وقفت عليه في هذه السياسة  
واقه أعلم

٥٣ (فصل في امر الفاطمي وما يذهب اليه الناس في شأنه وكشف الغطاء عن ذلك)

(اعلم) أن المشهور بين الكافة من أهل الاسلام على عزم الاعصار أنه لا يبقى آخر الزمان  
من ظهور رجل من أهل البيت يؤيد الدين وينظر العدل ويقيم المسلمون ويستولي  
على الممالك الاسلامية ويسعى بالمهدى ويكون خروج النجاشي وما بعده من شروط  
الساعة الشاسعة في الصحيح على اثره وأن عيسى ينزل من بعده فيقتل النجاشي أو ينزل  
معها فيساعده على قتله ويأتي بالمهدى في صلواته ويحبسون في السلب بأحاديث خريجا  
الائمة وتكلم فيها المتكرون لذلك وربما عارضوها بعض الاخبار والمتصوفة المتأخرين  
في أمر هذا الفاطمي طريقة اخرى ونوع من الاستدلال وربما يعتدون في ذلك على  
الكشف الذي هو أصل طرائقهم \* ونحن الآن نذكر هنا الاحاديث الواردة في  
هذا الشأن وما للمتكربين فيها من الطاعن والمهم في انكارهم من المتأخرين تتبعه  
بذكر كلام المتصوفة ورأيهم لبيان ذلك الصحيح من ذلك ان شاء الله تعالى فنقول ان جماعة  
من الائمة خرجوا أحاديث المهدى منهم الترمذي وأبو داود والبخاري وابن ماجه والحاكم  
والطبراني وأبو يعلى الموصلي وأسندوها الى جماعة من الصحابة مثل علي وابن عباس  
وابن عمر وطه وابن مسعود وأبي هريرة وأنس وأبي سعيد الخدري وأم حبيبة وأم سلمة  
ونوفان وقررة بن اياس وعلى الهلالى وعبد الله بن الحرث بن جزء وأسندوا بها عن  
المتكرون كما ذكرنا الآن المعروف عند أهل الحديث أن الجرح مقدم على التعديل  
فذا وجدنا طائفة من بعض رجال الامانيد بشفلة أو بسوء حفظ أو ضعف أو سوء رأى  
تطرق ذلك الى صحة الحديث وأوهن منها ولا نقول ان مثل ذلك ربما تطرق الى رجال  
الصحة فان الاجماع قد اتصل في الائمة على تلقيها بالقبول والعمل بما فيها وفى  
الاجماع أعظم حجة وأحسن دفع وليس غير الصحيحين بمنايها في ذلك فقد نجد بحال  
للإمام في أسانيدنا ما نقل عن أئمة الحديث في ذلك \* ولقد وقع أبو بكر بن أبي  
خليفة على ما نقل السهلي عنه في جمعه للأحاديث الواردة في المهدى فضل ومن  
أغريها اسنادا ما ذكره أبو بكر الاسكافي في فوائد الاخبار ومسندا الى مالك بن أنس

عن محمد بن المنكدر عن جابر قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من كذب بالمهدي  
فقد كفر ومن كذب بالسبا فقد كذب وقال في طلوع الشمس من مغربها مثل ذلك فهذا  
احسب وحسبك هذا غلوا والله أعلم بصحة طريقه الى مالك بن أنس على أن بابكر  
الاسكاف عندهم مهمتهم وضاع \* وأما الترمذي فخرج هو وأبو داود بسندهما الى  
ابن عباس من طريق عاصم بن أبي النجود أحد القراء السبعة الى زب بن حيش عن  
عبد الله بن مسعود عن النبي صلى الله عليه وسلم لو لم يبق من الدنيا الا يوم لطول الله  
ذلك اليوم حتى يعث الله فيه رجلا مني أو من أهل بيتي يواطئ اسمه اسمي واسم أبيه  
اسم أبي هذا لفظ أبي داود وسكت عليه وقال في رسالته المشهورة ان ما سكت  
عليه في كتابه فهو مباح وانظروا الترمذي لا تذهب الدنيا حتى يملك العرب رجلا من أهل  
بيت يواطئ اسمه اسمي وفي لفظ آخر حتى يلى رجل من أهل بيتي وكلاهما حديث حسن  
صحيح ورواه أيضا من طريق موقوف على أبي هريرة وقال الحاكم رواه التوروي وشعبة  
وزائدة وغيرهم من أئمة المسلمين عن عاصم قال وطرق عاصم عن زر عن عبد الله كلفه  
صحبة على ما أسلمته من الاحتجاج بأخبار عاصم اذ هو امام من أئمة المسلمين انتهى  
الآن عاصما قال فيه أحد بن حنبل كان رجلا صالحا فارتال القرآن خزانة والاعمش  
أعظم منه وكان شعبة يختار الاعمش عليه في تثبيت الحديث وقال العجلي كان يختلف  
عليه في زر وأبي وائل بشرب ذلك الى ضعف روايته عنهما وقال محمد بن سعد كان  
ثقة الا أنه كثير الخطأ في حديثه وقال يعقوب بن سفيان في حديثه اضطراب وقال عبد  
الرحمن بن أبي حاتم قلت لابي ان أبا زرعة يقول عاصم ثقة فقال ليس محله هذا وقد تكلم  
فيه ابن عليه فقال كل من اسمه عاصم سي الحفظ وقال أبو حاتم محله عندى محل الصدق  
صالح الحديث ولم يكن بذلك الحافظ واختلف فيه قول التسلي وقال ابن حواري  
في حديثه نكرة وقال أبو جعفر العجلي لم يكن فيه الاسوء الحفظ وقال الدارقطني  
في حقه شئ وقال يحيى القطان ما وجدت رجلا اسمه عاصم الا وجدته ردي الحفظ  
وقال أيضا سمعت شعبة يقول حدثنا عاصم بن أبي النجود في الناس ما قبحوا قال  
الذهبي ثبت في القراء وهو في الحديث دون الثبت صدوق فهم وهو حسن الحديث  
وان اصح أحد ابن الشيخين أخرجه فنقول أخرجه مرقا بن عيسى لا بأسا وحقه أعلم  
ونخرج أبو داود في الباب عن علي بن رضى الله عنه من رواية قطن بن خليفة عن القاسم  
ابن أبي مرة عن أبي الفضل عن علي عن النبي صلى الله عليه وسلم قال لو لم يبق من الدهر  
الا يوم لبعث الله رجلا من أهل بيتي يلو فاعدا كما لم تستجروا وطن بن خليفة وان  
وثقه أحمد ورواه يحيى بن القطان وابن معين والنسائي وغيرهم الا أن الصلي قال حسن

سلمه بن قيسه تنبوع قليل وقال ابن معين مترتبة شيى وقال أحمد بن عبد الله بن  
 يوسف كان غزلى قطن وهو مطروح لا تكتب عنه وقال مزككت أمره وأدعه  
 مثل الكلب وقال الله رطلى لا يجحبه وقال أبو بكر بن عياش ما تركت الرواية عنه  
 إلا لئلا يمتدحه وقال الجرجاني رافع غير ثقة انتهى وخرج أبو داود أيضا بسنده إلى  
 غلى رضى الله عنه عن مروان بن الحنفية عن عمر بن أبي قيس عن شعب بن أبي خالد عن  
 أبي الحسن التميمي قال قال علي وقطر إلى ابنه الحسن إن ابن هذا سيد كما سمع رسول الله  
 صلى الله عليه وسلم يخرج من صلبه رجل يسمى باسم نبيكم يشبهه في الخلق ولا يشبهه في  
 الخلق فلا الأرض عدلا وقال هرون حدثنا عمر بن أبي قيس عن مطرف بن طريف  
 عن أبي الحسن عن هلال بن عمر سمعت عليا يقول قال النبي صلى الله عليه وسلم يخرج  
 رجل من وراء النهر يقال له الحارث على مقدمة رجل يقال له منصور يوطئ أو يكتن  
 لآل محمد كما مكنت قريش لرسول الله صلى الله عليه وسلم وجب على كل مؤمن نصره أو  
 قال أبايته مكنت أبو داود عليه وقال في موضع آخر في هرون هو من ولد الشيعة وقال  
 السليمان بن قيس نظر وقال أبو داود في عمر بن أبي قيس لأبأس به في حديثه خطأ وقال  
 الذهبي صدق له وأما أبو الحسن التميمي وإن خرج عنه في بعضين فقد ثبت أنه  
 اختلط آخر عمره وروايته عن علي منقطعة وكذلك رواية أبي داود عن هرون بن الحنفية  
 • وأما السند الثاني فأبو الحسن فيه وهلال بن عمر مجهولان ولم يعرف أبو الحسن  
 الأيمن رواية مطرف بن طريف عنه انتهى وخرج أبو داود أيضا عن أم سلمة وكذا  
 ابن ماجه والحاكم في المستدرس من طريق علي بن فضال عن سفيان بن المذنب عن أم  
 سلمة قالت سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول المهدى من ولد فاطمة ولقضاهاكم  
 سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يذكر المهدى فقال أم هانئ وهو من بني فاطمة  
 ولم يتكلم عليه بتصح ولا غيره وقد ضعفه أبو جعفر العجلي وقال لا يتابع علي بن فضال  
 عليه ولا يعرف إلا به وخرج أبو داود أيضا عن أم سلمة رواية صالح بن الحليل عن  
 صاحبته عن أم سلمة قال يكون اختلاف عند موت خليفة فيخرج رجل من أهل  
 المدينة هاربا إلى مكة فبأيه ناس من أهل مكة يخبرونه وهو كاره فبأيه ناس من  
 الرضخا والمقام فيبعث إليه من الشام فيضف بهم بالبداء بين مكة والمدينة  
 فإذا رأى أن الناس ذلك ناء أبادال أهل الشام وعصائب أهل العراق فيأبونه ثم فتن  
 ورجل من قريش أخو الكلب فيبعث إليهم بمائة تظرون عليهم وذلك بعت كلب والنخبة  
 لمن لم يندغمه كلب فيقسم المال ويعمل في الناس سنة بينهم صلى الله عليه وسلم  
 ويلقى الإسلام بجراهم على الأرض فليست سبع سنين وقال بعضهم تسع سنين ثم رواه أبو

داود من رواية ابن الخليل عن عبد الله بن الحرث عن أم سلمة قين بذلك المذهب في الاسناد  
 الأول ورواه رجال الصحيح لا مطعن فيهم ولا معز ولا يقال أنه من رواية قتادة عن  
 أبي الخليل وقاتدة مدلس وقد عصفه والمدلس لا يقبل من حديثه إلا ما صرح فيه  
 بالجماع مع أن الحديث ليس فيه تصريح بذكر المهدى ثم ذكره أبو داود في أبوابه  
 وخرج أبو داود أيضاً وتأيد به الحاكم عن أبي سعيد الخدري من طريق عمران القطان  
 عن قتادة عن أبي بصرة عن أبي سعيد الخدري قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم  
 المهدى مني أجلي الجهة ألقى الألف يلا الأرض قسطاً وعدلاً كما ملئت ظلماً وجوراً  
 على سبع سنين هذا لفظ أبي داود وسكت عليه ولفظ الحاكم المهدى مني أهل  
 البيت أشم الألف ألقى أجلي يلا الأرض قسطاً وعدلاً كما ملئت جوراً وظلماً يعني  
 هكذا وبسطه وأصبغ من عينة السبابة والابهام وعقد ثلاثة قال الحاكم هذا  
 حديث صحيح على شرط مسلم ولم يخرجاه اهـ وعمران القطان مختلف في الاحتجاج  
 به إنما أخرج له البخاري استشهاده لا أصلاً وكان يحيى القطان لا يحدث عنه وقال  
 يحيى بن معين ليس بالقوي وقال مرة ليس بشيء وقال أحمد بن حنبل أرجو أن يكون  
 صالح الحديث وقال يزيد بن زريع كان حروياً وكان يرى السيف على أهل القبلة وقال  
 السافى ضعيف وقال أبو عبيد الآجري سألت أبا داود عنه فقال من أصحاب الحسن  
 وما جمعت الأخيراً وضعفه مرة أخرى ذكره فقال ضعيف ألقى في أيام إبراهيم بن عبد الله  
 ابن حسن فتوى شديدة فيها سلك العلماء وخرج الترمذي وابن ماجه والحاكم عن  
 أبي سعيد الخدري من طريق زيد العمى عن أبي صديق التاجي عن أبي سعيد الخدري  
 قال حسناً أن يكون بعض شيء حدثنا النبي الله صلى الله عليه وسلم فقال إنني  
 أمتي المهدى يخرج بعض حسناً أو سبعا أو تسعاً زيد الشاذلي قال قلنا وماذا قال سنين  
 قال فيمضي إليه الرجل فيقول يا مهدى أعطني قال فيمضي له في نوبه ما استطاع أن يجعله  
 لفظ الترمذي وقال هذا حديث حسن وقد روى من غيره عن أبي سعيد عن النبي  
 صلى الله عليه وسلم ولفظ ابن ماجه والحاكم يكون في أمتي المهدى أن قصر فسمع وال  
 قسح قسم أمتي فيه فعمه لم يسمعوا بملها قط توفي الأرض أكلها ولا بد خر مني  
 والمال يوشد كدوس فيقوم الرجل فيقول يا مهدى أعطني فيقول خذ أنتي وزيد  
 العمى وإن قال فيه الدارقطني وأحمد بن حنبل ويحيى بن معين أنه صالح وزاد أحمد أنه  
 فوق زيد الرافعي وفضل بن عيسى إلا أنه قال فيه أبو حاتم ضعيف يكتب حديثه  
 ولا ينجح به وقال يحيى بن معين في رواية أخرى لا شيء وقال مرة يكتب حديثه وهو  
 ضعيف وقال الجرجاني متساك وقال أبو زرعة ليس بقوي وأبو الحديث ضعيف

وقال أبو حاتم ليس بذلك وقد حدث عنه شعبة وقال النسائي ضعيف وقال ابن عدي عاتمة ما يرويه ومن يروي عنهم ضعفا على أن شعبة قد روى عنه ولعل شعبة لم يرو عن أضعف منه وقد يقال إن حديث الترمذي وقع تفسير المارواه مسلم في صحيحه من حديث جابر قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم يكون في آخر أمتي خليفة يحضي المال حبنا إلا بعدة عددا ومن حديث أبي سعيد قال من خلفناكم خليفة يحضي المال حشيا ومن طريق أخرى عنهما قال يكون في آخر الزمان خليفة يقسم المال ولا يعته انتهى وأحاديث مسلم لم يقع فيها ذكر المهدي ولا دليل يقوم على أنه المراد منها ورواه الحاكم أيضا من طريق عوف الأعرابي عن أبي الصديق الناجي عن أبي سعيد الخدري قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لا تقوم الساعة حتى تغلأ الأرض جورا وظلما وعدوانا ثم يخرج من أهل بيتي رجل علوهما قسطا وعدلا كما ملئت ظلما وعدوانا وقال فيه الحاكم هذا صحيح على شرط الشيخين ولم يخرجاه ورواه الحاكم أيضا من طريق سليمان بن عبيد عن أبي الصديق الناجي عن أبي سعيد الخدري عن رسول الله صلى الله عليه عليه وسلم قال يخرج في آخر أمتي المهدي يسقيه الله الغيث ويخرج الأرض نباتها ويعطي المال صحاحا وتكثر الماشية وتعظم الأمة يعيش سبعا وأثمانا يعني حججا وقال فيه حديث صحيح الاسناد ولم يخرجاه مع أن سليمان بن عبيد لم يخرج له أحد من الستة لكن ذكره ابن حبان في الثقات ولم يرد أن أحدا تكلم فيه ثم رواه الحاكم أيضا من طريق أسد بن موسى عن جلد بن سلمة عن مطر الوراق وأبي هرون العبدى عن أبي الصديق الناجي عن أبي سعيد أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال غلأ الأرض جورا وظلما فيخرج رجل من عترتي فيملك سبعا أو تسعا فيغلا الأرض عدلا وقسطا كما ملئت جورا وظلما وقال الحاكم فيه هذا حديث صحيح على شرط مسلم وإنما جعله على شرط مسلم لأنه أخرجه عن جلد بن سلمة وعن شيخه مطر الوراق وأما شيخه الآخر وهو أبو هرون العبدى فلم يخرج له وهو ضعيف جدا منهم بالكذب ولا حاجة إلى بسط أقوال الأئمة في تضعيفه \* وأما الراوى له عن جلد بن سلمة وهو أسد بن موسى ويليقه أسد السنة وإن قال البخاري مشهور الحديث واستشهد به في صحيحه واحتج به أبو داود والنسائي بالأئمة قال مرة أخرى ثقة ولم يصنف كان خيرا له وقال فيه محمد بن حزم منكر الحديث ورواه الطبراني في معجمه الأوسط من رواية أبي الواصل عبد الحميد بن واصل عن أبي الصديق الناجي عن الحسن بن يزيد السعدي أحد بني بهلة عن أبي سعيد الخدري قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول يخرج رجل من أمتي يقول يستقي نزل الله عز وجل له القطر من السماء ويخرج الأرض بركةا وغلأ الأرض منه



قسطا وعدلا كما ملئت جورا وظلما يعمل على هذه الأمة سبع سنين وينزل بيت  
 المقدس وقال الطبراني فيه ورواه جماعة عن أبي الصديق ولم يدخل أحد منهم بينه  
 وبين أبي سعيد أحد إلا أنا الواصل فانه رواه عن الحسن بن زيد عن أبي سعيد انتهى  
 وهذا الحسن بن زيد ذكره ابن أبي حاتم ولم يعرفه بأكثر مما في هذا الاسناد من  
 روايته عن أبي سعيد ورواية أبي الصديق عنه وقال الذهبي في الميزان انه مجهول  
 لكن ذكره ابن حبان في الثقات وأما الواصل الذي رواه عن أبي الصديق فلم  
 يخرج له أحد من الستة وذكره ابن حبان في الثقات في الطبقة الثانية وقال فيه يروى عن  
 أنس وروى عنه شعبة وعتب بن بشر وخرج ابن ماجه في كتاب السنن عن عبد الله بن  
 مسعود من طريق يزيد بن أبي زياد عن ابراهيم عن علقمة عن عبد الله قال بينما نحن  
 عند رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا قل قتيه بن عي هاشم فلما رآهم رسول الله صلى  
 الله عليه وسلم ذرفت عيناه وتغير لونه قال قتل ما زال نرى في وجهك شأنا بكره فقال  
 انأهل البيت اختار الله لنا الآخرة على الدنيا وان أهل بيتي سيلقون بعدى بلاء  
 وقسريدا وتطريد اسحق يأتى قوم من قبل المشرق معهم رايات سود فبئس آلون انهم فلا  
 يعطونه بفتايلون وينسرون فيه بطون ماسا ألوا فلا يقبلونه حتى يدفعونها الى الرجل من  
 أهل بيتي فيملؤاها قسطا كاملواها جورا فغن أدرك ذلك منكم فليأتهم ولو جوا على  
 الثلج انتهى \* وهذا الحديث يعرف عند المحدثين بحديث الرايات ويزيد بن أبي  
 زياد راويه قال فيه شعبة كان رفعا يعني يرفع الاحاديث التي لا حرق من فوعه وقال  
 محمد بن الفضل كان من كبار أئمة الشيعة وقال أحمد بن حنبل لم يكن بالحافظ وقال  
 مرة حديثه ليس بذلك وقال يحيى بن معين ضعف وقال الهيثمي جازا الحديث وكان  
 باسره يلحق وقال أبو زرعة لين يكتب حديثه ولا يصح به وقال أبو حاتم ليس بالقوي  
 وقال الجرجاني سمعته يضعفون حديثه وقال أبو داود لا أعلم أحدا ترك حديثه وغيره  
 أحب الي منه وقال ابن عدي هو من شيعة أهل الكوفة ومع ضعفه يكتب حديثه  
 وروى له مسلم لكن مقرونا بغيره وبالجملة فلا كثرون على ضعفه وقد صرح الأئمة  
 بضعف هذا الحديث الذي رواه عن ابراهيم عن علقمة عن عبد الله وهو حديث  
 الرايات وقال وكيع بن الجراح فيه ليس بشئ وكذلك قال أحمد بن حنبل وقال أبو  
 قدامة جمعت أبا أسامة يقول في حديث يزيد عن ابراهيم في الرايات لو حلف عند يدي  
 حسين بينا أقسمت ما صدقته هذا مذهب ابراهيم هذا مذهب علقمة هذا مذهب  
 عبد الله وأورد العقيلي هذا الحديث في الضعفاء وقال الذهبي ليس بصحيح وخرج ابن  
 ماجه عن علي بن رضى الله عنه من روايتنا من الهبل عن ابراهيم بن محمد بن الحنفية عن

إليه عن جده قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم المهدي من أهل البيت يصلح الله به  
 في الدنيا ويأمن العجلى وإن قال فيه ابن معين ليس به بأس فقد قال البخاري فيه نظر وهذه  
 اللفظة من اصطلاحه قوية في التضعيف جدا وأورد له ابن عدي في الكامل والذهبي  
 في الميزان هذا الحديث على وجه الاستنكار له وقال هو معروف به وخرج الطبراني  
 في معجمه الأوسط عن علي رضي الله عنه أنه قال للبي صلى الله عليه وسلم أئمتنا المهدي  
 أم من غيرنا يا رسول الله فقال بل مننا يا محترم الله كما نبأ فتح ونبأ يستفدون من الشرك  
 ونبأ يؤلف الله بين قلوبهم بعد عداوة بينة كما نبأ ألف بين قلوبهم بعد عداوة الشرك قال  
 علي أمؤمنون أم كافرون قال مغفون وكافر انتهى وفيه عبد الله بن لهيعة وهو  
 ضعيف معروف الحال وفيه عمر بن جابر الحضرمي وهو أضعف منه قال أحمد بن حنبل  
 روى عن جابرنا كبير بلغنى أنه كان يكذب وقال الترمذي ليس بشقة وقال كان ابن  
 لهيعة شيخا أحمق ضعيف العقل وكان يقول علي في الصحاب وكان مجلس معافى بصر  
 سحابة فيقول هذا علي قد مر في الصحاب وخرج الطبراني عن علي رضي الله تعالى عنه  
 أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال يكون في آخر الزمان فتنة تحصل الناس فيها  
 كما يحصل الذهب في المعدن فلا تسبوا أهل الشام ولكن سبوا أشرارهم فإن فيهم  
 لا بد ليوثق أن يرسل علي أهل الشام صيب من السماء فيفرق جماعتهم حتى لو فاتهم  
 الثعالب غلبتهم فمعد ذلك يخرج خارج من أهل بيتي في ثلاث رايات المكثري يقول بهم  
 خمسة عشر ألفا والمقل يقول بهم اثنا عشر ألفا وأما رتهم امت امت يلقون سبع رايات  
 تحت كل راية منها رجل يطلب الملك فيقتلهم الله جميعا ويرد الله إلى المسلمين ألفتهم  
 ونعمتهم وقاصبتهم ورأيهم اه وفيه عبد الله بن لهيعة وهو ضعيف معروف الحال  
 ورواه الحاكم في المستدرک وقال صحيح الإسناد ولم يخرجاه في روايته ثم يظهر الهانحي  
 فيرد الله الناس إلى ألفتهم الخ وليس في طريقه ابن لهيعة وهو اسناد صحيح كما ذكر  
 وخرج الحاكم في المستدرک عن علي رضي الله عنه من روايه أبي الطيفل عن محمد بن  
 الحنفية قال كاعند علي رضي الله عنه فدا له رجل عن المهدي فقال علي هيات ثم عقد  
 يده مسبا فقال ذلك يخرج في آخر الزمان إذا قال الرجل الله الله قتل ويجمع الله  
 قوما فترفع كقزع السحاب يؤلف الله بين قلوبهم فلا يستوحشون إلى أحد ولا يفرحون  
 بأحد دخل فيهم عتتهم على عدة أهل بدلم يسبقهم الأولون ولا يدركهم الآخرون  
 وعلى عدد أصحاب طالوت الذين جاوزوا معه النهر قال أبو الطيفل قال ابن الحنفية  
 أتريده قلت نعم قال فإنه يخرج من بين هذين الأخشين قلت لا جرم واقه ولا أدعها حتى  
 أحوت ومات بها يعني مكة قال الحاكم هذا حديث صحيح على شرط الشيخين انتهى وانما

هو على شرط مسلم فقط فان فيه عمارا الذهبي وبنو بن أبي اسحق ولم يخرج لهما  
البخاري وفيه عمرو بن محمد العبقرى ولم يخرج له البخاري احتججا بابل استشهدا مع  
ما ينضم الى ذلك من تشيع عمار الذهبي وهو وان وثقه أحد وابن معين وأبو حاتم  
النسائي وغيرهم فقد قال علي بن المدني عن صفوان بن عمرو بن مروان قطع عرقويه  
قلت في أي شيء قال في التشيع وخروج ابن ماجه عن أنس بن مالك رضى الله عنه  
في رواية سعد بن عبد الحميد بن جعفر عن علي بن زياد اليامي عن عكرمة بن عمار عن  
اسحق بن عبد الله عن أنس قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول نحن ولد  
عبد المطلب سادات أهل الجنة أنا وجزءه علي وجعفر والحسن والحسين والمهدي  
اتمى وعكرمة بن عمار وان أخرجه له مسلم فانما أخرجه له متابعه وقد ضعفه بعض  
ووثقه آخرون وقال أبو حاتم الرازي هو مدلس فلا يقبل الآن يصرح بالسماح وعلى  
ابن زياد قال الذهبي في الميزان لا ندري من هو ثم قال الصواب فيه عبد الله بن زياد وسعد  
ابن عبد الحميد وان وثقه يعقوب بن أبي شيبة وقال فيه يحيى بن معين اسبه بأس فقد  
تكلم فيه الثوري قالوا لانه وآه يفتي في مسائل ويخطئ فيها وقال ابن حبان كل من  
فحش عطاؤه فلا ينجبه وقال أحمد بن حنبل سعد بن عبد الحميد بدعي أنه سمع عرض  
كتب مالك والناس يشكرون عليه ذلك وهو ههنا يغدأ لم يعج فكيف سمعها وجعله  
الذهبي ممن لم يقدح فيه كلامه من تكلم فيه وخروج الحاكم في مستدركه من رواية مجاهد  
عن ابن عباس موقوفا عليه قال مجاهد قال لي ابن عباس لو لم أسمع أنك مثل أهل  
البيت ما حدثت بهذا الحديث قال فقال مجاهد فانه في ستر لا ذكره لمن يكره قال فقال  
ابن عباس من أهل البيت أربعة منا السفاح ومنا المنذور ومنا المنصور ومنا المهدي  
قال فقال مجاهد من لي هؤلاء الأربعة فقال ابن عباس أما السفاح فربما قتل أنصاره  
وعفاه عن عدوه وأما المنذور أراه قال فانه يعطى المال الكثير ولا يتعاطم في نفسه  
وعيس القليل من حقه وأما المنصور فانه يعطى النصر على عدوه الشطر مما كان يعطى  
رسول الله صلى الله عليه وسلم ويرهب منه عدوه على مسيرة شهرين والمنصور يرهب منه  
عدوه على مسيرة شهر وأما المهدي الذي علا الأرض عدلا كما ملئت جورا وتأسن  
البهائم السباع وتلقى الأرض أفلاذ كبدها قال قلت وما أفلاذ كبدها قال أمثال  
الأسطوانات من الذهب والفضة اه وقال الحاكم هذا حديث صحيح الاسناد ولم يخرجاه  
وهو من رواية اسمعيل بن ابراهيم بن مهاجر عن أبيه واسمعييل ضعيف وابراهيم  
أبوهم وان أخرجه له مسلم فلا كثرون على تضعفه اه وخروج ابن ماجه عن يونس قال  
قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لم يقتل عند كبركم ثلاثة كلهم ابن خليفة ثم لا يصير الى

واحدمهم حتى تطلع الرايات السود من قبل المشرق فيقتلوهم قتلا لم يقتله قوم ثم ذكر  
 شيئا لا أحفظ قال فإذا رأى تموء فبادعوه ولوحبوا على الثلج فإنه خليفة الله المهدي ٥١  
 ورواه الريان المديني الآن فيه أبا قابلة الحرمي وذكر الذهب وغيره أنه مدلس وفيه  
 صفات الثوري وهو مشهور بالتدليس وكل واحد منهم ما عنى ولم يصرح بالسماع  
 فلا يقبل وفيه عبد الرزاق بن همام وكان مشهورا بالتشيع وعنى في آخر وقته نكاح  
 قال ابن عدي حدثت بأحاديث في القضايل لم يوافق عليها أحد ونسبوه إلى التشيع  
 انتهى \* وخرج ابن ماجه عن عبد الله بن الحرث بن جرة الزبيدي من طريق ابن  
 لهيعة عن أبي زرعة عن عمر بن جابر الحضرمي عن عبد الله بن الحرث بن جرة قال قال  
 رسول الله صلى الله عليه وسلم يخرج ناس من المشرق فيوطنون للمهدي يعني سلطانه  
 قال الطبراني تفريده ابن لهيعة وقد تقدم لنا في حديث علي الذي خرج الطبراني  
 في معجمه الاوسط أن ابن لهيعة ضعيف وأن شيعة عمر بن جابر أضعف منه وخرج البزار  
 في مسنده والطبراني في معجمه الاوسط واللفظ الطبراني عن أبي هريرة عن النبي صلى  
 الله عليه وسلم قال يكون في أمتي المهدي ان قصر فسيح والأفنان والاقنص تنم فيه  
 أمتي نعم لم ينعموا بعثها ترسل السماء عليهم مدرارا ولا تدر الأرض شيئا من النبات  
 والمال كدوس يقوم الرجل يقول يا مهدي أعطني فيقول خذ قال الطبراني والبزار  
 تفريده محمد بن مروان الجعفي زاد البزار ولا أعلم أنه تابعه عليه أحد وهو وان وثقه أبو  
 داود وابن حبان أيضا بما ذكره في الثقات وقال فيه يحيى بن معين صالح وقال مرة ليس  
 به بأس فقد اختلفوا فيه وقال أبو زرعة ليس عندي بذلك وقال عبد الله بن أحمد بن  
 حنبل رأيته محمد بن مروان الجعفي حدثت بأحاديث وأنا ما اهدم نكتها تركتها على عبد  
 وكتب بعض أصحابنا عنه كله ضعفه وخرجه أبو يعلى الموصلي في مسنده عن أبي  
 هريرة وقال حدثني خليلي أبو القاسم صلى الله عليه وسلم قال لا تقوم الساعة حتى  
 يخرج عليهم رجل من أهل بيتي فيضربهم حتى يرجعوا إلى الحق قال قلت وكيف ذلك قال  
 خمسوا وثلاثين قال قلت وما خمس وثلاثين قال لأدري ٥٢ وهذا السند مردودان كل  
 فيه بشير بن نهشل وقال فيه أبو حاتم لا ينجيه فقد احتج به الشيخان ووثقه الناس ولم  
 يلتفتوا إلى قول أبي حاتم لا ينجيه به الآن فيه رجاء بن أبي رجاء البشكري وهو مختلف  
 فيه قال أبو زرعة ثقة وقال يحيى بن معين ضعيف وقال أبو داود ضعيف وقال مرة صالح  
 وعلقه البزار في صحيحه حديثا واحدا وخرج أبو بكر البزار في مسنده والطبراني  
 في معجمه الكبير واللاوسط عن قرعة بن ياس قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم  
 لقلان الأرض جورا وظلما فإذا ملئت جورا وظلما بعث الله رجلا من أمتي اسمه اسمي

واسم أبيه اسم أبي علوها عدلا وقسطا كما مدت جورا وظلما فلا تنزع السماء من قطرها  
 شيئا ولا الأرض شيئا من نباتها يلبث فيكم سبعا وأغنيا وأتسعا يعني سنين ١٥ وفيه  
 دواوين المحمي بن مجرم عن أبيه وهما ضعيفان جدا وخرج الطبراني في معجمه الاوسط عن  
 ابن عمر قال كان رسول الله صلى الله عليه وسلم في قمر من المهاجرين والانصار وعلى  
 ابن أبي طالب عن يسار والعباس عن عيينة اذ تلاخى العباس ورجل من الانصار  
 فأغلظ الانصاري للعباس فأخذ النبي صلى الله عليه وسلم بيد العباس ويد علي وقال  
 سيخرج من صلب هذا حتى يلا الأرض جورا وظلما وسيخرج من صلب هذا حتى يلا  
 الأرض قسطا وعدلا فاذا رأيت ذلك فعليكم بالفتى التيمى فإنه يقبل من قبل المشرق  
 وهو صاحب راية المهدي ١٥ وفيه عبد الله بن عمر العمى وعبد الله بن الهذيلة وهما  
 ضعيفان ١٥ وخرج الطبراني في معجمه الاوسط عن طلحة بن عبد الله عن النبي صلى  
 الله عليه وسلم قال ستكون قننة لا يسكن منها جانب الا تشاجر جانب حتى ينادي  
 مناد من السماء ان أمركم فلان ١٥ وفيه المنثي بن الصباح وهو ضعيف جدا وليس  
 في الحديث قصر يحمي ذكر المهدي وانما ذكره في أبوابه وترجمته استئناسا (فهذه) جلة  
 الاحاديث التي خرّجها الأئمة في شأن المهدي وخروجه آخر الزمان وهي كإراءيت لم  
 يخلص منها من النقد الا القليل والاقول منه وورعنا تكميل المنكروين لشأنه بما رواه محمد  
 ابن خالد الجندی عن أبان بن صالح بن أبي عياش عن حسن البصري عن أنس بن مالك  
 عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال لامهدي الاعيسى ابن مريم وقال يحيى بن معين في  
 محمد بن خالد الجندی انه ثقة وقال البيهقي تفرّد به محمد بن خالد وقال الحاكم فيه انه رجل  
 مجهول واختلف عليه في اسناده مرة يروى كما تقدم وينسب ذلك لمحمد بن ادريس  
 الشافعي ومرة يروى عن محمد بن خالد عن أبان عن الحسن عن النبي صلى الله عليه وسلم  
 مرسل قال البيهقي فرجع الى رواية محمد بن خالد وهو مجهول عن أبان بن أبي عياش وهو  
 متروك عن الحسن عن النبي صلى الله عليه وسلم وهو منقطع وبالجملة فالحديث ضعيف  
 مضطرب وقد قيل أن في لامهدي الاعيسى أي لا يتكلم في المهدي الاعيسى يحدّثون  
 بهذا التأويل رد الاحتجاج به أو الجمع بينه وبين الاحاديث وهو مدفوع بحديث  
 جريح ومثله من الخوارق \* وأما المتصوفة فلم يكن المتقدمون منهم يحضون  
 في شيء من هذا وانما كثر كلامهم في المجاهدة بالاعمال وما يحصل عنهم نتائج المواجد  
 والاحوال وكان كلام الامامية والرافضة من الشيعة في تفضيل علي رضي الله تعالى  
 عنه والقول بامامته وادعاء الوصية له بذلك من النبي صلى الله عليه وسلم والتبري  
 من الشيخين كما ذكرناه في سذاهم ثم حدث فيهم بعد ذلك القول بالامام المعصوم كثرت

التأليف في مذهبهم وجاء الاسماعيلية منهم يدعون ألوهية الامام نوع من الحلول  
 وآخرون يدعون رجعة من مات من الأئمة بنوع التاسع وآخرون منتظرون مجي من  
 يقطع عنه منهم وآخرون منتظرون عود الامر في أهل البيت مستبدلين على ذلك بما  
 قدمناه من الاحاديث في المهدي وغيرها ثم حدث أيضا عند المتأخرين من الصوفية  
 الكلام في الكشف وفيما وراء الحس وظهر من كثير منهم القول على الاطلاق بالحلول  
 والوحدة فشاركوا في الامامية والرافضة لقولهم بألوهية الأئمة وحلول الاله فيهم  
 وظهر منهم أيضا القول بالقطب والابدال وكأنه يحاكي مذهب الرافضة في الامام  
 والتقية وأشربوا أقوال الشيعة ونوعوا في البينة بمذاهبهم حتى لقد جعلوا مستند  
 طريقتهم في لباس الخرقه أن عليا رضي الله عنه أسما الحسن البصري وأخذ عليه  
 العهد بالترام الطريقة واتصل ذلك عنهم بالجند من شيوخهم ولا يعلم هذا عن علي من  
 وجه صحيح ولم تكن هذه الطريقة خاصة بعلي كرم الله وجهه بل العصابة كلها في أسوء في  
 طرق المهدي وفي تخصيص هذا بعلي دونهم رائحة من التشيع قوية يفهم منها ومن غيرها  
 مما تقدم دخولهم في التشيع وانخراطهم في سلكه وظاهر منهم أيضا القول بالقطب  
 وامثالات كتب الاسماعيلية من الرافضة وكتب المتأخرين من المتصوفة بمثل ذلك في  
 القاطمي المنتظر وكان بعضهم عليه على بعض ويلقبه بعضهم من بعض وكأنه مبنى على  
 أصول واهية من الفريقتين وربما تبدل بعضهم بكلام المتبحرين في القرآن وهو من  
 نوع الكلام في الملاحم وبأن الكلام عليها في الباب الذي يلي هذا أو أكثر من تكلم من  
 هؤلاء المتصوفة المتأخرين في شأن القاطمي ابن العربي الحاتمي في كتاب عنقا مغرب  
 وابن قسي في كتاب خلع النعلين وعبد الحق بن سبعين وابن أبي واطيل تلميذه في شرحه  
 لكتاب خلع النعلين وأكثر كتاباتهم في شأنه القزاز وأمثال وربما يصرحون في الأقل  
 أو يصرح مفسر وكلامهم وحاصل مذهبهم فيه على ما ذكر ابن أبي واطيل أن النبوة  
 بها ظهر الحق والمهدي بعد الضلال والعصبي وانما تعقبها الخلافة ثم يعقب الخلافة  
 الملك ثم يعود تحبير أو تكبر أو باطلا قالوا ولما كان في المعهود من سنة الله رجوع  
 الامور الى ما كانت وجب أن يحيا أمر النبوة والحق بالولاية ثم خلافتها ثم يعقبها  
 الدجل مكان الملك والتسلط ثم يعود الكفر بهالة يشيرون به هذا الما وقع من شأن  
 النبوة والخلافة بعدها والملك بعد الخلافة هذه ثلاث مراتب وكذلك الولاية التي هي  
 لهذا القاطمي والدجل بعدها كناية عن خروج الدجال الى أثر والكفر من بعد  
 ذلك فهي ثلاث مراتب على نسبة الثلاث مراتب الاولى ثم يعود الكفر كما كان قبل  
 النبوة فالاولى كان أمر الخلافة لقرش حكما شرعيا بالاجماع الذي لا يوهنه انكار

من لم يزاوِلْ علمه وجب أن تكون الامامة فيمن هو أخص من قريش بالنبي صلى الله عليه وسلم أما ظاهرها كبرى عسَد المطلب وأما باطنها فمن كان من حقيقة الآل والآل من إذا حضر لم يغيب من هو الهوازين العربي الخاتمي سواء في كآبه عنقاء مغرب من تألفه خاتم الاولياء وكفى عنه بلبنة القضة اشارة الى حديث البخاري في باب خاتم النبيين قال صلى الله عليه وسلم مثلي فيمن قبلي من الانبياء كمثل رجل ابني ميتا أو كمله حتى اذا لم يبق منه الا موضع لبنة فأتاك تلك البنة ففُسررون خاتم النبيين باللبنة حتى اكملت البناء ومعناه النبي الذي حصلت له النبوة الكاملة وعملون الولاية في تفاوت مراتبها بالنبوة ويعملون صاحب الكمال فيها خاتم الاولياء أي حائز الرتبة التي هي خاتمة الولاية كما كان خاتم الانبياء حائز المرتبة التي هي خاتمة النبوة فكيف الشارع عن تلك المرتبة الخاتمة بلبنة البيت في الحديث المذكور وهما على نسبة واحدة فيها فهي لبنة واحدة في التمثيل في النبوة لبنة ذهب وفي الولاية لبنة فضة للتفاوت بين الرتبين كما بين الذهب والقضة فيجعلون لبنة الذهب كآية عن النبي صلى الله عليه وسلم ولبنة القضة كآية عن هذا الولي الفاطمي المنتظر وذلك خاتم الانبياء وهذا خاتم الاولياء وقال ابن العربي فيما نقل ابن أبي واطيل عنه وهذا الامام المنتظر هو من أهل البيت من ولد فاطمة ونظيره يكون من بعد مضي خ ف ح من الهجرة ورسم حروف ثلاثة يريد عدد هاجم حساب الجمل وهو انشاء المجبة واحدة من فوق ستمائة واثنا عشر الفاء واخترت القاف بثمانين والحجيم المجبة واحدة من أسفل ثلاثة وذلك ستمائة وثلاث وثمانون سنة وهي في آخر القرن السابع ولما انصرم هذا العصر ولم يظهر حل ذلك بعض المقلدين لهم على أن المراد بذلك المدة مولده وعبر بظهوره عن مولده وأن خروجه يكون بعد العشر والسبع مائة فانه الامام الناجم من ناحية المغرب قال واذا كان مولده كما زعم ابن العربي سنة ثلاث وثمانين وسبعمائة فيكون عمره عند خروجه ستا وعشرين سنة حال وزعموا أن خروج الدجال يكون سنة ثلاث وأربعين وسبعمائة من اليوم الحمدي وابتداء اليوم الحمدي عندهم من يوم وفاة النبي صلى الله عليه وسلم الى تمام القسمة قال ابن أبي واطيل في شرحه كتاب خلع التعلين الولي المنتظر القائم بأمر الله المشار اليه بمحمد المهدي وخاتم الاولياء وليس هو نبي وانما هو ولي استعنه روحه وحبيبه حال صلى الله عليه وسلم العالم في قومه كالنبي في أمته وقال علماء أتت كآية نبي اسرائيل ولم تزل البشرية تتابع به من أول اليوم الحمدي الى قبيل الخمسة مائة نصف اليوم وثنا كدت وتضاخت بشاشر المنايا يتقرب وقته وازدلاف زمانه منذ انقضت الى هلم جرا قال وذكر الكندي أن هذا الولي هو الذي يصلي بالناس صلاة الظهر ويحدد الاسلام ويظهر العدل ويقع جزيرة

الاندلس ويصل الى درومة فيقتطعها ويسير الى المشرق فيقتطعه ويفتح القسطنطينية  
ويصير ملك الارض فيتقوى المسلمون ويعلموا الاسلام ويظهر دين الحنيفية فان من  
صلاة الظهر الى صلاة العصر وقت صلاة قال عليه الصلاة والسلام ما بين هذين وقت  
وقال الكندي أيضا الحروف العربية غير المجهية يعني المختص بها سور القرآن جملة  
عددها سبع مائة وثلاثة وأربعون وسبعة دجالية ثم ينزل عيسى في وقت صلاة العصر  
فيصلح الدنيا وتغشى الشامة الذئب ثم يبقى ملك المعجم بعد اسلامهم مع عيسى مائة  
وستين عاما عدد حروف المعجم وهي ق ي ن دولة العدل منها أربعون عاما قال ابن  
أبي واطيل وما ورد من قوله لا مهدي الا عيسى فمناه لا مهدي تساوي هدايته ولايته  
وقيل لا يتكلم في المهدي الا عيسى وهذا مدفوع بحدوث جريج وغيره وقد جاء في الصحيح  
انه قال لا يزال هذا الامر قائما حتى تقوم الساعة أو يكون عليهم اثنا عشر خليفة  
يعني قرشيا وقد أعطى الوجود أن منهم من كان في أول الاسلام ومنهم من سيكون  
في آخره وقال الخلافة بعدى ثلاثون أو واحد وثلاثون أو ستة وثلاثون وانقضاؤها  
في خلافة الحسن وأول أمر معاوية فيكون أول أمر معاوية خلافة أخذ بأه وأهل  
الاسماء فهو سادس الخلفاء وأما سابع الخلفاء فعمرو بن عبد العزيز والباقيون خمسة من  
أهل البيت من ذرية علي يؤيده قوله الملك ذو القرنين يريد الائمة أي الملك خليفة في أولها  
وذريته في آخرها ويرى بما استدلل بهذا الحديث القائلون بالرجعة فالقول هو  
المشار إليه عندهم بطلوع الشمس من مغربها وقد قال صلى الله عليه وسلم إذا هلك  
كسرى فلا كسرى بعده وإذا هلك قيصر فلا قيصر بعده والذي نفسي بيده لتنفق  
كنوزهم في سبيل الله وقد أنفق عمر بن الخطاب كنوز كسرى في سبيل الله والذي  
بيدهم قيصر وينفق كنوزهم في سبيل الله هو هذا المنتظر حين يفتح القسطنطينية  
نعم الأمير أميرها ونعم الجيش ذلك الجيش كذا قال صلى الله عليه وسلم وهذه  
حكمه بضع والبضع من ثلاث الى تسع وقيل الى عشر وجاء ذكر أربعين وفي بعض  
الروايات سبعين وأما الأربعون فائمة ومدة الخلفاء الأربعة الباقيين من أهل  
القائمين بأمرهم بعده على جميعهم السلام قال وذكر أصحاب الشجر والقرانات أن  
مدة بقاء أمره وأهل بيته من بعد مائة وتسعة وخمسون عاما فيكون الامر على هذا  
جاريا على الخلافة والتعدل أربعين أو سبعين ثم تختلف الاحوال ستكون ملكا انتهى  
كلام ابن أبي واطيل وقال في موضع آخر نزول عيسى يكون في وقت صلاة العصر  
من اليوم النجمي حين تضيئ ثلاثة أرباعه قال وذكر الكندي يعقوب بن اسحق  
في كتاب الجفر الذي ذكر فيه القرانات أنه اذا وصل القرآن الى الثور على رأس حوض



بحرقين الضاد المجهة والحاء المهملة يريد ثمانية وكسعين وسقافين الهجيرة ينزل المسح  
 فيحكم في الارض ماشاء الله تعالى قال وقد ورد في الحديث أن عيسى ينزل عند المنساة  
 البيضاء شرق دمشق ينزل بين مهرودتين يعني حلتين من عشرين صفراوين عشرين  
 واضعا كفيه على أجنحة الملكين لهلة كأنما خرج من ديماس إذا طأ طأ رأسه قطر  
 وإذا رفعه فقد رمنه جان كاللؤلؤ كثير ضيلان الوجه وفي حديث آخر مروع الخلق  
 والى البيضاء والحجرة وفي آخر أنه يتزوج في القرب والقرب بدلو البادية يريد أنه يتزوج  
 منها وتلد زوجته وذكر وفاته بعد أربعين عاما وجاء أن عيسى يموت بالمدينة ويدفن إلى  
 جانب عمر بن الخطاب وجاء أن أبا بكر وعمر يحشران بين يمين قال ابن أبي طاهر  
 والشيعة تقول أنه هو المسيح مسيح المسايح من آل محمد قلت وعليه حمل بعض المتصوفة  
 حديث لامهدي الاعشى أي لا يكون مهدي الالمهدي الذي نسبته إلى الشيعة  
 المهدية نسبة عيسى إلى الشيعة الموسوية في الانبياء وعدم النسخ إلى كلام من  
 أمثال هذا يصنون فيه الوقت والرجل والمكان بأدلة واحدة ويمكن مختلفنة  
 فينقض الزمان ولا أثر لشي من ذلك فيرجعون إلى تجسدي رأي آخر منتحل كآثر امن  
 مفهومات لغوية وأشياء تخيلية وأحكام مجرمية في هذا انقضت أعمار الاول منهم  
 والاخر « وأما المتصوفة الذين عاصروا هم فأكثروا يشيرون إلى ظهور رجل مجتهد  
 لأحكام الله وراسم الحق ويصنون ظهوره بالقرب من عصرنا بعضهم يقول من  
 ولدنا طامة وبعضهم يطلق القول فيه سمعنا من جماعة أكبرهم أبو يعقوب البغدادي  
 كبير الاولياء بالقرب كل في أول هذه المائة الثلاثة وأخبرني عنه ساذر صاحبنا  
 أبو يحيى ذكر ما عن أبيه أي محمد عبد الله عيسى عليه الولى أي يعقوب المذكور وهذا آخر  
 ما اطلعت عليه أو بلغنا من كلام هؤلاء المتصوفة وما أوردته أهل الحديث من أخبار  
 المهدي قد استوفينا جبعه ببلغ طاقتنا والحق الذي ينبغي أن تقر بذلك أنه لا تتم  
 دعوى من الدين والمف الإبر وجود شوكه عصية تطهره وتدفع عنه من يدفعه حتى يتم  
 أمر الله فيه وقد تقرر ذلك من قبل البراهين القطعية التي أرسلت هنا لتوضعية  
 الفاطميين بل وقرئش أجمع قد تلاشت من جميع الآفاق ووجدت أم آخرون قد  
 استلقت عصيتهم على عصية قرئش الاماني بالجوار في مكة وضعف بالمدينين الطالبيين  
 من بني حسن وبني حسين وبني جعفر متشرون في تلك البلاد وغالبون عليها وهم  
 عصاب بدوية متفرقون في مواطنهم وأما زتهم وآرائهم يلفون الأظلم الكثرة فإن صح  
 ظهور هذا المهدي فلا وجه لظهور دعوه الأباة يكون منهم ويؤلف الله بين قلوبهم في  
 اتباعه حتى تتم له شوكه وعصية واقية باظهار كلمته وحل الناس عليها وأما على غير هذا

الوجه مثل أن يدعوا قاطمي منهم الى مثل هذا الامر في أفق من الأفاق من غير حصة  
 ولا شوك الامير ذنبية في أهل البيت فلا يتم ذلك ولا يمكن لما أسلفناه من البراهين  
 الصريحة وأما ما تدعيه العادة والاعتبار من الدهماء عن لا يرجع في ذلك الى عقل  
 بهلية ولا علم بقيد فيجبون ذلك على غريبة وفي غير مكان تقليد الماشهور من ظهور  
 قاطمي ولا يعلون حقيقة الامر كما بيناه وأكثرا ما يجيئون في ذلك التماسية من المالك  
 وأطراف العمران مثل الزاب بقرية والسوس من المغرب وبجند الكثيرين من ضفاء  
 الصائر بقصدون دباطا بجاسقيا كان ذلك الرباط بالمغرب من الملقين من كبد الله  
 واعتقادهم أنهم منهم أو فاعثون بدعوته زعماء لاستدلالهم الاغربة تلك الامم وبعدهم على  
 يقين المعرفة بأحوالهم كثر أو قلة أو ضعف أو قوّة ولبعد القاصية عن مثال الدولة  
 وخروجها عن نظامها فتقوى عندهم الاوهام في ظهوره هناك بخروجه عن رتبة الدولة  
 ومثال الاحكام والقهر ولا يحصل لديهم في ذلك الا هذا وقد قصد ذلك الموضع كثير  
 من ضفاء العقول للتليس بدعوتهم فغلبها وسواسا وحقا وقتل كثير منهم أخبرني  
 شفيعا محمد بن ابراهيم الابلي قال خرج رباط ملة لاول المائة الثامنة وصر السلطان  
 يوسف بن يعقوب رجل من متصلي التصوف يعرف بالتوزير نسبة الى توزير مصغرا  
 وأدعى أنه القاطمي المستطروا تبعه الكثير من أهل السوس من ضالة وكزيلة وعظم  
 أمره وخافه رؤساء المصامدة على أمرهم فندس عليه السكوى من قتلها يا والمحصل  
 أمره وكذلك ظهر في غمارة في آخر المائة السابعة وعشر اتبعين منها وجعل يعرف  
 بالعباس وأدعى أنه القاطمي واتبعه الدهماء من غمارته ودخل مدينة فاس عنوة وحرق  
 أسواقها وارتحل الى بلد المزمة فقتل به اغيلة ولم يمت أمره وكثير من هذا النطوا أخبرني  
 شيخنا المذكور بفرسية في مثل هذا وهو أنه مصحب في حجة في رباط العباد وهو مدفن  
 الشيخ أبي مدين في جبل تلسان المطل عليها بسلام أهل البيت من سكان كربلاء كان  
 متبوعا مظلما كثيرا التمدد والخدام قال وكان الرجال من موطنه يتلقونه بالشفقات  
 في أكثر البلدان قال وتأكدت الحصة بيننا في ذلك الطريق فأنكشف لي أمرهم  
 وأنهم اغتابوا من موطنهم بكر بلا مطلب هذا الامر واتصال دعوة القاطمي بالمغرب  
 ظلمنا بوزلة بني حمرين ويوسف بن يعقوب يومئذ من تلسان قال لاصحابه ارجعوا  
 فقد أذرى بنا الغلط وليس هذا الوقت وقتنا وبطل هذا القول من هذا الرجل عني أنه  
 مستبصر في أن الامر لا يتم الا بالصيغة المكنانة لاهل الوقت فلما علم أنه غريب في ذلك  
 الوطن ولا شوك له وأن عصية بني حمرين لتلك العهد لا يقاومها أحسن أهل المغرب  
 استمكن ورجع الى الحق وأقصر عن مطامعهم وبقي عليه أن يستيقن أن عصية



يستكشفون عواقب أمرهم في الكسب والجاه والمعاش والمعاشر والعداوة وأمثال  
 ذلك ما بين خط في الرجل ويسمونه النجم وطرق بالحصى والحبوب ويسمونه الحاسب  
 وتظهر في البرايا والمياه ويسمونه ضارب المندل وهو من المتكررات الفاشية في الأمصار لما  
 تقرر في الشريعة من ذلك وأن البشر محجوبون عن الغيب الامن أطلع الله عليه من  
 عنده في نوم أو ولاية أو أكثر ما يعنى بذلك وتطلع اليه الامراء والملوك في آحاد دولتهم  
 ولذلك انصرفت العناية من أهل العلم اليه وكل أمة من الامم وجد لهم كلام من كاهن أو  
 ضخم أوولى في مثل ذلك من ملك يرتقبونه أو دولة يتحدثون أنفسهم بها وما يحدث لهم من  
 الحرب والملاحم وبتة بقاء الدولة وعدد الملوك فيها والتعرض لاسمائهم ويسمى مثل  
 ذلك الحدثان وكل في العرب الكهان والعرافون يرجعون اليهم في ذلك وقد أخبروا  
 بحاسب يكون ثعبان من الملك والدولة كما وقع لشرق وسطح في تأويل رؤيا ربيعة بن  
 مرثد ملوك اليمن أخبرهم بذلك الحبة بلادهم ثم رجوعها اليهم ثم ظهور الملك والدولة  
 لثعبان من بعد ذلك وكذا تأويل سطح لرؤيا الموبدان حين بعث اليه كسرى بهامع عبد  
 المسيح وأخبرهم بظهور دولة العرب وكذا كان في جيل البربر كهان من أشهرهم موسى  
 ابن صباح بن يحيى يقرن ويقال من غرة وله كلمات حد ثمانية على طريقة الشعر برطانهم  
 وفيها حد ثمان كثير ومعظمه فيما يكون لزناة من الملك والدولة بالمغرب وهي متداولة  
 بين أهل الجبل وهم يزعمون ناره أنه ولي وتارة أنه كاهن وقد يزعم بعض من أعينهم أنه  
 كان نبي الان تاريخه عندهم قبل الهجرة فكثيروا الله أعلم وقد يستند الجبل الى خبر  
 الانبياء ان كان لعهدهم كما وقع لبنى اسرائيل فان أنبياءهم المتعاقبين فيهم كانوا  
 يخبرونهم عنه عندما يعنونهم في السؤال عنه \* وأما في الدولة الاسلامية فوقع منه  
 كثير فيما يرجع الى بقاء الدنيا ومتنها على العموم وفيما يرجع الى الدولة وأعمالها  
 على الخصوص وكان المعتمد في ذلك في صدر الاسلام آثاراً من دولة عن الصحابة وخصوصاً  
 مسلمة بن ابراهيم مثل كعب الاحبار وروهب بن منبه وأمثالهما وربما اقتبسوا  
 بعض ذلك من ظواهر مأثورة وتأويلات محتملة ووقع بلعقروا أمثالهم من أهل البيت  
 كثير من ذلك مستندهم فيه والله أعلم بالكشف بما كانوا عليه من الولاية وإذا  
 كان مثله لا يشكر من غيرهم من الاولياء في ذوبهم وأعقابهم عقد قال صلى الله عليه  
 وسلم ان نبيكم محدثين فهم أولى الناس بهذه الرتبة الشريفة والكرامات الموهوبة  
 وأما بعد صدور الملة وحين علق الناس على العلوم والاصطلاحات وترجت كتب الحكماء  
 الى اللسان العربي فأكثر معتمد في ذلك كلام التميميين في الملك والدول وسائر الامور  
 العاتية من القرامات وفي الموالي والمسايل وسائر الامور الخاصة من الطوائع لها

وهي شكل الفلك عند حدوثها فلندكر الآن ما وقع لاهل الارض في ذلك ثم نرجع لكلام  
المجيبين \* أما اهل الارض فلم يمتد الملل وبقاء الدنيا على ما وقع في كتاب السهيلي  
فانه نقل عن الطبري ما يقتضي أن مدة بقاء الدنيا منذ الملة خمسة سنة وتقص ذلك  
بظهور كذبه ويستند الطبري في ذلك أنه نقل عن ابن عباس أن الدنيا جعة من جمع  
الآخرة ولم يزد كلفاً لدليل لا وسر مو الله أعلم تقدير الدنيا بأيام خلق السموات والارض  
وهي سبعة ثم اليوم بألف سنة لقوله وإن يومنا عندك كالنفسنة بمائة سنة ون قال  
وقد ثبت في الصحيحين أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال أجلكم في أجل من كان  
قبلكم من صلاة العصر إلى غروب الشمس وقال بعثت أنا والساعة كهاتين وأشار  
باليمنى والوسطى وقد رما بين صلاة العصر وغروب الشمس حين صورية ظل كل شيء  
مثليه يكون على التقريب نصف سبع وكذلك يعمل الوسطى على السبعة فتكون هذه  
المدة نصف سبع الجعة كلها هو خمسة سنة ويؤيده قوله صلى الله عليه وسلم لن يهجز  
الله أن يؤخر هذه الامتعة يوم فدل ذلك على أن مدة الدنيا قبل الملة خمسة آلاف  
 وخمسة سنة وعن وهب بن منبه أنها خمسة آلاف وسفائة سنة أعني الماضي وعن  
كعب أن مدة الدنيا كلها ستة آلاف سنة قال السهيلي وليس في الحديثين ما يشهد لشي  
مما ذكر مع وقوع الوجود بخلافه فأما قوله لن يهجز الله أن يؤخر هذه الامتعة يوم  
فلا يقتضي نفي الزيادة على النصف وأما قوله بعثت أنا والساعة كهاتين فالتأنيب الاشارة  
الى القرب وأنه ليس بينه وبين الساعة شيء غيره ولا شرع غير شرعه ثم رجع السهيلي  
الى تعيين مدة الملة من مدرلة آخر لو ساعدنا التصديق وهو أن جمع الحروف المقطعة في  
أوائل السور بعد حذف المكرر قال وهي أربعة عشر حرفاً فجميعها قولك (ألم يسطع  
نصر حق كره) فأخذ عددها بحساب الجمل فكان سبع مائة وثلاثة (١) أضافه الى  
المنقضي من الالف الآخرة قبل بعثته فهذه هي مدة الملة قال ولا يعد ذلك أن يكون  
من مقتضيات هذه الحروف وفوائدها قلت وكونه لا يعد لا يقتضي ظهوره ولا التعويل  
عليه والذي حمل السهيلي على ذلك أنهم ما وقع في كتاب السر لابن اسحق في حديث  
ابن أبي عمير عن أصحاب اليهود وهما أبو ياسر وأخوه جعي حين سئل عن الحروف  
المقطعة الم وتأنوا على بيان المدة بهذا الحساب فبلغت إحدى وسبعين فاستقلا  
المدة وجاء جعي إلى النبي صلى الله عليه وسلم بأهلهم مع هذا غيره فقال المص ثم  
استزاد الزم ثم استزاد المر فكانت إحدى وسبعين ومائتين فاستطل المدة وقال  
قد ليس علينا أمرنا يا محمد حتى لا ندري أقلباً أعطيت أم كنيتاً ثم ذهبوا عنه وقال لهم  
أبو ياسر ما يدرككم لعله أعطى عددها كلها تسعمائة وأربع مئة قال ابن اسحق فنزل

قوله تعالى منه آيات محكمات هن أم الكتاب وأخر متشابهات ٥١ ولا يقوم من القصة  
دليل على تقدير المذهب العدول لأن دلالة هذه الجورف على تلك الأعداد ليست  
طبيعية ولا عقلية وانما هي بالتواضع والاصطلاح الذي يسمونه حساب الجمل ثم  
انه قديم مشهور وقد علم الاصطلاح لا بصريحه وباس أو ياسر أو خوسجي ممن يؤخذ  
رأيه في ذلك دليلا ولا من علماء اليهود لانهم كانوا ياديه بالبخار غفلا عن الصنائع والعلوم  
حتى عن علم شريعتهم وفقه كتابهم وملتهم وانما يتلقفون مثل هذا الحساب كما تلقفه  
العوام في كل مله فلا ينض السهلي دليل على ما ادعاه من ذلك ووقع في الله في حدثان  
دولتها على الخصوص مسند من الأثر الجاهلي في حديث خرجه أبو داود عن حذيفة بن  
اليمان عن طريق شعبة محمد بن يحيى الذهبي عن سعيد بن أبي مرزوق عن عبد الله بن فروخ  
عن أسامة بن زيد اللبي عن أبي قبيصة بن ذؤيب عن أبيه قال قال حذيفة بن اليمان  
والله ما أدري أنسى أم نساه والله ما نزل رسول الله صلى الله عليه وسلم من  
قائده فنبهني الى أن تنقضي الدنيا يبلغ من معه ثلثمائة ألفا بعد الاقدس لما يأسه واسم  
أبيه وقبيلته وسكت عليه أبو داود وقد تقدم أنه قال في رسالته ما سكت عليه في كتابه  
فهو صالح وهذا الحديث إذا كان صحيحا فهو محل ويستغنى في بيان الجاهل وتعيين مهماته  
الى آثار أخرى يجوز أجادها وقد وقع اسناد هذا الحديث في غير كتاب السنن على غير  
هذا الوجه ووقع في الصحيحين من حديث حذيفة أيضا قال قام رسول الله صلى الله  
عليه وسلم فينا خطيبا فثار لشيء يكون في مقامه ذال الى قيام الساعة الا حدث عنه  
حفظه من حفظه ونسب من نسبه قد علم أصحابه هؤلاء ٥١ ولفظ البخاري ما نزل شيئا الى  
قيام الساعة الا ذكره في كتاب الترمذي من حديث أبي سعيد الخدري قال صلى بنا  
رسول الله صلى الله عليه وسلم يوما صلاة العصر بنهار ثم قام خطيبا فبدأ شيئا يكون الى  
قيام الساعة الا أخبرنا به حفظه من حفظه ونسب من نسبه ٥١ وهذه الأحاديث كلها  
محمولة على ما ثبت في الصحيحين من أحداث الفتن والاشراط لا غير لانه المجهود من  
الشارع صلوات الله وسلامه عليه في أمثال هذه العمومات وهذه الزيادة التي تفرد بها  
أبو داود في هذا الطريق شاذة منكرة مع أن الأئمة اختلفوا في رجاله فقال ابن أبي  
مرزوق ابن فروخ أحاديثه مناكير وقال البخاري يعرفه من شكر وقال ابن عدي  
أحاديثه غير محفوظة وأسامة بن زيد وان خرجه في الصحيحين ووثقه ابن معين فاعنا  
خرجه البخاري استنهادا وضعفه يحيى بن سعيد واجد بن حنبل وقال ابن حاتم يكتب  
حديثه ولا يثبت به وأبو قبيصة بن ذؤيب مجهول فتضعف هذه الزيادة التي وقعت لابي  
داود في هذا الحديث من هذه الجلهات مع شذوذها كما مر \* وقد يستدعون في حديثان

الدول على الخصوص الى كتاب الجفر ويزعمون أن فيه علم ذلك كله من طريق الآثار  
والبحر لا يز يدون على ذلك ولا يعرفون أصل ذلك ولا مستنده واعلم أن كتاب الجفر  
كان أصله أن هرون بن سعيد المجبلى وهو رأس الزيدية كان له كتاب يرويه عن جعفر  
الصادق وفيه علم ما يقع لأهل البيت على العموم ولبعض الأشخاص منهم على  
الخصوص وقع ذلك لجعفر ونظائره من رجالهم على طريق الكرامة والكشف الذى  
يقع لآلهم من الاولياء وكان مكتوبا عند جعفر فى جلد ثور صغير فرواه عنه هرون المجبلى  
وكتبه وسماه الجفر باسم الجلد الذى كتب منه لأن الجفر فى اللغة هو الصغير وصار هذا  
الاسم على اعلی هذا الكتاب عندهم وكان فيه تفسير القرآن وما فى باطنه من غرائب  
المعاني مروية عن جعفر الصادق وهذا الكتاب لم يتصل روايته ولا عرف عنه وانما  
يظهر منه شواذ من الكلمات لا يصح به دليل ولو صح السند الى جعفر الصادق لكان فيه  
نعم المستند من نفسه أو من رجال قومه فهم أهل الكرامات وقد صرح عنه أنه كان يحذر  
بعض قرأته بوقائع تكون لهم قسص كما يقول وقد حذر يحيى بن عمر زید من مصرعه  
وعصاه فخرج وقتل بالجوزبان كما هو معروف وإذا كانت الكرامة تقع لغيرهم فاطنك  
بهم علماء وديناؤا من النبوة وعنايتهم من الله بالأصل الكريم تشهد لقروعه الطيبة  
وقد ينقل بين أهل البيت كثير من هذا الكلام غير منسوب الى أحد وفى أخبار  
دولة العبيدين كثير منه واقتصر ما حكاه ابن الرقيق فى لقاء أبى عبد الله الشيبى لعبد  
الله المهدي مع ابنه محمد الحبيب وما حدثناه به وكيف بعنا ما الى ابن حوشب داعيهم  
بالين فأصره بالخروج الى المغرب وبث الدعوة فيه على علم لقته أن دعونه ثم هنالك  
وان عبيد الله لما بنى المهدي بهد استعمال دولتهم باقر بقية حال بينها بعضهم بها  
القواطع ساعة من نهار وأراهم موقف صاحب الجمار أبى زيد بالمهية وكان يسأل عن  
منتهى موقفه حتى جاءه الخبير يباوغة الى المكان الذى عينه جده عبيد الله فأيقن بالجفر  
وبرز من البلد فمزقه واتبعه الى ناحية الزاب فظفر به وقتله ومثل هذه الاخبار عندهم  
كثيرة وأما المتبحرون فيستندون فى حد ثاب الدول الى الاحكام الجعومية أتمافي الامور  
العامة مثل الملك والدول فمن المقررات وخصوصا بين العلويين وذلك أن العلويين  
زحل والمشتري يقتربان فى كل عشرين سنة مرة ثم يعودان الى برج آخر فى تلك  
الثلاثة من التثليث الايمن ثم بعده الى آخر كذلك الى أن يسكنوا فى الثلاثة الواحدة ثنى  
عشرة مرة تستوى بوجه الثلاثة فى ستين سنة ثم يعود فيستوى بهم فى ستين سنة ثم  
يعود ثالثة ثم رابعة فيستوى فى الثلاثة بثنى عشرة مرة وأربع عودات فى مائتين  
وأربعين سنة ويكون انتقاله فى كل برج على التثليث الايمن وينقل من الثلاثة الى

المثلثة التي تليها أعني البرج الذي يلي البرج الاخير من القران الذي قبله في المثلثة  
 وهذا القران الذي هو قران العلويين ينقسم الى كبير وصغير ووسط فالصغير هو  
 اجتماع العلويين في درجة واحدة من الفلك الى أن يعودا لها بعد تسعمائة وستين سنة  
 مرة واحدة والوسط هو اقتران العلويين في كل مثلثة اثني عشرة مرة وبعدهما ستين  
 وأربعين سنة ينتقل الى مثلثة أخرى والصغير هو اقتران العلويين في درجة برج وبعد  
 عشرين سنة يقتربان في برج آخر على ثلثيه الايمن في مثل درجة أو دقاته مثال ذلك  
 وقع القران أول دقيقة من الحمل وبعده عشرين يكون في أول دقيقة من القوس وبعد  
 عشرين يكون في أول دقيقة من الاسد وهذه كلها تاروية وهذا كله قران صغير ثم يعود  
 الى أول الحمل بعد ستين سنة ويسمى دور القران وعودا القران وبعدهما ستين وأربعين  
 ينتقل من السارية الى الترابية لانها بعدها وهذا قران وسط ثم ينتقل الى الهوائية  
 ثم المائية ثم يرجع الى أول الحمل في تسعمائة وستين سنة وهو الكبير والقران الكبير  
 يداء على عظام الامور مثل تغيير الملك والدولة وانتقال الملائكة من قوم الى قوم والوسط  
 على ظهور المتغلبين والطالبين للملك والصغير على ظهور الخوارج والدعاة وخراب  
 المدن وأعمارها ويقع أثناء هذه القرائات قران النصبين في برج السرطان في كل  
 ثلاثين سنة مرة ويسمى الرابع وبرزج السرطان هو طالع العالم وفيه وبال زحل وهبوط  
 المريخ تقطعهم دلالة هذا القران في الفتن والحروب وسفك الدماء وظهور الخوارج  
 وحركة العساكر وصبيان الجنود والوباء والقحط ويدوم ذلك أو ينتهي على قدر  
 السعادة والتخوسة في وقت قرانها على قدر تفسير الدليل فيه قال جراس بن أحمد  
 الحاسب في الكتاب الذي ألقه لتنظام الملك ورجوع المريخ الى العقرب له أثر عظيم  
 في الملة الإسلامية لانه كان دليلا على مولد النبوي كان عند قران العلويين ببرزج  
 العقرب لما رجع هناك حدث التشويز على الخلفاء وكثر المرض في أهل العلم والدين  
 ونقصت أحوالهم ورجع اليهم بعض سيوت العبادة وقد يقال انه كان عند قتل علي  
 رضي الله عنه ومروان من بني أمية والمتوكل من بني العباس فإذا روعت هذه  
 الاحكام مع أحكام القرائات كانت في غاية الاحكام • وذكر شاذان البلخي أن الملة  
 تنهي الى ثلثمائة وعشرين وقد ظهر كذب هذا القول وقال أبو معشر يظهر بعد  
 المائة والخمسين منها اختلاف كثير ولم يصح ذلك وقال جراس رأيت في كتب القدماء  
 أن النجسين أخبروا كسرى عن ملك العرب وظهور النبوة فيهم وأن دالمهم الزهرة  
 وكانت في شرفها فسبى الملك فيهم أربعين سنة وقال أبو معشر في كتاب القرائات  
 القديمة اذا انتهت الى السابعة والعشرين من الحوت فيها شرف الزهرة ووقع القران



مع ذلك بروج انه اقرب وهو دليل اقرب ظهرت حينئذ دولة العرب وكان منهم نبي  
ويكون قوّة مدّة ومدته على ما بقي من درجاة شرف الزهرة وهي احدى عشرة درجة  
تقريب من بروج الحوت ومدّة ذلك ستمائة وعشرين وكان ظهور رأى مسلم عند انتقال  
الزهرة ووقوع القسمة قول الجبل وصاحب الجذ المشتري وكان يعقوب بن اسحق  
الكندي ان مدّة الملة تنتهي الى ستمائة وثلاث وتسعين سنة قال لأن الزهرة كانت عند  
قران الملة في ثمان وعشرين درجة وثلاثين دقيقة من الحوت فالباقي احدى عشرة  
درجة وثمان عشرة دقيقة ودقائقها ستون فيكون ستمائة وثلاثا وتسعين سنة قال وهذه  
مدّة الملة بانفاق الحكماء وبعضه الحروف الواقعة في أول السور ببعض المكثر  
واعتباره بحساب الجمل قلت وهذا هو الذي ذكره السهيلي والقالب أن الاول هو  
مسند السلام إلى فيما نقلناه عنه قال جراس سأل هرمنافريد الحكيم عن مدّة أودشير  
وولده ومولده السانية فقال دليل ملكة المشتري وكان في شرفه فاعطى أطول السنين  
وأجودها أربع مائة وسبع وعشرين سنة ثم تزيد الزهرة وتكون في شرفها وهي دليل  
العرب فيكون لأن طالع القران الميزان وصاحبه الزهرة وكانت عند القران في شرفها  
فدل أنهم يملكون ألف سنة وستين سنة وسأل كسرى أنوشروان وزيره بزجهر الحكيم  
عن خروج الملائكة من فارس الى العرب فأخبره أن القائم منهم يولد لخمس وأربعين من  
دولته وملك المشرق والمغرب والمشتري يفرس الى الزهرة وتنتقل القران من الهواينة  
الى اقرب وهو ما ن وهو دليل العرب فهذه الأدلة تقضي للمدة مدّة دور الزهرة وهي  
ألف وستون سنة وسأل كسرى ابرويز اليوس الحكيم عن ذلك فقال مثل قول بزجهر  
وقال نوبيل الرومي المنجم في أيام بني أمية ان ملة الاسلام تبقى مدّة القران الكبير  
تسعمائة وستين سنة فإذا عاد القران الى بروج العقرب كما كان في ابتداء الملة وتغير وضع  
الكواكب عن حيثما في قران الملة حينئذ أما أن فترة العمل به أو يبعد من الأحكام  
ما يجب خلاف الظن قال جراس وانتقوا على أن خراب العالم يكون باستيلاء الماء  
والنار حتى تهلك سائر الكائنات وذلك عندما يقطع قلب الأسد اربعاً وعشرين درجة  
التي هي حد المخرج وذلك بعد معنى تسعمائة وستين سنة وذكر جراس أن ملك زابلستان  
بعث الى المأمون بحكمة ذوبان أنحضه به في هدية وأنه تصرف للمأمون في الاخبارات  
بجروب أخيه وبمعدن الزوايا الطاهر وأن المأمون أعظم حكمته فانه عن مدّة ملكهم  
فأخبره بانقطاع الملائكة من عقبه واتصاله في ولداً أخيه وأن العبيد يفلتون على الخلافة  
من الذيل في دولة سنة خمسين ويكون ما يريده الله ثم يسوء حالهم ثم تظهر القرامين  
نحوال المشرق فيكون الى الأم والقرات وسيجيون وسيملكون بلاد الروم ويكون

ما يريد الله فقال له المأمون من أين لك هذا فقال من كتب الحكماء ومن أحكام مصه بن  
 داهر الهندي الذي وضع التطريخ قلت والترك الذين أشارا إلى ظهورهم بعد الدبلهم  
 السجوقية وقد انقضت دوائهم أول القرن السابع قال جراس وانتقال القرآن إلى  
 المثلثة المائية فمن برج الحوت يكون سنة ثلاث وثلاثين وثمانمائة ليرد جرد وبعدهما  
 البرج العقرب حيث كان قرآن الله سنة ثلاث وخمسين قال والذي في الحوت هو  
 أول الانتقال والذي في العقرب يستخرج منه دلائل الله قال وتحويل السنة  
 الأولى من القرآن الأول في المثلثات المائية في ثاني وجب سنة ثمان وستين وثمانمائة  
 ولم يستوف الكلام على ذلك \* وأما مستند المتبحرين في دولة علي الخصوص فمن اقتران  
 الاوسط وهبة الفلك عند وقوعه لأن له دلالة عندهم على حدوث الدولة وجهاتهم من  
 العمران والقائمين بها من الامم وعدد ملوكهم وأسمائهم وأعمارهم ونحلهم وأديانهم  
 وعوائدهم وحروبهم كما ذكر أبو عمر في كتابه في الاقترانات وقد توجد هذه الدلالة من  
 القرآن الاصغر إذا كان الاوسط دال عليه فمن هذا يوجد الكلام في الدول \* وقد كان  
 بهقرب بن اسحق الكندي منجم الرشيد والمأمون وضع في الاقترانات الكائنة في الله  
 كتابا سماه الشريعة بالجفر باسم كتابهم المنسوب إلى جعفر الصادق وذكر فيه فعليا قال  
 حدثنا دولة بني العباس وأنها نهيته وأشار إلى انقراضها بالحادثة على بغداد أم اتفق  
 في اتصاف المائة السابعة وأن انقراضها يكون انقراض الله ولم تقف على شيء من خبر  
 هذا الكتاب ولا رأينا من وقف عليه واهله غرق في كتبهم التي طرحها لا كمولك التتر  
 في دجلة عند احتلالهم على بغداد وقتل المستعصم آخر الخلفاء وقد وقع بالجفر جزء  
 منسوب إلى هذا الكتاب يسمى بالجفر الصغير والظاهر أنه وضع لبني عبد المأمون لذكر  
 الاولين من ملوك الموحد بن فيه على التفصيل ومطابقة من تقدم عن ذلك من حديثه  
 وكذب ما بعدهم وكان في دولة بني العباس من بعد الكندي منجمون وكتب في الحدثان  
 وانظر ما نقله الطبري في أخبار المهدي عن أبي بديل من أصحاب صنائع الدولة قال بعث  
 إلى الربيع والحسن في غزاهما مع الرشيد أيام أبيه فحتم ما جوف الليل فإذا عندهما  
 كتاب من كتب الدولة يعني الحدثان وإذا معة المهدي فيه عشرين فقط هذا الكتاب  
 لا يخفى على المهدي وقدمضي من دولته ما مضى فإذا وقف عليه كنتم قد نعيم الله نفسه  
 قالوا الحيلة فاستدعت عتبة الوراق فمولى آل بديل وقلت له انسخ هذه الورقة  
 واكتب مكان عشر أربعين نفسا فوالله لو لا أني رأيت العشرة في تلك الورقة  
 والاربعين في هذه ما كنت أشك أنما هي ثم كتب الناس من بعد ذلك في حدثان الدول  
 منظوما ونثرا وروحا ما شاء الله أن يكتبوه بأيدي الناس متفرقة كثيرة منها ونسجى

الملاحم وبعضهم في حشد نان الله على العموم وبعضهم في دولة على الخصوص وكلها منسوبة إلى مشاهير من أهل الخطبة وليس منها أصل يعتمد على روايته عن راضعه المنسوب اليه فمن هذه الملاحم بالمغرب قصيدة ابن مرارة من بحر الطويل على روى الراوى متداولة بين الناس وتحتسب العائمة أنها من الحشد نان الهام فيطلقون الكثير منها على الحاضر والمستقبل والذي جمعناه من شيوخنا أنهم اخذوا صفة دولة تنوينة لأن الرجل كان قبيل دولتهم وذكروا في الاستسلامهم على سبته من يدموا إلى بنى حود وملكهم لعدوة الاناس ومن المازحم يد أهل المغرب أيضا قصيدة سمى التبعية أزلها

طربت وماذا لى طرب \* وقد يطررب الطائر المغتصب

وما ذاك منى للهو أراء \* ولكن لتذكر بعض السبب

قريب من خمسمائة بيت أو ألف فيما يقال ذكر فيها كثير من دولة الموحدين وأشار فيه إلى القاطط وغيره والظاهر أنها مصنوعة ومن الملاحم بالمغرب أيضا ملحبة من الشعر الزجل منسوبة لبعض اليهود ذكرتها أحكام القرائات لعمره العلويين والتحصين وغيرهما وذكر ميتة قتيل بفسا وكان كذلك فيما زعموه وأوله

في صبغ ذا الازرق لشرقه خيارا \* فافهموا يا قوم هذى الاشارا

نجم زحل أخبر بذي العلما \* وبذل الشكلا وهي سلاما

شائبة زرقا بدل العماما \* وشاش أزرق بدل القسارا

يقول في آخره

قد تم هذا التبذير لانسان يهودى \* يصلب يلد قاس في يوم عبد

حتى يجبه الناس من البوادى \* وقتله يا قوم على القسراد

وأياته نحو الخمسمائة وهي في القرائات التي دلت على دولة الموحدين ومن ملاحم المغرب أيضا قصيدة من عروض لتقارب على روى الباه في حشد نان دولة بنى أبى حفص تونس من الموحدين منسوبة لابن الأبار وقال لي قاضي قسطنطين الخطيب الكبير أبو على بن باديس وكان بصيرا بما يؤوله وله تقدم في التميم فقال لي إن هذا ابن الأبار ليس هو الحافظ الاندلسي الكاتب مقتول المستنصر وانما هو رجل خياط من أهل تونس فوطأت شهرته مع شهرة الحافظ وكان والدى رحمه الله تعالى نشد هذه الايات من هذه الملحمة ونرى بعضها في حقل مطلةها

عذرى من زمن قاب \* يفر يبارقه الاثنب

ومنها

ويبعث من جيشه قائدا • ويبقى هنالك على مرقب  
فتأتي إلى الشيخ أخباره • فيقبل كالجلال الجرب  
ويظهر من عدله سيرة • وتلك سياسة مستحلب  
ومنها فذكر أحوال تونس على العموم

فأما رأيت الرسوم انمحت • ولم يرع حق لذي منصب  
نخذي الترحل عن تونس • وودع معاملها وأذهب  
فسوف تكون بهاقنة • نصف البرى إلى المذنب  
ووقفت بالمغرب على ملحمة أخرى في دولة بني أبي حنص هؤلاء بنو أس قبيل بعده  
السلطان أبي يحيى الشهير عاشروا ملوكهم ذكر محمد أخيه من بعده يقول فيها  
وبعد أبي عبد الله شقيقه • ويعرف بالوناب في نسخة الأصل  
الآن هذا الرجل لم يملكها بعد أخيه وكان يعني بذلك نفسه إلى أن هلك ومن الملاحم في  
المغرب أيضا الملقبة المنسوبة إلى الهوشى على إهنة العلة في عروض البلد التي أوها  
دعنى بدعى الهتان • فبرت الإسطار ولم تقدر  
واستقت كلها الويدان • وأنى غلى وتغادر  
البلاد كلها تروى • فأولى ما ميل ما تدرى  
ما بين الصيف والشتوى • والاسام والربيع تجرى  
قال حين سمعت الدعوى • دعنى بكى ومن عذر  
انادى من ذى الأزمان • ذا القرن اشتد وتجرى

وهي طويلة ومحسونة بين عامة المغرب الأقصى والغالب عليها الواضع لأنه لم يصح منها  
قول الأعلى تأويل يعرفه العانة أو الحارث فيه من ينطقها من الخاصة ووقفت  
بالشرق على ملحمة منسوبة لابن العربي الحائى في كلام طويل شبه الفار لا يعلم تأويله  
إلا الله تفضله وأوافق عددية ورموز ملقونة وأشكال حيوانات تامة ورؤس مقطعة  
وتماثيل من حيوانات غريبة وفي آخرها قصيدة على روى اللام والغالب أنها كلها غير  
صحيحة لأنهم تتشأن أصل على من نجامة ولا غيرها وسمعت أيضا أن هنالك ملاحم  
أخرى منسوبة لابن مينا وابن عقب وليس في شيء منها دليل على الصحة لأن ذلك إنما  
يؤخذ من القرائن ووقفت بالشرق أيضا على ملحمة من حداث دولة الترك منسوبة  
إلى رجل من الصوفية يسمى الباجرى وكأها للغاز بالحروف أوها

ان شئت تكشف سر الجفر يا ماثلى • من علم جفر روى والد الحسن  
فأفهم وكن واعيا حقا وجلسه • والوصف فأفهم كتعل الحاذق القطن

أما الذي قبل عصرى استأذركه \* ليكننى أذكر الاتى من الزمن  
 بشهر يبرس يتي بها بعد نحتها \* وجاء ميم بطيش نام فى الصكن  
 شين له أترمن تحت مسرته \* له القضاء قضى أئذ ذلك المسن  
 فصر والشأم مع أرض العراق له \* وأذر يصبان فى ملك الى اليمن  
 ومنها

وآل بوران لما مال طاهرهم \* القائل الباتك المعنى باليمن  
 نطلع من ضعيف السر من أفى \* لالو فاق ونون ذى قدرن  
 قرم شجاع له عقل ومشورة \* يتي بها وابن بعد ذومن  
 ومنها

من بعداء من الاعوام قتله \* بلى المشورة ميم الملك ذوالسن  
 ومنها

هذا هو الارج الكلى فاعنه \* فى عصره قن ناهيك من فتن  
 يأتي من الشرق فى جيش يقدمهم \* عار عن القاف قاف جد الفتن  
 يقتل دال ومثل الشأم أجمعها \* أثبت بشجوع على الاهاب والوطن  
 اذا أتى زلزلت يا ويح مصر من الزلزال ما زال حاصره قطن  
 طاه وظاه وعين كلهم حبوا \* هلكا ويثق أموالا بلاعن  
 يسير القاف قافا عند جمعهم \* هون به ان ذاك الحصن فى سكن  
 ونصبون أخاه وهو صالحهم \* لاسلم الالف سن لذل بنى  
 تمت ولا يتم بالحاء لأحد \* من السنين يدانى الملك فى الزمن  
 يقال انه أشار الى الملك الظاهر وقدوم آية عليه بمصر

يأتى اليه أبوه بعد هجرته \* وطول غيبته والشظف والزمن  
 وأساتها كثيرة والغالب أنهم اموضوعة ومثل صنعتها كان فى القديم كثيرا ومعروف  
 الاتي حال (حكى) المورخون لاخبار بغداد أنه كان بها أيام قنندورق أذكر كيعرف  
 بالديالى بل الاوراق ويكتب فيها بخط عتيق رمز فيه بحروف من أحما أهل الدولة  
 ويشير بها الى ما يعرف صلهم اليه من أحوال الرفعة والجاه كأنها ملاحم ويحصل  
 على ما يريد منهم من الدنيا وأنه وضع فى بعض دقار مسمكة ثلاث مرات وجاء به  
 الى مغلح مولى المستدر فقال له هذا كناية عنك وهو مغلح مولى المستدر وذكر عنه ما يرشاه  
 ويثاله من الدولة ونصب لذلك علامات بمؤمه اعليه فيذل لها أغانبه ثم وضعه للوزير  
 ابن القاسم بن وهب على مغلح هذا وكان معز ولا يخافه بأوراق مثلها وذكر اسم الوزير

بمثل هذه الحروف وبعلامات ذكرها وأنه على الوزارة الثلاثة عشر من الخلفاء ونسبتهم  
 الامور على يد غيره ويقهر الاعداء وتعمر الدنيا في أيامه وأوقف مغلها هذا على الارواق  
 وذكرها كرائش أخرى وملاحم من هذا النوع مما وقع وعمل يقع ونسب جميعه  
 الى دانيال فأعجب به مفلح ووقف عليه المقتدر واحتدى من تلك الامور والعلامات  
 الى ابن وهب وكان ذلك نسباً للوزارة به مثل هذه الحيلة العربية في الكذب والجهل بمثل  
 هذه الانغاز والطهارات هذه المهمة التي نسبونها الى الباجري في من هذا النوع \*  
 واقدام أنت أكل الدين ابن شيخ الحنفية من العجم بالديار المصرية عن هذه المهمة وعن  
 هذا الرجل الذي تنسب اليه من الصوفية وهو الباجري في وكان عارفا بطرائقهم فقال  
 كان من القنطرة المستدعة في خلق اللحية وكان يتحدث عابكاً بكون بطريق الكشف  
 ويوصي الى رجال معينين عنده ويلغز عليهم بحروف يعنيها في شذنها لمن يراه منهم وربما  
 يظهر لهم ذلك في أساليب قليلة كان يعاهدها فتقول عنه رواع الناس بها وجعلوها  
 مهمة مرموزة وزاد فيها الخراصون من ذلك الجنس في كل عصر وشغل العامة بذلك  
 وموزها وهو أمر ممتنع اذ الرمز انما يهدي الى كشفه قانون يعرف قبله ويوضع له وأما  
 مثل هذه الحروف فدلتها على المراد منها مخصوصة بهذا النظم لا يتجاوزها فرائد من  
 كلام هذا الرجل الفاضل شفا لما كان في النفس من أمر هذه المهمة وما كالتلهي  
 لولا أن هذا والله والله سبحانه وتعالى أعلم وبه التوفيق

### ( الفصل الرابع من الكتاب الاول )

في البلدان

والامصار وسائر العمران وما يمرض في ذلك من الاحوال وفيه سوابق ولواحق  
 (فصل) في أن الدول أقدم من المدن والامصار وانما توجد ثانية عن الملك \*  
 وبأنه أن البناء واختطاط المنازل انما هو من منافع الحضارة التي يدعو اليها الترف  
 والدعة كافتئانه وذلك متأخر عن البسادة ومنافعها وأيضاً فالدن والامصار ذات  
 هياكل وأجرام عظيمة وبناء كبير وهي موضوعات للعوم لا للصوص فتحتمل الى  
 اجتماع الابدن وكثرة التعاون وليس من الامور الضرورية للناس التي تم بها  
 البوائى حتى يكون نزوعهم اليها اضطراراً بل لابد من اكرامهم على ذلك وسوقهم اليه  
 مضطهدين بعض الملك أو مرغبين في الثواب والاجر الذي لا يفي بكثرة الملك والدولة  
 فلا بد في عصر الامصار واختطاط المدن من الدولة والملك ثم اذ انبت المدينة وكل  
 تشييدها بحسب نظر من شيدها وبعما اقتضه الاحوال السماوية والارضية فيها فعم  
 الدولة حينئذ عمر لها فان كان عمر الدولة قصيراً وقف الحال فيها عند انتهاء الدولة

وتراجع عمرانها وخرت وان كان أمد الدولة طويلا ومدة منفسحة فلا تزال المصانع فيها نشاد والمنازل الرحبة تكثرت وتعددت ونطاق الأسواق يتابعو وينفسح إلى أن تنسج الخطة وتبعد المسافة وينفسح ذرع المساحة كما وقع في بغداد وأمثالها \* ذكر الخطيب في تاريخه أن الهجمات بلغ عددها يغدا لعهده المأمون خمسة وستين ألف حمام وكانت مشقة على مدن وأمصار متلاصقة ومتقاربة تتجاوز الأربعين ولم تكن مدينة وحدها يجتمعها سور واحد لا فراط العمران وكذا حال القيروان وقرطبة والمهديّة في الملة الإسلامية وحال مصر القاهرة بعدها فيما يلي فغنا لهذا العهد وأما بعد انقراض الدولة المشيدة للمدينة فاما أن يكون لضواحي تلك المدينة وما قاربها من الجبال والبساتين بادية بعدها العمران دائما فيكون ذلك حافظا لوجودها ويسمّر عمرها بعد الدولة كما تراه بقاس وبجاية من المغرب وبعراق العجم من المشرق الموجود لها العمران من الجبال لأن أهل البداة إذا انتهت أحوالهم إلى غاياتها من الرقة والكسب تدعو إلى الدعة والسكون الذي في طبيعة البشر فيزلون المدن والأبصار ويتأهلون وأما الذي يمكن لتلك المدينة المؤسسة مائة فبناها العمران بتزاد الساكن من بدوها فيكون انقراض الدولة خرقا لسياجها فيزول حفظها ويتناقص عمرانها شيئا فشيئا إلى أن يذعر ساكنها وتخرب كما وقع بمصر وبغداد والكوفة بالشرق والقيروان والمهديّة وقلعة بني حجاب بالمغرب وأمثالها فتفهمه وربما ينزل المدنية بعد انقراض تحتطياها الأولين ملك آخر ودولة ثانية يتخذها قرا أو كرويا يستغنى بها عن اختطاط مدينة ينزلها فتحفظ تلك الدولة سياجها وتزاد بمبانيها ومصانفها بتزايد أحوال الدولة الثانية وترفعها وتستجيب بعمرانها عمر آخر كما وقع بقاس والقاهرة لهذا العهد والله سبحانه وتعالى أعلم به التوفيق

## ٢ (فصل في ان الملك يدعو الى نزول الامصار)

وذلك أن القبائل والعصائب إذا حصل لهم الملك اضطروا للابتلاء على الأمصار الأمرين أحدهما يدعو إليه الملك من الدعة والراحة وحط الانتقال واستكمال مما كان ناقصا من أمور العمران في البدو والثاني دفع ما يتوقع على الملك من أضر المنازعين والمشاعين لأن المصر الذي يكون في نواحيهم يرغبون في أن يكون ملجأ إلى يروم منازعهم وانطروح عليهم وانتزاع ذلك الملك الذي هم إليه من أيديهم فيعصم بذلك المصر ويقللهم غالبية المصر على نهاية من الصعوبة والمشقة والمصر يقوم مقام العساكر المتعددة لمقامه من الامتناع ونكابة الحرب من وواء الجدران من غير حاجة

الى كثير عدو ولا عظيم شوكة لان الشوكة والعصابة انما احتيج اليها في الحرب للثبات  
لما يقع من بعد ~~مكر~~ القوم بعضهم على بعض عند الجولة وثبات هؤلاء بالحدود  
فلا يضطرون الى كبير عصابة ولا عدد فيكون حال هذا الحصن ومن يعتصم به من  
المتأخرين بما يفت في عضد الامة التي تروم الاستيلاء ويخذ شوكة استيلائها فاذا  
كانت بين أجنابهم أسوارا تنظموها في استيلائهم للامن من مثل هذا الانحراف وان  
لم يكن هناك مصر استعدوه ونسروا لتكميل عمرانهم وألوا حط أنفالهم وليكون  
شعبا في خلق من يوم العزة والامتناع عليهم من طوائفهم وعصائهم فتعين أن الملك  
يدعو الى نزول الامصار والاستيلاء عليها واقه سبحانه وتعالى أعلم وبه التوفيق لارب  
سواه

### ٣ (فصل في ان المدن العظيمة والهيكل المرتفعة انما يشيدها الملك الكثير)

قدوة من ذلك في آثار الدولة من المباني وغيرها وانما تكون على نسبتها وذلك ان تشييد  
المدن انما يحصل باجتماع الفعلة وكثرتهم وتعاونهم فاذا كانت الدولة عظيمة منسقة  
الممالك حشرا الفعلة من أعمارها وجعت أيديهم على عملها وورعما استعين في ذلك في أكثر  
الامر بالهدم الذي يضاعف القوى والقدر في حل أن قال البناء لعجز القوة البشرية  
وضعها من ذلك كالتعال وغيره ويرى بجائزهم ~~كثير~~ من الناس اذا انظر الى آثار  
الاقدمين ومبانيهم العظيمة مثل ابوان كسرى وأهرام مصر وحنايا المعلقة وشرشال  
بالغرب انما كانت بقدرهم متفرقين أو مجتمعين فيحصل لهم اجساما تناسب ذلك أعظم  
من هذه بكثير في طولها وقدرها تناسب بينها وبين القدر التي صدرت تلك المباني عنها  
ويغفل عن شأن الهدم والتحال وما اقتضته في ذلك الصناعة الهندسية وكثير من  
المتغلبين في البلاد يعاين في شأن البناء واستعمال الحيل في نقل الاجرام عند أهل  
الدولة المقتنين بذلك من العجم ما يشهد به بما قلناه عيانا وكثرا آثار الاقدمين لهذا  
العهد تسبها العادة عادية نسبة الى قوم عادلة وهمهم أن مباني عاد ومبانيهم انما  
عظمت اعظم أجسامهم وتضاعف قدرهم وليس كذلك فقد نجد آثارا كثيرة من آثار  
الذين تعرف مقادير أجسامهم من الامر وهي في مثل ذلك العظم أو أعظم كالوان  
كسرى ومباني العبيدين من الشيعة بافرقية والصنماجين وأثرهم ياد الى اليوم في  
صومعة قلعة بني حاد وكذلك بناء الاغالبية في جامع القبروان وبناء الموحدين في رباط  
الفتح ورباط السلطان ابي سعيد لعهد أربعين سنة في المنصور وبناء تلمسان وكذلك  
الحنايا التي جلب اليها أهل قرطاجنة الماء في القناة ارا كبة عليها مائة أيضا لهذا



العهد وغير ذلك من المباني والهياكل التي نقلت إليها أخبار أهلها قريساو بعيدا  
وتيقنا أنهم لم يكونوا بافراط في سقادر أجسامهم وانما هذا رأى ولغ في القصص عن  
قوم عاد وحمود والعمالقة ونجديوت قود في الطر متعوبة الى هذا العهد وقد ثبت في  
الحديث الصحيح أنها يوتهم بمرتبها الركبا الخجازي أكثر السنين ويشاهدونها لاتريد  
في جوتها ومساحتها وتمكها على المتعاهدواهم لباعون فيما يعتقدون من ذلك حتى  
انهم ليعون أن عوج بن عناق من جبل العمالقة كان يتناول السمك من البحر طريا  
فيشويه في الشمس يزعمون بذلك أن الشمس حارة فيما قرب منها ولا يعلمون أن الحر فيما  
لدينا هو الضوء لا انعكاس الشعاع بمقابله سطح الارض والهواء وأما الشمس في نفسها  
فغير حارة ولا باردة وانما هي كوكب مضى لامرأه له وقد تقدم شيء من هذا في  
الفصل الثاني حيث ذكرنا أن آثار الدولة على نسبة قوتها في أصلها واقه بتخلق ما يشاء  
ويحكم ما يريد

---

٤ (فصل في ان الهياكل العظيمة جد الا تستقل ببنائها الدولة الواحدة)

---

والسبب في ذلك ما ذكرناه من حاجة البناء الى التعاون ومضاعفة القدر البشرية وقد  
تكون المباني في عظمتها أكثر من القدر مفردة أو مضاعفة بالهندام كما قلناه فيحتاج  
الى معاودة قدر أخرى مثلها في أزمنة متعاقبة الى أن تتم فيتمدئ الاول منهم بالبناء  
وبعقبه الثاني والثالث وكل واحد منهم قد استكمل شأنه في حشر الفعلة ويجمع الأيدي  
حتى يتم القصد من ذلك ويكمل ويكون ما ناله للعيان ينظنه من براه من الآخرين  
أنه شامدولة واحدة وانظر في ذلك ما نقله المؤرخون في بناء ستمأرب وأن الذي بناه  
سبأ بن يشجب وساق اليه سبعين واديا وعاقه الموت عن اتمامه فأتمه ملوك بعده من بعده  
ومثل هذا ما نقل في بناء قرطاجنة وقتنا الراكية على الحنايا العادية وأكثر المباني  
العظيمة في الغالب هذا شأنها ويشهد بذلك أن المباني العظيمة لعهدنا نجد الملك الواحد  
يشرع في اختطاطها وتأسيسها فإذا لم يتبع أثره من بعده من الملوك في اتمامها بقيت  
بجاهها ولم يكمل القصد فيها ويشهد لذلك أيضا انما نجد آثارا كثيرة من المباني العظيمة  
نجز الدول عن هدمها وتخريبها مع أن الهدم أسير من البناء بكثير لان الهدم رجوع  
الى الأصل الذي هو الهدم والبناء على خلاف الأصل فإذا وجدنا بناء نصف قوتنا  
البشرية عن هدمه مع سهولة الهدم علمنا أن القدرة التي أسستهم مقرطة القوة وأنها  
ليست أثر دولة واحدة وهذا مثل ما وقع للعرب في اوان كسرى لما اعتمد الرشيد على  
هدمه وبعث الى يحيى بن خالد وهو في محبسه يستشيره في ذلك فقال يا أمير المؤمنين  
لا تفعل واتركه ما ناله لا يستدل به على عظم ملك آتائك الذين سلبوا الملك لاهل ذلك الهيكلي

فأتمهم في انصيحة وقال أخذته النعرة للعجم والله لأصرعنه وشرع في هدمه وجمع  
 الأيدي عليه وأخذوه القوس وجباه بالنار وصب عليه الخلل حتى إذا ذكره العجم بعد  
 ذلك بكه وخاف الفضيحة بعث إلى يحيى يستشير ناساً في التحاقه عن الهدم فقال يأمر  
 المؤمنين لا تشغل واستمر على ذلك ثلاثاً قال عزأمر المؤمنين ومالك العرب عن هدم  
 مصنع من مصانع العجم فعرفها الرشيد وأقصر عن هدمه وهكذا اتفق المؤمنون  
 في هدم الأهرام التي بعصر وجمع القعلة لهدمها فلم يحل بطائل وشرعوا في نقبه فأنهوا  
 إلى جوبين الحائط الظاهر وما بعده من الحيطان وهناك كان منتهى هدمهم وهو إلى  
 اليوم فيما يقال منعظ ظاهر وزيرهم الزاعمون أنه وجد كزابين تلك الحيطان والله أعلم  
 وكذلك حنابا المطلقة إلى هذا العهد فصاح أهل مدينة تونس إلى انتخاب الجارية لبنتهم  
 وتسييد الصنائع حجارة تلك الحنابا فيحيا ولون على هدمها الأيام العديدة ولا يسطع  
 الصغير من جدرانها إلا بعد عصب الريق وتجتمع له المحافل المشهورة تشهدت منها في  
 أيام صباى كثيرا والله خلقكم وماتكم

• (فصل فيما يجب مراعاته في اوضاع المدن وما يحدث اذا غفل عن تلك المراعاة

اعلم) أن المدن قرار يتخذ الامم عند حصول القاية المطلوبة من الترف ودواعيه فتؤثر  
 الدعة والسكون وتوجه إلى اتخاذ المنازل للقرار ولما كان ذلك للقرار والمأوى  
 وجب أن يراعى فيه دفع المضار بالجماعة من طوارقها وجلب المنافع وتسهيل المرافق  
 لها فأما الجمابة من المضار فيراعى لها أن يدار على منازلها بجمع اسباب الاسوار وأن  
 يكون وضع ذلك في متقن من الامكنة اما على هضبة متوعدة من الجبل واما باستدارة ببحر  
 أو نهر بها حتى لا يوصل إليها الا بعد العبور على جسر أو قنطرة فيصعب مناله على  
 العدو ويتضاعف امتناعها وحصنها ويمارعى في ذلك للجماعة من الآفات الجوية  
 طيب الهواء والسلامة من الامراض فان الهواء اذا كثرت أكدا خبيثا وبجوارها  
 للسياة الفاسدة أو منافع متفنة أو مروج خبيثة أسرع إليها العفن من مجاورتها  
 فأسرع المرض للعيوان الكائن فيه لا محالة وهذا ما شاهد والمدن التي لم يراع فيها طيب  
 الهواء كثرة الامراض في الغالب وقد اشتهر بذلك في قطر المغرب بلد قابس من بلاد  
 الجريد بقرية فلا يكاد ساكنها أو طارقتها يتخلص من حي العفن بوجه ولقد يقال  
 ان ذلك حادث فيها ولم تكن كذلك من قبل وقتل البكري في سبب حدوثه أنه وقع فيها  
 حفر ظهر فيه اناس من نقاس محتوم بالراض فلما قضى ختلهم صعد منه دخان إلى  
 الجوف وانقطع وكان ذلك ببدأ مرض الرضات الجيات فيه وأراد بذلك أن الاناء كان مشعلا

على بعض أعمال الملحمات لو بانه وأنه ذهب سره بذهابه فرجع اليها العفن والوباء  
وهذه الحكاية من مذاهب الماتة وباحتم الركنة والكرى لم يكن من ناهة العلم  
واستنارة البصرة بحيث يدفع مثل هذا أو يتبين خرقه فنفقه كما جمعه والذي يكشف لك  
الحق في ذلك أن هذه الاهوية العنفة أكثر ما يهينها تهفين الاجسام وأمر اس  
الجينات ركودها فاذا تخللتها الرية وتفتشت وذهبت بها عينا وشمالا خف شأن العفن  
والمرض البادى منها للحيوانات والبلدان اذا كان كثير الساكنين وكثرت حركات أهلها  
فيقوج الهواء ضرورة وتحدث الرشح المتخلل للهواء الرادوي يكون ذلك معينا لله على  
الحركة والتروج واذا خف الساكن لم يجد الهواء معينا على حركته وتوجهه وبقي  
ساكنا رادوا عظم عفته وكثر ضرره وبلد قانس هذه كانت عندهما كانت افرقة  
مستجة العمران كثيرة الساكن غوج بأهلهم وجاف فكان ذلك معينا على غوج  
الهواء واضطرابه وتخفيف الاذى منه فلم يكن فيها كثير عفن ولا مرض وعند ما خف  
ساكنها ركدها فوفاها المتعفن بفساد مياها فكثر العفن والمرض فهذا وجهه لا غير  
وقد رأينا عكس ذلك في بلاد وضعت ولم يراع فيها طبيب الهواء وكانت أولا قليلة  
الساكن فكانت أمراضها كثيرة فلما كثرت ساكنها اتقل حالها عن ذلك وهذا مثل  
دار الملك بفارس لهذا العهد المحي بالبلد الجديد وكثير من ذلك في العالم ففهمه نجد  
ما قلناه وأما طبيب المناقع والمرافق للبلد فإراعى فيه أمور منها الماء بأن يكون البلد  
على نهر أو بآبارها عيون عذبة نيرة فإز وجود الماء قريبا من البلد يسهل على الساكن  
حاجة المياه وهي ضرورية فيكون لهم في وجوده رفقة عظيمة عانة ومعاير اعى من  
المرافق في المدن طبيب المرائى لسانهم اذ صاحب كل قرار لا يتله من دواجن الحيوان  
للشاج والضرع والركوب ولا يتله من المرائى فاذا كان قريبا طبيا كان ذلك أرفق  
بهم لهم لما يعانون من المشقة بعده ومعاير اعى أيضا المزارع فان الزرع هي الاقوات  
فاذا كانت من اروع البلد بالقرب منها كان ذلك أسهل في اتخاذها وأقرب في تحصيله  
ومن ذلك الشجر للطب والبناء فان الخشب مما تم البلوى في اقتضاه لو قود النيران  
للاضطلاع والطبخ والخشب أيضا ضرورى لفهمه وكثير ما يستعمل فيه الخشب  
من ضرورياتهم وقد راعى أيضا قريهم من المعرت تبهيل الحاجات القاصية من البلاد  
النائية الآن ذلك ليس عناية الاقليات هذه كلها متفاوته بتفاوت الحاجات وما يتبعها  
المنفعة ضرورة الساكن وقد يكون الواضع غافلا عن حسن الاختيار الطبيعي أو انما  
يراعى حاجاتهم على نفسه وقومه ولا يذكّر حاجة غيرهم كفعلة العرب لا لاقلا في  
المدن التي اختطوها بالعرفاء وافرقة فانهم لم يراعوا فيها الا اهم عندهم من مرائى

الابل وما يصلح لها من الشجر والماء الملح ولم يراعوا الماء ولا المزارع ولا الحطب ولا مراعى السائمة من ذوات الطلف ولا غير ذلك كالقريوان والكوفة والبصرة وأسافلها ولهذا كانت أقرب الى الخراب لئلا يتراع فيها الامور الطبيعية  
(فصل) وعما يراعى في البلاد الساحلية التي على البحر أن تكون في جبل أو تكون بينات من الامم موفورة العدد تكون صرخا للمدينة متى طرقها طاق من العدو والسبب في ذلك أن المدينة اذا كانت حاضرة البحر ولم يكن بها حصار عمران للقبائل أهل العصابات ولا موضعها متوعر من الجبل كانت في غرة لبيات وسهل طرقها في الاساطيل البحرية على عدوها وتحصنها لها لما يأت من وجود الصرخ لها وان الحضر المتقوين للدعة قد صاروا عيال اخر جوعا عن حكم المقاطعة وهذه كالاسكندرية من المنشق وطرابلس من المغرب وبونة وسلاوى كانت القبائل والعصابات موطنين بقر بها بحيث يلفهم الصرخ والنعر وحيث كانت متوعدة المسالك على من يرومها باختطاطها في حصاب الجبال وعلى استنها كل لها بذلك منعة من العدو ويسو من طرقها لما يكادونه من وعرها وما يتوقعونه من اجابة صرخها كافي سبته وبجاية وبلد القل على صرخها فافهم ذلك واعتبره في اختصاص الاسكندرية باسم القصر لدن الدولة العباسية مع أن الدعوة من ورائها بريقة واخر بقية وانما اعتبر في ذلك المخافة المتوقعة فيها من ابرار لهولة وضعها ولذلك والله أعلم كان طرق العدو للاسكندرية وطرابلس في الله مرات متعددة والله تعالى أعلم

---

(فصل في المساجد والبيوت العظيمة في العالم)

---

(اعلم) أن الله سبحانه وتعالى فضل من الارض بقاعا اختصها بنشر فيه وجعلها مواطن لعبادته يضاعف فيها الثواب وينموها الاجور وأخبرنا بذلك على ألسن رسوله وأبياته لطفا بعباده وتسهلا للطرق السعادة لهم • وكانت المساجد الثلاثة هي أفضل بقاع الارض حجابا ثبت في الصحيحين وهي مكة والمدينة ومكة بيت المقدس أما البيت الحرام الذي بمكة فهو بيت ابراهيم صلوات الله وسلامه عليه أمره الله ببنائه وأن يؤذن في الناس بالهجرة اليه فبناه هو وابراهيم عليه السلام فكانت المساجد الثلاثة هي مكة والمدينة ومكة بيت المقدس • وبيت المقدس بنامه داود وسليمان عليهما السلام أخرهما الله بينا سمعه ونسب هياكله ودفن كثير من الانبياء من ولد اسحق عليه السلام حواله • والمدينة مهاجرة نبيه محمد صلوات الله وسلامه عليه أمره الله تعالى بالهجرة اليها وأقامه دين

الاسلام بها في مسجد الحرام بها وكان مله الشر في تربتها فهذه المساجد  
 الثلاثة حرة عن المسلمين ومهوى أقدسهم وعظمة دينهم وفي الآثار من فضلها  
 ومضاعفة الثواب في مجاورتها والصلاة فيها كبر معروفة فلقنر الشئ من الخير عن  
 أولية هذه المساجد الثلاثة وكيف تدرجت أحوالها إلى أن كل ظهورها في العالم \*  
 (فأما مكة) \* فأوليتها فيما يقال أن آدم صلوات الله عليه بناها قبالة البيت المعمور ثم  
 هدمها الطوفان بعد ذلك وليس فيه خبر صحيح يعول عليه وإنما اقتبسوه من محل الآية  
 في قوله واذ رفع إبراهيم القواعد من البيت وإسماعيل ثم بعث الله إبراهيم وكان من  
 شأنه وشأن زوجته سارة وغيرهما من هاجر ما هو معروف وأوحى الله إليه أن يترك ابنه  
 إسماعيل وأمه هاجر بالقلعة فوضعهما في مكان البيت وسأوه عما وكيف جعل الله  
 لهم من اللطف في نبع ماء زمزم ومروءة الرفقة من جرهم بهم حتى احتلواهما  
 وسكنوا إليهما ووزلوا معهم ما حو إلى زمزم كما عرف في موضعه فالتحق إسماعيل بموضع  
 الكعبة يتأوى إليه وأدار عليه سبلاب من الردم وجعله زوايا لنفسه وجاء إبراهيم  
 صلوات الله عليه مرارا لزيارته من الشام أمر في آخرها ببناء الكعبة مكان ذلك الزرب  
 فبناه واستعان فيه بإبنة إسماعيل ودعا الناس إلى حججه وبني إسماعيل ساكنيه ولما  
 قبضت أمته هاجر وقام بنوه من بعده بأمر البيت مع أخوانهم من جرهم ثم العالين  
 من بعدهم واستقر الحال على ذلك والناس يهرعون إليهم من كل أقطر من جميع أهل  
 المنطقة لامن بني إسماعيل ولامن غيرهم من ذنأ وذناى فقد نقل أن التبايسة كانت  
 تحج البيت وتضلمه وأن تعاصها الملاء والوصائل وأمر بتطهيرها وجعل لها  
 مفتاحا ونقل أيضا أن الفرس كانت تحججه وتقرب إليه وأن غزالي الذهب اللذين  
 وجد هما عبد المطلب حين احتقر زمزم كأنهم قرابينهم ولم يزل جرهم الولاية عليه  
 من بعدهم ولما إسماعيل من قبل خولتهم حتى إذا خرجت خراطة وأقاموا بها بعدهم  
 ماشاء الله ثم كثر ولدا إسماعيل واتشروا وتشعبوا إلى كنانة ثم كنانة إلى قريش وغيرهم  
 وساءت ولاية خراطة فغلبهم قريش على أمره وأخرجوهم من البيت وملكوهم  
 يومئذ فعصى بن كلاب فبنى البيت وبقفه بحشب الدوم وبريد النخل وقال الاعشى

خلف بشوبى راحب اللد ووالتي \* بناها قصى والمضاض بن جرهم

ثم أصاب البيت سيل ويقال حريق وتهدم وأعادوا بناءه وجعلوا النفقة لذلك من  
 أموالهم وانكسرت سفينة بساحل جدة فاشتروا خشبها لتسقف وكانت جدرانها فوق  
 القائمة فجعلوها عناية عشر ذراعا وكان الباب لاصقا بالارض فجعلوه فوق القائمة لئلا  
 تدخله السيول وقصرت بهم النفقة عن اتعلمه فقصر واعن قواعده وزكوا منه سنة

أذرع وشبرا أذروها بجدار قصير يطاف من ورأيه وهو الحجر وبقي البيت على هذا البناء  
 الى أن تحصن ابن الزبير مكة حين دنا نفسه وزحف اليه جيوش يزيد بن معاوية مع  
 الحصين بن غير السكوني ورمى البيت سنة أربع وستين فأصابه حريق يقال من النقط  
 الذي رموا به على ابن الزبير فأعاد بناءه أحسن مما كان بعد أن اختلفت عليه الحصابة في  
 بناءه واحتج عليهم بقول رسول الله صلى الله عليه وسلم لعائشة رضي الله عنها ألا قومك  
 حديث عهد بكفر لددت البيت على قواعد إبراهيم وبلغت له ما بين شرقيا وغربيا  
 فهدمه وكشف عن أساس إبراهيم عليه السلام وجعل الوجوه والأكابر حتى عاينوه  
 وأشار عليه ابن عباس بالتمسك في حفظ القبلة على الناس فأدار على الأساس الخشب  
 ونصب من فوقها الاسنار حفظا للقبلة وبعث الى صنعاء في القضة والكس فحملها  
 وسأل عن قطع الحجارة الاقل فجمع منها ما احتاج اليه ثم شرع في البناء على اساس  
 إبراهيم عليه السلام ورفع جدرانها سبعا وعشرين ذراعا وجعل لها ما بين لاصتين  
 بالارض كالأروى في حديثه وجعل فرشها وازرها بالرخام وصاغ لها المفاتيح وصفايح  
 الابواب من الذهب \* ثم جاء الحجاج لحصاره أيام عبد الملك ورمى على المسجد  
 بالنجس فأتى الى أن تصدعت حيطانها ثم لما ظفر باب الزبير شاو وعبد الملك فيما بينه  
 وزاده في البيت فأمر به هدمه وردد البيت على قواعد قريش كما هي اليوم ويقال انه  
 ندم على ذلك حين علم بحقه رواية ابن الزبير لحديث عائشة وقال وددت اني كنت حلت  
 أباحيسب في أمر البيت وبنائه ما تحمل فهدم الحجاج منها سنة أذرع وشبرا مكان الحجر  
 وبناه على أساس قريش وسد الباب الغربي وما تحته عتبة بابها اليوم من الباب  
 الشرقي وترك سائر ما لم يغير منه شيئا فكل البناء الذي فيه اليوم بناء ابن الزبير وبنائه  
 الحجاج في الحائط صلبة ظاهرة للعيان لجهة ظاهرة بين البناين والبناء متميز عن البناء  
 بمقدار اصبع شبه الصديق وقد لحق \* ويعرض ههنا اشكال قوى لمناقاة له لما يقوله  
 الفقهاء في أمر الطواف ويحذر الطائف أن يتيل على الشاذروان الدائري على أساس  
 الجدران أسفلها يقع طوافه داخل البيت بناء على أن الجدران ما قامت على بعض  
 الأساس وترك بعضه وهو مكان الشاذروان وكذا قالوا في تقبيل الحجر الأسود لا بد  
 من رجوع الطائف من التقبيل حتى يستوي قائما ثلاثا يقع بعض طوافه داخل البيت  
 وإذا كان الجدران كلها من بناء ابن الزبير وهو انما بني على أساس إبراهيم فكيف  
 يقع هذا الذي قالوه ولا يختص من هذا الا بأحد أمرين إما أن يكون الحجاج  
 هدم جميعه وأعادوه وقد نقل ذلك جماعة الآن اليان في شواهد البناء بالعلم ما بين  
 البناين وغير أحد الثقات من اعلام عن الآخر في الصناعة يرد ذلك وأما أن يكون

ابن الزبير لم ير البيت على أساس ابراهيم من جميع جهاته وانما قبل ذلك في الحجر فقط  
 ليدخله في الاثم مع كونهم من بناء ابن الزبير ليست على قواعد ابراهيم وهذا بعيد  
 ولا يحصى من هذين والله تعالى أعلم ثم ان مساحة البيت وهو المسجد كان ضا  
 للطائفتين ولم يكن عليه جدوايام النبي صلى الله عليه وسلم وأبي بكر من بعده ثم كثر  
 الناس فاشترى عمر رضي الله عنه دورا هدمها وزادها في المسجد وأدار عليها جدارا  
 دون القمامة وفعل مثل ذلك عثمان ثم ابن الزبير ثم الوليد بن عبد الملك وبنيه بعده  
 الرخام ثم زاد فيه المنصور وابنه المهدي من بعده ووقفت الزيادة واستقرت على ذلك  
 لعهدنا \* وتشريف الله لهذا البيت وعناية به أكثر من أن يحاط به وكفى من ذلك  
 أن يجعله مطع الوحي والملائكة ومكانا لآبادة وفرض شعائر الحج ومناسكها وأوجب  
 الحرم من سائر نواحيهم من حقوق التعظيم والحق ما لم يوجب له منافع كل من خاف  
 دين الاسلام من دخول ذلك الحرم وأوجب على داخله أن يعبر من الخيط الا اذا را  
 بستره وحجى العائذ به والرائع في مسارحه من مواقع الآفات فلا يرام فيه خاف  
 ولا يصاد له وحش ولا يختطف له شجر وهذا الحرم الذي يحصر بهذه الحرمه من طريق  
 المدينة ثلثة أميال الى التميم ومن طريق العراق سبعة أميال الى التميمين من جبل  
 المنطة ومن طريق الطائف سبعة أميال الى بطن غرة ومن طريق جدة سبعة أميال  
 الى منقطع العشار \* هذا شأن مكة وخبرها وتسمى أم القرى وتسمى الكعبة لعلوها  
 من اسم الكعب ويقال لها أيضا بكة قال الاصمعي لان الناس يك بعضهم بعضا  
 اليها أي يدفع وقال مجاهد بكة أبدلوا هميا كما قالوا لا زب ولازم اقرب المخرجين  
 وقال النخعي بالباء البيت وبالميم البلد وقال الزهري بالياء ثم جد كله وبالميم الحرم  
 وقد كانت الامم منذ عهد الجاهلية تعظمه والمولود من اليه بالاموال والذخائر  
 كسرى وغيره وقصة الاسياق وغزاه الى الذهب النذير وجدهما عبد المطلب حين احترف  
 زمزم معروفة وقد وجد رسول الله صلى الله عليه وسلم لم حين افتتح مكة في الحب الذي  
 كان فيه سبعين ألفا وقيمة من الذهب مما كان الملوكة يهدون للبيت فيها ألف ألف  
 دينار مكررة مرتين بما تقي قنطارا وزنا وقال له علي بن أبي طالب رضي الله عنه يا رسول  
 الله لو استغنت بهذا المال على حربك فلم يفعل ثم ذكر لابي بكر فلم يهركه هكذا قال  
 الازرق وفي البخاري بسنده الى أبي وائل قال جلست الى شيبة بن عثمان وقال جلست  
 الى عمر بن الخطاب فقال حممت أن لأدع فيها صفراء ولا يضاء الا قمتها بين المسلمين  
 قلت ما أنت بخاعل قال ولم قلت فلم يعلها صاحب الفقال هما اللذان يقتدى بهما وخرجه  
 أبو داود وابن ماجه وأقام ذلك المال الى أن هلكا كانت قننة الانفس وهو الحسن بن

الحسين بن علي بن علي زين العابدين سنة تسع وتسعين ومائة حين غلب على مكة محمد  
الى الكعبة فأخذ ما في خزائنها وقال ما صنعت الكعبة بهذه المال موضوعا فيها لا ينفع  
به نحن أحق به نستعين به على حربنا وأخرجه وتصرف فيه وطلعت الذخيرة من الكعبة  
من يومئذ \* (وأما بيت المقدس) وهو المسجد الأقصى فكان أقل أمره أيام  
الصليبية موضع الزهرة وكانوا يقرّبون اليه الزيت فيما يقرّبونه يصبونه على الحضرة التي  
هناك ثم دثر ذلك الهيكل وأخذها بنو إسرائيل حين ملكوها قبله لصلاتهم \* وذلك  
أن موسى صلوات الله عليه لما خرج ببني إسرائيل من مصر لئلا يكره بيت المقدس كما  
وعدا الله أباهم إسرائيل وأباهم من قبله وأقاموا بأرض التيه أمره الله بالتمتع  
قبعة من خشب السند عني بالوحي مقدارها وصفها وهاكلها وثمانيلها وأن يكون  
فيها التابوت ومائدة بصافها ومنازة بقناديلها وأن يصنع مذبحا للقرّبان وصف ذلك  
كله في التوراة أكل وصف فصنع القبة ووضع فيها تابوت العهد وهو التابوت الذي  
فيه الألواح المستوعبة عوضا عن الألواح المخرقة بالكلمات العشر لما تكسرت ووضع  
المنذبح عندها وهداه الله الى موسى بأن يكون هرون صاحب القرّبان ونصبوا  
تلك القبة بين خيامهم في التيه يصلون اليها ويقرّبون في المنذبح أمامها ويحضر  
للوحي عندها ولما ملكوا الشام وبقيت تلك القبة قبلتهم ووضعوها على الحضرة  
بيت المقدس وأرادوا دونه عليه السلام بناء مسجده على الحضرة مكانها فلم يتم له ذلك  
وعهد به الى ابنه سليمان فيناه لاربع سنين من ملكه ونسما ثمانية سنين من وفاة موسى  
عليه السلام واتخذ عده من الصفر وجعل به صرح الزجاج وغشى أبوابه وحبطانه  
بالذهب وصاغها كله وثمانيله وأوعيته ومنازله ومقاسحه من الذهب وجعل في ظهره  
قبر البضع فيه تابوت العهد وهو التابوت الذي فيه الألواح وجاء به من صهيون بلداً به  
داود تحمله الاسباذ والكهنية حتى وضعه في القبر ووضع القبة والاروعة والمنذبح  
كل واحد حيث اعتدله من المسجد وأقام كذلك ما شاء الله ثم خربه بختصر بعد  
ثمانمائة سنة من بنائه وأحرق التوراة والعصا وصاغ الهيكل ونثر الاجساد ثم لما  
أعادهم ملوك القرس بناء عزير بن بني إسرائيل لعهد باعانة يهم من ملك القرس الذي  
كانت الولادة لبني إسرائيل عليه من سبي بختصر وحدهم في بناءه حدودا دون بناء  
سليمان بن داود عليهما السلام فلم يتجاوزوها ثم تداولتهم ملوك اليونان والقرس والروم  
واشتغل الملك لبني إسرائيل في هذه المدة ثم لبني خضعل من هككهم ثم لهم رهم  
هيردوس ولبنيهم من بعده وبني هيردوس بيت المقدس على بناء سليمان عليه السلام  
وتأذن فيه حتى أكمله في ست سنين فلما جاء طيطس من ملوك الروم وغلبهم وملك أمرهم



خرب بيت المقدس ومسجد ما وأمر أن يزرع مكانه ثم أخذ الروم بدين المسيح عليه  
 السلام ودأبوا بتعطيله ثم اختلف حال ملوك الروم في الاخذ بدين النصارى فان قسطنطين  
 أخرى الى أن جاء قسطنطين وتنصرت أمته هيلانه وارفعت الى المقدس في طلب  
 الخشبة التي صلب عليها المسيح بزعمهم فأخبرها القساوسة بأنه روى بجذبهته على الارض  
 وألقي عليها القمامات والقاذورات فاستخرجت الخشبة وبقيت مكان تلك القمامات  
 كنيسة القمامة كانوا على قبره بزعمهم وخربت ما وجدت من عمارة البيت وأحرقت  
 بطرح الزبل والقمامات على الحفرة حتى غطاها وبنى مكانها جزءا بزعمها المقلوب بقبر  
 المسيح ثم بنوا بازاء القمامة بيت لحم وهو البيت الذي ولد فيه عيسى عليه السلام وبقي  
 الامر كذلك الى أن جاء الاسلام وحضر عمر لفتح بيت المقدس وسأل عن الحفرة فأرشد  
 مكانها وقبدها لالزبل والتراب فكشف عنها وبنى عليها مسجد اعلى طريق البداة  
 وعظم من شأنه ما أذن الله من تعظيمه وما سبق من أم الكتاب في فضله سبحانه ثم  
 احتفل الوايد بن عبد الملك في تشييد مسجده على سفن مساجد الاسلام عشاء الله من  
 الاحتفال كما فعل في المسجد الحرام وفي مسجد النبي صلى الله عليه وسلم بالمدينة  
 وفي مسجد دمشق وكانت العرب تصبه بلاط الوليد وألزم ملك الروم أن يعيد القطعة  
 والمال لبناء هذه المساجد وأن يخففوا التضييق فأتوا على ذلك وتم بنائها على  
 ما اقترحه ثم لما مضى أمر الخلافة أعوام النسمات من الهجرة في آخرها وكانت  
 في ملكة العبيد بن خلفاء القاهرة من الشيعة واحتل أمرهم زحف الفرقة الى بيت  
 المقدس فلكوه وملكوا معه عاتة تقوى الشام وبنوا على الحفرة المقدسة منه كنيسة  
 كانوا يعظمونها ويقفرون بنائها حتى اذا استقل صلاح الدين بن أيوب الكردي  
 بملك مصر والشام ومحاربا العبيد يزوجهم زحف الى الشام وجاهد من كنهه من  
 الفرقة حتى غلبهم على بيت المقدس وعلى ما كانوا ملكوه من تقوى الشام وذلك لقوى  
 ثمانين وخمسة من الهجرة وهم تلك الكنيسة وأظهر الحفرة وبنى المسجد على  
 التوا الذي هو عليه اليوم لهذا العهد ولا يمرض ذلك الاشكال المعروف في الحديث  
 الصحيح أن النبي صلى الله عليه وسلم سئل عن أول بيت وضع فقال مكة قبل ثم أى طائفة  
 بيت المقدس قبل فكيف ينسبها قال أربعون سنة فان المذنبين بناسمكة وبنى بناء بيت  
 المقدس بمقدار ما بين ابراهيم وسليمان لأن سليمان بنى وهو في قب على الانبياء كثير  
 واعلم أن المراد بالوضع في الحديث ليس البناء وإنما المراد أول بيت عين العبادة ولا يعد  
 أن يكون بيت المقدس عين للعبادة قبل بنى سليمان بمثل هذه المدة وقد قل أن الصائفة  
 بنوا على الحفرة هيكلا للفرقة قبل ذلك أنها كانت مكانا للعبادة كما كانت الجاهلية

توضع الاصنام والتماثيل حوالى الكعبة وفي جوفها وانصابه الذين بنوا هكل الزهرة  
 كانوا على عهد ابراهيم عليه السلام فلا تعد مدة الاربعين سنة بين وضع مكة للعبادة  
 ووضع بيت المقدس وان لم يكن هذا البناء كله المعروف وأن أول من بنى بيت المقدس  
 سليمان عليه السلام فتفهمه فقيه حل هذا الاشكال \* (وأما المدينة) \* وهى  
 المسماة يثرب فهى من بناء يثرب بنهم لائل من العمالقة وملوكها بنو اسرائيل من  
 أيديهم فيما ملكوهم من أرض الجبل ثم جاؤهم بنو قيلة من غسان وغلبوهم عليها وعلى  
 خصوصتها \* ثم أمر النبي صلى الله عليه وسلم بالهجرة اليها لما سبق من عناية الله بها  
 فهاجر اليها معه أبو بكر وبعه أصحابه ونزل بها ونى مسجد وبوته فى الموضع الذى  
 سكن الله قد أعدته لذلك وشرقه فى سابق أزله وآواه أبناء قيلة ونصروه فلذلك سموا  
 الانصار وسمت كلمة الاسلام من المدينة حتى علت على الكلمات وغلب على قومه وفتح  
 مكة وملوكها وظن الانصار أنه يتحول عنهم الى بلده فأهمهم ذلك فخطبهم رسول الله  
 صلى الله عليه وسلم وأخبرهم أنه غير متحول حتى اذا قبض صلى الله عليه وسلم كان لحده  
 الشريف بها واجفى فضلها من الاحاديث العجيبة ما لا يخفى به ووقع الخلاف بين  
 العلماء فى تخصيصها على مكة توبه قال مالك رحمه الله لما ثبت عنده فى ذلك من النص  
 المصرح عن رافع بن خديج أن النبي صلى الله عليه وسلم قال المدينة خير من مكة نقل  
 ذلك عبد الوهاب فى المعونة الى أحاديث أخرى تدل بظاهرها على ذلك وخالف أبو  
 حنيفة والثاقل \* وأصبحت على كل حال نائية المسجد الحرام وجنح اليها الام  
 بأقندتهم من كل أوب فانظر كيف تدرجت الفضيلة فى هذه المساجد المعظمة لما سبق  
 من عناية الله لها وتفهم سر الله فى الكون وتدريجهم على ترتيب محكم فى أو والدين  
 والدنيا جوا أما غير هذه المساجد الثلاثة فلا تعلق فى الارض الا ما يقال من شأن مسجد  
 آدم عليه السلام بسرنديب من جزائر الهند لكنه لم يثبت فيه شئ يقول عليه وقد كانت  
 قلام فى القديس مساجد يعظمونها على جهة العبادة بزعمهم منها بيوت النار للقرس  
 وهياكل يونان وبيوت العرب الجاهل التى أمر النبي صلى الله عليه وسلم بهدمها  
 فى غزواته وقد ذكر المسعودى منها بيوت النسمان ذكرها فى شئ اذى غير مشروعة ولا  
 هى على طريق دين ولا يلتفت اليها ولا الى الخبر عنها ويكتفى فى ذلك ما وقع فى التواريخ  
 فمن أراد معرفة الاخبار فعليه بها والله يهدي من يشاء الى صراطه

---

٧ (فصل فى ان المدن والامصار بأفريقية والمغرب قليلة)

---

والمبب فى ذلك أن هذه الاقطار كانت للبربر منذ الاف من السنين قبل الاسلام وكل من

عزائهم كلهم بدوا ولم تسعزتهم الحضارة حتى تستكمل أحوالها والدول التي ملكتهم من الأفرنجية والعرب لم يزل أمتهم فيهم حتى ترسخ الحضارة منها فلم تزل عوائد البداءة وشؤونهم فاكوا اليها أقرب فلم تكثر مبانيهم وأيضاً فالصنائع بعيدة عن البربر لأنهم أعرف في البدو والصنائع من أنواع الحضارة واعتاشهم المباني فيم اغلظت من الخدق في تعاطيها فلم يكن البربر اتصال لها لم يكن لهم تشوف الى المباني فضلاً عن المدن وأيضاً فهم أهل عصيات وأنساب لا يتخالجون ذلك جمع منهم والأنساب والعصية أخرج الى البدو واعتلجوا الى المدن الدعة والسكون وبصيرها كتمها لعلها على حاميتها قصد أهل البدو ذلك يستكشفون عن سكنى المدينة أو لاطامة بها ولا يدعوا الى ذلك إلا الترف والغنى وقليل ما هو في الناس فلذلك كان عمران افريقية والمغرب كله أو أكثره بدوياً أهل خيام وظلوعن وقياطن وكث في الجبال وكان عمران بلاد العجم كله أو أكثره قرى أو مصاراً ورساتق من بلاد الاندلس والشام ومصر وعراق العجم وأمثالها الآن العجم في القبال ليسوا بأهل أنساب يحافظون عليها ويتناغون في صراحتهم والنصاحا الا في الاقل وأكثر ما يكون سكنى البدو لاهل الانساب لأن لمة القسب أقرب وأشد قد يكون عصية كذلك وتزعج صاحبها الى سكنى البدو والتعافي عن المصر الذي يذهب بالبساطة ويصير معيلاً على غيره فافهمه وقس عليه واقه بصحته وتعالى أعلم به التوفيق

٨ فصل في ان المباني والصنائع في الملة الاسلامية قليلة بالنسبة الى قدرتها والى من كان قبلها من الدول

والسبب في ذلك ما ذكرنا من ان البربر بعينه اذ العرب أيضاً أعرف في البدو وأبعد عن الصنائع وأيضاً فكانوا الأجانب من الممالك التي استولوا عليها قبل الاسلام ولما غلبوها لم ينضم الامم حتى تستوفى رسوم الحضارة مع انهم استغنوا عما وجدوا من مباني غيرهم وأيضاً فكان الدين أول الامر مانعاً من الحضارة في البلدان والاسراف فيه في غير القصد كما عهد لهم عمر حين استأذنه في بناء الكوفة بالجبل وقد وقع الحريق في القصب الذي كانوا بنوا به من قبل فقال اغلوا ولا يريدن أحد على ثلاثة آيات ولا تطاولوا في البناء والزمو السنة علىكم الدولة وعهد الى الوفد وتقدم الى الناس أن لا يرفعوا بناء فوق القدر والوفاء القدر قال ما لا يقر بكم من السرف ولا يخرجكم عن القصد فلما بعد العهد بالدين والتعزج في أمثال هذه المقاصد وظلت طبيعة الملك والترف واستخدم العرب أمة القرم وأخذوا عنهم الصنائع والمباني وجمعهم اليها

حوال الدعة والترف حينئذ شديد المباني والمصانع وكلن عهد ذلك قريبا باقراض الدولة ولم ينفع الامد لكثرة البناء واختطاط المدن والامصار الا قليلا وليس كذلك غيرهم من الامم فالقرص طالت مدتهم الا قامن السنين وكذلك القبط والتبط والروم وكذلك العرب الاولى من عادو وعود والعمالة والبايعه طالت آمادهم وريخت المصانع فيهم فكانت مساكنهم وهنا كلهم أكثر عددا وأبقى على الايام أثرا واستبصر في هذا تجده كما قلت لك والله وارث الارض ومن عليها

٩ (فصل في ان المباني التي كانت تختطها العرب يسرع اليها الخراب الا في الأقل)

والسبب في ذلك شأن البداوة والبعد عن المصانع كما قدمناه فلا تكون المباني وثيقة في تشييدها وله والله أعلم وجه آخر وهو أن مسبه وذلك قلته مراعاتهم لحسن الاختيار في اختطاط المدن كما قلناه في المصنوعان وطيب الهواء والمياه والمزارع والمراعى فانه بالتفاوت في هذه تتفاوت جودة المصرو وذا منه من حيث العمران الطبيعي والعرب بعزل عن هذا وانما يراعون مراعى ابلهم خاصة لا يبالون بالماء طاب أو خيب ولا قل أو كثر ولا يسألون عن زكاه المزارع والمناسبات والاهوية لانتقالهم في الارض ونقلهم الجيوب من البلد البعيد وأما الرباح فالقفر مختلف المهاب كلها والظعن كقبيل لهم بطبيعتها ان الرباح انما يختبئ مع القرار والسكنى وكثرة الفضلات وانظر لما اختطوا الكوفة والبصرة والقيروان كيف لم يراعوا في اختطاطها الامراعى ابلهم وما يقرب من القفر ومسالك الظعن فكانت بعيدة عن الوضع الطبيعي للمدن ولم تكن لها مائة تدعى عمرانهم بعد ذلك كما قدمناه انه يحتاج اليه في حفظ العمران فقد كانت مواطنهم غير طبيعية للقرار ولم تكن في وسط الامم فدمرها الناس فلا قول وهلة من انحلال أمرهم وذهاب عصبيتهم التي كانت سببا جالها أنى عليها الخراب والانحلال كأن لم تكن والله يحكم لامه قبح حكمه

١٠١٠ (فصل في مبادئ الخراب في الامصار)

اعلم ان الامصار اذا اختطت أو لا تكون قليلة المساكن وقليلة آلات البناء من الحجر والجير وغيرهما مما يعالى على الحيطان عند التائق كلزليج والرخام والبرج والزجاج والفسيفساء والصدف فيكون بناؤها ومثنيها واولا انتها فاسدة فاذا اعظم عمران المدينة وكثرت كبريات آلات بكثرة الاعمال حينئذ كثرة المصانع الى أن تبلغ غايتها من ذلك كما سبق شأنها فاذا اراجع عمرانها وخفست كبريات المصانع لاجل ذلك ففقدت الاجادة في البناء والاحكام والمعالاة علمه بالتجسس ثم نقل الاعمال لعدم

الساكن فيقل جلب الاسلات من الحجر والرخام وغيرهما فتفقد وبصير بناوهم  
وتشيدهم من الاسلات التي في مبانيهم فينقلونها من مصنع الى مصنع لاجل خلاه  
أكثر المصانع والقصور والمنازل بقلة العمران وقصورهما كان أولا ثم لانتزال تنقل  
من قصر الى قصر ومن دار الى دار الى أن ينفد الكثير منها جله فيعودون الى البداوة  
في البناء واتخاذ الطوب عوضا عن الحجارة والقصور عن التبنق بالكلية فيعود بناه  
المدينة تمثل بناء القرى والمدائر ويظهر عليها اسم البداوة ثم تفرق التباقص الى غايتها  
من الخراب ان قدر لها به سنة الله في خلقه

## ١١ فصل في ان تفاضل الامصار والمدن في كثرة الرفه لاهلها وتفاق الاسواق انما هو في تفاضل عمرانها في الكثرة والقلة

والسبب في ذلك أنه قد عرف وثبت أن الواحد من البشر غير مستقل بتحصيل حاجاته  
في معاشه وأنهم متعاونون جميعا في عمرانهم على ذلك والحاجة التي تحصل تعاون  
طائفة منهم تشتت ضرورة الاكثمن عددهم أضعافا بالقوت من الحنطة مثلا لا يستقل  
ألواحد بتحصيل حصته منه وإذا اتدب لتحصيله الستة أو العشرة من حداد وخباز  
للآلات وفاتم على البقر واثارة الارض وحصاد السنبل وسائر مؤن الصلح وفوزعوا  
على تلك الاعمال أو اجتمعوا وحصل بعملهم ذلك مقدار من القوت فانه حينئذ قوت  
لاضعا فهم مرات فالاعمال بعد الاجتماع زائدة على حاجات العاملين وضروراتهم  
فأهل مدينة أو مصر اذا وزعت أعمالهم كلها على مقدار ضرورتهم وحاجاتهم اكثي  
فيها بالاول من تلك الاعمال وبقيت الاعمال كلها زائدة على الضرورات فتصرف  
في حالات الترف وعوائده وما يحتاج اليه غيرهم من أهل الامصار ويستجلبونه منهم  
بأعواضه وقيمة فيكون لهم بذلك حظ من الغنى وقد ثبت لك في الفصل الخامس في باب  
الكسب والرزق أن المكاسب انما هي قيم الاعمال فاذا اكثرت الاعمال كثرت قيمها بينهم  
فتكثرت مكاسبهم ضرورة ودعهم أحوال الرفه والغنى الى الترف وساجاته من التأنق  
في المساكن والملابس واستعبادة الآتية والمعاون وانضاد الخدم والمراكب وهذه  
كلها أعمال تستدعي قيمها ويحتاج المهرة في صناعاتها والقيام عليها فتبقى أسواق  
الاعمال والصناعات ويكثر دخل المصرو يخرج ويحصل اليسار لتحتل ذلك من قبل  
أعمالهم ومتى زاد العمران زادت الاعمال ثابة ثم زاد الترف بها الكسب وزادت  
عوائده وحاجاته واستنطت الصنائع لتصيلها فزادت قيمها وتضاعف الكسب  
في المدينة لذلك ثابة ونفقت سوق الاعمال بها أكثر من الاول وكذا في الزيادة الثانية

والثالث لأن الأعمال الزائدة كلها تختص بالترف والنفى بخلاف الأعمال الأصلية التي تختص بالمعاش فالمصر إذا فضل بعمران واحد فضله بزيادة كسب ورفه وبعوأنه من الترف لا توجد في الآخرة كما كان عمرانه من الأمصار أكثر وأوفر كان حال أهله في الترف أبلى من حال المصر الذي دونه على وتيرة واحدة في الأصناف القاضية مع القاضي والتاجر مع التجار والصانع مع الصانع والسوق مع السوق والامير مع الامير والشرطي مع الشرطي \* واعتبر ذلك في المغرب مثلاً بحال فاس مع غيرها من أمصاره الأخرى مثل بجاية وتلمسان وستة تجدينه ابونا كثيراً على الجملة ثم على الخصوصيات بحال القاضي بفاس أوسع من حال القاضي بتلمسان وهكذا كل صنف مع صنف أهله وكذلك أيضاً حال تلمسان مع وهران أو الجزائر وحال وهران والجزائر مع ما دونهما إلى أن تنتهي إلى المدائر الذين اعتمدهم في ضروريات معاشهم فقط ويقصرون عنها وما ذلك الالتفات لأعمال فيها فكأنها كلها أسواق للأعمال والخرج في كل سوق على نسبه فالقاضي بفاس دخله كفاخره وكذلك القاضي بتلمسان وحيث الدخل والخرج أكثر تكون الأحوال أعظم وهم بفاس أكثر لذا فسوق الأعمال على يد عوالم الترف فالأحوال أخفض ثم كذا حال وهران وقسنطينة والجزائر وبسكرة حتى تنتهي كأقلنا إلى الأمصار التي لا توفى أعمالها بضرورتها ولا تعذر في الأمصار أدهى من قبيل القرى والمدائر فلذلك تجد أهل هذه الأمصار الصغيرة طغاة الأحوال متقاربين في الفقر والخصاصة لما أن أعمالهم لا تفي بضرورتهم ولا يفضل ما يتألفونه كسبافلاتهم وكاسبهم وهم لذلك مساكين محاربين الأذى الأقل الصادر واعتبر ذلك حتى في أحوال الفقراء والسؤال فإن السائل بفاس أحسن حالاً من السائل بتلمسان أو وهران ولقد شاهدت بفاس السؤال بسألون أيام الأناحي أعان ضحاياهم ورأيتهم يسألون كثيراً من أحوال الترف واقتراح المأكل مثل سؤال اللحم والسمن وعلاج الطبخ واللباس والماعون كالغربال والآنية ولومألسائل مثل هذا بتلمسان أو وهران لاستنكر وعنف وزجر ويلقنا لهذا العهد عن أحوال القاهرة ومصر من الترف والنفى في عوائدهم ما يقضى منه العجب حتى إن كثيراً من الفقراء بالمغرب يزعون من النقلة إلى مصر لذلك ولما يلغهم من أن شأن الرفق بمصر أعظم من غيرها ويعتقد العامة من الناس أن ذلك زيادة يشارف أهل تلك الأفاق على غيرهم أو أموال محترقة لديهم وأنهم أكثر صدقة وإيثارة من جميع أهل الأمصار وليس كذلك وانما هو لم تعرفه من أن عمران مصر والقاهرة أكثر من عمران هذه الأمصار التي لم يفت فغظمت لذلك أحوالهم \* وأما محل الدخل والخرج

فتكافئ في جميع الامصار ومق عظم الدخل عظم الخرج وبالعكس ومق عظم الدخل  
والخرج اتسعت أحوال الساكن ووسع المصر كل شيء سلفك من مثل هذا فلا تنكره  
واعتبره بكثرة العمران وما يكون عنه من كثرة المكاسب التي يسهل بسببها البذل  
والإيثار على مبتغيه ومثله بشأن الحيوانات الجمجمة مع بيوت المدينة الواحدة وكيف  
يختلف أحوالها في هجرانها أو غشيانها فأت بيوت أهل النعم والثروة والموائد الخصبه  
منها تنكسر بساحتها وأقنية إبنتر الحبوب وسواقط القنات فيزدحم عليها غاشي النخل  
والنخاش ويحلق فوقها عصائب الطيور حتى تروح بطاؤها وتعلل شسبعاء ورياء بيوت  
أهل الخصاصه والفقراء الكساد أرقاقهم لا يسرى بساحتها ديب ولا يخلق مجرورها  
طائر ولا تروى إلى زوايا بيوتهم غارة ولا هرة كما قال الشاعر  
تسقط الطير حيث تلتقط الحب وتغشى منازل الكرماء

فتأكل سر الله تعالى في ذلك واعتبر غاشية الاماسى بغاشية الجمجمة من الحيوانات رقتان  
الموائد بفضلات الرزق والترف وسهولتها على من يسد لها لاستغنائهم عنها في الاكثر  
لوجود أمثالها لديهم واعلم أن اتساع الاحوال وكثرة النعم في العمران تابع لكثرة  
واقفه سبحانه وتعالى أعلم وهو غنى عن العالمين

## ١٢ (فصل في اسعار المدن)

اعلم أن الاسواق كلها تنشغل على حاجيات الناس فيها الضروري وهي الاقوات من  
الحنطة وما في معناها كالباقل والبصل والثوم وأشباهاه ومنها الحاجي والكالي  
مثل الادم والقواكه والملابس والمعاون والمراكب وسائر المصانع والمباني فاذا  
استبحر المصر وكثرتا كنه رخصت أسعار الضرورى من القوت وما في معناه وغلت  
أسعار الكالي من الادم والقواكه وما تبعها واذا قل ساكن المصر وضعف عمرانه  
كان الامر بالعكس \* والسبب في ذلك أن الحبوب من ضروريات القوت فتوفر  
الدواعى على اتخاذها اذ كل احد لا يهمل قوت نفسه ولا قوت منزله لشهره أو سنته فيم  
اتخاذها أهل المصر أجمع أو الاكثر منهم في ذلك المصر أو فيما يقرب منه لا بد من ذلك  
وكل متخلقه فتنفضل عنه وعن أهل بيته فضله كبيرة تستدخله كثيرين من أهل  
ذلك المصر فتفضل الاقوات عن أهل المصر من غير شك فتتخص أسعارها في الغالب  
الا ما يصيبها في بعض السنين من الآفات السماوية ولولا احتكار الناس لها لما  
يتوقع من تلك الآفات لبذلت دون ممن ولا عوض لكثرة ما بكثرة العمران \* وأما  
سائر المرافق من الادم والقواكه وما إليها فانها لا تتم بها البلوى ولا يستغرق اتخاذها

أعمال أهل المصر أجمعين ولا الكثير منهم ثم ان المصر اذا كان مستبحرا موفور  
العمران كثير حاجات الترف توفرت حيث نال الدوا على طلب تلك المرافق والاستكثار  
منها كل بحسب حاله فيقصر الموجد ومنها على الحاجات قصورا بالغوا ويكثر المستامون  
لهادى قليلة في نفسها فتزدحم أهل الاغراض ويبدل أهل الرفة والترف أثمانها  
باسراف في الغلاء لحاجتهم اليها أكثر من غيرهم فيقع فيها الغلاء كثره \* وأما  
الصنائع والاعمال أيضا في الامصار الموفورة العمران فيسبب الغلاء فيها أمور ثلاثة  
الاول كثرة الحاجة لمكان الترف في المصر بكثرة عمرانها والثاني اعتزاز أهل الاعمال  
خدمتهم وامتهان أنفسهم لسهولة المعاش في المدينة بكثرة أقواتها والثالث كثرة  
المترفين وكثرة حاجتهم الى امتنان غيرهم والى اجتماع الصنائع في منهم فيبدلون في  
ذلك لاهل الاعمال أكثر من قيمة أعمالهم من حاجة ومنافسة في الاستئثار بها فيغتر  
العمال والصنائع وأهل الحرف وتغلوا أعمالهم وتكثر نفقات أهل المصر في ذلك \*  
وأما الامصار الصغيرة والقليلة الساكن فأقواتهم قليلة لقلّة العمل فيها وما يتوقعونه  
لصغر مصرهم من عدم القوت فيقسمكون بما يحصل منه في أيديهم ويحتسرون به فيعجز  
وجوده لديهم وبه لو غنم على مستامه وأما ما وافقهم فلا تدعو اليها أيضا حاجة بقلّة  
الساكن وضعف الاحوال فلا تنفق لديهم سوقه فيقتصر بالرخس في سعره وقد يدخل  
أضافي قيمة الاقوات قيمة ما يعرض عليها من المكوس والمغارم للسلطان في الاسواق  
وأبواب الحفر والحياة في منافع وصولها من البيوعات لما يبيعهم وبذلك كانت الاسعار  
في الامصار أعلى من الاسعار في البادية اذ المكوس والمغارم والقراض قليلة  
لديهم أو معدومة وكثرتها في الامصار لاسيما في آخر الدولة وقد تدخل أيضا في قيمة  
الاقوات قيمة علاجها في الفلج ويحافظ على ذلك في أسعارها كما وقع بالاندلس لهذا  
العهد وذلك أنهم لما ألجأهم النصارى الى سيف البحر وبلاد المتوعدة الخبيثة الزراعة  
التي كد السبات وملكوها عليهم الارض الزاكية والبلد العليبة فاحتاجوا الى  
علاج المزراع والقدن لاصلاح نباتها وقلتها وكان ذلك العلاج بأعمال ذات قيم ومواد  
من الزيل وغيره لها مؤنة وصارت في قطعهم نفقات لها خطر فاعتبروها في سعرهم واختص  
قطر الاندلس بالغلاء منذ اضطرتهم النصارى الى هذا المعمور بالاسلام مع سواحلها  
لاجل ذلك وبحسب الناس اذا سمعوا بقلّة الاسعار في قطرهم أنها لقلّة الاقوات  
والحبوب في أرضهم وليس كذلك فهم أكثر أهل المعمور ولها فيما علمناه وأقواتهم  
عليه وقل أن يخلو منهم سلطان أو سوقه عن فقدان أو من ردة أو فلع الاقليل من أهل  
الصنائع والمهن والطراء على الوطن من الغزاة انما هدين ولهذا يحتمهم السلطان



في عطائهم بالعودة وهي أقواتهم وعلوفاتهم من الزرع وانما السبب في غلامتهم  
الحبوب عندهم ما ذكرناه \* ولما كانت بلاد البربر بالعكس من ذلك في زكاة  
منابتهم وطيب أرضهم ارتفعت عنهم المؤن جلة في القلح مع كثرته وعمومه فصار  
ذلك سببا لخص الأقوات يلدتهم والله مقدر الليل والنهار وهو الواحد القهار لا ريب  
سواه.

### ١٣ (فصل في قصور اهل البادية عن سكنى المصر الكثير العمران)

والسبب في ذلك أن المصر الكثير العمران يكثر زرقه كما قد مناه وتكثر حاجات ساكنه  
من أجل الترف وتعتاد تلك الحاجات للمدعو اليها فتقلب ضرورات وتصرفيه الاعمال  
كلها مع ذلك عزيرة والمرافق غالية بازدياد حام الاغراض عليها من أجل الترف بالمقام  
السلطانية التي توضع على الاسواق والبياعات وتعتبر في قيم المبيعات ويعظم فيها الغلاء  
في المرافق والاوقات والاعمال فتكثر لذلك نفقات ساكنه كثرة بالغة على نسبة عمرانه  
ويعظم خروجه فيحتاج حينئذ الى المال الكثير للثقة على نفسه وعباله في ضرورات  
عيشهم وسائر مؤنهم والبدوى لم يكن دخله كثيرا اذا كان ساكنا فكان يملك الاسواق  
في الاعمال التي هي سبب الكسب فلم يتأثر كسبا ولا مالا فيتعذر عليه من أجل ذلك  
سكنى المصر الكثير لغلاء امرأته وعزرة حاجاته وهو في بدو يستخلفه باقل الاعمال  
لانه قليل عوائد الترف في معاشه وسائر مؤنه فلا يضطر الى المال وكل من يشوف الى  
المصر وسكانه من أهل البادية فسر يعاينهم وعجزه ويفتضح في استبطانه الامن يقدم  
منهم تأثر المال ويحصل له منه فوق الحاجة ويمجى الى الغاية الطمعية لاهل العمران  
من المدعة والترف حينئذ ينقل الى المصر وينتظم حاله مع أحوال أهله في عوائدهم  
وزرفهم وهكذا شأن بداية عمران الامصار والله بكل شئ محيط

### ١٤ (فصل في ان الاقطار في اختلاف احوالها بالرفق والفقر مثل الامصار)

(اعلم) أن ما توفر عمرانه من الاقطار وتعدت الامم في جهاته وكثرت ساكنه اتسعت  
أحوال أهله وكثرت أموالهم وأمصارهم وعظمت دولهم وعمالهم \* والسبب في ذلك  
كله ما ذكرنا من كثرة الاعمال وما ساقى ذكر من أنها سبب للثروة بما يفضل عنها بعدد  
الوفاء بالضرورات في حاجات الساكن من الفضلة البالغة على مقدار العمران  
وكثرة فيعود على الناس كسبا يأنلونه \* بما تذكر ذلك في فصل المعاش وبيان الرزق  
والكسب في مزيد الرفق لذلك وتسع الاحوال ويحيى الترف والغنى وتكثر الجباية  
للدولة تنافى الاسواق فيكثر مالها ويشجع سلطانها وتتم في اتخاذ المعامل والحصون

واختطاط المدن وتشديد الامصار \* واعتبر ذلك بأقطار المشرق مثل مصر والشام  
 وعراق العجم والهند والصين وناحية الشمال كلها وأقطارها وراء البحر الرومي لما  
 كثر عمرانها كيف كثر المال فيهم وعظمت دولتهم وقعدت مدنها وحواسرهم  
 وعظمت متاجرهم وأحوالهم فالذي نشاهده لهذا العهد من أحوال تجار الامم  
 النصرانية الواردة على المسلمين بالمغرب في فهمهم واتساع أحوالهم أكثر من أن  
 يحيط به الوصف وكذا تجاؤ أهل المشرق وما يلفغان من أحوالهم وأبلغ منها أحوال  
 أهل المشرق الأقصى من عراق العجم والهند والصين فانه يلفغان عنهم في باب القسنى  
 والرفه غرائب تسير الركب من بغداد إليها ويعتلى بالانكار في غالب الامر ويحسب من  
 يسعهم من العلة أن ذلك زيادة في أموالهم ولأن المعادن الذهبية والفضة أكثر  
 بأرضهم ولأن ذهب الاقدمين من الامم استأثروا به دون غيرهم وليس كذلك فعند  
 الذهب الذي نعرفه في هذه الاقطار انما هو من بلاد السودان وهي الى المغرب أقرب  
 وجميع ما في أرضهم من البضاعة فانما يجلبونه الى غير بلادهم للتجارة فلو كان المال  
 عند اموراء الديهم لما جلبوا بضائعهم الى سواهم ينتفون بها الاموال ولا يستغنوا  
 عن أموال الناس بالجملة \* ولقد ذهب المتصمون لما رأوا مثل ذلك واستغروا ما في  
 المشرق من كثرة الاحوال واتساعها وفور أموالها فاقولوا بأن عطايا الكواكب  
 والسهام في سوا بلاد أهل المشرق أكثر منها حصافي مواليد أهل المغرب وذلك  
 صحيح من جهة المطابقة بين الاحكام النجومية والاحوال الارضية كما قلناه وهم انما  
 أعطوا في ذلك السبب النجومي وبقي عليهم أن يعلموا السبب الارضى وهو ما ذكرناه  
 من كثرة العمران واختصاصه بأرض المشرق وأقطاره وكثرة العمران تفيد كثرة  
 الكسب بكثرة الاعمال التي هي سببه فلذلك اختص المشرق بالرفه من بين الاقاف  
 لأن ذلك لجرّد الاثر النجومي فقد فهمت مما أشرنا لك أولاً أنه لا يستقل بذلك وأن  
 المطابقة بين حكمه وعمران الارض وطبيعتها أمر لا يتنزه \* واعتبر حال هذا  
 الرفه من العمران في قطر افرقية وبرقة لما خبس سكناها وتناقص عمرانها كيف تلاشت  
 أحوال أهلها وانتهوا الى القفر والخصاصة وضعت جباياتها فقلت أموال دولها  
 بعد أن كانت دول الشيعة وصناعة بها على ما بلغ من الرفه وكثرة الجبايات واتساع  
 الاحوال في نفقاتهم وأعطيهم حتى لقد كانت الاموال ترفع من القبروان الى  
 صاحب مصر لحاجته ومهماتة وكانت أموال الدولة بحيث حمل جوهر الكتائب في  
 سفره الى فتح مصر ألف حمل من المال يستعدها لارزاق الجنود واعطيتهم ونفقات  
 الفزاة وقطر المغرب وان كان في القديم دون افرقية قليلاً يكن بالقليل في ذلك وكانت

أحواله في دول الموحدين متسعة وجباياته موفورة وهو لهذا العهد قد أقصر عن ذلك  
لقصور العمران فيه وتناقصه فقد ذهب من عمران البربر فيه أكثره ونقص عن معهوده  
نقصا ظاهرا محسوسا وكأأن يلحق في أحواله بمثل أحوال إفريقية بعد أن كان عمران  
متصلا من البحر الرومي إلى بلاد السودان في طول ما بين السوس الأقصى وبرقة وهي  
اليوم كلها وأكثرت هاتقان وخلا وسجاري الأما هو منها بسيف البحر وأما يقاربه  
من التلول والله وارث الأرض ومن عليها وهو خير الوارثين

١٥ (فصل في تأثيل العقار والضيايع في الأمصار وحال فوائدها ومستغلاتها)

(اعلم) أن تأثيل العقار والضيايع الكثيرة لاهل الأمصار والمدن لا يكون دفعة واحدة  
ولافي عصر واحد اذ ليس يكون لاحد منهم من الترو وما يملكه الاملاك التي تخرج قيمها  
عن الحد ولو بلغت أحوالهم في الرفه ما عسى أن تبلغ وانما يكون ملكهم وتأنه ما  
تدريجها ما بالوراثة من آباءه وذوي وجه حتى تتأذى أملاك الكثيرين منهم إلى الواحد  
وأكثر ذلك وأران يكون بجوالة الاسواق فإن العقار في آخر الدولة وأول الأخرى  
عند فناء الحماية وخرق السياج وتداعى المصر إلى الخراب تقل القطعة بقلعة المنفعة  
فيما تلاشى الأحوال فترخص قيمها وتلك بالاعمان اليسيرة وتغطي بالمراث إلى ملك  
آخر وقد استعبد المصري به باستعمال الدولة الثانية وانتظمت له أحوال راقية حسنة  
تحصل معها القطعة في العقار والضيايع لكثرة منافعها حينئذ فتغظم قيمها ويكون  
لها خطر لم يكن في الأول وهذا معنى الجلالة فيما أصبح مالكها من أغنى أهل مصر  
وليس ذلك بسعيه واكتسابه اذ قدرته يعجز عن مثل ذلك \* وأما فوائد العقار  
والضيايع فهي غير كافية لما لكها في حاجات معاشه اذ هي لا تفي بعوائد الترف وأسبابه  
وانما هي في الغالب لسد الخلة ونسرة المعاش والذي سمعنا من مشيخة البلدان  
أن القصد باقتناء الملك من العقار والضيايع انما هو الخشية على من يتولاه خلفه من  
الذرية الضعفاء ليكون مرابهم وورثهم فيه ونشوءهم بقائه ماداموا عاجزين عن  
الاكتساب فاذا اقتدروا على تحصيل المكاسب عوفا بها بأنفسهم ورجما يكون من  
الولد من يعجز عن التكسب لضعف يده أو آفة في عقله المعاشي فكون ذلك العقار  
قواما له هذا قصد المترفين في اقتنائه وأما القول منه واجراء أحوال المترفين فلا  
وقيل يحصل ذلك منه للقليل أو النادر بجوالة الاسواق وحصول الكثرة بالبلغة منه  
والعالي في جنسه وقيمه في مصر الآن ذلك اذا حصل رجما امتدت إليه أعين الأمراء  
والولاة واعتصبوه في الغالب أو أرادوه على بيعه منهم ونالت أعيانهم منه مضار

١٦ (فصل في حاجات التمولين من أهل الامصار الى الجاه والمدافعة)

وذلك أن الحضري إذا عظم غمّوله وكثر العقار والضياع تأله وأصبح أغنى أهل المصر وردمته العيون بذلك وانفسحت أحواله في الترف والعوائد أحسن عليها الامراء والملوك وغصوبه ولما في طباع البشر من العدوان تمتد أعينهم الى غلب ما يسهده وينافسون فيه ويتصلون على ذلك بكل ممكن حتى يحصلونه في رتبة حكم سلفاني وسبب من المؤاخذة ظاهر متزعم به ماله وكذا الاحكام السلطانية جائرة في الغالب اذا العدل المحض انما هو في اخلافة الشرعية وهي قليلة اللبث قال صلى الله عليه وسلم اخلافة بعدى ثلاثون سنة ثم تعود ملكا عضوا فلا بد حينئذ لصاحب المال والثروة الشهيرة في العمران من حامية تدود عنه وجاء ينسحب عليهم من ذي قرابة للملك أو خالصة له أو عصبة يحميها السلطان فيستظل بظلالها ويرتع في أمنها من طوارق المتعدّي وان لم يكن لذلك أصبح نهبا بوجوه التحيلات وأسباب الحكم والله يحكم لامعقب حكمه

فصل في ان الحضارة في الامصار من قبل الدولة وانتهى منغ باتصال الدولة وروسخها

والسبب في ذلك أن الحضارة هي أحوال عادية زائدة على الضروري من أحوال العمران زيادة تتفاوت متفاوت الرفق وتفاوت الام في القلة والكثرة تتفاوت وتغير منحصرو تقع فيها عند كثرة التفنن في أنواعها وأصنافها فتكون بمنزلة الصنائع ويحتاج كل صنف منها الى القومة عليه والمهرة فيه وبقدرة ما يتزايد من أصنافها تتزايد أهل صناعتها ويتلون ذلك الجليل بها ومتى اتصلت الايام وتعاقبت تلك الصناعات حذق أولئك الصانع في صناعتهم ومهروا في معرفتها والاعصار بطولها وانفساح أمدّها وتكريرا أمثالها تزيدها استحكما وروسخا وأكثر ما يقع ذلك في الامصار لاستبحار العمران وكثرة الرفق في أهلها وذلك كله انما يجي من قبل الدولة لأن الدولة تجميع أموال الرعيمة وتفقهها في بطائنها ورجالها وتتبع أحوالهم بلقاء أكثر من اتساعها بالمال فيكون دخل تلك الاموال من الرعايا وخرجها في أهل الدولة ثم فيمن تعلق بهم من أهل المصر وهم الاكثرفعظم لذلك تروثهم ويكثر غناهم وتزيد عوائد الترف ومذاهبه ونحوكم لديهم الصنائع في سائر فنونه وهذه هي الحضارة ولهذا تجد الامصار التي في القاصية ولو كانت موفورة العمران تغلب عليها أحوال البداوة وتبعد عن الحضارة في جهة مذاهبها بخلاف المدن المتوسطة في الاقطار التي هي مركز الدولة

ومقرها وماذا اللججورة السلطان لهم وفيض أمواله فيهم كالماء يخضر ما قرب منه فمأقرب من الارض الى أن ينهى الى الجفوف على البعد وقد مئأن السلطان والدولة سوق للعالم فالبضائع كلها موجودة في السوق ومأقرب منه وإذا بعدت عن السوق انتقدت البضائع جملة ثم انه اذا اتصلت تلك الدولة وتعاقب ملوكها في ذلك المعسر واحد بعد واحد استحكمت الحضارة فيهم وزادت رعوها واعتبرت ذلك في اليوم لما طال ملكهم بالنام نحو من ألف وأربعمائة سنة رسيخت حضارتهم وحدقوا في أحوال المعاش وعوائده والتفنن في صناعاته من المطاعسم والملابس وسائر أحوال المنزل حتى انها تؤخذ عنهم في الغالب الى اليوم ورسخت الحضارة أيضا وعوائدها في الشام منهم ومن دولة الروم بعدهم ستمائة سنة فكانوا في غاية اخضارة \* وكذلك أيضا القبط دام ملكهم في الخلافة ثلاثة آلاف من السنين فرسيخت عوائده الحضارة في بلادهم مصر وأعقبهم بها ملك اليونان والروم ثم ملك الاسلام الناسخ لكل فلم تزل عوائد الحضارة بهامته وكذلك أيضا رسيخت عوائد الحضارة باليمن لاتصال دولة العرب بهامته هذه العملاقة والتابعة آلاف من السنين وأعقبهم للشه مصر وكذلك الحضارة بالعراق لاتصال دولة البطح والفرس بهامن لئن الكلدانيين والكنانية والكسروية والعرب بعدهم آلاف من السنين فلم يكن على وجه الارض لهذا العهد أحضر من أهل الشام والعراق ومصر وكذلك أيضا رسيخت عوائد الحضارة واستحكمت بالاندلس لاتصال الدولة العظيمة فيها للقوط ثم أعقبهم من ملك بنى أمية آلاف من السنين وكنتا الدولتين عظيمة فانتقلت في عوائد الحضارة واستحكمت \* وأما افريقية والمغرب فلم يكن بها قبل الاسلام ملك فخم انما قطع الافريقية الى افريقية البحر وملكوا الساحل وكانت طاعة البررأطيل الضاحية لهم طاعة غير مستحكمة فكانوا على قلعة وأوقاروا أهل المغرب ثم تجاورهم دولة وانما كانوا يعيشون بطاعتهم الى القوط من وراء البحر فلما جاء الله الاسلام وملك العرب افريقية والمغرب لم يلدث فيهم ملك العرب الا قليلا أول الاسلام وكانوا ذلك العهد في طور البداوة ومن استقر منهم بافريقية واغريب لم يجدهم من الحضارة ما يقلدهم من سلفه اذ كانوا ابرار منغمسين في البداوة ثم انتفض برارة المغرب الاقصى لا قرب اليهود على يبعصرة المطرفى أيام هشام بن عبد الملك ولم يراجعوا من العرب بعد واستقلوا بأحر أنفسهم وان باعوا لادريس فلا تعد دولته فيهم عربية لان البرارهم الذين تولوها ولم يكن من العرب فيها كثير عدو بقيت افريقية للاغلبة ومن اليهم من العرب وكان لهم من الحضارة بعض الشيء مما حصل لهم من طرف الملك ونعيمه وكثرة عمران لقبروان

وورث ذلك عنهم كلمة ثم منهاجهم من بعدهم وذلك كله قليل لم يبلغ أربع مائة سنة وانصرفت دولتهم واستحالت صبغة الحضارة بما كانت غير مستحكمة وقطب بدو العرب الهلالين عليهم او خربوها وبقي أثر خفي من حضارة العمران فيها الى هذا العهد يؤنس فبين سلقه بالقلعة أو القصر أو المهدية سلف فتجلبه من الحضارة في شئون منزله وعوائده أحواله آثارا ملتبسة بغيرها يميزها الحضري البصري بها وكذا في أكثر أمصار إفريقيا وليس ذلك في المغرب وأمصار مصر وخالدولة بإفريقية أكثر أمدا منذ عهد الانغالبة والسبعة ومنهاج وأما المغرب فانتقل اليه منذ دولة الموحدين من الاندلس حفظ كبير من الحضارة واستحكمت به عوائدها بما كان لدولتهم من الاستيلاء على بلاد الاندلس وانتقل الكثير من أهلها اليهم طوعا وكرها وكانت من اتساع النطاق ما علمت فكان فيها حظ صالح من الحضارة واستحكامها ومعظمها من أهل الاندلس ثم انتقل أهل شرق الاندلس عند جالية النصارى الى إفريقية فأبقوا فيها وأمصارها من الحضارة آثارا ومعظمها تونسي امتزجت بحضارة مصر وما ينقله المسافرون من عوائدها فكان بذلك للمغرب وإفريقية حظ صالح من الحضارة عني علوه انخلاء ورجوع على أعقابهم وعاد البربر بالمغرب الى أديانهم من البداوة واخشونة وعلى كل حال فآثار الحضارة بإفريقية أكثر منها بالمغرب وأمصار ملاتنداول فيها من الدول السالفة أكثر من المغرب ولقرب عوائدهم من عوائده أهل مصر بكثرة المترددين بينهم \* فتنظن لهذا السر فانه خفي عن الناس واعلم أنها أحرر من نسبة وهي حال الدولة في الفترة والضعف وكثرة الآفة والجبل وعظم المدينة أو المصر وكثرة النخبة واليسار وذلك أن الدولة والملك صورة الخلقة والصران وكلها ما تدلها من الرعايا والأمصار وسائر الأحوال وأموال الجباية عائدة عليهم وبسائرهم الغالب من أسواتهم ومناجرهم وإذا أفاض السلطان عطاءه وأمواله في أهلها التبت فيهم ورجعت اليه ثم اليهم منه فهي ذاهبة عنهم في الجباية والخراج عائدة عليهم في العطاء وعلى نسبة حال الدولة يكون يسار الرعايا وعلى نسبة يسار الرعايا كثرتهم يكون مال الدولة وأصله كله العمران وكثرته فاعتبره وتأتله في الدول تجده والله يحكم لامعنب حكمه

---

١٨ (فصل في ان الحضارة حماية العمران ونهاية لعمره وانها مؤذنة بفساده

---

فديسالك فيماليك أن الملك والدولة غاية للعصية وأن الحضارة غاية للسداوة وأن العمران كل من بداوة وحضارة ومالك وسوقه له عمر محسوس كأن للشخص الواحد من أشخاص المكنونات عمرا محسوسا وتبين في المعقول والمقول أن الاربعين

للإنسان غاية في تزايد قواه وغناها وأنه إذا بلغ سن الأربعين وقفت الطبيعة عن أثر  
النشوء والنمو برهة ثم تأخذ بعد ذلك في الانحطاط فتعلم أن الحضارة في العمران أيضا  
كذلك لانه غاية لا من يدوراءها وذلك أن الترف والنعمة إذا حصل لاهل العمران  
دعاهم بطبعه الى هذا الحضارة والتعلق بعوائدها والحضارة كما علمت هي التعلق في  
الترف واستجداء أجور المالك والكف بالصنائع التي تؤتى من أصنافه وسائر فتون من  
الصنائع المهمة للمطامح أو الملابس أو المباني أو القرض أو الآسنة وسائر أحوال  
التمتع والتأني في كل واحد من هذه صنائع كثيرة لا يحتاج اليها عند البهاوة وعدم  
التأني فيها وإذا بلغ التأني في هذه الأحوال المزية الناية تبع طاعة الشهوات فتتلون  
النفس من تلك العوائد بألوان كثيرة لا يستقيم حالها معها في دينها ولا دنياها ما عدا دينها  
فلا تستحکم صبغة العوائد التي يصمر زرعها وأما دنياها فللكترة الحاجات والمواثبات  
التي تطالب بها العوائد ويهمل الكسب عن الوفاء بها \* ويانه أن المصير بالتفنن في  
الحضارة تعظم نفعات أهل الحضارة تتفاوت تتفاوت العمران حتى كثر العمران أكثر  
كانت الحضارة أكمل وقد كافته ما أن المصير الكثير العمران يختص بالفلاحة في أمواجه  
وأسعار حاجته ثم تزيد المكوس غللا لأن الحضارة انما تكون عند انتهاء الدولة في  
استفحالها وهو زمن وضع المكوس في الدول للكترة خرجها حينئذ كما تقدمت والمكوس  
تعود على البياعات بالفلاحة لأن السوق والتجار كلهم يحتسبون على سلعهم وبضائعهم  
جميع ما ينفقونه حتى في مؤنة أنفسهم فيكون المكس لذلك داخل في قيم المبيعات  
وأثمانها فتعظم نفعات أهل الحضارة وتخرج عن القصد الى الاسراف ولا يجدون  
وليعين ذلك للملكهم من أثر العوائد وطاعتها وتذهب مكاسبهم كلها في النفقات  
ويقتاتون في الاملاق والخصاصة ويقلب عليهم الفقر ويقل المستامون للمبايع  
فتكسد الاسواق ويفسد حال المدينة وداعية ذلك كله افراط الحضارة والترف  
وهذه مفسدت في المدينة على العموم في الاسواق والعمران وأما فساد أهلها في  
ذاتهم واحدا واحدا على الخصوص فغن الكد والتعب في حاجات العوائد والتلون  
بألوان الترف في تحصيلها وما يعود على النفس من الضرر بعد تحصيلها يحصل لون  
آخر من ألوانها فلذلك يكثر منهم القس والشر والسففة والتحيل على تحصيل  
المعاش من وجهه ومن غير وجهه وتنصرف النفس الى التمسك في ذلك والغوص  
عليه واستجماع الخلة له قصدهم أجراء على الكذب والمقاورة والغش والخلاية  
والسرقة والتجور في الايمان والربا في البياعات ثم تجددهم أبصر بطرق الفسق  
ومذاهبه والمجاهرة وبدواعيه واطراح الحشمة في الخوض فيه حتى بين الاقارب

وذو المحارم الذين تقتضي البدأة الحيا منتهى الاقتاع بذلك ويجدهم أيضاً أبصر  
 بالمكر والمديعة يدفعون بذلك ما عساه ينالهم من القهر وما توقعونه من العقاب  
 على تلك القبائح حتى يصير ذلك عادة وخلقاً لا كرههم الأمن عصبه الله ويخرج بجر  
 المدينة بالسفلة من أهل الأخلاق الذميمة ويجارهم فيها ككثير من فاشة الدولة  
 ولداً منهم عن أهل عن التأديب وغلب عليه خلق الجوار وإن كانوا أهل أنساب  
 ويونات وذلك أن الناس بشر متفائلون وانما تفاضوا وتميزوا بالخلق والكتاب  
 الفضائل واجتناب الرذائل في استصكمت فيه صبغة الرذائل بأي وجه كلفه وفسد  
 خلق الخريف لم تنفعه زكاته و لا طيب منبته ولهذا تجد كثيراً من عقاب البنوت  
 وذوي الاحساب والاصالة وأهل الدول متفرخين في الغيار متطينين للمرف المدينة في  
 معاشهم بما تسد من أخلاقهم وما تولون من صبغة الشر والسفاسة ولهذا كثر ذلك  
 في المدينة أو الامة تأذن الله بخر لها وانقراضها وهو معنى قوله تعالى وإذا أردنا أن  
 نهلك قرية أمرنا مترفيها ففسقوا فيها فحق عليها القول فدمرناها تدميراً ووجهه حيث  
 أن مكاسبهم حيث ذلنا في مجاجاتهم لكثرة الفوائد ومطالبة النفس بما لا تستقيم  
 أحوالهم وإذا فسدت أحوال الاشخاص واحداً واحداً اختل نظام المدينة ونزبت  
 وهذا معنى ما يقوله بعض أهل الغواص ان المدينة اذا كثر فيها غرس التارنج  
 تأذنت بالخراب حتى ان كثيراً من العامة يتحاشى غرس التارنج بالدور وليس المراد ذلك  
 ولأنه خاصية في التارنج وانما لمصنائه أن البساتين واجراء المياه هومن نواحي الحضارة  
 ثم ان التارنج والليم والسرور أمثال ذلك مما لا طم فيه ولا منفعة هومن غاية الحضارة  
 اذا يقصصهم في البساتين الأسكالها فقط ولا تفرس الا بعد التفنن في مذهب الترف  
 وهذا هو الطور الذي يخشى معه هلاك المصر ونزاهه كإقتناه ولقد قيل من شئ ذلك في  
 الدفلى وهومن هذا الباب اذا دفلى لا يقصصهم الا بالنون البساتين بورد هاما ين أعجز  
 وأيض وهومن مذهب الترف \* ومن مفاصد الحضارة الانهسال في الشهوات  
 والاسترسال في الكثرة الترف فيقع التفنن في شهوات لبطن من المأكول والملاذ  
 ويتسع ذلك التفنن في شهوات الفرج بأنواع المناكح من الزنا واللواط فيفضي ذلك  
 الى فساد النوع اما بواسطة اختلاط الانساب كما في الزنا فيجمل شكل واحدانه اذا  
 هو لغرض ردة لأن المياه مختلطة في الارحام فتفقد الشفة الطبيعية على البنين والقيام  
 عليهم فيكون ويؤدى ذلك الى انقطاع النوع أو يكون فساد النوع كاللواط اذ هو  
 يؤدى الى أن لا يوجد النوع والزنا يؤدى الى عدم ما يوجد منه ولذلك كل مذهب  
 مالك رحمه الله في اللواط أظهر من مذهب غيره ودل على أنه أبصر بمقاصد اشربة



واعتبارها المصلح فافهم ذلك واعتبر به انتغاية العمران هي الحضارة والترفع وأنه اذا بلغ غايته انقلب الى اسداد وأخذ في الهرم كالاعمار الطبيعية للصوانات بل نقول ان الاخلاق الحاصلة من الحضارة والترفع هي عين الفساد لأن الانسان انما هو انسان باقتداره على جلب منافع ودفع مضاره واستقامة خلقه للسعي في ذلك والحضري لا يقدر على مباشرة سلباته اما يجزى الماحصل لمن الدعة وترفعها الماحصل لمن المربي في النعيم والترفع وكلا الأمرين نعيم وهكذا لا يقدر على دفع المضار واستقامة خلقه للسعي في ذلك والحضري بما قد فقد من خلق الانسان بالترفع والنعيم في قهر التأديب فهو بذلك هبال على الحامية التي تدافع عنه ثم هو فاسد ايضا بالما حصل منه العوائق وطاعتها وما تلونته النفس من مكانتها كما قرناه الى الاقل النادر واذا فسد الانسان في قدرته على أخلاقه ودينه فقد فسد انسانيته وصار مسحا على الحقيقة وبهذا الاعتبار كان الذين يقربون على الحضارة وخلقها موجودين في كل دولة فقد تبين أن الحضارة هي سن الوقوف لعمر العالم في العمران والدولة واقعه سبحانه وتعالى كل يوم هو في شأن لا يشغل شأن عن شأن

(فصل في ان الامصار التي تكون كراسي للملك تخرب بخراب الدولة وانتقاضها)

قد استقر بنا في العمران أن الدولة اذا اختلفت وانتقضت فإن العمر الذي يكون كرسيا سلطانها ينتقض عمرانه وورعما ينتهي في انتقاضه الى الخراب ولا يكمل ذلك بتخلف والسبب فيه أمور (الاول) \* أن الدولة لا تبقى أولها من البداوة المتخلفة للتصافي عن أموال الناس والبعد عن التصديق ويدعو ذلك الى تخفيف الجباية والمقارم التي منها مادة الدولة فتقل النفقات ويقتصر الترف فاذا صار العمر الذي كان كرسيا للملك في ملكه هذه الدولة المتصددة ونقصت أحوال الترف فيها نقص الترف فحينئذ تفت أيديها من أهل مصر لأن الرعا تابع للدولة فيرجعون الى خلق الدولة اما طوعا لما في طباع البشر من تقليد متبوءهم أو كرها لما يدعوا اليه خلق الدولة من الانقياض عن الترف في جميع الاحوال وقلة القوائد التي هي مادة العوائد تقتصر لذلك حضارة مصر ويذهب منه كثير من عوائد الترف وهو معنى ما تقول في خراب مصر (الامر الثاني) \* أن الدولة انما يحصل لها الملك والاستيلاء بالغلب وانما يكون بعد العداوة والحروب والعدواة تقتضي منافاة بين أهل الدولتين وتكثر احداهما على الاخرى في العوائد والاحوال وغلب أحد المتنافيين يذهب بالمتأخر فتنحصر في أحوال الدولة السابقة منكرة عند أهل الدولة الجديدة ومستبعدة وفيحة وخصوصا أحوال

الترف فتفقد في عرفهم تكبر الدولة لها حتى تشأ لهم بالتدريج عوائد أخرى من الترف  
 فتكون عنها حاضرة مستأنفة وفيما بين ذلك قصور الحاضرة الأولى ونقصها هو معنى  
 اختلال العمران في مصر \* (الأمر الثالث) \* أن كل أمة لا يبدلهم من وطن هو  
 منشؤهم و نه أولية ملكهم واداملكو املكا آخر صار معالاول وأما حاضرة تابعة  
 لامصار الاول واتسع نطاق الملك عليهم ولا بد من توسع الكرسي تقوم الممالك التي  
 للدولة لانه شبه المركز لانتقال فيبعد مكانه عن مكان الكرسي الاول وتهوى أنفسهم  
 الناس اليه من أجل الدولة والسلطان فينتقل اليه العمران ويحفظ من مصر  
 الكرسي الاول والحاضرة اعلم في توفر العمران كما قد مناه مقتصر حضرته وعقده  
 وهو معنى اختلافه وهذا كما وقع للبطوقية في عيولهم بكرسهم عن بغداد الى اصبهان  
 والعرب قبلهم في العدول عن المدائن الى الكوفة والبصرة ولبنى العباس في العدول  
 عن دمشق الى بغداد ولبنى مرين بالمغرب في العدول من مراكنش الى فاس وبالجلية  
 فاختار الدولة الكرسي في مصر على بعمران الكرسي الاول \* (الأمر الرابع) \*  
 أن الدولة النائية لا بد فيها من تبع أهل الدولة السابقة وأشبايعا تنصوهم الى قطر  
 آخر يؤمن فيه غائلتهم على الدولة وأكثر أهل مصر الكرسي أشبايع الدولة امان  
 الحامية الذين نزولوا أول الدولة وأعيان مصر لان لهم في الغالب نفوذ للدولة  
 على طبقاتهم وتوقع أصنافهم بل أكثرهم ناشئ في الدولة فهم شيعتها وان لم يكونوا  
 بالشوكة والعصية فهم بالليل والهجبة والعقيدة وبنسبة الدولة المتحدة نحو آثار الدولة  
 السابقة فينقلهم من مصر الكرسي الى وطنها المتكبر في ملكتها بعضهم على نوع  
 التقرب والجلبس وبعضهم على نوع الكرامة والتلطف بحيث لا يؤدي الى التفرقة حتى  
 لا يبق في مصر الكرسي الا الباعة والهمل من أهل الفلج والعبارة وسواد العامة ونزل  
 مكانهم حاميتا وأشبايعا من يستدبه المصر واذا ذهب من مصر أعيايتهم على طبقاتهم  
 فليس صاكنه وهو معنى اختلال عمرانه ثم لا بد من أن يستبد عمران آخر في ظل الدولة  
 الجديدة ويحصل فيه حضارة أخرى على قدر الدولة وانما ذلك بمثابة من لهيت على  
 أوصاف مخصوصة فالظاهر من قدرته على تغيير تلك الاوصاف واعادة بنائها على حاجته  
 ويقترحه فيضرب ذلك البيت ثم يعيد بناءه ثانية وقد وقع من ذلك كثير في الامصار التي هي  
 كراسي الملوك وشاهد بامه علمناه واقه بقدر الليل وانهاره والسبب الطبيعي الاول في  
 ذلك على الجملة أن الدولة والملك للعمران بمثابة الصورة لآلة وهو الشكل الحافظ بنوعه  
 لوجودها وقد تقرر في علوم الحكمة أنه لا يمكن انصلاك أحدهما عن الآخر فالدولة  
 دون العمران لا تتصور والعمران دون الدولة والملك متعذرا لما في طباع البشر من

العدوان الداعي الى الوازع فتتبع السياسة لذلك اما الشرعية او الملكية وهو معنى الدولة وان كان لا يتحقق فاختلال احد هما مؤثر في اختلال الآخر كما ان عدمه مؤثر في عدمه والخلل العظيم انما يكون من خلل الدولة الكلية مثل دولة الروم أو القرس أو العرب على العموم أو بني أمية أو بني العباس كذلك وأما الدولة الشخصية مثل دولة أنوشروان أو هرقل أو عبد الملك بن مروان أو الرشيد فاختصاصها متعاقبة على العمران حافظلة لوجوده وبقائه وقرينة الشبه بعضها من بعض فلا تؤثر كثيرا في اختلال لأن الدولة بالحقيقة القائمة في مادة العمران انما هي العصبية والشوكة وهي مستمرة على أنقاض الدولة فإذا ذهبت تلك العصبية وذهبت عصبية أخرى مؤثرة في العمران ذهبت أهل الشوكة بأجسامهم وعظم الخلل كما قررناه أولا والله سبحانه وتعالى أعلم

## ٢٠ (فصل في اختصاص بعض الامصار ببعض الصنائع دون بعض)

وذلك أنه من بين أن أعمال أهل المصر يستدعي بعضها بعضا لما في طبيعة العمران من التعاون وما يستدعي من الأعمال يختص ببعض أهل المصر فيقومون عليه ويستبصرون في صناعته ويحفظون بوظيفته ويجعلون معاشهم فيه ورزقهم منه لعموم البلوى به في المصر والحاجة اليه وما لا يستدعي في المصر يكون غفلا فلا فائدة لمنتهى في الاحتراف به وما يستدعي من ذلك لضرورة المعاش فيوجد في كل مصر ~~كالحياط والحداد والصار وأمثالها وما يستدعي لعوائد الترف وأحوالها~~ كما يوجد في المدن المستعمرة في العمارة الآخذة في عوائد الترف والحضارة مثل الزجاج والصانع والدهان والطباخ والصار والفرش والديباخ وأمثال هذه وهي متفاوتة وبقدوم ما يزيد عوائد الحضارة وتستدعي أحوال الترف تمد صنائع ذلك النوع فتوجد بذلك المصر دون غيره ومن هذا الباب الجاهات لأنها انما توجد في الامصار المستعمرة المستعمرة العمران للمدعو اليه الترف والفن من التمتع ولذلك لا تكون في المدن المتوسطة وان زرع بعض الملوك والرؤس اليها فيصططها ويجري أحوالها الا أنها اذا لم تكن لها داعية من كافة الناس فسرعا ما تهجر وتقر بوقتها القومة لقله فائدتهم ومعاشهم منها والله يعقب ويبيط

## ٢١ (فصل في وجود العصبية في الامصار وتقلب بعضهم على بعض)

من الدين أن الالتصام والاتصال موجود في طباع البشر ان لم يكونوا أهل نسب واحد الا انه كما قد تمناه أضعف مما يصحكون بالنسب وأنه تحصل به العصبية بعضا مما تحصل بالنسب وأهل الامصار كثير منهم ملتصمون بالصور ينجذب بعضهم بعضا الى أن يكونوا

للحماة وقرابة قرابة وتبعد بينهم من العداوة والصداء كما يكون بين القبائل والعشائر  
 مختلفة فيقترقون شيعا وعصائب فإذا نزل الهرم بالدولة وتقلص ظل الدولة عن القاصية  
 احتسج أهل أمصارها إلى القيام على أمرهم والتتفرق حاية بأدهم ورجعوا إلى  
 الشورى وغير العلية عن القلة والتفوس بلباهما متطاولة إلى القلب والريسة  
 فتقطع المشيخة فخلدوا الجوع من السلطان والدولة القاطرة إلى الاستبداد ونازع كل  
 صاحبه ويوصلون بالأسباع من الموالى والسمع والاحلاف ويدخلون ملى أيديهم  
 للأوغاد والاشباب فيمضون كل لصاحبه ويتعين القلب لبعضهم فيحفظ على أكتافه  
 ليصر من أعنتهم ويتبعهم بالقتل أو التزيب حتى يعضد منهم الشوكات النافذة  
 ويظم الانظار الخادشة ويستبد بصروا جمع ويرى أنه قد استحدث ملكا يكون بحقه  
 فيحدث في ذلك الملك الأصغر ما يحدث في الملك الأعظم من عوارض الجدة والهرم وروما  
 يسحو بعض هؤلاء على منازع الملوك الأناظم أصحاب القبائل والعشائر والعصبيات  
 والزخوف والحروب والافتقار والممالك فيتصلون بهم من الجلوس على الدرر  
 واتخاذ الآلة وأعداد المواسك بسرق أقطار البلد والضم والخمسة والخطابة  
 بالتقرب ما يضر من من يشاهد أحوالهم لتصل من شارات الملك التي يسواها  
 بأهل اعتمادهم الذي تقلص الدولة والصام بعض القرايات حتى صارت عصية وقد  
 يتزعم بعضهم عن ذلك ويمجى على مذبح السذاجة فرار من التعريض بنفسه  
 للحرية والعيش وقد وقع هذا في ربيعة لهذا العهد في آخر الدولة الخفصية لأهل بلاد  
 الجريد من طرابلس وقابس وفوزة ونقطة وقنصة وبسكرة والزاب وما إلى ذلك هو  
 إلى مثلها عند تقلص ظل الدولة عنهم منذ عقود من السنين فاستغلبوا على أمصارهم  
 واستبدوا بأمرها على الدولة في الأحكام والجباية وأعطوا طاعة مرفوعة وصقعة محرقة  
 وأقطعوا حاجبا لمن الملاينة والملاطفة والانشاد وهم يعزل عنه وأورثوا ذلك  
 أعقابهم لهذا العهد وحدث في خلفهم من القلة والتصر ما يحدث لأصحاب الملوك  
 وخلفهم ونظموا أنفسهم في عداد السلاطين على قرب عهدهم بالسوق حتى محاذات  
 مولانا أمير المؤمنين أبو العباس وانتزع عما كان بأيديهم من ذلك كانه كره في أخبار  
 الدولة وقد كلن مثل ذلك وقع في آخر الدولة الصنهاجية واستقل بأصاوار الجريد  
 أهلها واستبدوا على الدولة حتى انتزع ذلك منهم شيخ الموحدين وملكهم عبد المؤمن بن  
 علي وظلهم كاهن من أبادتهم بها إلى المغرب ومحمد من تلك البلاد آفاهم كانه كره في  
 أخباره وكذا وقع بسنة لاخر دولة بني عبد المؤمن وهذا التغلب يكون غالباً في أهل  
 السروات والبيوتات المرشحة المشيخة والرياسة في مصر وقد يحدث التغلب لبعض

النحلة من القوغا والدهامواذ احسنته الصميمة والالتصام بالاعتقاد لاسباب مجرمها  
 له القدر في قلب على النجدة والعلية اذا كانوا قد نزلوا لاسباب واقعه سبحانه وتعالى  
 غالب على امره.

## ٢٢ (فصل في كتاب اهل الامصار)

(اعلم) ان لغات اهل الامصار اختلفت لكون لسان الامة أو الجبل الفالين عليها أو المختلطين  
 لها وذلك كانت لغات الامصار والاسلامية كلها بالشرق والمغرب لهذه العهد عريية  
 وان كان لسان العربي المضرى قد فسدت ملكته وتغير اعرابه واليب في ذلك  
 ما وقع للدولة الاسلامية من الغلب على الامم والدين والله صورة قلوبهم وللملك  
 وكلها مواده والصورة مقدمة على المادة والدين انما يستفاد من الشريعة وهي  
 بلسان العرب بل ان النبي صلى الله عليه وسلم عربي فوجب هجر ما سوى لسان  
 العربي من الاكس في جميع ممالكها واعتبر ذلك في نهى عمر رضي الله عنه عن  
 بطانة الاعاجم وقال انما نأبى أى مكر وخديعة فلما هجر الدين للغات الاجمية  
 وكان لسان القاطنين بالدولة الاسلامية عربيا هجريا كلها في جميع ممالكها لان الناس  
 تبع للسلطان وعلى دينه فصارت استعمال لسان العربي من شعار الاسلام وطاعة  
 العرب وهجر الامم اقامتهم والسننهم في جميع الامصار والممالك وصار لسان العربي  
 لسانهم حتى رجع ذلك لغة في جميع امصارهم ومدنهم وصارت الالسننة العجمية دخيلة  
 فيها وغريبة ثم فسد لسان العربي بمخالطتها في بعض أحكامه وتغيرت واخره وان كان  
 بقي في الدلالات على أصله وهي لسانا حضريا في جميع امصار الاسلام وايضا فاكثرت  
 اهل الامصار في الله لهذا العهد من أعقاب العرب المالكين لها المالكين في رفها  
 بما كثر والجم الذين كانوا يورثوا أرضهم وديارهم واللغات متوارفة ففقدت  
 لغة الاعقاب على حيال لغة الآباء وان فسدت أحكامها بمخالطة الاجام شيئا فشيئا  
 وسبغت لغتهم حضرية منسوبة الى أهل الحواضر والامصار بخلاف لغة البدو من  
 العرب فانها كانت أعرق في العروبة ولما تملك العجم من الديلم والطبوقية بعدهم  
 بالشرق وزانة والبر بالقرب وصار لهم الملك والاستيلاء على جميع الممالك الاسلامية  
 فسد لسان العربي لذلك وكاد يذهب لولا ما حفظه من غناية المسلمين بالكتاب والسنة  
 الذين بهما حفظ الدين وصار ذلك من مخالطة اللغة العربية المضرية من الشعر  
 والكلام الاقل بالامصار فلما طالت الترواقل بالشرق ولم يكونوا على دين الاسلام  
 ذهب ذلك المرحج وفسدت اللغة العربية على الاطلاق ولم يبق لها رسم في المالك

الإسلامية بالعراق وخراسان وبلاد فارس وأرض الهند والسند وما وراء النهر وبلاد  
 الشمال وبلاد الروم وذهبت أساليب اللغة العربية عن الشعر والكلام الأقل لا يفتح  
 تعلمه صناعات القوانين المتداصلة من كلام العرب وحفظ كلامهم لمن يسهل الله تعالى  
 لفظه ويعالج فيه اللغة العربية المضربة بغيره والشام والاندلس والمغرب بلغة الذين  
 طلبها فانخفضت بعض الشيء وأما في محال العراق وما وراءه فلم ينح له أثر ولا عين  
 حتى ان حكاية العلوم صارت تنكس باللسان الجعبي وكذا تدبره في المجالس  
 والله أعلم بالصواب

### ( الفصل الخامس من الكتاب الاول )

في المعاش وجوه من المكسب والصنائع وما يمرض في ذلك كله من الاحوال

(فصل) في حقيقة الرزق والكسب وشرحهما وأن الكسب هو قيمة الاعمال البشرية  
 • اعلم أن الانسان يغتفر بالطبع الى ما يغوته وسعوره في حالته وأما وار من لدن نشوء  
 الى أشده الى كبره والله القوي وأنتم الفقراء والله سبحانه خلق جميع ما في العالم  
 للانسان وامتن به عليه في غرما آية من كتابه فقال وسخر لكم ما في السموات وما في  
 الارض جميعا منه وسخر لكم البحر وسخر لكم الفلك وسخر لكم الانعام وكثير من  
 شواهد نبي الانسان مبسوطة على العالم وما فيه بما جعل الله من الاستخلاف  
 وأيدى البشر متشعبة فهي مشتركة في ذلك وما حصل عليه بهذا امتنع عن الآخر  
 اليبوس فالانسان متى اقتدر على نفسه وتجاوز طوره والضعف في اقتناء المكاسب  
 لتتق ما آتاه الله منها في تحصيل حاجاته وضروراته يدفع الاعراض عنها قال الله تعالى  
 فليغو عند الله الرزق قد يحصل لذلك بغير سعي كالطير المصلح للزراعة وأما الا أنها  
 اثنتاكون معينة ولا بد من سعيه معها كإبائي فتكون له تلك المكاسب معاشا ان كانت  
 بمقدار الضرورة والحاجة وربما شاءت ولا ان زادت على ذلك ثم ان ذلك الحاصل أو  
 المقتنى ان عادت منفعته على العبد وحصلت له خيرة من انفاقه في مصالحه وحاجاته سعى  
 ذلك رزقا قال صلى الله عليه وسلم اغتالك من ملك ما أكلت فأقنيت أو لبست فألبيت أو  
 تصدقت فأمنيت وان لم يتفع به في شيء من مصالحه ولا حيايه فلا يسمى بالنسبة الى  
 المال رزقا والمالك منه - فيقتدي بسعي العبد وقدرته يسمى كسبا وهذا مثل التراث فانه  
 يسمى بالنسبة الى المالك كسبا ولا يسمى رزقا ان لم يحصل به تنفع والنسبة الى الوارثين  
 متى اتفقوا به يسمى رزقا وهذا حقيقة متبعي الرزق عند أهل السنة وقد اشترطوا المقتلة  
 في تسعير رزقا ان يكون بحيث يصح غلظه ولا يملك عندهم لا يسمى رزقا وأخر جوا

الفصوبات والجرام كله عن أن يسمى شيئا رزقا والله تعالى يرزق الغاصب والظالم  
 والمؤمن ولكل فرد يخص برحمة وهداية من يشاء منهم في ذلك جميع ليس هذا موضع  
 بسطها ثم اعلم أن الكسب انما يكون بالسعي في الاقتناء والقصد الى التوصل فلا بد في  
 الرزق من سعي وعمل ولو في تناوله واستقامه من وجوه قال تعالى فاستقر عند الله  
 الرزق والسعي اليه انما يكون باقدار الله تعالى والهامة فالكسب من عند الله فلا بد  
 من الاعمال الانسانية في كل مكسوب ومقول لانه ان كان عملا بنفسه مثل الصنائع  
 فظاهر وان كان مقني من الحيوان والنبات والمعدن فلا بد فيه من العمل الانساني  
 كإتراء والالام يحصل ولم يقع به انتفاع ثم ان الله تعالى خلق الجبرين الممدين من  
 الذهب والفضة قيمة لكل مقول وهما الذخيرة والقيمة لاهل العالم في الغالب وان  
 اقتنى سواهما في بعض الاحيان فانما هو لقصد تحصيلهما بما يقع في غيرهما من حوائج  
 الاسواق التي هما تنجز لهما أصل المكاسب والقيمة والذخيرة وإذا تقرر هذا  
 كله فاعلم ان ما يفيد الانسان وبه تنبته من المقولات ان كان من الصنائع فالقصد  
 المقني منه قيمة عمله وهو القصد بالقيمة اذ ليس هنالك الا العمل وليس يقصد بنفسه  
 للقيمة وقد يكون مع الصنائع في بعضها غير هائل التجارة والحيكمة بهما الخصب  
 والفزول الا ان العمل فيما أكثر فقيته أكثر وان كان من غير الصنائع فلا بد في قيمة  
 ذلك المصنوع والقيمة من دخول قيمة العمل الذي حصلت به اذ لو لا العمل لم تحصل  
 قيمته وقد تكون ملاحظة العمل ظاهرة في الكثير منها فتجعل له حصه من القصة  
 عظمت أو صغرت وقد تختفي ملاحظة العمل كافي أسعار الاتوات بين الناس فان  
 اعتبار الاعمال وانسحقا فيها ملاحظ في أسعار اسبوب كما قدمناه لكنه خفي في  
 الاقطار التي علاج الفلح فيها وموته يسيرة فلا يشعر به الا القليل من أهل الفلح فقد  
 تبين ان المفادات والمكتسبات كلها أو أكثرها انما هي قيم الاعمال الانسانية وتبين  
 معنى الرزق وانه المستحق به فقد بان معنى الكسب والرزق وشرح سببها \* واعلم  
 أنه اذا فقدت الاعمال أو قللت بانقص العمران تأذن الله برفع الكسب ألا ترى الى  
 الامصار القليلة الساكن كيف ينسل الرزق والكسب فيها أو يفقد لقله الاعمال  
 الانسانية وكذلك الامصار التي يكون عمرانها أكثر يكون أهلها أوسع أحوالا وأكثر  
 رفاهية كما قدمناه قبل ومن هذا الباب تقول العلة في البلاد اذا تناقص عمرانها  
 انها قد ذهب رزقها حتى ان الانهار والعيون ينقطع جريها في الفقر لما انقروا العيون  
 انما يكون بالابطال والامتراء الذي هو بالعمل الانساني كالحلال في ضروع الانعام  
 فالحال يمكن ان يابط ولا امتراء نصبت وغارت بالجله كما يجب الضرع اذا تزلزمت

في البلاد التي تعهد فيها العيون لايام عمرانها ثم يأتي عليها الخراب كيف تقو ومبناها  
يجلته كأنهم لم تكن والله يقدر الليل والنهار

٢ (فصل في وجوه المعاش واصنافه ومذاهبه)

(اعلم) أن المعاش هو عبارة عن ابتغاء الرزق والسعي في تحصيله وهو مفعول من العيش  
كأنه لما كان العيش الذي هو الحيلة لا يحصل الا بهذه جعلت موضعا على طريق  
المبالغة ثم إن تحصيل الرزق وكسبه أما أن يكون بأخذه من يد الغير واتزاعه  
بالاقتدار عليه على قانون متعارف ويسمى مفرما وحيثه وأما أن يكون من الحيوان  
الودحي بأقتناصه وأخذه برمي من البر أو الجرو يسمى اصطيادا وأما أن يكون من  
الحيوان الداجن باستخراج فضوله المنصرف بين الناس في منافعهم كاللبن من الانعام  
والحرير من دوده والعسل من نحله أو يكون من النبات في الزرع والشجر بالقيام عليه  
واعدا دة لاستخراج ثمرته ويسمى هذا كله فلها وأما أن يكون الكسب من الاعمال  
الانسانية اما في مواد معينة وتسمى الصنائع من كابتة وتجارة وخطاطة وحياسة  
وفروسة وامثال ذلك أو في مواد غير معينة وهي جميع الامتيازات والتصرفات وأما  
أن يكون الكسب من البضائع واعداها للاعراض اما بالتقلب في البلاد  
واحتكارها وارتقاب حواله الاسواق فيها ويسمى هذا التجارة فهذه وجوه المعاش  
واصنافه وهي معنى ما ذكره المحققون من أهل الادب والحكمة كالطبري وغيره فانهم  
قالوا المعاش امارة وتجارة وفلاحة وصناعة فأما الامارة فليست بعذب طبيعي  
للمعاش فلا حاجة بنا الى ذكرها وقد تقدمت شي من أحوال الجبابرة السلطانية  
وأهلها في الفصل الثاني وأما الفلاحة والصناعة والتجارة فهي وجوه طبيعية  
للمعاش أما الفلاحة فهي متقدمة عليها كلها بالذات اذ هي بسيطة وطبيعية فطرية  
لا تحتاج الى نظرو ولا علم ولهذا تنسب في الخلقة الى آدم أي البشر وأنه معلها والقائم  
عليها اشارة الى أنها أقدم وجوه المعاش وأنسبها الى الطبيعة وأما الصنائع فهي  
ثانيها ومتأخرة عنها لانها مركبة وعلمية تنصرف فيها الافكار والانتظار ولهذا لا توجد  
غالبا الا في أهل الحضار الذي هو متأخر عن البدو وثان عنه ومن هذا المعنى نسبت الى  
ادريس الاب الثاني للخلقة فانه مستنبطها لمن يعبد من البشر بالوحى من الله تعالى  
وأما التجارة وان كانت طبيعية في الكسب فالأكثر من طرقها ومذاهبها انما هي  
تحييلات في الحصول على ما بين القيتين في الشراء والبيع لتحصل فائدة الكسب  
من تلك الفعلة ولذلك أباح الشرع فيه المكاسب لما أنه من باب المقاهرة الا أنه ليس



## أخذ المال الغير مجاف لهذا الاختص بالمشروعية

٣ (فصل في ان الخدمة ليست من المعاش الطبيعي)

اعلم ان السلطان لا بد له من اتخاذ الخدمة في سائر أبواب الامارة والملك الذي هو وسيلة من الهندى والشرطى والكاتب ويستكفى في كل باب عن يعلم غناؤه فيه ويكفى بأرزاقهم من بيت ماله وهذا كله مندرج في الامارة ومعاشها اذ كلهم ينسحب عليهم حكم الامارة والملك الاعظم هو ينبوع جدا ولهم وأما ما دون ذلك من الخدمة فسيما ان أكثر المترفين يترفع عن مباشرة ما جابه أو يكون عاجزا عنها لما ربح عليه من خلق التمتع والترفع فيقتضون تولى ذلك له وقطاعه عليه أجرا من ماله وهذه الحالة غير محمودة بحسب الرجولية الطبيعية للانسان اذ الثقة بكل أحد حيزر ولانها تزيد في الوظائف والخروج وتدل على العجز والخنث اللذين فينبى في هذا هاب الرجولية التزه عنهما الا أن العوائد تقلب طباع الانسان الى ما لو فها فهو ابن عوائد لا بن نسبه ومع ذلك فالقديم الذى يستكفى به ويوثق بقائه كالمفقود اذ الخديم القام بذلك لا بعدد وأربع حالات اما مضطلع بأمره وموثوق فيما يصل يده واما بالعكس فيما وهو أن يكون غير مضطلع بأمره ولا موثوق فيما يصل يده واما بالعكس في احدهما فقط مثل أن يكون مضطلعا غير موثوق أو موثوقا غير مضطلع فاما الاول وهو المضطلع الموثوق فلا يمكن أحد استعماله بوجه اذ هو باضطلاع وثقة غنى عن أهل الرتب الدينية ومحترق لئال الاجر من الخدمة لا قدره على أكثر من ذلك فلا يستعمله الا الامراء أهل الجاه العريض لعموم الحاجة الى الجاه وأما الصنف الثانى وهو من ليس بمضطلع ولا موثوق فلا ينبغي لعاقل استعماله لانه يحجب بمخدومه في الامر من معا فيضيع عليه لعدم الاصطناع تارة ويذهب ماله بالحيانة أخرى فهو على كل حال كلة على مولاه فهذا الصنفان لا يطمع أحد في استعمالهما ولم يبق الاستعمال الصنفين الا آخرين موثوق غير مضطلع ومضطلع غير موثوق وللتاس في الترجيع بينهما مذهبان ولكل من الترجيعين وجه الا أن المضطلع ولو كان غير موثوق أرجح لانه يؤمن من تضييعه ويحاول على التعرّض من خبايته جهدا الاستطاعة وأما المضييع ولو كان مأموئا فضرره بالتضييع أكثر من نفعه فاعلم ذلك واتخذ قانونا في الاستكفاء بالخدمة واقعه سبحانه وتعالى قادر على ما يشاء

٤ (فصل في ان ابتغاء الاموال من الدفائن والكنوز ليس بمعاش طبيعي)

اعلم ان كثيرا من ضغفاء العقول في الامصار يحرمون على استخراج الاموال من تحت

الارض ويتقنون الكسب من ذلكو يعتقدون أن أموال الامم السالفة محترقة كلها  
تحت الارض محترق عليها كلها بظلام صحرية لا يفيض ختامها ذلك الامن عز على  
عله واستحضرمأجله من الجور والدعاء والقربان فأهل الامصار بالرياسة يرون أن  
الفرجة الذين كانوا قبل الاسلام يادنتوا أموالهم كذلك وأودعوا في العصف  
بالكتاب الذين أن يحدوا السيف الى استقراجهوا أهل الامصار بالشرق يرون مثل ذلك  
في أم القبط والروم والفرس ويتناقلون في ذلك أحاديث تشبه حديث خرافة من انتهاء  
بعض الطالين لذلك الى حفر موضع المال ممن لم يعرف طلسمه ولا خبره فيصده خاليا  
أو معنورا بالبيد ان أو يشاهد الاموال والجواهر موضوعة والحرس دونها متنعين  
سيوفهم أو يعمده الارض حتى يظنه خسفا أو مثل ذلك من الهدر ويحسد كثيرا من  
طلبة البر بالمقرب العاجزين عن المعاش الطبيعي وأسبابه يتقربون الى أهل الدنيا  
بالاوراق المتخزمة الحواشي اما بخطوط عجمية أو بترجم روعهم منها من خطوط أهل  
الدقائق باطلاء الاموات عليهم في أما كتبها يتقنون بذلك الرزق منهم بما يشتهونهم على  
الحفر والطلب ويجهون عليهم بأنهم انما ظلمهم على الاستعانة بهم طلب الجاه في مثل  
هذا من مثال الحكام والعقوبات وروما تكون عند بعضهم نادرة وأخرية من الاعمال  
الصحرية يتوهمها على تصديق ما بقي من دعواه وهو يعزل عن الصهر وطرقه فتولع كثير  
من ضعفاء العقول بجمع الايدي على الاحتقار والاسترقية بظلمات الدليل مخافة الرقباء  
وعيون أهل الدول فاذا لم يثر على شيء ودوا ذلك الى الجهل بالظلم الذي خبى به على  
ذلك المال يخادعون به أنفسهم عن اخفاق مطامعهم والذي يجعل على ذلك في الغالب  
زيادة على ضعف العقل انما هو العجز عن طلب المعاش بالوجوه الطبيعية للكسب من  
التجارة والفلح والصناعة قبطا وبه بالوجوه المتحرفة وعلى غير البحرى الطبيعي من هذا  
وأمثاله عجزا عن السعى في المكاسب وركون الى تناول الرزق من غير تعب ولا نصب  
في تحصيله واكتسابه ولا يعلمون أنهم وقعون أنفسهم بايقاع ذلك في غير وجهه  
في نصب ومضاعب وجهه شديد أشد من الاول ويعرضون أنفسهم مع ذلك لتناول  
العقوبات ورمما يجعل على ذلك في الاكثر زيادة الترف وعوائده وخروجها عن حد  
النهاية حتى يقصر عنها وجوه الكسب ومذاهبه ولا تقي بطلانها فاذا عجز عن الكسب  
بالبحرى الطبيعي لم يجد وليحة في نفسه الا التنى لوجود المال العظيم دفعة من غير كافة  
لبنى لذلك العوائد التي حصل في أسرها فيحرص على انتقام ذلك ويسعى فيه جهده  
ولهذا فأكثر من تراهم يحرضون على ذلك هم المترفون من أهل الدولة ومن سكان  
الامصار الكثيرة الترف المتسعة الاحوال مثل مصر وما في معناها فتجد الكثير منهم

مفر من بآفة فذلك وتحصيله ومساءلة الركان عن شواذه كما يحرسون على الكيمياء  
هكذا بلغني عن أهل مصر في مقاضاة من يلقونه من طلبية المخاربة لعلهم يعرفون منه  
على دفين أو كثر يزيدون على ذلك البحث عن تغوير المياه لما يرون أن غالب هذه  
الاموال الدفينة كلها في مجاري النيل وأنه أعظم ما يستر دفيناً ومخترباً في تلك الآفاق  
وعو عليهم أصحاب تلك الدفاتر المتعملة في الاعتذار عن الوصول إليها بحرية النيل  
نسترا بذلك من الكذب حتى يحصل على معاشه فيحرص سماع ذلك منهم على فئوب  
الماء بالاعمال البحرية لتحصيل مبتغاه من هذه كلفاً بشأن السحر وتوارث ذلك  
القطر عن أوليه فعلمهم السحرية وآثارها باقية بأرضهم في البراري وغيرها وقصة  
مصر فترعون شاهداً باختصاصهم بذلك وقد تنقل أهل المغرب قصيدة فسبغوها إلى  
حكماء المشرق تعطى فيها كيفية العمل بالتغوير بصناعة مصرية حجازية فيها وهي هذه

يا طالبها للسر في التغوير \* اسمع كلام الصدق من خبير  
دع عنك ما قد صنفتوا في كتبهم \* من قول بهتان ولفظ غرور  
واسمع لصدق مقالتي ونصيحتي \* ان كنت ممن لا يرى بالزور  
فاذا أردت تغوير البئر التي \* حارت لها الاوهام في التدبير  
صورك مصورتك التي أوقفها \* والرأس رأس النبل في التغوير  
ويدها ما سكن الجبل الذي \* في الدلو فتسيل من قرار البئر  
وبصدره ما كعما عاينها \* عدد الطلاق احذر من التكرير  
وبطأ على الطآآت غير ملاس \* منى اللبيب الكيس النحرير  
ويكون حول الكل خط دائر \* تريعه أولى من التجكوير  
واذبح عليه الطير والطخمة \* واقصده عقب الذبح بالتجوير  
بالسندروس وباللبان ومبعة \* والقسط والبسه بثوب حرير  
من أحمر أو أصفر لأزرق \* لا أخضر فيه ولا تكبير  
وبشده خطان صوف أبيض \* أو أحمر من خالص النحير  
والطالع الاسد الذي قد ينو \* ويهكون به الشهر غير منير  
والسدر سعل بعد عطارد \* في يوم سبت ساعة التدبير

يعنى أن تكون الطآآت بين قدميه كأنه يمشي عليها وعندى أن هذه القصيدة من  
تجربات المخترعين فلهم في ذلك أحوال غريبة واصطلاحات غريبة وتنتهى الخرفة  
والكذب بهم الى أن يكتنوا المنازل المشهورة والدور المعروفة لمشبل هذه ويخترعون  
الحفر ويضعون المطالبين فيها والشواهد التي يكتبونها في صحائف كذبهم ثم يقصدون

ضعفاء العقول بأمثال هذه الصناعات ويعثون على اكتراث ذلك المنزل وسكناه  
 ويوهمون أن به دفتين من المال لا يعبر عن كثرته ويطالبون بالمال لاستراء العقاقير  
 والصورات لحل "الطلاسم" وبعده يظهروا الشواهد التي قد أعدوها هناك بأنفسهم  
 ومن فعلهم فينبعث لما يراهم من ذلك وهو قد خدع وليس عليهم من حيث لا يشعرون بينهم  
 في ذلك اصطلاح في كلامهم بلبسونه عليهم ليضي عند محاورتهم فيما يتلونه من خسر  
 ويجوز ويذبح حيوان وأمثال ذلك وأما الكلام في ذلك على الحقيقة فلا أصل له في علم  
 ولا خبره واعلم أن الكونوزون كانت توجد لكنها في حكم النادر على وجه الاتفاق  
 لأعلى وجه القصد إليها وليس ذلك بأمر تم به البلوى حتى يدخر الناس أموالهم تحت  
 الأرض ويحتمون عليها بالطلاسم لا في تقديم ولا في الحديث والركاز الذي ورد  
 في الحديث وقرضه الفقهاء وهو دفين الجاهلية إنما يوجد بالعنبر والاتفاق لا بالقصد  
 والطلب وأيضا فمن اخترن ماله وختم عليه بالأعمال الصخرية فقد بالغ في إخفائه فكيف  
 ينصب عليه الأدلة والامارات لمن يتفقه ويكتب ذلك في الصناعات حتى يطلع على  
 ذخيره أهل الاعصار والاتفاق هذا يناقض قصد الاخفاء وأيضا فأنفعال العقلاء  
 لا بد وأن تكون أغراض مقصود في الاتفاع ومن اخترن المال فانه يختاره لولده أو  
 قريبه أو من يؤثره وأما ان يقصد اخفاءه بالكلية عن كل أحد وانما هو للبلاء والهلاك  
 أولن لا يعرفه بالكلية ممن سيأتي من الامم فهذا ليس من مقاصد العقلاء بوجه • وأما  
 قولهم أين أموال الامم من قبلنا وما علم فيها من الكثرة والوفور فاعلم أن الاموال من  
 الذهب والفضة والجواهر والامتنعة إنما هي معادن ومكاسب مثل الحديد والنحاس  
 والرصاص وسائر العقارات والمعادن والعمران يظهرها بالاعمال الانسانية ويزيد  
 فيها أمر نفسه وما يوجد منها بأيدي الناس فهو متناقل متوارث وربما تنقل من قار  
 الى قطر ومن دولة الى أخرى بحسب أغراضه والعمران الذي يستدعى له فان نقص  
 المال في المغرب واخر يقبض فلم ينقص يلاذ الصقالية والافريق وان نقص في مصر  
 والشام فلم ينقص في الهند والصين وانما هي الآلات والمكسب والعمران يوفرها  
 أو ينقصها مع أن المعادن يدركها البلاء كما يدرك سائر الموجودات ويسرع الى الأولو  
 والجواهر أعظم مما يسرع الى غيره وكذا الذهب والفضة والنحاس والحديد والرصاص  
 والقصدير تالها من البلاء والقضاء ما يذهب بأعيانها الاقرب وقت وأما ما وقع في مصر  
 من أمر المطالب والكونوز فسيبه أن مصر في ملكة القبط منذ آلاف وأربعمائة السنين  
 وكان موتاهم يدفنون بموجودهم من الذهب والفضة والجواهر واللاتي على مذهب  
 من تقدم من أهل الدول فلما انتفضت دولة القبط وملك الفرص بلادهم نفروا على ذلك

في قبورهم وكشفوا عنه فأخذوا من قبورهم ما لا يوصف كالأهرام من قبور الملوك  
وغيرها وكذا فعل اليونانيون من بعدهم وصارت قبورهم مظنة لذلك لهذا العهد  
ويعتبر على الدفن فيها في كثير من الأوقات أملا ليدفنونه من أموالهم أو ما يكرمون به  
موتاهم في الدفن من أوعية ونوايت من الذهب والفضة معدة لذلك فصارت قبور  
القبط منذ آلاف من السنين مظنة لوجود ذلك فيها فلذلك عني أهل مصر بالبحث عن  
المطالب لوجود ذلك فيها واستقر اجها حتى أنهم حين ضربت المكوس على الأصناف  
آخر الدولة ضربت على أهل المطالب وصدرت ضريبة على من يشتغل بذلك من الخبي  
والمهوسين فوجد بذلك المتعاطون من أهل الاطماع الذريعة الى الكشف عنه والذرع  
باستقراجه وما حصلوا الاعلى الخيبة في جميع مساعيهم فعوذوا من الخسران فخصنا  
من وقع له شيء من هذا الوسواس وابتلى به أن يتعذرنا عنه من العجز والكسل في طلب  
معاشه كما تفقد رسول الله صلى الله عليه وسلم من ذلك وينصرف عن طرق الشيطان  
ويؤسسه ولا يشغل نفسه بالهالات والمكاذيب من الحكايات والله يرزق من يشاء بغير  
حساب

#### ٥ (فصل في ان الجاه مفيد للمال)

وذلك اننا نجد صاحب المال والخطوة في جميع أصناف المعاش أكثر نساوارا وروعة من  
فاقد الجاه والسبب في ذلك أن صاحب الجاه يخدم بالاعمال يتقرب بها اليه فيسبيل  
التزلف والحاجة الى جاهه فالتاس معينون له بأعمالهم في جميع ما حاجته من ضروري  
أو حاجي أو كافي فحصل قيم تلك الاعمال كلها من كسبه وجميع ما شاءه أن تنفذ فيه  
الاعراض من العمل يستعمل فيها الناس من غير عوض فتوفر قيم تلك الاعمال عليه  
فهو يزعم قيم الاعمال يكسبها وقيم أخرى تدعوه الضرورة الى آخر اجها فتوفر عليه  
والاعمال لصاحب الجاه كثيرة فتفيد الغنى لا قريب وقت ويزداد مع الايام يسارا  
ويزود ولهذا المعنى كانت الامارة أحد أسباب المعاش كما تقدمناه وفاقدا لجاه  
بالكلية ولو كان صاحب مال فلا يكون يسارا بالاعتقاد وما له على نسبة سعيه وهؤلاء  
هم أكثر التجار ولهذا اتجهد أهل الجاه منهم يكونون أيسر بكثير وعملائهم ينفذون  
شجده كثيرا من الفقهاء وأهل الدين والعبادة اذا اشتهر بحسن الظن بهم واعتقد  
الجهور بمعللة اتفقوا فادهم فأخلص الناس في أغانيتهم على أحوال دنياهم  
والاعمال في مصالحهم أسرعت اليهم الثروة وأصبحوا ميسرين غروما مقتضى  
الامايحصل لهم من قيم الاعمال التي وقعت المعونة بها من الناس لهم رأيان من ذلك

اعداداً في الامصار والمدن وفي البدو يسعى لهم الناس في الفلح والتجر وكل قاعد بمنزله لا يبرح من مكانه فيجوز ماله ويعظم كسبه ويتأهل الغنى من غير سعي ويعجب من لا يقطن لهذه السرى حال ثروته وأسباب غناه ويساره والله سبحانه وتعالى يرزق من يشاء بغير حساب

٦ فصل في ان السعادة والكسب انما يحصل غالباً لاهل الخضوع  
والتملق وان هذا الخلق من اسباب السعادة

قد سبق لنا فيما سبق أن الكسب الذي يستفيد به البشر انما هو قيم أعمالهم ولو قدرا أحد عمل عن العمل لكان فاقداً للكسب بالكمية وعلى قدر عمله وشرفه بين الاعمال وحاجة الناس اليه يكون قدر قيمته وعلى نسبة ذلك غرقه أو نقصانه وقد بينا آنفاً أن الجاه يبعد المال لما يحصل لصاحبه من تقرب الناس اليه بأعمالهم وأموالهم في دفع المضار وجلب المنافع وكان ما يتقربون به من عمل أو مال عوضاً عما يحصلون عليه بسبب الجاه من الاغراض في صالح أو طالح ونصير تلك الاعمال في كسبه وقيمتها أموال وزروره فيستفيد الغنى واليسار لا قرب وقت ثم ان الجاه متوزع في الناس ومترب فيهم طبقة بعد طبقة ينهضي في العلو الى الملوك الذين ليس فوقهم يد عالية وفي السفلى الى من لا يملك ضرراً ولا نفعاً بين أبناء مجده وبين ذلك طبقات متعددة حكمتها الله في خلقه بما ينظم معاشهم ويتيسر مصالحهم ويتم بقاؤهم لأن النوع الانساني لا يتم وجوده الا بالتعاون وأنه وان ندرك ذلك في صورة مفروضة لا يصح بقاؤه ثم ان هذا التعاون لا يحصل الا بالاكرام عليه لجهلهم في الاكثر بمصالح النوع ولما جعل لهم من الاختيار وان أعمالهم انما تصدر بالفكر والروية لا بالطبع وقد عتبت من المعاونة قيمته من جهل علم افلا يتم حامل بكره أبناء النوع على مصالحهم لتتم الحكمة الالهية في بقاء هذا النوع وهذا معنى قوله تعالى ورفعنا بعضهم فوق بعض درجات ليتخذ بعضهم بعضاً سخرياً ودرجة ذلك خير مما يجمعون فقد تبين أن الجاه هو القدرة الجامعة للبشر على التصرف فيمن تحت أيديهم من أبناء مجدهم بالاذن والمع والتسلط بالقهر والغلبة ليصلهم على دفع مضارهم وجلب منافعهم في العدل بأحكام الشرائع والسياسة وعلى أغراضه فيما سوى ذلك ولعلكن الأقل مقصود في العناية بالباية بالذات والثاني داخل فيها بالعرض كسائر الشرور والداخل في القضاء الالهي لانه قد لا يتم وجود الخير الكثير الا بوجود شر يسير من أجل المواد فلا يقوت الخير بذلك بل يقع على ما يتطوى عليه من الشر اليسير وهذا معنى وقوع الظلم في الحقيقة فتفهم ثم ان كل طبقة من طباق

أهل العمران من مدينة أو إقليم لها قدرة على من دونهم من الطبايع وكل واحد من  
الطبقة السفلى يستقضي الجاهل من أهل الطبقة التي فوقه ويرداد كسبه نصر فاقين  
تحتيد على قدر ما يستقيمه والجاهل على ذلك داخل على الناس في جميع أبواب  
المعاش ونعم ويضيق بحسب الطبقة والطور الذي فيه صاحبه فان كان الجاهل  
متسعا كان الكسب الناشئ عنه كذلك وان كان ضيقا قلدا قلته وفاقدا الجاهل وان كان  
له مال فلا يكون يساره الا بجدار عمله وماله ونسبه سعيه ذاهبا وآيا في تنميته كما  
كثير التجار وأهل القلاحة في القالب وأهل الصناعة كذلك اذا فقدوا الجاهل واقصروا  
على فوائد صناعتهم فأنهم يصيرون الى الفقر والخصاصة في الاكثروا لتسرع اليهم  
ثروة وانما يرمقون العيش ترميقا ويدفعون ضرورة الفقر مدافعة واذا تقرر ذلك  
وأن الجاهل متسرع وأن السعادة والغير مقترنان بحصوله علمت أن بذله وافادته من  
أعظم النعم وأجلها وأن بذله من أجل المنعمين وانما يبذله من تحت يده فيكون بذله  
يسد عالمة وعزة فيحتاج طالبه ومبتغيه الى خضوع وتعلق كما يسأل أهل العز والمولاة  
والانبياء حصوله فلذلك قلنا ان الخضوع والتعلق من أسباب حصول هذا الجاهل  
المحصل للسعادة والكسب وان أكثر أهل الثروة والسعادة بهذا التعلق ولهذا نجد  
الكثير من يتعلق بالترفع والشم لا يحصل لهم غرض الجاهل فيقتصرون في التكسب على  
أعمالهم ويصيرون الى الفقر والخصاصة \* واعلم أن هذا الكبر والترفع من الاخلاق  
المذمومة انما يحصل من وهم الكمال وأن الناس يحتاجون الى بضاعته من علم  
أو صناعة كالهالم المتصرف في علمه والكاتب الجيد في كتابته أو الشاعر البليغ في شعره  
وكل محسن في صناعته يتوهم أن الناس يحتاجون لما يده فيحدث لهم رفعة عليهم بذلك  
وكذا يتوهم أهل الانساب من كان في آباءهم أوجال مشهورا أو كامل في طوابعهم  
جبارا أو أوصافهم من حال آباءهم في المدينة ويتوهمون أنهم احتقوا مثل ذلك بقرابته  
اليهم ووراثتهم عنهم فهم مستكبرون في الحاضر بالامر المدهوم وكذلك أهل الحيلة  
والبصر والتجارب بالامور قد يتوهم بعضهم كالا في نفسه بذلك واحتياجا اليه وتعبه  
هو لا الاصناف كما هم مترفعين لا يتضرعون لصاحب الجاهل ولا يتلقون لمن هو أعلى  
منهم ويستصغرون من سواهم لاعتقادهم الفضل على الناس فيستكف أحدهم عن  
الخضوع ولو كان لملك وبعده مذلة وهو ناويعها ويحاسب الناس في مآلهم  
ايامه يستدار ما يتوهم في نفسه ويحقد على من قصر له في شيء عما يتوهمه من ذلك  
ويريد التدخل على نفسه الهموم والاحزان من تقصيرهم فيه ويستقر في عناء عظيم من  
اجتناب الحق لنفسه أو آيا به الناس له من ذلك ويحصل له المقت من الناس لما في طماع

البشر من ألقاه وقل أن يسلم أحدهم لاحتد في الكمال والترفع عليه الآن يكون ذلك ينوع من القهر والغلبة والاستطالة وهذا كله في ضمن الباب ما إذا فقد صاحب هذا الخلق الجاه وهو مفقوده كآتين لك مقتله الناس بهذا الترفع ولم يحصل له حظ من احسانهم وفقد الجاه لذلك من أهل الطبقة التي هي أعلى منه لاجل المقت وما يحصل له بذلك من القعود عن تعاهدهم وغشيانه نازلهم ففسد معاشه وبقي في خصاصة وفقر وأفوق ذلك بقليل وأما الثروة فلا تحصل له أصلا ومن هذا اشتهرين الناس أن الكامل في المعرفة محروم من الحظ وأنه قد حوسب عارزق من المعرفة واقتطع له ذلك من الحظ وهذا معناه ومن خلق لشيئ يسره وألقه المقدّر لأرب سواه ولقد يقع في الدول اضراب في المراتب من أهل هذا الخلق ويرتفع فيها كثير من السفلة وينزل ~~كثير~~ من العلية بسبب ذنوب ذلك أن الدول اذا بلغت نهايتها من التغلب والاستيلاء انقردمتها منبت الملك بملكهم وسلطانهم ويئس من سواهم من ذلك وانما صاروا في مراتب دون مرتبة الملك وتحت يد السلطان وكانهم خوله فإذا استقرت الدولة وشجع الملك تساوى حينئذ في الميزة عند السلطان كل من انتهى الى خدمته وتقرّب اليه بصحبة واسطة من السلطان لغناه في كثير من مهماته فتجد كثيرا من السوقة يسمى في التقرب من السلطان بخدمته ويترلف اليه بوجوه خدمته ويستعين على ذلك بعظيم من الخسوع والتلق له ولطاشيته وأهل نسبه حتى يرضخ قدمه معهم وينظمه السلطان في جلته فيحصل له بذلك حظ عظيم من السعادة وينظم في عدد أهل الدولة وناشئة الدولة حينئذ من أبناء قومها الذين ذلوا وأضعفانهم ومهدوا وكافهم مغفرون بما كان لأباؤهم في ذلك من الآثام لم تسمح به نفوسهم على السلطان ويعتدون بأثامهم ويجرون في مضمار الدولة بسببه فيمقتسم السلطان لذلك ويأعدهم ويميل الى هؤلاء المصطنعين الذين لا يعتدون بتقديم ولا يذهبون الى الدالة ولا ترفع اغلاذ أبهم الخسوع له والتلق والاعمال في غرضه حتى ذهب اليه فتسبح جاههم وتعلو منازلهم وتنصرف اليهم الوجوه والخواطر بما يحصل لهم من قبل السلطان والمكانة عندهم فيقو ناشئة الدولة فيعالمهم فيه من الترفع والاعتداد بالقديم لا يزيدهم ذلك الا بدوام السلطان ومقتاوا يثابروا هؤلاء المصطنعين عليهم الى أن تقرض الدولة وهذا امر طبيعي في الدولة ومنه جاء شأن المصطنعين في الغالب والله سبحانه وتعالى أعلم به التوفيق لأرب سواه

٧ فصل في ان القائمين بامور الدين من القضاء والفتيا والتدريس والامامة



والخطابة والاذان ونحو ذلك لا تعظم ثروتهم في الغالب

والسبب لذلك أن الكسب كما تقدمناه قيمة الاعمال وأنها متفاوتة بحسب الحاجة إليها فإذا كانت الاعمال ضرورية في العمران عامة البلوى به صككت قيمتها أعظم وكانت الحاجة إليها أشد وأهل هذه البضائع الدفينة لا تضطر إليهم عامة الخلق وإنما يحتاج إلى ما عندهم الخواص من أقبل على دينه وإن احتج إلى الغنى والقضاء لأن الخوص مات فليس على وجه الاضطرار والعلموم فيقع الاستغناء عن هؤلاء الذين لا كبروا غناهم بم باقاة من ائمتهم صاحب الدولة بجماله من النظر في المصالح فيقسم لهم حصة من الرزق على نسبة الحاجة اليهم على النواحي قرناه لا يساويهم بأهل الشوك ولا بأهل الصنائع من حيث الدين والمراسم الشرعية لكنه يقسم بحسب عوم الحاجة وضرورة أهل العمران فلا يصح في قسمهم الا القليل وهم أيضا تشرف بصفاتهم أعز على الخلق وعند قسومهم لا يخفضون لأهل الجاه حتى ينالوا منه حظا يستدرون به الرزق بل ولا تفرغ أوقاتهم لذلك لما هم فيه من الشغل بهذه البضائع الشريفة المشغلة على اعمال الفكر والبدن بل ولا يسعهم ابتذال أنفسهم لأهل الدنيا لشرف بضاعتهم فهم عزل عن ذلك فلذلك لا تعظم ثروتهم في الغالب ولقد باحث بعض الفضلاء فذكر ذلك على وقوع يدي أوراق محترقة من حسابات الدواوين دار المأمون تستعمل على كثير من الدخل والنخرج وكان فيما طالعته فيه أرزاق القضاة والأئمة والمؤذنين فوقفت عليه وعلم منه همة ما قلته ورجع اليه وقضينا العجب من أسرار الله في خلقه وحكمته في عوالمه والله الخالق القادر لأرب سواه

٨ (فصل في ان الفلاحة من معاش المستضعفين وأهل العافية من البدو)

وذلك لأنه أصيل في الطبيعة وبسيط في متاعه ولذلك لا تجبه يتحله أحد من أهل الحضرة في الغالب ولا من المترفين ويختص متحله بالمذلة قال صلى الله عليه وسلم وقد رأى السكة يعض دود الانصار ما دخلت هذه دار قوم الا دخله الذل وحبله البخارى على الاستعكاز منه وترجم عليه باب ما يحذر من عواقب الاشتغال بالآلة المزروع أو تجاوز الحد الذي أمر به والسبب فيه والله أعلم ما يتبعها من المغمز المفضى الى التكلم واليد العالية فيكون الغارم ذليلا بائسا بما تتناول أيدي القهر والاستطالة قال صلى الله عليه وسلم لا تقوم الساعة حتى تعود الاز كاه مغرما إشارة الى الملك العضوض القاهر للناس الذي معه التسلط والجور ونسيان حقوق الله تعالى في المتقولات واعتبار الحقوق كما هم مغرما للملوك والدول والله قادر على ما يشاء والله سبحانه

وتعالى أعلم وبه التوفيق

٩ . (فصل في ان معنى التجارة ومذاهبها واصنافها)

اعلم ان التجارة محاولة المكسب بتخية المال بشراء السلع بالرخس وبيعها بالغلاء  
أياماً كانت السلعة من رقيق أو زرع أو حيوان أو قماش وذلك القدر والناسي يسمى  
ربحاً فالمحاولة لذلك الربح إما أن يحتزن السلعة ويتعين بها حوالة الاسواق من  
الرخس الى الغلاء فيعظم ربحه وإما بأن ينقله الى بلد آخر تنفق فيه تلك السلعة أكثر  
من بلده الذي اشتراها فيه فيعظم ربحه وذلك قال بعض الشيوخ من التجار لطالب  
الكشف عن حقيقة التجارة أنا أعلمها لك في كلتن اشتراء الرخص وبيع الغالي فقد  
حصلت التجارة إشارة بذلك الى المعنى الذي قرناه واقع سبحانه وتعالى أعلم وبه  
التوفيق لأربسواء

١٠ (فصل في اي اصناف الناس يحترف بالتجارة وايهم ينبغي له اجتناب حرفها

قد قدمنا أن معنى التجارة تخية المال بشراء البضائع ومحاولة بيعها بأعلى من ثمن  
الشراء إما بالتظار حوالة الاسواق أو نقلها الى بلد هي فيه أنفق وأعلى أو بيعها بالغلاء  
على الآجال وهذا الربح بالنسبة الى أصل المال يسيراً لأن المال إذا كان كثيراً  
عظم الربح لأن القليل في الكثير كثير ثم لا بد في محاولة هذه التخية من حصول هذا المال  
بأيدي الباعة في شراء البضائع وبيعها ومعاملتهم في تقاضي أثمانها وأهل النصفه قليل  
فلا بد من الغش والتطفيف المحجف بالبضائع ومن المثل في الأثمان المحجف بالربح  
كتعامل المحاوله في تلك المدة وبم انماؤه ومن الجلود الانكار المسفل رأس المال ان  
لم يقيد بالكتاب والشهادة وغشاء الحكام في ذلك قليل لأن الحكم انما هو على الظاهر  
فيعانى التاجر من ذلك أحوال الصعبة ولا يكاد يحصل على ذلك التساهل من الربح الا بظلم  
القضاء والمشقة أو لا يحصل أو يتلاشى رأس ماله فان كان جريشاً على الخصومة بصيراً  
بالحسبان شديد المباحكة مقداماً على الحكام كان ذلك أقرب له الى النصفه بجرأته  
منهم ومحاسنهم والا فلا بد له من جاهد يدرع به يوقع له الهيبة عند الباعة ويحصل الحكام  
على انصافه من معامليه فيحصل له بذلك النصفه في ماله طوعاً في الاول وكرها في الثاني  
وأما من كان فاقداً للبرائة والاقدام من نفسه فاقداً للماء من الحكام فينبغي له أن  
يحتجب الاحتراف بالتجارة لانه يمرض ماله للضياع والذهاب ويصير ماله كله للباعة ولا  
يكاد ينصف منهم لأن الغالب في الناس وخصوصاً الرعايا والباعة شرهون الى ما في  
أيدي الناس سواهم متوثبون عليه ولولا وازع الاحكام لاصبحت أموال الناس نهباً

ولو ادفع الله الناس بعضهم بعضا لفسدت الارض ولكن الله ذو فضل على العالمين

١١ (فصل في ان خلق التجار نازلة عن خلق الاشراف والملوك)

وذلك ان التجار في غالب احوالهم انما يعاونون البيع والشراء ولا يقيمون المكاسبة  
ضرورة فان اقتصر عليها اقتصرت به على خلقها وهي اعنى خلق المكاسبة بعبدة  
عن المروءة التي تخلقهم الملوك والاشراف واما ان استدل خلقه بما يتبع ذلك في  
أهل الطبقة السفلى منهم من الماحكة والغش والخلاية وتعاهد الايمان الكاذبة على  
الايمان ردا وقبولافا جدر ذلك الخلق أن يكون في غاية المذلة لما هو معروف  
ولذلك تبعده أهل الرئاسة يتحاشون الاعتراف بهذه الحرفة لاجل ما يكتسب من هذا  
الخلق وقد وجد منهم من يسلم من هذا الخلق ويتحاشاه لشرف نفسه وكرم جلاله  
الا أنه في السلاطين الوجود والله يهدي من يشاء بفضله وكرمه وهو رب الاولين  
والاخرين

١٢ (فصل في نقل التاجر للسلع)

التاجر البصير بالتجارة لا ينقل من السلع الاما تم الحاجة اليه من الغنى والفقير  
والسلطان والسوقة اذ في ذلك نفاق سلعته واما اذا اختص نقله بما يحتاج اليه  
البعض فقط فقد يتعذر نفاق سلعته حيث يتبايعون او اذا اشترى من ذلك البعض لعرض  
من العوارض قد كسد سوقه وتفسد ارباحه وكذلك اذا نقل السلعة المحتاج  
اليها فانما ينقل الوسط من صنفها فان العالي من كل صنف من السلع انما يحتاج به  
أهل الثروة وحاشية الدولة وهم الاقل وانما يكون الناس اسوة في الحاجة الى الوسط من  
كل صنف فلينجز ذلك جهده فقيه نفاق سلعته او كما ادها وكذلك نقل السلع من البلد  
البعيد المسافة او في شدة الخطر في الطرق يكون أكثر فائدة للتجار وأعظم ارباحا  
واكفل بجوالة الاسواق لان السلعة المنقولة حيث تنكون قليلة معوزة لبعدها  
مكانها أو شدة الغرر في طريقها فيقل حملوها ويعجز وجودها واذا اقلت وعزت غلت  
أثمانها واما اذا كان البلد قريب المسافة والطريق سائلا بالامن فانه حيث يذكرنا قائلوها  
فتذكر وترخص أثمانها ولهذا تعبد التجار الذين يولعون بالدخول الى بلاد السودان  
أرفه الناس وأكثرهم أموالا لبعده طريقهم ومثقتهم واعتراض الغارة الصعبة  
الخطرة بالظوف والعطش لا يوجد فيها الماء الا في أماكن معلومة يتهدى اليها أدلاء  
الركبان فلا يرتكب خطر هذا الطريق وبعده الا الاقل من الناس فيجسد سلع بلاد  
السودان قليلة ثانياً تقتصر بالفلاحة وكذلك سلعتنا لديهم فتعظم بضائع التجار من

تناقلها ويسرع اليهم الفتي والقرعة من أجل ذلك وكذلك المسافرون من بلادنا الى  
المشرق لبعده الشقة أيضا وأما المترددون في أفق واحد ما بين أمصاره وبلدانه  
فقد أمتهم قليلة وأربابهم نافهة لكثرة السلع وكثرة ناقلها والله هو الرزاق ذو القوة  
المتين

### ١٣ (فصل في الاحتكار)

وجما اشهر عند ذوى البصر والتجربة في الامصار أن احتكار الزرع تعين أوقات  
السلام مشهور وأنه يعود على فائدته بالتلف والخسران وسببه والله أعلم أن الناس  
لحاجتهم الى الاقوات مضطرون الى ما يذلون فيها من المال اضطرارا فتيقن النفوس  
متعلقة به وفي تعلق النفوس بها لاسر كبير وبالله على من يأخذ مجانا ولعله الذي  
اعتبره الشارع في أخذ أموال الناس بالباطل وهذا وان لم يكن مجانا فالنفوس  
متعلقة به لاعطائه ضرور ومن غير سعة في العذر فهو كالكفرة وما عدا الاقوات  
وأما ككولات من المسعات لا اضطرار للناس اليها وانما يحسبهم عليها التعنى في  
الشهوات فلا يذلون أموالهم فيها الا باختيار وحرص ولا يبق لهم تعلق بما اعطوه  
قلهذا يكون من عرف بالاحتكار تجتمع القوى النفسانية على متابعتها لما يأخذ  
من أموالهم فيفسد ربحه والله تعالى أعلم \* وسعت فيما يناسب هذا حكاية  
ظريفة عن بعض مشيخة المغرب أخبرني شيخنا أبو عبد الله الأبل قال حضرت عند  
القاضي بفاس لعهد السلطان أبي سعيد وهو الفقيه أبو الحسن الملبى وقد عرض عليه  
أن يحتار بعض الالقاب المحزنة لجرأته قال فأطرق مليا ثم قال لهم من معكم  
انخر فاستفعل الحاضرون من أصحابه ومحبوه وسألوه عن حكمة ذلك فقال اذا كانت  
الحبايات كلها حراما فاختار منها ما لا يتابعه نفس معطيه وانخر قل أن يذل فيها أحد ماله  
الأوهو طرب مسرور يوجد انه غير أسف عليه ولا متعلقة به نفسه وهذا ملاحظة غريبة  
والله سبحانه وتعالى يعلم ما تكتن الصدور

### ١٤ (فصل في ان رخص الاسعار مضر بالمحترفين بالرخيص)

وذلك أن الكسب والمعاش كاقته ناه انما هو بالصنائع أرا التجارة والتجارة هي شراء  
البضائع والسلع واتجارها تعين بها حواله اناسوا بالزيادة في أثمانها ويسمى ربحها  
ويحصل منه الكسب والمعاش للمعترفين بالتجارة انما فاذا استديم الرخص في سلعة  
أو عرض من مأكول أو ملبوس أو مفقود على الجملة ولم يحصل لتاجر حواله الاسواق  
فسد الربح والنيام بطول تلك المدة وكسدت سوق ذلك الصنف ففقد التجار عن السعي

فيها وفسدت رؤس أموالهم واعتبر ذلك أولاً بالربح فإنه إذا استديم رخصه يفسد به حال المحترفين بسائر أطوارهم من القلح والزراعة لقله الربح فيه وندارته أو يفقده فيفقدون النجاة في أموالهم أو يحدونه على قلة ويعودون بالانحطاط على رؤس أموالهم وتفسد أحوالهم ويصيرون إلى الفقر والخصاصة ويضيع ذلك فساد حال المحترفين أيضاً الطعن والخبز وسائر ما يتعلق بالزراعة من الحث إلى صيرونه ما كولا وكذا يفسد حال الجندي إذا كانت أرزاقهم من السلطان على أهل القلح زرعا فإنها تقل جبايتهم من ذلك ويعجزون عن إقامة الجندي التي هم بسببها ومطالبون بها ومنقطعون لها فتفسد أحوالهم وكذا إذا استديم الرخص في السكر أو العسل فسد جميع ما يتعلق به وقد المحترفون عن التجارة فيه وكذا الملبوسات إذا استديم فيها الرخص فإذا الرخص المفرط يجحف بعاش المحترفين بذلك الصنف الرخيص وكذا الغلاء المفرط أيضاً وتعلمعاش الناس وكسبهم في التوسط من ذلك وسرعة حوالته الأسواق وعلم ذلك يرجع إلى العوائد المقررة بين أهل العمران وإنما يصعد الرخص في الزرع من بين المبيعات لعموم الحاجة إليه واضطرار الناس إلى الأقوات من بين الغنى والفقر والعالة من الخلق هم الأكثر في العمران فيم الرق بذلك ويرجع جانب القوة على جانب التجارة في هذا الصنف الخاص والله الرزاق ذو القوة المتين والله سبحانه وتعالى رب العرش العظيم

١٥ (فصل في ان خلق التجارة نازلة عن خلق الرؤساء وبعيدة عن المروءة)

قد قدمنا في الفصل قبله أن التاجر مدفوع إلى معاملة البيع والشراء وجلب القوائد والأرباح ولا بد في ذلك من المكايبة والمحاكمة والتدليق وممارسة الخصومات والمناجاة وهي عوارض هذه الحرفة وهذه الأرصاف نقص من الذكاء والمروءة وقبح فيها لأن الأفعال لا بد من عود آثارها على النفس فأفعال الخير تعودياً ثابراً الخير والذكاء وأفعال الشر والفسقة تعود أيضاً فتفكك وترسخ إن سبقت وتكررت وتقص خلال الخير إن تأخرت عنها بما ينطبع من آثارها المذمومة في النفس شأن الملكات الناشئة من الأفعال وتتفاوت هذه الآثار متفاوتاً أصناف التجار في أطوارهم فمن كل منهم سافل الطور ومخالف الأشرار الباعة أهل النفس والخلافة والتجور في الأمان أقراراً وانكأراً كانت دماء تلك الخلق عنه أشد وغلب عليه الفسقة وبعد عن المروءة واكتسابها بالجهل والانقلاب له من تأثير المكايبة والمحاكمة في مروءته وفقدان ذلك منهم في الجملة ووجود الصنف الثاني منهم الذي

قد مناه في الفصل قبله أنهم يدعون بالجاه ويعوّن لهم من مباشرة ذلك فهم نادرو  
وأقل من النادر وذلك أن يكون المال قد يوجد عنده دفعة بنوع قريب أو ورثه عن  
أحد من أهل بيته فحصل له ثروة تعينه على الاتصال بأهل الدولة وتكسبه ظهوراً  
وشهرة بين أهل عصره فيرفع عن مباشرة ذلك بنفسه ويدفعه إلى من يقوم له به من  
وكلّاه وحشاه ويسهل له الحكام النصفة في حقوقهم بما يؤنسونه من بره والتخافه  
فيبعدونه عن تلك الخلق بالبعد عن معاناة الأفعال المتضمنة لها كما مر فتكون  
مرءاتهم أرحم وأبعد عن تلك المحاجة الأمايسرى من آفات تلك الأفعال من وراء  
الحجاب فانهم يضطرون إلى مشاركة أحوال أولئك الوصلاء ويغافقهم أو خلافهم  
فيما يأتون أو يذرون من ذلك إلا أنه قليل ولا يكاد يظهر أثره والله خلقكم وما تعملون

١٦ (فصل في أن الصنائع لا بد لها من المعلم)

(اعلم) أن الصناعة هي ملكة في أمر على فكرى ويكونه علمياً هو جماعى  
محسوس والاحوال الجسمانية المحسوسة فنقلها بالمباشرة أو هب لها أو اكمل لأن  
المباشرة في الاحوال الجسمانية المحسوسة أتم فائدة والملكة صفة راضعة تحصل من  
استعمال ذلك الفعل وتكرره مرة بعد أخرى حتى ترسخ صورته وعلى نسبة الأصل  
تكون الملكة ونقل المعانيه أوعب وأتم من نقل الخبر والعلم فالملكة الحاصلة عنه  
أكمل وأرفع من الملكة الحاصلة عن الخبر وعلى قدر جودة التعليم وملكة المتعلم  
يكون حذق المتعلم في الصناعة وحصول ملكته ثم إن الصنائع منها البسيط ومنها  
المركب والبسيط هو الذى يختص بالضروريات والمركب هو الذى يكون للكليات  
والمقدمة منها في التعليم هو البسيط لبساطته أولاً ولانه مختص بالضرورى الذى تتوفر  
الدواعى على نقله فيكون سابقاً في التعليم ويكون تعليمه لذلك ناقصاً ولازال الفكر  
يخرج أصنافاً ومركباتها من القوة إلى الفعل بالاستنباط شيئاً فشيئاً على التدرج  
حتى تكمل ولا يحصل ذلك دفعة وانما يحصل في أزمان وأجيال أذخروج الاشياء من  
القوة إلى الفعل لا يكون دفعة لاسيما في الامور الصناعية فلا بد له اذن من زمان ولهذا  
تجد الصنائع في الامصار الصغيرة ناقصة ولا يوجد منها الا البسيط فاذا اترايدت  
حضارتها ودعت أموراً ترف فيها إلى استعمال الصنائع خرجت من القوة إلى الفعل  
وتقسم الصنائع أيضاً إلى ما يختص بأمر المعاش ضرورياً كان أو غير ضرورى  
وإلى ما يختص بالافكار التى هي خاصة الانسان من العلوم والصنائع والسياسة  
ومن الاول الحياكة والجزارة والتجارة والحداة وأمثالها ومن الثانى الخراقة وهي

معاناة الكتب بالانتساخ والتجديد والغناء والشعر وتعليم العلم وأمثال ذلك ومن  
الثالث الجندية وأمثالها والله أعلم

١٧ (فصل في أن الصنائع إنما تكمل بكمال العمران الحضري وكثرته)

والسبب في ذلك أن الناس ما لم يستوف العمران الحضري وتقتد المدينة إنما  
همهم في الضروري من المعاش وهو تحصيل الاقوات من الخنطة وغيرها فإذا تمتدت  
المدينة وتزايدت فيها الاعمال ووقت بالضرورة وزادت عليه صرف الزائد حيث تدلى  
الكالات من المعاش ثم أن الصنائع والعلوم إنما هي للانسان من حيث فكره الذي يتميز  
به عن الحيوانات والقوت لمن حيث الحيوانية والقذاذية فهو مقدم لضروريته على  
العلوم والصنائع وهي متأخرة عن الضروري وعلى مقدار عمران البلد تكون جودة  
الصنائع للتأنيق فيها تختلذ واسمادة ما يطلب منها بحيث تتوفر دواعي الترف والترفوة  
وأما العمران البدوي أو القليل فلا يحتاج من الصنائع الا البسيط خاصة المستعمل  
في الضروريات من نجار أو خياط أو حائك أو حرار وإذا وجدت هذه بعد  
فلا توجد فيه كالمدينة ولا استجماعة وانما يوجد منها بقدر الضرورة اذ هي كلها وسائل  
الى غيرها وليست مقصودة لذاتها وإذا زخر عمران وطلبت فيه الكالات كان  
من جلها التأنيق في الصنائع واستجماعتها فكلت بجميع مقوماتها وتزايدت منافع  
أخرى معها مما تدعو اليه عوائد الترف وأحواله من حرار وديباغ وخرار وصنائع  
وأمثال ذلك وقد تنتهي هذه الاصناف اذا استبحر العمران الى ان يوجد منها كثير من  
الكالات والتأنيق فيها في النهاية وتكون من وجوه المعاش في المصر لتنتهلها بل تكون  
فائدتها من أعظم فوائد الاعمال لما تدعو اليه الترف في المدينة مثل الدخان والصغار  
والحمى والطباخ والسفاح والمهراس ومعلم القناء والرقص وقرع الطبول على  
التوقيع ومثل الوراقين الذين يعاون صناعة انتساخ الكتب وتجديدها وتصحيحها  
فإن هذه الصناعة انما تدعو اليها الترف في المدينة من الاشتغال بالامور الفكرية  
وأمثال ذلك وقد تخرج عن الحد اذا سكن العمران خارجا عن الحد كما بلغنا عن  
أهل مصر أن فيهم من يعلم الطيور العجم والجر الانسية وتخيل أشياء من العجائب  
بإيهام قلب الاعيان وتعليم الحداء والرقص والمشى على الخيوط في الهواء ورفع  
الانتقال من الحيوان والحجارة وغير ذلك من الصنائع التي لا توجد عندها بالمازج لان  
عمران أمصاره لم يبلغ عمران مصر والقاهرة أدام الله عمرانها بالمسلمين

١٨ (فصل في ان رسوخ الصنائع في الامصار إنما هو برسوخ الحضارة وطول امدها)

والسبب في ذلك ظاهر وهو أن هذه كلها عوائد العمران وألوان والعوائد التي ترجع  
بكثره التصحرار وطول الامد فتستحكم صبغة ذلك وترجع في الاجيال وإذا  
استحكمت الصبغة عسر نزعها ولهذا نجد في الامصار التي كانت استعمرت في الحضارة  
لمستراجع عمرانها وتنقص بقيت فيها آثار من هذه الصنائع ليست في غيرها من  
الامصار المستعمدة العمران ولو بلغت مبالغها في الوفور والكثرة وما ذك إلا لأن  
أحوال تلك القديمة العمران مستحكمة راسخة بطول الاحقاب وتداول الاحوال  
وتكررها وهذه لم تبلغ الغاية بعد وهذا كالحال في الاندلس لهذا العهد فأنجد فيها  
رسوم الصنائع قائمة وأحوالها مستحكمة راسخة في جميع ما تدعو اليه عوائد  
أمصاها كالمباني والطبخ وأصناف الغذاء والهون والآلات والأتاوير الرقص  
وتنفيذ القرش في القصور وحسن الترتيب والاوزاع في البناء وصوغ الآنية من  
المعادن والخزف وجمع المواعين وأقامة الولائم والاعراس ومائر الصنائع التي يدعو  
اليها الترف وعوائد فصيدهم أقوم عليها وأبصر بها ونجد صنائعها مستحكمة لديهم  
فهم على حصة موفرة من ذلك وحفظ متعززين بجميع الامصار وان كان عمرانها قد  
تناقص والكثيرة لا يساوي عمران غيرها من بلاد العدو وما ذك إلا لما قد متاع من  
وتنوخ الحضارة فيهم برزوخ الدولة الاموية وما قبلها من دولة القوط وما بعدها من  
دولة الطوائف التي لم تجر أفلفت الحضارة فيها بلغا لم تبلغه في قطر الاما ينقل عن  
العراق والشام ومصر أيضا الطول أماد الدول فيها فاستحكمت فيها الصنائع وكلت  
جميع أصنافها على الاستبادة والتخمين وبقيت صبيغها نابتة في ذلك العمران لا تفارقه  
إلى أن يتنقص بالكلية حال الصبغ إذا رسيخ في الثوب وصككذا أيضا حال تونس فيما  
حصل فيها بالحضارة من الدول الصنهاجية والموحدين من بعدهم وما استكمل لها  
في ذلك من الصنائع في سائر الاحوال وان كان ذلك دون الاندلس إلا أنه متضاعف  
برسوم منها تنقل اليها من حصر اقرب المسافة بينهما وتردد المسافرين من قطرها إلى  
قطر مصر في كل سنة وربما سكن أهلها هناك حصورا فينقلون من عوائد ترفهم ويحكم  
صنائعهم ما يقع لديهم موقع الاستحسان فصارت أحوالها في ذلك متشابهة من أحوال  
مصر لما ذكرناه ومن أحوال الاندلس لما إن أكثر ساكنها من شرق الاندلس حين  
الجلال العهد المائة السابعة ورسخ فيها من ذلك أحوال وان كان عمرانها ليس بمناسب  
لذلك لهذا العهد الآن الصبغة استحكمت فقلد الاما تحول الازوال ومحملها وكذا نجد  
بالقيروان ومراكش وقلعة بن حماد أن باقيا من ذلك وان كانت هذه كلها اليوم خرابا  
أو في حكم الخراب ولا يتقطن لها إلا البصير من الناس فيجد من هذه الصنائع آثارا



تدله على ما كان بها كآثر لخط المعصوف الكتاب والله الخلاق العليم

١٩ (فصل في ان الصنائع انما ستجاد وتكثر اذا كثر طالبها)

والسبب في ذلك ظاهر وهو ان الانسان لا يسمع بعمله ان يقع بحج ناله كسبه ومنه معاشه اذ لا فائدة له في جميع عمره في شيء مما سواه فلا يصرفه الا في ما له قيمة في مصره وليعود عليه بالنفع وان كانت الصناعة مطلوبة وتوجه اليها التفات كانت حينئذ الصناعة بمثابة السلعة التي تنفق سوقها وتجلب البيع فتجهد الناس في المدينة لتعلم تلك الصناعة ليكون منها معاشهم واذا لم تكن الصناعة مطلوبة لم تنفق سوقها ولا يوجه قصد الى تعلمها فاختصت بالترك وفقدت للاهمال ولهذا يقال عن علي رضي الله عنه قبة كل امرئ ما يحسن بمعنى ان صناعته هي قيمته أي قيمة عمله الذي هو معاشه وأيضا فهو سائر آخر وهو ان الصنائع واجادتها انما تطلبها الدولة فهي التي تنفق سوقها وتوجه الطلبات اليها ومالم تطلبه الدولة وانما تطلبها غيرها من أهل المصرف ليس على نسبتها لان الدولة هي السوق الاعظم وفيها اتفاق كل شيء والقليل والكثير فيها على نسبة واحدة فانفق منها كان أكثر باضرة والدولة ان طلبوا الصناعة فليس طلبهم بعام ولا سوقهم بتافهة والله سبحانه وتعالى قادر على ما يشاء

٢٠ (فصل في ان الامصار اذا قاربت الحراب انتقصت منها الصنائع)

وذلك لما بينا ان الصنائع انما تستجد اذا احتج اليها وكثر طالبها واذا ضعفت أحوال المصروف أخذ في الهرم بانقراض عمره وقلة ساكنه تناقص فيه الترف ورجعوا الى الاقتصاد على الضروري من أحوالهم فقتل الصنائع التي كانت من زواجب الترف لأن صاحبها حينئذ لا يسمع له بها معاشه فيقر الى غيرها ويموت ولا يكون خلف منه فيذهب رسم تلك الصنائع جلة كما يذهب النقاشون والصواغ والكتاب والتساخ وأمثالهم من الصنائع لحاجات الترف ولا تزال الصنائع في التناقص ما زال المصروف التناقص الى أن تضجبل والله الخلاق العليم سبحانه وتعالى

٢١ (فصل في ان العرب ابعد الفساد عن الصنائع)

والسبب في ذلك أنهم أعرق في البدو وأبعد عن العمران الحضري وما يدعوا اليه من الصنائع وغيرها والجم من أهل المشرق وأمم النصرانية عدوة البحر الرومي أقوم الناس عليها لأنهم أعرق في العمران الحضري وأبعد عن البدو وعمرانه حتى ان الابل التي أعانت العرب على الترحل في القفر والاعراق في البدو ومفقودة لديهم بالجملة ومفقودة مراعيها والرمال المهمة لتساجها ولهذا نجد أوطان العرب وما ملكوه في الاسلام قليل

الصنائع بالجملة حتى تجلب اليه من قطر آخر وانظر بلاد الهند من الصين والهند وأرض الترك وأمم النصرانية كيف استكثرتم فهم الصنائع واستعملها الامم من عندهم وبهم المغرب من البربر مثل العرب في ذلك رسوخهم في البداوة منذ أقاصب من السنين ويشهد ذلك قلة الامصار وقطرهم كما قد مناه الصنائع بالمغرب لذلك قليلة وغير مستحكمة الا ما كان من صناعة الصوف من نسجه والجلد في خرزه ودينه فانهم لما استحضروا بلغوا فيها المبالغ لعموم البلوى بها وكون هذين أغلب السلع في قطرهم لما هم عليهم من حال البداوة وأما المشرق فقد رخت الصنائع فيه منذ ملك الامم الاقدمين من القروس والنبط والقبط وبني اسرائيل ويونان والروم أحقابا متطاولة فرخت فهم أحوال الحضارة ومن جعلها الصنائع كما قد مناه فلم يرحمها وأما العين والبحرين وعمان والجزيرة وان ملكه العرب الا أنهم تداولوا ملكه آلاف من السنين في أعم كثيرين منهم واختطوا أمصاره ودينه وبلغوا الغاية من الحضارة والترف مثل عاد وحمور وعود والعماقية وغيرهم واتباعه والاذوا وافتال أمدا الملك والحضارة واستحكمت صيغتها وتوفرت الصنائع ورخت فلم يلبى الدولة كما قد مناه فبقيت مستحكمة حتى الآن واختصت بذلك الوطن كصناعة الوشي والعصب وما يستجاء من حولك النيب والحرير فيها والله وارث الارض ومن عليها وهو خير الوارثين

٢٢ فصل في من حصلت له ملكة في صناعة فقل ان يجيد بعدها ملكة في اخرى

ومثال ذلك الخياط اذا أجاد ملكة الخياطة وأحكمها ورخت في نفسه فلا يجيد من بعدها ملكة النصارى والبناء الا أن تكون الاولى لم تستحكم بعد ولم ترسخ صيغتها والسبب في ذلك أن الملكات صفات النفس وألوان فلا تزدهم دفعة ومن كان على الفطرة كان أهمل لقبول الملكات وأحسن استعداد الحصول لها فاذا تلقت النفس بالملكة الاخرى ونجرت عن الفطرة ضعف فيها الاستعداد باللون الحاصل من هذه الملكة فكان قبولها الملكة الاخرى أضعف وهذا بين يشهد له الوجود فقل ان يجيد صاحب صناعة يتحكمها ثم يتحكم من بعدها أخرى ويكون فيها معا على رتبة واحدة من الاجادة حتى ان أهل العلم الذين ملكتهم فكرة في فهم هذه المناه ومن حصل منهم على ملكة علم من العلوم وأجادها في الغاية فقل ان يجيد ملكة علم آخر على نسبتها بل يكون مقصرا فيه ان طلبه الا في الاقل النادر من الاحوال ومبنى سببه على ما ذكرناه من الاستعداد وتلاوته بلون الملكة الحاصلة في النفس والله سبحانه وتعالى أعلم وبه التوفيق لأرب سواه

اعلم ان الصنائع في النوع الانساني كثيرة لكثرة الاعمال المتداولة في العمران فهي بحيث تشذ عن الحصر ولا يأخذها القدر الا ان منها ما هو ضروري في العمران أو شريف بالموضوع فقصصها بالذكر وترك ما سواها قائماً بالضرورة في الفسلاحه والبناء والضيافة والتجارة والحياكة وأما الشريفة بالموضوع فكالنوليد والكتابة والوراقة والغناء والطب قائماً بالتوليد فانها ضرورية في العمران وعامة البلوى اذ بها يحصل حياة المولود ويتم غالباً موضوعها مع ذلك المولودين وأمهاتهم وأما الطب فهو حفظ الصحة للانسان ودفع المرض عنه ويتفرع عن علم الطبيعة وموضوعه مع ذلك بدن الانسان وأما الكسابة وما يتبعها من الوراقة فهي حافظة على الانسان حاجته ومقيدة لها من النسيان ومبيلة ضمائر النفس الى البعيد الغائب ومخلدة نتائج الافكار والعلوم في الصحف ورافعة رتب الوجود للمعاني وأما الغناء فهو نسب الاصوات ومظهر جمالها للاسماع وكل هذه الصنائع الثلاثة دأع الى مخالطة المولود الاعظم في خلواتهم وبجاس أنسهم فلها بذلك شرف ليس لغيرها وما سوى ذلك من الصنائع فتابعة وممثلة في الغالب وقد يختلف ذلك باختلاف الاغراض والدواهي والله أعلم بالصواب

## ٢٤ (فصل في صناعة الفلاحة)

هذه الصناعة عمرتها اتخاذ الاقوات والحبوب بالقيام على ائارة الارض لها وازدادها وعلاج نباتها وتعهدها بالقي والتخمة الى بلوغ غايتها ثم حصاد سنبها واستخراج حبه من غلافه واحكام الاعمال لذلك وتخصيل أسبابه ودواحيه وهي أقدم الصنائع لما أنها محصلة للقوت المكمل لحياة الانسان غالباً اذ يمكن وجود من دون جميع الاشياء الامن دون القوت ولهذا اختصت هذه الصناعة باليد واذا قد من أنه أقدم من الحضرة وسابق عليه فكانت هذه الصناعة لذلك بدوية لا يقوم عليها الحضرة ولا يعرفونهم الا ان أحوالهم كلها نائية على البدوة فصنائعهم نائية عن صنائعها وتابعة لها والله سبحانه وتعالى مقيم العباد فيما أراد

## ٢٥ (فصل في صناعة البناء)

هذه الصناعة أول صنائع العمران الحضري وأقدمها وهي معرفة العمل في اتخاذ البيوت والمنازل للكن والمأوى للابدان في المدن وذلك أن الانسان لما جبل عليه من الفكر في عواقب أحواله لا بد أن يشكر فيمليدفع عنه الاذى من الحر والبرد كاتخذ

البيوت المكتنفة بالسقف والجيطان من مائرجها تهاو البشر مختلف في هذه الجبلية  
 التفكيرية فتمهم المعتدلون فيها يتخذون ذلك باعتدال أحالي الثاني والثالث والرابع  
 والخامس والسادس وأما أهل البدو فيبعدون عن اتخاذ ذلك لقصور أفكارهم من  
 ادراك الصنائع البشرية فيبادرون للغيران والـكـهـوف المعتمة من غير علاج ثم  
 المعتدلون المتخذون للمأوى قد يتكاثرون في البسيط الواحد بحيث يتناكرون  
 ولا يتعارفون فيخشون طروق بعضهم بعضا فيحتاجون الى حفظ مجتمعهم بإدارة ماء  
 أو أسوار تحوطهم ويصير جميعا مدينة واحدة ومصر واحد ويحوطهم الحكام من  
 داخل يدفع بعضهم عن بعض وقد يحتاجون الى الاتصاف ويتخذون المعازل  
 والحصون لهم ولن تحت أيديهم مثل الملوك ومن في معناهم من الامراء وكبار القبائل  
 في المدن كل مدينة على ما يتعارفون ويصلطون عليه ويناسب مزاج هواهم  
 واختلاف أحوالهم في الغنى والفقر وكذا حال أهل المدينة الواحدة فتمهم من يتخذ  
 القصور والمصانع العظيمة الساحة المشتملة على عدة الدور والبيوت والغرف الكبيرة  
 لكثرة ولده وحشم وعياله وتابعه ويؤسس جدرانها بالحجارة ويحطم بينها بالكس ويعالى  
 عليها بالاصبغة والجص ويبالغ في ذلك بالتحجيد والتثنيق اظهارا للبطشة بالعناية في شأن  
 المأوى وبهيج مع ذلك الاسراب والمطامير للأختران لاقواته والاصطبلات لفرط مقرباته  
 اذا كان من أهل الجنود وكثرة التابع والحاشية كالامراء ومن في معناهم ومنهم من  
 يبني الدورية والبيوت لنفسه وسـكـنـه وولده لا يتنى ما وراء ذلك لقصور حاله عنه  
 واقتصاره على الكنى الطبيعي للبشر وبين ذلك مراتب غير مخصصة وقد يحتاج لهذه  
 الصناعة أيضا عند تأسيس الملوك وأهل الدول المدن العظيمة والهيما كل المرتفعة  
 ويبالغون في اتقان الاوضاع وعلو الاجرام مع الاحكام لتبلغ الصناعة مبالقتها وهذه  
 الصناعة هي التي تحصل الدواهي لذلك وأكثر ما تكون هذه الصناعة في الاقاليم المعتدلة  
 من الرابع وما حواله اذا الاقاليم المتحرقة لانهاء فيها وانما يتخذون البيوت خطا ومن  
 القصب والطين وانما يوجد في الاقاليم المعتدلة له وأهل هذه الصناعة القاصون عليها  
 متفاوتون فتمهم البصير الماهر ومنهم القاصر ثم هي متنوع أنواعا كثيرة فتمهم البناء بالحجارة  
 المتحدة يقيم بها الجدران ملصقا بعضها الى بعض بالطين والكلس الذي يعقدهم بها ويلصق  
 كلنهما بجسم واحد ومنها البناء بالتراب خاصة يفضلهما الوحان من الخشب مـقـدـران طولاً  
 وعرضاً باختلاف العادات في التقدير وأوسطه أربعة أذرع في ذراعين فينصبان على  
 أساس وقد يودع ما بينهما من معماره صاحب البناء في عرض الأساس ويوصل بينهما بأذرع  
 من الخشب يربط عليها بالحبال والجدران ويسد الجبهتان الباقيتان من ذلك الخلاء بينهما

بلوحين آخرين صغيرين ثم يوضع فيه التراب مخلوطا بالكلس ويركز بالمرآكز المصنعة حتى  
 ينمركزه ويختلط أجزاؤه ثم يراد التراب ثانيا والثالث إلى أن يتم ذلك الاختلاط بين اللوحين  
 وقد تداخلت أجزاء الكلس والتراب وصارت جسما واحدا ثم يعاد نصب اللوحين على  
 الصورة ويركز كذلك إلى أن يتم وينظم الألواح كلها سطرًا من فوق سطرًا إلى أن ينظم  
 الحائط كله ملتصقا كأنه قطعة واحدة ويسمى الطابية وصانعه الطواب ومن صنائع  
 البناء أيضا أن تجبل الحيطان بالكلس بعد أن يحل بالماء ويخمر أسبوعاً وأسابيع  
 على قدر ما يقتضيه من اجتهاد عن إفراط النار به المفسدة للحام فإذا تم له ما رضاه من  
 ذلك علامه من فوق الحائط وذلك إلى أن يلتصق ومن صنائع البناء عمل السقف بأن عُدَّ  
 الخشب المحكمه النجارة أو الساذجة على حائطي البيت ومن فوقها الألواح كذلك  
 موصولة بالساترو يصب عليها التراب والكلس ويسط بالمرآكز حتى تتداخل  
 أجزاؤها وتلتصق ويعلى عليها الكلس كما يعلى على الحائط ومن صناعة البناء ما يرجع  
 إلى التمين والتزين كما يصنع من فوق الحيطان الأشكال المصنوعة من الجص يخمر بالماء  
 ثم يرجع جسداً وفيه بقية البلل فيشكل على التناسب فتخرج أعمام ناقب الحديد إلى أن  
 يبقى له رونق ورواء ويرجم على الحيطان أيضاً بقطع الرخام والأجر والخزف أو  
 بالصدف أو السجيفصل أجزائه بمجاسة أو مختلفة وتوضع في الكلس على نسب  
 وأوضاع مقدرة عندهم يبدو به الحائط للعين كأنه قطع الرخام المنتمية إلى غير ذلك  
 من بناء الجباب والصهاريج لسمع الماص بعد أن تعُدَّ في البيوت قصاص الرخام القوي  
 المحكمه انفرط بالقوّهات في وسطها لتبضع الماء الجاري إلى الصهرج يجعلب إليه من  
 خارج في القنوات الخفية إلى البيوت وأمثال ذلك من أنواع البناء وتختلف الصنائع  
 في جميع ذلك باختلاف الخدق والبصر ويعلم عمران المدينة ويتسع فيكونون ويرجع  
 يرجع الحكماء إلى نظره ولا يغفلهم أبصر به من أحوال البناء وذلك أن الناس  
 في المدن لكثرة الازدحام والعمران يتشاحون حتى في الفضاء والهواء لا على والأسفل  
 ومن الانتفاع بظاهر البناء مما يتوقع معه حصول الضرر في الحيطان فيمنع جاره من  
 ذلك إما كان له فيه حق ويحتفون أيضاً في استحقاق الطرق والمنافذ للماء الجارية  
 والقنوات المسربة في القنوات ويرجم يدعي بعضهم حتى بعض في حائطه أو علوه أو  
 قناته لتضايق الجوار أو يدعي بعضهم على جاره اختلال حائطه خشية سقوطه ويحتاج  
 إلى الحكم عليه بهدمه ودفع ضرره عن جاره عند من يراه أو يحتاج إلى قسمة داراً أو  
 عرصه بين شريكين بحيث لا يقع معها فساد في الدار ولا إهمال لمنفعة وأمثال ذلك  
 ويختص جميع ذلك الأعلى أهل البصر العارفين بالبناء وأحواله المستدلين عليها بالمعاقد

والقطع ومرأى الخشب وميل الحيطان واعتدالها وقيم المساحكن على نسبة  
أوضاعها ومنافعها وتسريب المياه في القنوات مجسوبة ومر فوعة بحيث لا تضرب  
مرت عليهم من البيوت والحيطان وغير ذلك فلم يهمل هذا كله البصر والخبرة التي ليست  
لغيرهم وهم مع ذلك يحتفلون بالجوذة والقصور في الاجبال باعتبار الارتفاع وقوتها  
فانافذ من أن الصنائع وكالها انما هو بكال الحضارة وكثرتهم بكثره الطالب لها فذلك  
عند ما تكون الدولة بدوية في أول أمرها تنفق في أمر البناء الى غير قطرها كما وقع  
للولين عبد الملك حين أجمع على بناء مسجد المدينة والقدس ومسجد الشام فبعث  
الى ملك الروم بالسقط طيفية في الفعلة الماهرة في البناء فبعث اليه منهم من حصل له  
غرضه من تلك المساجد وقد يعرف صاحب هذه الصناعة أشياء من الهندسة مثل  
نسوية الحيطان بالوزن واجراء المياه بأخذ الارتفاع وأمثال ذلك فيحتاج الى البصر  
بشي من مسائله وكذلك في جرانقال بالهندام فان الاجرام العظيمة اذا شيدت بالطجارة  
الكبيرة يهتز قدر الفعلة عن رفعها الى مكانها من الخائط فيجبل لذلك بمضاعفة قوة  
الحبل بادخاله في المعالق من أنقاب مقدرة على نسب هندسية تصير التثقل عند معاناة  
الرفع خفيفا فيتم المراد من ذلك بغير كلفة وهذا انما يتم بأصول هندسية معروفة متداولة  
بين البشر وبمثلا كان بناء الهياكل الماثلة لهذا العهد التي يحسب الناس أنهم لم يبنوا  
بناء الجاهلية وان أبادتهم كانت على نسبتها في العظم الجسماني وليس كذلك وانما تم  
لهم ذلك بالحيل الهندسية كما ذكرناه فقههم ذلك والله يخلق ما يشاء سبحانه

#### (فصل في صناعة التجارة)

٢٦

هذه الصناعة من ضروريات العمران ومازتها الخشب وذلك أن الله سبحانه وتعالى  
جعل للآدمي في كل مكون من المكونات منافع تكمل بها ضروراته وأحاجاته وكان  
منها الشجر فان له فيه من المنافع ما لا يحصر عما هو معروف لكل أحد ومن منافعها  
اختصاصها خشبا اذا يست وأول منافعها أن يكون وقودا للتيران في معاشهم وعصيا  
للا تكاه والذود وغيرهما من ضرورياتهم ودعائم لمحتشئ ميله من أنقالهم ثم بعد ذلك  
منافع أخرى لاهل البدو والحضر فأنما أهل البدو فيخذون منها العمد والوادعياهم  
والخدوخ لظعناتهم والرماح والقسي والسهام لسلحهم وأما أهل الحضرة والسقف  
لبسوتهم والاعلاق لابوابهم والكراسي لجلوسهم وكل واحدة من هذه فاختصة مادة  
لها ولا تصير الى الصورة الخاصة بها الا بالصناعة والصناعة المتكفلة بذلك المحصلة لكل  
واحد من صورها هي التجارة على اختلاف رتبها فيحتاج صاحبها الى تفصيل الخشب

أولاً بما يختص أصغر منه أو ألواح ثم تركيب تلك الفصائل بحسب الصور المطلوبة وهو في كل ذلك يحاول بصنعه أعداد تلك الفصائل بالنظام إلى أن تصير أعضاء لذلك الشكل المخصوص والقائم على هذه الصناعة هو التجار وهو ضروري في العمران ثم إذا عظمت الحضارة وجاء الفرق وتأتى الناس فيما يتخذونه من كل صنف من سقف أو باب أو كرسى أو ما عود حدث التأق في صناعة ذلك واستجدته بفرايب من الصناعة كالمية ليست من الضروري في شيء مثل التخليل في الأبواب والكراسي ومثل تهئية القطع من الخشب بصناعة الخراط يحكم برحها وتشكيلها ثم تؤلف على نسب مقدرة وتطم بالذات ترقيد ولرأى العين ملحة وقد أخذ منها اختلاف الأشكال على تناسب يصنع هذا في كل شيء يتخذ من الخشب فيصير آتق ما يكون وكذلك في جميع ما يحتاج إليه من الآلات المنخفضة من الخشب من أى نوع كان وكذلك قد يحتاج إلى هذه الصناعة في إنشاء المراكب البحرية ذات الألواح والدمروهي أبرام هندسية صنعت على قالب الحوت واعتبار صحة في الماء بقوامه وكله ليكون ذلك الشكل أعون لها في مصادمة الماء وجعل لها عوض الحركة الحرارية التي للسبك تحريك الرياح وربما عنت بحركة المقاديف كالمى الأساطيل وهذه الصناعة من أصلها محتاجة إلى أصل كبير من الهندسة في جميع أصنافها لأن إخراج الصور من القوة إلى الفعل على وجه الأحكام يحتاج إلى معرفة تناسب في المقادير أعموماً وأخصوصاً وتناسب المقادير لا يتقنه من الرجوع إلى المهندس ولهذا كان أئمة الهندسة اليونانيون كلهم أئمة في هذه الصناعة فكان أبقليس صاحب كتاب الأصول في الهندسة تجاراً وبها كان يعرف وكذلك أبولونيوس صاحب كتاب المخروطات وميلانوس وغيرهم وفيما يقال أن معلم هذه الصناعة في الحقيقة هو فوخ عليه السلام وبها أنشأ سفينة النجاة التي كانت بها معجزته عند الطوفان وهذا الظاهر وإن كان محتملاً أعني كونه تجاراً الآن كونه أول من علمها أو تعلمها لا يقوم دليل من النقل عليه لبعده الآماد وانما معناه والله أعلم بالإشارة إلى قدم التجارة لأنه لم يصح حكاية عنها قبل خبر فوخ عليه السلام فجعل كاتبه أول من تعلمها فتعلمهم أمراد الدنيا في الحقيقة والله سبحانه وتعالى أعلم به التوفيق

(فصل في صناعة الحياكة والخياطة)

٢٧

هاتان الصنعتان ضروريتان في العمران لما يحتاج إليه البشر من الرفق فالأولى لنسج الغزل من الصوف والكتان والقطن سداً في الطول والحما في العرض لذلك

التسج بالالتصام الشديد فيتم منها قطع مقدرة فيها الاكسية من الصوف للاشتغال  
ومنها الثياب من القطن والسكن للباس والصناعة الثانية لتقدير المنسوجات على  
اختلاف الاشكال والعوائد تفصل أولاً بالمقراض قطعاً مناسبة للاعضاء البدنية ثم  
تلم تلك القطع بالخياطة المحكمة وصلأ وتبيناً وتقصها على حسب نوع الصناعة  
وهذه الثانية مختصة بالعمران الحضري لما أن أهل البدو يستغنون عنها وانما يشتملون  
الاثواب اشتمالاً وانما تفصيل الثياب وتقديرها والحامها بالخياطة للباس من مذاهب  
الحضارة وفنونها ونفوسها في سر تحرير الخيط في الخلع لما أن مشروعية الخلع شتلة  
على نبذ العلائق الدنيوية والرجوع الى الله تعالى كما خلقنا أول مرة حتى لا يعلق  
العبد قلبه بشئ من عوائد ترفه لا طيبها ولا نساء ولا خيطا ولا خفا ولا تعرض لصيد ولا  
لشئ من عوائده التي تلوث بسانفسه وخلقه مع أنه يفقدها بالموت ضرورة وانما يجيء  
كأنه وارد الى المحشر ضارعاية ليه محض الربه وكان جزاؤه ان تم له خلاصه في ذلك أن  
يخرج من ذنوبه كيوم ولدته أمته سبحانه ما أرفقت بعبادك وأرجلهم في طلب  
هدايتهم اليك \* وهاتان الصنعتان قد يتان في الخلق لما أن الدف ضروري  
للبشر في العمران المعتدل وأما الخرف الى الحر فلا يحتاج أخله الى دف ولهذا يلبسنا  
عن أهل الاقليم الاقل من السودان أنهم هراة في القالب ولقد هم هذه الصنائع نسبها  
الصائفة الى ادريس عليه السلام وهو أقدم الانبياء ور بما يشبهونها الى هرمس وقد  
يقال ان هرمس هو ادريس والله سبحانه وتعالى هو المطلق العالم

#### ٢٨ (فصل في صناعة التوليد)

وهي صناعة يعرف بها العمل في استخراج المولود الادعى من بطن أمه من الرفق  
في اخراجه من رحها وتهينة أسباب ذلك ثم ما يصله بعد الخروج على ما ذكره وهي  
مختصة بالنساء في غالب الامر لما أنهن الظاهرات بعضهن على عورات بعض ونسبي  
القائمة على ذلك منهن القابلة استعير فيها معنى الاعطاء والقبول كأن النفس تعطيها  
الجنين وكلتها قبله وذلك أن الجنين اذا استكمل خلقه في الرحم وأما واره وبلغ الى  
غاياته والمدة التي قد راقه ملكته وهي تسعة أشهر في القالب فيطلب الخروج بما جعل  
الله في المولود من النزوع لذلك ويضيق عليه المتغذ فيعسر وربما مضى بعض جوانب  
الضريح بالضغط وربما انقطع بعض ما كان في الاغشية من الالتصاق والالتصام بالرحم  
وهذه كلها آلام يشتهلها الوضع وهو معنى الطلق فتكون القابلة معبئة في ذلك بعض  
الشيء بفقر الظهر والوركين وما يمازى الرحم من الاسفل نساوق بذلك فعل الدافعة



في اخراج الجنين وتسهيل ما يصعب منه بما يمكنها وعلى ما تهتدى الى معرفة عسره ثم  
اذا خرج الجنين بقيت بينه وبين الرحم الوصلة حيث كان يتغذى منها تسهل من  
سرته بجمعها وتلك الوصلة عضو فطري لتغذية المولود خاصة فتقطعها القابلة من حيث  
لا تهتدى مكان الفضلة ولا تضر بجمعه ولا برحم أمه ثم تدمل مكان الجراحه قمته بالكتي  
أو عتراء من وجوه الاندمال ثم ان الجنين عند خروجه في ذلك المنفذ الضيق وهو  
رطب العظام سهل الانعطاف والانشاء فربما تتغير أشكال أعضائه وأوضاعها القرب  
التكوين ورطوبة المواد فتتناوله القابلة بالقبز والإصلاح حتى يرجع كل عضو الى شكله  
الطبيعي ووضعها المقدرة ويرتد خلقه سوا ثم بعد ذلك تراجع النفسا وتخاذلها  
بالقبز والملاينة تنطروج أغشية الجنين لانها ربما تتأخر عن خروجه فلا يرضى عنده  
ذلك أن تراجع المسكة حالها الطبيعية قبل استكمال خروج الأغشية وهي فضلات  
تتصن ويسرى عصفها الى الرحم فيقع الهلاك قصدا للقابلة هذا وتحاول في اعانة  
الدفع الى أن تخرج تلك الأغشية ان كانت قد تأخرت ثم ترجع الى المولود فتخرج  
أعضاءه بالادان والذرووات القابضة لتشدّه وتخفض رطوبات الرحم وتحمكه لرفع  
لهاته وتسسطه لاستفراغ بطون دماغه وقرقره بالعروق لدفع السدد من معاه  
وتجويها عن الالتصاق ثم تدأوى النفسا بعد ذلك من الوهن الذي أصابها بالطلق  
وما لحق رجمها من ألم الاتصال اذا المولود ان لم يكن عضو طبيعيا خالصة التكوين في  
الرحم صيرته بالالتصام كالعضو المتصل فلذلك كان في انفصاله ألم يقرب من ألم القطع  
وتدأوى مع ذلك ما يلحق الفرج من ألم من جراحة التزريق عند الضغط في الخروج  
وهذه كلها أدواء تجدد هؤلاء القوابل أبصر يدوائها وكذلك ما يعرض للمولود بعد  
الرضاع من أدواء في بنيه الى حين الفصال فيجدهن أبصر بهن من الطبيب الماهر  
وماذا الا لا يتدن الانسان في تلك الحالة انما هو يدن انساني بالقوة فقط فاذا جاوز  
الفصال ما ريدنا انساني بالفعل فكانت حاجته حينئذ الى الطبيب أشدّ لهذه الصناعة  
كما تراه ضرورية في العمران للنوع الانساني لا يتم كون أشخاصه في الغالب دونها  
وقد يعرض لبعض أشخاص النوع الاستغناء عن هذه الصناعة اما بخلق الله ذلك لهم  
مجهزة وخرقا للعادة كما في حق الانبياء صلوات الله وسلامه عليهم أو بالهالمة وهداية يلهم  
لها المولود وبقطر عليها فيتم وجودهم من دون هذه الصناعة فاما شأن المجتر من ذلك  
فقد وقع كثيرا ومنه ما روى أن النبي صلى الله عليه وسلم ولهم سرور واحتونا واضحا  
يده على الارض شاخصا بصره الى السماء وكذلك شأن عيسى في المهد وغير ذلك وأما  
شأن الالهام فلا يشكر واذا كانت الحيوانات الجسم تقتصر بفراث من الالهامات

كأنهم وغيرهما من تلك بالإنسان المفضل عليها وخصوصا بمن اختص بكرامة الله ثم الإلهام العام للمولودين في الأقبال على التدي أو وضع شاهد على وجود الإلهام العام لهم فشان العناية الإلهية أعظم من أن يحاط به ومن هنا يفهم بطلان رأى الفارابي وحكايا الأندلس فيما احتجوا به لعدم انقراض الأنواع واستحالة انقطاع المكتوبات وخصوصا في النوع الانساني وقالوا وانقطعت أخصاصه لاستحالة وجودها بعيد ذلك لتوقفه على هذه الصناعة التي لا يتم كون الإنسان إلا بها اذ لو قدر نامر لودادون هذه الصناعة وكفالتها الى حين الفصل لم يتم بقاؤه أصلا ووجود الصنائع دون الفكر منسحق لانها غرته وتابعة له وتكلف ابن سينا في الرد على هذا الرأي لخالفته أيام وذهابها الى امكان انقطاع الأنواع وغراب عالم التكوين ثم عوده نائسا لا قبضات فلهيكة وأوضاع غريبة تندرج في الاحقاب برزعه فتقتضي تخمير طينة مناسبة لمزاجه بجمرة مناسبة فيتم كونه انسانا ثم يقبض له حيوان يخلق فيه الهام لتربيته والحنو عليه الى أن يتم وجوده وفصله وأطرب في بيان ذلك في الرسالة التي سماها رسالة حتى ينقطعان وهذا الاستدلال غير صحيح وان كانوا فقه على انقطاع الأنواع لكن من غير ما استدلل به فان دليله مبني على اسناد الالفعال الى العلة الموجبة ودليل القول بالفاعل المختار يرد عليه ولا واسطة على القول بالفاعل المختارين الافعال والقدرة القديمة ولا حاجة الى هذا التكلف \* ثم لو سلمناه جد لا فغاية ما ينبغي عليه اطراد وجود هذا الشخص بخلق الإلهام لترتيبه في الحيوان الاجم وما الضرورة الداعية لذلك واذا كان الإلهام يخلق في الحيوان الاجم فالمانع من خلقه للمولود نفسه ~~كما~~ فترناه أو لا وخلق الإلهام في شخص لمصالح نفسه أقرب من خلقه فيه لمصالح غيره فكذلك المذهبن شاهدان على أنفسهما بالاطلاق في مناحيهم ما لم يقررنه الله والله تعالى أعلم

٢٩ ( فصل في صناعة الطب وانها محتاج اليها في الحواضر والامصار دون البادية )

هذه الصناعة ضرورية في المدن والامصار لما عرف من فائدتها فان غرتا حفظ الصحة للاصحاء ودفع المرض عن المرضى بالمداواة حتى يحصل لهم البر من أمراضهم واعلم أن أصل الامراض كلها انما هو من الاغذية كما قال صلى الله عليه وسلم في الحديث الجامع للطب وهو قوله المعدة بيت الداء والحمية رأس الدواء وأصل كل داء البردة فانما قوله المعدة بيت الداء منهن وظاهر وأما قوله الحمية رأس الدواء فالحمية الجوع وهو الاستعانة من الطعام والمعى أن الجوع هو الدواء العظيم الذي هو أصل الادوية وأما قوله أصل كل داء البردة فمعنى البردة ادخال الطعام على الطعام في المعدة قبل أن يتم

هضم الاكل وشرح هذا أن الله سبحانه خلق الانسان وحفظ حياته بالغذاء يستعمله  
بالاكل ويتقنه القوى الهاضمة والغاذية الى أن يصير دماغاً لتمام أجزاء البدن من  
الجمع والعظم ثم تأخذ النامية فينقلب لها وعظماً ومعنى الهضم طبخ الغذاء بالحرارة  
الغريزية طويلاً بعد طويلاً حتى يصير جزءاً بالفعل من البدن وتفسره أن الغذاء إذا حصل  
في القوم ولا كنه الاشدق أثرت فيه حرارة القوم طبعاً يسيراً وقلت من أجله بعض الشيء  
كما تراه في اللقمة إذا تناولتها طعاماً ثم أجدتها مضغاً ترى من أجلها غير مزاج الطعام  
ثم يحصل في المعدة فتطبخه حرارة المعدة الى أن يصير كيموساً وهو صوف ذلك المطبوخ  
وترسله الى الكبد وترسل ما رسب منه في المعانة فلا ينقل الى الخرجين ثم تطبخ حرارة  
الكبد ذلك الكيموس الى أن يصير دماغاً يطا وتطغو عليه رغبة من الطبخ هي الصفراء  
وترسب منه أجزاء ما يصبه هي السوداء وتبصر الحار الغريزي بعض الشيء عن طبع  
الغليظ منه فهو البلم ثم ترسلها الكبد كلها في العروق والجداول ويأخذها طبع الحار  
الغريزي هناك فيكون عن الدم الخلص بخار حار يطبخ به الروح الحيواني وتأخذ  
النائمة مأخذها في الدم فيكون لها ثم غليظه عظاماً ثم يرسل البدن ما يفضل من حاجاته  
من ذلك فضلات مختلفة من العرق واللعاب والخصاط والدمع هذه صورة الغذاء  
وخروجه من القوة الى الفعل لها ثم إن أصل الامراض ومعظمها هي الحيات وسببها  
أن الحيات الغريزي قد يضعف عن تمام النضج في طبعه في كل طور من هذه فيبقى ذلك  
الغذاء دون نضج وبه غالباً كثرة الغذاء في المعدة حتى يكون أغلب على الحار الغريزي  
أو داخل الطعام الى المعدة قبل أن تستوفي طبع الاكل فيستقل به الحار الغريزي  
ويترك الاكل بجاله أو يتوزع عليها فقه صرع غلام الطبع والنضج وترسل المعدة كذلك  
الى الكبد فلا تقوى حرارة الكبد أيضاً على انضاجه ويصير في الكبد من الغذاء  
الاول فضلة غير ناضجة وترسل الكبد جميع ذلك الى العروق غير ناضج كما هو فاذا أخذ  
البدن حاجته الملائمة أرسله مع الفضلات الاخرى من العرق والدمع واللعاب ان  
اقتدر على ذلك وربما يعجز عن الكثير منه فيبقى في العروق والكبد والمعدة وتزيد  
مع الايام وكل ذي رطوبة من الممتزجات اذا لم يأخذها الطبع والنضج يعفن فيه من ذلك  
الغذاء غير الناضج وهو المسمى بالخلط وكل متعفن فيه حرارة غريبة وذلك هي المسماة  
في بدن الانسان بالمحى واختبر ذلك بالطعام اذا زل حتى يعفن وفي الزبل اذا تعفن أيضاً  
كيف تبعث فيه الحرارة وتأخذ مأخذها فقه دماغ الحيات في الابدان وهي رأس  
الامراض وأصلها كما وقع في الحديث وهذه الحيات علاجها بقطع الغذاء عن المريض  
أسابيع معلومة ثم يناله الاغذية الملائمة حتى يتم برؤه وذلك في حال الصحة علاج

في التعطف من هذا المرض وأصله كما وقع في الحديث وقد يكون ذلك العفن في عضو مخصوص فيقول عنه من في ذلك العضو ويحدث جراحات في البدن أما في الأعضاء الرئيسة أو في غيرها وقد ير من العضو ويحدث عنه من من القوى الموجودة هذه كلها جماع الأمراض وأصلها في الغالب من الاغذية وهذا كله مرفوع الى الطبيب ووقع هذه الأمراض في أهل الحضرة والامصار أكثر لخصب عيشهم وكثرة ما كلهم وقلة اقتصارهم على نوع واحد من الاغذية وعدم فوقيتهم لتناولها وكثرة ما يخلطون بالاغذية من التوابل والبقول والقواصص وطباويا في سبيل العلاج بالطبخ ولا يقتسرون في ذلك على نوع أو نوعين بل يمتدحون في اليوم الواحد من ألوان الطبخ أربعين نوعا من التبات والحيوان فصيل للغذاء من أجزائه غريب ورجماء يكون غريبا عن ملاءمة البدن وأجزائه ثم إن الأهوية في الامصار تفقد بمخالطة الاجرة العفنة من كثرة الفضلات والاهوية منشطة للا رواح ومقوية بنشاطها الاثر الحار القوي في الهضم ثم الرياضة مفقودة لاهل الامصار ذهم في الغالب وادعون ساكنون لا تأخذ منهم الرياضة شيئا ولا تؤثرون فيهم أثر افكان وقوع الأمراض كشيء في المدن والامصار وعلى قدر وقوعه كانت حاجتهم الى هذه الصناعة وأما اهل البدو فكلهم قليل في الغالب والجوع أغلب عليهم لقلة الحبوب حتى صار لهم ذلك عادة وربما يظن أنها حيلة لاستقرارها ثم ادم قليله لديهم أو مقفودة بالجله وعلاج الطبخ بالتوابل والقواصص فليدعو اليه من الحضانة الذين هم بمزلة عنه فيقتنوا لون اغذيتهم بسطة بعيدة عما يحتاجها ويقترب من اجها من ملاءمة البدن وأما أهويتهم فقليلة العفن لقلة الرطوبات والعفونات ان كانوا أهليين ولاختلاف الاهوية ان كانوا غلوا من ثم ان الرياضة موجودة فيهم لكثرة الحركة في ركض الخيل أو الصيد أو طلب الحاجيات لمهنة أنفسهم في حاجاتهم فيصنعون بذلك كله الهضم ويجودو ويقعد ادخال الطعام على الطعام فتصنعون أضر جنتهم أصح وأبعد من الأمراض فتقل حاجتهم الى الطب ولهذا لا يوجد الطبيب في البدايتة بوجه وماذا الا للاستغناء عنه اذا لاحت الحاجة اليه لوجوده لانه يكون له ذلك في البدو معاش يذعوه الى سكاينة الله التي قد خلقت في عباده ولن تجد لسنة الله تبديلا

---

٣٠ (فصل في ان الخط والكتابة من عداد الصنائع الانسانية)

---

وهو رسوم وأشكال حريفة تدل على الكلمات المسموعة الدالة على ما في النفس فهو ثاني رتبة من الدلالة اللغوية وهو صناعة شريفة اذا الكتابة من خواص الانسان التي

يبرزها عن الحيوان وأضافها تطلع على مافي الضمائر وتتأدى بها الاغراض الى البلد  
 البعيد تقتضى الحاجات وقد دفعت مؤنة المباشرة لها ويطلع بها على العلوم والمعارف  
 وصحف الاولين وما كتبوه من علومهم وأخبارهم فهي شريعة هذه الوجوه والمنافع  
 وخرجها في الانسان من القوة الى الفعل انما يكون بالتعليم وعلى قدر الالحاق  
 والعمران والتأخي في الكمالات والطلب لذلك تكون جودة الخط في المدينة اذهو من  
 جملة الصنائع وقد قدمننا ان هذا شأنها وانها تابعة للعمران ولهذا نجد اكثر  
 البدو اعمى لا يكتبون ولا يقرؤون ومن قرأ منهم أو كتب فيكون خطه قاصرا وقراءه  
 غير نافذة ونجد تعليم الخط في الامصار والخارج عمراتها عن الحد ابلغ وأحسن وأسهل  
 طر بقا الاستحكام الصنعة فيها كما يحكى لنا عن مصر لهذا العهد وانها مملوءة مستصين  
 لتعليم الخط يلقون على المتعلم قوانين وأحكاما في وضع كل حرف ويزيدون الى ذلك  
 المباشرة بتعليم وضعه فتعزز لديه رتبة العلم والحرف في التعليم وتأني ملكته على أتم  
 الوجوه وانما في هذا من كمال الصنائع وفوقها بكثرة العمران واتساح الاعمال وقد  
 كان الخط العربي بالقامبالغة من الاحكام والاتقان والجودة في دولة التبايعه لما بلغت  
 من الحضارة والترف وهو المسمى بالخط الحبري واتقل منها الى الحيرة لما كانت بهم من  
 دولة آل المنصور نسباء التبايعه في العصبية والمجتهدين للآل العرب بأرض العراق ولم  
 يكن الخط عندهم من الاجادة كما كان عند التبايعه لقصور ما بين الدولتين وكانت  
 الحضارة وبواعها من الصنائع وغيرها قاصرة عن ذلك ومن الحيرة لقمنا أهل الطائف  
 وقرين فيما ذكر يقال ان الذي تعلم الكتابة من الحيرة هو سفيان بن أمية وبنو امية وال حرب  
 ابن أمية وأخذها من أسلم بن سديرة وهو قول عمن وأقرب عن ذهب الى أنهم تعلموها  
 من اباد أهل العراق لقول شاعرهم

قوم لهم ساحة العراق اذا \* ساروا جميعا والخط والقلم

وهو قول بعد لان اباد وانزلوا ساحة العراق فلم يزلوا على شأنهم من البداءة والخط  
 من الصنائع الحضارية وانما معنى قول الشاعر أنهم أقرب الى الخط والقلم من غيرهم  
 من العرب لقربهم من ساحة الامصار وضواحيها فالقول بأن أهل الحجاز انما اقتنوها  
 من الحيرة ولقمنا أهل الحيرة من التبايعه وجبرهوا الابق من الاقوال وكن للحيرة كتابة  
 تسمى السندس وفيها منفصلة وكانوا يعنون من تعلمها الا باذانهم ومن جبر تعلمت محضر  
 الكتابة العربية الا أنهم لم يكونوا يجيدون لها شأن الصنائع اذا وقعت بالبدو فلا تكون  
 محكمة المذهب ولا ماثلة الى الاتقان والتبني لبون ما بين البدو والصناعة واستغنا  
 البدو عنها في الاكثر وكانت كتابة العرب بدوية مثل أقرينهم من كتابتهم لهذا العهد

أقول ان كتابهم لهذا العهد أحسن صناعة لأن هؤلاء أقرب الى الحضارة ومخاطبة  
الامصار والدول وأما مصر فكانوا أعرق في البدو وأبعد عن الحضرة من أهل اليمن  
وأهل العراق وأهل الشام ومصر فكان الخط العربي لأول الاسلام غير بالغ الى الغاية  
من الاحكام والاتقان والاجادة ولا الى التوسط لمكان العرب من البداوة والترحل  
وبعدهم عن الصنائع وانظر ما وقع لاجل ذلك في رسمهم المصنف حيث رسمه الصحابة  
بخطوطهم وكانت غير مستحكمة في الاجادة لخالف الكثير من رسومهم ما اقتضته  
رسوم صناعة الخط عند أهلها ثم اتقى التابعون من السلف رسمهم فيها تبركاً بما رسمه  
أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم وخبر الخلق من بعده المتلقون لوحية من كتاب الله  
وكلامه كما يقتضى لهذا العهد خط ولى أو عالم تبركاً ويتبع رسمه خطأ أو صواباً وأين نسبة  
ذلك من الصحابة فيما كتبوه فاتبع ذات واثبت رسمائه العلماء بالرسم على مواضعه  
ولا تفتن في ذناب ما رزعه بعض المغفلين من أنهم كانوا يحكمين لصناعة الخط وأن  
ما يتفعل من مخالفة خطوطهم لاصول الرسم ليس كما يتفعل بل لكها وجه ويقولون  
في مثل زيادة الالف في الأذبح أنه نسيه على أن الذبح لم يقع وفي زيادة الياء في بآيدانه  
نسيه على كمال القدرة الربانية وأمثال ذلك مما لا أصل له الا التحكم المحض وما حلهم  
على ذلك الا اعتقادهم أن في ذلك تنزيها للصحابة عن توهم النقص في قلة اجادة الخط  
وحسبوا أن الخط كمال فزعمهم عن نقصه ونسبوا اليهم الكمال باجاده وطلبوا تعديله  
ما خالف الاجادة من رسمه وذلك ليس بصحيح \* واعلم أن الخط ليس بكامل في حقهم  
اذ الخط من جملة الصنائع المدنية المعاشية كما رأيت فيما مرز والكامل في الصنائع اضافي  
وليس بكامل مطابق اذ لا يعود نقصه على الذات في الدين ولا في الخلال وانما يعود على  
أسباب المعاش وبحسب العمران والتعاون عليه لاجل دلالة على ما في النفوس وقد  
كان صلى الله عليه وسلم أتياً وكان ذلك كمالاً في حقه وبالنسبة الى مقامه لشرفه وتنزهه  
عن الصنائع العملية التي هي أسباب المعاش والعمران كلها وليست الامة كالأفراد  
حقنا نحن اذ هو منقطع الى ربه ونحن متعاونون على الحياة الانبثاش أن الصنائع كلها حتى  
العلوم الاصطلاحية فإن الكمال في حقه هو تنزهه عنها جملة بخلافنا ثم اجاب الملك  
للعرب وقصوا الامصار وملكو الممالك ونزلوا البصر والكوفة واحتاجت الدولة  
الى الكتابة استعملوا الخط وطلبوا صناعته وتعلمه وتدأوه فترقت الاجادة فيه  
واستحكم وبلغ في الكوفة والبصرة رسمه من الاتقان الا أنها كانت دون الغاية والخط  
الكوفي معروف لهذا العهد ثم انتشر العرب في الاقطار والممالك واقتحموا  
افريقية والاندلس واخط بنو العباس بغداد وترقت الخطوط فيها الى الغاية بلما

استجرت في العمران وكانت دأوا الاسلام ومركز الدولة العربية وكان الخط البغدادي معروف الرسم وتبعه الافريقى المعروف رسمه القديم لهذا العهد وقرب من أوضاع الخط المشرق وتبع ذلك الاندلس والامويين فتميزوا بأحوالهم من الحضارة والصنائع والخطوط فميز صنف خطهم الاندلسى كما هو معروف الرسم لهذا العهد وطما يجبر العمران والحضارة في الدول الاسلامية في كل قطر وعظم الملك ونفقت أسواق العلوم وانتسخت الكتب واجيد كتبها وتجليدها وملئت بها القصور والخزائن الملكية بما لا كفا له وتنافس أهل الأقطار في ذلك وتناغوا فيه ثم لما انحلت نظام الدولة الاسلامية وتناقصت تناقص ذلك أجمع ودرست معالم بغداد بدروس الخساسة فانتقل شأنها من الخط والكتابة بل والعلم الى مصر والقاهرة فلم تزل أسواقها نافقة لهذا العهد ولها بها معلون برسمون لتعليم الحروف بقوانين في وضعها وأشكالها متعارفة بينهم فلا يثبت المتعلم أو يحكم أشكال تلك الحروف على تلك الاوضاع وقد لقتها خشنا وحذق فيها درية وكتابا وأخذها قوانين علمية فصبى أحسن ما يكون وأما أهل الاندلس فافترقوا في الاقطار عند تلاشي ملك العرب بها ومن خلفهم من البربر وتعلبت عليهم أم النصرانية فافترقوا في عدة المغرب وافريقية من لدن الدولة المتوينة الى هذا العهد وشاركوا أهل العثران بما لديهم من الصنائع وتعلقوا بأذيال الدولة فقلبت خطهم على الخط الافريقى وعنى عليه ونسى خط القيروان والمهدية بنسبان عواندهما وصنائعهما وصارت خطوط أهل افريقية كلها على الرسم الاندلسى بنونس وما إليها لتوفر أهل الاندلس بماعتد الجالية من شرق الاندلس وبقي منه رسم يلا الجريد الذين لم يخالطوا كتاب الاندلس ولا تفرسوا بغيرها وهم انما كان يفدون على دار الملك بنونس فصاخط أهل افريقية من أحسن خطوط أهل الاندلس حتى اذا تقلص ظل الدولة الموحدية بعض الشيء وتراجع أمر الحضارة والترف بتراجع العمران نقص حينئذ حال الخط وفسدت رسمه وجعل فيه وجه التعليم بفساد الحضارة وتناقص العمران وبقيت فيه آثار الخط الاندلسى تشهد بما كان لهم من ذلك لما قلته من أن الصنائع اذا رقت بالحضارة فمسر محورها وحصل في دولة بنى مرين من بعد ذلك بالمغرب الأقصى لون من الخط الاندلسى اقرب جوارهم وسقوط من خرج منهم الى فاس قريبا واستعمالهم اياهم سائر الدولة ونسى عهد الخط فيما بعد عن سدة الملك وداره كأنه لم يعرف فصارت الخطوط بافريقية والمغرب بين مائله الى الرداءة بعبسدة عن الجودة وصارت الكتب اذا انتسخت فلا فائدة تحصل لتصحيحها منها الا العناء والمشقة لكثرة ما يقع فيها من الفساد والتهيب وتغيير الاشكال الخطية عن الجودة حتى لا تتكاد

تقرأ الأبعد عشر ووقع فيه ما وقع في سائر الصنائع بنقص الحضارة وفساد الدول  
والله أعلم

### ٣١ (فصل في صناعة الوراقة)

كانت العناية قديماً بالدواوين العلمية والسجلات في نسخها وتجليدها وتصحيحها  
بالرواية والضبط وكان سبب ذلك ما وقع من فحشاء الدولة وتوابع الحضارة وقد ذهب  
ذلك لهذا العهد بذهاب الدولة وتناقص العمران بعد أن كان منه في الملة الإسلامية  
بحر زخر بالعراق والأندلس أذهوكه من توابع العمران واتساع نطاق الدولة  
ونفاق أسواق ذلك لديها فكثر التآليف العلمية والدواوين وحرص الناس  
على تناقلها في الآفاق والأعصار فانتسخت وحللت وجاءت صناعة الوراقين  
المعابن للاتساع والتصحيح والتجليد وسائر الأمور الكندية والدواوين واختصت  
بالأمصار العظيمة العمران وكانت السجلات أولاً لاتساع العلوم وكتب  
الرسائل السلطانية والاقطاعات والصكوك في الرقوق المهمة بالصناعة من الملد  
لكثرة الرفه وقلة التآليف صد الملة كأنه ذكره وقلة الرسائل السلطانية والصكوك مع  
ذلك فاقصر وأعلى الكتاب في الرق تشريراً للمكتوبات وميلابها إلى الصحة والانتقان  
ثم طابعوا التآليف والتدوين وكثرت رسائل السلطان وصكوكه وضاق الرق عن ذلك  
فأشاروا الفضل بن يحيى بصناعة الكاغذ وصنعه وكتب فيه رسائل السلطان وصكوكه  
واخذته الناس من بعده صحفاً للمكتوبات هم السلطانية والعلمية وبلغت الاجادة في  
صناعته ما شامت ثم وقفت عناية أهل العلوم وهم أهل الدول على ضبط الدواوين  
العلمية وتصحيحها بالرواية المستندة إلى مؤلفيها ووضعها لانه الشأن الأهم من التصحيح  
والضبط فبذلك تسند الأقوال إلى قائلها والقبول إلى الجاهكهم بها المجهدين في طريق  
استنباطها وما لم يكن تصحيح المتن باسنادها إلى مدونها فلا يصح اسناد قول لهم ولا قسماً  
وتعكداً كان شأن أهل العلم وحلته في العصور والاجيال والآفاق حتى لقد قصرت  
فائدة الصناعة الحمدية في الرواية على هذه فقط اذ غرمتها الكبرى من معرفة تصحيح  
الاخاديت وحسنها ومسندها وهرسلها ومقطوعها وموقوفها من موضوعها قد  
ذهبت وتحمضت فبذلك في ذلك الاتهامات المتلقاة بالقبول عند الامة وصار القصد إلى  
ذلك لغوام العمل ولم تنجح الرواية والاشتغال بها الا في تصحيح تلك الاتهامات  
الحمدية وسواها من كتب القصة للقبول وغير ذلك من الدواوين والتآليف العلمية  
واتبعوا سندها بمؤلفيها الصحيح النقل عنهم والاسناد اليهم وكانت هذه الرسوم بالمشرق



والاندلس معبدة الطرق واضحة المسالك ولهذا تجد الدواوين المنتهضة لذلك العهد في أقطارهم على غاية من الاتقان والاحكام والصحة ومنها هذا العهد بأيدي الناس في العالم أصول عتيقة تشهد بيلوغ العناية لهم في ذلك وأهل الاتفاق يتناقلونها الى الآن ويشدون عليها يد الضائفة ولقد ذهبت هذه الرسوم لهذا العهد بحلة بالمقرب وأهل لا تقطاع صناعة الخط والصبوط الرواية منه باتقاص عمرانه وبدادة أهله وصارت الاتهامات والدواوين تفسخ بالخطوط البدوية تنسخها طلبة البربر بحاقت مستهجرة برداءة الخط وكثرة الفساد والتخفيف تستغلق على متصفحها ولا يحصل منها فائدة الا في الاقل التناذر وأيضا قد دخل الخلل من ذلك في القياتان غالب الاقوال المبرزة غير مبررة عن أئمة المذهب وانما تتلق من تلك الدواوين على ما هي عليه وتبع ذلك أيضا ما يتصدى اليه بعض أئمتهم من التأليف لقله يصرفهم بصناعته وعدم الصنائع الوافية بمقاصده ولم يبق من هذا الرسم بالاندلس الا اشارة خفية بالاتباع وهي على الاشهاد لا فقد كذا العلم ينقطع بالكلية من الغرب واقعه غالب على أمره ويلقنا لهذا العهد أن صناعة الرواية قائمة بالشرق وتصحح الدواوين ان يرويه بذلك سهل على مبتغيه لنفاق أسواق العلوم والصنائع كما ذكره بعد الآن الخط الذي يبق من الاجادة في الانساخ هنالك انما هو للعجم وفي خطوطهم وأما النسخ بمصر ففسد كما فسد بالمغرب وأشد واقعه سبحانه وتعالى أعلم وبه التوفيق

### ٣٢ (فصل في صناعة الغناء)

هذه الصناعة هي تلحين الاشعار الموسومة بتقطيع الاصوات على نسب منسجمة معروفة يوقع على كل صوت منها توقعا عند قطعه فيكون نغمة ثم تولف تلك النغم بعضها الى بعض على نسب متعارفة فيلذ سماعها الاجل ذلك التناسب وما يحدث عنه من الكيفية في تلك الاصوات وذلك أنه تبين في علم الموسيقى أن الاصوات تتناسب فيكون صوت نصف صوت رربع آخر وخمس آخر وجزأ من أحد عشر من آخر واختلف الاف هذه النسب عتبة تأديتها الى السمع يخرجها من البساطة الى التركيب وليس كل تركيب منها ملاذ وذاعدا عند السماع بل ترا كيب خاصة هي التي حصروا أهل علم الموسيقى وتكلموا عليها كما هو مذكور في موضعه وقد بساوق ذلك التلحين في النغمات الغنائية بتقطيع أصوات أخرى من الجملات اما بالقرع أو بالنفخ في الآلات فتضد لذلك فترى له الماذة عند السماع فها لهذا العهد أصناف منها ما يسمونه الشبابة وهي قصة جوفاء بأجفاس في جوانبها معدودة يتخرج فيها قصود ويخرج الصوت من جوفها على سداة من تلك

الاجناس ويقطع الصوت بوضع الاصابع من اليسار الى اليمين على تلك الاجناس وضعا  
متعارفا حتى تحدث التسبيل بالاصوات فيه وتصل كذلك متناسبة فيلذ السمع  
بادراكها المتناسب الذي ذكرناه ومن جنس هذه الآلة المزمار الذي يسمى الرالاي  
وهو شكل القبة مفعولة الجانين من الخشب جوفاء من غير تدوير ولا جمل يتلافها  
من قطعتين منفردتين كذلك بالجناس معدودة يتبع فيها بقصة صغيرة توصل فيلذ  
السمع بواسطة الياء وتصور بتقمة حادة يجرى فيها لمن تقطع الاصوات من تلك  
الاجناس بالاصابع مثل ما يجرى في الشبابة ومن أحسن آلات الزمر لهذا العهد  
البوق وهو بوق من نحاس أجوف في مقداره الذراع ينسج الى أن يكون انفتاح مخزجه  
في مقداره دون الكف في شكل برى القلم ويتبع فيه بقصة صغيرة تؤدى الريح من الفم  
اليه فيخرج الصوت فيضاد ويوقبه الجناس ايضا معدودة وتقطع تقمة منها كذلك  
بالاصابع على التناسب فيكون ممدودا ومنها آلات الاوتار وهي جوفاء كلها اما على  
شكل قطعة من الكرة مثل الربط والرباب أو على شكل مربع كالقانون بوضع الاوتار  
على سائطها ممدودة في رؤسها الى دساتر حائلة فيأتي شد الاوتار ورخوها عند  
الحاجة اليه يادارها ثم ترفع الاوتار ما بعد آخر أو وتر ممدود بين طرفي قوس يمر  
عليه بعد أن يطل في السمع والكندرو ويقطع الصوت فيه بخصف اليد امرأه أو قفله  
من وتر الى وتر واليد اليسرى مع ذلك في جميع آلات الاوتار وتوقع بأصابعها على أطراف  
الاوتار فيما يقرع أو يحك بالوتر فتحدث الاصوات متناسبة ممدودة وقد يكون القرع  
في الطبول بالقبض أو في الاعواد بعضها بعض على توقع متناسبة يحدث عنده  
التذاذ بالمسحوق وتبين لك السبب في اللذة الناشئة عن الغناء وذلك أن اللذة كما تقرر  
في موضعه هي ادراك الملائم والمحسوس اعتمادا لمنه كقصة فإذا كانت مناسبة  
للمدرك وملائمة كانت ممدودة وإذا كانت متناسبة له منافية كانت مؤلمة فالملائم من  
الطعوم ما نابت كقصة حسنة الذوق في مزاجها وكذلك الملائم من الملوسات وفي الروائح  
ما تناسب مزاج الروح القلبي البخاري لانه المدرك والبسوة تؤذي الحاسة ولهذا  
كانت الرياحين والازهار له طربات أحسن رائحة وأشتملائه للروح لقلبة الحرارة  
فيها التي هي مزاج الروح القلبي وأما المرئيات والمجموعات فالملائم فيها تناسب  
الايضاح في أشكالها وكيفياتها فهو أنسب عند النفس وأشد ملائمة لها فإذا كان المرفق  
متناسبا في أشكاله وتخطيطه التي به يصيب مآذنه بحيث لا يخرج عما تقتضيه مآذنه  
الخاصة من كمال المناسبة والوضع وذلك هو معنى الجمال والحسن في كل مدرك كان  
ذلك حيث يتناسب للنفس المدرك فتلذذ بآدراكه ملائمة له ولهذا تجد العاشق للمستترين

في الحية يعبرون عن غاية محبتهم وعشقهم بامتزاج أرواحهم بروح المحبوب وفي هذا  
 سر تفهمه ان كنت من أهله وهو اتحاد المبدأ وان كل ماسوال اذا نظرت به وتأملت  
 رأيت ذلك وبينه اتحاد في البداية يتم ذلك في اتحاد كافي السكون وهما من وجه  
 آخر أن الوجود بشرته بين الموجودات كما تقوله الحكمة فتود أن تعجز بما شاهدت  
 فيه الكمال لتعذبه بل تروم النفس حينئذ الخروج عن الوهم الى الحقيقة التي هي  
 اتحاد المبدأ والكون ولما كان أنسب الاشياء الى الانسان وأقربها الى أن يدركه  
 الكمال في تناسب موضوعها وهوشكله الانساني فكان ادراكه لجمال والحسن  
 في مخاطبته وأصواته من المذالك التي هي أقرب الى فطرته فلهج كل انسان بالحسن  
 من الرق أو بالمحجوع بمقتضى الفطرة والحسن في السمع أن تكون الاصوات  
 متناسبة لامتزاجه وذلك أن الاصوات لها كيميات من الهمس والجهر والحرارة  
 والشدّة والقلّة والضغطة وغير ذلك والتناسب فيها هو الذي يوجب لها الحسن فأولا  
 أن لا يخرج من الصوت الى مذهب دفعه بل يتدرج ثم يرجع كذلك وهكذا الى المثل بل  
 لا بد من توسط المخارين الصوتين وتأمل هذا من اقتراح أهل اللسان التراكيب من  
 الحروف المتماثلة والمتقاربة المخارج فانه من بابيه وثانيا تناسبها في الاجزاء كما مر أول  
 الباب فيخرج من الصوت الى نصفه أو ثلثه أو جزء من كذا منه على حسب ما يكون  
 التنقل مناسب على ما حصره أهل الصناعة فاذا كانت الاصوات على تناسب في  
 الكيميات كما ذكره أهل تلك الصناعة كانت ملائمة ممدودة ومن هذا التناسب ما يكون  
 بسطا ويكون الكثير من الناس مطبوعا عليه لا يحتاجون فيه الى تعليم ولا صناعة  
 كما نجد المطبوعين على الموازين الشعرية وتوقيع الرقص وآمال ذلك ونسعى العامة  
 هذه القابلة بالاضمار وكثير من القراء هذه المسألة يقرؤون القرآن فيصيدون في تلاحين  
 أصواتهم كأنهم المزمار فيطربون بحسن مساقهم وتناسب نغماتهم ومن هذا  
 التناسب ما يحدث بالتركيب وليس كل الناس يستوي في معرفته ولا كل الطبائع توافق  
 صاحبها في العمل به اذا علم وهذا هو التلحين الذي يتكفل به علم الموسيقى كما نشرحه بعد  
 عند ذكر العلوم وقد أنكر مالك رحمه الله تعالى القراءات المتلحين وأجازها الشافعي رضي  
 الله تعالى عنه وليس المراد تلحين الموسيقى الصناعية فانه لا ينبغي أن يحتفل في خطره  
 اذ صناعة الغناء مباحة للقرآن بكل وجه لان القراءة والاداء تتخلج الى مقصد ارمي  
 الصوت لتعين أداء الحروف لامن حيث اتسع الحركات في موضعها ومدة ارامتها عند  
 من يطلعه أو يقصره وأمثال ذلك والتلحين أيضا يعينه مقدار من الصوت لا يتم الا به  
 من أجل التناسب الذي قلناه في حقيقة التلحين واعتبارا أحده ما قد يحل بالآخر

اذا تعارضوا وتقدم الرواية متعين من تغيير الرواية المتقولة في القرآن فلا يمكن اجتماع  
 التلحين والاداء المعترف في القرآن بوجه وانما مرادهم التلحين البسيط الذي يهتدى  
 اليه صاحب الضمائر بطبعه كما قد سناه فريدأصواته ترديدا على نسب يدركها العالم  
 بالفناء وغيره ولا يفتنى ذلك بوجه كما قاله مالك هذا هو محل الخلاف والظاهر تنزيه  
 القرآن عن هذا كما كاهب الله الامام رحمه الله تعالى لان القرآن محل خشوع يذكر  
 الموت وما بعده وليس مقام التذاد بادراك الحسن من الاصوات وهكذا كانت قراءة  
 الصحابة رضي الله عنهم كافي اخبارهم وأما قوله صلى الله عليه وسلم لقد أوتي عزما من  
 من ابيرا ل داود فليس المراد به التريد والتلحين انما معناه حسن الصوت وأداء القراءة  
 والابانة في مخارج الحروف والنطق بها واذا قد ذكرنا معنى الفناء فاعلم أنه يحدث في  
 العمران انما انقروا ويحاذرون الضرورى الى الحاجى ثم الى الكلى وتقتضى واقعة حدث  
 هذه الصناعة لانه لا يستدعيها الامن فرغ من جميع حاجاته الضرورية والمهمة من  
 المعاش والمنزل وغيره فلا يظلم الا الغارغون عن سائر احوالهم فتشفي من اذهاب  
 الملذذات ويكفان في سلطان العجم قبل الملة منها بجزء اخر في امصارهم ومدنهم  
 وكان ملوكهم يتخذون ذلك ويولعون به حتى لقد كان ملوك القصر اهتمام بأهل هذه  
 الصناعة ولهم مكان في دولتهم وكانوا يحضرون مشاهدتهم ومجاهداتهم ويغنون فيها  
 وهذا شأن العجم لهذا العهد في كل اقلق من آفاقهم وعملهم من محالهم وأما العرب  
 فكان لهم أولافن الشعر يؤلفون فيه الكلام اجزاء متساوية على تناسب بينها في عدة  
 حروفها المتحركة والسكونية وينصرون الكلام في تلك الاجزاء تفصيلا يكون كل جزء  
 منها مستقلا بلا فائدة لا يعطف على الآخر ويحونه البيت قسلا ثم الطبع بالتجزئة  
 أولا ثم تناسب الاجزاء في المقاطع والمبادئ ثم تأدية المعنى المقصود وتطبيق الكلام  
 عليها فلهج وابه فاما من بين كلامهم يحفظ من الشرف ليس لغيره لاجل اختصاصه  
 بهذا التناسب وبعده لودونانا لاجل احوالهم وحكمهم وشرفهم ومحاكمات انهم في اصابة  
 المعانى اجادة الاساليب استمروا على ذلك وهذا تناسب الذي من أجل الاجزاء  
 والمنزل والسكون من الحروف فطرة من بصر من تناسب الاصوات كما هو معروف في  
 كتب الموسيقى انهم لم يشعروا بما سواه لانهم حينئذ لم يتفكروا ولا عرفوا صناعة  
 وكانت اليد اداة أغلب تحملهم ثم تقضى الحاجة منهم في حداث بلهم والفتيان في فضاء  
 خلواتهم فرجوا الادوات وترغوا وكانوا يسمعون الترنم اذا كان بالشعر غشاوا واذا  
 كان بالتلحين أو نوع القراءة تغنيهم بالعين المجردة والباء الموحدة وعلاها انوا حتى  
 الزجاج بأنهم ائذ كرا بالمر وهو الباقي أي بأحوال الآخرة وربما نسبوا في غنائهم بين

النعمات مناسبة بسطة كما ذكره ابن رشيقي آخر كتاب العمدة وغيره وكانوا يسمونه  
 السناد وكان أكثر ما يكون منهم في الخفيف الذي يرقص عليه ويغشي بالدف والمزمار  
 فيطرب ويستصف الحلووم وكانوا يسمون هذا الهزج وهذا البسط كله من التلاحين هو  
 من أوائلها ولا يعد أن تنطق له الطابع من غير تعليم شأن البساط كلها من الصنائع  
 ولم يكن هذا شأن العرب في بداوتهم وجاهليتهم فلما جاء الإسلام واستولوا على عمالك  
 الدنيا وحازوا سلطان المهيم وغلبوهم عليه وكانوا من البداوة والغضاضة على الحال  
 التي عرفت لهم مع غضايرة الدين وثقته في ترك أحوال الفراغ وما ليس بنافع في دين  
 ولا معاش فهجروا ذلك شيئا ولم يكن الملاذوذ عندهم إلا تجميع القراءة والترنم بالشعر  
 الذي هو دينهم ومذهبهم فلما جاءهم الترف وغلب عليهم الرفعة بما حصل لهم من غنائم  
 الامصار والى الفسادة العيش ورقة الحاشية واستحلال الفراغ وافتراق الماقتون من  
 الثرس والروم فوقعوا الى الجباز وصاروا موالى للعرب وغنوا جميعا بالعبدان  
 والطنابريوا. هازف والمزامير ومع العرب طعنهم للاصوات فطنوا عليها أشعارهم  
 ونظروا بالمدنية نشيط الفارسي وطويس وسائب حاتمولى عبيد الله بن جعفر فسمعوا  
 شعر العرب وحنوه وأجادوا فيه وطاراهم ذكر ثم أخذ عنهم عبيد وطبقته وابن سريج  
 وأقطانه وما زالت صناعة الفتاة تندرج الى أن كلفت أيام بنى العباس عند ابراهيم بن  
 المهدي و ابراهيم الموصلي وابنه اسحق وابنه جاد وكان من ذلك في دولتهم بغداد  
 ما تبعه الحديث بعده به وبجمال له هذا العهد وأمعنوا في اللهو واللعب واتخذت  
 آلات الرقص في اللبس والقضبان والأشعار التي يقرن بها عليه وجعل صنفا وحده  
 واتخذت آلات أخرى للرقص تسمى بالكزج وهي تماثيل خيسل مسرجة من الخشب  
 مطانة بأطراف أقبية يلبسها النسوان ويحاكين بها امتطاء الخيسل فيكرونها ويفرون  
 ويناقفون وأمثال ذلك من اللعب المعهدة للولائم والاعراس وأيام الأعياد وبجبال  
 الفراغ واللهو وكثرت ذلك يقدادوا مسارا العراق واتشع منها الى غيرها وكان للموصليين  
 غلام اسمه زرباب أخذ عنهم الغناء فأجاد قصر فوه الى المغرب شهرة منه فلقب بالحكم  
 ابن هشام بن عبد الرحمن الداخل أمير الاندلس فبالغ في تسكرته وركب لقائه وأسنى له  
 الجوائز والأقطاعات والبحرايات وأحلته من دولته وندما تم بكان فأورث بالاندلس من  
 صناعة الغناء ما تناقلوه الى أزمان الطوائف وطعامتها بانييلية بجزر آخر وتناقل منها  
 بعد ذهاب غضايرتها الى بلاد العدو وقافية المغرب وانقسم على أمصارها وبها  
 الآن منها ضبابية على تراجع عراهم ما تناقص دولها وهذه الصناعة آخر ما يحصل في  
 العنمران من الصنائع لأنها كالمية في غير وظيفة من الوظائف الا وظيفة الفراغ

والشرح وهي ايضا اول ما يتقطع من العمران عند اختلافه وتراجعه والله أعلم

٣٣ (فصل في اد الصنائع تكسب صاحبها عقلا وخصوصاً الكتابة والحساب)

قد ذكرنا في الكتاب أن النفس الناطقة للانسان انما توجد فيه بالقوة وأن خروجها من القوة الى الفعل انما هو بتجذد العلوم والادراكات عن المحسوسات وأول ما يتكسب بمدى بالقوة النظرية الى أن يصير ادراكا بالفعل وعقلا محضاً فتكون ذاتا روحانية ويستكمل حينئذ وجودها فوجب لذلك أن يكون كل نوع من العلم والنظر يفيدها عقلا فريدا او الصنائع أبدأ يحصل عنها وعن ملكتها قانون على استفاد من تلك الملكة فلهذا كانت الحسنة في التجربة تصيد عقلا والملكات الصناعات تصيد عقلا والحضارة الكاملة تصيد عقلا لانها مجتمعة من صنائع في شأن تدبير المنزل ومعاشرته أبناء الجنس وتحصيل الآداب في محالطتهم ثم القيام بأموال الدين واعتبار آدابها وشرائطها وهذه كلها قوانين تنظم علوما فيحصل منها زيادة عقل والكتابة من بين الصنائع أكثر افادة لذلك لانها تشتمل على العلوم والاطوار بخلاف الصنائع ويانه أن في الكتابة انتقالا من الحروف الخطية الى الكلمات اللفظية في الخيال ومن الكلمات اللفظية في الخيال الى المعاني التي في النفس ذلك دائما فيحصل لها ملكة الانتقال من الادلة الى المدلولات وهو مدعى النظر العقلي الذي يكسب العلوم المجهولة فيكسب بذلك ملكة من التسهل تكون زيادة عقل ويحصل به قوة فطنة وكسب في الامور ما تعودوه من ذلك الانتقال ولذلك قال كسرى في كتابه لما رآهم يثلث الفطنة والكسب فقال ديوانه أي شياطين وبنون قالوا بذلك أصل اشتقاق الديوان لاهل الكتابة ويلحق بذلك الحساب فان في صناعة الحساب نوع تصرف في العدد بالضم والتفريق محتاج فيه الى استدلال كثير فيبقى منه دالا استدلال والنظر وهو معنى العقل والله أعلم

(الفصل السادس من الكتاب الاول)

في العلوم واصنافها والتعليم بطرقه وسائر وجوهه وما يعرض في ذلك كله من الاحوال وفيه مقدمة ولواحق

١ (فصل في ان العلم والتعليم طبعي في العمران البشري)

وذلك أن الانسان قد شاركت جميع الحيوانات في حيوانيته من الحبس والحركة والغذاء والكن وغير ذلك وانما يتميز عنها بالتفكر الذي يهتدى به لتحصيل معاشه والتعاون عليه بآبائه واجتهاد المهية لذلك التعاون وقبول ما جاء به الانبياء

عن الله تعالى والعمل به واتباع صلاح آخره فهو مفكر في ذلك كله دائماً لا يفقر عن  
 التفكير فيه طريقة عين بل اختلاج الفكر أسرع من لمح البصر وعن هذا الفكر تنشأ  
 العلوم وماقتنائه من لسانه ثم لاجل هذا الفكر وما يجبل عليه الإنسان بل الحيوان  
 من تحصل ما تستدعيه الطباع فيكون الفكر راغباً في تحصيل ما ليس عنده من  
 الادراكات فيرجع الى من سبقه بعلم أو زاد عليه بعرفه أو ادراكاً وأخذ من تقدمه  
 من الانبياء الذين يلغونه لمن تلقاه فيلقن ذلك عنهم ويحرص على أخذه وعلمه ثم إن فكره  
 ونظيره يتوجه الى واحد واحد من الحقائق وينظر ما يعرض له لذاته واحد ابعد آخر  
 ويترن على ذلك حتى يصير الحقائق العوارض تلك الحقيقة المكنة له فيكون حينئذ  
 علمه بما يعرض لتلك الحقيقة علماً مخصوصاً وتشرف نفوس أهل الجبل الثاني الى  
 تحصيل ذلك فيفزعون الى أهل معرفته ويحيي التعليم من هذا فقد تبين بذلك أن العلم  
 والتعليم طبعي في البشر

## ٢ (فصل في ان التعليم للعلم من جهة الصنائع)

وذلك أن الخلق في العلم والتقني فيه والاستيلاء عليه انما هو يحصل ملكة في الاحاطة  
 بباديه وقواعده والوقوف على مسائله واستنباط قروعه من أصوله وبالم تحصيل هذه  
 الملكة لم يكن الخلق في ذلك الفن المتناول باصلاح هذه الملكة هي في غير القهم والوعي  
 لا ما يجد فهم المسئلة الواحدة من الفن الواحد وعباسه شتر كابين من شد في ذلك الفن  
 وبين من هو مبتدئ فيه وبين العاصي الذي لم يحصل علماً وبين العالم الحرير والملكة  
 انما هي للعالم أو الشادي في الفنون دون من سواه فدل على أن هذه الملكة غير القهم  
 والوعي والملكات كلها جسمانية سواء كانت في البدن أو في الدماغ من الفكر وغيره  
 كل حسب والجسمانيات كلها محمودة فتفتقر الى التعليم ولهذا كان السند في التعليم  
 في كل علم وأصناعة الى مشاهير المعلمين فيما تبرا عند كل أهل أقب وجبل وبدل أيضاً  
 على أن تعليم العلم صناعة اختلاف الاصطلاحات فيه فكل انما من الأئمة المشاهير  
 اصطلاح في التعليم يختص به شأن الصنائع كلها فدل على أن ذلك الاصطلاح ليس من  
 العلم والالكان واحداً عندي جميعهم ألا ترى الى علم الكلام كيف تختلف في تعليمه  
 اصطلاح المتقدم والمتأخرين وكذا أصول الفقه وكذا العربية وكذا كل علم يتوجه  
 الى مطالعة تبيد الاصطلاحات في تعليمه متضافرة فدل على أنها صناعات في التعليم  
 والعلم واحد في نفسه واذا تقرر ذلك فاعلم أن سبب تعليم العلم لهذا العهد قد كاد  
 أن يتقطع عن أهل المغرب باختلال عرانه وتناقص الدول فيه وما يحدث عن ذلك

من نقص الصنائع وقد انما كما هو وذلك أن القروان وقرطبة كانتا حاضرتي المغرب  
والاندلس واستبحر عمرانها وكل فيهما للعلوم والصنائع أسواق نافقة ومجوزاخرة  
وربح فيها التعليم امتداد عصورها وما كان فيها من الحضارة فلما خربنا انقطع  
التعليم من المغرب الا قليلا كان في دولة الموحدين بما كثر مستقاداتها ولم تزد  
الحضارة بما كثر لبداء الدولة الموحدية في أولها وقرب عهد انقراضها عبيدنا فلم  
تتصل أحوال الحضارة فيها الا في الاقل وبعد انقراض الدولة بما كثر ارتحل  
الى المشرق من افرقية القاضي أبو القاسم بن زيتون لعهد واسط المائة السابعة  
فأدرك تلميذا الامام ابن الخطيب فأخذ عنهم ولقن تعليمهم وحذق في العقليات  
والنقلات ورجع الى تونس يعلم كثير وتعليم حسن وجاء على أثره من المشرق أبو عبد  
الله بن شعيب الذكالي كان ارتحل اليه من المغرب فأخذ عن مشيئة مصر ورجع الى  
تونس واستقر بهم او كان تعليمه مقيدا فأخذ عنهم أهل تونس واتصل سنده تعليمه ما في  
تلاميذه اجيالا بعد جيل حتى انتهى الى القاضي محمد بن عبد السلام شارح ابن  
الحاجب وتلميذه وانتقل من تونس الى تلمسان في ابن الامام وتلميذه فانه قرأ مع ابن عبد  
السلام على مشيئة واحدة وفي مجالس بأعيانها وتلميذ ابن عبد السلام بنونس وابن  
الامام تلمسان لهذا العهد الا أنهم من القلة بحيث يفتنى انقطاع سندهم ثم ارتحل  
من زواوة في آخر المائة السابعة أبو علي ناصر الدين المشدالي وأدرك تلميذ أبي عمرو بن  
الحاجب وأخذ عنهم ولقن تعليمهم وقرأ مع شهاب الدين القرافي في مجالس واحدة  
وحذق في العقليات والنقلات ورجع الى المغرب بعلم كثير وتعليم مقيد ونزل بجاية  
واتصل سنده تعليمه في طلبها ورجع الى تلمسان عمران المشدالي من تلميذه وأوطنها  
وبث طريقته فيها وتلميذه لهذا العهد بجاية وتلمسان قليل أو أقل من القليل وبقيت  
فاس وسائر أقطار المغرب خلوا من حسن التعليم من لدن انقراض تعليم قرطبة  
والقروان ولم يتصل سنده التعليم فيهم فصر عليهم حصول الملكة والحذق في العلوم  
وأيسر طرق هذه الملكة فتق اللسان بالخواصة والمناظرة في المسائل العلمية فهو الذي  
يقرب شأنها ويحصل مرادها فتجد طالب العلم منهم بعد ذهاب الكثيرين أمما رهم في  
ملازمة المجالس العلمية سكوتا لا ينطقون ولا يفاوضون وعنايتهم بالحفظ أكثر من  
الحاجة فلا يحصلون على طائل من ملكة التصرف في العلم والتعليم ثم بعد تحصيل من  
يرى منهم أنه قد حصل بجد ملكة فاحصرة في علمه ان فاض أو ناظر أو علم وما تأهيم  
المقصود الا من قبل التعليم وانقطاع سنده والاخفطهم أبلغ من حفظ سواهم لسند  
عنائهم به ونظنهم أنه المقصود من الملكة العلمية وليس كذلك وما يشهد بذلك في المغرب



ان المدة المقيمة السكنى طلبة العلم بالمدارس عندهم ست عشرة سنة وهى تونس  
 خمس سنين وهذه المدة بالمدارس على التعارف هى أقل ما يأتى فيه الطالب العلم  
 حصول منفعته من الملكة العلية والياس من تحصيلها فاطال أمدها فى المغرب  
 لهذه المدة لأجل عسرهما من قلته الجردة فى التعليم خاصة لعماسوى ذلك  
 وأما أهل الأندلس فذهب رسم التعليم من بينهم وذهبت عنايتهم بالعلوم لتناقص عمران  
 المسلمين بها منذ ثمن من السنين ولم يبق من رسم العلم فيه الا فن العربية والأدب  
 اقصر واعليه واخفظ سند تعليمه بينهم فاحفظ بحفظه وأما الفقه بينهم فرسم خلوا أثر  
 بعدعين وأما العقائد فلا أثر ولا عين وما ذاك الانقطاع بسند التعليم فيها بتناقص  
 العمران وتغلب العدو على عانتها الا قليلا بسبب البحر شغلهم بعائشهم **كثيرون**  
 شغلهم بما بعدوا والله غالب على أمره \* وأما المشرق فلم ينقطع سند التعليم فيه بل  
 أسواقه نافقة ويجوره زائفة لاتصال العمران الموفور واتصال السند فيه وان كانت  
 الامصار العظيمة التى كانت عادن العلم قد خربت مثل بغداد والبصرة والكوفة الا  
 أن الله تعالى قد أدا لهنها بمصار أعظم من تلك وانتقل العلم منها الى عراق العجم  
 بخراسان وما وراء النهر من المشرق ثم الى القاهرة ومالها من المغرب فلم تزل موفورة  
 وعمرانها متصلا وسند التعليم بها قائما فأهل المشرق على الجملة أرسخ فى صناعة تعليم  
 العلم بل وفى سائر الصنائع حتى انه ليقطن **كثيرون** من رحالة أهل المغرب الى المشرق فى  
 طلب العلم ان يحقولهم على الجملة أكل من حقول أهل المغرب وانهم أشد تنبها  
 وأعظم كياسة بطرتهم الاولى وان نفوسهم الناطقة أكل بخطرته من نفوس أهل  
 المغرب ويعتقدون التناوب بينها وبينهم فى حقيقة الإنسانية ويتشجعون لذلك ويولعون  
 به لما يرون من كبرهم فى العلوم والصنائع وليس كذلك وليس بين قطر المشرق والمغرب  
 تفاوت بهذا المقدار الذى هو تفاوت فى الحقيقة الواحدة اللهم الا الاطاليم المنصرفه  
 مثل الاقل والسابع فان الامزجة فيها منصرفه والنقص على نسبتها كالمز واما الذى  
 فضل به أهل المشرق أهل المغرب هو ما يحصل فى النفس من آثار الحضارة من العقل  
 المزيد كما تقدم فى الصنائع وزيد الا تحقيقا وذلك أن الحضرة لهم آداب فى أحوالهم  
 فى المعاش والمصطنع والبناء وأموال الدين والدنيا وكذا سائر أعمالهم وعاداتهم  
 ومعاملاتهم وجميع تصرفاتهم فلمهم فى ذلك كله آداب يوقف عندها فى جميع  
 ما يتناولونه ويتلبسون به من أخذ وترك حتى كأنها حدود لا تتعدى وهى مع ذلك صنائع  
 يتلقاها الاخر عن الاول منهم ولا شك أن كل صناعة مرتبة يرجع منها الى النفس أثر  
 يكسبها عقلا جديداً تنعقبه لقبول صناعة أخرى وتبها بها العقل لسرعة الإدراك

المعارف \* ولقد بلغنا في تعليم الصنائع عن أهل مصر غايات لا تدرك مثل أنهم يعلمون الجرا لا نسبة والحوانات الججم من الماشي والطائر مفردات من الكلام والاتصال يستغرب ندورها ويجهز أهل المغرب عن فهمها وحسن الملكات في التعليم والصنائع وسائر الاحوال العادية يزيد الانسان ذكاه في عقله وإضافة في فكره بكثرة الملكات الحاصلة للنفس اذ قد نمنا أن النفس انما تنشأ بالادراكات وما يرجع اليها من الملكات فيزدادون بذلك كسالم ما يرجع الى النفس من الآثار العلية فيظنه العاقل نقاونا في الحقيقة الانسانية وليس كذلك ألا ترى الى أهل الحضرمع أهل البدو كيف تعبد الحضري مصليا بالذكاه محتلتا من الكس حتى ان البدوي لظنه أنه قد فاته في حقيقة انسانيته وعقله وليس كذلك وماذا الا لاجادته في ملكات الصنائع والآداب في العوائد والاحوال الحضرية ما لا يعرفه البدوي فلما استلوا الحضري من الصنائع وملكاتها وحسن تعليمها فطن كل من قصر عن تلك الملكات انها الكمال في عقله وأن نفوس أهل البدو قاصرة بضررتها وجبلتها عن فطرته وليس كذلك فاما فحين من أهل البدو من هو في أعلى رتبة من الفهم والكمال في عقله وفطرته انما الذي ظهر على أهل الحضرمع ذلك هو دورق الصنائع والتعليم فان لها آثارا ترجع الى النفس كما قد نمناه ~~و~~ كذلك أهل المشرق لما كانوا في التعليم والصنائع أوسع رتبة وأعلى قدما وكان أهل المغرب أقرب الى البدو ولما قد نمناه في الفصل قبل هذا فطنوا المفضلون في ما يدى الرأي انه لكمال في حقيقة الانسانية اختصوا به عن أهل المغرب وليس ذلك بصحيح ففهمه والله يري في الخلق ما يشاء وهو اله السموات والارض

٣ (فصل في ان العلوم انما تكثر حيث يكثر العمران وتعمم الحضارة)

والسبب في ذلك أن تعليم العلم كما قد نمناه من جهة الصنائع وقد كما قد نمنا أن الصنائع انما تكثر في الامصار وعلى نسبة عمرانها في الكثرة والقلة والحضارة والترف تكون نسبة الصنائع في الجوده والعكس لانه أمر زائد على المعاش فحق فقلت أعمال أهل العمران عن معاشهم انصرفت الى ما وراء المعاش من التصرف في خاصية الانسان وهي العلوم والصنائع ومن تشوف بضرته الى العلم عن نشأ في القرى والامصار غير المتقدمة فلا يجد فيها التعليم الذي هو صناعتهم فقد ان الصنائع في أهل البدو كما قد نمناه ولا بد لهم من الرحلة في طلبه الى الامصار المستبشرة شأن الصنائع كلها واعتبر ما قرأناه بحال بغداد وقرطبة والقديوان والبصرة والكوفة لما كثر عمرانها صدرا لاسلام واستوت فيها الحضارة فكيف زخرت فيها بحار العلم وفننت والى

اصطلاحات التعليم وأصناف العلوم واستنباط المسائل والقنون حتى أروا على المتقدمين وقاوا المتأخرين ولم ينقص عمرها وابتدع سكانها النطوى ذللة البساط بعاطية جلة وفقد العلم بها والتعليم وانتقل إلى غيرها من أمصار الاسلام وفنح لهذا العهد نرى أن العلم والتعليم انما هو بالقاهرة من بلاد مصر لما أن عمرها مستجير وحضارتها مستحكمة منذ آلاف من السنين فاستحكمت فيها الصنائع وتفتت وبن جلتها تعليم العلم وأكذلك فيها وحفظه ما وقع لهذه العصور بهما من ثمين من السنين في دولة الترتل من أيام صلاح الدين بن أيوب وحلم جبراً وذلك أن أمراء الترتل في دولتهم يخشون عادية سلطانهم على من يخلقونه من ذريتهم بالله عليهم من الرق او الولاء ولما يضمنى من معاطب الملك وتكاته فاستكثر وامن ببناء المدارس والزوايا والربط ووقفوا عليها الاوقاف المنة ليعملون فيها شركال ولد لهم بنظر علمياً وانصيب منها مع ما فيهم غالباً من الجنوح إلى الخير والناس الاجور في المقاصد والافعال فكثرت الاوقاف لذلك وعظمت الغلات والقوائد وكثر طالب العلم وعلمه بكثرة جراتهم منها واربعل اليه الناس في طلب العلم من العراق والمغرب وتفتت بها أسواق العلوم وزخرت بحارها والله يعلق ما يشاء

#### ٤ (فصل في اصناف العلوم الواقعة في العمران لهذا العهد)

(اعلم) أن العلوم التي يخوض فيها البشر يتداولونها في الامصار فبصلاً وتعلماً هي على صنفين صنف طبيعي للانسان يهتدى اليه بفكره وصنف تقلي يأخذه عن وضعه والاول هي العلوم الحكيمة الفلسفية وهي التي يمكن أن يقف عليها الانسان بطبيعة فكره ويهتدى بمداركه البشرية إلى موضوعاتها ومسائلها وانحاء ابراهيمها ووجوه تعليلها حتى يقفه نظره ويحتمه على الصواب من الخطا فيها من حيث هو انسان ذو فكر والثاني هي العلوم الثقيلة الوضعية وهي كلها مستندة إلى الخبر عن الواضع الشرعي ولا مجال فيها للعقل الا في الحلق القرويع من مسائلها بالاحول لان الجزئيات الحادثة المتعاقبة لا تندرج تحت الثقل الكلي سمجج وضعه فتنحج إلى الالتحاق بوجه قياسي الا أن هذا القياس يتفرع عن الخبر بنبوت الحكم في الاصل وهو تقلي ف يرجع هذا القياس إلى الثقل لتفرعه عنه وأصل هذه العلوم الثقيلة كلها هي الشرعيات من الكتاب والسنة التي هي مشروعة لتأمن الله ورسوله والله يعلق بذلك من العلوم التي تهيم بها الافادة ثم يستنبع ذلك علوم اللسان العربي الذي هو لسان الملة وبه نزل القرآن وأصناف هذه العلوم الثقيلة كثيرة لان المكلف يجب عليه أن يعرف

أحكام الله تعالى المفروضة عليه وعلى أبنائه جنسه وهي مأخوذة من الكتاب والسنة  
بالنص أو بالإجماع أو بالالحاق فلا بد من النظر في الكتاب بيان ألقائه أو لا وهذا هو  
علم التفسير ثم بإسناد نقله ودوايته إلى النبي صلى الله عليه وسلم الذي جاء به من عند  
الله واختلف روايات القراء في قراءته وهذا هو علم القراءات ثم بإسناد السنة إلى  
صاحبها والكلام في الرواة الساقطين لها ومعرفة أحوالهم وعداتهم يقع الوثوق  
بأخبارهم بعلم ما يجب العمل بمقتضاه من ذلك وهذه هي علوم الحديث ثم لا بد في  
استنباط هذه الأحكام من أصولها من وجه قانوني يفيد العلم بكيفية هذا الاستنباط  
وهذا هو أصول الفقه وبعد هذا تحصل الثمرة بمعرفة أحكام الله تعالى في أفعال المكلفين  
وهذا هو الفقه ثم إن التكليف منها بدئي ومنها قلبي وهو المختص بالآيمان وما يجب  
أن يعتقد مما لا يعتد به وهذه هي العقائد الإيمانية في الذات والصفات وأموال الحشر  
والنعيم والعذاب والقدر والخلق عن هذه بالأدلة العقلية هو علم الكلام ثم النظر في  
القرآن والحديث لا بد أن تتقدمه العلوم اللسانية لأنه متوقف عليها وهي أصناف ثلثها  
علم اللغة وعلم النحو وعلم البيان وعلم الأدب حسيات تكلم عليها كلها وهذه العلوم  
النقلية كلها محتملة بالله الأسلامية وأهلها وإن كانت كل له على الجملة لا بد فيها من  
مثل ذلك فهي مشاركة لها في الجنس البعيد من حيث أنها علوم الشريعة المنزلة من  
عند الله تعالى على صاحب الشريعة المبلغ لها أو أفعالها بخصوص فبأية جامع  
الملل لأنها ناسخة لها وكل ما قبلها من علوم الملل فمحجورة والنظر فيها محظور فقد  
نهى الشرع عن النظر في الكتب المنزلة غير القرآن قال صلى الله عليه وسلم لا تصدقوا  
أهل الكتاب ولا تكذبوهم وقولوا آمنا بالذي أنزل إلينا وأنزل إليكم وإلهنا وإلهكم  
واحد ورأى النبي صلى الله عليه وسلم في يد عمر رضي الله عنه ورقة من التوراة  
فغضب حتى تبين الغضب في وجهه ثم قال ألم آتكم بها بيضاء نقية والله لو كان موسى  
حيما وسعه الاتباع ثم إن هذه العلوم الشرعية النقلية قد نفقت أسواقها في هذه  
الأملة بما لا يزيد عليه وانتهت فيها مدارك الناظرين إلى الغاية التي لا فوقها وهذبت  
الاصطلاحات ووثبت القنون فجاءت من وراء الغاية في الحسن والتنسيق وكان لكل  
فن رجال يرجع إليهم فيه وأوضاع يستقدمها التعليم واختص المشرق من ذلك  
والمغرب بما هو مشهور منها حسان ذكره الآن عند تعدد هذه القنون وقد كسدت  
لهذا العهد أسواق العلم بالمغرب لتناقض العمران فيه وانقطاع سند العلم والتعليم كما  
قد تمتنا في الفصل قبله وما أدري ما فعل الله بالمشرق والظن به نفاق العلم فيه واتصال  
التعليم في العلوم وفي سائر الصنائع الضرورية والكجالية لكثرة عمرانه والحضارة

ووجود الاعانة لطالب العلم بالبرايين من الاوقاف التي اتسعت بها اوزارهم والله سبحانه  
وتعالى هو لفعاله الخير ويده التوفيق والاعانة

٥ (علوم القرآن من التفسير والقراآت)

القرآن هو كلام الله المنزل على نبيه المكتوب بين دفتي المحصف وهو متواتر بين الامة  
الآن الصحابة رويوه عن رسول الله صلى الله عليه وسلم على طرق مختلفة في بعض  
الفاظه وكيفيات الحروف في آدائها وتوكل ذلك واشهر الى أن استقرت عندها سبع  
طرق معينة وتواتر نقلها أيضاً بأدائها واختصت بالانساب الى من اشتهر بروايتها من  
العلم القدير فصارت هذه القراآت السبع أصولاً للقراءة وربما يزيد بعد ذلك قراآت  
أخر خلقت بالسبع الا انها عند أئمة القراء لا تقوى قوتها في النقل وهذه القراآت  
السبع معروفة في كتبها وقد خالف بعض الناس في تواتر طرقها الا انها عندهم  
ككلمات للاداء وهو غير مضطرب وليس ذلك عندهم بقادر على تواتر القرآن  
وأما الأكثر فالواو تواترها وقال آخرون تواتر غير الاداء منها كالتسهيل لعدم  
لوقوف على كيفية النطق وهو الصحيح ولم يزل القراء يتداولون هذه القراآت  
وروايتها الى أن كتبت العلوم ودققت فكتبت فيما كتب من العلوم وصارت صناعة  
مخصوصة وعلم منفرد وشاركه الناس بالشرق والاندلس في جيل بعد جيل الى أن  
ملك بشرق الاندلس مجاهد من موالى العامرين وكان معتنياً بهذا الفن من بين فنون  
القرآن لما اخدمه مولاه المنصور بآي عامر واجتهد في تعليمه وعرضه على من كان  
من أئمة القراء بمحضته فكان سهمه في ذلك وافرا واختص مجاهد بذلك بالملوة  
دانية والجزائر الشرقية فنفتت به اسواق القراءة لما كان هو من أئمتها وما كان لهم من  
العناية بآثار العلوم عموماً وبالقراآت خصوصاً فظهر له هذا أبو عمرو الداني وبلغ  
الغاية فيها ووقف عليه معرفتها وانتهت الى روايته أساسين لها وتعدت تأليفه فيها  
وعول الناس عليها وعدلوا عن غيرها واعتمدوا من بينها ككتاب التيسير ثم ظهر بعد  
ذلك فيما يليه من العصور والاجيال أبو القاسم ابن فير من أهل طابطة فسمي الى  
تهذيب مادونه أبو عمرو وتلخيصه فنظم ذلك كله في قصيدة لغز فيها أسماء القراء بحروف  
أ ب ج د ز تبا ح ك م ل ن س ر ط ع ه و ما قصده من الاختصار وليكون أسهل للحفظ  
لاجل نظمها فاستوعب فيها الفن استيعاباً حسناً وصحى الناس بحفظها وتلقيها  
للولدان المتعلمين وجرى العمل على ذلك في امصار المغرب والاندلس وربما اضيف  
الى فن القراآت فن الرسم أيضاً وهي أوضاع حروف القرآن في المحصف ورسومه  
الخطية لان فيه حروفاً كثيرة وقم رسمها على غير المعروف من قياس الخط ككتابة الباء

في يأيسد وزيادة الالتف في لاذبحنه ولاواضعوا والواو في جزا والظالمين وحذف  
 الالتفات في مواضع دون أخرى وما رسم فيه من التاآت معدودا والاصل فيه مربوط  
 على شكل الهاء وغير ذلك وقد مر تعليل هذا الرسم المصحف عند الكلام في الخط فلما  
 جاءت هذه المخالفة لاوضاع الخط وقانونه احتج الى حصرها فكتب الناس فيها  
 أيضا عند كتبهم في العلوم واتهمت بالمقرب الى أبي عمرو الداني المذكور فكتب فيها  
 كتباً من أشهرها كتاب المقنع وأخذ به الناس وعزوا عليه وتطعمه أبو القاسم  
 الشاطبي في قصيدته المشهورة على روى الراي وولم الناس بحفظها ثم كثرت الخلاف  
 في الرسم في كلمات وحروف أخرى ذكرها أبو داود وسليمان بن نجاح من موالى مجاهد  
 في كسبه وهو من تلاميذ أبي عمرو والداني والمشتهر بحمل علومه ورواية كسبه ثم نقل بعده  
 خلاف آخر فنظم النحر من المتأخرين بالمقرب أرجوزة أخرى زاد فيها على المقنع  
 خلافاً كثيراً وعزاه لناقله واشتهرت بالمغرب واقتصرت الناس على حفظها وهجرها بها  
 كتب أبي داود وأبي عمرو والشاطبي في الرسم \* (وأما التفسير) \* فاعلم أن القرآن  
 نزل بلغة العرب وعلى أساليب بلاغتهم فكانوا كلهم يفهمونه ويعلمون معانيه في  
 مفرداته وتراكيبه وكان ينزل جلا جلا وآيات آيات لبيان التوحيد والقروض الدينية  
 بحسب الوقائع ومنها ما هو في العقائد الإيمانية ومنها ما هو في أحكام الجوارح ومنها  
 ما يتقدم ومنها ما تأخر ويكون فاصلة وكان النبي صلى الله عليه وسلم بين الجملة  
 وغير المتناسخ من المتسوخ ويعرفه أصحابه يعرفونه وعرفوا سبب نزول الآيات ومقتضى  
 الحلال منها منقولاً عنه كما علم من قوله تعالى إذا جاء نصر الله والفتح أنها نزلت النبي صلى  
 الله عليه وسلم وأمثال ذلك ونقل ذلك عن الصحابة رضوان الله تعالى عليهم أجمعين  
 وتداول ذلك التابعون من بعدهم ونقل ذلك عنهم ولم يزل ذلك مستاقلاً بين الصدر  
 الأول والسلف حتى صارت المعارف علوماً ودونت الكتب فكتب الكثير من ذلك  
 ونقل الاستأثار الواردة فيه عن الصحابة والتابعين وانتهى ذلك الى الطبري والواقدي  
 والتهالبي وأمثال ذلك من المفسرين فكتبوا فيه ما شاء الله أن يكتبوه من الآثار  
 صارت علوم اللسان صناعة من الكلام في موضوعات اللغة وأحكام الأعراب  
 والبلاغة في التراكيب فوضعت الدواوين في ذلك بعد أن كانت ملكات للعرب  
 لا يرجع فيها الى النقل ولا كتاب فتشوى ذلك وصارت تلقى من كتب أهل اللسان  
 فاحتج الى ذلك في تفسير القرآن لانه لسان العرب وعلى منهاج بلاغتهم وصار التفسير  
 على صنفين تفسير ينقل مستنداً الى الآثار المنقولة عن السلف وهي معرفة الناسخ  
 والمتسوخ وأسباب النزول ومقاصد الآسى وكل ذلك لا يعرف الا بالنقل عن الصحابة

والتابعين وقد جمع المتقدمون في ذلك وأوعوا الآن كتبهم ومقولاتهم فنقل على  
 القث والخنين والقبول والمردود والسبب في ذلك أن العرب لم يكونوا أهل كتاب ولا علم  
 وانما غلبت عليهم البداوة والاتبية واذا نشئوا في معرفة شيء مما تشوقوا اليه النفوس  
 البشرية في أسباب المكتونات وبده الخليفة وأسرار الوجود فاجابوا عن أهل  
 الكتاب قبلهم ويستفيدون منهم وهم أهل التوراة من اليهود ومن تبع دينهم من  
 النصارى وأهل التوراة الذين بين العرب يومئذ بادية مثلهم ولا يعرفون من ذلك الا  
 ما تعرفه العالمة من أهل الكتاب ومعظمهم من حير الذين أخذوا بدين اليهودية فلما  
 أسلموا بقوا على ما كان عندهم مما لا تنطق له بالاحكام الشرعية التي يحتاطون لها مثل  
 أخباره انطبعة وما يرجع الى الحدوث والملاحم وأمثال ذلك وهو لا يمثل كعب  
 الاجار وروهب بن منبه وعبد الله بن سلام وأمثالهم فامتلات التفاسير من المنقولات  
 عندهم في أمثال هذه الاغراض أخبار موقوفة عليهم وليست مما يرجع الى  
 الاحكام فيتحري في العصة التي يجب بها العمل ويساهل المفسرون في مثل ذلك  
 ولموا كتب التفسير بهذه المنقولات وأصلها كما قلنا عن أهل التوراة الذين  
 يسكنون البادية ولا تحقيق عندهم معرفة ما ينقلونه من ذلك الا أنهم بعد صيتهم  
 وضمت أقدارهم لما كانوا عليه من المقامات في الدين والملة فقلقت بالقول من  
 يوهن فقلما يرجع الناس الى التحقيق والتصحيح وجاء أبو محمد بن عطية من متأخري  
 المغرب فلفظ تلك التفاسير كلها ونحري ما هو أقرب الى العصة منها ووضع ذلك في كتاب  
 متداول بين أهل المغرب الاندلس حسن المنهى وتبعه القرطبي في تلك الطريقة على  
 منهاج واحد في كتاب آخر منهم وربا المشرق \* والصنف الآخر من التفسير وهو  
 ما يرجع الى اللسان من معرفة اللغة والاعراب والبلاغة في تأدية المعنى بحسب  
 المقاصد والاساليب وهذا الصنف من التفسير قل أن يفرده عن الاول اذا الاول هو  
 المقصود بالذات وانما جاء هذا بعد أن صار اللسان وعلومه صناعة ثم قد يكون في بعض  
 التفاسير غالبا ومن أحسن ما أشق عليه هذا القرن من التفاسير كتاب الكشاف  
 للزمخشري من أهل خوارزم العراق الآن مؤلفه من أهل الاعتزال في العقائد فيأتي  
 باطراح على مذهبهم الفلسفة تحت قرض له في آي القرآن من طرق البلاغة قصار  
 بذلك السعيقين من أهل السنة انحراف عنه وتعمد للجهل به ومن مكلفه مع اقرارهم  
 بفسوخ قدمه فيما يتعلق باللسان والبلاغة واذا كان الناظر فيه واقفا مع ذلك على  
 المذاهب السنية محسنا للصالح عنفلا يجرم أنه مأخوذ من غوائله فلتعظم مطالعته  
 لغرابية فتونه في اللسان ولقد وصل اليه في هذه العصور تأليف لبعض العراقيين

وهو شرف الدين الطيبي من أهل نوريمن عراق العجم شرح فيه كتاب الزمخشري  
هذا وتتبع ألفاظه وتقرض لمذاهبه في الاعتزال بأدلة تزييفها وبين أن البلاغة انما  
تقع في الآية على ما يراه أهل السنة لا على ما يراه المعتزلة فأحسن في ذلك ما سامع  
استاعه في سائر فنون البلاغة وفوق كل ذي علم عليم

## ٦ (علوم الحديث)

وأما علوم الحديث فهي كثيرة ومتنوعة لأن منها ما يطر في ناسخه ومنسوخه وذلك  
بما ثبت في شريعنا من جواز النسخ ووقوعه لظننا من الله بعباده وتخييفنا عنهم باعتبار  
مصلحتهم التي تكفل لهم بها قال تعالى ما ننسخ من آية أو ننسها نأت بخير منها أو مثلها  
فإذا تعارض الخبران بالنفي والأثبت وتعدوا لجمع بينهما بعض التأويل وعلم  
تقدم أحدهما تعين أن المتأخر ناسخ ومعرفة الناسخ والمنسوخ من أهم علوم الحديث  
وأصعبها قال الزهري أعيان النسخ ما أجزهم أن يعرفوا ناسخ حديث رسول الله صلى  
الله عليه وسلم من منسوخه وكنان الشافعي رضي الله عنه فيه قدم راسخة ومن  
علوم الأحاديث النظر في الأسانيد ومعرفة ما يجب العمل به من الأحاديث بوقوعه على  
السند الكامل الشروط لأن العمل انما واجب بما يقبل على الظن صدقه من أخبار  
رسول الله صلى الله عليه وسلم فيجتهد في الطريق التي تحصل ذلك الظن وهو معرفة  
رواة الحديث بالعدالة والضبط وانما ثبت ذلك بالنقل عن اعلام الدين بتعدايلهم  
وبرائتهم من الجرح والفضلة وكون لنا ذلك دليلا على القبول أو الترتل وكذلك  
مراتب هؤلاء لفظة من الصحابة والتابعين وتفاوتهم في ذلك وتميزهم فيه واحدا  
واحدا وكذلك الأسانيد تتفاوت باتصالها وانقطاعها بأن يكون الراوي لم يلق الراوي  
الذي نقل عنه وبسلامتها من العلل الموهنة لها وتنتهي بالتفاوت الى طرفين فحكم  
بقبول الأعلى ورد الأسفل ويختلف في المتوسط بحسب المتقول عن أئمة الشأن ولهم في  
ذلك ألفاظ اصطلاح على وضعها هذه المراتب المرتبة مثل الصحيح والحسن والضعيف  
والمرسل والمنقطع والمعضل والشاذ والغريب وغير ذلك من الأسماء المتداولة بينهم  
ويؤتى على كل واحد منها ونقلوا ما فيه من الخلاف لأئمة اللسان أو الوجد في النظر في  
كيفية أخذ الرواية بعضهم عن بعض بقراءة أو كتابة أو مناولة أو إجازة وتفاوت رتبها  
ومال العلماء في ذلك من الخلاف بالقبول والرد ثم اتبعوا ذلك بكلام في ألفاظ تقع في  
متون الحديث من غريب أو مشكل أو تعميم أو متفرق نها أو مختلف وما يناسب  
ذلك هذا عظم ما ينتظر فيه أهل الحديث وغالبه وكانت أحوال نقله الحديث في عصور



الباقين العناية والتابعين معروفة عند أهل بلادهم بهم بالخجازونهم بالصرة  
 والكوفة من العراق ومنهم بالشام ومصر والجميع معروفون مشهورون  
 في أعصارهم وكانت طريقة أهل الخجاز في أعصارهم في الاسانيد أعلى من سواهم  
 وأمن في الصحة لاستيادهم في شروط النقل من العدالة والضبط وتجاوبهم عن قبول  
 المجهول الخيال في ذلك وسند الطريقة الخجازية بعد السلف الامام مالك عالم المدينة  
 رضي الله تعالى عنه ثم أصحابه مثل الامام محمد بن ادريس الشافعي والامام أحمد بن  
 حنبل وأمثالهم وكان علم الشريعة في مبداهذا الامر نقلا صرا فاشهر لها السلف  
 وتجزوا الصحيح حتى أكلوها وكتب مالك رحمه الله كتاب الموطأ وأدعه أصول  
 الاحكام من الصحيح المتفق عليه ورتبه على أبواب الفقه ثم عني الحفاظ بعرفه طرق  
 الاحاديث واسانيدها المختلفة وربما يقع اسناد الحديث من طرق متعددة عن رواية  
 مختلفين وقد يقع الحديث أيضا في أبواب متعددة باختلاف المهات التي اشغل عليها  
 وجاء محمد بن اسمعيل البخاري امام المحدثين في عصره فخرج أحاديث السنة على  
 أبوابها في مسنده الصحيح بجميع الطرق التي للعبازيين والعراقيين والشافعيين واعتقد  
 منها ما أجمعوا عليه دون ما اختلفوا فيه وركز الاحاديث يسوقها في كل باب بمعنى  
 ذلك الباب الذي تضمنه الحديث فتكررت لذلك أحاديثه حتى يقال انه اشغل على  
 تسعة آلاف حديث ومائتين منها ثلاثة آلاف متكررة وفرق الطرق والاسانيد عليها  
 محتاجة في كل باب ثم جاء الامام مسلم بن الحجاج القشيري رحمه الله تعالى فألف مسنده  
 الصحيح حذف فيه حذف البخاري ونقل الجميع عليه وحذف المتكررة منها وجمع الطرق  
 والاسانيد وبقي به على أبواب الفقه وتراجعه ومنع ذلك فلم يستوعب الصحيح كله وقد  
 استدرله الناس عليهما في ذلك ثم كتب أبو داود السجستاني وأبو عيسى الترمذي  
 وأبو عبد الرحمن النسائي في السنن بأوسع من الصحيح وقصدوا ما توفرت فيه شروط العمل  
 اما من الرتبة العلمية في الاسانيد وهو الصحيح كما هو معروف واما من الذي دونه  
 من الحسن وغيره ليكون ذلك اماما للسنن والعمل وهذه هي المسانيد المشهورة في الله  
 وهي أتمها كتب الحديث في السنة فاتها وان تعددت ترجع الى هذه في الاغلب  
 ومعرفة هذه الشروط والاصطلاحات كلها هي علم الحديث وربما يفرد عنها الناسخ  
 والمسخ فيجعل قسما برأيه وكذا القريب والناس فيه تأليف مشهورة ثم المؤلفات  
 والمختلقة وقد ألف الناس في علوم الحديث واكتروا ومن يقول علمانه وأتمتهم أبو عبد  
 الله الحاكم وتأليفه فيه شهيرة وهو الذي هذب وأظهر محاضره وأشهر كتاب  
 له آخر فيه كتاب أبي عروبن الصلاح كان لعهد أوائل المائة السابعة وتلاميذه

الدين النووي بمثل ذلك والفتن شريف في مفزاداته معرفة ما يحفظ به السنن المنقولة  
عن صاحب الشريعة وقد انقطع لهذا العهد تخرج شيء من الاحاديث واستدراكها  
على المتقدمين اذ العادة تشهد بأن هؤلاء الاثمة على تعديهم وتلاحق صورهم  
وكفائهم وابنائهم لم يكونوا يخطوا شيئاً من السنة أو يتركوه حتى يعرضه المتأخر  
هذا بعد حسهم وانما تصرف العناية لهذا العهد الى تصحيح الاتهام المكتوبة  
وضبطها بالرواية عن مصنفها والتفريقاً ما بينها في مؤلفها وعرض ذلك على ما تقرر  
في علم الحديث من الشروط والاحكام لتتصل الاسانيد المحكمة الى منتهاهم لم يزدوا  
في ذلك على العناية بأكثر من هذه الاتهام الخمسة الا في التلذيل \* فأنما البخاري  
وهو اهل اهارة فاستمع الناس شرحه واستفادوا منه من أجل ما يحتاج  
اليه من معرفة الطرق المتعددة ورجالها من أهل الطائفتين الشام والعراق ومعرفة  
أحوالهم واختلاف الناس فيهم ولما لم يصلح الى ما كان النظر في التفقه في زواجه  
لانه يترجم الترجمة ويورد في الحديث مبتدأ وطريق ثم يترجم أخرى ويورد فيه ذلك  
الحديث بعينه لم يفتنه من المعنى الذي ترجمه اليه السب وكذا في ترجمة وزجة الى  
أن يتكرر الحديث في أبواب كثيرة بحسب معانيه واختلافه ومن شرحه ولم  
يستوف هذا فيه فليوف حق الشرح كما نيطال وابن المهلب وابن التين وغيرهم ولقد  
سمعت كثيراً من شيوخنا رحمهم الله يقولون شرح كتاب البخاري دين على الاثمة يعنون  
إن أحد من علماء الاثمة لم يوف ما يجب له من الشرح بهذا الاعتبار \* وأما تصحيح  
مسلم فكثرت عناية علماء المغرب به وأكبروا عليه وأجروا على تفضيله على كتاب  
البخاري من غير الصحيح \* لم يكن على شرطه وأكثر ما وقع له في التراجم وأملى الامام  
المأزني من فقهاء المالكية عليه شرحا وجملة المصنفين لم يوافقوا على اشتغال على عبث من  
علم الحديث وقتون من الفقه ثم أكمله القاضي عياض من بعده وعمه وجماعه كمال  
المعلم وتلاه ما عني الدين النووي بشرح استوفى ما في الكتابين وزاد عليه ما غاب  
شرحا وافية \* وأما كتب السنن الاخرى وفيها معظم ما أخذ الفقهاء فأكثرت شرحها  
في كتب الفقه الا ما يختص بعلم الحديث فكثرت الناس عليها واستوفوا من ذلك  
ما يحتاج اليه من علم الحديث وموضوعاتها والاسانيد التي اشتملت على الاحاديث  
المعول بها من السنة \* واعلم أن الاحاديث قد تغيرت مراتبها لهذا العهد بين صحيح  
وحسن وضعيف ومعلوم وغيرها تزلها اثمة الحديث وجهابذنه وعرفوها وليتق  
طريق في صحيح ما يصح من قبل ولقد كان الاثمة في الحديث يعرفون الاحاديث بطرقها  
واسانيدها بحيث لو روى حديث بغير سند وطريقه يظنون الى أنه قد قلب عن وضعه

ولقد وقع مثل ذلك للإمام محمد بن اسماعيل البخاري حين ورد على بغداد وقصد  
 المحدثون امتحانه فألوه عن أحاديث قبلوا أساسيد هافقال لأعرف هذه ولكن حدثني  
 فلان ثم أتى بجميع تلك الأحاديث إلى الوضع الصحيح ورد كل متن إلى مسنده وأقره  
 بالامامة \* واعلم أيضاً أن الأئمة المجتهدين تفاووا في الاكثار من هذه الصناعة  
 والاقلال فأبو حنيفة رضي الله تعالى عنه يقال بلغت روايته إلى سبعة عشر حديثاً  
 أو نحوها ومالك رحمه الله انما صح عنده ما في كتاب الموطأ وغاية اثنتا عشرة حديثاً أو  
 نحوها وأحمد بن حنبل رحمه الله تعالى في مسنده خمسون ألف حديث ولكل ما أداه  
 إليه اجتاده في ذلك وقد تنقل بعض المبغضين المتعسفين إلى أن منهم من كان قليل  
 البضاعة في الحديث فلهذا أقات روايته ولا سئل إلى هذا المتقدي كبار الأئمة لأن  
 الشريعة انما تؤخذ من الكتاب والسنة ومن كان قليل البضاعة من الحديث فيتعين  
 عليه طلبه وروايته والجد والتشريف ذلك لباخذ الدين عن أصول صحيحة ويتلق  
 الأحكام عن صاحبها المبلغ لها وانما قلل منهم من قلل الرواية لاجل المطاعن التي تعترضه  
 فيها والعلل التي تعرض في طرقها سيما والجرح مقدم عند الاكثر وذهب الاجتهاد إلى  
 ترك الاخذ بما يعرض مثل ذلك فمنه من الأحاديث وطرق الاسانيد ويكثر ذلك بقل  
 روايته لضعف في الطرق فهذا مع أن أهل الحجاز أكثر رواية للحديث من أهل العراق  
 لأن المد يمتد إلى الهجرة وماوى الصحابة ومن اتقل منهم إلى العراق كان شغلهم بالجهاد  
 أكثر والامام أبو حنيفة انما قلل روايته لما شدد في شروط الرواية والتحمل وضعف  
 رواية الحديث البقي إذا عارضها الفعل النفسى وقتل من أجلها روايته فقل - حديثه  
 لأنه ترسل رواية الحديث متعمداً لخفاها من ذلك ويدل على أنه من كبار المجتهدين في علم  
 الحديث اعقاد مذهبهم والتعويل عليه واعتباره رداً وقبولاً وأما غيره من المحدثين  
 وهم الجمهور فتوسعوا في الشروط وكثر حديثهم والكل عن اجتهاد وقد توسع أصحابه  
 من بعده في الشروط وكثرت روايتهم وروى الطحاوى ما أكثر وكسب مسنده وهو  
 جليل القدر لأنه لا يعدل العصمين لأن الشروط التي اعقده البخاري ومسلم  
 في كتابهم ما يجمع عليه ائمة كماله وشروط الطحاوى غير متفق عليها كل رواية عن  
 المسند والحال وغيره فلهذا أقدم العصمان بل وكتب السنن المعروفة عليه لتأخر شرطه  
 عن شروطهم ومن أجل هذا قيل في العصبيين بالإجماع على قبولها من جهة الاجماع  
 على صحة ما فيها من الشروط المتفق عليها فلا تأخذ في رسة في ذلك فانقوم أحق  
 الناس بالظن الجليل بهم والتماس الخارج العصية لهم واقفه سبحانه وتعالى أعلم بما  
 في حقائق الامور

افقه معرفة أحكام الله تعالى في أفعال المكلفين بالوجوب والحظر والتدب والكره  
والإباحة وهي متفقا من الكتاب والسنة وما نصبه الشارع لمعرفة ما من الأدلة فإذا  
استغربت الأحكام من تلك الأدلة قيل لها فقه وكان السلف يستخرجون ما من تلك  
الأدلة على اختلاف فيها بينهم ولا يمتد من وقوعه ضرورة أن الأدلة غالبها من النصوص  
وهي بلغة العرب وفي اقتضائات ألفاظها الكثير من معانيها اختلاف بينهم معروف  
وأياها السنة مختلفة الطرف في الثبوت وتعارض في الأكثر أحكامها فتحتاج إلى  
الترجيح وهو يختلف أيضا فالأدلة من غير النصوص تختلف فيها وأيضا فالوقائع المتجددة  
لا توفي بها النصوص وما كان منها غير ظاهر في النصوص فيجهد على منصوص من المشابهة  
بينها وهذه كلها إشارات للتحالف ضرورة الوقوع ومن هنا وقع الخلاف بين السلف  
والأئمة من بعدهم ثم إن الصحابة كانوا لم يكونوا أهل قياس ولا كان الدين يؤخذ عن  
جميعهم وإنما كان ذلك مختصا بالخاملين للقرآن العارفين بشأخه ومنسوخه ومتشابهه  
ومحكمه وسائر دلالاته بما تلقوه من النبي صلى الله عليه وسلم وعن سمعته منهم من عليهم  
وكانوا يسمون لذلك القراء أي الذين يقرؤون الكتاب لأن العرب كانوا أمة أمية  
فاختص من كان منهم قارئ الكتاب بهذا الاسم لغرابته ثم دون في الأمر كذلك صدر  
الله ثم عظمت أمصار الإسلام وذهبت الأمية من العرب بممارسة الكتاب وتمكن  
الاستنباط وكل الفقه وأصبح صناعة وعلما فبدلوا باسم الفقه ما لعلماء من القراء  
وانقسم الفقه فيهم إلى طريقتين طريقة أهل الرأي والقياس وهم أهل العراق  
وطريقة أهل الحديث وهم أهل الحجاز وكان الحديث قليلا في أهل العراق لما قدمناه  
فاستكثر ومن القياس ومهر وافية فلذلك قبل أهل الرأي ومقدم جماعتهم الذي  
استقر المذهب فيه وفي أصحابه أبو حنيفة وإمام أهل الحجاز مالك بن أنس والشافعي من  
بعده ثم أنكر القياس طائفة من العلماء وأبطلوا العمل به وهم الظاهرية وجهلوا  
المداها كلها فخصروا في النصوص والاجماع وردوا القياس الجلي والعله المنصوصة  
إلى النص لأن النص على الله نص على الحكم في جميع محالها وكان إمام هذا المذهب  
داود بن علي وابنه وأصحابه ما كانت هذه المذاهب الثلاثة هي مذاهب الجمهور  
المشتركة بين الأئمة وشأن أهل البيت بمذاهب ابتدعوها وفقه انفردوا به وبنوه على مذهبهم  
في تناول بعض الصحابة بالقدح وعلى قولهم بعصمة الأئمة ورفع الخلاف عن أقوالهم  
وهي كلها أصول وأهية وشذبتل ذلك الخوارج ولم يعتزل الجمهور بمذاهبهم بل

وسعوا جانب الانكار والفتح فلا تعرف شيأ من مذاهم ولا تروى كتبهم ولا أثر  
شي منها الا في واطنهم فكاتب الشبهة في بلادهم وحيث كانت دولتهم قائمة في المغرب  
والشرق واليمن والخواارج كذلك ولكل منهم كتب وتأليف وآراء في الفقه غريبة  
ثم درس مذهب أهل الظاهر اليوم بدروس أئمة وانكار الجهور على منتهى ولم يبق الا  
في الكتب المجلدة ورميا به ككثير من الطالبين ممن تكاف باصصال مذهبهم على  
نك الكتب بروم اخذ فقههم منها ومذهبهم فلا يعملو بطايل وبصير الى مخالفة الجهور  
وانكارهم عليه ورميا به بهذه النحلة من أهل البدع ينقله العلم من الكتب من غير  
مفتاح المعلمين وقد فصل ذلك ابن حزم بالاندلس على علو رتبته في حفظ الحديث وصار  
الى مذهب أهل الظاهر ومهر فيه باجتهاد زعمه في أقوالهم ونال امامهم داود  
وقرئ من الكثيرين أئمة المسلمين فنقم الناس ذلك عليه وأوسعوا مذهبه استهجانا  
وانكارا ونقلوا من كتبهم بالاعتقال والترك حتى انهم يحضرون بها بالاسواق ورميا  
تفرق في بعض الاحيان ولم يبق الا مذهب أهل الرأي من العراق وأهل الحديث من  
الحجاز • فأما أهل العراق فامامهم الذي انتشرت عندهم مذاهبهم أبو حنيفة  
الثعالب بن ثابت ومقامه في الفقه لا يلحق شهده بذلك أهل جلده وخصوصا مالك  
والشافعي • وأما أهل الحجاز فكان امامهم مالك بن أنس الاسبيعي امام دار الهجرة  
رحمه الله تعالى واختص بزيادته مدة آخر للحكام غير دارك المتبعة عنده وهو  
عمل أهل المدينة لانه رأى أنهم فيما يقسون عليهم من فعل أو ترك متابعون لمن قبلهم  
ضرورة لا ينهم واقتدائهم وهكذا الى الجبل المباشر في فعل النبي صلى الله عليه  
وسلم لا تخذ من ذلك عنه وصار ذلك عندهم من أصول الادة الشرعية بطن كثير  
أن ذلك من مسائل الاجماع فأذكره لأن دليل الاجماع لا يخص أهل المدينة من سواهم  
بل هو شامل للامة • واعلم أن الاجماع انما هو الاتفاق على الامر الدين عن  
اجتهاد ومالك رحمه الله تعالى لم يعتبر عمل أهل المدينة من هذا المامى وانما اعتبره من  
حيث اتباع الجبل بالمشاهدة للجبل الى أن ينتهي الى الشارع صلوات الله وسلامه  
عليه وضرورة اقتدائهم به في ذلك يوم الله تذكرت في باب الاجماع الابواب من حيث  
ما فيها من الاتفاق الجامع ينهلون بين الاجماع الآن اتفاق أهل الاجماع عن نظر  
واجتهاد في الادة واتفاق هؤلاء في فعل أو ترك مستندين الى مشاهدة من قبلهم ولو  
ذكرت المسئلة في باب فعل النبي صلى الله عليه وسلم وتقريره أو منع الادة المختلف  
فيه لم نسل مذهب المعاصي وشرع من قبلنا والاستعجاب لكان أليق ثم كان من بعد  
مالك بن أنس محمد بن ادريس الملقب الشافعي رحمه الله تعالى وحل الى العراق من

بعد ما نث واثق أصحاب الامام أبي حنيفة وأخذ عنهم ومنح طريقة أهل الخجاز بطريقة  
 أهل العراق واختص بمذهب وخالف ما لكارجه الله تعالى في كثير من مذهبه وجاه  
 من بعدهما أحد بن حنبل رجه الله وكان من عليه المحدثين وقرأ أصحابه على أصحاب  
 الامام أبي حنيفة مع وفور بضاعتهم من الحديث فاختصوا بمذهب آخر وقت التقليد  
 في الامصار عندهؤلاء الاربعة ودرس المقلدون لمن سواهم وسد الناس باب الخلاف  
 وطرقه لما كثرت شعب الاصطلاحات في العلوم ولما عاق عن الوصول الى رتبة  
 الاجتهاد ولما خشي من اسناد ذلك الى غير أهله ومن لا يوثق برأيه ولا بد منه فصرحوا  
 بالعجز والاعواز ردوا الناس الى تقليد هؤلاء كل من اختص به من المقلدين وحظروا  
 أن يسدوا أول تقليدهم لمخفيه من التلاعب ولم يبق الا نقل مذهبهم وعمل كل مقلد  
 بمذهب من قلده منهم بعد تصحيح الاصول واتصال سندها بالرواية لا يحصل اليوم  
 لافقه غيره هذا ومدعى الاجتهاد لهذا العهد مردود على عقبه مسجور وتقليده وقد  
 صار أهل الاسلام اليوم على تقليد هؤلاء الأئمة الاربعة فأما أحد بن حنبل فقلده قليل  
 بعد مذهب عن الاجتهاد واصلته في معاضدة الرواية والأخبار به بعضا ببعض  
 وأكثرهم بالشام والعراق من بغداد ونواحيها وهم أكثر الناس حفظا للسنن ورواية  
 الحديث وثمما أبو حنيفة فقلده اليوم أهل العراق ومسلة الهند والصين وما وراء النهر  
 وبلاد العجم كلها لما كان مذهب أخص بالعراق ودار السلام وكان تلميذه صحابة  
 الخلفاء من بني العباس فكثرت تآلفهم ومناظراتهم مع الشافعية وحسنت  
 مباحثهم في الخلافات وبنوا منها بعلوم مستطرف وأنظار غريبة وهي بين أيدي الناس  
 وبالمغرب منها شيء قليل نقله اليه القاضي ابن العربي وأبو الوليد الباجي في رحلتها  
 وأما الشافعية فقلده بمصر أكثر مما سواها وقد كان أكثر مذهب بالعراق وخراسان  
 وما وراء النهر وقاموا بالحفظة في الفتوى والتدريس في جميع الامصار وعظمت  
 مجالس المناظرات بينهم ونصفت كتب الخلافات بأنواع استدلالهم ثم درس ذلك كله  
 بدروس المشرق وأقطاره وكان الامام محمد بن ادریس الشافعي لما نزل على بني عبد  
 الحكم بمصر أخذ منه جماعة من بني عبد الحكم وأشهب وابن القاسم وابن القوازي  
 وغيرهم ثم الحارث بن مسكين وشبهه ثم انقرض فقه أهل السنن من مصر بظهور دولة  
 الرافضة وتداول بها فقه أهل البيت وتلاشى من سواهم الى أن ذهبت دولة  
 العبيدين من الرافضة على يد صلاح الدين يوسف بن أيوب ورجع اليهم فقه الشافعية  
 وأصحابه من أهل العراق والشام فعاد الى أحسن ما كان وفق سوقه واشتهر ومنهم  
 محي الدين النوروي من الحلبه التي ريت في ظل الدولة الايوبية بالشام وعز الدين بن

عبد السلام أيضا ثم ابن الرقعة بمصر وثق الدين بن دقيق العيد ثم ثقي الدين السبكي  
بعدهما إلى أن انتهى ذلك إلى شيخ الإسلام بمصر لهذا العهد وهو سراج الدين البلقيني  
فهو اليوم أكبر الشافعية بمصر كبير العلماء بل أكبر العلماء من أهل العصر •  
وأما مالك رحمه الله تعالى فاختص بمذهبه أهل المغرب والاندلس وإن كان يوجد في  
غيرهم إلا أنهم لم يقلدوا غيره إلا في القليل لما إن رحلتهم كانت غالباً إلى الحجاز وهو  
منتهى سفرهم والمدينة ومثلاً دار العلم ومنها خرج إلى العراق ولم يكن العراقي في  
طريقهم فأقصر وأعلى الأخذ من علمه المدينة وشيخهم يومئذ وإمامهم مالك رضي الله عنه  
من قبله وتلذذه من بعده فرجع إليه أهل المغرب والاندلس وتلدوه دون غيره ممن لم  
تصل إليهم طريقته وأيضاً فالبدوة كانت غالبية على أهل المغرب والاندلس ولم يكونوا  
يعانون الحضارة التي لاهل العراق فكانوا إلى أهل الحجاز أميل لمنااسبة البدوة ولهذا  
لم يرزل المذهب المالكي غصاً عندهم ولم يأخذ تنقيح الحضارة وتهذيبها كما وقع في غيره  
من المذاهب ولم يصار مذهب كل امام علمي مخصوصاً عند أهل مذهبه ولم يكن لهم سبيل  
إلى الاجتهاد والقياس فاحتاجوا إلى نظير المسائل في الخلاف وتفرقوا عند  
الاشتباه بعد الاستناد إلى الأصول المقررة من مذهب امامهم وصار ذلك كما يحتاج  
إلى ملكة راسخة يقتدر بها على ذلك النوع من التطوير والتفرقة واتسع مذهب  
امامهم فبحسب ما استطاعوا وهذه الملكة هي علم الفقه لهذا العهد وأهل المغرب  
جماعة لدون مالك رحمه الله فقد كان تلمذه افرقوا بمصر والعراق فكان بالعراق منهم  
القاضي اسمعيل وطبقته مثل ابن خويرننداد وابن اللبان والقاضي أبو بكر الأبهري  
والقاضي أبو الحسين بن القصار والقاضي عبد الوهاب ومن بعدهم وكان بمصر ابن  
القاسم وأشهد ابن عبد الحكم والحريث بن مسكين وطبقته ورجل من الاندلس  
عبد الملك بن حبيب فأخذ عن ابن القاسم وطبقته وبث مذهب مالك في الاندلس  
ودون فيه كتاب الواضحة ثم دون العتيق من تلامذته كتاب العتيبة ورواه من افرقية  
أسد بن القرات فكتب عن أصحاب أبي حنيفة أولاً ثم انتقل إلى مذهب مالك وكتب  
على ابن القاسم في سائر أبواب الفقه وجاء إلى القيروان بكتابه وسعى الاسدية نسبة إلى  
أسد بن القرات فقرأ بها حصون على أسد ثم ارتحل إلى المشرق ولقي ابن القاسم  
وأخذ عنه وعارضه بمائل الاسدية فرجع عن كثير منها وكتب حصون مسائلها  
ودونها وأثبت ما رجع عنه وكتب لأسد أن يأخذ بكتاب حصون فأخض من ذلك فتركه  
الناس كتابه واجتمعوا مدققة حصون على ما كان فيها من اختلاط المسائل في الاواب  
فكانت تسمى المدققة والمختلطة وعصاف أهل القيروان على هذه المدققة وأهل

الاندلس على الواضحة والعنينة ثم اختصر ابن أبي زيد المدققة والمختلطة في كتاب المسمى  
 باختصار ونسبه أيضاً أبو سعيد البرادعي من فقهاء القيروان في كتابه المسمى بالتهذيب  
 واعتمده المشيخة من أهل إفريقية وأخذوا به وتركوا ما سواه وكذلك اعتمد أهل  
 الأندلس كتاب العنينة وهجروا الواضحة وما سواها ولم تزل علماء المذهب يتعاهدون هذه  
 الأهمية بالشرح والابيضاح والجمع فكتب أهل إفريقية على المدققة ما شاء الله أن  
 يكتبوا مثل ابن ريس والنخعي وابن محرز التونسي وابن بشر وأمثالهم وكتب أهل  
 الأندلس على العنينة ما شاء الله أن يكتبوا مثل ابن ريس وأمثاله وجمع ابن أبي زيد  
 جميع ما في الاتهامات من المسائل والخلاف والاقوال في كتاب النوادر فاستعمل على  
 جميع أقوال المذهب وفرع الأهمية كلها في هذا الكتاب ونقل ابن يونس معظمه  
 في كتابه على المدققة وزخرت بحار المذهب المالكي في الأفتين إلى انقراض دولة  
 قرطبة والقيروان ثم تمسك بهما أهل المغرب بعد ذلك إلى أن جاء كتاب أبي عمرو بن  
 الحاجب لخص فيه طرق أهل المذهب في كل باب وعدده أقوالهم في كل مسألة فغيا  
 كل برزنجي للمذهب وكانت الطريقة المالكية بقيت في مصر من لدن الحارث بن مسكين  
 وابن المشير وابن القهت و ابن رشي وابن شاس وكانت بالاسكندرية في بني عوف وبني  
 سند وابن عطاء الله ولم أدر عن أخذها أبو عمرو بن الحاجب لكنه جاء بعد انقراض  
 دولة العبيديين وذهب فقه أهل البيت وظهور فقهاء السنة من الشافعية والمالكية  
 ولما جاء كتابه إلى المغرب آخر المائة السابعة عكف عليه الكثير من طلبه المغرب  
 وخصوصاً أهل بجاية لما كان كبير مشيختهم أبو علي ناصر الدين الزواوي هو الذي جلبه  
 إلى المغرب فإنه كان قرأ على أصحابه بمصر ودسج مختصره ذلك فقام به وانتشر بقطر بجاية  
 في بلنينة ومنهم من اتقى إلى سائر الأمصار المغربية وطلبة الفقه بالمغرب لهذا العهد  
 يتداولون قراءته ويتداولونه لما يؤثر عن الشيخ ناصر الدين من القرب فيسه وقد  
 شرحه جماعة من شيوخهم كابن عبد السلام وابن رشد وابن هرون وكلهم من مشيخة  
 أهل تونس وما بين جليتهم في الأجاذة في ذلك ابن عبد السلام وهم مع ذلك يتعاهدون  
 كتاب التهذيب في دروسهم والله يهدي من يشاء إلى صراط مستقيم

وهو معرفة فروض الوراثة وتصحیح سهام الفريضة مما تصح باعتبار فروضه الاصول  
 أو مناصحتها وذلك اذا هلك أحد الورثة وانصهرت سهامه على فروض ورثته  
 فإنه حينئذ يحتاج إلى حساب يصح الفريضة الأولى حتى يصل أهل الفروض جميعاً



في القريضة من المعروف، من غير تجزئة وقد تكون هذه المناهجات أكثر من واحد  
 واثنين وتعدد ذلك بعدد أكثر وقدرة ما تنفذ تحتاج إلى الحسبان وكذلك إذا كانت  
 فريضة ذات وجهين مثل أن يقترب بعض الورثة وتوارث ويتركه الآخر فيصح على  
 الوجهين حينئذ ينظر مبلغ السهام ثم تقسم التركة على نسبة سهام الورثة من أصل  
 القريضة وكل ذلك يحتاج إلى الحسبان وكان غالباً فيه وجعلوا قاء فرداً للقاس  
 فيه تأليف كثيرة أشهرها عند المالكة من متأخري الأندلس كتاب ابن ثابت  
 ومختصر القاضي أبي القاسم الخوفاً ثم الجعدي ومن متأخري أفريقية ابن النمر  
 الطرابلسي وأمثالهم وأما الشافعية والحنفية والحنابلة فلم فيه تأليف كثيرة  
 وأعمال عظيمة صعبة شاهدة لهم باتساع الباع في الفقه والحساب وخصوا بالإنفاذ  
 رضي الله تعالى عنه وأمثاله من أهل المذاهب وهو فن شريف لجمعيه المعقول  
 والمنقول والوصول به إلى الحقوق في الوراثة بوجوه صحيحة يقينية عند ما تجهل  
 الحظوظ وتشكل على القاصين وللعلماء من أهل الأمصار بها عناية ومن المصنفين  
 من يحتاج فيها إلى الفلوق في الحساب وفرض المسائل التي تحتاج إلى استخراج الجواهر ولأن  
 من فنون الحساب كالجبر والمقابل والتصرف في الجدور وأمثال ذلك فيلوا بها  
 تأليفهم وهو وإن لم يكن منذ أولابن الناس ولا يقيد بقياسه ولونه من وراثتهم  
 لقراءته وقلة وقوعه فهو بعيد المران وتخصيل الملكية في المتداول على أكمل الوجوه  
 وقد يتجنى الأكثر من أهل هذا الفن على فضله بالحديث المنقول عن أبي هريرة  
 رضي الله عنه أن القرائض ثلث العلم وانها أول ما ينسى وفي رواية نصف العلم خرج  
 أبو نعيم الحافظ واحتج به أهل القرائض بأنه على أن المراد بالقرائض فروض الوراثة  
 والذي يظهر أن هذا العمل بعيد وإن المراد بالقرائض انما هي القرائض التكليفية في  
 العبادات والمعادات والموارث وغيرها وبهذا المعنى يصح فيها النصفية والثلثية  
 وأما فروض الوراثة فهي أقل من ذلك كله بالنسبة إلى علم الشريعة كلها وبين هذا  
 المراد أن عمل لفظ القرائض على هذا الفن مخصوص أو تخصصه بفروض الوراثة  
 انما هو اصطلاح ناشئ للفقهاء عند حدوث الفنون والاصطلاحات ولم يكن صدر  
 الاسلام يطلق على هذا الاعلى عمومته متقاً من الفرض الذي هو لغة التقدير أو القطع  
 وما كان المراد به في اطلاقه الاجمع الفروض كما قلناه وهي حقيقة الشرعية  
 فلا ينبغي أن يحمل الاعلى ما كان يحمله في عصرهم فهو الحق بمرادهم منه والله سبحانه  
 وتعالى أعلم به التوفيق

(اعلم) أن أصول الفقهاء أعظم العلوم الشرعية وأجلها قدراً وأكثرها فائدة وهو النظر في الأدلة الشرعية من حيث تؤخذ منها الأحكام والتكاليف وأصول الأدلة الشرعية هي الكتب الذي هو القرآن ثم السنة المينة له فعلى عهد النبي صلى الله عليه وسلم كانت الأحكام تتلقى منه بما يوحى اليه من القرآن وبينه بقوله وقوله بخطاب شفاهي لا يحتاج إلى نقل ولا إلى تطرؤ قياس ومن بعده صلوات الله وسلامه عليه تعذر الخطاب الشفاهي وانحفظ القرآن بالتواتر وأما السنة فأجمع العصاة وضوان الله تعالى عليهم على وجوب العمل بما يصل اليها منها قولاً أو فعلاً بالنقل الصحيح الذي يغلب على الظن صدقه وتبينت دلالة الشرع في الكتاب والسنة بهذا الاعتبار ثم ينزل الاجماع منزلة ما لا جاع العصاة على التكبر على مخالفتهم ولا يكون ذلك إلا عن مستند لأن مثلهم لا يتحقق من غير دليل ثابت مع شهادة الأدلة بعصمة الجماعة فصار الاجماع دليلاً ثابتاً في الشرعيات ثم نظرنا في طرق استدلال العصاة والسلف بالكتاب والسنة فإذا هم يقيسون الاشياء بالاشياء منهنما وينظرون الامثال بالامثال باجماع منهم وتسلم بعضهم لبعض في ذلك فنكثيراً من الواقات بعده صلوات الله وسلامه عليه لم تدرج في النصوص الثابتة فقبولها بمائت وألحقوها بمائت عليه بشرط في ذلك الا الحاق نصيب تلك المساواة بين الشبهين أو المثلين حتى يغلب على الظن ان حكم الله تعالى فيهما واحد وصار ذلك دليلاً شرعياً باجماعهم عليه وهو القياس وهو رابع الأدلة واتفق جمهور العلماء على أن هذه هي أصول الأدلة وان خلق بعضهم في الاجماع والقياس لأنه شذوذ وألحق بعضهم بهذه الاربعة أداة أخرى لا حاجة بنا الى ذكرها الضعف مداركها وشذوذ القول فيها فكان أول مباحث هذا الفن النظر في كون هذه أدلة فأما الكتاب فدليله المجزأة المقاطعة في مثله والتواتر خلفه فلم يبق فيه مجال للاحتفال وأما السنة وما نقل اليها منها فالاجماع على وجوب العمل بما يصح منها كما قلناه معتقداً بما كان عليه العمل في حياته صلوات الله وسلامه عليه من اتفاد الكتب والرسائل الى التواصي بالأحكام والشرائع أمرها ونهايها وأما الاجماع فلا تفاقهم وضوان الله تعالى عليهم على انكار مخالفتهم مع العصبة الثالثة للامة وأما القياس فباجماع العصاة رضي الله عنهم عليه كما قدمناه هذه أصول الأدلة ثم ان المتقول من السنة يحتاج الى تصحيح الخبر بالنظر في طرق النقل وعبد الله الناقلين لتبين الحالة المحصلة للظن صدقه الذي هو مناط وجوب العمل وهذه أيضاً من قواعد الفن ويلحق بذلك عند التدارس بين الخبرين وطلب المتقدم منهما معرفة الناسخ والتسوخ وهي من فصوله أيضاً وأبو به ثم بعد ذلك يتعين النظر في دلالة الالتقاط وذلك أن استعادة المعاني

على الاطلاق من تراكييب الكلام على الاطلاق يتوقف على معرفة الدلالات  
الوضعية مفردة ومركبة والقوانين اللسانية في ذلك هي علوم النحو والتصريف  
والبيان وحين كان الكلام ملكة لاهله لم تكن هذه علوما ولا قوانين ولم يكن الفقه  
حينئذ يحتاج اليها لانها جلية وملكة فلما فسدت الملكة في لسان القريب قيدها  
الجهالة بالتجرد ونال ذلك بنقل صحيح ومقاييس مستنبطة صحيحة وصارت علوما يحتاج  
اليها الفقيه في معرفة أحكام الله تعالى ثم ان هنالك استفادات أخرى خاصة من تراكييب  
الكلام وهي استفادة الاحكام الشرعية بين المعاني من أدلتها الخاصة من تراكييب  
الكلام وهو الفقه ولا يكفي فيه معرفة الدلالات الوضعية على الاطلاق بل لا بد من  
معرفة أمور أخرى تتوقف عليها تلك الدلالات الخاصة وبها تستفاد الاحكام  
بحسب ما أصل أهل الشرع وجهالة المعلم من ذلك وجهلوه قوانين لهذه الاستفادة  
مثل أن اللغة لا تثبت قياسا والمشتراك لا يراد به معناه معا والاول لا تقتضي الترتيب  
والعام اذا خرجت أفراد الخاص منه هل يبقى حجة فيما عداها والامر للوجوب  
أو الندب وللغور أو التراخي والنهي يقتضي الفساد أو الصحة والطلق هل يحمل على  
المقيد والنص على العلة ككاف في التعداد لا وأمثال هذه فكانت كلها من  
قواعد هذا الفن ولكونها من مباحث الدلالة كانت لغوية ثم ان التطرق للقياس  
من أعظم قواعد هذا الفن لأن فيه تحقيق الأصل والفرع فيما يقاس وبمثال  
من الاحكام وينفتح الوصف الذي يظبط على الظن ان الحكم علق به في الأصل من  
تين أو صاف ذلك المحل أو وجود ذلك الوصف والفرع من غير معارض يمنع  
من ترتيب الحكم عليه في مسائل أخرى من توابع ذلك كلها قواعد لهذا الفن  
(واعلم) أن هذا الفن من الفنون المستعذبة في الملة وكان السلف في غنية عنه  
بما ان استفادة المعاني من اللفاظ لا يحتاج فيها الى أزيد مما عندهم من الملكة  
اللسانية وأما القوانين التي يحتاج اليها في استفادة الاحكام خصوصاً منهم أخذ  
معظمها وأما الاسانيد فلم يحكوا يحتاجون الى النظر فيها القريب العصر  
وممارسة النقلة وخبرتهم بهم فلما انقضت السلف وذهب الصدر الاول وانقلبت  
العلوم كلها صناعة كما قررنا من قبل احتاج الفقهاء والمجتهدون الى تحصيل هذه  
القوانين والقواعد لاستفادة الاحكام من الأدلة فكبروها فاعانها بأمر الله سموه  
أصول الفقه وكان أول من كتب فيه الشافعي رضي الله تعالى عنه أملى فيه رسالته  
المشهورة تكلم فيها في الاوامر والنواهي والبيان والتخبر والنسخ وحكم العلة

المنصوصة من القياس ثم كتب فقهاء الحنفية فيه وحقوا تلك القواعد وأوسعوا  
 القول فيها وكتب المتكلمون أيضا كذلك الآن كتابه الفقهاء فيها أسس بالغة وألحق  
 بالفروع لكثرة الامثلة منها والشواهد وبناء المسائل فيها على النكت الفقهية  
 والمتكلمون يجردون صور تلك المسائل عن الفقه ويميلون الى الاستدلال العقلي  
 ما أمكن لانه غالب فنونهم وهه قضى طريقهم فكان ائقهاء الحنفية فيها البعد الطويل  
 من الغوص على النكت الفقهية واللقاء هذه القوانين من مسائل الفقه ما أمكن  
 وجاء أبو زيد الدبوسي من أئمتهم فكتب في القياس بأوسع من جمههم وعم الامباح  
 والشروط التي يحتاج اليها فيه وكانت صناعة أصول الفقه بكالها وتمت ذب مسائله  
 وتمتد قواعده وعن الناس بطريفة المتكلمين فيه وكان من أحسن ما كتب فيه  
 المتكلمون كتاب البرهان لامام الحريرين والمستصفي للفرزاني وهما من الاشعرية وكتاب  
 العهد لعبد الجبار وشرحه المعتمد لابن الحسن البصري وهما من المعتزلة وكانت  
 الاربعة قواعدها الفن وأركانها ثم تلخص هذه الكتب الاربعة بخلاف من المتكلمين  
 المتأخرين وهما الامام غفر الدين بن الخطيب في كتاب المحصول وسيف الدين الآمدي  
 في كتاب الاحكام واختلفت طرائقهما في الفن بين التحقيق والحجاج فابن الخطيب  
 ميل الى الاستكثار من الادلة والاختجاج والآمدي مرمع بتحقيق المذاهب وتفريع  
 المسائل وأما كتاب المحصول فاختصره لهذا الامام سراج الدين الارموي في كتاب  
 التحصيل وتاج الدين الارموي في كتاب الحاصل واتفق شهاب الدين القرافي منهما  
 مقدمات وقواعد في كتاب مقيسه التفتيحات وكذلك فعل البيضاوي في كتاب  
 المنهاج وعن المبتدؤن بهذين الكتابين وشرحهما كثير من الناس \* وأما  
 كتاب الاحكام والآمدي وهو أكثر تحقيقات المسائل فتلخصه أبو عمرو بن الحاجب في  
 كتابه المعروف بالمختصر الكبير ثم اختصره في كتاب آخر تدوله طلبة العلم وعن أهل  
 المشرق والغرب به وبمعالته وشرحه وحصلت زبدة طريقة المتكلمين في هذا الفن  
 في هذه المختصرات \* وأما طريقة الحنفية فكثيرا فيها كثيرا وكان من أحسن  
 كتابه فيها للمفتقدين تأليف أبي زيد الدبوسي وأحسن كتابه المتأخرين فيها تأليف  
 الاسلام البزدوي من أئمتهم وهو مستوعب وجاء ابن الساعاتي من فقهاء الحنفية فجمع  
 بين كتاب الاحكام وكتاب البزدوي في الطريقتين وسعى كتابه بالبدائع فجاء من أحسن  
 الاوضاع وأبعدها وأئمة العلماء لهذا العهد تدولونه قراءة ويحتاويله كثير من علماء  
 العجم بشرحه والحال على ذلك لهذا العهد هذه حقيقة هذا الفن وتعين موضوعاته  
 وتعليقاتها تأليف المشهور لهذا العهد في نفسه والله يتفضل بالعلم ويحفظنا من أهله بمنه

وكرمه انه على كل شيء مقدير \* (وأما الخلافات) \* فاعلم أن هذا الفقه المستنبط  
 من الأدلة الشرعية كتر فيه الخلاف بين المجتهدين باختلاف مداركهم وأقطارهم  
 خلافا لا بد من وقوعه لما قلده من اتساع ذلك في الملة اتساعا عظيما وكان العقليين أن  
 يقلدوا من شاؤوا منهم ثم انتهى ذلك إلى الأئمة الأربعة من علماء الامصار وكانوا  
 يمكن من حسن الظن بهم اقتصر الناس على تقليدهم ومنعوا من تقليد سواهم  
 لذهاب الاجتهاد لصعوبته وتشعب العلوم التي هي مواده باتصال الزمان واقتحام  
 يقوم على سوى هذه المذاهب الأربعة فأقيمت هذه المذاهب الأربعة أصول الملة  
 وأجرى الخلاف بين المتسكين بها والآخرين بحكمها بما جرى الخلاف في النصوص  
 الشرعية والاصول الفقهية وبرت بينهم المناظرات في تصحيح كل منهم مذهب امامه  
 تجري على اصول صحيحة وطرائق قروية يتحج بها كل على مذهبه الذي قلده وتسل  
 به واجريت في مسائل الشريعة كلها وفي كل باب من أبواب الفقه فتارة يكون  
 الخلاف بين الشافعي ومالك وأبو حنيفة يوافق أحدهما وتارة بين مالك وأبي حنيفة  
 والشافعي يوافق أحدهما وتارة بين الشافعي وأبي حنيفة ومالك يوافق أحدهما وكان  
 في هذه المناظرات بيان ما خذلهؤلاء الأئمة ومنازعات اختلافهم ومواقع اجتهادهم  
 كان هذا المصنف من العلماء يسمى بالخلافات ولا بد لصاحبه من معرفة القواعد التي  
 يتوصل بها الاستنباط الأحكام كما يحتاج إليها المجتهد الآن المجتهد يحتاج إليها  
 للاستنباط وصاحب الخلافات يحتاج إليها لحفظ تلك المسائل المستنبطة من أن  
 يهدمها المخالف بإدلتها وهو لعمري علم جليل القائدة في معرفة ما خذلهؤلاء وأدلتهم  
 ومران المطالعين على الاستدلال في علمهم ومون الاستدلال عليه وتاليف الحنفية  
 والشافعية فيه أكثر من تاليف المالكية لأن القياس عند الحنفية أصل للكثير  
 من فروع مذهبهم كما عرفت فلهذا أهل النظر والبحث وأما المالكية  
 فالأثر أكثر مذهبهم ولبسوا بأهل نظر وأيضافا أكثرهم أهل المغرب وهم بإدلة  
 غفل من الصنائع الأثني الأقل وللفقراني رحمه الله تعالى فيه كتاب المأخذ ولأبي  
 زيد الدبوسي كتاب التعليلة ولأبي القصار من شيوخ المالكية عيون الأدلة وقد  
 جمع ابن الساعاتي في مختصره في أصول الفقه جميع ما ينبت عليها من الفقه الخلاف  
 مدرجا في كل مسألة ما ينبت عليها من الخلافات \* (وأما الجدل) \* وهو  
 معرفة آداب المناظرة التي تجري بين أهل المذاهب الفقهية وغيرهم فإنه لما كان باب  
 المناظرة في الرد والقبول متشعبا وكل واحد من المناظرين في الاستدلال والجواب  
 يرسل عنه في الاحتجاج ومنه ما يكون صوابا ومنه ما يكون خطأ فاحتاج الأئمة إلى  
 أن يضعوا آدابا وأحكاما يقف المناظران عند حدودها في الرد والقبول وكيف

يكون حال المستدل والمجيب وحيث يسوغ له أن يكون مستدلاً وكيف يكون  
مخصوصاً منقطعاً ومحل اعتراضه أو معارضته وأين يجب عليه السكوت ولخصمه  
الكلام والاستدلال ولذلك قيل فيه أنه معرفة بالقواعد من الحدود والآداب في  
الاستدلال التي يتوصل بها إلى حفظ رأى وهدمه كان ذلك الرأى من الفقه أو غيره  
وهي طريقتان طريقة البردوي وهي خاصة بالأدلة الشرعية من النص والاجماع  
والاستدلال وطريقة العميدى وهي عامة في كل دليل يستدل به من أى علم كان  
وأكثره استدلال وهو من المناسخ الحسنة والمفالات فيه في نفس الامر كثيرة  
واذا اعتبرنا النظر المنطقي كان في الغالب أشبه بالقياس المغالطي والسوفسطائي  
الآن صور الأدلة والأقضية فيه محفوظة مراعاة تتحرى فيها طرق الاستدلال كما  
ينبغي وهذا العميدى هو أقدم من كتب فيها ونسبت الطريقة اليه وضع الكتاب المسمى  
بالإرشاد مختصره ونوعه من بعده من المتأخرين كالنسقي وغيره جاؤا على أثره  
وسلكوا مسلكه وكثرت في الطريقة التاكيف وهي لهذا العهد مهيورة لنقص العلم  
والتعليم في الامصار الاسلامية وهي مع ذلك كالية وليست ضرورية والله سبحانه  
وتعالى أعلم به التوفيق

## ١٠ (علم الكلام)

هو علم يتضمن الجحاج عن العقائد الايمانية بالأدلة العقلية والرد على المبتدعة المتحرفين  
في الاعتقادات عن مذاهب السلف وأهل السنة وسر هذه العقائد الايمانية هو  
التوحيد فلنقدم هنا الطيفة في برهان عقلي يكشف لنا عن التوحيد على أقرب الطرق  
ولما أخذ ثم نرجع إلى تحقيق علمه وفيما ينظر ويشعر إلى حدوثه في الله وما دعا إلى  
وضعه فنقول ان الحوادث في عالم الكائنات سواء كانت من الذوات أو من الافعال  
البشرية والحيوانية فلا بد لها من أسباب متقدمة عليها تقع في مستقر العادة وعننا  
يتم كونه وكل واحد من هذه الاسباب حادث أيضاً فلا بد له من أسباب أخرى ولا تزال  
تلك الاسباب مرتبة حتى تنتهي إلى مسبب الاسباب وموجدنا ونالها سبحانه  
لا اله الا هو وتلك الاسباب في ارتفاعها تنفسح وتتضاعف طولاً وعرضاً ويحار العقل في  
ادراكها وتعميدها فاذا لا يحصرها الا العلم المحيط سبب الافعال البشرية والحيوانية  
فان من جله أسبابها في الشاهد التصود والارادات اذ لا يتم كون الفعل الا بإرادته  
والقصد اليه والتصود والارادات أمور نفسانية ناشئة في الغالب عن تصورات سابقة  
يتلو بعضها بعضها وتلك التصورات هي أسباب قصد الفعل وقد تكون أسباب تلك

التصورات تصورات أخرى وكل ما يقع في النفس من التصورات مجهول سببه اذ لا  
 يطلع أحد على مبادئ الامور النفسانية ولا على ترتيبها انما هي أشياء يلقيها الله في  
 الفكر تتبع بعضها بعضا والانسان عاجز عن معرفة مبادئها وغاياتها وانما يحيط  
 علما في الغالب بالاسباب التي هي طبيعة ظاهرة ويقع في مداركها على نظام وترتيب  
 لان الطبيعة محصورة للنفس ونحت طورها واما التصورات فخطاها اوسع من النفس  
 لانها العقل الذي هو فوق طور النفس فلا تدرك الكثير منها فضلا عن الاطاحة وتأمل  
 من ذلك حكمة الشارع في نهجه عن النظر الى الاسباب والوقوف معها فانه وادبهم  
 فيه الفكر ولا يحلو منه بطائل ولا ينظر بحقيقة قل الله ثم ذرهم في غيوضهم يلعبون  
 وربما انقطع في وقوفه عن الارتقاء الى ما فوقه فزلت قدمه وأصبح من الضالين  
 الهالكين فعوذ بالله من الحرمان والخسران المبين ولا تحسبن أن هذا الوقوف  
 أو الرجوع عنه في قدرتك واختيارك بل هو لون يحصل للنفس وصفة تستحكم من  
 الخوض في الاسباب على نسبة لا تعلمها اذ لو علمناها لتمرزنا منها فلتنصرز من ذلك بقطع  
 النظر عنها بجملة وأضاف وجه تأثير هذه الاسباب في الكثيرين من مسبباتها مجهول لانها  
 انما يوقف عليها بالعادة لا بقران الشاهد بالاستناد الى الظاهر وحقيقة التأثير وكيفية  
 مجهولة وما ويتم من العلم الا قليلا فذلك امر نابقطع النظر عنها والغايات جملة والتوجه  
 الى مسبب الاسباب كلها وناعلها وموجد هاتر بصفة التوحيد في النفس على ما علمنا  
 الشارع الذي هو أعرف بمصالح ديننا وطرق سعادتنا لاطلاعنا على ما وراء الحس قال  
 صلى الله عليه وسلم من مات يشهد أن لا اله الا الله دخل الجنة فان وقف عند تلك  
 الاسباب فقد انقطع وحقت عليه كلمة الكفر وان سجع في بحر النظر والبحث عنها وعن  
 أسبابها وتأثيراتها وجد بعد واحد فانا الضامن له أن لا يعود الا بالنسبة فذلك نهانا  
 الشارع عن النظر في الاسباب وأمرنا بالتوحيد المطلق قل هو الله أحد الله الصمد  
 لم يلد ولم يولد ولم يكن له كفوا أحد ولا تمنن بجزائهم لك الفكر من أنه مقتدر على  
 الاطاحة بالكائنات وأسبابها والوقوف على تفصيل الوجود كله وسفه رأيه في ذلك  
 واعلم أن الوجود عند كل مدرك في بادئ رأيه منحصر في مداركه لا بعد وهما الامر في  
 نفسه بخلاف ذلك والحق من ورائه ألا ترى الاسم كيف ينصرف الوجود عنده في  
 المحسوسات الاربع والمعتولات ويسقط من الوجود عنده منصف السموات وكذلك  
 الاعمى ايضا يسقط عنده منصف المرئيات ولولا ما يترجم الى ذلك تقليد الآباء والمشيخة  
 من أهل عصرهم والكافة لما أقروا به لكنهم تبعون الكافة في اثبات هذه الاصناف  
 لا يقتضي فطرهم وطبيعة ادراكهم ولو سئل الحيوان الا يجم ونطق لوجدناه منكرا

للمعقولات وسببها لديه بالكلية فإذا علمت هذا فعلت غناك عن غير من الأدوار غير  
 مدركك لثلاث أدرأ كاتبا مخلوقة محدثة وخلق الله أكبر من خلق الناس والحسن مجهول  
 والوجود أوسع نطاقا من ذلك واقع من وراثته محيط فاتهم أدرأ كل ومدركك في  
 الحصر واسع ما أمرك الشارع به من اعتقادك وحملك فهو أحرص على سعادتك وأعلم  
 بما يفعل لأنه من طور فوق أدرأ كل ومن نطاق أوسع من نطاق عقلك وليس ذلك  
 بقادح في العقل ومدارك بل العقل ميزان صحيح فأحكامه يقينية لا كذب فيها غير أنك  
 لا قطع أن تزن به أمور التوحيد والآخرة وحقيقة النبوة وحقائق الصفات الإلهية  
 وكل ما وراء طوره فإن ذلك طمع في محال ومثال ذلك مثال رجل رأى الميزان الذي  
 يوزن به الذهب فطمع أن يزن به الجبال وهذا لا يدرك على أن الميزان في أحكامه غير  
 صادق لكن العقل قد يقف عنده ولا يتعدى طوره حتى يكون له أن يحيط بالله وبصفاته  
 فإنه ذوته من ذرات الوجود الحاصل منه وتخطى في هذا الغلط من يقدم العقل على  
 البصير في أمثال هذه القضايا وقصور فهمه واضمحلال رأيه فقد تبين لك الحق من  
 ذلك وأذا تبين ذلك فعلت الأسباب إذا تجاوزت في الارتقاء نطاق أدرأ كل وأوجودنا  
 خرجت عن أن تكون مدركة فيفضل العقل في سداء الأوهام ويحار ويتقطع فإذا  
 التوحيد هو العجز عن أدرأ كل الأسباب وكيفيات تأثيرها وتفويض ذلك إلى خالقها  
 المحيط بها إذا فاعل غيره وكلها ترقى إليه وترجع إلى قدرته وعلمه به أنما هو من حيث  
 صدوره وأنه وهذا هو معنى ما نقل عن بعض الصديقين العجيز عن الأدرأ كل أدرأ كل ثم  
 إن المتعبر في هذا التوحيد ليس هو الإيمان فقط الذي هو تصديق حكمي فإن ذلك  
 من حديث النفس وإنما الكمال فيه حصول حقيقة منه تتكيف فيها النفس كما أن  
 المطلوب من الأعمال والعبادات أيضا حصول ملكة الطاعة والانقياد وتفرغ  
 القلب عن شواغل ماسوى المعبود حتى يتقلب المرید بالسالك ريانا والفرق بين الحال  
 والعلم في العقائد فرق ما بين القول والاتصاف وشرحه ان كثيرا من الناس يعلم أن  
 رحمة اليتيم والمسكين قربة إلى الله تعالى مندوب إليها ويقول بذلك ويعترف به ويذكر  
 ما أخذه من الشريعة وهو لو رأى يتيماً ومسكيناً من أبناء المستضعفين لفرغته  
 واستنكب أن يسأله فضلاً عن التمسح عليه بالرحمة وما بعد ذلك من مقامات العطف  
 والحنو والصدقة فهذا العلم حصل لمن رحمة اليتيم وقام العلم ولم يحصل له مقام الحال  
 والاتصاف ومن الناس من يحصل له مع مقام العلم والاعتراف بأن رحمة المسكين  
 قربة إلى الله تعالى مقام آخر أعلى من الأول وهو الاتصاف بالرحمة وحصول ملكتها  
 فترى رأى يتيماً ومسكيناً بأدب إليه ومسح عليه والتمس الثواب في الشفقة عليه لا يكاد



يصبر عن ذلك ولودفع عنه ثم يصدق عليه بما حضر من ذات يده وكذلك العلم  
 بالتوحيد مع انصاف به والعلم الحاصل عن الانصاف ضرورة هو اوثق مبنى من العلم  
 الحاصل قبل الانصاف وليس الانصاف يحصل عن مجرد العلم حتى يقع العمل  
 ويتكرر مرارا غير مضمرة فتخرج الملكة ويحصل الانصاف والتحقق ويحيى العلم  
 الثاني النافع في الآخرة فان العلم الاقل المجرد عن الانصاف قليل الجسدي  
 والنفع وهذا علم اكثر النظار والمطلوب انما هو العلم الحلي الناشئ عن العادة  
 واعلم ان الكمال عند الشارع في كل ما كلفه انما هو في هذا اذا طلب اعتقاده  
 فالكمال فيه في العلم الثاني الحاصل عن الانصاف وما طلب علم من العبادات فالكمال  
 فيها في حصول الانصاف والتحقق بها ثم ان الاقبال على العبادات والمواظبة عليها  
 هو المحصل لهذه الفترة الشريفة قال صلى الله عليه وسلم في رأس العبادات جعلت فترة  
 عيني في الصلاة فان الصلاة صارت له صفة وحالا يجد فيها انتهى لفته وفترة عينه واين  
 هذا من صلاة الناس ومن لهم بها قول للمصليين الذين هم عن صلاتهم بها هون اللهم  
 وقتنا واهدنا الصراط المستقيم صراط الذين انعمت عليهم غير المغضوب عليهم ولا الضالين  
 فقد تبين لك من جميع ما ترونه ان المطلوب في التكليف كلها حصول ملكة واحدة في  
 النفس يحصل عنها علم اضطراري للنفس هو التوحيد وهو العقيدة الایمانية وهو الذي  
 تحصل به السعادة وان ذلك سواء في التكليف القلبية والبدنية وتفهم منه ان  
 الايمان الذي هو أصل التكليف يوجبها هو بهذه المثابة ذو مراتب اولها  
 التصديق القلبي الموافق للسان واعلاها حصول كيفية من ذلك الاعتقاد القلبي  
 وما يتبعه من العمل مسئولية على القلب فيستتبع الجوارح وتندرج في طاعتها جميع  
 التصرفات حتى تضطر الافعال كلها في طاعة ذلك التصديق الایماني وهذا ارفع مراتب  
 الايمان وهو الايمان الكامل الذي لا يقارف المؤمن به صغيرة ولا كبيرة ان حصول  
 الملكة ورسوخها ما تقع من الانحراف عن مناهجه طرفة عين قال صلى الله عليه وسلم  
 لا يرني الزاني حين يرني وهو مؤمن وفي حديث هرقل لما سأل ابا سفيان بن حرب عن  
 النبي صلى الله عليه وسلم واحواله فقال في أصحابه هل يرتد احد منهم بضلة لديه  
 قال لا قال وكذلك الايمان حين يخالط بشاشته القلوب ومعناه ان ملكة الايمان اذا  
 استقرت عسر على النفس مخالفتا شأن الملكات اذا استقرت فانها تحصل بمشابة الجبلية  
 والقطرة وهذه هي المرتبة العالية من الايمان وهي في المرتبة الثانية من العصمة لان  
 العصمة واجبة للانبياء وحيويا سابقا وهذه حاصله للمؤمنين حصولا تابعا لاعمالهم  
 ونصد يقهم وبهذه الملكة ورسوخها يقع التفاوت في الايمان كالذي يتلى عليك من

فأما ويل السلف وفي تراجم البخارى رضى الله عنه في باب الايمان كثير منه مثل أن  
 الايمان قول وعمل ويزيد وينقص وإن الصلاة والصيام من الايمان وإن تطوع  
 رمضان من الايمان والحساب من الايمان والمراد بهذا كله الايمان الكامل الذى أئتمرنا  
 اليه وإلى ملكته وهو فعلى وأما التصديق الذى هو أول مراتبه فلا تفاوت فيه فمن اعتبر  
 أو ائتمر الاسماء وحمله على هذه الملكة التى هى الايمان الكامل ظهوره لا تفاوت وليس  
 ذلك بقادح فى اتحاد حقيقته الأولى التى هى التمديق اذ التمديق موجب وفى جميع  
 رتبته لأنه أقل ما يطلق عليه اسم الايمان وهو المخلص من عبادة الكفر والقيس لى بين  
 الكافر والمسلم فلا يجرى أقل منه وهو فى نفسه حقيقة واحدة لا تتفاوت وأما التفاوت  
 فى الحال الحاصلة عن الاعمال كإقنائه فافهم \* واعلم أن الشارع وصف لنا هذا  
 الايمان الذى فى المرتبة الأولى الذى هو تصديق وعين أموراً مخصوصة كالضمان والتصديق  
 بها بقلوبنا واعتقادها فى أنفسنا مع الاقرار بالسنن وأما العقائد التى تقررت فى الدين  
 قال صلى الله عليه وسلم حين سئل عن الايمان فقال أن تؤمن بالله وما لكه وكتبه  
 ورسله واليوم الآخر وتؤمن بالقدر خيره وشره وهذه هى العقائد الإيمانية المقررة فى علم  
 الكلام \* ونشرها بما جعله لتبين لك حقيقة هذا الفن وصكيفة حدوده فنقول  
 اعلم أن الشارع لما أمرنا بالايان بهذا الخلق الذى رزقنا الافعال كلها بالله وأقرده به  
 كما قد سناه وعرفنا أن فى هذا الايمان نجاة عند الموت إذا حضرنا لم يعزفنا بكنه حقيقة  
 هذا الخلق المعبود اذ ذلك متعذر على ادراكنا ومن فوق طور ذلك كلفنا ألا الاعتقاد  
 تنزيهه فى ذاته عن مشابهة المخلوقين واللامسح أنه خالق لهم لعدم الفارق على هذا  
 التقدير ثم تنزيهه عن صفات النقص والاشباه المخلوقين ثم توحده بالاتحاد والالهيته  
 الخلق للتحايع ثم اعتقاد أنه عالم قادر بذلك تتم الافعال شاهد حقيقته لكمال الاتحاد  
 والخلق ومريد والى بعض شئ من المخلوقات ومقدر لكل كائن والا فلا إرادة حادثة  
 وأنه بعيد نابع الموت تكميلة لحياته بالإيجاد ولو كان لا مرفان كان عبثاً فهو للبقاء  
 السرمدى بعيد الموت ثم اعتقاد بعنة الرسل للنجاة من شقاء هذا المعاد لاختلاف  
 أحواله بالشقاء والسعادة وعدمه عزفنا بذلك ونعلم لطفه بنا فى الايمان بذلك وبين  
 الطريقين وأن الجنة للتعيم وجهنم للعذاب هذه أمتهات العقائد الإيمانية معللة بأدلتها  
 العقيدة وأدلتها من الكتاب والسنة كثيرة وعن تلك الأدلة أخذها السلف وأرشد إليها  
 العلماء وحققتها الأئمة لأنه لا عرض بعد ذلك خلاف فى تفاصيل هذه العقائد أكثر مشارها  
 من الأسى المشابهة فلهذا ذلك إلى انحصار والتناظر والاستدلال بالعقل زيادة إلى

النقل فحدث بذلك علم الكلام ولتئين لك تفصيل هذا الجمل وذلك أن القرآن ورد  
 فيه وصف المعبود بالتزويه المطلق الطاهر الدلالة من غير تأويل في آي ~~كثيرة~~ وهي  
 سألوك كما هو أوصى رحمة في بابها فوجب الإيمان بها ووقع في كلام الشارع صلوات الله عليه  
 وكلام العجابه والتابعين تفسيرها على ظاهرها ثم وردت في القرآن آي أخرى قلبته  
 توهم التشبيه مرة في الذات وأخرى في الصفات فأما السلف فقلبوها أدلة التزويه لكثرة  
 ووضوح دلالتها وعلوا اصطلاح التشبيه وقضوا بأن الآيات من كلام الله فآمنوا بها  
 ولم يتعترضوا معناها بحث ولا تأويل وهذا معنى قول الكثير منهم أقرؤها كما جاءت  
 أي آمنوا بأنهم آمن عند الله ولا تعترضوا لتأويلها ولا تنسبها للجواز أن تكون  
 ابتلاء فيجب الوقوف والاعتناء به وشذذ لعصرهم مبتدعة اتبعوا ما تشابه من الآيات  
 ونوعوا في التشبيه ففرقوا في أشبهوا في الذات باعتقاد اليد والقدم والوجه على بظواهر  
 وردت بذلك فوقها في التمجيم الصريح ومخالفة آي التزويه المطلق التي هي أكثر  
 موارد وأوضح دلالة لأن مقولة الجسم تقتضي النقص والافتقار وتغليب آيات  
 السلب في التزويه المطلق التي هي أكثر موارد وأوضح دلالة أول من التعلق بظواهر  
 هذه التي لنا عنها غنية وجمع بين الدالين تأويلهم ثم يفرون من شناعة ذلك بقولهم  
 جسم لا كالأجسام وليس ذلك بدافع عنهم لأنه قول متناقض وجمع بين نفي وإثبات أن كان  
 بالمعقولية واحدة من الجسم وإن خالفوا بينهما ونفوا المعقولية المتعارفة فقد وافقوا  
 في التزويه ولم يبق إلا جعلهم لفظ الجسم اسماً من أسمائه ويتوقفه على الأذن وفريق  
 منهم ذهبوا إلى التشبيه في الصفات ~~ك~~آيات الجهة والاستواء والنزول والصوت  
 والحرف وأمثال ذلك وآل قولهم إلى التجسيم فنزعوا مثل الأولين إلى قولهم صوت  
 لا كالأصوات جهة لا كالجهات نزول لا كالنزول يعنون من الأجسام واندفع ذلك بما  
 اندفع به الأول ولم يبق في هذه الظواهر الاعتقادات السلف ومذاهبهم والإيمان بها كما  
 هي لنالاً بكثر النفي على معانيها بتفصيلها مع أنها صحيحة ثابتة من القرآن ولهذا تنظر ما تراه  
 في عقيدة الرسالة لابن أبي زيد وكتاب المختصر له وفي كتاب الحافظ بن عبد البر وغيرهم  
 فانهم يعبرون على هذا المعنى ولا تغمض عينك عن القرائن الدالة على ذلك في غضون  
 كلامهم ثم لما كثرت العلوم والصنائع وطلع الناس بالتدوين والبحث في سائر الأنحاء  
 وألف المتكلمون في التزويه حدثت بدعة المعتزلة في تعميم هذا التزويه في آي السلب  
 فقطضوا بنفي صفات المعاني من العلم والقدرة والارادة والحياة زائدة على أحكامها لا ينزيم  
 على ذلك من تعدد القديم بزعمهم وهو مردود بأن الصفات ليست عين الذات ولا غيرها  
 وقضوا بنفي السمع والبصر ~~ل~~كونهم حاملين عوارض الأجسام وهو مردود لعدم

تحتراط البنية في مدلول هذا اللفظ وانما مرادنا المسموع أو البصر وقضوا بنفي  
 الكلام لشبه ما في السمع والبصر ولم يعلوا صفة الكلام التي تقوم بالنفس فقضوا بأن  
 القرآن مخلوق بدعوى صرح السلف بخلافها وظنهم وهذه البدعة ولحقها بعض الخلفاء  
 عن أنهم يعمل أناس عليها وخالفهم أئمة السلف فاستحل خلافهم إياهم كثير منهم  
 وماؤهم وكان ذلك سببا لانتهاض أهل السنة بالأدلة العقلية على هذه العقائد دفعاً  
 صدوره هذه البدع وقام بذلك الشيخ أبو الحسن الأشعري أمام المتكلمين قسوساً بين  
 الطرق ونفي التسميع وأثبت الصفات المنجوية وقصر التنزيه على ما قصره عليه السلف  
 وشهدت له الأدلة المختصة له وموه فأنبت الصفات الأربع المنجوية والسمع والبصر  
 والكلام القائم بالنفس بطريق النقل والعقر ورد على المبتدعة في ذلك كله وتكلم  
 بهم فيما بعده ولهذه البدع من القول بالصلاح والاصح والتصديق والتبجيل وكل  
 العقائد في بضعة وأحوال الجنة والنار والثواب والعقاب ولحق بذلك الكلام في  
 الإمامة لما ظهر حينئذ من بدعة الإمامية من قولهم أنها من عقائد الإيمان وأنه يجب  
 على النبي تعيينها ونزوح من العهد في ذلك إلى هي له وكذلك على الأمة وقصارى  
 أمر الإمامة أنها قضية مصحبية إجماعية ولا تلحق بالعقائد فذلك ألحقوها بما نزل هذا  
 الفن وهو اجماع وعلم الكلام أمما لم ياهبه من المنطوق على البدع وهي كلام صرف  
 وليست براجعة إلى عمل وأما لأن سبب وضعه والخوض فيه هو تنازعهم في إثبات  
 الكلام النفسي وكثر اتباع الشيخ أبي الحسن الأشعري وأقتفى طريقته من بعده تلميذه  
 كان مجاهداً وغيره وأخذ عنهم القاضي أبو بكر الباقلاني فتصدراً للأدلة في طريقته  
 وهذبها ووضع الملة ثمان العقائد التي تتوقف عليها الأدلة والانتظار وذلك مثل إثبات  
 الجوهر النرد والخلاد وأن العرض لا يقوم بالعرض وأنه لا يبقى زمانين وأمثال ذلك  
 مما تتوقف عليه أدلتهم وجعل هذه الأقوال أدلة للعقائد الإيمانية في وجوب اعتقادها  
 لتوقف تلك الأدلة عليها وأن بطلان الدليل يؤذن بطلان المدلول وجعلت هذه الطريقة  
 وجاءت من أحسن الفنون النظرية والعلوم الدينية إلا أن صوراً للأدلة تعتبر بها  
 الأقيسة ولم تكن حينئذ ظاهرة في الملة ولونظر منها بعض الشيء فلم يأخذ به الملة كالمؤمن  
 للابست بالعلوم الفلسفية المبينة للعقائد الشرعية بالجملة فكانت محبوباً عندهم  
 لذلك ثم جاء بعد القاضي أبي بكر الباقلاني أمام الحرمين أبو المعالي غاملي في الطريقة  
 كتاب الشامل وأوسع القول فيه ثم تلخصه في كتاب الارشاد وأخذوا الناس أمما للعقائد هم  
 ثم اقتسرت من بعد ذلك علوم المتنطق في الملة وقرأ الناس وفرقوا بينه وبين العلوم  
 الفلسفية بأنه قانون ومعبارة للأدلة فقط صيربه الأدلة منها كما يصير من سواها ثم قطروا

في تلك القواعد والمقدمات في حق الكلام ثلاثة من خالفوا الكثير منها بالبراهين التي  
 أدلت الى ذلك وربما أن كثيرا منها مقتبس من كلام الفلاسفة في الطبيعيات والالهييات  
 فلما صرحوا لمعار المنطق ردهم الى ذلك فيها ولم يعتقدوا بطلان المدلول من بطلان دليله كما  
 صار إليه القاضي فصارت هذه الطريقة من معطلهم حياطة للطريقة الاولى وتسمى  
 طريقة المتأخرين وربما أدخلوا فيها الرد على الفلاسفة فيما خالفوا فيه من العقائد  
 الالمانية وجعلوا هم من خصوم العقائد لتناسب الكثير من مذاهب المبتدعة  
 ومذاهبهم وأول من كتب في طريقة الكلام على هذا المنهج الفزالي رحمه الله وتبعه  
 الاعلام ابن الخطيب وجماعة فقلوا أثرهم واعتقدوا تقليدهم ثم دخل المتأخرون من بعدهم  
 في مخالطة كتب الفلاسفة والتبس عليهم شأن الموضوع في العلبين فحسبوه فيها واحدا  
 من اشتباه المسائل فيها \* وعلم أن المتكلمين لما كانوا يستدلون في أكثر أحوالهم  
 بالكائنات وأحوالها على وجود الباري وصفاته وهو نوع استدلالهم غالبا والجسم  
 الطبيعي يتصرفه الفيلسوف في الطبيعيات وهو بعض من هذه الكائنات الآن نظره  
 فيها ثم انظر المتكلم وهو يظفر في الجسم من حيث يتحرك ويسكن والمتكلم يتصرفه  
 من حيث يدل على الفاعل وكذا انظر الفيلسوف في الالهييات انما هو يظفر في الوجود  
 المطلق وما ينشبه لذاته ونظير المتكلم في الوجود من حيث انه يدل على الموجد والجملة  
 موضوع علم الكلام عند أهل انما هو العقائد الالمانية بعد فرضها صحيحة من الشرع عن  
 حيث يمكن أن يستدل عليها بالادلة العقلية فترفع البدع وتزول الشكوك والشبه عن  
 تلك العقائد واذا تأملت حال الحق في حدوده وكيف تدرج كلام الناس فيه صدور بعد  
 صدور كلهم بفرض العقائد صحيحة ويستحسن الطبع والادلة علم حينئذ ما قررناه لك  
 في موضوع الفن وأنه لا يعدوه واقتدا خطا طرقتا فيقتان عند هؤلاء المتأخرين  
 والتبس مسائل الكلام بمسائل الفلاسفة بحيث لا يميز أحسد الفنين من الآخر  
 ولا يحصل عليه طالب من كتبهم كأن فعله البياض في الطوالع ومن جاء بعده من علماء  
 الجمع في جميع ما كتبهم الآن هذه الطريقة قد يعجز بها بعض طلبة العلم للإطلاع على  
 المذاهب والأغراض في معرفة الجاهل لو فوف ذلك فيها أو تأمعا هذه طريقة السلف بعقائد  
 علم الكلام فانما هو الطريقة القديمة للمتكلمين وأصلها كتاب الارشاد وما حذا  
 حدوده ومن أراد إدخال الرد على الفلاسفة في عقائده فعليه بكتب الفزالي والامام ابن  
 الخطيب فانها وان وقع فيها مخالفة للاصطلاح القديم فليس فيها من الاختلاط في  
 المسائل والالتباس في الموضوع ما في طريقة هؤلاء المتأخرين من بعدهم وعلى الجملة  
 فينبغي أن يعلم أن هذا العلم الذي هو علم الكلام غير ضروري لهذا العهد على طالب

العلم اذا المجددة والمبتدعة قد انقضوا والائمة من أهل السنة كفوناً منهم فيما كتبوا  
ودقوا والادلة العقلية بالاحتجاج اليها حين دافعوا ونصروا وأما الآن فلم يبق منها  
الا كلام تزه الباري عن كثير ايهاماته واطلاقه ولقد سئل الجنيدي رحمه الله عن  
قوم مزهم من المتكلمين يفيضون فيه فقال طاهولاً فقيل قوم يزعمون ان الله بالادلة عن  
صفات الحدوث وسمات النقص فقال نفي العيب حيث يستحيل العيب يجب لكن  
فائدة في آحاد الناس وطلبة العلم فائدة معتبرة اذ لا يحسن بحامل السنة الجهل بالجميع  
النظرية على عقائدها والله ولي المؤمنين

## ١١ (علم التصوف)

هذا العلم من العلوم الشرعية الحادثة في الملة وأصله أن طريقة هؤلاء القوم لم تزل  
عند سلف الامة وكبارها من الصحابة والتابعين ومن بعدهم طريقة الحق والهداية  
وأصلها العكوف على العبادة والانقطاع الى الله تعالى والاعراض عن زخرف الدنيا  
وزينتها والزهد في ما يقبل عليه الجمهور من لذة ومال وجاه والانفراد عن الخلق في الخلوة  
للعبادة وكان ذلك عاماً في الصحابة والسلف فلما نشأ الاقبال على الدنيا في القرن الثاني  
وما بعده وجح الناس الى مخالطة الدنيا اختص المقبولون على العبادة باسم الصوفية  
والمصوفة وقال القسيري رحمه الله ولا يشهد لهذا الاسم اشتقاق من جهة العربية  
ولا قياس وانظاراً أنه لقب ومن قال اشتقاقه من الصفاء أو من الصفة فبعيد من جهة  
القياس اللغوي قال وكذلك من الصوف لانهم لم يخصوا بلبسه \* قلت والأظهر ان  
قبل بالاشتقاق انه من الصوف وهم في الغالب محتمون بلبسه لما كانوا عليه من  
مخالطة الناس في لبس فاخر الثياب الى لبس الصوف فلما اختص هؤلاء بمذهب الزهد  
والانفراد عن الخلق والاقبال على العبادة اختصوا بما أخذ مدرك لهم وذلك أن  
الانسان بما هو انسان انما يتميز عن سائر الحيوان بالادراك وادراكه نوعان ادراك  
للعالم والمعروف من اليقين والظن والشك والوهم وادراكه للآحوال القائمة من  
الفرح والحزن والقبض والبسط والرضا والغضب والصبر والشكر وأمثال ذلك  
فالروح العاقل والمتصرف في البدن تشأ من ادراكه وأراداته وأحوال وهي التي  
يتم بها الانسان وبعضها يشأ من بعض كما يشأ العلم من الادلة والفرح والحزن عن  
ادراك المولم أو المتلذذ به والنشاط عن الجمال والكسل عن الاعاء وكذلك المريد في  
مجاهدته وعبادته لا بد وأن يشأه عن كل مجاهدة حال تنبئة تلك المجاهدة وتلك الحالة  
أما أن تكون نوع عبادة فتبرح وتصير قماماً للمريد وأما أن لا تكون عبادة وانما تكون

حقة باصلة للنفس من حزن أو سرور أو نشاط أو كسل أو غير ذلك من الحالات ولا  
 يزال المرید يترقى من مقام الى مقام الى أن ينهى الى التوحيد والمعرفة التي هي الغاية  
 المطلوبة للعبادة قال صلى الله عليه وسلم من مات يشهد أن لا اله الا الله دخل الجنة  
 فالمرید لا يتقدم الترقى في هذه الاطوار وانما أصلها كلها الطاعة والاخلاص ويتقدمها  
 الايمان ويصاحبها وتنشأ عنها الاحوال والصفات نتائج وغرات ثم تنشأ عنها أخرى  
 وأخرى الى مقام التوحيد والعرفان واذا وقع تقصير في النتيجة أو خلل فاعلم أنه انما أتى  
 من قبل التقصير في الذي قبله وكذلك في الخواطر النفسانية والواردات القلبية فلهذا  
 يحتاج المرید الى محاسبة نفسه في سائر أعماله وينظر في حقايقها لان حصول النتائج  
 عن الاعمال ضروري وقصورها من الخلل فيها كذلك والمرید يجب ذلك بذوقه  
 ومحاسب نفسه على أسبابه ولا يشاركهم في ذلك الا القليل من الناس لان الغفلة عن  
 هذا كأنها شاملة وغاية أهل العبادات اذ لم ينتهوا الى هذا النوع أنهم يأتون بالطاعات  
 مخلصين من نظر الفقه في الاجرام والامتنان وهؤلاء يصنون عن نتائجها بالاذواق  
 والمواجد ليطالعوا على أنها خالصة من التقصير أو لا فظهر أن أصل طريقهم كلها  
 محاسبة النفس على الافعال والترويض والكلام في هذه الاذواق والمواجد التي  
 تفصل بين المجاهدات ثم تستقر للمريد مقام ما يترقى منها الى غيرها ثم لهم مع ذلك آداب  
 مخصوصة بهم واصطلاحات في ألفاظ تدور بينهم اذا اوضاع اللغوية انما هي للمعاني  
 المتوارفة فإذا عارض من المعاني ما هو غير متعارف اصطلاحنا عن التعبير عنه بلفظ  
 يتيسر فهمه فلهذا اختص هؤلاء بهذا النوع من العلم الذي ليس لواحد غيرهم  
 من أهل الشريعة الكلام فيه وصار علم الشريعة على صنفين صنف مخصوص بالفقهاء  
 وأهل الفتاوى والاحكام العائدة في العبادات والعادات والمعاملات وصنف  
 مخصوص بالقوم في القيام بهذه المجاهدة ومحاسبة النفس عليها والكلام في الاذواق  
 والمواجد العارضة في طريقها وصنف في معرفة الترقى منها من ذوق الى ذوق وشرح  
 الاصطلاحات التي تدور بينهم في ذلك فلما كتبت العلوم ودوت وألف الفقهاء في الفقه  
 وأصوله والكلام والتفسير وغير ذلك كتب رجال من أهل هذه الطريقة في طريقهم  
 بينهم من كتب في الورع ومحاسبة النفس على الاقتداء في الاخذ والتزل كما فطره  
 القشيري في كتاب الرسالة والسهروردي في كتاب عوارف المعارف وأمثالهم وجمع  
 الغزالي رحمه الله في كتاب الاحياء فدون فيه أحكام الورع والاقتداء  
 ثم بين آداب القوم وسنتهم وشرح اصطلاحاتهم في عباراتهم وصار علم التصوف في الملة  
 علماً مدوناً بعد ان كانت الطريقة عبادة فقط وكانت أحكامها انما تلقى من صدور

الرجال كما وقع في سائر العلوم التي قوت بالكتاب من التفسير والحديث والفقه  
والاصول وغير ذلك \* ثم ان هذه المجاهدة والخلوة والذكر يتبعها غالباً كشف حجاب  
الحس والاطلاع على عوالم من أمر الله ليس لصاحب الحس ادراك الشيء منهل الروح  
من تلك العوالم وسبب هذا الكشف أن الروح اذا رجع عن الحس الظاهر الى الباطن  
ضعفت أحوال الحس وقويت أحوال الروح وغلب سلطانه وتجدد نشوه وأعان على  
ذلك الذكر فانه كالغذاء لنتيجة الروح ولا يزال في غور تزيدي الى أن يصير شهوداً بعد ان  
كان علماً وبكشف حجاب الحس ويتم وجود النفس الذي لها من ذاتها وهو عين  
الادراك فينصرف من حيث ذلك لمواهب الربانية والعلوم الدنية والفتح الالهى وتقرب  
ذاته في تحقق حقيقة من الافق الاعلى أفق الملائكة وهذا الكشف كبير ما يعرض  
لاهل المجاهدة فيدركون من حقائق الوجود ما لا يدرك سواهم وكذلك يدركون كثيراً  
من الواقعات قبل وقوعها ويتصرفون بهم معهم وقوى نفوسهم في الموجودات  
السفلية وتصير طوع ارادتهم فالعظماء منهم لا يعتبرون هذا الكشف ولا يتصرفون  
ولا يخبرون عن حقيقة شيء لم يوروا بالكلم فيه بل يمدون ما يقع لهم من ذلك حنة  
ويتعذرون منه اذا هاجهم وقد كان الصحابة رضي الله عنهم على مثل هذه المجاهدة  
وكان عظماء من هذه الكرامات أفرافاً لظروف لكنهم لم يقع لهم سعادة وفي فضائل  
أبي بكر وعمر وعثمان وعلي رضي الله عنهم كثير منها وتبعهم في ذلك أهل الطريقة ممن  
اشقت رسالة القشيري على ذكرهم ومن تبع طريقتهم بعدهم \* ثم ان قوماً من  
المتأخرين انصرفوا عن انهم الى كشف الحجاب والمداركة التي وراءه واختلف طرق  
الرياضة عنهم في ذلك باختلاف تعليمهم في امانة القوى الحسية وتقوية الروح المعقل  
بالذكر حتى يحصل للنفس ادراكها الذي لها من ذاتها بايقام نشوتها وتقديتها فاذا  
حصل ذلك زعموا أن الوجود قد انحصر في مداركها حيث ذواتهم كشفوا ذوات  
الوجود وتصوروا حقائقها كلها من العرش الى الطين هكذا قال الغزالي رحمه الله في  
كتاب الاحياء بعد ان ذكر صورة الرياضة \* ثم ان هذا الكشف لا يكون صحيحاً كحلا  
عندهم الا اذا كان ناشئاً عن الاستقامة لان الكشف قد يحصل لصاحب الجوع  
والخلوة وان لم يكن هنالك استقامة كالسحرة والنصارى وغيرهم من المرتاضين وليس  
مرادنا الا الكشف الناشئ عن الاستقامة ومثاله أن المرأة المقبله اذا كانت  
محبوبة أو مقهورة وحودى بهم اجهة المرقى فانه يتشكل فيه معوجا على غير صورته وان  
كانت مسطعة تشكل فيها المرقى صحيحاً فالاستقامة للنفس كالانقباض للمرأة فيما  
ينطبق فيها من الاحوال ولما عني المتأخرون بهذا النوع من الكشف تسكموا في



حقائق المرجوحات العلية والسفلية وحقائق الملك والروح والعرش والكرسي  
 وأمثال ذلك وقصرت مداركهم لم يشاركونهم في طريقهم عن فهم أذواقهم  
 وموآجدهم في ذلك وأهل الغيباين منكر عليهم ومسلم لهم وليس البرهان والدليل  
 ينفع في هذه الطريق رداً وقبولاً أذهى من قبيل الوجدانيات وربما قصد بعض  
 المستفيين بيان مذهبهم في كشف الوجود وترتيب حقائقه فأقرب بالانحسار فالانحسار  
 بالنسبة إلى أهل النظر والاصطلاحات والعلوم كما فعل القرعاني شارح قصيدة ابن  
 الفارض في الديباجة التي كتبها في صدر ذلك الشرح فإنه ذكر في صدر الوجود من  
 الفاعل وترتيبه أن الوجود كله صادر عن صفة الوجدانية التي هي مظهر الاحدية  
 وهما معا صادران عن الذات الصكرية التي هي عين الوحدة لا غير ويسمون هذا  
 الصدور بالتجلي وأول مراتب التجليات عندهم تعجلي الذات على نفسه وهو يتضمن  
 الكمال بأفاضة الإيجاد والظهور لقوله في الحديث الذي يتناقلونه كنت كرا غصبا  
 فأحييت أن أعرف خلقت الخلق ليعرفوني وهذا الكمال في الإيجاد المتأخر في الوجود  
 وتفصيل الحقائق وهو عندهم عالم المعاني والحضرة الكالية والحقيقة المحمدية وفيها  
 حقائق الصفات والروح والقلم وحقائق الأنبياء والرسل أجمعين والتكلم من أهل الملة  
 المحمدية وهذا كله تفصيل الحقيقة المحمدية ويصدر عن هذه الحقائق حقائق أخرى  
 في الحضرة الهبائية وهي مرتبة المثال ثم عنها العرش ثم الكرسي ثم الافلاك ثم عالم  
 العناصر ثم عالم التركيب هذا في عالم الرقي فإذا انحلت فهي في عالم الفسق ويسمى هذا  
 المذهب مذهب أهل التمثيل والمظاهر والحضرات وهو كلام لا يقدر أهل النظر على  
 تحصيل مقتضاها لموضعه وانغلاقه وبعد ما بين كلام صاحب المشاهدة والوجدان  
 وصاحب التمثيل وربما أنكر بظاهر الشرع هذا الترتيب وكذلك ذهب آخرون  
 منهم إلى القول بالوحدة المطلقة وهو رأي أغرب من الأقل في تعقله وتعارفه زعمون  
 فيه أن الوجود له قوى في تفاصيلها كانت حقائق الموجودات وصورها وموآجدها  
 والعناصر إنما كانت بما فيها من القوى وكذلك مادتها الهافية نفسها اقترابها  
 وجودها ثم المركبات فيها تلك القوى متضمنة في القوة التي كان بها التركيب كالقوة  
 المعدنية فيها اقتراب العناصر بهيولها وزيادة القوة المعدنية ثم القوة الحيوانية تتضمن  
 القوة المعدنية وزيادة قوتها في نفسها وكذا القوة الانسانية مع الحيوانية ثم كذلك تتضمن  
 القوة الانسانية وزيادة وكذا الذات الروحانية والقوة الجامعة لكل من غير تفصيل  
 هي القوة الإلهية التي انبثت في جميع الموجودات كلية وجزئية وجعلتها وأحاطت بها  
 من كل وجه لا من جهة الظهور ولا من جهة الخفاء ولا من جهة الصورة ولا من جهة

الماتة فالكل واحد وهو نفس الذات الالهية وهي في الحقيقة واحدة بسيطة والاعتبار  
 هو الفصل لها كالانسانية مع الحيوانية الا ترى أنها مندرجة فيها وكأنه يكونها مقارة  
 يتألف منها الجنس مع النوع في كل موجود كما ذكرناه وتارة بالكل مع الجزء على طريقة  
 المثال وهم في هذا كله يفترون من التركيب والكثرة بوجه من الوجوه وانما أوجها  
 عندهم الوهم والخيال والذي يظهر من كلام ابن دهقان في تقريره هذا المذهب أن  
 حقيقة ما يقولونه في الوحدة شبيه بما تقولوه الحكما في الألوان من أن وجودها مشروط  
 بالضوء فإذا عدم الضوء لم تكن الألوان موجودة بوجه وكذا عندهم الموجودات  
 الخمسة كلها مشروطة بوجود المدرك الحسي بل والموجودات المعقولة والتوهمية  
 أيضاً مشروطة بوجود المدرك العقلي فإذا الوجود المفصل كله مشروط بوجود المدرك  
 البشري فلو فرضنا عدم المدرك البشري بوجه لم يكن هناك تفصيل الوجود بل هو بسيط  
 واحد الخ والبرد والصلابة واللين بل والارض والماء والنار والها والكواكب  
 انما وجدت بوجود الحواس المدركة لها لما جعل في المدرك من التفصيل الذي ليس  
 في الموجود وانما هو في المدارك فقط فإذا فقدت المدارك المفصلة فلا تفصيل انما  
 هو ادراك واحد وهو انما لا غيره ويعتبرون ذلك بحال الشان فانه اذا نام وقد احس  
 انظاره فقد كل محسوس وهو في تلك الحالة لا ما يفصله الخيال فالواكذ اليقظان  
 انما يعتبر تلك المدركات كلها على التفصيل بنوع مدركه البشري ولو قدر فقد مدركه  
 فقد التفصيل وهذا هو معنى قولهم الموه لا الوهم الذي هو من جهة المدارك البشرية  
 هذا المختص رأيهم على ما يفهم من كلام ابن دهقان وهو في غاية السقوط لانا قطع  
 بوجود البلد الذي نحن مسافرون عنه واليه بقينا مع غيبته عن أعيننا بوجود النجاء  
 المظلة والكواكب وسائر الاشياء الغائبة عنا والانسان قاطع بذلك ولا يكبر أحد  
 نفسه في البين مع ان المحققين من المتصوفة المتأخرين يقولون ان المرید عند الكشف  
 ربما يعرض له وهم هذه الوحدة ويسمى ذلك عندهم مقام الجمع ثم يترقى عنه الى التميز  
 بين الموجودات ويعتبرون عن ذلك بمقام الفرق وهو مقام العارف الحق ولا بد للمرید  
 عندهم من عقبة الجمع وهي عقبة صعبة لانه يحتمل على المرید من وقوفه عندها فتنصر  
 صفته فقد تنبت مرآة أهل هذه الطريقة ثم ان هؤلاء المتأخرين من المتصوفة  
 المتكلمين في الكشف وفيما وراء الحس وتعالى في ذلك فذهب الكثير منهم الى الحلول  
 والوحدة كما أشرفنا اليه وعلوا العصفه منه مثل الهروي في كتاب المقامات وغيرها وتبعهم  
 ابن العربي وابن سبعين وتليدهما ابن العفيف وابن القارض والتجم الاسرايلي في  
 قصائدهم وكان سلفهم مخالطين للاسماعيلية المتأخرين من الرافضة الدائنين أيضاً

بالحلول والهيئة الأئمة مذهبهم يعرف لا أولهم فأشرب كل واحد من الفرقين مذهب  
 الآخر واختلط كلامهم وتشابهت عقائدهم وظهر في كلام المتصوفة القول بالقطب  
 ومعناه رأس العارفين يزعمون أنه لا يمكن أن يساويه أحد في مقامه في المعرفة حتى  
 يقبضه الله ثم يورث مقامه لا تحرم أهل العرفان وقد أشار إلى ذلك ابن سينا في كتاب  
 الاشارات في فصول التصوف منها فقال جلّ جلاله أن يكون شرعة لكل واحد  
 أو يطلع عليه الا الواحد بعد الواحد وهذا الكلام لا تقوم عليه حجة مقننة ولا دليل  
 شرعي وانما هو من أنواع الخطابة وهو بعينه ما تقولوا لرافضة ودانوا به ثم قالوا بترتيب  
 وجود الابد بعد هذا القطب كما قاله الشيعة في الثقباء حتى انهم لما أسندوا إلى  
 خرفة التصوف ليعملوا أصل طريقتهم ويحللهم رفعوه الى علي رضي الله عنه وهو من  
 هذا المعنى أيضا والافضل رضي الله عنه لم يخص من بين الصعابة بفضيلة ولا طريقة في  
 لباس ولا حال بل كان أبو بكر وعمر رضي الله عنهما أزهدي الناس بعد رسول الله صلى الله  
 عليه وسلم وأكثرهم عبادة ولم يخص أحدهم في الدين بشيء يؤثر عنه في الخصوص بل  
 كان الصعابة كلهم أسوة في الدين والزهد والمجاهدة يشهد بذلك من كلام هؤلاء  
 المتصوفة في أمر القاطعي وما شئوا كتبهم في ذلك مما ليس لسلف المتصوفة فيه  
 كلام بنى أو انبأت وانما هو مأخوذ من كلام الشيعة والرافضة ومذهبهم في كتبهم  
 والله يهدي الى الحق ثم ان كثيرا من الفقهاء وأهل القضاة اتدوا بالرد على هؤلاء  
 المتأخرين في هذه المقالات وأمثلةها وشملوا بالنكيس ما وقع لهم في الطريقة والحق  
 أن كلامهم معهم فيه تفصيل فان كلامهم في أربعة مواضع أحدها الكلام على  
 المجاهدات وما يحصل من الأدواق والمواجد ومحاسبة النفس على الاعمال تحصل  
 تلك الأدواق التي تصير قامة ما يرى منه الى غيره كما قلناه وثانيها الكلام في الكشف  
 والخفية المدركة من عالم القسب مثل الصفات الربانية والعرش والكرسي والملائكة  
 والوحي والنبوة والروح وحقايق كل موجودات أو شاهد وتركيب الاكوان  
 في صدورهم وانما وجدوها وتكونها كالمزوثات التصرفات في العوالم والاكوان  
 بأنواع الكرامات وابعائها لفاظ موهمة الظاهر صدرت من الكثيرين أئمة القوم  
 يعبرون عنها في اصطلاحهم بالسطحات تستشكل ظواهرها فتذكر وتحسن ومتأول فأنما  
 الكلام في المجاهدات والمقامات وما يحصل من الأدواق والمواجد في شأنها ومحاسبة  
 النفس على التقصير في أسبابها فأمر لا مدفع فيه لاحد وأدواقهم فيه صحيحة والتحقيق  
 بها هو عين السعادة وأما الكلام في كرامات القوم واخبارهم بالمغيبات وتصرفهم  
 في الكائنات فأمر صحيح غير منكر وان مال بعض العلماء الى انكارها فليس ذلك من

الحق وما احتج به الاستاذ أو امحق الاستراحي من أئمة الأشعرية على انكارها  
 لا تباسبها بالمجزة فقد فرق المحققون من أهل السنة بينهما بالتهدّي وهو دعوى وقوع  
 المجزة على وفق ما جاء به قالوا ثم اتفقوا على وفق دعوى الكاذب غير مقدور لأن  
 دلالة المجزة على الصدق عقلية فإن مفسدة نفسها التصديق فلو وقعت مع الكاذب  
 تبدلت صفة نفسها، وهو محال هذا مع أن الوجود شاهد بوقوع الكذب كثير من هذه  
 الكرامات وانكارها نوع مكابر وقد وقع للصحاب وأكبر السلف كثير من ذلك وهو  
 معلوم مشهور وأما الكلام في الكشف واعطاء محقق العلويات وترتيب صدور  
 الكائنات فأكثر كلامهم فيه نوع من التشابه لما أنه وجداني عندهم وفاقد الوجود ان  
 عندهم يعزل عن أدواقهم فيه واللغات لا تعطي دلالة على مرادهم منه لانهم لم يوضع الا  
 للمتعارف وأكثر من المحسوسات فنحن في أن لا تعرض لكلامهم في ذلك وتركه فيما  
 تركا من التشابه ومن رزقه الله فهم شيء من هذه الكلمات على الوجه الموافق لطاهر  
 الشريعة فلازم بها سعادة أو آما الا لفاظا الموهمة التي يعبرون عنها بالشطحات ويؤاخذهم  
 بها أهل الشرع فالعلم أن الانصاف في شأن القوم أنهم أهل غيبة عن الحس والواردات  
 تحكمهم حتى شطقوا عنها بما لا يقصدونه وصاحب القصة غير مخاطب والمجبور معذور  
 فمن علم منهم فضله واقتداؤه حمل على القصد الجميل من هذا وان العبارة عن الواحد  
 صعبة لفقدان الوضع كما وقع لا يريده أمثاله ومن لم يعلم فضله ولا اشتهر فواخذنا  
 صدر عنه من ذلك اذ المتيين لسانا يحملنا على تأويل كلامه وأما من تكلم بعقلها وهو  
 حاضر في حسه ولم يعلل به الحال فواخذنا أيضا ولهذا أفتى الفقهاء وأكابر المتصوفة  
 يقتل الخلاج لانه تكلم في حضوره وما لك لخاله والله أعلم وسبق المتصوفة من أهل  
 الرسالة أعلام الله الذين أشرنا اليهم من قبل لم يكن لهم حرص على كشف الجباب ولا هذا  
 النوع من الادراك انما همهم الاتباع والاقتداء ما استطاعوا ومن عرض له شيء من  
 ذلك أعرض عنه ولم يجعل به بل يفترق منه ويرون انه من العواتق والحن وأنه ادراك  
 من ادراك النفس مخلوق حادث وأن الموجودات لا تنصرف في مدارك الانسان  
 وعلم الله أوسع وخلق أكبر وشرعيته بالهداية أمك فلا يخطون بشيء محمليد يكون بل  
 حظوا الخوض في ذلك ومنعوا من يكشف له الجباب من أصحابهم ممن انخوض فيه  
 والوقوف عنده بل يلزمون طريقته كما كانوا في عالم الحس قبل الكشف من الاتباع  
 والاقتداء وبأمر من أصحابهم بالزامها وهكذا ينبغي أن يكون حال المريدين والله الموفق .

للمصواب

هذا العلم من العلوم الشرعية وهو حادث في الملة عندما صارت العلوم مستأنسة وكتب  
 الناس فيها وأما الرؤيا والتعبير لها فقد كان موجودا في السلف كما هو في الخلف وربما  
 كان في الملوك والأمم من قبل الأنبياء لئلا يكتفاه فيه بكلام المعبرين من أهل  
 الإسلام والأفلاكيين وأما وجوده في حنف البشر على الإطلاق ولا بد من تعبيرها فقد كان  
 يوسف الصديق صلوات الله عليه يعبر الرؤيا كما وقع في القرآن وكذلك ثبت في الصحيح  
 عن النبي صلى الله عليه وسلم وعن أبي بكر رضي الله عنه والرؤيا مدرك من مدارك  
 الغيب وقال صلى الله عليه وسلم الرؤيا الصالحة جزء من ستة وأربعين جزءا من النبوة  
 وقال لم يبق من المشرات إلا الرؤيا الصالحة راها الرجل الصالح أوتى له وأول ما يدعى  
 به النبي صلى الله عليه وسلم من الوحي الرؤيا فكان لا يرى رؤيا إلا جاءت مثل فلق الصبح  
 وكان النبي صلى الله عليه وسلم إذا انتقل من صلاة الغداة يقول لأصحابه هل رأى أحد  
 منكم الله رؤيا يسألهم عن ذلك ليستشبر بما وقع من ذلك بحافيه ظهور الدين  
 واعزازه وأما السبب في كون الرؤيا مدركا للغيب فهو أن الروح القلبية وهو الجناد  
 اللطيف المتبع من تجويف القلب المعنى يستشرف في الشرائيات ومع الدم في سائر  
 البدن وبه تكمل أفعال القوى الحيوانية وحاسها فإذا أدركه اللذات ~~بكملة~~  
 التصرف في الاحساس بالحواس الخمس وتصرف القوى القاهرة وغشى سطح البدن  
 ما يفسده من برد الليل الخمس الروح من سائر أقطار البدن إلى مركزه القلبي فيستقيم  
 بذلك لمعادودة فعله فتعطلت الحواس القاهرة كلها وبذلك هو معنى النوم كما تقدم  
 في أول الكتاب ثم إن هذا الروح القلبي هو مطية للروح الصاقل من الإنسان والروح  
 الصاقل مدرك لجميع ما في عالم الأمية إذ أنه إذا حقيقته وذاته عين الإدراك وانما يمتنع  
 من تعطله للمدارك الغيبية ما هو فيه من حجاب الاشتغال بالبدن وقواه وحواسه فلو  
 قد خلا من هذا الحجاب وتجرد عنه لرجع إلى حقيقته وهو عين الإدراك فيعقل كل  
 مدرك فإذا تجرد عن بعضها خفت شواغله فلا بد له من إدراك له من عالمه بقدر ما تجرد  
 له وهو في هذه الحالة قد خفت شواغل الحس الظاهر كلها وهي الشاغل الأعظم فاستعد  
 لتبول ما هناك من المدارك الثلاثة من عالمه وإذا أدرك ما يدرك من عوالمه رجوع  
 إلى جهة آخره مادام في بدنه جسماني لا يمكنه التصرف إلا بالمدارك الجسمانية والمدارك  
 الجسمانية للعلم انما هي الدماغية والمتصرف منها هو الخصال فانه يتزعم من الصور  
 المحسوسة صوراً خيالية ثم يذهبها إلى الحافظة تحفظها إلى وقت الحاجة اليها عند  
 النظر والاستدلال وكذلك تجرد النفس من بصرها أخرى نفسانية عقلية فتعرف التجربة  
 من المحسوس إلى المقبول والخيال واسطة بينهما ولذلك إذا أدركت النفس من عالمها

مآذركه أقمته الى الخيال فيصوره بالصورة المناسبة . ويدفعه الى الحبس المشترك فيراه  
 التسامح كأنه محسوس فيستزل المدرك من الروح العقلي الى الحسي والخيال أيضا  
 واسطة هذه حقيقة الرؤيا ومن هذا التقرير يظهر لك الفرق بين الرؤيا الصالحة وأضغاث  
 الاحلام الكاذبة فانها كلها صوري في الخيال حالة النوم لكن ان كانت تلك الصور  
 مستزلة من الروح العقلي المدرك فهو رؤيا وان سكنت مأخوذة من الصور التي  
 في الحافظة التي كان الخيال أودعها اياها منذ اللحظة فهي أضغاث أحلام . وأما  
 معنى التعبير فاعلم أن الروح العقلي اذا أدرك مدركه وألقاه الى الخيال فيصوره فانما  
 يصوره في الصور المناسبة لذلك المعنى بعض الشيء كما يدرك معنى السلطان الاعظم  
 فيصوره الخيال بصورة الجبر أو يدرك العداوة فيصورها الخيال في صورة الحية فاذا  
 استيقظ وهو لم يعلم من أمره الا أنه رأى الجبر أو الحية فينظر المعبر بقوة التشبيه بعد أن  
 يتبين أن الجبر صورة محسوسة وأن المدرك وراءه فهو يبتدى بقرائن أخرى تعيينه  
 المدرك فيقول مثلا هو السلطان لأن الجبر خلق عظيم يناسب أن يشبه به السلطان  
 وكذلك الحية يناسب أن تشبه بالعدو لعظم ضررها وكذا الاواني تشبه بالثاء لانهم  
 أوعية وأمثال ذلك ومن المرقى ما يكون صريحا لا يقتصر الى تعبير بل انهم يوضحها  
 أو اقرب التشبيه فيها بين المدرك وشبهه ولهذا وقع في الصحيح الرؤيا ثلاث رؤيا من الله  
 ورؤيا من الملك ورؤيا من الشيطان فالرؤيا التي من الله هي الصريحة التي لا تقتصر الى  
 تأويل والتي من الملك هي الرؤيا الصادقة تقتصر الى التعبير والرؤيا التي من الشيطان  
 هي الاضغاث . واعلم أيضا أن الخيال اذا ألقى اليه الروح مدركه فانما يصوره  
 في القوالب المعتادة للحس ما لم يكن الحس أدركه قط فلا يصور فيه فلا يمكن من ولده  
 أعني أن يصوره السلطان بالجبر ولا العدو بالحية ولا الثاء بالاواني لانه لم يدرك شيئا  
 من هذه وانما يصوره الخيال أمثال هذه في شبهها ومناسبتها من جنس مداركه التي هي  
 المسوعات والمجموعات ولتخلف المعبر من مثل هذا فربما اختلط به التعبير وقد قانونه  
 ثم ان علم التعبير علم بقوانين كلية يتي عليها المعبر عبارة ما يقص عليه وتأويله كما يقولون  
 الجبر يدل على السلطان وفي موضع آخر يقولون الجبر يدل على الغبط وفي موضع آخر  
 يقولون الجبر يدل على الهم والامر القادح ومثل ما يقولون الحية تدل على العدو  
 وفي موضع آخر يقولون هي كاتمس وفي موضع آخر يقولون تدل على الحياة وأمثال  
 ذلك فيحفظ المعبر هذه القوانين الكلية ويعبر في كل موضع بما تقتضيه القرائن التي  
 تعين من هذه القوانين ما هو ألقى بالرؤيا وتلك القرائن منها في اللحظة ومنها في النوم  
 ومنها ما يتقدح في نفس المعبر بالخاصية التي خلقت فيه وكل من غير لما خلق له ولم يرل

هذا العلم متناقلين السبق وكان محمد بن سيرين فيه من أشهر العلماء وكتب عنه في ذلك القرون وتناقلها الناس لهذا العهد والقرن الكريم في عقبه ثم ألف المتكلمون المتأخرون وأكثروا المتداول بين أهل المغرب لهذا العهد كتب ابن أبي طالب القيرواني من علماء القيروان مثل المتعمق وغيره وكتاب الإشارة للسالمى وهو علم مضى بنور النبوة للمناسبة بينهما كما وقع في الصحيح والله علام الغيوب

#### ١٣ العلوم العقلية واصنافها

وأما العلوم العقلية التي هي طبيعة للانسان من حيث انه ذو فكر فهي غير مختصة بجملة بل يوجد النظر فيها لاهل الملل كلهم ويتوون في مداركها ومباحثها وهي موجودة في النوع الانساني منذ كان عمران الخلقة وتسمى هذه العلوم علوم الفلفة والحكمة وهي مشتملة على أربعة علوم الأول علم المنطق وهو علم بهضم الفهم عن الخطا في اقتناص المطالب المجهولة من الامور الحاصلة المعلومة وفائدته تميز النظام من الصواب فيما يلحقه الناظر في الموجودات وعوارضها ليقف على حقيقة الحق في الكائنات بمنتهى فكره ثم النظر بعد ذلك عندهم اتما في المحسوسات من الاجسام العنصرية والمكونة عنها من المعدن والنبات والحوان والاجسام الفلكية والحركات الطبيعية والنفس التي تبعث عنها الحركات وغير ذلك ويسمى هذا الفن بالعلم الطبيعي وهو الثاني منها واما أن يكون النظر في الامور التي وراء الطبيعة من الروحانيات ويسمونه العلم الالهى وهو الثالث منها والعلم الرابع وهو الناظر في المقادير ويشتمل على أربعة علوم وتسمى التعاليم اولها علم الهندسة وهو النظر في المقادير على الاطلاق اما المنفصلة من حيث كونها معدودة والمتصلة وهي اما ذو بعد واحد وهو الخط او ذو بعدين وهو السطح او ذو ابعاد ثلاثة وهو الجسم التعليمي ينظر في هذه المقادير وما يعرض لها اتما من حيث ذاتها ومن حيث نسبة بعضها الى بعض وثانيها علم الارقراطي وهو معرفة ما يعرض للصكم المنفصل الذي هو العدد ويؤخذ من الخواص والموارد اللاحقة وثالثها علم الموسيقى وهو معرفة نسب الاصوات والنغم بعضها من بعض وتقديرها بالعدد وغيره معرفة تلاحين القناء ورابعها علم الهيئة وهو تعيين الاشكال للافلاك وحصر أوضاعها وتعدد هالكل كوكب من السيادة والقيام على معرفة ذلك من قبل الحركات السماوية المشاهدة الموجودة لكل واحد منها ومن رجوعها واستقامتها واقبالها وادبارها فهذه أصول العلوم الفلسفية وهي سبعة المنطق وهو المتقدم منها وبعده التعاليم فالارقراطي أولا ثم الهندسة ثم الهيئة ثم

الموسيقى ثم الطبيعيات ثم الالهيات ولكل واحد منها فروع تتفرع عنه فمن فروع  
 الطبيعيات الطب ومن فروع علم العدد علم الحساب والقراض والمعاملات ومن  
 فروع الهيئة الارياح وهي قوانين لحسابات حركات الكواكب وتعدى بها الوقوف  
 على ما اوضحناه في قصده ذلك ومن فروع النظر في العلوم علم الاحكام النجومية  
 ونحن نتكلم عليها واحدا بعد واحد الى آخرها واعلم ان اكثر من مئة في اهل الاجيال  
 الذين عرفنا أخبارهم الاثنان العظيمان في الدولة قبل الاسلام وهما فارسيان والرومي  
 فكانت أسواق العلوم نافذة لديهم على ما بلغنا لما كان العمران موفور فيهم والدولة  
 والسلطان قبل الاسلام وعصرهم لهم فكانت لهذه العلوم مجور زاخرة في آفاقهم  
 وأمصارهم وكان الكلدانيون ومن قبلهم من السريانيين ومن عاصرهم من القبط  
 عنابة بالبحر والنجامة فيما يتبعها من العلوم وأخذ ذلك عنهم الامم من فارس ويونان  
 فانخص بها القبط وطى بحر هافهم كما وقع في المتلون خبر هاروت وماوروت وشأن  
 الصخرة وما نقله أهل العلم من شأن البراني بضمد مصر ثم تابعت الملل بمحظور ذلك  
 وتخرجهم فدرست علومه وبطلت كأن لم تكن الا بقايا قلها متعلو هذه الصنائع  
 والله أعلم بصحة ما مع أن سيوف الشرع قائمه على ظهورها مانعة من اختباؤها وأما  
 القرس فكان شأن هذه العلوم العقلية عندهم عظيما ونطاقها متعاليما كانت عليه  
 دولتهم من النخامة واتصال الملك ولقد يقال إن هذه العلوم انما وصلت الى يونان  
 منهم حين قبل الاسكندر دارا وغلب على مملكة الكينية فاستوى على كتبهم وعلومهم  
 ما لا يأخذ الحصر ولم تقتض أرض فارس وجودها فيها كتب كثيرة كتب سعد بن أبي  
 وقاص الى عمر بن الخطاب ليستأذنه في شأنها وتقبلها للمسلمين فكتب اليه عمر أن  
 اطرحوها في الماء فان يكن ما فيها هدى فقد هدانا الله باهدى منه وان يكن ضلالا فقد  
 كفانا الله فطرحوها في الماء أو في النار وذهبت علوم القرس فيها عن أن تصل البناء  
 وأما الروم فكانت الدولة منهم يونان وأولا وكان لهذه العلوم بينهم مجال رحب  
 وجعلها مشاهير من رجالهم مثل أساطين الحكمة وغيرهم واخصر فيها المشاؤون منهم  
 أصحاب الراقي بطريقة حسنة في التعليم كانوا يترؤن في رواق يظللهم من الشمس  
 والبرد على ما زعموا واتصل فيها سند تعليمهم على ما زعمون من لندن لقد مان الحكيم  
 في تليذه بهراط الدين ثم الى تليذه افلاطون ثم الى تليذه ارسلو ثم الى تليذه الاسكندر  
 الاقروسي وتأسس طوبون وغيرهم وكان اردطو معلما لاسكندر لمكهم الذي  
 غلب القرس على ملكهم وانتزع الملك من أيديهم وكان أروخهم في هذه العلوم قدما  
 وأبعدهم فيها صيتا وكان يسمى المعلم الأول فطار له في العالم ذكر \* ولما انقرض



أمر اليونان وصار الامر لمقياسرة وأخذوا يدين النصرانية هجروا تلك العلوم  
كما تقتضيه الملل والشرائع فيها وبقيت في صحنها ردوا وينها مغلدة باقية في  
خزائنها ثم ملكوا الشام وكتب هذه العلوم باقية فيهم ثم جاء اقبه الاسلام وكان لأهل  
الظهور الذي لا كفاء له وابتزوا الروم ملكهم فيها ابتزوا للام وابتهاء أمرهم  
بالسذاجة والغفلة عن الصنائع حتى اذا تعصب السلطان والدولة وأخذوا من  
الحضارة بالحظ الذي لم يكن لغيرهم من الامم وتفننوا في الصنائع والعلوم تشوقوا الى  
الاطلاع على هذه العلوم الحكيمية بما هموا من الاساقفة والاقبة المعاهدين بعض  
ذكر منها وما سمعوا اليه افكار الانسان فيها قدمت أبو جعفر المنصور الى ملك الروم  
أن يعث اليه بكتب التعاليم مترجمة فيكتب اليه بكتاب أو قلدس وبعض كتب  
الطبيعات فقرر أها الملون واطلعوا على ما فيها وازدادوا حرصا على الظفر بما في  
منها وجاء المؤمن بعد ذلك وكانت له في العلم رغبة بما كان يتقدها فتحمل هذه العلوم  
حرصا وأودعها الرسل على ملوك الروم في استقراج علوم اليونانيين واتساعها بالخط  
العربي وبعث المترجمين لذلك فأوعى منه واستوعب وعكف على الظواهر من أهل  
الاسلام وحذقوا في فنونها وانتهت الى الغاية انظروا فيها وخالقوا كثير من آراء  
المعلم الاذل واختصوه بالرد والقبول لوقوف الشهرة عنده ودونوا في ذلك الدواوين  
وأدوا على من تقدمهم في هذه العلوم وكان من أكابرهم في الملة أبو نصر الفارابي وأبو  
علي بن سينا بالمشرق والقاضي أبو الوليد بن رشد والوزير أبو بكر بن الصائغ بالاندلس  
الى آخرين بلغوا الغاية في هذه العلوم واختص هؤلاء بالشمرة والذكروا قاصر كثير  
على اتصال التعاليم وما يضاف اليها من علوم التعلية والسحر والطبجات ووقفت  
الشمرة في هذا المختل على مسألة بن أحمد الجرجيني من أهل الاندلس وتليذه ودخل  
على الملة من هذه العلوم وأهلها داخله واستهوت الكثيرين من الناس بما جفوا اليها  
وقلدوا آراءها والذنب في ذلك لمن ارتكبه ولو شاء الله ما فصلوه \* ثم ان المغرب  
والاندلس لما ركبت ربح العمران بهما وتناقصت العلوم بتناقصه اضحى ذلك منهما  
الاقليل من ربحه فجدوا في تقاضين من الناس ونهت وقبة من علماء السنة ويبلغنا  
عن أهل المشرق أن بضائع هذه العلوم لم تزل عندهم موفورة وخصوصا في عراق العجم  
وما بعده فجاورا والنهر وأنهم على تيج من العلوم العقلية لتوفر عمرانهم واستحكام  
الحضارة فيهم ولقد وقتت بمصر على تأليف متعة لرجل من عظماء هرة من بلاد  
خراسان شهر ربيع الدين التفتازاني منها في علم الكلام وأصول الفقه والبيان  
تشهد بأن له ملكة واضحة في هذه العلوم وفي أثنائها ما يدل له على أن له اطلاعا على العلوم

الحكمة وقد ما عالسفة في سائر السنون العقلية واقفه يؤيد بنصر من يشاء كذلك بلغنا  
 لهذا العهد أن هذه العلوم الفلسفية يلاذ الأفرنجية من أرض رومة وما لها من  
 العدو التحالية ناقمة الاسواق وأن رسومها هناك متعددة ويحالس لتعليمها متعددة  
 ودواوينها جامعة متوفرة وطلبها متكثرة واقفه أعلم علمها ناك وهو يخلق ما يشاء ويختار

### العلوم العددية

وأولها الأرقام طبق وهو معرفة خواص الأعداد من حيث التأليف أما على التوالي  
 أو بالتصنيف مثل أن الأعداد إذا اختلفت متفاضلة بعدد واحد فإن جمع الطرفين منها  
 سوا لجمع كل عددين بعدهما من الطرفين بعد واحد ومثل ضعف الواسطة إن كانت  
 عدة تلك الأعداد فردا مثل الأفراد على توأليها والأزواج لي توأليها ومثل أن الأعداد  
 إذا اختلفت على نسبة واحدة يكون أولها نصف ثانيها وثانيها نصف ثالثها الخ أو يكون  
 أولها ثلث ثانيها وثانيها ثلث ثالثها الخ فإن ضرب الطرفين أحدهما في الآخر كضرب  
 كل عددين بعدهما من الطرفين بعد واحد أحدهما في الآخر ومثل مربع الواسطة  
 إن كانت العدة فردا وذلك مثل أعداد زوج الزوج المتوالية من اثنين فأربعة ثمانية  
 فستة عشر ومثل ما يحدث من انخواص العددية في وضع المثلثات العددية والمربعات  
 والمخمسات والمستديرات إذا وضعت متتالية في سطورها بأن يجمع من الواحد إلى  
 العدد الأخير فتكون مثلثة وتتوالى المثلثات هكذا في سطرها في المضاعف ثم تزيد على  
 كل مثلث ثلث الضلع الذي قبله فتكون مربعة وتزيد على كل مربع مثلث الضلع الذي  
 قبله فتكون مخمسة وهلم جرا وتتوالى الأشكال على توالي المضاعف ويحدث جدول  
 ذو طول وعرض في عرضه الأعداد على توأليها ثم المثلثات على توأليها ثم المربعات ثم  
 الخمسات الخ وفي طوله كل عدد وأشكاله بالغا ما بلغ وتحدث في جمعها وقسمة بعضها  
 على بعض طولاً وعرضاً خواص غريبة استقرت منها وتقررت في دواوينهم مسائلها  
 وكذلك ما يحدث للزوج والفرد وزوج الزوج وفرد الفرد وزوج الزوج والفرد فإن  
 لكل منها خواص مختصة به فخصها هذا الفن وليست في غيره وهذا الفن أول أجزاء  
 التعاليم وأثبتها ويدخل في براهين الحساب والبرهان المتقدمين والمتأخرين فيه تأليف  
 وأكثرتهم بدرجونه في التعليل ولا يفردونه بالتأليف مثل ذلك ابن سينا في كتاب  
 الشفا والنصائح وغيره من المتقدمين وأما المتأخرون فهو عندهم مهجور وأذهب غير  
 متداول ومنفعة في البراهين لأن الحساب مهجور وذلك بعد أن استغفلوا زبدته  
 في البراهين الحسابية كما فعله ابن البناء في كتاب رفع الحلب والله سبحانه وتعالى أعلم

\* (ومن فروع علم العدد صناعة الحساب) \* وهي صناعة عملية في حساب الاعداد  
 بالضم والتفريق فالضم يكون في الاعاء اديا لافراد وهو الجمع وبالتضعف تضاعف  
 عددا بآحاد عدد آخر وهذا هو الضرب والتفريق أيضا يكون في الاعداد اديا لافراد  
 مثل ازالة عدد من عدد ومعرفة الباقي وهو الطرح أو تقصيل عدد بأجزاء متساوية  
 تكون عدتها محصلة وهو القسمة وسواء كان هذا الضم والتفريق في الصحيح من العدد  
 أو الكسور وهى الكسر نسبة عدد الى عدد وتلك النسبة تسمى كسرا وكذلك يكون  
 بالضم والتفريق في الجذور ومنهاها العدد الذى يضرب فى مثله فيكون منه العدد  
 المربع فان تلك الجذور أيضا يدخلها الضم والتفريق وهذه الصناعة حادثة احتيج  
 اليها الحساب فى المعاملات وألف الناس فيها كثيرا وتداولوها فى الامصار بالتعليم  
 للولدان ومن أحسن التعلم عندهم الانداس بها لانها متعارف متفهمة وبراهين متتامة  
 فنبشأ عنها فى الغالب عقل منتهى درج على الصواب وقد يقال من أخذ نفسه بتعليم  
 الحساب أول أمره انه يغلب عليه الصلابة قبل ما فى الحساب من صحة المباني ومناقشة  
 النفس فيصير ذلك خلقا ويتعد الصدق ولا يتركه مذهباً ومن أحسن التاكيف  
 المبسوطة فى هذا العهد بالمغرب كتاب الحساب الصغير ولابن البناء المراكشى فيه  
 تلخيص ضابطاوتين أعماله مفصلة ثم شرحه بكتاب سماه رفع الحجاب وهو مستغنى  
 على المبتدئ بما فيه من البراهين الوثيقة المباني وهو كتاب جليل القدر وكذا المشيخة  
 لعظمه وهو كتاب جدير بذلك وانما جاء الاستغناء عن طريق البرهان ببيان علوم  
 التعاليم لأن مسائلها وأعمالها واضحة كلها واذا قصد شرحها فأنما هو اعطاء العلل  
 فى تلك الاعمال وفى ذلك من العسر على الفهم ما لا يوجد فى أعمال المسائل فتأمل  
 والله جدى شورى من يشاء وهو القوى المتين \* (ومن فروع الجبر والمقابلة) \*  
 وهي صناعة يستخرج بها العدد المجهول من قبل المعالوم المقروض اذا كان بينهما  
 نسبة تقتضى ذلك فاصططحوافيا على أن جعلوا للجبهولات مراتب من طريق  
 التضعيف بالضرب أو لها العدد لان به يتعين المطلوب المجهول باستخراجهم من نسبة  
 المجهول اليه وثانها الشيء لأن كل مجهول فهو من جهة ايهامه شئ وهو أيضا جذر  
 لما يلزم من تضعيفه فى المرتبة الثانية وثالثها المال وهو أمر مهم وما بعد ذلك فعلى  
 نسبة الاس فى المضروبين ثم يقع اعمل المقروض فى المسئلة فتخرج الى معادلة بين  
 مجتبهين أو أكثر من هذه الاجناس فيقالون بعضها ببعض ويحبرون ما بينهما من الكسر  
 حتى يصير صحيحا ويحطون المراتب الى أقل الاسوس ان أمكن حتى يصير الى الثلاثة  
 التى عليها مدار الجبر عندهم وهى العدد والشيء والمال فان كانت المعادلة بين واحد

وواحد تعين فالمال والجذور زول اجماله بمعادلة العدد وتعين المال وان عادل الجذور  
 يتعين بقدرتها وان كانت المعادلة بين واحد واثنين أخرجه العمل الهندسي من طريق  
 تقصيل الضرب في الاثنين وهي مهمة فيعينها ذلك الضرب المفضل ولا يمكن المعادلة  
 بين اثنين واثنين وأكثراً انتهت المعادلة بينهم الى ستم مسائل لان المعادلة بين عدد  
 وجذر يعال مفردة أو مركبة تبي ستة وأقول من كتب في هذا الفن أبو عبد الله  
 الخوارزمي وبعده أبو كامل خبصاع بن أطم وجاء الناس على أثره فيه وكتبه في مسائله  
 الست من أحسن الكتب الموضوعة فيه وشرحه كثير من أهل الاندلس فأجادوا  
 ومن أحسن شروحاته كتاب القرشي وقد بلغنا أن بعض أئمة العلماء من أهل المشرق  
 أنهى المعاملات الى أكثر من هذه الستة أجناس وبلغها الى فوق العشرين واستخرج  
 لها كلها أعمالاً وأتبعه براهين هندسية واقه يزيد في الخلق ما يشاء سبحانه وتعالى  
 • (ومن فروعه أيضاً المعاملات) • وهو تصرف الحساب في معاملات المدن  
 في البياعات والمساحات والزكوات وسائر ما يعرض فيه العدم من المعاملات يصرف  
 في ذلك صناعتا الحساب في المجهول والمعلوم والمكسر والصحيح والجذور وغيرها  
 والفرض من تكثر المسائل المفروضة في حصول المران والدرج بتكرار العمل حتى  
 ترسخ الملكة في صناعة الحساب ولاهل الصناعة الحسابة من أهل الاندلس تاليف  
 فيها متقدم من أشهر حامدات الزهراوى وابن السجى وأبي مسلم بن خالد ومن  
 تلخيصه الجبريلى وأمثالهم • (ومن فروعه أيضاً الفرائض) • وهي صناعة  
 حسابية في تصحيح السهام لذوى الفروض في الوراثات اذا تعددت وهلك بعض  
 الوراثين ونكسرت سهامه على ورثته أو زادت الفروض عند اجتماعها وتراجها  
 على المال كله أو كان في الفريضة اقراء وانكار من بعض الورثة فيحتاج في ذلك كله  
 الى عمل يعين به سهام الفريضة من كم تصح وسهام الورثة من كل بطن مستحق  
 تكون حظوظ الوراثين من المال على نسبة سهامهم من جلة سهام الفريضة فيدخلها  
 من صناعة الحساب جز كبير من محبته وكسره وجذره ومعلومه ومجهوله وترتب على  
 ترتيب أبواب الفرائض الفقهية ومسائلها فتشغل حينئذ هذه الصناعة على جزء من  
 الفقه وهو أحكام الوراثات من الفروض والعول والاقراء والانتكار والوصايا والتدبير  
 وغير ذلك من مسائلها وعلى جزء من الحساب وهو تصحيح السهام باعتبار الحكم  
 الفقهي وهي من أجل العلوم وقد يورث أهلها أحاديث نبوية تشهد بفضلها مثل  
 الفرائض ثلث العلم وانما أقول ما رفعت من العلوم وفي ذلك وعندى أن ظهورها تلك  
 الاحاديث كلها انما هي في الفرائض العينية كما تقدم لأفرائض الوراثات فانها أقل

من أن تكون في كتبها ثلث العلم وأما الفرائض العينة فكثيرة وقد ألف الناس في هذا الفن قدما وحديثا وأوجعوا ومن أحسن التأليف فيه على مذهب مالك رحمه الله كتاب ابن نبات ومختصر القاضي أبي القاسم الخوافي وكتاب ابن المنذر والجندي والصردى وغيرهم لكن الفضل المعروف بكتابه مقدم على جميعها وقد شرحه عن شيخنا أبو عبد الله سليمان الشطري كبير مشيخة فاس فأوضح وأوعب ولا طم الخرمين فيها تأليف على مذهب الشافعي تشهدنا بتابعه في العلوم ودرس خلفه وكذا للحنفية والحنابلة ومقامات الناس في العلوم مختلفة واقدم من يشتمه ويكرمه لا ريب سواء

### (العلوم الهندسية)

هذا العلم هو النظر في المقادير أما المتعلقة بكتل الط والسطح والجسم وأما المتعلقة بالأعداد وفيها برز لها من العوارض الذاتية مثل أن كل مثلث فزوياها مثلث قائمتين وثقل أن كل خطين متوازيين لا يلتقيان في وجه ولو نربعا إلى غير نهايته فمثل ان كل خطين متقاطعين فازاوترسان المقليلتان منهم ممتساويتان ومثل أن الأربعة بمقادير المناسبة ضرب الأول منها في الثالث كضرب الثاني في الرابع وأمثال ذلك والكتاب المترجم لليونانيين في هذه الصناعة كتاب أوقليس ويسمى كتاب الاصول وكتاب الأركان وهو أبسط ما وضع فيها لمتعلمين وأقل ما ترجم من كتاب اليونانيين في الله أمام أي جسر المتصور ونسبه مختلفا باختلاف المترجمين فهم الخنثين ابن اسحاق ولثابت بن قزوة وليوسف بن الجليح ويشغل على خمس عشر متعلقة بأربعة في السطوح وواحدة في الأقدار المناسبة وأخرى في نسب السطوح بعضها إلى بعض وثلاث في العدد والعاشرة في المتطقات والقوى على المتطقات ونسبه الجذور وخمس في الجسومات وقد اختصره الناس اختصارا كثيرة كما فعله ابن مينا في تعاليم الشفاء أفردها جزأ منها اختصاصه وكذلك ابن الصلت في كتاب الاقتصار وغيرهم وشرحه آخرون شروبا كثيرة وهو مبدأ العلوم الهندسية بمطلق واعلم أن الهندسة تقليد صاحبها الضامة في عقله واستقامة في شخصه لأن براهينها كلها عينة الاستظام جليلة الترتيب لا يكاد الظل يدخل أفقها الترتيب واستظامها فيجد الفكر بما رسمتها من الخطا ونشأ له اسمها على ذلك المهيح وقد دعوا أنه كلام مكتوب على باب أفلاطون من لم يكن مهتصفا فلا يدخل منزلا وكان شيخنا رحمه الله يقولنا بممارسة علم الهندسة للفكر بجملته الصاوب لثوب الذي يفضل منه الاقدار ونسبه من الاوضار والادران وإنما قلنا أنشرنا الاسم من ترتيبه واستظامه (ومن فروع

هذا الفن الهندسة المخصوصة بالاشكال الكرية والمخروطات) • أما الاشكال  
 الكرية ففيها كتابان من كتب اليونانيين ثاوديسيوس وميلاوش في مسطوحها  
 وقماحيه او كتاب ثاودوريوس مقدم في التعليم على كتاب ميلاوش لتوقف كثير من  
 براهينه عليه ولا بد منه ما لم يرد الخوض في علم الهيئة لان براهينه رقيقة عليها  
 فالكلام في الهيئة كله كلام في الكرات السماوية وما يعرض فيها من القطوع والقدوات  
 بأسباب الحركات كاندكزه فقد يتوقف على معرفة أحكام الاشكال الكرية طوحها  
 وقطوعها وأما المخروطات فهو من فروع الهندسة أيضا وهو يعلم بتطبيقاته  
 في الاجسام المخروطية من الاشكال والقطوع ويرى على ما يعرض لذلك من  
 العوارض براهين هندسية متوقفة على التعليم الاول وقادتهم بالتدريج في الصنائع  
 القليلة التي موادها الاجسام مثل البصارة والبناء وكيف تصنع القباب القرية  
 والهيكل النادرة وكيف يتصبل على جزر الاثقال ونقل الهياكل بالهندام والمضال  
 وأمثال ذلك وتذكر بعض المؤلفين في هذا الفن كتابا في الحيل العملية يتعين من  
 الصنائع القرية والحيل المستترقة كل هجينة وربما استغلق على مفهوم له به  
 براهينه الهندسية وهو موجود بأيدى الناس بنسبته اليه في شاكرو الله تعالى أعلم  
 • (ومن فروع الهندسة المساحة) • وهو فن يحتاج اليه في مسح الارض ومعرفة  
 اختراع مقدار الارض المعلومه بنسبة شبر أو ذراع أو برهما أو نسبة أرض من  
 أرض اذا قويت بمنزل ذلك ويحتاج اليه في تغليف الخراج على المزارع والقدن  
 وبساتين القراصة وفي قسمة الحواط والاراضي بين الشركاء والورثة وأمثال ذلك  
 ولتناس فيها موضوعات حسنة وكثيرة والله لموفق للصواب به وكرمه • (الناظر  
 من فروع الهندسة) • وهو علم يتبينه أسباب القلط في الادراك البصري بمعرفة  
 كيفية وقوعها باعلى أن ادراك البصر يكون مخروطا شعاع رأسه يقع فيه الباصر  
 وتجاهته المرقع تخضع القلط كثيرا في رؤية القريب كبروا والبعد صغيرا وكذا رؤية  
 الاشباح الصغيرة تحت الماء ورأه الاجسام الشفافة ككبيرة رؤية النقطة النازلة  
 من المطر خطا مستقيما واللمحة دائرية وأمثال ذلك فيتبين في هذا العلم أسباب ذلك  
 وكيف يانه بالبراهين الهندسية ويتبين به أيضا اختلاف المنظر في القمر باختلاف  
 العروض الذي ينبغي عليه معرفة رؤية الالهة وحصول الكسوفات وكثير من امثال  
 هذا وقد ألف في هذا الفن كثير من اليونانيين وأشهر من أنهم نيسمن الاسلاميين  
 ابن الهيثم وغيره فيه أيضا تأليف وهو من هذه الرأفة وتقديرها

وهو علم ينظر في حركات الكواكب الثابتة والمتحركة والمختصة ويستدل بكيفيات تلك الحركات على أشكال وأوضاع للأفلاك زمت عنها هذه الحركات الخمسة بطرق هندسية كما يبرهن على أن مركز الأرض مابين لمركز فلك الشمس بوجود حركة الاقبال والاذناب وكما يستدل بالرجوع والاستقامة للكواكب على وجود أفلاك صغيرة حاملة لها متحركة داخل فلكها الاعظم وكما يبرهن على وجود الفلك الثامن بحركة الكواكب الثابتة وكما يبرهن على تعدد الافلاك للكوكب الواحد بتعداد الميوله وأمثال ذلك وأدراك الموجد من الحركات وكيفياتها وأجناسها انما هو بالرد فانا انما علمنا حركة الاقبال والاذناب وكذا تركيب الافلاك في طبقاتها وكذا الرجوع والاستقامة وأمثال ذلك وكان اليونانيون يفتنون بالرد كثيرا ويقتضون له الآلات التي توضع ليرصد بها حركة الكوكب المعين وكانت تسمى عندهم ذات الحلق وصناعة عملها والبراهين فيه في مطابقة حركتها بحركة الفلك منقول بأبدي الناس وأما في الآلام فلم تقع به عناية الا في القليل وكان في أيام المأمون شئ منه وصنع الآلة المروفة للرد المسماة ذات الحلق وشرع في ذلك فلم يتم ولما مات ذهب ربه وأغفل واعتقد من بعده على الارصاد القديمة وليست بعفنية لاختلاف الحركات باقصال الاحقاب وأن مطابقة حركة الآلة في الرصد بحركة الافلاك والكواكب انما هو بالتقريب ولا يعطى التحقيق فاذا طاق الزمان ظهر تفاوت ذلك بالتقريب وهذه الهيئة مصنوعة شريفة وليست على ما يظنهم في السموات وأنما تعلى صورة السموات وترتيب الافلاك والكواكب بالحقيقة بل انما تعلى أن هذه الصور والهيئات للأفلاك زمت عن هذه الحركات وأنت تعلم أنه لا يبعد أن يكون الشئ الواحد لازما لمتعلقين وان قلنا ان الحركات لازمة فهو استدلال باللازم على وجود الملزوم ولا يعطى الحقيقة وجهه على أنه علم جليل وهو أحد أركان العالم ومن أحسن التاكيف كتاب المجسطي منسوب لبطليموس وليس من ملوذي اليونان الذين أسلموا فهم بطليموس على ما حقه شرح الكتاب وقد اختصره الأئمة من حكماء الاسلام كما فعله ابن سينوا ودرجه في تعاليم الشافعية ابن رشد أيضا من حكماء الاندلس وابن السمع وابن الصلبي كتاب الاقتصاد لابن الفرغاني هنة ملخصة ترجم لوهذف براهين الهندسية وواقع علم الانسان ما لم يلم سبحانه لانه الاهو رب الصلطين \* (ومن فروع علم الازياج) \* وهي صناعة حسابية على قوانين عديدة فيلخص كل كوكب من طريق حركته وما أذى اليه برهان الهيئة في وضعه من سرعة وبطء واستقامة ورجوع وغير ذلك يعرف به مواضع الكواكب في أفلاكها الاى وقت فرض من قبل حسابان حركتها على تلك

القوانين المستخرجة من كتب الهيئة ولهذه الصناعة قوانين كلفقات والاصول  
لها في معرفة الشهور والايام والتواريخ المخصصة واصول منتقاة من معرفة الابرار  
والخبيص والميول واصناف الحركات واستخراج بعضها من بعض يضعونها  
في جداول مرتبة تسهل على المتعلمين وتسمى الازياج ويسمى استخراجها مواضيع  
الكواكب للوقت المفروض لهذه الصناعة تعدد بلا وتقرى بالناس فيه تاليف كثيرة  
للمتقدمين والمتأخرين مثل البتاني وابن الكادودة وقول المتأخرون لهذا العهد بالغرب  
على زيجهم فسوب لابن اسحاق من منجمي تونس في أقل المائة السابعة ويرجعون أن  
ابن اسحاق يقول فيه على الرصد وانهم يودوا كان بصقلية ماهر في الهيئة والتعالم  
وكان قد عني بالرصد وكان يبعث اليه بما يقع في ذلك من أحوال الكواكب وحركاتها  
فكان أهل المغرب لذلك عتقوا به لوفاقة مبناه على ما يرجعون ونخلصه ابن البتاني آخر جهاه  
المنهاج فولع به الناس لمسهل من الاعمال فيه وانما يحتاج الى مواضع الكواكب  
من الفلك لتنبئ عليها الأحكام الجوية وهو معرفة الايام التي تحدث عنها  
بأوضاعها في عالم الانسان من الملك والدول والمواليد البشرية كما يبينه بعد وفوض  
فيه أدلتهم ان شاء الله تعالى والله الموفق لما يحب ويرضاه لامعبد سواه

#### (علم المنطق)

وهو قوانين يعرف بها الصحيح من القاسد في الحدود المعرفة للماهيات والحق المقيدة  
لتصديقات وذلك أن الاصل في الادراك اغتلاها المحسوسات بالحواس الخمس وجميع  
الحركات مشتركة في هذا الادراك من الناطق وغيره وانما يتميز الانسان عنه بادرالك  
الكلمات وهي مجردة من المحسوسات وذلك بأن يحصل في الخيال من الانشصاص المتفقة  
صورة منطقة على جميع تلك الانشصاص المحسوسة وهي الكلي ثم ينظر الذهن بين  
تلك الانشصاص المتفقة وانشصاص أخرى توافقها في بعض فيحصل له صورة تنطبق  
أبصار عليها باعتبار ما انفقافه ولا يزال يرتقي في التجريد الى الكل الذي لا يحد كليا  
آثره موافقة فيكون لاجل ذلك بسيطا وهذا مثل ما يميز من انشصاص الانسان  
صورة النوع المنطقة عليها ثم يتقرر بينه وبين الحيوان ويميز صورة الجنس المنطقة  
عليها ثم يتم ما بين النبات الى أن تنتهي الى الجنس العالي وهو الجوهر فلا يحد كليا  
يوافقه في شيء فيقف العقل هناك من التجريد ثم ان الانسان المخلوق الله الفكر الذي  
به يدرك العلوم والصنائع وكان العلم انما صور الماهيات ويعنى به ادراك السائج من غير  
حكم معهما انما تصديقا أي حكمية. وبوت أمر لا مفساد في الفكر في تحصيل المطالبات



اما بان تجمع تلك الكلمات بعضها الى بعض على جهة التأليف فتحصل صورة في  
 الذهن كلية منطبقة على أفراد في الخارج فتكون تلك الصورة الذهنية مفيدة لمعرفة  
 ماهية تلك الأشخاص واما بان يحكم بأمر على أمر فيثبت له ويكون ذلك تصديقا  
 وغائبا في الحقيقة وراجعة الى التصور لأن فائدة ذلك اذا حصل انما هي معرفة حقائق  
 الاشياء التي هي مقتضى العلم وهذا السعي من الفكر قد يكون بطريق صحيح وقد  
 يكون بطريق فاسد فاقضي ذلك تميز الطريق الذي يسمى به الفكر في تحصيل  
 الطالب العلمية لتتميز فيها الصحيح من الفاسد فكان ذلك قانون المنطق وتكامل فيه  
 المتقدمون أول ما تكلموا به جلا جلا ومفردا ولم تهذب طرقه ولم تجمع مسائله حتى  
 ظهر في يونان اسلوبه فتهذب مباحثه ورتب مسائله وفصوله وجعله أول العلوم  
 الحكيمة وفتحها ولذلك يسمى بالعلم الأول وكما به المخصوص بالمنطق يسمى النص وهو  
 يشغل على رعاية كتب أربعة منها في صورة القياس وأربعة في مآذيه وذلك أن الطالب  
 التصديقي على انحاء • ههنا ما يكون المطلوب فيه اليقين بطبعه ومنها ما يكون  
 المطلوب فيه الظن وهو على مراتب فينظر في القياس من حيث المطلوب الذي يقصده  
 وما ينبغي أن تكون مقدما له بذلك الاعتبار ومن أي جنس يكون من العلم ومن  
 التلويح وقد ينظر في القياس لآباء اعتبارا لمطلوب مخصوص بل من جهة اتجاها خاصة  
 ويقال للنظر الأول أنه من حيث المادة ونعني به المادة المتجهة للمطلوب المخصوص  
 من يقين أو ظن ويقال للنظر الثاني أنه من حيث الصورة واتجاه القياس على الإطلاق  
 فكانت لذلك كتب المنطق رعاية • الأول في الاجتناس العالية التي ينتمي اليها  
 تجريد المنسوسات وهي التي ليس فوقها جنس ويسمى كتاب المقولات • والثاني  
 في القضايا التصديقية وأحد سافها ويسمى كتاب العبارة • والثالث في القياس  
 وصورة اتجاها على الإطلاق ويسمى كتاب القياس وهذا آخر النظر من حيث الصورة  
 • ثم الرابح كتاب البرهان وهو النظر في القياس المنج لليقين وكيف يجب أن تكون  
 مقدماته بضميمة ويختص بشروط أخرى لا فائدة اليقين مذكورة فيه مثل كونها ذاتية  
 وأولية وغير ذلك وفي هذا الكتاب الكلام في المعرفات والحدود اذا المطلوب فيها  
 انما هو اليقين لوجوب المطابقة بين الحد والمحدود ولا يحتمل غيرها فلذلك اختصت  
 عند المتقدمين بهذا الكتاب • والخامس كتاب الجدل وهو القياس المضيق قطع  
 المشاغب والخامس انصهر وما يجب أن يستعمل فيه من المشهورات ويختص أيضا من  
 جهة افادته لهذا الغرض بشروط أخرى من حيث افادته لهذا الغرض وهي مذكورة  
 هناك وفي هذا الكتاب يذكر المواضع التي يستنبط منها صاحب القياس قياسه

وفيه عكوس القضايا • والسادس كتاب البسطة وهو القياس الذي يفيد خلاف الحق وبغاطبه المناظر صاحبه وهو فاسد وهذا إنما كتب ليصرفه القياس المغالطي فيصدمه • والسابع كتاب الخطابة وهو القياس الخبير ترغيب الجمهور وحلهم على المرامتهم وما يجب أن يستعمل في ذلك من المقالات • والثامن كتاب الشعر وهو القياس الذي يفيد القتل والتشبيه خاصة فلا يقال على الشيء أو أنفرد عنه وما يجب أن يستعمل فيه من القضايا الضليلة هذه هي كتب المنطق الثمانية عند المتقدمين ثم إن حكماء اليونانيين بعد أن تهذب الصناعة وزنت رأوا أنه لا بد من الكلام في الكلمات الخمس القديمة للتصوير فاستدركوا فيها مقالة تقتصر بها مقدمة بين يدي الفن فصارت تسعاً وترجت كلها في اللغة الإسلامية وحكمتها وتدولها فلاسفة الإسلام بالشرح والتلخيص كما فعله الفارابي وابن سينا وابن رشد من فلاسفة الأندلس وابن سينا كتاب الشفاء استوعب فيه علوم الفلسفة السبعة كلها ثم به المتأخرون فغيروا اصطلاح المنطق وألقوا بالنظر في الكلمات الخمس ترجمه وهي الكلام في الحدود والرسوم تناولها من كتاب البرهان وحدقوا كتاب المقولات لأن نظر المنطق فيه بالعرض لا بالذات وألحقوا في كتاب العبارة الكلام في العكس لأن من توابع الكلام في القضايا بعض الوجوه ثم تكلموا في القياس من حيث اتساجه للمطالب على العموم لا بحسب مادة وحدقوا النظر فيه بحسب المادة وهي الكتب الخمسة البرهان والجدل والخطابة والشعر والبسطة وربما لم بعضهم باليسير منها المأما وأغفلوها كأن لم تكن وهي المهم المعتمد في الفن ثم تكلموا فيما وضعوه من ذلك كلاماً مستتبصاً ونظروا فيه من حيث أنه فن رأسه لأن حيث أنه آلة للعلوم فقال الكلام فيه واتسع وأقبل من قبل ذلك الأمام فخر الدين بن الخطيب ومن بعده أفضل الدين الخوافي وعلى كتبه معتمد المشارة لهذا العهد وله في هذه الصناعة كتاب كشف الاسرار وهو طويل واختصر فيها مختصر المبرز وهو حسن في التعلم ثم مختصر الجمل في قدر أربعة أوراق أخذ بما مع الفن وأصوله فتدوله المتعلمون لهذا العهد فينتفعون به وهيرت كتب المتقدمين وطرقهم كأن لم تكن وهي عملة من عمرة المنطق وفائدة ما قلناه واقعه الهادي للمصراي

وهو علم يبحث عن الجسم من جهة ما يلحقه من الحركة والسكون فينظر في الأجسام السحابية والعنصرية وما يتأثر في بعضها من حيوان وإنسان ونبات وجماد وما يتسكنون

في الارض من العمون والازل وفي الحق من السحاب والبخار والرعده والبرق  
والصواعق وغير ذلك وفي مبدأ الحركة للأجسام وهو النفس على تنوعها في الانسان  
والحيوان والنبات وكتب أرسطو فيه موجوده بين أيدي الناس ترجت مع ما ترجم  
من علوم الفلاسفة أيام المأمون وألف الناس على حذوها وأوعب من ألف في ذلك  
ابن سينا في كتاب الشفاء مع فيه العلوم السبعة للفلاسفة كما قدمنا ثم نصه في كتاب  
النصا وفي كتاب الاشارات وكأنه يحالف أرسطو في الكثير من مسائله او يقول رأيها فيها  
وأما ابن رشد فله من كتب ارسطو وشرحها متبعا له غير محالف وألف الناس في ذلك  
كثيرا لكن هذه هي المشهورة لهذا العهد والمعتبرة في الصناعة ولاهل المشرق عناية  
بكتاب الاشارات لابن عينا والامام ابن الخطيب عليه شرح حسن وكذا الاتمدى  
وشرحه ايضا نصير الدين الطوسي المعروف بخراب من أهل المشرق ويبحث مع الامام  
في كثير من مسائلها وفي على الظاهر ويجوئه وفوق كل ذي علم عليم والله يهدي من  
يشاء الى صراط مستقيم

ومن فروع الطبيعات صناعة العالج وهي صناعة تنظر في بدن الانسان من حيث  
يمرض ويصح فصار له صاحبها حفظ الصحة وبره المرض بالادوية والاخذ به بعد أن تبين  
المرض الذي يمرض كل عضو من أعضاء البدن وأسباب تلك الامراض التي تنشأ عنها  
وما لكل مرض من الادوية مستدلين على ذلك بأخرجه الادوية وقرأها وعلى المرض  
بالعلامات المؤذنة بنجسه وقبوله الدواء أو لا في السمية والفضلات والنقص هاذين  
لذلك قوة الطبيعة فانها المدبرة في حالتي الصحة والمرض وانما الطبيب يحاذيها ويصونها  
بعض الشيء بحسب ما تقتضيه طبيعة الملائمة والفصل والسن ويسمى العلم الجامع لهذا  
كله علم الطب وربما أفردوا بعض الاعضاء بالكلام وجه لوجه علماء خاصا كالعين وعلمها  
وأكلها وكذلك أطلقوا بالفن من منافع الاعضاء ومعناها المنفعة التي لاجلها خلق  
كل عضو من أعضاء البدن الحيواني وإن لم يكن ذلك من موضوع علم الطب الا أنهم  
يجعلون لواحقه ويتوابعه وامام هذه الصناعة التي ترجت كتبه فيها من الاقدمين  
جاليينوس فقال انه كان معاصر العيسى عليه السلام ويقال انه مات بقلية في سيل  
تقلب ومطوعة اعتراب وناكفه فيها هي الاتهام التي اقتدى بها جميع الأطباء بعده  
وكان في الاسلام في هذه الصناعة آتمة جاز ومن وراءه القاية بمثل الرازي والجوسى  
وابن حينا ومن أهل الاندلس ايضا كثير وأشهرهم ابن زهر وهو لهذا العهد في المدن

الاسلامية ~~كانها~~ انصفت لوقوف العمران وتناسقه وهي من الصنائع التي  
لا تستدعيها الا الحضارة والترق كما بينه بعد

(فصل) وللبادية من اهل العمران طب ينوبه في غالب الامر على تجربة فاصرة  
على بعض الانتخاص متوارثان من مشايخ الحى وعجائزه وربما يصعب منه البعض الا  
انه ليس على قانون طبيعى ولا على موافقة الزاج وكان عند العرب من هذا الطب  
~~كثير~~ وكان فيهم أطباء معروفون كل طرف بن كلدته وغيره والطب المتبول في  
الشروعات من هذا القبيل وليس من الرشى في شئ وانما هو أحرى ان كان عابدا للعرب ووقع  
في ذكر أحوال النبي صلى الله عليه وسلم من نوع ذكر أحواله التي هي عادة وجيلة  
لا من جهة ان ذلك مشروع على ذلك النوع من العمل فانه صلى الله عليه وسلم انما بعث  
ليعلمنا الشرائع ولم يبعث لتعريف الطب ولا غيره من العباديات وقد وقع في شأن  
تلقح الخيل ما وقع فقال أنتم أعلم بأمرودنياكم فلا ينبغي أن يحل شئ من الطب  
الذى وقع في الاحاديث الصحبة المنقولة على أنه مشروع فليس هناك ما يدل عليه  
اللهم الا اذا استعمل على جهة التبرك وصديق الله قد الايمان فيكون له أثر عظيم في  
النفع وليس ذلك في الطب المزاجي وانما هو من آثار الكلمة الايمانية كما وقع في مداواة  
المبطون بالعسل والله الهادى الى الصواب لا رب سواه

#### (الفلاحة)

٢٠

هذه الصناعة من فروع الطبيعات وهي النظر في النبات من حيث تنبته ونشؤه بالسقى  
والإصلاح وتعهده بمنزلة ذلك وكان للمتقدمين بها عناية كثيرة وكان النظر فيها عندهم  
عاما في النبات من جهة غرسه وتنبته ومن جهة خواصه ورواحيته ومشاكلها  
روايات الكواكب والهباء كل المستعمل ذلك كله في باب الصهر فظفدت عنايتهم  
به لاجل ذلك وترجم من كتب اليونانيين كتاب الفلاحة النبطية منسوبة لعلاء  
النبط مشقة من ذلك على علم كبير ولما انظر اهل الله فيما اشغل عليه هذا الكتاب  
وكان باب الصهر مسدودا والنظر فيه محظورا فافتتروا منه على الكلام في النبات من  
جهة غرسه وعلاجه وما يمرض له في ذلك وحذفوا الكلام في الفن الاخر منه جهلا  
واختصارا في العوام كتاب الفلاحة النبطية على هذا المنهاج وفي الفن الاخر منه  
مغفلا نقل منه مسئلة في كنية الصهرية اتهامات من مسائله كما ذكره عند الكلام على  
الصهران شاماعة تعالى وكتب التأخرين في الفلاحة كثيرة ولا يعدون فيها الكلام  
في الفرائس والعلاجات وخذ النبات من حوائجهم وعوائقه وما يمرض في ذلك كله

وهو علم يتطرق في الوجود المطابق فأولاً في الامور العادة للجسمانيات والروحانيات من  
 الماهيات والوحدة والكمية والوجوب والامكان وغير ذلك ثم يتطرق في مبادئ  
 الموجودات وانها روحانيات ثم في كيفية صدور الموجودات عنها ومراتبها في احوال  
 النفس بعد مفارقة الاجسام وعودها الى المبدأ وهو عندهم علم شريف يرعون أنه  
 يوقفهم على معرفة الوجود على ما هو عليه وان ذلك عين السعادة في زعمهم وسيأتي الرد  
 عليهم وهو تال للطبيعيات في ترتيبهم ولذلك يسهو عنه علم ما وراء الطبيعة وكتب المعلم  
 الاول فيه موجوده بين أيدي الناس ونلخصه ان سينا في كتاب الشفاء والنجاء وكذلك  
 نلخصه ابن رشد من حكاية الاندلس والمأوض المتأخرون في علوم القوم ودقوا فيها ورده  
 عليهم الغزالي ما ردت منها ثم خلط المتأخرون من المتكلمين مسائل علم الكلام بمسائل  
 الفلاسفة لعروضها في مباحثهم ونشابه موضوع علم الكلام بموضوع الالهيات ومساألة  
 بمسائلها فصارت كأنها فن واحد ثم غيروا ترتيب الحـكماء في مسائل الطبيعيات  
 والالهيات وخلطوها ما فذا واحدا فذمو الكلام في الامور العامة ثم اتبعوه  
 بالجسمانيات وتوابعها ثم بالروحانيات وتوابعها الى آخر العلم كما فعله الامام بن الخطيب  
 في المباحث المشرقية وجميع من بعده من علماء الكلام وصار علم الكلام مختلطاً  
 بمسائل الحكمة وكتبه محشوة بها كان الغرض من موضوعهما ومساألةهما واحد  
 والتبس ذلك على الناس وهو غير صواب لان مسائل علم الكلام انما هي عقائد متفارقة  
 من الشريعة كما نقلها السلف من غير رجوع فيها الى العقل ولا تعويل عليه بمعنى  
 انها لا تثبت الا به فان العقل معزول عن الشرع وانظاره وما يتحدث فيه المتكلمون  
 من اقامة الحجج فليس بحثنا عن الحق فيها فالتعويل بالدليل صمدان لم يكن معلوماً هو شأن  
 الفلاسفة بل انما هو انما سجة عقلية تعضد عقائد الاعيان ومذاهب السلف فيها وتدفع  
 شبه أهل البدع عنهم الذين زعموا أن مداركهم فيها عقلية وذلك بعد أن تقرر صحة  
 بالدلة النقلية كاتلقاها السلف واعتقدوها وكتبنا بين المقامين وذلك أن مدارك  
 صاحب الشريعة أوسع لاتساع نطاقها عن مداركنا لانظار العقلية فهي فوقها  
 ومحطة بها الاستعدادها من الانوار الالهية فلا تدخل تحت قانون النظر الضعفا  
 والمدارك الحسائنية فاذا هداها السارح الى مداركها فنبغي أن نستدعم علم مدارك  
 نوره ونورها ولا تطرق في نصحه مدارك العقل ولو عارضه بل نعقد ما آمن به اعتقاداً

وعلماً ونسكت علم نفهم من ذلك ونفوضه الى الشارع ونعزل العقل عنه  
 والمتكلمون انخدعواهم الى ذلك كلام أهل الخلاف في معارضات العقائد السلفية بالبدع  
 النظرية فاحتاجوا الى الرد عليهم من جنس معارضاتهم واستدعى ذلك الخلق النظرية  
 ومحاذاة العقائد السلفية بها وأما النظر في مسائل الطبيعية والالهيات بالتصحيح  
 والبطلان فليس من موضوع علم الكلام ولا من جنس انظار المتكلمين فالعلم ذلك لتمييز  
 به بين الفتن فانهما مختلطان عند المتأخرين في الوضع والتألف والحق مغايرة كل  
 منهما صاحبه بالموضوع والمسائل وانما جاء الالتباس من اتحاد المطالب عند  
 الاستدلال وصار احتياج أهل الكلام كأنه انشاء اطالب الاعتدال بالدليل ولعمري  
 كذلك بل انما هو ردة على المحدثين والمطلوب مفروض الصدق معلوم وكذلك جاء  
 المتأخرون من غلاة المتصوفة المتكلمين بالمواجد أيضاً غلطوا ومسائل الفتن ففهم  
 وجهوا الكلام واحداً فيها كلها مثل كلامهم في السموات والاقبال والحلول والوحدة  
 وغير ذلك والمدار في هذه الفنون الثلاثة متغايرة مختلفة واهلها من جنس الفنون  
 والعلوم مدارك المتصوفة لانهم يدعون فيها الوجدان ويفرون عن الدليل والوجدان  
 بصدد عن المدارك العلمية وانما جاءوا بها كما بيناه ونبيته والله يهدي من يشاء الى  
 صراط مستقيم والله أعلم بالصواب

## ٢٢ (علوم السحر والطلسمات)

هو علم كيفية استعدادات تقدر النفوس البشرية بها على التأثيرات في عالم  
 العناصر ما بغير معين أو معين من الامور السماوية والاقول هو السحر والثاني هو  
 الطلسمات والثالث كانت هذه العلوم معجزة عند الشرائع لم فيها من الضرر ولما  
 يشترط فيها من الوجهة الى غير الله من كوكب أو غيره كانت كتبها كالمفاتيح للناس  
 الا ما وجد في كتب الامم الاقدمين فيما قبل نبوة موسى عليه السلام مثل التبط  
 والكلدانيين فان جميع من تقدمه من الانبياء لم يشرعوا الشرائع ولا جابوا بالاحكام  
 انما كانت كتبهم مواضع وتوحيد الله وتذكير بالجنة والنار وكانت هذه العلوم في  
 أهل بابل من السريانيين والكلدانيين وفي أهل مصر من القبط وغيرهم وكان لهم فيها  
 التأليف والاداء ولم يترجم لسان كتبهم فيها الا القليل مثل الفلاحة النبطية  
 من أوضاع أهل بابل فأخذ الناس منها هذا العلم وتفننوا فيه ووضعوا بعد ذلك  
 الاوضاع مثل مصاحف الكواكب السبعة وكتاب طعمم الهندي في صور البرج  
 والكواكب وغيرهم ثم ظهر بالشرق جابر بن حيان كبير السحرة في هذا الملة فتصنف

كتب القوم واستخرج الصناعة وغاص على زبدتها واستخرجها ووضع فيها غير ما من  
التأليف أو كثر الكلام فيها وفي صناعة السحيا لانها من نواحيه الان احاطة الاجسام  
النوعية من صورة الى أخرى انما يكون بالقوة النفسية لا بالصناعة العجلة فهو من  
قبيل السحر كانه صكره في موضعه \* ثم جاءه سيلة بن أحمد الجربلي امام أهل  
الاندلس في التعاليم والسحريات فخلص جميع تلك الكتب وهذه بها رجع طرقها في  
كاتبه الذي سماها غاية الحكيم ولم يكتب أحد في هذا العلم بعده \* ولقد قدم هنام مقدمة  
تبين بها حقيقة السحر وذلك أن النفوس البشرية وان كانت واحدة بالنوع فهي  
مختلفة بالخواص وهي أصناف كل صنف مختص بخاصية واحدة بالنوع لا توجد في  
الصنف الآخر وصارت تلك الخواص فطرة وجدلة لصفة فنفوس الانبياء عليهم  
السلام والسلام لها خاصية تستعملها لمعرفة الربانية ومخاطبة الملائكة عليهم  
السلام عن الله سبحانه وتعالى كما مر وما يتبع ذلك من التأثير في الاكوان واستحلاب  
روحانية الكواكب التصرف فيها والتأثير بقوة نفسانية أو شيطانية فأما تأثير  
الانبياء فقد بداهي وخاصة ربانية ونفوس الكهنة لها خاصية الاطلاع على الغيبات  
بقوى شيطانية وهكذا كل صنف مختص بخاصية لا توجد في الآخر والنفوس الساحرة  
على مراتب ثلاثة يأتي شرحها فاولها المؤثرة بالهمة فقط من غرالة ولا معين وهذا هو  
الذي تسميه الفلاسفة السحر والثاني عين من مزاج الافلاك والعناصر أو خواص  
الاعداد ويسمونه الطلسمات وهو أضعف رتبة من الاول والثالث تأثير في القوى  
المختلطة بعدد صاحب هذا التأثير في القوى المختلطة فيتصرف فيها نوع من التصرف  
ويبقى فيها أنواعا من الخيالات والمحاكات وصورا مما يتصده من ذلك ثم ينزلها الى الحس  
من الراتب بقوة نفسه المؤثرة فيه فينظر الراؤن كأنه في الخارج وليس هنالك شيء من  
ذلك كما يحكي عن بعضهم أنه يرى البساتين والانهاد والقصور وليس هنالك شيء من ذلك  
ويسمى هذا عند الفلاسفة الشعوذة أو الشعبة هذا تفصيل مراتبه ثم هذه الخاصية  
تكون في الساحر بالقوة شأن القوى البشرية كلها وانما تخرج الى الفعل بالرياضة  
ورياضة السحر كلها انما تكون بالتوجه الى الافلاك والكواكب والعوالم العلوية  
والشباطين بأنواع التعظيم والعبادة والخضوع وتذلل فهي لذلك وجهة الى غير الله  
وسجود له والوجهة الى غير الله كفر فلهذا كان السحر كفرًا والكفر من مواد وأسبابه كما  
رأيت ولهذا اختلف الفقهاء في قتل الساحر هل هو كفره السابق على فعله أو  
لتصرفه بالافساد وما فشا عنهم من الفساد في الاكوان والكل حاصل منه ولما كانت  
المرتبان الاوليان من السحر لها حقيقة في الخارج والمرتبة الاخيرة الثلاثة

لاحقيقة لها اختلف العلماء في السحر هل هو حقيقة أو انما هو تخيل فاقا تلون بأن له حقيقة نظروا الى المرتبة الاولى والقاتلون بأن لاحقيقة له نظروا الى المرتبة الثالثة الاخيرة فليس بينهم اختلاف في نفس الامر بل انما جاء من قبل اشتباه هذه المراتب والله أعلم \* واعلم أن وجود السحر لا امرية فيه بين العقلاء من أجل التأثير الذي ذكرناه وقد نطق به القرآن قال الله تعالى ولكن الشياطين كفروا يعلمون الناس السحر وما أنزل على المكين يسابل هاروت وماروت وما يعلمان من أحد حتى يقولان نحن فتنة فلا تكفر فيتعلمون منه ما ما يقرقون به بين المرء وزوجه وما هم بضارين به من أحد الا بأذن الله وسحر رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى كان يخيل اليه أنه يفعل الشيء ولا يفعله وجعل سحره في مشط ومساقفة وحف طلعة ودفن في بئر ذيوان فأمر الله عز وجل عليه في المعوذتين ومن شر التفافات في العقد قالت عائشة رضي الله عنها فكان لا يقرأ على عقدة من تلك العقد التي سحر فيها الا انحلت وأما وجود السحر في أهل بابل وهم الكلدانيون من النبط والسريانيين فكثير ونطق به القرآن وجاءت به الاخبار وكان للسحر في بابل ونصر أزمان بعثة موسى عليه السلام أسواق نافقة ولهذا كانت معجزة موسى من جنس ما يدعون ويتساعون فيه وبنى من آثار ذلك في البرابي بصعيد مصر شواهد دالة على ذلك ويرى سباب العيان من يصور صورة الشخص المسحور بخواص أشياء مقابلة لما نواه وحاوله موجودة بالمسحور أمثال تلك المادى من أسماء وصفات في التأليف والتفريق ثم يكلم على تلك الصورة التي أقامها مقام الشخص المسحور عينا ومعنى ثم نقت من ريقه بعد اجتماعه في فيه تكرير مخارج تلك الحروف من الكلام السوء ويعتقد على ذلك المعنى في سبب أعداء ذلك نفا ولا بالعقد والزام وأخذ العهد على من أشرك به من الجن في نفثه في فعله ذلك استشعارا للعزيزية بالعزم وتلك البنية والأسماء السيئة روح خبيثة تخرج منه مع النغم متعلقة بريقه الخارج من فيه بالنفث فتزل عنها أرواح خبيثة ويقع عن ذلك بالمسحور ما يحاوله الساحر وشاهدنا أيضا من المتعلمين للسحر وهم له ينسبون إلى كسائه أو جلد ويتكلم عليه في سره فاذا هو مقطوع مخترق وينسبون إلى بطون الغنم كذلك في مراعيهم بالبيع فاذا المعازها ساقطة من بطونها الى الارض وسمناء أن بأرض الهند لهذا العهد من يشير الى انسان فيحتك قلبه ويقع ميتا وينقب عن قلبه فلا يوجد في حشاه ويشير الى الرمانة وتفتح فلا يوجد من حبوبها شيء وكذلك معنا أن بأرض السودان وأرض الترك من يسحر السحاب فيطر الارض



المخصوصة وكذلك رأينا من عمل الطليحات عجائب في الاعداد المتصاية وهي ذلك  
 رفد أحد العددين مائتان وعشرون والآخر مائتان وأربعة وعشرون ومعنى  
 المتصاية أن أجزاء كل واحد التي فيه من نصف وثلاث وربع وسدس وخمس وأمثالها  
 إذا جمع كان مساويا للعدد إلا أن حواشيها قد سمي لأجل ذلك المتصاية وتقل أصحاب  
 الطليحات أن تلك الاعداد أتراف في اللغة بين المتصايين واجتماعها ما إذا وضع لهما  
 مثالان أحدهما بطالع الزهرة وهي في بيتها وشرفها ناظرة إلى القمر نظرمودة وقول  
 ويجعل طالع الثاني تابع الأول ويضع على أحد الثماليين أحد العددين والآخر على  
 الآخر وقصد بالأكثر الذي يراد أن يتلافه أعني الم محبوب ما أدى الاكثر كية أو  
 الاكثر أجزاء فيكون لذلك من التأليف العظيم بين المتصايين ما لا يكاد ينقأ أحدهما  
 عن الآخر فله صاحب الغاية وغيره من أئمة هذا الشأن وشهدت له التجربة وكذا  
 طالع الاسد يسمى أيضا طالع الحصى وهو أن يرسم في قارب هند اصبع صورة أسد  
 ثلاث ذنبه عاضا على حصة قد قسمها نصفين وبين يديه صورة حية مناسبة من رجله إلى  
 قنطرة وجهه فاخرة فاها إلى فيه وعلى ظهره صورة عقرب تدب ويقين برسمه حلول  
 الشمس بالوجه الأول والثالث من الاسد بشرط صلاح النيران وسلامتهما من  
 النحوس فإذا وجد ذلك وعثر عليه طبع في ذلك الوقت في مقدار المتقال فادونه من  
 الذهب ونفس بعد في الزعفران محلول بماء الورد ورفع في خرقة حرير صفراء فانهم  
 يزعمون أن له حكمه من العز على السلاطين في مباشرتهم وخدمتهم وتخصرهم له ما لا يعبر  
 عنه وكذلك للسلاطين فيه من القوة والعز على من تحت أيديهم ذكر ذلك أيضا أهل  
 هذا الشأن في الغاية وغيرها وشهدت له التجربة وكذلك وفق المسدس المختص  
 بالشمس ذكر وانه يوضع عند حلول الشمس في شرفها وسلامتهما من النحوس وسلامة  
 القمر بطالع ملوكي يستدبر فيه نظر صاحب العاشر لصاحب الطالع نظرمودة وقبول  
 ويصلح فيه ما يكون في مواليه الملوك من الادلة الشريفة يرفع في خرقة حرير صفراء  
 بعد أن يغمس في الطيب فزعموا أنه أتراف في صحابة الملوك وخدمتهم وبعاصرتهم وأمثال  
 ذلك كثير وكاتب الغاية سلمة بن أحمد الجربطي هو مودة هذه الصناعة وفيه استيفاءها  
 وكما لمساتها وذكر لنا أن الامام الغفرين الخطيب رضع كتابا في ذلك وسماه السر  
 المكتوم وأنه بالشرق بدأه أهله ونفس لم تصح عليه والامام لم يكن من أئمة هذا الشأن  
 فماتن ولعل الامر بخلاف ذلك والمقرب صنف من هؤلاء المتبحرين لهذه الاعمال  
 السهرية يعرفون بالعاجين وهم الذين ذكرت أولا أنهم يشيرون إلى الكواكب أو الجند  
 فيتنقرون ويشيرون إلى يد القمر بالبعج فتنبعج ويسمى أدهم لهذا العهد باسم

البعاج لأن أكثر ما يتحل من السحر يعجز الأنعام برهب ذلك أهلها يعطون من فضلها  
 وهم مستترون بذلك في الغاية خوفاً على أنفسهم من الحكام لقيت منهم جماعة وشاهدت  
 من أفعالهم هذه بذلك وأخبروني أن لهم وجهة ورياضة خاصة بدعوات كسفرة  
 وإشراك الروحانيات الجن والكواكب سطورت فيها حقيقة عندهم تسمى الخزيرية  
 يتدربون فيها وأن هذه الرياضة والوجهة يصلون إلى حصول هذه الأفعال لهم وأن  
 التأثير الذي لهم إنما هو فيما سوى الإنسان الخزن من المتاع والحيران والرقيق ويعبرون  
 عن ذلك بقولهم إنما فعل فعلتني فيه الدراهم أي ما يملك ويبيع ويشترى من سائر  
 الممتلكات هذا ما زعموه وسألت بعضهم فأخبرني به وأما أفعالهم فظاهره موجودة وقفاً  
 على الكثير منها وما ينتهان من غير رية في ذلك هذا شأن السحر والطلسمات وآثارها في  
 العالم أما الفلاسفة ففرقوا بين السحر والطلسمات بعد أن أثبتوا أنها جميعاً أثر للنفس  
 الانسانية واستندوا على وجود الأثر للنفس الانسانية بأن آثاراً في بدنهم على غير  
 الجري الطبيعي وأسبابه الجسمانية بل آثارها رضة من كسفات الأرواح تارة  
 كالسحونة الحادثة عن الفرح والسرور ومن جهة التصورات النفسانية أخرى  
 كالذي يقع من قبل التوهم فإن الماشي على حرف حائط أو على جبل منتصب إذا قوى  
 عنده توهم السقوط سقط بلا شك وهذا تجد كثيراً من الناس يقولون أنفسهم ذلك  
 حتى يذهب عنهم هذا الوهم فتبد لهم عشون على حرف الحائط والجبل المنتصب  
 ولا يخافون السقوط فنبت أن ذلك من آثار النفس الانسانية وتصورها للسقوط من  
 أجل الوهم وإذا كان ذلك أثراً للنفس في بدنهم من غير الأسباب الجسمانية الطبيعية  
 فحازر أن يكون لها مثل هذا الأثر في غير بدنهم ان نسبت إلى الأبدان في ذلك النوع من  
 التأثير واحدة لأنها غير حالة في البدن ولا منطبقة فيه فنبت أنها مؤثرة في سائر الأجسام  
 وأما التفرقة عندهم بين السحر والطلسمات فهو أن السحر لا يحتاج الساحر فيه إلى  
 معين وصاحب الطلسمات يستعين بروحانيات الكواكب وأسرار الأعداد وخواص  
 الموجودات وأوضاع الفلك المؤثرة في عالم العناصر كما يقوله المتبحرون ويقولون السحر  
 اتحاد روح بروح والطلسم اتحاد روح بجسم ومعناه عندهم ربط الطبايع العلوية  
 السماوية بالطبايع السفلية والطبايع العلوية هي روحانيات الكواكب ولذلك  
 يستعين صاحبها في غالب الأمر بالجمامة والساحر عندهم غير مكسب لسحره بل هو  
 مفعول عندهم على تلك الجبله المختصة بذلك النوع من التأثير والفرق عندهم بين  
 المعجزة والسحر أن المعجزة قوة الهية تبعث في النفس ذلك التأثير فهو مؤيد بروح الله  
 على فاعله ذلك الساحر إنما يفعل ذلك من عند نفسه وقوته النفسانية وبإعداد

الشياطين في بعض الاحوال فيبينهما الفرق في المعقولة والحقيقة والذات في نفس الامر وانما نستدل نحن على التفرقة بالعلامات الظاهرة وهي وجود المعجزة لصاحب الخبر وفي مقاصد الخبر والنفس المتحضنة للغير والتعدي به على دعوى النبوة والسحر انما يوجد لصاحب الشر وفي أفعال الشر في الغالب من التفرق بين الزوجين وضرب الاعداء وامثال ذلك والنفس المتحضنة للشر هذا هو الفرق بينهما عند الحكماء الالهيين وقد يوجد لبعض المتصوفة وأصحاب الكرامات تأثير أيضاً في أحوال العالم وليس معدوداً من جنس السحر وانما هو بالامداد الالهى لأن طريقتهم وتعلمهم من آحاد النبوة وقوابعها ولهم في المدد الالهى خط على قدر حالهم وإيمانهم وتسلطهم بكلمة الله وإذا اقتدر أحد منهم على أفعال الشر فلا يأتيها لأنه متقيد فيها بآتيه ويذره للامر الالهى فلا يقع لهم فيه الاذن لا يأتونه بوجه ومن آتاهم فقد عدل عن طريق الحق وربما سلب حاله ولما كانت المعجزة بامداد روح الله والقوى الالهية فلذلك لا يعارضها شئ من السحر وانظر شأن معجزة فرعون مع موسى في معجزة العصا كيف تلففت ما كانوا يأفكون وذهب سحرهم واضمحلت كما أن لم يكن وكذلك لما أنزل على النبي صلى الله عليه وسلم في المعوذتين ومن شر النفاثات في العقد قالت عائشة رضي الله عنها فكان لا يقرؤها على عقد من العقد التي سحر فيها الا انفلت فالسحر لا يثبت مع اسم الله وذكره وقد نقل المؤرخون أن زكريا كان يراه كسرى كان فيها الوقف المتين العددى منسوجاً بالذهب في أوضاع فلكية ومعدت لذلك الوقف ووجدت الربة يوم قتل رستم بالقادسية واقعة على الارض بعد ان هزم أهل فارس وشتاتهم وهو في عزهم أهل الطلسمات والافات مخصوص بالقلب في الحروب وأن الربة التي يكون فيها أو معها لا تنهزم أصلاً الا أن هذه عارضها المدد الالهى من إيمان أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم وتسلطهم بكلمة الله فانحل معها كل عقد سحري ولم يثبت وبطل ما كانوا يعملون وأما الشر بغير تفرق بين السحر والطلسمات وجعله كله باباً واحداً محظوراً لأن الأفعال انما أباح لنا الشارع منها ما هيستأفي ديننا الذي فيه صلاح آخرتنا أو في معاشنا الذي فيه صلاح ديننا وما لا يهمني في شئ منهما فإن كان فيه ضرراً أو نوع ضرر كالسحر الحاصل ضرراً بالوقوع ويطبق به الطلسمات لأن أثرهما واحد كالعملية التي فيها نوع ضرر باعتبار الدائم فتفسد العقيدة الايمانية بردة الامور الى غير الله فيكون حينئذ ذلك الفعل محظوراً على نسبتة في الضرر وإن لم يكن منها ما هيستأفي ديننا ولا فيه ضرر فلا أقل من أن تركه قربة الى الله فإن من حسن اسلام المرء تركه ما لا يهنيه فجعلت الشريعة باب السحر والطلسمات والشعوذة باباً واحداً لما فيها من الضرر ونحوه بالخطر

والنصرم وأما الفرق عندهم بين المجيزة والسحر فالذي ذكره المتكلمون انه راجع الى التصدي وهو دعوى وقوعها على وفق ما ادعاه قالوا والساحر مصروف عن مثل هذا التصدي فلا يقع منه ووقوع المجيزة على وفق دعوى الكاذب غير مقدور لان دلالة المجيزة على الصدق عقلية لان صفة نفسها التصديق فلو وقعت مع الكذب لاستحال الصادق كاذباً وهو محال فاذا الاتفق المجيزة مع الكاذب باطلاق وأما الحكماء فالفرق بينهم عندهم كما ذكرناه فرق ما بين الخير والشر في نهاية الطرفين فالساحر لا يصدر منه الخير ولا يستعمل في أسباب الخير وصاحب المجيزة لا يصدر منه الشر ولا يستعمل في أسباب الشر وكأنهما على طرفي النقيض في أصل فطرتهما والله يهدي من يشاء وهو القوي العزيز لا ريب سواء

(فصل) ومن قبيل هذه التأثيرات النفسانية الالاصابة بالعين وهو تأثير من نفس المعان عندما يستحسن بعينه مدرك من الذوات أو الاحوال ويقرط في استحضاره وينشأ عن ذلك الاستحسان - حيث أنه يروم معه سلب ذلك الشيء عن انصف به فيؤثر فساد وهو جعله فطر به أعني هذه الالاصابة بالعين والفرق بينها وبين التأثيرات وان كان منها ما لا يكتب أن صدورها راجع الى اختيار فاعلمها والفطري منها قوة صدورها لانفس صدورها ولهذا قالوا القاتل بالسحر أو بالكرامة يقتل والقاتل بالعين لا يقتل وما ذلك الا لانه ليس بما يريده ويقتصد أو يتركه وانما هو مجبور في صدور عنه والله أعلم بما في القيوب ومطلع على ما في السرائر

### (علم اسرار الحروف)

٢٣

وهو المسمى بهذا العهد بالسيما نقل وضعه من الطلحات اليه في اصطلاح أهل التصرف من المتصوفة فاستعمل استعمال العامة في الخصاص وحدث هذا العلم في الملة بعد صدور نها وعند ظهور الغلاة من المتصوفة وجنوحهم الى كشف حجاب الحس وظهور انوارهم على أيديهم والتصرفات في عالم العناصر وتدوين الكتب والاضطلاحات ومن اعلمهم في تنزل الوجود عن الواحد وتريبه وزعموا أن الكمال الاسمي مظاهره أرواح الافلاك والكواكب وأن طبائع الحروف واسرارها سارية في الاسماء فهي سارية في الاكوان على هذا النظام والاكوان من لدن الابداع الاقل تنتقل في اطواره وتعبر عن أسرارها لحدث لذلك علم أسرار الحروف وهو من تفاريع علم السيمياء لا يوقف على موضوعه ولا تقاطع بالعدد مسائله تعددت فيه تاليف البوني وابن العربي وغيرهما من اتبع آثارهما وحاصله عندهم ومثرت تصريف النفوس الربانية في عالم

الطبيعة بالاسماء الحسنى والكلمات الالهية الناشئة عن الحروف المحيطة بالاسرار  
البارية في الاكوان ثم اخذوا في سر التصرف الذي في الحروف بما هو قديم من  
جعلها لامزاج الذي فيه وقسم الحروف بقسمة الطبائع الى اربعة اصناف كما للعناصر  
واختصت كل طبيعة بنصف من الحروف يقسم التصرف في طبيعتها فاعسلا وانفعالا  
بذلك الصنف فتشوعت الحروف بقانون صناعتهم يسمى التفسير الى نارية وهوائية  
ومائية وترابية على حسب تنوع العناصر فالاله النار والياء الهواء والجيم الماء  
والدال التراب ثم ترجع كذلك على التوالي من الحروف والعناصر الى أن تنفذ فتعين  
لعنصر النار حروف سبعة الالف والهاء والطاء والميم والقاف والسين والذال وتعين  
لعنصر الهواء سبعة أيضا الباء والواو والياء والتون والضاد والطاء وتعين لعنصر  
الماء أيضا سبعة الجيم والراء والكاف والصاد والقاف والشاء والغين وتعين لعنصر  
التراب أيضا سبعة الدال والحاء واللام والعين والراء والخاء والسين والحروف النارية  
لدفع الامر اض الباردة والضاخفة قوة الحرارة حيث تطلب مضاعفتها ماحسا وحكما  
كما في قنصيف قوى المريح في الحروب والقتل والتفتك والمائية أيضا لدفع الامراض  
الحارة من جذبات وغيرها وتضعف القوى الباردة حيث تطلب مضاعفتها حسا او  
حكما كضعيف قوى القمر وامثال ذلك ومنهم من جعل سر التصرف الذي في الحروف  
للتسبة العديدة فان حروف ابيجد الهاء على اعدادها المتعارفة وضعا وابعافينها من  
اجل تناسب الاعداد تناسب في نفسها أيضا كما بين الباء والكاف والراء لانهما كلها  
على الاثنين كل في مرتبة فالباء على اثنين في مرتبة الاحاد والكاف على اثنين  
في مرتبة العشرات والراء على اثنين في مرتبة المئين وكالذي بينها وبين الدال والميم  
والطاء لانهما على الاربعة وبين الاربعة والاثنين نسبة الضعف ونخرج للاسماء اوقاف  
كما للاعداد يختص كل صنف من الحروف بصنف من الاوقاف الذي يناسبه من حيث  
عدد الشكل او عدد الحروف واعتق التصرف من السر الحرفي والسر العددي لاجل  
التناسب الذي بينهما فاما سر التناسب الذي بين هذه الحروف واخرجة الطبائع او بين  
الحروف والاعداد فامر عسر على الفهم اذ ليس من قبيل العلوم والقياسات وانما  
مستندهم فيه النور والكشف قال اليونانيون ولا تظن أن سر الحروف مما يتوصل اليه  
بالقياس العقلي وانما هو بطريق المشاهدة والتوفيق الالهي وأما التصرف في عالم  
الطبيعة بهذه الحروف والاسماء المركبة فيها وتأثر الاكوان عن ذلك فأمر لا يشكر  
لشونه عن كثير منهم نواترا وقد يظن أن تصرف هؤلاء تصرف اهل صلب الطليخات  
واحد وليس كذلك فان حقيقة الطليخ وتأثيره على ما حققه اهل انه قوى ووحاية من

وهو القهر فتعمل فيما له ركب فعل غلبة وقهر بأسرار فلكية ونسب عديدة وبخورات  
 جالبات لروحانية ذلك الطلسم مشدودة فيه بالهمة فلقد تها ربط الطبايع العلوية  
 بالطبايع السفلية وهو عندهم كالخبرة المركبة من هوائية وأرضية ومائية ونارية  
 حاملة في جملتها تحبل وتصرف ما حصلت فيه الى ذاتها وتقبله الى صورتها وكذلك  
 الاكسيرا لاجسام المعدنية كالخبرة تطلب المعدن الذي تسرى فيه الى تقسيمه بالاحالة  
 ولذلك يقولون موضوع الكيمياء جسد في جسد لان الاكسيرا جزءه كلها اجسادانية  
 ويقولون موضوع الطلسم روح في جسد لانه ربط الطبايع العلوية بالطبايع السفلية  
 والطبايع السفلية جسد والطبايع العلوية روحانية وتحقيق الفرق بين تصرف أهل  
 الطلسمات وأهل الاسماء بعد أن تعلم أن التصرف في عالم الطبيعة كله انما هو للنفس  
 الانسانية والمهم البشرية أن النفس الانسانية محيطة بالطبيعة وحكمة عليها بالذات  
 الآن تصرف أهل الطلسمات انما هو في استئزال روحانية الافلاك وربطها بالصورا و  
 بالنسب العددية حتى يحصل من ذلك نوع مزاج يفعل الاحالة والقلب بطبيعته فعل  
 الخيرة فيما حصلت فيه وتصرف أصحاب الاسماء انما هو بما حصل لهم بالمجاهدة والكشف  
 من التوراة الالهية والامداد الرباني فيسخر الطبيعة لذلك طائفة غير مستعدة ولا يحتاج  
 الى مدد من القوى الفلكية ولا غيرها لان مددها على منها ويحتاج أهل الطلسمات الى  
 قليل من الرياضة تقيد النفس قوة على استئزال روحانية الافلاك وأهون منها وجهة  
 ورياضة بخلاف أهل الاسماء فان رياضتهم هي الرياضة الكبرى وليست لتقصد  
 التصرف في الاكوان اذ هو محال وانما التصرف حاصل لهم بالعرض كرامقمن  
 كرامات الله لهم فان خلا صاحب الاسماء عن معرفة أسرار الله وحقائق الملكوت  
 الذي هو نتيجة المشاهدة والكشف واقتصر على مناسبات الاسماء وطبايع الحروف  
 والكلمات وتصرف بها من هذه الحيلة وهو لا مهم أهل السيمياء في المشتم وكن اذا  
 لا فرق بينه وبين صاحب الطلسمات بل صاحب الطلسمات أوثق منه لانه يرجع الى  
 أصول طبيعية عليه وقوانين مرتبة وأما صاحب أسرار الاسماء اذا فاته الكشف الذي  
 يطلع به على حقائق الكلمات وآثار المناسبات فوات الخلوص في الوجهة وليس له  
 في العلوم الاسطلاحية قانون برهاني يعول عليه يكون حاله أضغدرسة وقد يمزج  
 بحاسب الانبياء قوى الكلمات والاسماء بقوى الكواكب فيعين لذكر الاسماء  
 الحسنى أو يارجم من أوقافها بل ولسائر الاسماء أوقافا تكون من خطوط الكوكب  
 التي يناسب تلك الاسم كما فعله اليوناني في كتابه الذي حمل الاعاط وهذه المناسبة عندهم  
 هي من لدن الحضرة العنائية وهي برزخية الكمال الاسمائي وانما تنزل تفصيلها

في الحقائق على ما هي عليه من المناسبة واثبات هذه المناسبة عندهم انما هو بحكم  
 الشهادة فاذا خلا صاحب الاسماء عن تلك المشاهدة وتلقى تلك المناسبة تقلبدا  
 كان عمله بمثابة عمل صاحب الطاسم بل هو اوثق منه كما قلناه وكذلك قد ينجح أيضا  
 صاحب العظيمة على وقوى كواكب بقوى الدعوات المؤلفة من الكلمات  
 المخصوصة المناسبة بين الكلمات والكواكب الا ان مناسبة الكلمات عندهم ليست كما  
 هي عند أصحاب الاسماء من الاطلاع في حال المشاهدة وانما يرجع الى ما اقتضته أصول  
 طريقهم الضمنية من اقتسام الكواكب لجميع ما في عالم المكونات من جواهر  
 واعراض وذوات ومعاني والحروف والاسماء من جمل ما فيه فلا ~~كل~~ واحد من  
 الكواكب قسم منها بخصه وينون على ذلك مباني غريبة منكورة من تقسيم سور  
 القرآن وآية على هذا النحو كما فعله سلمة الجريدي في الغاية والظاهر من حال البوني  
 في انماطه أنه اعتمد طريقهم فان تلك الانماط اذا تصفحتها وتصفحت الدعوات التي  
 تضمنتها وتقسيمها على ساعات الكواكب السبعة ثم وقفت على الغاية وتصفحت  
 قيامات الكواكب التي فيها وهي الدعوات التي تختص بكل كواكب يسعونها قيامات  
 الكواكب أي الدعوة التي يقام بها شاهد ذلك اما بآية من مآذنها أو بأن التناسب  
 الذي كان في أصل الابداع وبرزخ العلم قضى بذلك كله وما أوتيت من العلم الا قليلا  
 وليس كل ما حرره الشارع من العلوم بمشكر الثبوت فقد ثبت أن الصريح مع حظره  
 لكن حسبان العلم ما علمناه (ومن فروع علم السجاء عندهم استخراج الاجوبة من  
 الاستئلة) \* بارتاباط بين الكلمات حرفية يوهمون أنها أصل في معرفة ما يحاويلون  
 علمه من الكائنات الاستقبالية وانما هي شبه المحلولة والمسائل السائلة ولهم في ذلك  
 كلام كثير من أدعية وأجوبة زارحة العالم السبق وقد تقدم ذكرها ونحن هنا ما ذكره  
 في كيفية العمل بتلك الزارحة بدارتها ووجدولها المكتوب حولها ثم نكشف عن  
 الحق فيها وأنهم ليست من القسب وانما هي مطابقة بين مسئلة وجوابها في الافادة فقط  
 وقد أشرنا لذلك من قبل وليس عندنا رواية يعول عليها في صحة هذه القصيدة الا  
 أننا نحررنا أصح النسخ منها في ظاهر الامر والله الموفق عنه وهي هذه

يقول سيني ويحمد مدربه \* مثل على هاد الى الناس أوليا  
 محمد المبعوث خاتم الأنبياء \* ويرضى عن العصب ومن لهم تلا  
 الالهة زارحة العالم الذي \* زاء بعضكم وبالعقل قد حلا  
 فن أحكم الوضع فيحكم جسمه \* ويدرك أحكاما تدبرها العلا  
 ومن أحكم الربط فيدرك قوة \* ويدرك للتقوى وللنكل حصلا

ومن أحكم التصريف بحكم سره \* ويعقل نفسه وصره الولا  
 وفي عالم الامر تراه محققا \* وهذا مقام من بالاذكار كلا  
 فهذه سرائر عليكم بكنهها \* ألقها دوائر اولياء عدلا  
 فطاهلها عرش وفيه نقوشنا \* بنظم ونثر قد تراه مجدولا  
 ونسب دوائر كنسبة فللكها \* وارسم كواكبا لدراجها العللا  
 وأخرج لاوتار وارسم حروفها \* وكثر بمنله على حشد من خـلا  
 أنم شمس كل زيرهم وسق يونه \* وحقق بهامهم ونورهم جلا  
 وحصل علوما للطباع مهندسا \* وعلم الموسيقى والارباع مثلا  
 وسؤلوسيق وعلم حروفهم \* وعلم بالان لحقق وحصلا  
 وسؤلوسيق ونسب حروفها \* وعلمها أطلق والاقليم جدولا  
 أم سـبرلنا فهو نهاية دولة \* زناية آيت وحكم لها خلا  
 وقطر لاندلس فابن لهودهم \* وباه بنو نصر وظهرهم تلا  
 ملوك وفرسان واهل الحكمة \* فان شئت فهم وقطرهم جلا  
 وهدي فوجدتونس حكمهم \* ملوك وبالشرق بالاقواف زلا  
 واقسم على القطر وكن متفقدنا \* فان شئت الروم فبالخرشكلا  
 ففهم وبرشنون الزاء حرفهم \* واقرنهم دال وبالطاء كلا  
 ملوك كناية ودولة افهم \* واعراب قومنا بترقي اءلا  
 فهذه دجبانى وسند فهرمس \* وفرس ططاري وباهدهم طلا  
 فقصرهم جاء ويزجردهم \* الكاف وقبطهم بلامه طولا  
 وعباس كلهم شريف معظم \* ولا كن تركي بذ الفعل عطلا  
 فان شئت تدقيق الملوك وكلهم \* نفهم يونانهم نسب وجـدولا  
 على حكم قانون الحروف وعلمها \* وعلم طبائعها وكله مثلا  
 فمن علم العلوم بعلم علما \* ويعلم أسرار الوجودوا كـلا  
 فيرمج علمه وبه رفـد به \* وعلم ملاحيم بحاميم فصـلا  
 وجبت أقياس والعروض يشقه \* فحكم الحكيم فيه قطعا يقتلا  
 وتأنيك أحرف فصول ضربها \* وأحرف سديويه تأنيك فصلا  
 فكن بتسكير وقابل وعوضن \* بترنيك الغالى لاجزاء خـلا  
 وفي القند والجوز ويعرف غالبا \* وزد لمج وصفه في العقل فعلا  
 واختر اطلع وسويه رتبة \* واعكس بجذريه وبالدور عدلا









### الانفعال الطبيعي

ابرجيس في الحجة الوفى صرفوا \* بقزدرأ ونحاس الخلطأ ككلا  
وقبل بضعة صحيفارأية \* فجعلك طالعا خطوطه ماعلا  
نوخ به زيادة النور وللقسم \* وجعلك للقبول شمس أصلا  
ويومه والبعور عدولهم \* ووقت لماعسة ودعونه ألا  
ودعونه بقاية فهي أعلمت \* وعن طيمان دعوة وله اجلا  
وقبل بدعوة حروف لوضعها \* بحر هواء أو مطالب أهلا  
فتنقش أحرفا بدال ولا مها \* وذلك وفق للمربع حصلا  
اذا لم يكن يسوى هو الدلالها \* فدال ليدووا ورنب معطلا  
فحسن لبائه وباتهم اذا \* هو الك وباقهم قليلة بجلا  
ونقش شاكل بشرط لوضعهم \* ومازدت انسبه لفعلا عدلا  
ومفتاح صريم ففصلهم اسوا \* فبورى وبسطاى بسورتها تالا  
وهلك بالقصد وكن متفقدا \* ادله وحشى لقبضة ميسلا  
فأعكس نيوتها بالث ونيف \* فباطن اسرو في سرها التجلا

### (فصل في المقامات للنهاية)

لقد القيب صورة من العالم العلا \* وتوجد هادارا ولبها الحلا  
ويوسف في الحسن وهذا شبيهه \* بشر وترتيل حقيقة انزلا  
وفي يده طول وفي الغيب ناطق \* فيعكس الى عود يجابوب بليل  
وقد جن بهلول بهشوق جالها \* وعند تجلجها بالمام أخذلا  
ومات اجليه واشرب حبها \* جنيد وبصرى والجسم أهمل  
فتطلب في التهلل غايته ومن \* بأسمائه الحسنى لانسبة خلا  
ومن صاحب الحسنى له الفوز بالمنى \* ويسم بالزنى لدى جيرة العلا  
وتعبر الغيب اذا جدت خدمة \* تركت بعباسين كان موثلا  
فهذا هو الفوز وحسن تاله \* ومنها زبانات لتفسير هاتلا

### (الوصية والتختم والايان والاسلام والتحرير والاهلية)

فهذا أقصده ناوتعون عمده \* وما زاد خطبة وخفا وجدولا  
عجت لا يات وتسعون عقدها \* تولد أيا تالوما حصرها التجلا  
فمن فهم السر فيفهم نفسه \* ويفهم تفهيرا تشابه أشكال



سنتين ومنها حروف برسم الزمام كذلك غير أن برسم الزمام يعطى نسبة ثمانية فهي  
بمنزلة واحد الأب وبمنزلة عشرة ولها نسبة من خمسة بالعربي فاصطفى البيت من  
الجدول أن توضع فيه ثلاثة حروف في هذا البرسم وحرفان في الرسم فانه تصروا من  
الجدول سوا ثمانية حتى فككت أصول الادوار وانتم على أربعة فثبت في العدد  
في طول الجدول وان لم ترد على أربعة لم يحسب الا العاصم بها. (والمعمل في  
السؤال يقتصر الى سبعة أصول) \* عدة حروف الادوار ويحفظ ادوارها بعد طرحها  
اثني عشر اثني عشر وهي ثمانية ادوار في الكامل وستة في الناقص أبدا ومعرفة دور  
الطالع وسلطان البرج والدور الاكبر الاصل وهو واحد أبدا وما يخلص من إضافة  
الطالع للدور الاصل وما يخرج من ضرب الطالع والدور في سلطان البرج وإضافة  
سلطان البرج للطالع والمعمل جمعه ينتج عن ثلاثة ادوار مضروبة في أربعة فككون  
اثني عشر دورا ونسبة هذه الثلاثة الادوار التي هي كل دور من أربعة فثلاثة ثمانية كل  
ثلاثة ادوار ثم اثنا عشر ادوارا رابعة أيضا ثمانية ثم اثنا عشر ضرب ستة في اثنين  
فكان لها ثمانية تظهر ذلك في المعمل وينبع هذه الادوار الاثني عشر نتائج وهي في  
الادوار اما ان تكون نتيجة أو أكثر الى ستة فأول ذلك نعرض سؤالا عن الزايرة  
هل هي علم قديم أو محدث بطالع أول درجة من القوس اثنا عشر حروف الادوار ثم حروف  
السؤال فوضعا حروف وترأس القوس ونظيره من رأس الجوزاء وثلاثة وترأس  
الدور الى حد المركز وأضفنا اليه حروف السؤال ونظيره ثمانية وأقل ما تكون ثمانية  
وثماني وأكثر ما تكون ستة وتسعين وهي جملة الدور الصحيح فككت في سؤالا ثمانية  
وتسعين ويختصر السؤال ان زاد عن ستة وتسعين بأن يسقط جميع ادوار الاثني  
عشرية ويحفظ ما خرج منها وما بقي فككت في سؤالا سبعة ادوار والباقي تسعة اثني عشر  
في الحروف ما يبلغ الطالع اثني عشر درجة فليبلغها لم تثبت لها عدة ولا دور ثم اثبت  
أعدادها أيضا ان زاد الطالع عن أربعة وعشرين في الوجه الثالث ثم تثبت الطالع  
وهو واحد وسلطان الطالع وهو أربعة والدور الاكبر وهو واحد وأجمع ما بين الطالع  
والدور وهو اثنان في هذه السؤالا واضرب ما خرج منهم في سلطان البرج يبلغ ثمانية  
وأضعف السلطان للطالع فيكون خمسة فهذه سبعة أصول فما خرج من ضرب الطالع  
والدور الاكبر في سلطان القوس مما يبلغ اثني عشر فبه تدخل في ضلع ثمانية من  
أبجيد الجيد صاعدا وان زاد على اثني عشر طرح ادوارا ودخل الباقي في ضلع ثمانية  
وتعلم على منتهي الودد بان خمسة المستخرج من السلطان والطالع يكون الطالع في ضلع  
السطح الجسود الأعلى من الجدول وتعدمتوا بالاختصاص ادوارا وتحفظوا الى ان

يقف العدد على حرف من أربعة وهي ألف وباء أو جيم أو ذى فوق العدد فى علمنا  
على حرف الالف وخلف ثلاثة أو اربع فى ثلاثة فى ثلاثة كانت تسعة وهو عدد  
الدور الأول فأثبتناه واجمع ما بين الضلعين القائم والمبسوط يكن فى بيت ثمانية فى  
مقابلة البيوت العائرة بالعدد من الجدول وان وقف فى مقابلة الخالى من بيوت  
الجدول على أحد هاتين اعتبر وتستر على أدها وادخل بعدد ما فى الدور الأول  
وذلك تسعة فى صدر الجدول على البيت الذى اجمعه فيه وهي ثمانية ما إلى جهة  
اليسار فوق على حرف لام ألف ولا يخرج منها أي اء حرف مركب وانما هو اذن حرف  
تاء أو بعبارة رسم الزمام فصل عليها بعد ثقلها من بيت القصيد واجمع عدد الدور  
للسلطان يبلغ ثلاثة عشر اخل بها فى حروف الاوتار وأثبت ما وقع عليه العدد وعلم  
هتة من بيت القصيد ومن هذا القافون تدرى كم تدور الحروف فى النظم الطبيعي  
وذلك أن تجمع حروف الدور الاول وهو تسعة لسلطان البرج وهو أربعة تبلغ ثلاثة  
عشر أضفها بمثلها تكون ستة وعشرين أسقط منها درج الطالع وهو واحد فى هذا  
السؤال الباقى خمسة وعشرين فعلى ذلك يكون نظم الحروف الارب ثم ثلاثة  
وعشرون مرتين ثم اثنان وعشرون مرتين على حسب هذا الطرح الى أن ينتهى  
للو احد من آخر البيت المنظم ولا تقف على أربعة وعشرين لطرخ ذلك الواحد  
أولاً ثم ضع الدور الثانى وأضف حروف الدور الاول الى ثمانية الخارجة من ضرب  
الطالع والدور فى السلطان تكون سبعة عشر الباقى خمسة فاصعد فى ضلع ثمانية  
بخمسة من حيث انتهت فى الدور الاول وعلم عليه وادخل فى صدر الجدول بسبعة  
عشر ثم بخمسة ولا تعد الخالى والدور عشرين فوجدنا حرف تاء خمسمائة وانما  
هو فون لأن دورنا فى مرتبة العشرات فكأننا الخمسمائة بخصمين لأن دورها  
سبعة عشر فالعلم يكن سبعة عشر لكانت خمسين فأثبت فوناً ثم ادخل بخمسة أيضاً  
من أوله وانظر ما لذى ذلك من السطح تجدوا احد افقه عدد واحد اضع على  
خمس أضف لها واحد السطح تكون ستة أثبت واوا وعلم عليها من بيت القصيد  
أربعة وأضفها الى ثمانية الخارجة من ضرب الطالع مع الدور فى السلطان تبلغ اثني  
عشر أضف لها الباقى من الدور الثانى وهو خمسة تبلغ سبعة عشر وهو للدور الثانى  
قد خلنا بسبعة عشر فى حروف الاوتار فوق العدد على واحد أثبت الالف وعلم عليه  
من بيت القصيد وأسقط من حروف الاوتار ثلاثة حروف عدة الخارج من الدور  
الثانى وضع الدور الثالث وأضف خمسة الى ثمانية تكن ثلاثة عشر الباقى واحد  
اقل الدور فى ضلع ثمانية واحد وادخل فى بيت القصيد بثلاثة عشر وخذ ما وقع عليه

العدد وهو حرف وعلم عليه وادخل بثلاثة عشر في حروف الاوتار وأثبت ما خرج وهو سين  
 وعلم عليه من بيت القصيد ثم ادخل بمائتي السن الخارجية بالباقي من دور ثلاثة عشر  
 وهو واحد فدخل بمائتي حرف سين من الاوتار فكان ب اثنتا وعلم عليها من بيت القصيد  
 وهذا يقال له الدور المعطوف وميزانه صحيح وهو أن تضعف ثلاثة عشر بمثلها وتضعف  
 اليها الواحد الباقي من الدور تبلغ سبعة وعشرين وهو حرف باه المستخرج من الاوتار  
 من بيت القصيد وادخل في صدر الجدول بثلاثة عشر وانظر ما قابل به من السطح  
 واضعه بمثل وزد عليه الواحد الباقي من ثلاثة عشر فكان حرف جيم وكانت للجملة  
 سبعة فقلك حرف زاي فأثبتناه وعلمنا عليه من بيت القصيد وميزانه أن تضعف السبعة  
 بمثلها وزد عليها الواحد الباقي من ثلاثة عشر يكن خمسة عشر وهو الحاء من عشر من  
 بيت القصيد وهذا آخر أدوار الثلاثيات وضع الدور الرابع ولهم العدد تسعة باضفة  
 الباقي من الدور السابق فاضرب الطالع مع الدور في السلطان وهذا الدور آخر العمل  
 في البيت الأول من الرباعيات فاضرب على حرفين من الاوتار واصعد بتسعة في ضلع  
 ثمانية وادخل بتسعة من دور الحرف الذي أخذته آخر من بيت القصيد فالتسع  
 حرف راء فأثبتناه وعلم عليه وادخل في صدر الجدول بتسعة وانظر ما قابلها من السطح  
 يكون ج فكرر العدد واحد ليكون ألف وهو الثاني من حرف الراء من بيت  
 القصيد فأثبتناه وعلم عليه وعدنا بمائتي الثاني تسعة يكون ألف أيضاً أثبتناه وعلم عليه  
 واضرب على حرف من الاوتار واضعف تسعة بمثلها تبلغ ثمانية عشر ادخل بها في  
 حروف الاوتار تقف على حرف راء أثبتناه وعلم عليها من بيت القصيد ثمانية وأربعين  
 وادخل بثمانية عشر في حروف الاوتار تقف على س أثبتناه وعلم عليها اثنين وأضعف  
 اثنين إلى تسعة تكون أحد عشر ادخل في صدر الجدول بأحد عشر تقابلها من السطح  
 ألفاً أثبتناه وعلم عليها ستة وضع الدور الخامس وعدته سبعة عشر الباقي خمسة اصعد  
 بخمسة في ضلع ثمانية واضرب على حرفين من الاوتار واضعف خمسة بمثلها واضفها إلى  
 سبعة عشر عدد دورها الجملة تسعة وعشرون ادخل بها في حروف الاوتار تقف على  
 ب أثبتناه وعلم عليها اثنين وثلاثين واطرح من سبعة عشر اثنين التي هي في أس اثنين  
 وثلاثين الباقي خمسة عشر ادخل بها في حروف الاوتار تقف على ت أثبتناه وعلم عليها  
 ستة وعشرين وادخل في صدر الجدول بست وعشرين تقف على اثنين بالقبارة وذلك  
 حرف با أثبتناه وعلم عليه أربعة وخمسين واضرب على حرفين من اوتار وضع الدور  
 السادس وعدته ثلاثة عشر الباقي منه واحد فثبتنا اذ ذاك أن دور الثمن خمسة  
 وعشرين فان الادوار خمسة وعشرون وسبعة عشر وخمسة وثلاثة عشر وواحد



فاضرب خمسة في خمسة تسكن خمسة وعشرين وهو الدور في نظم البيت فانقل الدور في  
 ضلع ثمانية واحد ولكن لم يدخل في بيت القصيد ثلاثة عشر كما قد متناه لان دور ثان  
 من نشأة تركيبة ثمانية بل أضفنا الاربعة التي من أربعة وخمسين الخارج على حروف  
 ب من بيت القصيد الى الواحد تكون خمسة تضيف خمسة الى ثلاثة عشر التي للدور تبلغ  
 ثمانية عشر ادخل بها في صدر الجدول وخذ ما قابلهما من السطح وهو ألف أئنته وعلم  
 عليه من بيت القصيد اثني عشر واضرب على حرفين من الاوتار ومن هذا الجدول تنظر  
 أحرف السؤال الخارج منها زده مع بيت القصيد من آخره وعلم عليه من حروف  
 السؤال ليكون داخل في العدد في بيت القصيد وكذلك تفعل بكل حرف حرف بعد  
 ذلك مناسبا لحروف السؤال الخارج منها زده الى بيت القصيد من آخره وعلم عليه ثم  
 أضف الى ثمانية عشر ما علمته على حرف الالف من الآحاد فصكان اثنين تبلغ الجملة  
 عشرين ادخل بها في حروف الاوتار تقف على حرف راء أئنته وعلم عليه من بيت القصيد  
 ستة وتسعين وهو نهاية الدور في الحرف الوترى فاضرب على حرفين من الاوتار وضع  
 الدور السابع وهو ابتداء لخترع ثمان بنشأ من الاختراعين ولهذا الدور من العدد تسعة  
 تضيف لها واحدا تكون عشرة للنشأة الثانية وهذا الواحد تزيده بعد الى اثني عشر دورا  
 اذا كان من هذه النسبة أو تنقص من الاصل تبلغ الجملة خمسة عشر فاصعد في ضلع  
 ثمانية وتسعين وادخل في صدر الجدول بعشرة تقف على خمسة مائة وانما على خسون  
 نون ضاعفة بمثلها وتلك ق أئنتها وعلم عليها من بيت القصيد اثنين وخمسين وأسقط  
 من اثنين وخمسين اثنين وأسقط تسعة التي للدور الباقي واحد وأربعون فادخل بها في  
 حروف الاوتار تقف على واحد أئنته وكذلك ادخل بها في بيت القصيد تجد واحدا  
 فهذا ميزان هذه النشأة الثانية فعلم عليه من بيت القصيد علامتين الامة على الالف  
 الاخيرة الميزاني وأخرى على الالف الاولى فقط والثانية أربعة وعشرون واضرب على  
 حرفين من الاوتار وضع الدور الثامن وعدة سبعة عشر الباقي خمسة ادخل في ضلع  
 ثمانية وخمسين وادخل في بيت القصيد بخمسة تقف على مئة تسعين أئنتها وعلم عليها  
 وادخل في الجدول بخمسة وخذ ما قابلهما من السطح وذلك واحد أئنته وعلم عليه من  
 البيت ثمانية وأربعين وأسقط واحدا من ثمانية وأربعين للاس الثاني وأضف اليها  
 خمسة الدور الجملة اثنين وخمسون ادخل بها في صدر الجدول تقف على حرف ب  
 غبارية وهي مرتبة مئينية لتزايد العدد فتكون مائتين وهي حرف راء أئنتها وعلم عليها  
 من القصيد أربعة وعشرين فانقل الامر من ستة وتسعين الى الاشداء وهو أربعة  
 وعشرون فأضف الى أربعة وعشرين خمسة الدور وأسقط واحدا تكون الجملة ثمانية

وعشرين ادخل بالنصف منها في بيت القصيد تقف على ثمانية أثبت ٢ وعلم عليها  
 وضع الدور التاسع وعدده ثلاثة عشر الباقي واحد اصعد في ضلع ثمانية واحد ولبست  
 نسبة العمل هنا كسبها في الدور السادس لتضاعف العدد ولانه من القاة الثانية  
 ولانه اول الثلث الثالث من مربعات البروج وآخر الستة الرابعة من المثلثات فاضرب  
 ثلاثة عشر التي للدور في أربعة التي هي مثلثات البروج السابقة للجله اثنتان وخمسون  
 ادخل في صدر الجدول تقف على حرف اثنين عباره وانما هي ثمانية لتجاوزها في  
 العدد عن مرتبة الاحاد والعشرات فاثبت ما بين راء وعلم عليها من بيت القصيد ثمانية  
 وأربعين وأضعف الى ثلاثة عشر الدور واحد الاس وادخل بأربعة عشر في بيت القصيد  
 تبلغ ثمانية فعلم عليها ثمانية وعشرين واطرح من أربعة عشر سبعة يبقى سبعة اضرب  
 على حرفين من الاوتار وادخل بسبعة تقف على حرف لام أثبتته وعلم عليه من البيت  
 وضع الدور العاشر وعدده تسعة وهذا ابتداء المثلثة الرابعة واصعد في ضلع ثمانية  
 تسعة تكون خلافا صعد تسعة ثمانية تصير في السابع من الابتداء اضرب تسعة في  
 أربعة لصعودنا بستين وانما كانت تضرب في اثنين وادخل في الجدول ستة وثلاثين  
 تقف على أربعة زمامية وهي عشرة فأخذناها أحادية لقلة الادوار فأثبت حرف دال  
 وان أضفت الى ستة وثلاثين واحد الاس كان حدها من بيت القصيد فعلم عليها ولو  
 دخلت بالتسعة لاخير من غير ضرب في صدر الجدول لوقف على ثمانية فاطرح من ثمانية  
 أربعة الباقي أربعة وهو المقصود ولودخلت في صدر الجدول بثمانية عشر التي هي تسعة  
 في اثنين لوقف على واحد زمامي وهو عشري فاطرح منه اثنين تكرار التسعة الباقي  
 ثمانية نضعها المدالجوب ولودخلت في صدر الجدول بسبعة وعشرين بضربها في ثلاثة  
 لوقعت على عشرة زمامية والعمل واحد ثم ادخل تسعة في بيت القصيد وأثبت  
 ماخرج وهو ألف ثم اضرب تسعة في ثلاثة التي هي مركب تسعة الماضية وأسقط  
 واحد ا وادخل في صدر الجدول ستة وعشرين وأثبت ماخرج وهو مائتان بحرف  
 راء وعلم عليه من بيت القصيد ستة وأربعين واطرب على حرفين من الاوتار وضع الدور  
 الحادي عشر وله سبعة عشر الباقي خمسة اصعد في ضلع ثمانية بخمسة وتحسب ما تكررت  
 عليه المشي في الدور الاول وادخل في صدر الجدول بخمسة تقف على خال نخذ ما قبله  
 من السطح وهو واحد فادخل واحد في بيت القصيد تكن سني أثبتته وعلم عليه أربعة  
 ولو يكون الوقف في الجدول على بيت عامر لا ثبتنا الواحد ثلاثة وأضعف بسبعة عشر  
 بمثلها وأسقط واحدا وأضعفها بعثها وزدها أربعة تبلغ سبعة وثلاثين ادخل بها في  
 الاوتار تقف على ستة أثبتها وعلم عليها وأضعف خمسة بمثلها وادخل في البيت تقف على

لام أثبتنا وعلم عليها عشرين واضرب على حرفين من الاوتار وضع الدور الثاني عشرين له  
 ثلاثة عشر الباقي واحد اصعد في ضلع ثمانية نواحد وهذا الدور آخر الادوار وآخر  
 الاختراعين وآخر المربعات الثلاثة وآخر المثلثات الرباعية والواحد في صدر الجدول  
 يقع على ثمانين زمامية وانما هي احدى ثمانية وليس معظم الادوار الا واحد فلوزاد  
 من أربعة من مربعات اثني عشر وأربعة من مثلثات اثني عشر لكات ح وانما هي  
 د فاثبتنا وعلم عليها من بيت القصيدة أربعة وسبعين ثم انظر ما ناسبها من السطح تكن  
 خمسة أضعفها بمثلها الا تسعة عشر أثبت ي وعلم عليها وانظر في أي المراتب وقعت  
 وجدناها في الاربعة دخلنا بسبعة في حروف الاوتار وهذا المدخل يسمى التوليد  
 الحرفي فكانت ف اثبتنا وأضف الى سبعة واحد الدور الجمله ثمانية ادخل بها في  
 الاوتار تبلغ م اثبتنا وعلم عليها ثمانية واضرب ثمانية في ثلاثة الزائدة على عشرة الدور  
 فانها آخر مربعات الادوار المثلثات تبلغ أربعة وعشرين ادخل بها في بيت القصيدة  
 وعلم على ما يخرج منها وهو مائتان وعلا مئاسنة وتسعون وهو نهاية الدور الثاني في  
 الادوار الحرفية واضرب على حرفين من الاوتار وضع النتيجة الاولى ولها تسعة  
 وهذا العدد يناسب ابد الباقي من حروف الاوتار بعد طرحها ادوار اودك تسعة  
 فاضرب تسعة في ثلاثة التي هي زائدة على تسعين من حروف الاوتار وأضف لها واحدا  
 الباقي من الدور الثاني عشر تبلغ ثمانية وعشرين فادخل بها في حروف الاوتار تبلغ  
 اثنا عشر وعلم عليه ستة وتسعين وان ضربت تسعة التي هي ادوار الحروف القسطنطينية  
 في أربعة وهي الثلاثة الزائدة على تسعين والواحد الباقي من الدور الثاني عشر  
 كان كذلك واصعد في ضلع ثمانية تسعة وادخل في الجدول تسعة تبلغ اثنين  
 زمامية واضرب تسعة في مائتين من السطح وذلك ثلاثة وأضف لذلك سبعة فحدد  
 الاوتار الحرفية والطرح واحد الباقي من دور اثني عشر تبلغ ثلاثة وثلاثين ادخل بها  
 في البيت تبلغ خمسة فاثبتنا وأضف تسعة بمثلها وادخل في صدر الجدول بثمانية عشر  
 وخذ ما في السطح وهو واحد ادخل به في حروف الاوتار تبلغ م اثبت ي وعلم عليه  
 واضرب على حرفين من الاوتار وضع النتيجة الثانية ولها سبعة عشر الباقي خمسة  
 فاصعد في ضلع ثمانية بخمسة واضرب خمسة في ثلاثة الزائدة على تسعين تبلغ خمسة عشر  
 أضف لها واحدا الباقي من الدور الثاني عشر تكن تسعة وادخل بستة عشر في بيت  
 القصيدة تبلغ ث اثبت ي وعلم عليه أربعة وستين وأضف الى خمسة الثلاثة الزائدة على  
 تسعين وزد واحدا الباقي من الدور الثاني عشر يكن تسعة ادخل بها في صدر الجدول  
 تبلغ ثلاثين زمامية وانظر ما في السطح تجد واحدا اثبت ي وعلم عليه من بيت القصيدة

وهو التاسع أيضا من البيت وادخلت تسعة في صدر الجسد ول تقف على ثلاثة وهي  
عشرات فثبتت لام وعلم عليه وضع النتيجة الثالثة وعدد هائل ثلاثة عشر الباقي واحد  
فانقل في ضلع ثمانية بواحد وأضف الى ثلاثة عشر الثلاثة الزائدة على التسعين وواحد  
الباقي من الدور الثاني عشر تبلغ سبعة عشر وواحد النتيجة تكن ثمانية عشر ادخل بها  
في حروف الاوتار تكن لاما اثبتنا هذا آخر العمل • والمثال في هذا السؤال السابق  
أردنا أن نعلم أن هذه الزاوية علم محدث أو قديم بطالع أول درجة من القوس  
أثبتنا حروف الاوتار ثم حروف السؤال ثم الاصول وهي عدة الحروف ثلاثة وتسعون  
أدوارها سبعة الباقي منها تسعة الطالع واحد سلطان القوس أربعة الدور الاكبر  
واحد درج الطالع مع الدور اثنان ضرب الطالع مع الدور في السلطان ثمانية اضافة  
السلطان للطالع خمسة بيت القصيد

سؤال عظيم الخلق حوت فمن ادن \* غرائب شكل ضبطه الجده مثلا

حروف الاوتار ص ط ه ر ث ل م ص ص و ن ب ه س ا  
ن ل م ن ص ع ف ص و ر ص ك ل م ن ص ع ف  
ص ق ر س ت ث خ ذ ط غ ش ط ي ع ح ص ر و ح  
و ح ل ص ك ل م ن ص ا ب ج د ه و ز ح ط ي  
• (حروف السؤال) • ا ل ز ا ي ر ج ع ل م م ح د ث ا م ق د ي م  
الدور الاول ٩ الدور الثاني ١٧ الباقي ٥ الدور الثالث ١٣ الباقي ١ الدور الرابع ٩  
الدور الخامس ١٧ الباقي ٥ الدور السادس ١٣ الباقي ١ الدور السابع ٩  
الدور الثامن ١٧ الباقي ٥ الدور التاسع ١٣ الباقي ١ الدور العاشر ١٣  
الدور الحادي عشر ١٧ الباقي ٥ الدور الثاني عشر ١٣ الباقي ١ النتيجة الاولى ٩  
النتيجة الثانية ١٧ الباقي ٥ النتيجة الثالثة ١٣ الباقي ١

ع ٦٦ و ٦٦ في ا ٦٦

٢٣	.....	غ	١	.....	س
٢٤	.....	ر	٢	.....	و
٢٥	.....	ا	٣	.....	ا
٢٦	.....	ي	٤	.....	ل
٢٧	.....	ب	٥	.....	ع
٢٨	.....	ث	٦	.....	ظ
٢٩	.....	ج	٧	.....	ي
٣٠	.....	د	٨	.....	م
٣١	.....	ن	٩	.....	ا
٣٢	.....	ط	١٠	.....	ل
٣٣	.....	هـ	١١	.....	خ
٣٤	.....	ا	١٢	.....	ل
٣٥	.....	ل	١٣	.....	ق
٣٦	.....	ج	١٤	.....	ح
٣٧	.....	د	١٥	.....	ز
٣٨	.....	م	١٦	.....	ت
٣٩	.....	ث	١٧	.....	ف
٤٠	.....	ل	١٨	.....	ص
٤١	.....	ا	١٩	.....	ن
			٢٠	.....	ا
			٢١	.....	ذ
			٢٢	.....	ن

ف و ز ا و س ر ر ا ا س ا ب ا ر ق ا ع ا ر ص ح ر  
 ح ل د ا ر س ا ل د ي و س ر ا د م ن ا ل ل  
 دورها على خمسة وعشرين ثم على ثلاثة وعشرين مرتين ثم على واحد وعشرين مرتين  
 الى ان تنتهي الى الواحد من آخر البيت وتنقل الحروف جميعا والله اعلم ن ف ر و  
 ح روح ال و د س ا د ر و س ر ا ل د ر ي س و ا ن  
 س د ر و ا ب ل ا م ر ب و ا ا ل ح ل ل

هذا اخر الكلام واستخراج الاجوبة من زارجة العالم منظومة وللقوم طرائق  
أخرى من غير الزارجة يستخرجون بها اجوبة المسائل غير منظومة وعندهم أن  
السر في استخراج الجواب منظوماً من الزارجة انما هو من جهة بيت مالك بن وهيب  
وهو سؤال عظيم انطلق البيت ولذلك يخرج الجواب على رويته وأما الطرق الأخرى  
فيخرج الجواب غير منظوم فمن طرائقهم في استخراج الاجوبة ما نقله عن بعض  
المحققين منهم

(فصل في الاطلاع على الاسرار الخفية من جهة الارتباطات الحرفية)

اعلم أريدنا الله وبالله أن هذه الحروف أصل المسئلة في شكل خفية وانما تستخرج  
الاجوبة على تجزئته بالكلمة وهي ثلاثة وأربعون حرفاً كما ترى والله علام الغيوب  
اولاعظ من الم خ ي د ل ز ق ن ا ر ذ س ف ن  
غ ش ال ل ذ ي ب م ض ب ح ط ل ج ه د ن ل ث ا  
وقد نقلها بعض الفضلاء في بيت جعل فيه كل حرف مثبته من حرفين وسماه القطب  
فقال سؤال عظيم انطلق حرفت فمن اذن ه غراب شك ضبطه الجد مثلاً  
فاذا أردت استنتاج المسئلة فاحذف ما تكرر ومن حروفها واثبت ما فضل منه  
انما احذف من الاصل وهو القطب لكل حرف فصل من المسئلة حرفاً مما تله وأثبت  
ما فضل منه ثم امزج الفضلين في سطر واحد تبدأ بالاول من فضله والثاني من فضل  
المسئلة وهكذا الى أن يتم الفصلان أو يتقدأ أحدهما قبل الآخر فتضع البقية على  
ترتيبها فاذا كان عدد الحروف الخارجة بعد المزج موافقاً لعدد حروف الاصل قبل  
الحذف فالعمل صحيح فينتدأ تصيف اليها خمس فوات تعدل بها الموازين الموسيقية  
وتكمل الحروف ثمانية وأربعين حرفاً ثم عمرها بجدولاً مما يعاينكون آخر ما في السطر  
الاول أول ما في السطر الثاني وتقل البقية على حالها وهكذا الى أن تتم عمارة  
الجدول ويعود السطر الاول بعينه وتتوالى الحروف في القطر على نسبة الحركات ثم  
تخرج وترتكب حرف بقسمه مربعة على أعظم جزء يوجد له وتضع الزمر مقابلاً لخرقه  
ثم تستخرج النسب العنصرية للحروف الجدولية وتعرف قوتها الطبيعية وموازينها  
الروائية وغرائها النفسانية وأسسها الاصلية من الجدول الموضوع لذلك وهذه  
صورته

١	القوى	الموازين	الضرائب	الاسوس	و
ب	٢٨ هـ	د ٥ هـ	د ٥ هـ	ص ح	
ج	٤٥ هـ	د ٢ هـ	٤٥ هـ	ر ح	
د	٤٥ هـ	ر هـ	٤٥ هـ	ر ٦ هـ	
هـ	٤٥ هـ	ل هـ	٤٥ هـ	ر هـ	
و			ر ح	١ هـ	
ز			ك ح	٤ هـ	

٢٨ هـ  
 ٤٥ هـ  
 ٤٥ هـ  
 ٤٥ هـ  
 ٤٥ هـ  
 ٤٥ هـ  
 ٤٥ هـ  
 ٤٥ هـ  
 ٤٥ هـ  
 ٤٥ هـ

ثم تأخذ وتر كل حرف بعد ضربه في أسوس أو نادا الفلك الأربعة واحدا وما يلي الأوتاد وكذلك السواقل لأن نسبتها مضطربة وهذا الخارج هو أول رتب السريان ثم تأخذ مجموع العناصر ونقط سنها أسوس المولدات يبقى أس عالم الخلق بعد عرضه للعهد الكونية ففصل عليه بعض المهرجات عن المواد هي عناصر الامداد يخرج أفق النفس الاوسط ونطرح أول رتب السريان من مجموع العناصر يبقى عالم التوسط وهذا مخصوص بعوالم الاكوان البسيطة لا المركبة ثم تضرب عالم التوسط في أفق النفس الاوسط يخرج الافق الاعلى ففصل عليه أول رتب السريان ثم نطرح من الرابع أول عناصر الامداد الاصل يبقى ثالث رتبة السريان فنضرب مجموع أجزاء العناصر الأربعة أبدا في رابع مرتبة السريان يخرج أول عالم التفصيل والثاني في الثاني يخرج ثاني عالم التفصيل والثالث في الثالث يخرج ثالث عالم التفصيل والرابع في الرابع يخرج رابع عالم التفصيل فتجمع عوالم التفصيل وتحت من عالم الكل تبقى العوالم المهرجة فتقسم على الافق الاعلى يخرج الجزء الأول ويقسم المنكسر على الافق الاوسط يخرج الجزء الثاني وما انكسر فهو الثالث ويتعين الرابع هذا في الرباعي وان شئت أكثر من الرباعي فتستكثر من عوالم التفصيل ومن رتب السريان ومن الاوقات بعد الحروف والله يرشدنا وإياك وكذلك اذا قسم عالم التجربة على أول رتب السريان خرج الجزء الأول من عالم التركيب وكذلك الى نهاية الرتبة الاخيرة من عالم الكون فافهم وتدبر راق الله المرشد المعين \* ومن طر يقهم أيضا في استخراج الجواب قال بعض المحققين منهم اعلم أيذا الله وبالبروح منه أن علم الحروف جليل يتوصل العالم به الى اتصال بغيره من العلوم المتسداولة بين العالم وللعلم به شرائط تلتزم وقد يستخرج العالم أسرار الخليفة وسرائر الطبيعة فطاع بذلك على تتبعي الفلسفة أعني السيميا وأخذها ويرفع له حجاب الجهولات ويطلع بذلك على مكنون خبايا القلوب وقد شهدت جماعة بأرض المغرب عن اتصال بذلك فأظهر الغرائب ونور العوائد وتصرف في الوجود لتأييده الله واعلم أن ملاك كل فضيلة الاجتهاد وحسن الملكة مع الصبر مفتاح كل خير كما أن الخرق والجملة رأس الحرمان فأقول اذا أردت أن تعلم قوة كل حرف من حروف الفايطوس أعني أيجد الى آخر العدد وهذا أول مدخل من علم الحروف فانظر ما ذلك الحرف من الاعداد فتلك الدرجة التي هي مناسبة للحرف هي قوته في الجسمانيات ثم اضرب العدد في مثله فتخرج لك قوته في الروحانيات وهي وزه وهذا في الحروف المنقوطة لا يتم بل يتم لغير المنقوطة لأن المنقوطة منها امرات بلعان يأتي عليها البيان فيما بعد واعلم أن لكل شكل من أشكال الحروف شكلا في العالم



العلوى أعنى الكرمى ومنها المتعزى والساكن والعلوى والسفلى كما هو  
 مرقوم فى أماكنه من الجداول الموضوعة فى الزايرج واعلم أن قوى الحروف  
 ثلاثة أقسام الأول وهو ألقاها قوة تظهر بعد كتابتها فتكون كتابته لعالم روحانى  
 مخصوص بذلك الحرف المرسوم فتخرج ذلك الحرف بقوة نفسانية وجميع همة كانت  
 قوى الحروف معززة فى علم الاجسام الثانى قوتها فى الهيئة الفكرية وذلك ما يصد  
 من تصرف الروحانيات لها فهى قوة فى الروحانيات العلويات وقوة شكلية فى عالم  
 الجسمانيات الخبيئات وهو ما يجمع الباطن أعنى القوة النفسانية على تكوئنه  
 فتكون قبل النطق به صورة فى النفس بعد النطق به صورة فى الحروف وقوة فى  
 النطق وأما طائعاتها فهى الطبيعيات المنسوبة للمولدات فى الحروف وهى الحرارة  
 واليبوسة والحرارة والرطوبة والبرودة واليبوسة والبرودة والرطوبة فهذه اربعة  
 الجوانب والحرارة جامعة للهواء والنار وهما ا ه ط م ف ش ذ ح ز ك س  
 ق ث ظ والبرودة جامعة للهواء والماء ب و ي ن ص ت ض د ح  
 ل ع ر خ غ واليبوسة جامعة للنار والارض ا ه ط م ف ش ذ  
 ب و ي ن ص ت ض د ح ز ك س والبرودة والرطوبة والرطوبة واليبوسة  
 فى بعض وتدأخل أجزاء العالم القيماء لويات وسفلياته بأسباب الاتمات الاول أعنى  
 الطابع الاربع المنفردة فى أردت استخراج مجهول من مسئلة ما تحقق طالع السائل  
 أو طالع مسئلته واستنطق حروف أو نادها الاربعة الاول واربع والسابع والعاشر  
 مستوية مرتبة واستخرج أهدا القوى والاوناد كما سنين واجمل وانسب واستنتج  
 الجواب يخرج لك المطلوب اما بصريح النطق أو بالمعنى وكذلك فى كل مسئلة تقع لك  
 سيناه اذا أردت أن تستخرج قوى حروف الطالع مع اسم السائل والحاجة فاجمع  
 أعدادها بالجل الكبير فكان الطالع الجمل رابعة السرطان سابعه الميزان عاشره  
 الجدى وهو أقوى هذه الاوناد فاسقط من كل برج حرفى التعريف وانظر ما يخص كل  
 برج من الاعداد المنطقة الموضوعة فى دائرتهم او ا حذف أجزاء الكسرى فى النسب  
 الاستنطاقية كلها وأثبت تحت كل حرف ما يخصه من ذلك ثم أعدد حروف العناصر  
 الاربعة وما يخصها كالاول وارسم ذلك كله أحرفا ورتب الاوناد والقوى والقرائن  
 سطرا متزاوجا وكبر واضرب ما يضرب لاستخراج الموازين واجمع واستنتج الجواب يخرج  
 لك الضمير وجوابه مثاله افرض ان الطالع الجمل كما تقدم ترسم ح م ل فلما  
 من العدد دعائية لها النصف والرابع والثين د ب ا الميم لهما العدد اربعون  
 لها النصف والرابع والثين والعشر ونصف العشر اذا أردت التسديق م ل ي ه

د اللام لها من العدد ثلاثون لها النصف والثلاثان والثالث والخمس والستس والعشر **ك ي و ه** وهكذا تفعل بسائر حروف المستله والاسم من كل لفظ يقع لك وأما استخراج الاوتاد فهو أن تقسم مربع كل حرف على أعظم جزء يوجد له مثله حرف د له من الاعداد أربعة مربعه ا ستة عشر اقسمها على أعظم جزء يوجد لها وهو اثنان يخرج وتر الدال ثمانية ثم تضع **ك** كل وتر مقابلا لحرفه ثم تستخرج النسب العنصرية كما تقدم في شرح الاستنطاق ولها قاعدة قطرد في استخراجها من طبع الحروف وطبع البيت الذي يحل فيه من الجدول كما ذكر الشيخ لمن عرف الاصطلاح والله أعلم

---

(فصل في الاستدلال على ما في الضائر الخفية بالقوانين الحرفية)

---

وذلك لوسائل سائل عن دليل لم يعرف مرضه ما علمته وما الموافق لبرئ منه فوالسائل أن يسمى ما شاء من الاشياء على اسم العلة المجهولة لتجعل ذلك الاسم قاعدة لك ثم استنطق الاسم مع اسم الطالع والعناصر والسائل واليوم والساعة ان أردت التدقيق في المستله والاقتصرت على الاسم الذي سماه السائل وفعلت به كائين فأقول مثلا سمى سائلا قمر سافا ثبت الحروف الثلاثة مع أعدادها المنطقية بيانه ان القام من العدد ثمانين ولها **م ك ي ح ب** ثم الرام لها من العدد مائتان **ق ن ل ك ي** ثم السنين لها من العدد ستون ولها **م ل ك** فالواو عدد تام له **د ج ب** والسين مثله ولها **م ل ك** فاذا بسطت حروف الاسماء وجدت عنصرين متساويين فاحكم لأكثرها ما حروفها بالقلبة على الآخر ثم اجعل عدد حروف عناصر اسم المطلوب وحروفه دون بسط وكذلك اسم الطالب واحكم للاكثر والاقوى بالقلبة

---

وهذه قوى استخراج العناصر

---

فتكون الغلبة هنا للتراب وطبعه البرودة واليبوسة طبع السوداء فتصكم على المريض بالسوداء فاذا ألقت من حروف الاستنطاق كلاما على نسبة تقريبة خرج موضع الوجع في الحلق ويوافقه من الادوية حقة ومن الاشربة شراب اللجون هذا ما خرج من قوى أعداد حروف اسم قمر وهو مثال تقريبي مختصر وأما استخراج قوى العناصر

من الاسماء العظيمة فهو أن تسمى مثلاً محمد اقترسم أحرفه مقطعة ثم تضع أسماء العناصر  
الاربعة على ترتيب الثلاث يخرج لك ما في كل عنصر من الحروف والعدد ومثاله

ناري	ترابي	هوائي	مائي
ا ا ا	ب ب ب	ج ج ج ج ج	د د د د د
ه ه ه	و و و	ز ز ز ز ز	ح ح ح ح ح
ط ط ط	ي ي ي	ك ك ك ك ك	ل ل ل ل ل
م م م	ن ن ن	ص ص ص ص ص	ع ع ع ع ع
ف ف ف	ض ض ض ض ض	ق ق ق ق ق	ر ر ر ر ر
س س س	ت ت ت	ث ث ث ث ث	خ خ خ خ خ
ذ ذ ذ	ظ ظ ظ	غ غ غ غ غ	ش ش ش ش ش

فتجد أقوى هذه العناصر من هذا الاسم المذكور عنصر الماء لأن عدد حروفه عشرون  
حرفاً فجعلته العظيمة على بقية عناصر الاسم المذكور وهكذا يفصل بجميع الاسماء  
حينئذ تصاف الى أوتارها وألوانها المقسوبة للطالع في الزاوية أو لون البيت المنسوب  
لها ابن وهيب الذي جعله قاعدة قلزج الاسئلة وهو هذا

سؤال عظيم الخلق حزن فحسن اذن \* غرائب شك ضبطه الجقمع تلا

وهو تر مشهور لا يستفراج الجهولات وعليه كل يعتمد ابن الرقام وأصحابه وهو على تام  
قام بنفسه في المسائل الوضعية وصحة العمل بهذا الوزن المذكور أن ترسمه مطعماً  
متمزجاً بالفاظ السؤال على قانون صنعة التكسير وعده حروف هذا الوزن أعني البيت  
ثلاثة وأربعون حرفاً لأن كل حرف مشتمل من حرفين ثم تحذف ما تكرره عند المزج  
من الحروف ومن الاصل لكل حرف فضل من المسئلة حرفاً بماله ورتب الفضل  
سطراً عتياً بعضه بعض الحروف الاقل من فضله القطب والثاني من فضله السؤال  
حتى يتم الفضلان جميعاً فتكون ثلاثة وأربعين فتضيف اليها خمس نونات ليكون ثمانية  
وأربعين لتعدل بها الموازين الموسيقية ثم تضع الفضل على ترتيبها فان كان عدداً الحروف  
الخارجية بعد المزج يوافق العدد الاصل قبل الحذف فالعمل صحيح ثم عمر بما مضى  
بجد ولا يمر بها يكون آخره في المسطر الاول أو ثل ما في السطر الثاني وعلى هذا النسق  
حتى يعود السطر الاول بعينه وتوالي الحروف في القطر على نسبة الحركة ثم تخرج وتر  
كل حرف كما تقدم وتضعه مقابل الحرفه ثم تستخرج النسب العنصرية بالحروف  
الجدولية لتعرف قوتها الطبيعية وموازينها الروائية وغرائرها التفاضلية وأسوسها

الاصيلة من الجدول الموضوع لذلك وصفة استخراج التسبب العنصرية هو أن تشرح الحرف الأول من الجدول ما طبيعته وطبيعة البيت الذي حل فيه فان اتفقت فحسن والا فاستخرج بين الحرفين نسبة ويتسع هذا القانون في جميع الحروف الجدولية وتحقق ذلك سهل على من عرف قوانينه كما هو مقرر في دوائرها الموسيقية ثم تأخذ وتر كل حرف بعنصره في أسوس أو نادا فللك الأربعة كما تقدم واحذر ما يلي الاوتاد وكذلك السواطة لان نسبتها مضطربة وهذا الذي يخرج لك هو أول مراتب السريان ثم تأخذ مجموع العناصر وتقطع منها أسوس المولدات يبقى اس عالم انخلق بعده روضه الممدد الكونية فتعمل عليه بعض المجردات عن المواد وهي عناصر الامداد يخرج أفق النفس الاوسط وتطرح أول رتب السريان من مجموع العناصر يبقى عالم التوسط وهذا مخصوص بعوالم الاكوان البسيطة لا المركبة ثم تضرب عالم التوسط في أفق النفس الاوسط يخرج الافق الاعلى فتعمل عليه أول رتب السريان ثم تطرح من الرابع أول عناصر الامداد الاصلية يبقى ثالث رتبة السريان ثم تضرب مجموع أجزاء العناصر الأربعة أبدا في رابع رتب السريان يخرج أول عالم التفصيل والنائي في الثاني يخرج ثاني عالم التفصيل وكذلك الثالث والرابع فتجمع عوالم التفصيل وتقطع من عالم الكل في العوالم المجردة تقسم على الافق الاعلى يخرج اخذ الأول ومن هنا يطرد العمل في التابعة وله مقامات في كتب ابن وحشية والبونى وغيرهما وهذا التدبير يجري على القانون الطبيعي الحكيم في هذا الفن وغيره من فنون الحكمة الالهية وعليه مدار وضع الزياج الحرفية والصنعة الالهية والتبرجات الفلسفية والله الملمهم وبه المستعان وعليه التكلان وحسبنا الله ونعم الوكيل

### (علم الكيمياء)

٢٤

وهو علم ينظر في المادة التي يتم بها كون الذهب والفضة بالصناعة ويشرح العمل الذي يوصل الى ذلك فيتصفعون المكونات كلها بعد معرفة أجزائها وقواها لعلمهم بعثرون على المادة المستعدة لذلك حتى من الفضلات الحيوانية كالعظام والريش والبيض والعدرات فضلا عن المعادن ثم يشرح الاعمال التي تخرج بها تلك المادة من القوة الى الفعل مثل حل الاجسام الى أجزاءها الطبيعية بالتصعيد والتقطير وجمد الذائب منها بالتكليس واماءه الصلب بالقهر والصلابة وأمثال ذلك وفي زعمهم أنه يخرج بهذه الصناعات كلها اجسام طبيعية يسمونه الاكسبر وأنه يلقي منه على الجسم المعدني المستحق لقبول صورة الذهب والفضة بالاستعداد القريب من الفعل مثل الرصاص

والقصير والقصص بعد أن يحصى بالآلاف في هذه البراري أو يكثرون من ذلك الأكسير  
إذا انقروا اصطلاحاتهم بالروح وعن الجحيم المذموم يلقى طبعه بالجلد فترح هذه  
الاصطلاحات وصورة هذا العمل الصناعي الذي يقرب هذه الأجساد المستعدة إلى  
صورة الذهب والفضة هو علم الكيمياء وما زال الناس يؤلفون فيها قديما وحديثا  
ويزعمون عجز الكلام فيسألني من ليس من أهلها أو ما علم المدققين فيها جابر بن حبان حتى  
أنهم يخصونها به فيسجنونها على جابر وفيها سبعون رسالة كلها نتيجة بالالفانوز وعوا أنه  
لا يفتح مقفلها إلا من أحاط على جميع ما فيها والطغراف من حكماء المشرق المتأخرين  
فيها دواوين ومناظرات مع أهلها وغيرهم من الحكماء وكتب فيها مسألة الجبريطي من  
حكماء الاندلس كتابه الذي سملوه بالحكيم وجهه قرأه في كتابه الاستغنى في السحر  
والطبائعات الذي سماه غاية الحكيم وزعم أن هاتين الصناعتين هما تبطن الحكمة  
وخرتان للعلوم ومن لم يقف عليهما فهو فاقد ثمرة العلم والحكمة أجمع وكلامه في ذلك  
الكتاب وكتلامهم أجمع في تأليفهم هي الغاية تحذر فيهما على من لم يعلم  
اصطلاحاتهم في ذلك \* ونحن نذكر سبب عدولهم إلى هذه الرموز والإغفار ولابن  
المغيري من أئمة هذا الشأن كلمات شعرية على حروف المعجم من أبدع عما يجي في الشعر  
مفتونة كلها الغزلات الجارية والمعاني فلا تكمل تفهم وقد نسبون لغز إلى رجاء قد بعض  
التأليف فيها وليس بصحيح لأن الرجل لم تكن مداومة العالمة تنطق عن خطا ما يذهبون  
إليه حتى يتصله وروايت وأبعض المذاهب والأقوال فيها خالد بن يزيد بن معاوية وريب  
مروان بن الحكم ومن المعلوم اليقين أن خالد بن الجليل العربي والبداءة إليه أقرب  
فهو بعيد عن العلوم والصنائع بل جملة فكيف له به صناعة غريبة المنقبة مبنية على معرفة  
طبائع المركبات وأمر جبريتا وكتب النافس في ذلك من الطبيعيات والطب لم تظهر  
بعد ولم تترجم اللهم إلا أن يكون خالد بن يزيد آخر من أهل المدارة الصناعية تشبه  
باسمه فممكن \* وأما نقل لك هذا رسالة أبي بكر بن بشر بن أبي النجيم في هذه  
الصناعة وكلامها من تلخيصه لتدل من كلامه فيها على مذهب اليماني لما إذا  
أعطيت حقه من التأمل قال ابن بشر بن بعد صدور من الرسالة خارج عن الغرض  
والمقدمات التي لهذه الصناعة البكرية قد ذكرها الأقوال واقصص جميعها أهل  
الفلسفة من معرفة تكوين المعادن وتخلق الأجوار والخواهر وطباع البقاع والأماكن  
فنعنا شهرها من ذكرها وإمكن أبين لك من هذه الصناعة ما يحتاج إليه فبدأ  
بمعرفة فقد قالوا ينبغي لطلاب هذا العلم أن يعلموا ثلاث خصال أو أهاهل تكون  
والثانية من أي تكون والثالثة من أي كيف تكون فإذا عرف هذه الثلاثة

وأحكامها فقد ظفر بمطلوبه وبلغ نهايته من هذا العلم فأما البحث عن وجودها والامتنع لال عن تكونها فقد كفيذا كهباب عشايه اليك من الاكبر وأما من أي شئ تكون فانما يريدون بذلك البحث عن الحجر الذي يمكنه العمل وان كان العمل موجودا من كل شئ بالقوة لانها من الطبائع الاربع . فما تركبت ابدا واليه ترجع انتهاء ولكن من الاشياء ما يكون فيه بالقوة ولا يكون بالفعل وذلك ان منها ما يمكن تفصيلها ومنها ما لا يمكن تفصيلها فالتى يمكن تفصيلها تعالج وتدبر وهى التى تخرج من القوة الى الفعل والتى لا يمكن تفصيلها لا تعالج ولا تدبر لانها فيها بالقوة فقط وانما لم يمكن تفصيلها لاستغراق بعض طبائعها فى بعض وفضل قوة الكبير منها على الصغير فينبغ لك وفقت الله ان تعرف أوفق الاجراء المنفصلة التى يمكن فيها العمل وحسنه وقوته وعمله وما يدبر من الحل والعقد والاشقة والتكليس والتنسيف والتقلب فان من لم يعرف هذه الاصول التى هى عند هذه الصنعة لم ينصح ولم يظفر بخير أبدا وينبغى لك ان تعلم هل يمكن أن يستعان عليه بغيره أو يكفى به وحده وهل هو واحد فى الابداء أو شاركه غيره فصار فى التدبير واحد افسى حجرا وينبغى لك أن تعلم كيفية عمله وكيفية أوزانه وأزمانه وكيف تركيب الروح فيه وادخال النفس عليه وهل تقدر النار على تفصيلها منه بعد تركيبها فان لم تقدر فلاى حله وما السبب الموجب لذلك فان هذا هو المطلوب فافهم \* واعلم ان الفلاسفة كلهم ادحت النفس وزعمت انهم المدبرة للجسد والحاملة له والدافعة عنه والفاعلة فيه وذلك ان الجسد اذا خرجت النفس منه مات وبرر فلم يقدر على الحركة والامتناع من غيره لانه لاحياة فيه ولا نور وانما ذكرت الجسد والنفس لان هذه الصفات شبيهة بجسد الانسان التى تركيبه على الغذاء والعشاء وقوامه وعامه بالنفس الحية النورانية التى بها يفعل العظام والاشياء المتقابلة التى لا يقدر عليها غيرها بالقوة الحية التى فيها وانما يفعل الانسان لاختلاف تركيب طبائعه ولوا تنقبت طبائعه لسمات من الاعراض والتضاد ولم تقدر النفس على الخروج من بدنه ولكان خالدا باقيا فسبحان مدبر الاشياء تعالى \* واعلم ان الطبائع التى يحدث عنها هذا العمل كيفية دافعة فى الابداء مخيضة محتاجة الى الانتهاء وليس له اذا صارت فى هذا الحد أن تتجهل الى ما منه تركبت كما قلناه آتفا فى الانسان لان طبائع هذا الجوهر قد لزم بعضها بعضا وصارت شيا واحدا شيها بالنفس فى قوتها وضعفها وبالجسد فى تركيبه وبحسنة بعد ان كانت طبائع مفردة بأعيانها باقيا عجبا من أفاعيل الطبائع أن القوة للضعيف الذى يشق على تفصيل الاشياء وتركيبها وتعامها فذلك قلت قوى وضعيف وانما وقع التغيير والفناء فى التركيب الاقل للاختلاف وعدم ذلك فى الثانى للاتفاق

• وقد قال بعض الأولين التفصيل والتقطيع في هذا العمل حياة وبقاء والتركيب موت وفناء وهذا الكلام دقيق المعنى لأن الحكيم أراد بقوله حياة وبقاء مخرجه من العدم إلى الوجود لانه مادام على تركيبه الأول فهو فان لامحالة فاذا ركب التركيب الثاني عدم الغناء والتركيب الثاني لا يكون الا بعد التفصيل والتقطيع فاذا التفصيل والتقطيع في هذا العمل خاصة فاذا بقي الجسد المألول انبسط فيه لعدم الصورة لانه قد صار في الجسد بمنزلة النفس التي لا صورة لها وذلك أنه لا وزن له فيه وسرى ذلك ان شاء الله تعالى وقد ينبغي لك أن تعلم أن اختلاط اللطيف باللطيف أهون من اختلاط الغليظ بالغليظ وانما أرشدك التشاكل في الارواح والاجساد لان الاشياء متصل باشكالها وذكرتك ذلك لتعلم أن العمل وفق وأيسر من الطبايع اللطائف الروحانية منها من الغليظة الجسمانية وقد تصوّر في العقل ان الاجزاء أقوى وأصبر على النار من الارواح كما ترى الذهب والحديد والحلّاس أصبر على النار من الكبريت والزئبق وغيرهما من الارواح فأقول ان الاجساد قد كانت ارواحاً في بدنها فلما أصابها حرّ الكيان قلبها اجساد الزجة غليظة فلم تقدر النار على أكلها الا فرط غلظها وتلذذها فاذا أفرطت النار عليها صيرتها ارواحاً كما كانت أول خلقها وان تلك الارواح اللطيفة اذا أصابتها النار أبت ولم تقدر على البقاء عليها فينبغي لك أن تعلم ما صير الاجساد في هذه الحالة وصير الارواح في هذا الحال فهو أجل ما تعرضه \* أقول انما أبت تلك الارواح لاشتغالها ولطافتها وانما اشتعلت لمكانة رطوبتها ولان النار اذا أحست بالرطوبة تعلقت بها لانها هوائية تشاكل النار ولا تزال تقتذى بها الى أن تنفخ وكذلك الاجساد اذا أحست بوصول النار اليها القلة تلذذها وغلظها وانما صارت تلك الاجساد لا تشتعل لانها مركبة من ارض وما صارت على النار فليطفئه قصد بكتيفه لطول الطبخ اللين المازج للاشياء وذلك أن كل متلاش انما يتلاشى بالنار لمصارفة لطيفه من كثيفه ودخول بعضه في بعض على غير التحليل والموافقة فصار بذلك الانقسام والاندخال مجاورة لا بمزوجة فسهل بذلك انقراضهما كالما والذهن وما أشبههما وانما وصفت ذلك لتستدل به على تركيب الطبايع وتعاليمها فاذا علمت ذلك علمت انما افقد أخذت حظك منها وينبغي لك أن تعلم أن الاختلاط التي هي طبايع هذه الصناعة موافقة لبعضها البعض فسهل من جوهر واحد يجمعها انظام واحد بتدبير واحد لا يدخل عليه غير يب في الجز منه ولا في الكل كما قال الفيلسوف انك اذا أحكمت تدبير الطبايع وتأليفها ولم تدخل عليها غير ما افقد أحكمت ما أدركت احكامه وقوامه اذا الطبيعة واحدة لا غير يب فيها فمن أدخل عليها غير ما افقد راع عنها وقع

في النشأ \* واعلم ان هذه الطبيعة اذا حل لها جسد من قرائنها على ما ينبغي في الحل  
 حتى يشاكلها في الرقة واللطافة انبسطت فيه وبرت معه حيثما جرى لان الاجساد  
 ما دامت خفيفة باقية لا تنبسط ولا تنزويج وحل الاجساد لا يكون بغير الارواح فافهم  
 هذا ان الله هذا القول واعلم هذا ان الله ان هذا الحل في جسد الحيوان هو الحق الذي  
 لا يصح عمل ولا يتقص وهو الذي يقب الطبايع ويمسكها ويظهر لها ألوانا وزهرا  
 بهيجة وليس كل جسد يحصل خلاف هذا هو الحل التام لانه يخالف الحياة وانما حلها بما  
 يوافقه ويدفع عنه حر النار حتى يزول عن القطر وتقلب الطبايع عن حالاتها الى ما لها  
 أن تتقلب من اللطافة والخلقة فاذا بلغت الاجساد نهايتها من التحليل والتلفظ ظهرت  
 لها هنالك قوة قسك وتغوص وتقلب وتخذوكل عمل لا يرى له مصداق في أوله فلا خير  
 فيه \* واعلم ان البارد من الطبايع هو يابس الاشياء ويعقد رطوبتها والحار منها يظهر  
 رطوبتها ويعقد يسما وانما أفردت الحر والبرد لانهما فاعلان والرطوبة واليبس  
 منفعلان وعمل افعال كل واحد منهما صاحبه تحدثت الاجسام وتتكون وان كان  
 الحر أكثر فعلا في ذلك من البرد لان البرد ليس له نقل الاشياء ولا تحركها والحر هو علة  
 الحركة ونقي ضعف علة الكون وهو الحرارة لم يتم منها شيء أبدا كما انه اذا أفردت  
 الحرارة على شيء ولم يكن ثم برد أحرقت وأهلكته فن أجل هذه العلة احتيج الى البارد في  
 هذه الاعمال ليقوى به كل ضد على ضده ويدفع عنه جمر النار ولم يحذر الفلاسفة أكثر  
 شيء الا من النيران المحرقة وأمرت بتطهير الطبايع والانفاس واخراج دنسها ورطوبتها  
 ونقي آفاتهما وأساخها عن اعلى ذلك استقام رأيهم وتدبيرهم فانما عملهم اغماهم مع  
 النيران أولا واليهما يصرا آخر اقل ذلك قالوا اياكم والنيران المحرقات وانما أرادوا بذلك نقي  
 الآفات التي معها اتصم على الجسد آفتين فتكون أسرع لهلاكه وكذلك كل شيء  
 انما يتلاشى ويضم من ذاته لتضاد طبائعه واختلافه فيتوسط بين شيئين فلم يجد ما يقويه  
 ويعينه الاقهره الافة وأهلكته واعلم ان الحسكة كلها ذكرت تردد الارواح على  
 الاجساد مرارا ليكون أكرم اليها وأقوى على قتال النار اذا هي باشرتها عند الالفة  
 أعنى بذلك النار العنصرية فاعلمه \* ونقل الان على البحر الذي يمكن منه العمل على  
 ما ذكره الفلاسفة فقد اختلفوا فيه فمنهم من زعم أنه في الحيوان ومنهم من زعم أنه في  
 النبات ومنهم من زعم أنه في المعادن ومنهم من زعم أنه في الجميع وهذه الدعاوى ليست  
 بحاجة الى استقصائها ومناظرة أهلها علم لان الكلام بطول جسد او قد قلت فيما  
 تقدم ان العمل يكون في كل شيء بالقوة لان الطبايع موجودة في كل شيء فهو كذا فيريد  
 ان تعلم من أي شيء يكون العمل بالقوة والقفل فنقصد الى ما قاله الحراني ان الصبح



كله أحد مصغين أما صبح جدد كلز عفران في الثوب الأبيض حتى يحول فيه وهو  
مضمحل منتقض التركيب والصبح النافي تقلب الجوهر من جوهره إلى جوهر  
غيره ولونه كتقلب النحير بل التراب إلى نفسه وقلب الحيوان والنبات إلى نفسه حتى  
يصير التراب نباتاً والنبات حيواناً ولا يكون إلا بروح الحى واليكن الفاعل الذى له  
قوله الأجرام وقلب الأسمان فإذا كان هذا هكذا فنقول إن العمل لابد أن يكون  
أتم في الحيوان وأتم في النبات وبرهان ذلك أنهم مطبوعان على الغذاء وبه قوامهما  
وتعلمهما فأما النبات فليس فيه ما في الحيوان من اللطافة والقوة وإنه قلّ خواص  
الحكمة فيه وأما الحيوان فهو آخر الاستحالات الثلاث ونهايتها وذلك أن المحدث  
يستحيل نباتاً والنبات يستحيل حيواناً والحيوان لا يستحيل إلى شيء أعرف منه  
الآن يتكسر راجعاً إلى الغلط وأنه أيضاً لا يوجد في العالم شيء يتعاقبه الروح الحية  
غيره والروح ألطف ما في العالم ولم تتلق الروح بالحيوان إلا بما كانه أباهاً أما الروح  
التي في النبات فإنها بسيرة فيها غلظت وكثافتها وهي مع ذلك مستغرقة كاملة في  
لغظها وغلظ جسد النبات فلم يقدر على الحركة لغلظها وغلظ روحه والروح المتحركة  
ألطف من الروح الكامنة كثيراً وذلك أن المتحرك لها قبول الغذاء والتغلب والتغلب  
وليس للكامنة غير قبول الغذاء وحده ولا تجري إذا قبست بالروح الحية إلا كالارض  
عند الماء كذلك النبات عند الحيوان فالعمل في الحيوان أعلى وأرفع وأقوى وأيسر  
فينبغي للعاقل إذا عرف ذلك أن يعجز ما كان سهلاً وينزل ما يعضى فيه عسراً واعلم  
أن الحيوان عند الحكماء ينقسم أقساماً من الاتهام التي هي الطبائع والحديشة التي  
هي المواليد وهذا معروف متيسر الفهم فلذلك قسمت الحكماء العناصر والمواليد  
أقساماً حية وأقساماً ميتة فجعلوا كل متحرك فاعلاً حياً وكل ساكن مفعولاً ميتاً وقسموا  
ذلك في جميع الأشياء وفي الأجساد الذائبة وفي العقاقير المعدنية قسموا كل شيء يذوب  
في النار ويطير ويشتعل حياً وما كان على خلاف ذلك معموه ميتاً فأما الحيوان  
والنبات فسما كل ما انفصل منها طبائع أربعة حياً وما لم يتصل معوه ميتاً ثم انقسم  
طلبوا جميع الأقسام الحية فليجدوا وفق هذه الصناعة مما يتصل فصولاً أربعة  
ظاهرة للعيان ولم يجدوه غير الحجر الذي في الحيوان فعضوا عن جنبه حتى عرفوه  
وأخذوه ودبروه فكيف لهم منه الذي أرادوا وقد تكلف مثل هذا في المعادن  
والنبات بعد جمع العقاقير وخطها ثم انفصل بعد ذلك فأما النبات فمما يتصل ببعض  
هذه الفصول مثل الأشنان وأما المعادن فمما أحاد وأرواح وأنفاس إذا ضربت  
ودبرت كان منها ما له تأثير وقد برزنا كل ذلك فكان الحيوان منها أعلى وأرفع

وتدبره أسهل وأيسر فينبغي لك أن تعلم ماهو الحجر الموجود في الحيوان وطريق وجوده  
 انما ينشأ أن الحيوان أرفع المواليد وكذا ما تركب منه فهو أرفع منه كالنبات من  
 الأرض وانما كان النبات أرفع من الأرض لانه انما يكون من جوهره الصافي  
 وجسده اللطيف فوجب له ذلك للعاقبة والرقعة وكذلك هذا الحجر الحيواني بمنزلة النبات  
 في التراب وبالجملة فانه ليس في الحيوان شيء يتصل طبائع أو بها غيره فافهم هذا القول  
 فانه لا يكاد يحتمل الاعلى جاهل بين الجهالة ومن لا عقل له فقد أخبرتك ماهية هذا الحجر  
 وأعلمتك جنسه وأنأين ذلك وجوه تدبره حتى يكمل الذي شرطناه على أنفسنا من  
 الانصاف ان شاء الله سبحانه (التدبير على بركة الله) خذا الحجر الكريم فاودعه القربة  
 والابتيق وفصل طبائعه الاربع التي هي النار والهواء والأرض والماء وهي الجسد  
 والروح والنفس والصيغ فاذا عزلت الماء عن التراب والهواء عن النار فارفع كل  
 واحد في انائه على حدة وخذ الهابط أسفل الاناء وهو الثقيل فاغسله بالنار الحارة حتى  
 تذهب النار عنه سواده ويزول غلظه وجفافه ويبيضه تبيضا يحكمكوا وطير عنه فضول  
 الرطوبات المسجنة فيه فانه يصير عند ذلك ماء أبيض لا ظلمة فيه ولا راسخ ولا تضاد ثم  
 اعمد الى تلك الطبائع الاول الصاعدة منه فطهرها بياض السواد والتضاد وكثر رعاها  
 الفصل والتصعيد حتى تطف وترق وتصفو فاذا فعلت ذلك فقد فتح الله عليك فابداً  
 بالتركيب الذي عليه مدار العمل وذلك أن التركيب لا يكون الا بالتزويج والتعفين  
 فأما التزويج فهو اختلاط اللطيف بالغليظ وأما التعفين فهو التمشية والحق حتى  
 يحتلط بعضه ببعض ويصير شيئاً واحداً الاختلاف فيه ولا نقصان بمنزلة الامتزاج بالماء  
 فعند ذلك يقوى الغليظ على امسالك اللطيف وتقوى الروح على مقابلة النار وتصب  
 عليها وتقوى النفس على القروس في الأجساد والديب فيها وانما وجد ذلك بعد  
 التركيب لان الجسد المحلول لما ازدوج بالروح ما زجه بجميع أجزائه ودخل بعضها في  
 بعض لتشا كلها فصار شيئاً واحداً ووجب من ذلك أن يعرض للروح من الصلاح  
 والفساد والبقاء والثبوت ما يعرض للجسد لموضع الامتزاج وكذلك النفس اذا  
 امتزجت بهما ودخلت فيها بخدمة التدبير اختلطت أجزاؤه بهما بجميع أجزائه  
 الا تجزئ أعني الروح والجسد وصارت هي وهما شيئاً واحداً الاختلاف فيه بمنزلة  
 الجزء الكلي الذي ملئت طبائعه واتفقت أجزاؤه فاذا ألتى هذا المركب الجسد المحمول  
 مألح عليه النار وأظهر ما فيه من الرطوبة على وجهه ذاب في الجسد المحلول ومن  
 شأن الرطوبة الاشتعال وتعلق النار بها فاذا أرادت النار التعلق بهما منعها من  
 الاتحاد بالنفس مجازجة الماء لها فان النار لا تصد بالدهن حتى يكون خالصا وكذلك

الماء من شأنه النور ومن النار فإذا ألخت عليه النار وأدات تغييره حسبه الجسد  
 اليابس المازج له في جوفه فتعده من الطيران فكان الجسد له لاسم الماء والماء  
 له لبقاء الدهن والدهن له لثبات الصبغ والصبغ له لظهور الدهن واطهار  
 الدهنية في الاشياء الثقيلة التي لا نور لها ولا حياة فيها فهذا هو الجسد المستقيم وهكذا  
 يكون العمل وهذه التوضيحات التي سألت عنها وهي التي سميت بالحكمة بيضة واياها  
 يفتنون لايضة السباح \* واعلم أن الحكمة لم تسمها بهذا الاسم لغير معنى بل أشبهتها  
 ولقد سألت مسلماً عن ذلك يوماً وليس عنده غيرة فقلت له أيها الحكيم القاضل اخبرني  
 لاي شيء سميت الحكمة مركب الحيوان بيضة أخشاً وامهم لذلك أم لمعنى دعاهم اليه  
 فقال بل لمعنى غامض فقلت أيها الحكيم وما ظهر لهم من ذلك من المنفعة والاستدلال  
 على الصناعة حتى شبهوها وبموها بيضة فقال لشبهها وقرابته من المركب ففكر فيه  
 فانه سيظهر لك معناه فبقيت بين يديه مفكراً لا أقدر على الوصول الى معناه فلما رأى  
 ما بي من التفكر وان نفسى قد مضت فيها أخذ بعضدى وهزنى هزة خفيفة وقال لي  
 يا أبا بكر ذلك للنسبة التي بينهما في كمية الالوان عند امتزاج الطبايع وتأنقها فلما قال  
 ذلك انجلت عني الظلمة وأضاء لي نور قلبي وقوى عقلي على فهمه فهضت شاكراً لله عليه  
 الى منزلي وأتقت على ذلك شكلاً هندسياً يبرهن به على صحة ما قاله المسألة وأنا واضعاً لك  
 في هذا الكتاب مثال ذلك أن المركب اذا تم وكل كان نسبة ما فيه من طبيعة الهواء الى  
 ما في البيضة من طبيعة الهواء كنسبة ما في المركب من طبيعة النار الى ما في البيضة  
 من طبيعة النار وكذلك الطبيعتان الاخرى من الارض والماء فأقول ان كل شيئ  
 متناسلين على هذه الصفة فهما متشابهان ومثال ذلك أن تجعل سطح البيضة هزوح  
 فاذا أردنا ذلك فانا نأخذ أقل طبائع المركب وهي طبيعة اليبوسة ونضيف اليها مثلاً  
 من طبيعة الرطوبة ونذبرهما حتى تنشف طبيعة اليبوسة طبيعة الرطوبة وتقبل  
 قوتها وكان في هذا الكلام رمزاً ولكنه لا يخفى عليك ثم تعمل عليهم ما جميعاً مثل ما  
 من الروح وهو الماء فيكون الجميع ستة أمثال ثم تعمل على الجميع بعد التذبر بمثل ما من  
 طبيعة الهواء التي هي النفس وذلك ثلاثة أجزاء فيكون الجميع تسعة أمثال اليبوسة  
 بالقوة وتجعل تحت كل ضلعين من المركب الذي طبيعته محيطه بسطح المركب  
 طبيعتين فتجعل أولاً الضلعين المحيطين بسطحه طبيعة الماء وطبيعة الهواء وهما  
 ضلعاً اح د و سطحاً كذلك الضلعان المحيطان بسطح البيضة الاذان هـ والماء  
 والهواء ضلعاً هـ ز و فاقول ان سطحاً أيجد يشبه سطح هـ ز و طبيعة الهواء التي تسمى  
 نفساً وكذلك يجـ من سطح المركب والحكمة لم تسم شيئاً باسم شيء الا شبهه به

والكلمات التي سألت عن شرحها الأرض المقدسة وهي المتقدمة من الطائع العلوية والسفلية والنحاس هو الذي أخرج سواده وقطع حتى صار بهاء ثم حجر الزاج حتى صار نحاساً والمغنيسيا حجرهم الذي تجرد فيه الأرواح وتخرج به الطبيعة العلوية التي تستجيب فيها الأرواح لتقابل عليها الذرات والفرقة لون أحمر فان يحدته الكيان والرماس حجر له ثلاث قوى مختلفة الشخوص ولكنهما متساوية ومتجانسة فالواحدة روحانية نيرة صافية وهي الفاعلة والثانية قسائية وهي ممتزجة حساسة غير أنها أعظم من الأولى ومركزها دون مركز الأولى والثالثة قوة أرضية حاسة قابضة منعكسة إلى مركز الأرض لتقلعها وهي المسكة الروحانية والنفسانية جميعاً والمهبط بهما وأما سائر الباقية فتبدع وتختبره الباساء على الجاهل ومن عرف المقدمات استغنى عن غيرها

\* فهذا جميع ما سألتني عنه وقد بحثت به اليك مفسراً ورجو توفيق الله أن تبلغ أملك والسلام انتهى كلام ابن بشرون وهو من كبار تلاميذ مسلمة الجرجاني شيخ الأندلس في علوم الكيمياء والسيمياء والسحر في القرن الثالث وما بعده \* وأنت ترى كيف صرف ألقائهم كلها في الصناعة إلى الرمز والالتغاز التي لا تكاد تبين ولا تعرف وذلك دليل على أنها ليست بصناعة طبيعية \* والذي يجب أن يعترف في أمر الكيمياء وهو الحق الذي يصده الواقع أنهم من جنس آمار النفوس الروماتية وتصرّفها في عالم الطبيعة أمام نوع الكرامة إن كانت النفوس خيرة أو من نوع السحرة إن كانت النفوس شريرة فاجرة فأما الكرامة فظاهرة وأما السحرة فلا تكاد تبين في مكان تحقيقه بقلب الاعيان المادية بقوته السحرية ولا بد له مع ذلك عند هدم من مائة يقع فعله السحري فيها أن يخلق بعض الحيوانات من مادة التراب أو الشجر والنبات وبالجملة من غير مادتها المخصوصة بها كما وقع لسحرة فرعون في الحبال والعصى وكما ينقل عن سحرة السودان والهنود في قاصبة الجنوب والترك في قاصبة الشمال أنهم يسحرون الجولامطار وغير ذلك \* ولما كانت هذه تخليقاً للذهب في غير مادته الخاصة به كان من قبيل السحرة والمتكلمون فيه من اعلام الحكماء مثل جابروسلمة ومن كان قبلهم من حكماء الامم انما شعروا هذا المنحى ولهذا كان كلامهم فيه الغشاخ احداً عليها من انكار الشرائع على السحرة وأنواعه لأن ذلك يرجع إلى الضنافة بها كما هو رأي من لم يذهب إلى التحقيق في ذلك وانظر كيف سعى مسلمة كتابة في هارسة الحكيم وسعى كتابه في السحر والطلسمات غاية الحكيم إشارة إلى هجوم موضوع الغاية وخصوص موضوع هذه لأن الغاية أعلى من الرتبة فكانت مسائل الرتبة بعض من مسائل الغاية وتشاركها في الموضوعات ومن كلامه في الفنين يدين ما قلناه ونحن ندين

فيما بعد غلط من يزعم ان مدارك هذا الامر بالصناعة الطبيعية والله العالم الخبير

٢٥ (فصل في ابطال الفلسفة وفساد منتحلها)

هذا الفصل وما بعده مهم لان هذه العلوم عارضة في العمران كثيرة في المدن وضربها في الدين كثيرة فوجب ان يمدح بشأنها ويكشف عن المعتقد الحق فيها وذلك ان قوما من هؤلاء النوع الانساني زعموا ان الوجود كله الحسي منه وما وراء الحسي تدرك ذواته واحواله باسبابها وعللها بالانظار الفكرية والاقيسة العقلية وان تعميم العقائد الايمانية من قبل النظر لا من جهة السمع فانها بعض من مدارك العقل وهؤلاء يسمون فلاسفة جمع فيلسوف وهو باللسان اليوناني محب الحكمة فبحثوا عن ذلك وشعروا بالحواس وما على أصالة الغرض منه ووضعوا قانونا يتدبى به العقل في نظره الى التمييز بين الحقي والباطل وسعوه بالمنطق وحصل ذلك ان النظر الذي يقصد تمييز الحق من الباطل انما هو للذهن في المعاني المنتزعة من الموجودات الشخصية فيجرد منها أولا صورا منطبقة على جميع الاشخاص كما ينطبق الطابع على جميع النقوش التي ترسمها في طين أو شمع وهذه المجردة من المحسوسات تسمى العقولات الاوائل ثم تجرد من تلك المعاني الكلية اذا كانت مشتركة مع معاني أخرى وقد عرفت ههنا في الذهن تعجزت منها معاني أخرى وهي التي اشتركت بها ثم تجرد ثانيا ان شاركها غير فالتالي الى ان ينتهي التجريد الى المعاني البسيطة الكلية المنطبقة على جميع المعاني والاشخاص ولا يكون منها تجريد بعد هذا وهي الاجناس العالية وهذه المجردات كلها من غير المحسوسات هي من حيث تأليف بعضها مع بعض لتحصيل العلوم منها تسمى العقولات التواني فاذا نظر الفكر في هذه العقولات المجردة وطلب تصور الوجود كما هو فلا بد للذهن من اضافة بعضها الى بعض وثق بعضها عن بعض بالبرهان العقلي البقي ليحصل تصورا للوجود تصورا صحيحا مطابقا اذا كان ذلك بقانون صحيح كما حزن صف التصديق الذي هو تلك الاضافة والحكم متقدم عندهم على صف التصور في النهاية والتصور متقدم عليه في البداية والتعليم لان التصورات السام عندهم هو غاية الطلب الادراك وانما التصديق وسيلة له وما تجمعه في كتب المنطقين من تقدم التصور وتوقف التصديق عليه فبمعنى الشعور لا بمعنى العلم السام وهذا هو مذهب كبيرهم ارسطو ثم يزعمون ان السعادة في ادراك الموجودات كلها ما في الحس وما وراء الحس بهذا النظر وتلك البراهين \* وحاصل مداركهم في الوجود على الجلة وما آلت اليه وهو الذي قرعوا عليه فضايا انظارهم انهم عثروا أولا على الجسم

السقلى بمحضكم الشهود والحس ثم ترقى ادراكهم قليلا فتعرفوا بوجود النفس من  
 قبل الحركة والحس في الحية وانما ثم أحسوا من قوى النفس بسلطان العقل ووقف  
 ادراكهم ففقدوا على الجسم العالى السماوى ينحصر من القضاء على أمر الذات الانسانية  
 ووجب عندهم أن يكون للقلبك نفس وعقل كمال للانسان ثم انهم اذ كان نهاية عدد الاحاد  
 وهى العشرة تسع مفصلة ذواتها جابل وواحد أول مقرد وهو العاشر ويرغمون أن  
 السعادة فى ادراك الوجود على هذا النحو من القضاء مع تهذيب النفس وتخليها  
 بالفضائل وان ذلك ممكن للانسان ولولم يرد شرع لتمييزه بين الفضيلة والرذيلة من  
 الافعال بمقتضى عقله ونظره وهى له الى المحمود منها واجتنابه المذموم بفطرته وان ذلك  
 اذا حصل للنفس حصلت لها البهجة واللذة وان الجهل بذلك هو الشقاء السرمدى  
 وهذا عندهم هو معنى النعيم والعذاب فى الآخرة الى خبط لهم فى تفاصيل ذلك  
 معروف من كتاباتهم وامام هذه المذاهب الذى حصل مسائلها ودون علمها وسط  
 حجاجها فيما بلغنا فى هذه الاحقاب هو ارسطو المقدونى من أهل مقدونية من بلاد  
 الروم من تلاميذ أفلاطون وهو معلم الاسكندرو يسمىونه المعلم الاول على الاطلاق  
 يعنون معلم صناعة المتعاق اذ لم تكن قبله مهذبة وهو أول من رتب قانونها واستوفى  
 مسائلها وأحسن بسطها ولقد أحسن فى ذلك القانون ما شاء لو تكفل له بقصدهم فى  
 الالهيات ثم كان من بعده فى الاسلام من اخذ بتلك المذاهب واتبع فيها رأيه حذو  
 النعل بالنعل الا فى القليل وذلك أن كتب أولئك المتقدمين لما ترجعوا خلفاء من بنى  
 العباس من اللسان اليونانى الى اللسان العربى تصفحها كثير من أهل الملة وأخذ  
 من مذاهبهم من أصله الله من تتخلى العلوم وجادلوا عنها واختلفوا فى مسائل من  
 تفاربعها وكان من أشهرهم أبو نصر الفارابى فى المائة الرابعة لعهد سيف الدولة وأبو  
 علي بن سينا فى المائة الخامسة لعهد نظام الملك من بنى بويه باصمها وغيرهما \* واعلم  
 أن هذا رأى الذى ذهبوا اليه باطل بجميع وجوه فأما اسنادهم الموجودات كلها  
 الى العقل الاول واكتفاؤهم به فى الترقى الى الواجب فهو قصور عما وراء ذلك من  
 رتب خالق الله فالوجود أوسع نطاقا من ذلك ويخلق ما لا تعلمون وكانهم فى اقتصارهم  
 على اثبات العقل فقط والغفلة عما وراءه بمثابة الطبيعيين المقتصرين على اثبات  
 الاجسام خاصة المعرضين عن النقل والعقل المعتقدين أنه ليس وراء الجسم فى حكمة  
 الله شئ وأما البراهين التى يزعمونها على مدعياتهم فى الموجودات ويعرضونها على  
 معيار المنطق وقانونه فهى قاصرة وغير وافية بالقرىض أما ما كان منها فى الموجودات  
 الجسمانية ويسمونه العلم الطبيعى فوجه قصوره أن المطابقة بين تلك النتائج الذهنية

التي تستخرج بالحدود والاقبية كما في زعمهم وبين ما في الخارج غير يقيني لأن تلك  
 أحكام ذهنية كلمة عامة والموجودات الخارجية متشخصة بموادها وعلل في المواد  
 ما يمنع من مطابقة الذهني الكلي للخارجي الشخصي اللهم الا ما يشهد له الحس من  
 ذلك فذلك له شهوده لا تلك البراهين فأين اليقين الذي يجدونه فيها وربما يكون تصرف  
 الذهن أيضا في المعقولات الأولى المطابقة للشخصيات بالصورة الخيالية لا في المعقولات  
 الثواني التي تجريدها في الرتبة الثانية فيكون الحكم حينئذ يقينا بما يجانبه المحسوسات  
 اذ المعقولات الأولى أقرب الى مطابقة الخارج لكمال الانطباق فيها فتسلم لهم حينئذ  
 دعاؤهم في ذلك لأنه ينبغي لنا الاعراض عن النظر فيها زهون ترك المسلم لما  
 لا يقينه فان مسائل الطبيعيات لا تهمننا في ديننا ولا معاشنا فوجب علينا تركها \*  
 وأتماما كان منها في الموجودات التي وراء الحس وهي الروحانيات ويسمونه العلم الالهي  
 وعلم ما بعد الطبيعة فان ذواتها مجهولة وأساؤها لا يمكن التوصل اليها ولا البرهان عليها  
 لأن تجريدها المعقولات من الموجودات الخارجية الشخصية انما هو ممكن فيما هو  
 مدرك لنا ونحن لا ندرك الذوات الروحانية حتى نخرجه عنها ما هيأت أخرى بحجاب  
 الحس بينما وينها فلا يتأتى لنا برهان عليها ولا مدرك لنا في اثبات وجودها على الجمله الا  
 ما يقده بين جنسين من أمر النفس الانسانية وأحوال مداركها وخصوصا في الرؤيا  
 التي هي وجدانية لكل أحد وما وراء ذلك من حقيقة أو صفتها فأمر غامض لا سبيل  
 الى الوقوف عليه وقد صرح بذلك محققوهم حيث ذهبوا الى أن الماداة له لا يمكن  
 البرهان عليه لأن مقدمات البرهان من شرطها أن تكون ذاتية وقال كبيرهم  
 افلاطون ان الالهيات لا يوصل فيها اليقين وانما يقال فيها بالاحتمال والاولى يعني الظن  
 واذا اكتمل انما يحصل بعد التعب والنصب على الظن فقط فكيف ينال الظن الذي كان أولا فأي  
 فائدة لهذه العلوم والاستغفال بها ونحن انما هنا يتنازع حصول اليقين فيما وراء الحس من  
 الموجودات وهذه هي غاية الافسكار الانسانية عندهم وأما قولهم ان السعادة في ادراك  
 الموجودات على ما هي عليه بتلك البراهين فنقول مزيف مردود وتفسيره أن الانسان  
 مركب من جزأين أحدهما جسماني والاخر روحاني فمخرج به ولكل واحد من الجزأين  
 مدارك مخصوصة به والمدرك فيها واحد وهو الجزء الروحاني يدرك تارة مدارك روحانية  
 وتارة مدارك جسمانية الآن المدارك الروحانية يدركها بذاته بغير واسطة والمدارك  
 الجسمانية بواسطة آلات الجسم من الدماغ والحواس وكل مدرك فله ابتهاج بما يدركه  
 واعتبه بهال السعي في أول مداركه الجسمانية التي هي بواسطة كيف ينتج بما يصره  
 من الصور وبما يسمع من الاصوات فلا شك أن الابتهاج بالادراك الذي للنفس من

ذاتها بغير واسطة يكون أشد وألذ فالنفس الروحانية إذا شعرت بأدراكها الذي لها من  
ذاتها بغير واسطة حصل لها ابتهاج ولذة لا يبرع عنها وهذا الإدراك لا يحصل بنظر ولا علم  
وانما يحصل بالكشف حجاب الحس ونسيان المدارك الجسمانية بالجملة والتصوفة كثيرا  
ما يعنون بحصول هذا الإدراك للنفس بحصول هذه البهجة فيها ولون بالرياضة أمانة  
القوى الجسمانية ومداركها حتى النكر من الدماغ ليحصل للنفس ادراكها الذي لها  
من ذاتها عند زوال الشواغب والموانع الجسمانية فيحصل لهم بهجة ولذة لا يبرع عنها  
وهذا الذي زعمه بتقدير صحته مسلم لهم وهو مع ذلك غير وافي بقصودهم فأما قولهم ان  
البراهين والأدلة العقلية محصلة لهذا النوع من الادراك والابتهاج عنه فباطل كما  
رأيت اذ البراهين والأدلة من جملة المدارك الجسمانية لانها بالقوى الدماغية من  
الخيال والفكر والذكر ونحن أول شيء نغني به في تحصيل هذا الادراك أمانة هذه القوى  
الدماغية كلها لانها سمانزعة له فادحة فيه وتجد الماهر منهم عما كفا على كتاب الشفاء  
والاشارات والتجارب وتلاخيص ابن رشد للذهن من تأليف ارسطو وغيره يفتأ وراقها  
ويتوثق من براهينها ويلتقم هذا القسط من السعادة فيها ولا يعلم أنه يستكثر بذلك من  
الموانع عنها ومستندهم في ذلك ما يملكونه عن ارسطو والقاري وابن سينا أن من  
حصل له ادراك العقل الفعال واتصل به في حياته فقد حصل حظ من هذه السعادة  
والعقل الفعال عندهم عبارة عن أول رتبة تكشف عنها الحس من رتب الروحانيات  
ويحملون الاتصال بالعقل الفعال على الادراك العلي وقد رأيت فسادا وانما يعنى  
ارسطو وأصحابه بذلك الاتصال والادراك ادراك النفس الذي لها من ذاتها بغير  
واسطة وهو لا يحصل الا بكشف حجاب الحس وأما قولهم ان البهجة الناشئة عن هذا  
الادراك هي عين السعادة الموهوبة فباطل أيضا لاننا نسينا اننا بما نقره أن وراء  
الحس مدرك آخر للنفس من غير واسطة وانما يتبع بادراكها ذلك ابتهاجا شديدا  
وذلك لا يعنى لنا أنه عين السعادة الاخرية ولا تبدل هي من جملة الملائق لتلك  
السعادة وأما قولهم ان السعادة في ادراك هذه الموجودات على ما هي عليه فقول باطل  
مبنى على ما كلفناه في أصل التوحيد من الاوهام والاغلاط في أن الوجود عند  
كل مدرك منحصر في مداركوه وينافى بذلك وأن الوجود أوسع من أن يحاط به  
أو يستوفى ادراكه بجملة روحانيات أو جسمانيات والذي يحصل من جميع ما قرأنا من  
مذاهبهم أن الجزء الروحاني إذا فارق القوى الجسمانية أدرك ادراكا ذاتيا له محصا  
بصنف من المدارك وهي الموجودات التي أحاط بها علمنا وليس بهتمام الادراك في  
الموجودات كلها اذ لم تعصروا أنه يتبع بذلك النعم من الادراك ابتهاجا شديدا كما



يتيسر الصبي بمداركة الحسنة في أول نشوءه ومن لنا بعد ذلك بادر النجيب الموجودات  
 أو بحصول السعادة التي وعدنا بها الشارع ان لم نعمل لها هيات هيئات المتعودون  
 وأما قولهم ان الانسان مستقل يتهذب نفسه واصلاحه بجلاسة المحمود من الخلق  
 ومحاجة المذموم فأمر مبني على أن ابتهاج النفس بادر كما الذي لها من ذاتها هو عين  
 السعادة الموعود بها لان الرأى عاتية للنفس عن تمام ادراكها ذلك بما يحصل لها من  
 الملكات الجسمانية والرواها وقد بينا ان أثر السعادة والشقاوة من وراء الادراكات  
 الجسمانية والروحية فهذا التهذيب الذي وصلوا الى معرفته انما نفعه في البهجة  
 الناشئة عن الادراك الروحاني فقط الذي هو على مقاييس وقوانين وأتماما وراء ذلك  
 من السعادة التي وعدنا بها الشارع على امثال ما أمر به من الاعمال والاخلاق  
 فأمر لا يحيط به مدارك المدركين وقد تنبه لذلك زعيمهم أبو علي بن سينا فقال في كتاب  
 المبدأ والمعاد ما معناه ان المعاد الروحاني وأحواله هو مما يتوصل اليه بالبراهين العقلية  
 والمقاييس لانه على نسبة طبيعية محفوظة ووثيرة واحدة فلنا في البراهين عليه سعة وأما  
 المعاد الجسماني وأحواله فلا يمكن ادراكه بالبرهان لانه ليس على نسبة واحدة وقد  
 بسطه لنا الشريعة الحقة المحمدية فليست نظريتها ولترجع في أحواله اليها فهذا العلم كما  
 رأيته غير وافي بقاصدهم التي حوّموا عليها مع ما فيه من مخالفة الشرائع وظواهرها  
 وليس لغيرها علما الاثرة واحدة وهي شهود الذين في ترتيب الادلة والحجج لتحصيل  
 ملكة الجود والصلوات في البراهين وذلك ان نظم المقاييس وترتيبها على وجه  
 الاحكام والاتقان هو كما شرطوه في صناعتهم المنطقية وقولهم بذلك في علومهم الطبيعية  
 وهم كثيرا ما يستعملونها في علومهم الحسكية من الطبيعيات والتعاليم وما بعدها  
 فيستوفى الناظر فيها بكثرة استعمال البراهين بشرطها على ملكة الاتقان والصلوات  
 في الحجاج والاستدلالات لانها وان كانت غير وافية بقصودهم فهي أصح ما علمناه من  
 قوانين الاقطار هذه هي غمرة هذه الصناعة مع الاطلاع على مذاهب أهل العلم وآرائهم  
 ومضارها ما علمت فليكن الناظر فيها متحرزا جهده من معاطبها وليكن نظره من نظريتها  
 بعد الامتلاء من الشرعيات والاطلاع على التعديروالفرق ولا يكتفى بأحد عليها وهو  
 خلو من علوم الله فقل أن بسم الله من معاطبها واقفه الموفق للصلوات والحق والمهادي  
 اليه وما كالتنهدى لولا ان هذا نال الله

٢٦ (فصل في ابطال صناعة النجوم وضعف مداركها وفساد غايتها)

هذه الصناعة يزعم أصحابها أنهم يعرفون بها الكائنات في عالم العناصر قبل حدوثها

من قبل معرفة قوى الكواكب وتأثيرها في المولدات العنصرية مفردة ومجمعة  
فتكون لذلك أوضاع الافلاك والكواكب دالة على ما يحدث من نوع نوع من أنواع  
الكائنات الكلية والخاصة فالمتقدمون منهم يرون أن معرفة قوى الكواكب  
وتأثيراتها بالتجربة وهو أمر يقصر الأعمار كلها الواجب جمعها عن تحصيله اذا التجربة  
انما تحصل في المرات المتعددة بالتكرار ليحصل عنها العلم والظن وأدوار الكواكب  
منها ما هو طويل الزمن فيحتاج تكرره الى آماد وأحقاب متطاولة يتقاصر عنها ما هو  
طويل من أعمارها والمور بما ذهب منه فاهمهم الى أن معرفة قوى الكواكب  
وتأثيراتها كانت بالوحى وهو رأى فائق وقد كفوا مائة ابطاله ومن أوضح الادلة فيه  
أن تعلم أن الانبياء عليهم الصلاة والسلام أبعد الناس عن الصنائع وأنهم لا يتعرضون  
للاخبار عن الغيب الا أن يكون عن الله فكيف يدعون استنباطه بالصناعة ويشيرون  
بذلك انابههم من الخلق وأما بطليموس ومن تبعه من المتأخرين فيرون أن دلالة  
الكواكب على ذلك دلالة طبيعية من قبل مزاج يحصل للكواكب في الكائنات  
العنصرية قال لان فعل النيزين وأثرهما في العنصريات ظاهرة لا يسع أحد اجمده  
مثل فعل الشمس في تبدل الفصول وأمر حثها ونضج الثمار والزرع وغير ذلك وفعل  
انقصر في الرطوبات والماء وانضاج المواد المتعفنة وقواكه القناء وسائر أفعاله ثم قال  
ولنا فيما بعدهما من الكواكب طريقان الاول التفليس لن نقل ذلك عنه  
من أئمة الصناعة الا أنه غير ممتنع للنفس النائية الحديث والتجربة بقياس كل  
واحد منها الى النير الاعظم الذى عرفنا طبيعته وأثره معرفة ظاهرة فنظن لعل يزيد  
ذلك الكوكب عند الفراق في قوته ومزاجه فتعرف موافقته في الطبيعة أو ينقص  
عنها فتعرف مضادته ثم اذا عرفنا قواها مفردة عرفنا ما هي كية وذلك عند تناظرها  
بأشكال الثلاث والتربيع وغيرهما ومعرفة ذلك من قبل طبائع البروج بالقياس  
أيضا الى النير الاعظم واذا عرفنا قوى الكواكب كلها فهمي مؤثرة في الهواء وذلك ظاهر  
والمزاج الذى يعمل منها للهواء يحصل لما تحتها من المولدات وتتخلق به النطف والبذر  
فتصير حال البسدين المتصكون منها والنفس المتعلقة به القاضية عليه المكتسبة  
لما لها منه ولما يتبع النفس والبسدين من الاحوال لان كميات البزرة والنطفه  
كميات لما يتولد عنه او ينشأ منها قال وهو مع ذلك طينى وليس من اليقين في شئ وليس  
هو ايضا من القضاء الالهى يعنى القدر انما هو من جملة الاسباب الطبيعية للكائن  
والقضاء الالهى سابق على كل شئ هذا يحصل كلام بطليموس وأصحابه وهو مخصص  
في كتابه الاربع وغيره ومنه يتبين ضعف مدرك هذه الصناعة وذلك أن العلم الكائن

أو الظن به أنما يحصل عن العلم بجملة أسبابه من الفاعل والقابل والصورة والغاية على ما تبين في موضعه والقوى التجسيمية على ما قرره انما هي فاعلة فقط والجزء العنصرى هو القابل ثم ان القوى التجسيمية ليست هي الفاعل بجملة تلك القوى أخرى فاعلة معها في الجزء المادى مثل قوة التوليد والاب وانواع القوى في النطفة وقوى الخاصة التي تميزها صنف صنف من النوع وغير ذلك فالقوى التجسيمية اذا حصل كالمالها وحصل العلم فيها انما هي فاعل واحد من جملة الاسباب الفاعلة للكائن ثم انه يشترط مع العلم بقوى النجوم وتأثيراتها من يد حدى وتخمين وحينئذ يحصل عنده الظن بوقوع الكائن والحدى والتخمين قوى للناظر في فكره وليس من هال الكائن ولان أصول الصناعة فاذا فقد هذا الحدى والتخمين رجعت ادراجها عن الظن الى الشك هذا اذا حصل العلم بالقوى التجسيمية على سداده ولم تره آفة وهذا معوننا فيه من معرفة حسابات الكواكب في سرها لتعرف به أوضاعها ولما اختلفت كل كوكب بقوة لادليل عليه ومدركه بطليموس في اثبات القوى للكواكب الخمسة بقياسها الى الشمس من ذلك ضعيف لان قوة الشمس غالبية لجميع القوى من الكواكب ومستولية عليها فقل أن يشعر بالزيادة فيها والنقصان منها عند المقارنة كما قال وهذه كلها فادحة في تعريف الكائنات الواقعة في عالم العناصر بهذه الصناعة ثم ان تأثير الكواكب فيما تحتها باطل اذ قد تبين في باب التوحيد أن لا فاعل الا الله بطريق استدلالى كآياته واحتج له أهل علم الكلام بما هو غنى عن البيان من أن اسناد الاسباب الى المسببات مجهول الكيفية والعقل متهم على ما يقضى به فيما يظهر بآدى الرأى من التأثير فقل استنادها على غير ضرورة التأثير المتعارف والقدرة الالهية رابطة بينهما كما ربطت جميع الكائنات علوا وسفلا وسيا والشرع رد الحوادث كلها الى قدرة الله تعالى وبيرأى على سوى ذلك والنبوات أيضا منكرة لثبات النجوم وتأثيراتها واستقراء الشرعيات شاهد بذلك في مثل قوله ان الشمس والقمر لا يخسفان لموت أحد ولا لحياته وفي قوله أصبح من عبادى مؤمن بى وكافر بى فاما من قال مطرنا بفضل الله ورحمته فذلك مؤمن بى كافر بالكواكب وأما من قال مطرنا بنوء كذا فذلك كافر بى مؤمن بالكواكب الحديث الصحيح فقد بان لك بطلان هذه الصناعة من طريق الشرع وضعف مداركها مع ذلك من طريق العقل مع ما لها من المضاوى العمران الانسانى بما تسبغ في عقائد العوام من الفساد اذا اتفق الصدق من احكامها في بعض الاحايين اتفقا لا يرجع الى تعليل ولا تحقيق فيلهم بذلك من لا معرفة له بظن اطراد الصدق في سائر احكامها وليس كذلك فيقع في رد الاشياء الى غير خالقها ثم ما ينشأ عنها كثيرا

في الدول من توقع القواطع وما يبعث عليه ذلك التوقع من نطاول الاعداء والمترصين  
بالدولة الى الفتك والثورة وقد شاهدنا من ذلك كثير اغني عن أن نخطره هذه الصناعة على  
جميع أهل العمران لما ينشأ عنهم من المضار في الدين والدول ولا بدح في ذلك كون  
وجودها طبيعيا للبشر يقتضي مداركهم وعلومهم فالخير والشر طبيعتان موجودتان  
في العالم لا يمكن نزعهما وانما يتعلق التكليف باسباب حصولهما فيتعين السعي  
في اكتساب الخير باسبابه ودفع أسباب الشر والمضار هذا هو الواجب على من عرف  
مفاسد هذا العلم ومضاره وليعلم من ذلك أنها وان كانت صحيحة في نفسها فلا يمكن  
أحد من أهل الملّة تصميل عملها ولا ملك كتابا بل ان نظرفها ناظر وطن الا حاطة بهم افهوا  
في غاية التصور في نفس الامر فان الشر بعه لما حظرت النظر فيه افقده الاجتماع من  
أهل العمران لقراءتها والتحقيق لتعليمها وصار المولع بها من الناس وهم الاقل وأقل  
من الاقل انما يطالع كتبها وقد اشتهر في كسر بيته متسترا عن الناس وتحت ربة  
الجهور ومع تشعب الصناعة وكثرة فروعها واعتياصها على الفهم فكيف يحصل منها  
على طائل ونحن نحمد الفقه الذي عم نفعه دينا ودنيا وسهلت ما خبذه من الكتاب  
والسنة وعكف الجهور على قراءته وتعليمه ثم بعد التحقيق والتجميع وطول الدراسة  
وكثرة الجالاس وتعدد انما يصدق فيه الواحد بعد الواحد في الاعصار والاجيال  
فكيف يعلم بهجور الشر بعه مضروب دونه سد الخطر والهرم ~~مكتوم~~ عن الجمهور  
صعب المأخذ يحتاج بعد الدراسة والتحصيل لاصوله وفروعه الى مزيد دس وتخمين  
يكتنفان به من الناظر فآين التحصيل والخذق فيه مع هذه كلها ومدعى ذلك من الناس  
سرد ودعى عقبه ولا شاهد له يقوم بذلك لغرابة القرنين أهل الملّة وقلة جلته فاهتم  
ذلك تبيين لك صحة مذهبنا اليه والله أعلم بالغيب فلا يظهر على غيبه أحدا \* ومما  
وقع في هذا المعنى لبعض أصحابنا من أهل العصر عند ما غلب العرب عساكر السلطان  
أبي الحسن وحاصروه بالقيروان وكثرا جاف القرينين الاولياء والاعداء وقال في ذلك  
أبو القاسم الرومي من شعراء أهل تونس

أستغفر الله ~~كل~~ حين \* قد ذهب العيش والهناء  
أصبح في تونس وأمسى \* والصبح لله والمساء  
انطوف والجوع والنساي \* يحدتها الهرج والوباء  
والناس في مربة وحرب \* وما عسى يتفع المرء  
فاجـدى ترى علما \* حل به الهلك والتواء  
وأخر قال سوف يأتي \* به اليكم صيارخاء

والله من فوق ذاوره سدا • يقضى لعبده ما يشاء  
 يا راصد الخفس الجوارى • ما فعلت هذه السماء  
 مطلقونا وقد زعمت • أنكم اليوم أملياء  
 مترجيس على خمس • وجاء سبب وأربعاء  
 ونصف شهر وعشرين • وثالث ضمه القضاء  
 ولا ترى غير زور قول • أذاك جهل أم ازدراء  
 أنا إلى الله قد علنا • أن ليس يستدفع القضاء  
 ورضيت بالله في المصا • حسبكم البدر وأذكاء  
 ما هذه الأنهم السواري • إلا عباد بدأ وأماء  
 يقضى علمنا وليس تقضى • وما لها في الوري اقتضاء  
 ضلت عدول ترى قد عيا • ما شأنه الجرم والقضاء  
 وحكمت في الوجود طبعنا • يحدته الماء والهواء  
 لم ترحلوا إزاء مر • تغذوه موترة وماء  
 الله ربى ولست أدري • ما الجوهر الفرد والخلاء  
 ولا الهبول التي تنادى • مالى عن صورة مصرا  
 ولا وجود ولا انعدام • ولا شوت ولا استقاء  
 ولست أدري ما الكب الـ • ما جلب البيع والشراء  
 وانما مذهبي وديني • ما كان والناس أولياء  
 إذ لا فصول ولا أصول • ولا جدال ولا ارتيا  
 ما تبع الصدر واقتفينا • يا حبيذا كان الاقتفاء  
 كانوا كما يعلمون منهم • ولم يكن ذلك الهذاء  
 يا أشعري الزمان اني • أشعري المصيف والشتاء  
 أنا أجرى بالشر شرا • والخبر عن مثله جزاء  
 وانى ان أكن مطيعا • قرب أعصى ولوى رجا  
 وانى تحتكم بار • أطاعه العرش والبراء  
 ليس باستطاركم ولا صكن • أناحه الحكم والقضاء  
 فحدث الأشعري عن • له إلى رأيه التمساء  
 فقال أخبرهم بأنى • مما يتولونه بسراء

اعلم ان كثير من العاجزين عن معاشهم يحملهم المطامع على اتحال هذه الصناعات ويرون انها أحسن مذاهب المعاش ووجوهه وأن اقتناء المال منها أيسر وأسهل على مبتغيه فيرتكبون فيها من المتاعب والمشاق ومعاينة الصعاب وعسف الحكام وخسارة الأموال في النفقات زيادة على النيل من غرضه والعطب آخر اذا ظهر على خيبة وهم يحسبون أنهم يحسنون صنعا وانما أطعمهم في ذلك رؤية أن المعادن تستحيل وينقلب بعضها الى بعض للمادة المشتركة فيها ولون العلاج صيرورة القضية ذهاب النحاس والقصدير فيهم ويحسبون أنهم من مخزئات عالم الطبيعة ولهم في علاج ذلك طرق مختلفة لا خلاف مذاهم في التدبير وصورته وفي المادة الموضوعة عندهم للعلاج المسماة عندهم بالجر المكثم هل هي العذرة أو الدم أو الشعر أو البيض أو كذا وكذا مما سوى ذلك وجه التدبير عندهم بعد تعين المادة أن تمهي بالقهر على حجر صلد أملس ونسفي أثناء أمهاتها بالماء بعد أن يضاف اليها من العقاقير والادوية ما يناسب القصد منها ويؤثر في انقلابها الى المعدن المطلوب ثم تحفف بالنسج من بعد النسج أو تعطي بالنار أو تصعد أو تكسر لاستخراج مائها أو تراها فاذا رضى بذلك كله من علاجها وتم تدبيره على ما اقتضته أصول صنعة حصل من ذلك كله تراب أو مائع يسونه الاكسور ويزعمون أنه اذا ألقى على القضية المحمأة بالنار عادت ذهابا والنحاس المحمي بالنار عادية على حسب ما قصد في عمله وزعم المحققون منهم أن ذلك الاكسور مادة مركبة من العناصر الاربعة حصل فيها ذلك العلاج الخاص والتدبير مزيج ذو قوى طبيعية تصرف ما حصلت فيه اليها وقلبه الى صورتها ومن اجها وتبث فيه ما حصل فيها من الكيفيات والقوى كالخبرة للخبز تقاب الميخنة الى ذاتها وتعمل فيه ما حصل لها من الانفثاش والهشاشة ليحسن هضمه في المعدة ويستحيل سريره الى الغذاء وكذا اكسير الذهب والقضية فيما يحصل فيه من المعادن يصرفه اليها ويقلبه الى صورتها هذا يحصل زعمهم على الجملة فتجدهم عاكفين على هذا العلاج يبتغون الرزق والمعاش فيه ويتناقلون أحكامه وقواعده من كتب لائحة الصناعة من قبلهم يتداولونها بينهم ويتناظرون في فهم لغوزها وكشف أسرارها اذهي في الاكثر تشبه المعنى كالتلف جابر بن حيان في رسالته السبعين ومسئلة الجبر يعل في كتابه رتبة الحكيم والطغرائي والمخبري في قصائده العريضة في اجادة النظم وأمثالها ولا يحلون من بعد هذا كله بطائل منها \* فاضت يوما شيخنا بالبركات التلقينية كبر مشيخة الادلس في مثل ذلك ووقته على بعض التاليف فيها فتصغعه طويلا ثم رده الى وقال لي وأنا الضامن في

أن لا يعود الى بيته الاباحية ثم منهم من يقتصر في ذلك على الدلسة فقط اما المظاهرة  
كتوبه الفضة بالذهب أو النحاس بالفضة أو خلطها على نسبة جزء أو جزأين أو ثلاثة  
أو اقله كلقاه الشبه بين المعادن بالصناعة مثل تبييض النحاس وتدينه بالزئبق  
المصدق في جسم معدني شبيه بالفضة ويحكي الاعلى النقاد الماهرة فيقدر أصحاب هذه  
الدلس مع دلتهم هذه مكة يسرونها في الناس ويطعونها بطابع السلطان وبيعها  
على الجمهور بالخالص وهو لاء أخس الناس حرفة وأسوأهم عاقبة لتلبسهم بسرقة  
أموال الناس فان صاحب هذه الدلسة انما هو يدفع ثمنها في الفضة وفضة في الذهب  
ليستخلصها لنفسه فهو سارق أو أشتر من السارق ومعظم هذا الصنف ناد بالماقرب من  
طاية البربر المتبذبن بطراف القاع وما كن الانحمار بأوون الى ساجد البادية  
ويتعدهون على الاغنيا منهم بأن يأيدهم صناعة الذهب والفضة والنفوس مولعة  
بجمعها والاستهلاك في طلبها فيفصلون من ذلك على معاش ثم يبقى ذلك عندهم تحت  
الخوف والرقبة الى أن يظهر العجز وتقع الفضيحة فيفرون الى موضع آخر ويستجدون  
حالا أخرى في استهوا بعض أهل الدنيا بطماعتهم فيما لديهم ولا يرأون كذلك في استهوا  
معاشهم وهذا الصنف لا كلام معهم لانهم يلقوا الغاية في الجهل والرداءة والاحتراف  
بالسرقة ولا حاسم لعلهم الاستعداد للحكام عليهم وتناولهم من حيث كانوا وقطع أيديهم  
مضى ظهر وعلى شأنهم لان فيه افساد المسكة التي تم بها البلوى وهي مقول الناس كافة  
والسلطان مكلف باصلاحها والاحتياط عليها والاشتداد على مفسديها وأمان انتمل  
هذه الصناعة ولم ير من يحال الدلسة بل استنكف عنها وزنه نفسه عن افساد سكة  
المسلمين وتقوذهم وانما يطلب احالة الفضة للذهب والرماس والنحاس والتقزير الى  
الفضة بذلك التحوين الصلاح وبالاكبر الحاصل عندهم فلنا مع هؤلاء متكام وبحث  
في مداركهم لذلك مع انما لانعلم أن أحد من أهل العلم تم له هذا الغرض أو حصل منه  
على بنية انما تذهب أعمارهم في التدبير والقهر والصلابة والتصميم والتكليس  
واجتياح الاخطار بجمع العقاقير والبحث عنها واية ناقلون في ذلك حكايات وقعت لغربهم  
عن تم له الغرض منها أو وقف على الوصول بقنعون باستقامها والمفاوضة فيها ولا  
يسلمون في تصديقها شأن الكلفين المغرمين بوساوس الاخبار فيما يكفون به فاذا  
سئلوا عن تحقيق ذلك بالمغاينة أنكره وطالوا انما سمعنا لم نره كذا شأنهم في كل عصر  
وجيل واعلم أن احتمال هذه الصناعة قديم في العالم بقدر تكلم الناس فيها من المتقدمين  
والتأخرين فلنقل مذاهم في ذلك ثم تلوه بما ينظر فيها من التصديق الذي عليه الاصر  
في نفسه منقول ان مبنى الكلام في هذه الصناعة عند الحكماء على حال المعادن السبعة

المنظرة وهي الذهب والفضة والرماس والقزدير والنجاس والحديد والخارصين  
هل هي مختلفات بالفصول وكلها أنواع قائمة بأنفسها أو أنها مختلفة بخواص من  
الكيفيات وهي كلها أصناف لنوع واحد فالذي ذهب إليه أبو نصر الفارابي وتابعه  
عليه حكماء الأندلس أنها نوع واحد وأن اختلافها إنما هو بالكيفيات من الرطوبة  
والبسوسة واللين والصلابة والألوان من الصفرة والبياض والسواد وهي كلها  
أصناف لذلك النوع الواحد والذي ذهب إليه ابن سينا وتابعه عليه حكماء المشرق  
أنها مختلفة بالفصول وأنها أنواع متباينة كل واحد منها قائم بنفسه متحقق بحقيقته  
له فصل وجنس شأن سائر الأنواع وبني أبو نصر الفارابي على مذهب في اتفاقها بالنوع  
امكان انقلاب بعضها إلى بعض لا مكان تبدل الاعراض حينئذ ولا جها بالصنعة  
فمن هذا الوجه كانت صناعة الكيمياء عند ممكنة سهلة المأخذ وبني أبو علي ابن سينا  
على مذهب في اختلافها بالنوع إنكار هذه الصنعة واستحالة وجودها بناء على أن  
الفصل لا سبيل بالصناعة اليه وإنما يختلفه خالق الأشياء ومقدرها وهو الله عز وجل  
والفصول مجهولة الخلق رأيا بالتصور فكيف يحاول انقلابها بالصنعة وغلطه  
الطفرائي من أكابر أهل هذه الصناعة في هذا القول ورد عليه بأن التدبير والعلاج  
ليس في تخليق الفصل وابداعه وإنما هو في اعداد المادة لقبوله خاصة والفصل يأتي  
من بعد الاعداد من لدن خالقه وبارئها كما يخضع التور على الاجسام بالقل والامهات  
ولا حاجة بنا في ذلك إلى تصوره ومعرفته قال وإذا كنا قد عثرنا على تخليق بعض  
الحيوانات مع الجهل بفصولها مثل العقرب من التراب والتن ومثل الحيات المتكونة  
من الشعرو مثل ما ذكره أصحاب الفسلاح من تكوين النحل إذا فقدت من جهاجيل  
البقر وتكوين القصب من قرون ذوات التلق وتغييره سكر الجش والقرون بالعسل  
بين يدي ذلك الفلح القرون في المانع اذا من العثر على مثل ذلك في الذهب والفضة  
فتتخذ مادة تضيقها للتدبير بعد أن يكون فيها استعداد أقل لقبول صورة الذهب  
والفضة ثم تحوّلها بالعلاج إلى أن يتم فيها الاستعداد لقبول فصلها انتهى كلام  
الطفرائي عنه وهذا الذي ذكره في الرد على ابن سينا صحيح لكن لنافي الرد على أهل هذه  
الصناعة مأخذ آخرتين منه استحالة وجودها وبطلان مزعمهم أجعين لا الطفرائي  
ولا ابن سينا وذلك أن حاصل علاجهم انهم بعد الوقوف على المادة المستعدة  
بالاستعداد الأول يجعلونها موضوعا ويحددون في تدبيرها وعلاجها تدبير الطبيعة  
في الجسم المعدني حتى احاطه ذهبا أو فضة ويضاعفون القوى الفاعلة والمنفعة لئلا يتم في  
زمان أقصر لانه تين في موضعه أن مضاعفة قوة الفاعل تنقص من زمن فعله وتبين أن



الذهب انما يتم كونه في معدنه بعد ألف وثمانين من السنين دورة الشمس الكبرى فإذا تضاعفت القوى والكيفيات في العلاج كان زمن كونه أقصر من ذلك ضرورة على ما قلناه أو يتجزأون بعلاجهم ذلك حصول صورة مزاجية لتلك المادة نصيرها كالنخبة فتفعل في الجسم المعالج الأفاعيل المطلوبة في حالته وذلك هو الأكسبر على ما تقدم \*  
واعلم أن كل مستكون من المولدات العنصرية فلا بد فيه من اجتماع العناصر الأربعة على نسبة متفاوتة اذ لو كانت متكافئة في النسبة لما تم اتزانها فلا بد من الجزء الغالب على الكل ولا بد في كل مختزج من المولدات من حرارة غريزية هي القاعدة لكونه الحافظة أصوره ثم كل مستكون في زمان فلا بد من اختلاف أطواره واتصاله في زمن التكوين من طور إلى طور حتى ينتهي إلى غايته وانقطع أن الانسان في طور المنطقة ثم العاقبة ثم المضغة ثم التصوير ثم الجنين ثم المولود ثم الرضيع ثم إلى نهايته ونسب الاجزاء في كل طور تختلف في مقاديرها وكيفياتها والالكان الطور بعينه الأول هو الآخر وكذلك الحرارة الغريزية في كل طور مخالفة لها في الطور الآخر فانظر إلى الذهب ما يكون له في هذه من الأطوار منذ ألف سنة وثمانين وما ينتقل فيه من الأحوال فيحتاج صاحب الكيمياء إلى أن يساوق فعل الطبيعة في المعدن ويحاكيه بتدبيره وعلاجه إلى أن يتم ومن شرط الصناعة أبدا تصورها بقصد اليه بالصناعة فنن الا مثال السائرة للكماء أول العمل آخر الفكرة وآخر الفكرة أول العمل فلا بد من تصور هذه الحالات للذهب في أحواله المتعددة ونسبها المتفاوتة في كل طور واختلاف الحار والبارد عند اختلافها ومقدار الزمان في كل طور وما ينوب عنه من مقدار القوى المضاعفة ويقوم مقامه حتى يعاذا بذلك كله فعل الطبيعة في المعدن أو تعدل بعض المواد صورة مزاجية تكون كصورة النخبة الغبرة وتعمل في هذه المادة المناسبة لتقواها ومقاديرها وهذه كلها انما يحصرها العلم المحيط والعلوم البشرية فاصرة عن ذلك وانما حال من يدعى حصوله على الذهب بهذه الصناعة بمثابة من يدعى الصناعة لتخليق انسان من الخي ونحن اذا سلنا له الاطاحة بأجزائه ونسبته وأطواره وكيفية تقلبه في رحله وعلم ذلك علما لمصلا بتفاصيله حتى لا يشذ منه شيء من علمه سلنا له لتخليق هذا الانسان وأنى لذلك \* ولنتقرب هذا البرهان بالاختصار ليسهل فهمه فنقول حاصل صناعة الكيمياء ما تدعونه بهذا التدبير أنه مساوقة الطبيعة المعدنية بالفعل الصناعي ومحاذاتها إلى أن يتم تكوين الجسم المعدني أو تخليق مادة بقوى وأعمال وصورة مزاجية تفعل في الجسم فعلا طبيعيا قصير وتقلبه إلى صورتها والقول الصناعي مسدوف بصورات أحوال الطبيعة المعدنية التي يقصد لمساوقتها ومحاذاتها وفعل

الماتة ذات القوى فيها تصور امفصلا واحدة بعد أخرى وتلك الاحوال لانهاية لها  
 والعلم بشرى عاجز عن الاحاطة بمادونها وهو بمثابة من يقصد تخليق انسان  
 أو حيوان أو نبات هذا يحصل هذا البرهان وهو أوثق ما علمته وليست الاستحالة فيه  
 من جهة الفصول كما رأيت ولا من الطبيعة انما هو من تعذر الاحاطة وقصور البشر عنها  
 وما ذكره ابن سينا بعزل عن ذلك وله وجه آخر في الاستحالة من جهة غايته وذلك أن  
 حكمة الله في الخلقين وندورهما انهما فيهما لمكاسب الناس ومقولاتهم فلو حصل عليهما  
 بالصنعة لطلت حكمة الله في ذلك وكثر وجودهما حتى لا يصل أحد من اقتنائهما  
 على شيء وله وجه آخر من الاستحالة أيضا وهو ان الطبيعة لا تترك لأقرب الطرق في أفعاله  
 وترتكب الاعوص والابعد فلو كان هذا الطريق الصناعي الذي يزعمون أنه صحيح  
 وأنه أقرب من طريق الطبيعة في معدنها وأقل زمانا لتركه الطبيعة الى طريقها  
 الذي سلكته في كون الذئبة والذئب وتخلقهما وأما نسبه الطغرافى هذا التدبير بما  
 عثر عليه من مفردات الامثلة في الطبيعة كالقرب والصل والحية وتخلقها فامر صحيح  
 في هذه أدى اليه العنود كما زعمه وأما الكيما فلم يقل عن أحد من أهل العلم أنه عثر عليها  
 ولا على طريقها وما زال متحولا بها حتى طون في سابط عشواء الى هلم جزأ ولا يظفرون  
 الا بالحيكيات الكاذبة ولو صح ذلك لأحد منهم لحفظه عنه أولاده وتلميذه وأصحابه  
 وتنوقل في الاصقاء وضمن تصديقه صحة العمل بعده الى أن يتشرو ويبلغ البناء الى  
 غيرنا وأما قولهم ان الاكسبر بمثابة الخيرة وانه مركب يجعل ما يحصل فيه  
 ويقبله الى ذلك فاعلم أن الخيرة انما تنقلب المحين وتعده للضم وهو فساد والفساد في  
 المواد سهل يقع بأبسر شيء من الافعال والطبائع والمطلوب بالاكسبر قلب المعدن الى  
 ما هو أشرف منه وأعلى فهو تكوين وصلاحي والتكوين أصعب من الفساد فلا  
 يقاس الاكسبر بالخيرة وتحقق الامر في ذلك أن الكيما انصح وجودها كما تزعم  
 الحكماء المتكلمون فيها مثل جابر بن حيان ومسلمة بن أحمد الجريطي وأمثالهم فليست  
 من باب الصنائع الطبيعية ولا تتم بامر صناعي وليس كلامهم فيها من معنى  
 الطبيعية انما هو من معنى كلامهم في الامور السخرية وسائر الخوارق وما كان من  
 ذلك للعلاج وغيره وقد ذكر مسلمة في كتاب الغاية ما يشبه ذلك وكلامه فيها في كتاب رتبة  
 الحكمين من هذا المنهى وهذا كلام جابر في رسالته ونحو كلامهم فيه معروف ولا حاجة  
 بنا الى شرحه وبالجملة فأمر هاعندهم من كليات المواد الخارجة عن حكم الصنائع فكما  
 لا يتدبر مائنه انثب والحيوان في يوم أو شهر خشب أو حيوانا فيمعدا بمجرى تخلقه  
 كذلك لا يتدبر ذهب من مادة الذهب في يوم ولا شهر ولا يتغير طريق عادته الا بأمر فادعى

وراء عالم الطبائع وعمل الصنائع فكذلك من طلب الكيمياء طلبا صناعا ضيع ماله وعمله ويقال لهذا التدبير الصناعي التدبير العظيم لأن نبلها ان كان صحيحا فهو واقع مما وراء الطبائع والصنائع فهو كالمنشئ على الماء وامتطاء الهواء والنفوذ في كثافة الاجساد ونحو ذلك من كرامات الاولياء الخارقة للعادة أو شبل تحقيق الطير ونحوها من معجزات الانبياء قال تعالى واذ خلق من الطين كهيئة الطير اذ في قنفذ فيها فتكون طيرا باذني وعلى ذلك فسيميل تسيرها مختلف بحسب حال من يؤتاها قوماً وتبها الصالح ويؤتيها غيره فتكون عنده معارة وربما أو تبها الصالح ولا يملك ايتاها فلا تتم في يد غيره ومن هذا الباب يكون عملها سحر يا فقد تبين أنها انما تقع بتأثيرات النفوس وخوارق العادة اما معجزة أو كرامة أو سحر ولهذا كان كلام الحكماء كلهم فيها الغارز لا ينظر بحقيقته الا من خاض لجة من علم السحر واطلع على تصرفات النفس في عالم الطبيعة وأمر خرق العادة غير مخصصة ولا يقصد أحد الى تحصيلها والله يجابعون محيط وأكثر ما يحصل على التماس هذه الصناعة واتصالها هو كإقلائه العجز عن الطرق الطبيعية للمعاش وابتغاؤه من غير وجوهه الطبيعية كالقلاحة والتجارة والصناعة فيستعصب العاجزا ابتغاءه من هذه ويروم الحصول على الكثيرين من المال دفعة بوجوه غير طبيعية من الكيمياء وغيرها وأكثر من يهوى بذلك الفقراء من أهل العمران حتى في الحكماء المتكلمين في انكارها واستحالتها فان ابن سينا القائل باستحالتها كان عليه الوزراء فكان من أهل الغنى والثروة والقاراي القائل بإمكانها كان من أهل الفقر الذين يعوزهم أدنى بلغة من المعاش وأسبابه وهذه تمة ظاهرة في انظار النفوس المولعة بطرقها واتصالها والله الرزاق ذو القوة المتين لا رب سواه

٢٨ (فصل في ان كثرة التأليف في العلوم عائقة عن التحصيل)

(اعلم) أنه مما ضرب بالناس في تحصيل العلم والوقوف على غايته كثرة التاكيف واختلاف الاصطلاحات في التعليم وتعدد طرقها ثم مطالبة المتعلم والتليذ باستحضار ذلك وحينه يسلم له منصب التحصيل فيحتاج المتعلم الى حفظها كلها أو أكثرها ومراعاة طرقها ولا يني عمره بما كتب في صناعة واحدة اذا تجرد لها فيقع القصور ولا يتدون رتبة التحصيل ويعشل ذلك من شأن الفقه في المذهب المالكي بكتاب المدونة مثلا وما كتب عليه من الشروحات الفقهية مثل كتاب ابن ونس والغني وابن بشير والتنبيهات والمقدمات والبيان والتحصيل على التسمية وكذلك كتاب ابن الحاجب وما كتب عليه ثم انه يحتاج الى تمييز الطريقة القوية اية من القرطبية

والبغدادية والمصرية وطرق المتأخرين عنهم والاحاطة بذلك كله وحيث يذنب له  
منصب انقيا وهي كلها متكررة والمعنى واحد والتعلم مطالب باختصار جميعها وتميز  
ما بينها والعمر يقتضي في واحد منها ولواقصر المعلون بالتعليق على المسائل المذهبية  
فقط لكان الامر بدون ذلك بكثير وكان التعليم سهلا وما أخذه قريبا ولكنه داء لا يرتفع  
لاستقرار العوائد عليه فصارت كالطبيعة التي لا يمكن نقلها ولا تحويلها وتمثل أيضا  
علم العربية من كتاب سيبويه وجميع ما كتب عليه وطرق البصريين والكوفيين  
والبغداديين والاندلسيين من بعدهم وطرق المتقنين والمتأخرين مثل ابن الحاجب  
وابن مالك وجميع ما كتب في ذلك وكيف يطلب به التعلم ويقتضى عمره ودونه  
ولا يطمع أحد في القاية منه الا في القليل النادر مثل ما وصل اليها بالمغرب لهذا العهد  
من تأليف رجل من أهل صناعة العربية من أهل مصر يعرف بابن هشام ظهر من  
كلامه فيها انه استولى على غاية من ملكة تلك الصناعة لم تحصل الا لسبويه وابن جني  
وأهل طبقة العظم ملكته وما أحاط به من أصول ذلك الفن وتفاعله وحسن تصرفه  
ففيه ودل ذلك على أن الفضل ليس مختصرا في المتقنين سيبويه وما قدمناه من كثره  
الشواغب يتعد المذاهب والطرق والتأليف ولكن فضل الله يؤت به من يشاء وهذا  
نادر من نوادر الوجود والافانظار أن التعلم ولو قطع عمره في هذا كله فلا يفي له بتحصيل  
علم العربية مثلا الذي هو آلة من الآلات ووسيلة فكيف يكون في المقصود الذي هو  
الثمرة ولكن الله يهدي من يشاء

٢٩ (فصل في ان كثرة الاختصارات المؤلفة في العلوم مخلة بالتعليم)

ذهب كثير من المتأخرين الى اختصار الطرق والانحاء في العلوم واولعون بما ويدونون  
منها برانجام مختصرا في كل علم يشغل على حصر مسائله وأدلتها باختصار في الالفاظ  
وحشوا القليل منها بالمعاني الكثيرة من ذلك الفن وصار ذلك مخلايا بالآفة وعسرا  
على الفهم ورجعوا الى الكتب الامتهات المطولة في الفنون للتفسير والبيان  
فاختصروها وتقرىبوا الحفظ كما فعله ابن الحاجب في النقه وأصول النقه وابن مالك في  
العربية والخواص في المنطق وأمثالهم وهو فساد في التعليم وفيه اخلال بالتحصيل  
وذلك لأن فيه تظليما على المبتدئ بالقراءة القايات من العلم عليه وهو لم يستعد لقبولها  
بعد وهو من سوء التعليم كما سيأتي ثم فيه مع ذلك شغل كبير على المتعلم يتبع لفاظ  
الاختصار العويصة لفهمه يتراحم المعاني عليها وصعوبة استخراج المسائل من بينها  
لأن ألفاظ المختصرات تعجزها لاجل ذلك صعبة عويصة فيقطع في فهمها حط صالح

عن الوقت ثم بعد ذلك فالملكة الحاصلة من التعليم في تلك المختصرات اذا تم على سداده ولم يبق فيه آفة فهي ملكة فاصرة عن الملكات التي تحصل من الموضوعات البسيطة المطولة بكثرة ما يقع في تلك من التكرار والاحالة المقدمين لحصول الملكة النافعة واذا اقتصر على التكرار قصرت الملكة لقلته كشأن هذه الموضوعات المختصرة فقصدها الى تسهيل الحفظ على المتعلمين فارتكبوهم مما يقطعهم عن تحصيل الملكات النافعة وعكسها ومن يهمل الله فلا مثل له ومن يضل فلا هادي له والله سبحانه وتعالى أعلم

٣٥ (فصل في وجه الصواب في تعليم العلوم وطريق افادته)

(اعلم) أن تلقين العلوم للمتعلمين انما يكون مقبدا اذا كان على التقدير شيئا فشيئا وقليلًا قليلًا بلقي عليه أولاً مسائل من كل باب من الفن هي أصول ذلك الباب ويقرب له في شرحها على سبيل الاجال ويراعى في ذلك قوة عقله واستعداده لقبول ما يراد عليه حتى ينتهي الى آخر الفن وعند ذلك يحصل له ملكة في ذلك العلم الا انها جارية وضعفة وغائبة انما هي اياهان لفهم الفن وتحصيل مسأله ثم يرجع به الى الفن ثانية فيرفعه الى تلقين عن تلك الرتبة الى أعلى منها ويستوفى الشرح والبيان ويخرج عن الاجال ويذكر له ما هنالك من الخلاف ووجهه الى أن ينتهي الى آخر الفن فيقبول ملكة ثم يرجع به وقد شد فلا يترك عوصا ولا مهما ولا متاعنا الاوضه وفتح له مقوله بفضل من الفن وقد استولى على ملكته هذا وجه التعليم المفيد وهو كما رأيت انما يحصل في ثلاث تكرارات وقد يحصل للبعض في أقل من ذلك بحسب ما يخلق له ويستسر عليه وقد شاهدنا كثيرا من المعلمين لهذا العهد الذي أدركنا يجيئون طرق التعليم واذا تدب ويحضرون المتعلم في أول تعليمه المسائل المقلدة من العلم ويطلبونه باحسان ذهنية في حلها ويحسبون ذلك مراعاة على التعليم وصوابا فيه ويكفونوه عن ذلك وتحصيله ويخطئون عليه بما يلقون له من غايات الفنون في عبادتها وقبل أن يستعداتها جميعا فان قبول العلم والاستعدادات لفهمه تشأندريجيا ويكون المتعلم أقل الامر عاجزا عن الفهم بالجله الا في الاقل وعلى سبيل التقريب والاجال وبالمثال الحسية ثم لا يزال الاستعداد فيه يتدرج قليلا قليلا بمثل مسائل ذلك الفن وتكرارها عليه والاتقال فيها من التقريب الى الاستيعاب الذي فوقه حتى تتم الملكة في الاستعداد ثم في التحصيل ويحيط هو بمسائل الفن واذا التفت عليه القايات في البدايات وهو حيث عاين عن الفهم والوعي ويعيد عن الاستعداد كل ذهنه عنها وحسب ذلك من صعوبة العلم في نفسه فتسكن ليل عينه وانحرف عن قبوله وتعدى في هجرانه وانما

أنى ذلك من سوء التعليم ولا ينبغي للمعلم أن يزيد متعلمه على فهم كتابه الذى أكب على التعليم منه بحسب طاقته وعلى نسبة قبوله للتعليم مبتدئا كان أو متنبها ولا يخطئ مسائل الكتاب يفرها حتى يعيها من أولها إلى آخره ويحصل اغراضه ويستولى منه على ملكة يتقن ذوقه لأن المتعلم إذا حصل ملكة تافى علم من العلوم استعملها لقبول ما يلقى وحصل له نشاط فى طلب المزيد والنهوض الى ما فوق حتى يستولى على غايات العلم وإذا خلط عليه الامر عجز عن الفهم وأدركه الكلال وانطمس فكره وينس من التصيل وهجر العلم والتعليم والله يهدي من يشاء وكذلك ينبغي لك أن لا تطلو على التعلم فى الفن الواحد بتقريب المجالس وتقطع ما بينها لانه ذريعة الى الاندمان وانقطاع مسائل الفن بعضها من بعض فيعسر حصول الملكة بتقريبها وإذا كانت أوائل العلم وأواخره حاضرة عند الفكرة بحماية للسياح كانت الملكة أيسر حصولا وأحكم ارتباطا وأقرب صبغة لأن الملكات انما تحصل بتتابع الفعل وتكراره وإذا توسى الفعل تنوسيت الملكة الناشئة عنه والله علمكم ما لم تكونوا تعلمون ومن المذاهب الجلية والطرق الواجبة فى التعليم أن لا يخطئ على المتعلم علان معاقبته حينئذ قل أن يظفر باحد منهما لمفاهيمه من تقسيم البال وانصرافه عن كل واحد منهما الى فهم الآخر فيستغلطان معا ويستصعبان ويعودنهما بالخشية وإذا تفرغ الفكر للتعليم ما هو بسيله مقتصر عليه فربما كان ذلك أجدر بتخصيله والله سبحانه وتعالى الموفق للصواب

(فصل) واعلم أيها المتعلم أنى أتخفك بفائدة فى تعلمك فان تلقيتها بالقبول وأمسكتها بيد الصناعة ظفرت بحكمتك عظيم وذخيرة شريفة وأقدم لك مقدمة تيسر لك في فهمها وذلك ان الفكر الانسانى طبيعة مخصوصة فطرها الله كما فطر سائر مبتدعاته وهو وجدان حركة للنفس فى البطن الاوسط من الدماغ تارة يكون مبدأ للأفعال الانسانية على نظام وترتيب وتارة يكون مبدأ لعلم ما لم يكن حاصله بأن يتوجه الى المطلوب وقد تصور طريقه ويروم نفيه أو اثباته فيلوح له الوسط الذى يجمع بينهما أسرع من لمح البصر ان كان واحدا او ينتقل الى تصيل آخر ان كان متعددا ويصير الى الظفر بطوليه هذا شأن هذه الطبيعة الفكرية التى تعجزها الشر من بين سائر الحيوانات ثم الصناعة المنطقية هى كيفية فعل هذه الطبيعة الفكرية النظرية تصفه تعلم سدا ممن خطئه لأنها وان كان الصواب لها ذاتيا الا أنه قد يعرض لها الخطأ فى الاقل من تصور الطرفين على غير صورتهم من اشتباه الهيئات فى نظم القضايا وترتيبها للتساج فتعين المنطق للتخلص من ورطة هذا الفساد

إذا عرض فالتنطق إذا أمر صناعى مساوق للطبيعة الفكرية ومنطبق على صورة فعلها ولكنونه أمر اصناعيا استغنى عنه في الاكثر ولذلك نجد كثيرا من غفول النظر في الخلدقة يحصلون على الطالب في العلوم دون صناعة المنطق ولا سماع صدق النية والتعرض لرحمة الله فان ذلك أعظم معنى ويسلكون بالطبيعة الفكرية على سدادها فيفضى بالبيع الى حصول الوسط والمطلب بالمطلوب كما فطرها الله عليه ثم من دون هذا الامر الصناعى الذى هو المنطق مقدمة أخرى من التعلم وهي معرفة الالفاظ ودلائلها على المعانى الذهنية رتداهن مشافهة الرسوم بالكتاب ومشافهة اللسان بالخطاب فلا بد أبها المتعلم من مجاوزة هذه الحجب كلها الى التفكير المطلوب فأولا دلالة الكتابة المرسومة على الالفاظ المقولة وهي أخفها ثم دلالة الالفاظ المقولة على المعانى المطلوبة ثم القوانين في ترتيب المعانى للاستدلال في قوانين المعرفة في صناعة المنطق ثم تلك المعانى المجردة في الفكر اشتراطا يقتضيهما المطلوب بالطبيعة الفكرية بالتعرض لرحمة الله ومواهبه وليس كل أحد يتجاوز هذه المراتب بسرعة ولا يقطع هذه الحجب في التعليم بسهولة بل ربما وقف المذهب في حجب الالفاظ بالمناقشات أو غير في اشتراط الادلة بشغب الجدال والشبهات وقعد عن تحصيل المطلوب ولم يكدي يقتلص من تلك الغمرة الا قليلا عن هداية فاذا ابتليت بمثل ذلك وعرض لك ارتباك في فهمك أو تشبيب بالشبهات في ذهنك فاطرح ذلك واتبذ حجب الالفاظ وعوائق الشبهات واترك الامر الصناعى بجملة واخلص الى فضاء الفكر الطبيعي الذى فطرت عليه وسرتح نظرك فيه وفرغ ذهنك فيه للفصوص على مرامك منه واضعها حيث وضعها أكابر النظارة بك مستعرضا للفتح من الله كما فتح عليهم من ذهنهم من رحمة وعلمهم ما لم يكونوا يعلمون فاذا فعلت ذلك أشرق عليك أنوار الفتح من الله بالظفر بطولك وحصل الامام الوسط الذى جده الله من مقتضيات هذا الفكر ونظيره عليه كما قلناه وحينئذ فارجع به الى قوالب الادلة وصورها فأفرغه فيها ووقفه جقه من القانون الصناعى ثم اكسبه صور الالفاظ وأبرزه الى عالم الخطاب والمشافهة وثيق العرى صحيح البنيان \* وأمان وقفت عند المناقشة والشبهة في الادلة الصناعية وتخصيص مواهب امن خطها وهذه أمور صناعية موضوعة تستوى جهاتها المتعددة وتنشأ لاجل الوضع والاصلاح فلا تميز جهة الحق منها اذ جهة الحق انما تستبين اذا كانت بالطبيع فيستمر ما حصل من الشك والارتياب وتسدد الحجب على المطلوب وتقعده بالنظر عن تحصيله وهذا شأن الاكثرين من النظارة والتأخرين سيما من سبقته له عجمة في لسانه فربطت عن ذهنه ومن حصل له شغب بالقانون المنطقى تعصب

له فاعتقد أنه الذريعة الى ادراك الحق بالطبع فيقع في الحيرة بين شبه الادلة وشكوكها ولا يكاد يخلص منها والذريعة الى درك الحق بالطبع اعمها الفكر الطبيعي كما قلناه اعاجز عن جميع الادهام وتعرض الناظر فيه الى رجة الله تعالى وأما المنطق فانما هو واصف اقل هذا الفكر فيساقه لذلك في الاكثر فاعتبر ذلك واسمط رجة الله تعالى متى أعوزك فهم المسائل تشرق عليك أنواره بالالهام الى الصواب والله الهادي الى رجه وما العلم الا من عند الله

### ٣١ (نصل في ان العلوم الالهية لا توسع فيها الا نظار ولا تفرع المسائل)

(اعلم) أن العلوم المتعارفة بين أهل العمران على صنفين علوم مقصودة بالذات كالشرعيات من التفسير والحديث والفقه وعلم الكلام والطبيعيات والالهيات من الفلسفة وعلوم هي آلية وسيلة لهذه العلوم كالعربية والحساب وغيرهما للشرعيات والمنطق للفلسفة وربما كان آلة لعلم الكلام ولاصول الفقه على طريقة المتأخرين فانما العلوم التي هي مقاصد فلا حرج في توسعة الكلام فيها وتفرع المسائل واسمكتاف الادلة والنظار فان ذلك يزيد طلبة العلم كفا في ملكته وايضا لما فيها من المفصودة وأما العلوم التي هي آلة لغيرها مثل العربية والمنطق وأمثالها فلا ينبغي أن ينظر فيها الا من حيث هي آلة لذلك الغيرة فقط ولا يوسع فيها الكلام ولا تفرع المسائل لأن ذلك يخرجها عن المقصود اذا المقصود منها ما هي آلة لا غير فكما خرجت عن ذلك خرجت عن المقصود وصار الاشتغال بها القوامع ما فيه من صعوبة الحصول على ملكتها بطولها وكثرة فروعها وربما يكون ذلك عائقا عن تحصيل العلوم المقصودة بالذات لطول وساقها مع أن شأنها أهم والعمر يقصر عن تحصيل الجميع على هذه الصورة فيكون الاشتغال بهذه العلوم الالهية تضييعا للعمر وشغلا عما لا يعني وهذا كما فعل المتأخرون في صناعة النجوم وصناعة المنطق وأصول الفقه لانهم أوسعوا دائرة الكلام فيها وأكثروا من التفاريع والاستدلالات بما أخرجها عن كونها آلة وصيرها من المقاصد وربما يقع فيها انظار لا حاجة بها في العلوم المقصودة فهي من نوع القنوع وهي ايضا مضرة بالمتعلمين على الاطلاق لأن المتعلمين اهتمامهم بالعلوم المقصودة أكثر من اهتمامهم بوسائلها فاذا قطعوا العمر في تحصيل الوسائل بقي ينظرون بالمقاصد فلهذا يجب على المعلمين لهذه العلوم الالهية أن لا يستعصروا في شأنها ويبهتوا المعلم على الفرض منها ويقفوا به عنده في نزعت به همته بعد ذلك الى شيء من التوغل فليبركه ما شام من المراقب صعبا وسهلا وكل ميسر لما خلق له



(اعلم) أن تعليم الولدان للقرآن شعار من شعار الدين أخذ به أهل الملة ودرجوا عليه في جميع أمصارهم لما يسبق فيه على القلوب من روح الايمان وعقائده من آيات القرآن وبعض متون الاحاديث وصار القرآن أصل التعليم الذي ينبغي عليه ما يحصل بعدم الملكات وسبب ذلك أن تعليم الصغر أشد رسوخا وهو أصل لما بعده لأن السابق الاول للقلوب كالاساس للملكات وعلى حسب الاساس وأساليبه يكون حال ما ينشئ عليه واختلقت طرقهم في تعليم القرآن للولدان باختلافهم باعتبار ما ينشأ عن ذلك التعليم من الملكات فأما أهل المغرب فذهبهم في الولدان الاقتصاد على تعليم القرآن فقط وأخذهم أثناء المدادسة بالرسم ومساائله واختلاف جملة القرآن فيه لا يمازون ذلك بسواه في شيء من مجالس تعليمهم لامن حديث ولا من فقه ولا من شعر ولا من كلام العرب الى أن يحدق فيه أو يقطع عنه فيكون انقطاعه في الغالب انقطاعا عن العلم بالجملة وهذا مذهب أهل الامصار بالمغرب ومن تبعهم من قرى البر بأرم المغرب في ولدانهم الى أن يجاوزوا حد البلوغ الى الشيبه وكذا في الكبر اذا راجع مدادسة القرآن بعد طائفة من عمره فهم لذلك أقوم على رسم القرآن وحفظه من سواهم وأما أهل الاندلس فذهبهم تعليم القرآن والكتاب من حيث هو وهذا هو الذي يراعون في تعليم الأولاد لما كان القرآن أصل ذلك وأسه ومنبع الدين والعلوم جملوه أصولا في التعليم فلا يقتصرون لذلك عليه فقط بل يخلطون في تعليمهم للولدان رواية الشعر في الغالب والترسل وأخذهم بقوانين العربية وحفظها وتجويد الخط والكتابة ولا تقتصر عنايتهم في التعليم بالقرآن دون هذه بل عنايتهم فيه بالخط أكثر من جميعها الى أن يخرج الولد من عمر البلوغ الى الشيبه وقد شد بعض الشيء في العربية والشعر والبصر بما ورز في الخط والكتاب وتعلق بأذيال العلم على الجملة لو كان فيها سند لتعلم اليوم لكنهم يقطعون عند ذلك لانقطاع سند التعليم في آفاقهم ولا يحصل بأيديهم الا ما حصل من ذلك التعليم الاول وفيه كفاية لمن أوشده الله تعالى واستعداد اذا وجد المعلم وأما أهل افريقية فيخلطون في تعليمهم للولدان القرآن بالحديث في الغالب ومدادسة قوانين العلوم وتلقين بعض مسائلها الا أن منايتهم بالقرآن واستظهار الولدان اياه ووقوفهم على اختلاف رواياته وقراءته أكثر مما سواه وعنايتهم بالخط تسع لذلك وبالجملة فطريقهم في تعليم القرآن أقرب الى طريقة أهل الاندلس لأن سند طريقهم في ذلك متصل بعشيرة الاندلس الذين أبازوا عند تغلب النصارى على

شرق الاندلس واسطقر واستونس ومنهم من أخذوا ولدانهم بعد ذلك وأما أهل المشرق  
 فيخطون في التعليم كذلك على ما يبلغوا ولا أدري بهم عنايتهم منها والذي ينقل لنا أن  
 عنايتهم بدراسة القرآن وحفظ العلم وقوانينه في زمن الشيعة ولا يخطون بتعليم الخط  
 بل تعليم الخط عندهم قانون ومعلون له على انفرادهم كما تعلم سائر الصنائع ولا يتداولونها  
 في مكاتب الصبيان وإذا كتبوا لهم الألواح فيحفظوا صرعن الأجادة ومن أراد تعلم الخط  
 فعلى قدر ما يسوغ له بعد ذلك من الهمة في طلبه ويتقيه من أهل صنعته فأما أهل  
 افرقية والمغرب فأقادم الاقتصار على القرآن القصور عن ملكة الانسان بجملة وذلك  
 أن القرآن لا ينشأ عنه في الغالب ملكة لما أن البشر مصروفون عن الاتيان بمثلهم فهم  
 مصروفون لذلك عن الاستعمال على أساليبه والاحتذاء بهما وليس لهم ملكة في غير  
 أساليبه فلا يحصل لصاحبه ملكة في اللسان العربي وحظه الجود في العبارات وقلة  
 التصرف في الكلام وربما كان أهل افرقية في ذلك أخف من أهل المغرب لما  
 يخطون في تعليمهم القرآن عبارات العلوم في قوانينها كما قلناه فيقتدرون على شيء من  
 التصرف ومحاذاة المثل بالمثل الآن ملكتهم في ذلك قاصرة عن البلاغة لما أن أكثر  
 محققوهم عبارات العلوم النازلة عن البلاغة كما سمي في فصله وأما أهل الاندلس  
 فأقادمهم التفنن في التعليم وكثرة رواية الشعر والترسل ومدارسة العربية من أول  
 العمر حصول ملكة صاروا بها أعرف في اللسان العربي وقصروا في سائر العلوم لبعدهم  
 عن مدارسة القرآن والحديث الذي هو أصل العلوم وأساسها فكانوا لذلك أهل حظ  
 وأدب بارع ومقصر على حسب ما يكون التعليم الثاني من بعد تعليم الصبا ولقد ذهب  
 القاضي أبو بكر بن العربي في كتاب رحلته الى طريقة غريبة في وجه التعليم وأعاد  
 في ذلك وأبدأ بقديم تعليم العربية والشعر على سائر العلوم كما هو مذهب أهل الاندلس  
 قال لأن الشعريون العرب ويدعوا الى تقديمه وتعليم العربية في التعليم ضرورة فساد  
 اللغة ثم ينقل منه الى الحساب فيتمرن فيه حتى يرى القوانين ثم ينقل الى درس  
 القرآن فانه ييسر عليه بهذه المقدمة ثم قال وباغفلة أهل بلادنا أن يؤخذ الصبي  
 بكتاب الله في أول أمره يقرأ ما لا يفهم وينصب في أمر غيره أهم عليه ثم قال ينظر في  
 أصول الدين ثم أصول الفقه ثم الجدل ثم الحديث وعلومه ونهى مع ذلك أن يخط في  
 التعليم علما أن يكون المتعلم قابلا لذلك بجودة الفهم والنشاط هذا ما أشار اليه  
 القاضي أبو بكر رحمه الله وهو لعمرى مذهب حسن الآن العواد لا تساهل عليه وهي  
 أمثل بالأحوال ووجه ما اختص به العوائد من تقدم دراسة القرآن ايشارة للتبرك  
 والثواب وخشية ما يعرض للولد في جنون الصبا من الآفات والقواطع عن العلم

فيكون القرآن لأنه ما دام في الحجر منقاد للحكم فإذا تجاوز البلوغ وانفصل من رتبة  
القهر فربما عاصفت به رياح الشبهة فألقته بها حل البطالة فيفتخمون في زمان الحجر  
ورتبة الحكم تحصيل القرآن كذا يذهب خلوا منه ولو حصل اليقين باستقراره في طلب  
العلم وقبوله التعليم لكان هذا المذهب الذي ذكره القاضي أولى مأخذيه أهل المغرب  
والشرق ولكن الله يصكم ما يشاء لا معقب لحكمه سبحانه

### ٣٣ (فصل في أن الشدة على المتعلمين مضرّة بهم)

وذلك أن أرواف الحدة في التعليم مضرّة بالتعلم سيما في أصاغر الولد لأنه من سوء الملكة  
ومن كان مراباه بالعصف والقهر من المتعلمين أو الممالئ أو الخدم سطاه القهر وضيق  
على النفس في انبساطها وذهب بنشاطها وادعاه إلى الكسل وحمل على الكذب  
والخبيث وهو التظاهر بغير ما في ضميره خوفا من انبساط الأيدي بالقهر عليه وعمله  
المكر والخديعة لذلك وصارت له هذه عادة وخلقا ففسدت معاني الانسانية التي له من  
حيث الاجتماع والتزّن وهي الحجة والمدافعة عن نفسه ومنزله وصار عيالا على غيره في  
ذلك بل وكسدت النفس من اكتساب الفضائل والخلق الجليل فانتقضت عن غايتها  
ومدى انساها فارتكس وعاد في أسفل السافلين وهكذا وقع لكل أمة حصلت في  
قصة القهر ونال منها العصف واعتبره في كل من عاك أمره عليه ولا تكون الملكة  
الكافلة له رفيقة به وتجد ذلك فيهم استقراء وانظروا في اليهود وما حصل بذلك فيهم من  
خلق السومخ أنهم يوصفون في كل أفق وعصر بالخرج ومعناه في الاصطلاح  
المشهور الخائب والكيد وسببه ما قلناه فينبغي للمعلم في متعلمه والوالد في ولده  
أن لا يستبدوا عليهم في التأديب وقد قال محمد بن أبي زيد في كتابه الذي ألّفه في حكم  
المعلمين والمتعلمين لا ينبغي لمؤدّب الصبيان أن يزيدي في ضربهم إذا احتاجوا إليه على  
ثلاثة أسوأ شيئا ومن كلام عمر رضي الله عنه من لم يؤدّبه الشرع لا أدّبه الله حرصا على  
صون النفوس عن مذلة التأديب وعلماء بأن المقدار الذي عينه الشرع لذلك أمك  
له فانه أعلم بحصلته ومن أحسن مذاهب التعليم ما تقدم به الرشيد لعلم ولده محمد  
الأمين فقال يا أحرار أمير المؤمنين قد دفع إليك مهجة نفسه وغرقة قلبه فصبر يدك عليه  
مبسوطة وطاقته لك واجبة فكأن له بحيث وضعك أمير المؤمنين أقرنه القرآن وعترته  
الأخبار وروده الأشعار وعلمه السنن وبصره بمواقع الكلام وبدنه وامنه من  
الخصم الذي أوفاه وخذه بتعليم مشايخه في هاشم إذا دخلوا عليه ورفع مجالس  
القرآن إذا حضروا وجله ولا تخرّن بك ساعة إلا وأنت مغتنم فائدة تقبده إياها من غير

أن تحزنه فقيت ذهنه ولا تعن في مساحته فيستحيل الفراغ ويألفه وقومه ما استطعت  
بالقرب والملاينة فان أباهما فعليك بالشدة والغلظة انتهى

٣٤ (فصل في ان المرحلة في طلب العلوم ولقاء المشيخة مزيد كمال في التعلم)

والسبب في ذلك أن البشر يأخذون معارفهم وأخلاقهم وما يتصلون به من المذاهب  
والفضائل نارة علم وتعلما وانقاء وتارة محاسن ومخاسن وتلقينا بالمباشرة الآن حصول  
الملكات عن المباشرة والتلقين أشد استحكاما وأقوى ورسوخا على قدر كثرة السيوخ  
يكون حصول الملكات ورسوخها والاصطلاحات أيضا في تعليم العلوم مختلطة على  
التعلم حتى لقد يظن كثير منهم أنهم لا يرجعون العلم ولا يدفع عنه ذلك إلا بمباشرة  
لاختلاف الطرق فيعلم المعلن فلقاء أهل العلوم وتبعه ذلك المشايخ في قيده تمييز  
الاصطلاحات بمعارفهم واختلاف طرقهم فيها فيجوز العلم عنها ويعلم أنها انحاء تعليم  
وطرق توصيل وتنهض قوائم الرسوخ والاستحكام في الملكات ويصح معارفه  
ويميزها عن سواها مع تقوية ملكته بالمباشرة والتلقين وكثرتهم من المشيخة عند  
تعهدهم وتزعمهم وهذا من سر الله عليه طرق العلم والهداية فالرحمة لا بد منها في  
طلب العلم لاكتساب القوائد والكمال بقاء المشايخ ومباشرة الرجال والله يهدي من  
يشاء الى صراط مستقيم

٣٥ (فصل في ان العلماء من بين البشر ابعد عن السياسة ومذاهبها)

والسبب في ذلك أنهم معتادون النظر الفكري والغوص على المعاني واتزانها من  
المحسوسات وتجريد حافى الذهن أمورا كلية عامة ليحكم عليها بأمر العموم لا بخصوص  
مادة ولا شخص ولا جيل ولا أمة ولا منصف من الناس ويطبّقون من بعد ذلك الكلي  
على الخارجيات وأيضا يقيسون الأمور على أشباهها وأمثالها بما اعتادوا ومن القياس  
الطبيعي فلا تزال أحكامهم وأقطارهم كلها في الذهن ولا تنصرف الى المطابقة إلا بعد الفراغ  
من البحث والنظر ولا تنصرف الى المطابقة وإنما يتفرع ما في الخارج عما في الذهن  
من ذلك كالأحكام الشرعية فأنما فروعها في المحققين من أدلة الكتاب والسنة  
فتطلب مطابقة ما في الخارج لها عكس الأقطار في العلوم العقلية التي تطلب في صحتها  
مطابقتها لما في الخارج فهم معتادون في سائر أقطارهم الأمر الفهنية والأقطار  
الفكرية لا يعرفون سواها والسياسة يحتاج صاحبها الى مراعاة ما في الخارج وما يلحقها  
من الأحوال وبيعها فأنما حقيقة ولعل أن يكون فيها ما يمنع من الحسنة المشابهة أو مثال  
ويبقى الكلي الذي يحاول تطبيقه عليها ولا يقاس شيء من أحوال العجز ان على

الاخراج كما اشتبه في أمر واحد فلهما اختلاف في أمور فتكون العلماء لاجل ما تعودوه من تعميم الأحكام وقياس الأمور بعضها على بعض إذا نظر في السياسة أخرجوا ذلك في قالب انظارهم ونوع استدلالهم فيقعون في الغلط كثيرا ولا يؤمن عليهم ويلحق بهم أهل الذكاء والكيس من أهل العمران لأنهم ينزعون بشقوب أذهانهم إلى مثل شأن الفقهاء من الغوص على المعاني والقياس والمحاكاة فيقعون في الغلط والعمى السليم الطبع المتوسط الكدس لقصور فكره عن ذلك وعدم اعتياده أياه يقتصر لكل مادة على حكمها وفي كل صنف من الأحوال والاشخاص على ما يختص به ولا يبدى المحسبكم بقياس ولا تعميم ولا يفارق في أكثر نظره المواد المحسوسة ولا يجاوزها في ذهنه كالسباح لا يفارق البر عند الموج قال الشاعر  
فلا توجلن إذا ما سمحت • فان السلامة في الساحل

فيكون مأمونا من النظر في سياسته مستقيم النظر في معاملة أبنائه منحه فيحسن معاشه وتزدفع آفاته وبضارته باستقامة نظره وفوق كل ذي علم عليم ومن هنا بين أن صناعة المنطق غير مأمونة الغلط لكثرة ما فيها من التزاع وبمدها عن المحسوس فانها تنظر في المعقولات التواني ولعل المواد فيها ما يمانع تلك الأحكام وبقاها عند مراعاة التطبيق الحقيقي وأما النظر في المعقولات الأولى وهي التي تجر يد هاتر به فليس كذلك لأنها خيالية وصور المحسوسات حافظه مؤنثة بتسديد انطباقه والله سبحانه وتعالى أعلم وبه التوفيق

### ٣٦ (فصل في ان حلة العلم في الاسلام اكثرهم المعجم)

من القريب الواقع أن حلة العلم في الله الإسلامية أصغرهم المعجم لامن العلوم الشرعية ولا من العلوم العقلية الا في القليل النادر وان كان منهم العربي في نسبته فهو عجمي في لغته ومرباه ومشجته مع أن الملة العربية وصاحب شرعها عربي والسبب في ذلك أن الله في أولها لم يكن فيها علم ولا صناعة لمقتضى أحوال السداجة والبداءة وانما أحكام الشريعة التي هي أوامر الله ونواهيه كان الرجال يتقانونها في صدورهم وقد عرفوا مأخذها من الكتاب والسنة بما تلقوه من صاحب الشرع وأصحابه والقوم يومئذ عرب لم يعرفوا أمر التعليم والتأليف والتدوين ولا دفعوا اليه ولا دعته اليه حاجة وجرى الأمر على ذلك زمن الصحابة والتابعين وكانوا يسمون المختصين بحمل ذلك ونقله القراء أي الذين يقرؤون الكتاب وليسوا أئمة لان الامة يومئذ صفة عامة في الصحابة بما كانوا يقرءون بالقرآن حلة القرآن يومئذ قراء اشارة الى

هذا فهم قراء الكتاب الله والسنة الماثورة عن الله لانهم لم يعرفوا الاحكام الشرعية  
 الا منه ومن الحديث الذي هو في غالب موارد تفسيره وشرح قال صلى الله عليه وسلم  
 تركت فيكم امرين لن تضلوا ما تمسكتم بهما كتاب الله وسنتي فلما بعد النقل من لدن  
 دولة الرشيد فابعد احتيج الى وضع التفاسير القرآنية وتقييد الحديث بحفاة ضياعه  
 ثم احتيج الى معرفة الاسانيد وتعديل الناقلين للقيمين بين الصحيح من الاسانيد وما دونه ثم  
 كثر استخراج أحكام الواضعات من الكتاب والسنة وقسم ذلك اللسان فاحتج  
 الى وضع القوانين النورية وصارت العلوم الشرعية كلها ملكت في الاستنباطات  
 والاستخراج والتطبيقات والقياس واحتاجت الى علوم أخرى وهي وسائل لهم لمعرفة  
 قوانين العربية وقوانين تلك الاستنباط والقياس والذب عن العقائد الايمانية بالادلة  
 لكثرة البدع والالحاد فصارت هذه العلوم كلها علوما ذات ملكت محتاجة الى التعليم  
 فاندبجت في جملة الصنائع وقد كانت من ان الصنائع من متعلم الحضرة وأن العرب  
 أبعد الناس عنها فصارت العلوم لذلك حضرية وبعد عنها العرب وعن سوقها والحضر  
 لذلك العهد هم الهيم أو من في معناهم من الموالي وأهل الحواضر الذين هم يومئذ  
 تبع للهمم الحضارة وأحوالهم من الصنائع والحرف لانهم أقوم على ذلك الحضارة  
 الرافضة فيهم منذ دولة الفرس فكان صاحب صناعة النحويين به والفارسي من  
 بعده والزجاج من بعدهما وكلهم هم في أنسابهم وانسابهم في اللسان العربي  
 فأكتسبوه بالمربي ومخالطة العرب وصبروه قواني ونال من بعدهم وكذا اجله الحديث  
 الذين حفظوه من أهل الاسلام أكثرهم هم أو مستجوبون باللغة والمربي وكان علماء  
 أصول الفقه كلهم يحكموا يعرفون وكذا اجله علم الكلام وكذا أكثر المفسرين ولم يبق  
 يحفظ العلم وتدوينه الا الاعاجم وظهر مصداق قوله صلى الله عليه وسلم لوتعلق العلم  
 بأكاف السعاه لئلا له قوم من أهل فارس وأما العرب الذين أدركوا هذه الحضارة  
 وسوقها وخرجوا اليها عن البداوة فشغلهم الرياضة في الدولة العباسية وما دفعوا اليه  
 من القيام بالملك عن القيام بالعلم والتفكير فأنهم كانوا أهل الدولة وحاميتها وأولى  
 سياستهم ما يلحقهم من الانفة عن اتصال العلم حيث نبعا صا من جملة الصنائع  
 والرواء أبدا يستكفون عن الصنائع والمهن وما يجزئها ودفعوا ذلك الى من قام به  
 من الهيم والمولدين وما زالوا يرون لهم حق القيام به فانه دينهم وعلومهم ولا يحقرون  
 حلتها كل الاحتقار حتى اذا خرج الامر من العرب بجملة وصار للهمم صارت العلوم  
 الشرعية غريبة النسبة عند أهل الملك بما هم عليه من البعد عن نسبتها وامتن حملتها  
 بملبرون أنهم بعد عنهم مشتغلين بما لا يعني ولا يجدي عنهم في الملك والسياسة كما

ذكرناه في نقل المراتب الدينية فهذا الذي قررناه هو السبب في أن جملة الشريعة  
أوتيتهم من العجم وأما العلوم العقلية أيضاً فلم تظهر في الملة إلا بعد أن تم جملة العلم  
ومؤلفوه واستقر العلم كله صناعة فاختصت بالعجم وتركها العرب وانصرفوا عن  
انتهالها فلم يحملها إلا العربون من العجم شأن الصنائع كما قلناه أولاً فلم ير ذلك في  
الإسلام ما دامت الحضارة في العجم وبلادهم من العراق وخراسان وما وراء النهر فلما  
خربت تلك الأمصار وذهبت منها الحضارة التي هي سر الله في حصول العلم والصنائع  
ذهب العلم من العجم جملة لم تعلمهم من البداوة واختص العلم بالأمصار الموفورة  
الحضارة ولا أوفر اليوم في الحضارة من مصر فهي أم العالم وياوان الإسلام وينبوع  
العلم والصنائع وبقي بعض الحضارة فيما وراء النهر لما هنالك من الحضارة بالدولة التي  
فيها فلهم بذلك حصّة من العلوم والصنائع لا تنسك وقد دلنا على ذلك كلام بعض علمائهم  
في تأليف وصلت إلينا إلى هذه البلاد وهو سعد الدين التفتازاني وأما غيره من العجم  
فلم نزلهم من بعد إلا من بن الخطيب ونصير الدين الطوسي كلاهما يعول على نهايته في  
الاصابة فاعتبر بذلك وتأمله ترجيحاً في أحوال الخليقة والله يخلق ما يشاء لا اله الا هو  
وحده لا شريك له الملك وله الحمد وهو على كل شيء قدير وحسبنا الله ونعم الوكيل  
والحمد لله

### ٣٧ (فصل في علوم اللسان العربي)

أركانها أربعة وهي اللغة والنحو والبيان والادب ومعرفة تأخرها ضرورة على أهل الشريعة  
أدماً أخذ الأحكام الشرعية كلها من الكتاب والسنة وهي بلغة العرب ونقلتها من  
العجمية والتابعين عرب وشرح مشكلاتها من لغاتهم فلا بد من معرفة العلوم  
المتعلقة بهذا اللسان لمن أراد علم الشريعة وتفاوت في التأكيديتفاوت مراتبها في  
التوفيق بقصد العلم حسبما تبين في الكلام عليها افتقارنا والذي نتوصل أن الأهم  
المقدم منها هو النحو واذ به تبين أصول المقاصد بالدلالة فيعرف الفاعل من المفعول  
والمبتدأ من الخبر ولولا الجهل أصل الافادة وكان من حق علم اللغة التقدم لولأن أكثر  
الامور باقية في موضوعاتها لم تتغير بخلاف الاعراب الدال على الاستناد والمسند  
والمسند اليه فانه تغير بالجهل ولم يبق له أثر فلذلك كان علم النحو أهم من اللغة اذ في جهله  
الاخلال بالتفاهم جملة وليست كذلك اللغة والله سبحانه وتعالى أعلم وبه التوفيق

### (علم النحو)

اعلم أن اللغة في المعارف هي عبارة ما تتكلم به عن مقصوده وتلك العبارة فعل لسان فلما

بدأ أن تصير ملكة متفترية في العضو القاعل لها وهو اللسان وهو في كل أمة بحسب  
 اصطلاحاتهم وكانت الملكة الحاصلة للعرب من ذلك أحسن الملكات وأوضحها ابانة  
 عن المقاصد دلالة غير الكلمات فيها على كثير من المعنى مثل الحركات التي تعين  
 الفاعل من المفعول من الجرور أعني المضاف ومثل الحروف التي تفضي بالأفعال الى  
 الذوات من غير تكلف ألفاظ أخرى وليس يوجد ذلك الا في لغة العرب وأما غيرها من  
 اللغات فكل معنى أو حال لا بد له من ألفاظ تخصه بالدلالة ولذلك نجد كلام العجم في  
 مخاطباتهم أطول مما تقرأه بكلام العرب وهذا هو معنى قوله صلى الله عليه وسلم  
 أوتيت جوامع الكلم واختصر لي الكلام اختصارا فصار الحروف في لغتهم والحركات  
 والهيات أي الاوضاع اعتبارا في الدلالة على المقصود غير متكلفين فيه لصناعة  
 يستفقدون ذلك منها انما هي ملكة في ألسنتهم يأخذها الآخر عن الأول كما تأخذ  
 صبياته الله هذا العهد لغات افلا جاء الاسلام وفارقوا الجبار لطلب الملك الذي كلن في  
 أيدي الامم والدول وخالطوا العجم ففترت تلك الملكة عما ألقي اليها السمع من المخالفات  
 التي للمتقربين والسمع أبو الملكات اللسانية ففسدت عما ألقي اليها مما يغارها  
 بلخوجها اليه باعتياد السمع وخشى أهل العلوم منهم أن تفسد تلك الملكة رأسا  
 ويطول العهد فيها فيغلط القرآن والحديث على المهوم فاستنبطوا من مجاري كلامهم  
 قوانين لتلك الملكة مطردة شبه الكلمات والقواعد يقيسون عليها سائر أنواع الكلام  
 ولحقون الانشباع بالاشبهاء مثل أن الفاعل مرفوع والمفعول منصوب والابتداء  
 مرفوع ثم رأوا تغير الدلالة بتغير حركات هذه الكلمات فاصطلحوا على تسميتها اعرابا  
 وتسمية المرفوع بذلك التغير عاملا وأمثال ذلك وصارت كلها اصطلاحات خاصة  
 بهم ففقدوها بالكتاب وجعلوها صناعة لهم مخصوصة واصطلحوا على تسميتها بعلم النحو  
 وأول من كتب فيها أبو الاسود الدؤلي من بني كنانة ويقال بإشارة على رضى الله عنه  
 لانه رأى تغير الملكة فأشار عليه بحفظها فنزع الى ضبطها بالقوانين الحاضرة المستقرة  
 ثم كتب فيها الناس من بعده الى أن انتهت الى الخليل بن أحمد القراهدى أيام  
 الرشيد أحوج ما كان الناس اليها فذهب تلك الملكة من العرب فذهب الصناعة وكل  
 أبوابها وأخذها عنه سيبويه فأكمل تفاريعها واستكثر من أدلتها وشواهدا ووضع  
 فيها كتابه المشهور الذي صار اما لكل ما كتب فيها من بعده ثم وضع أبو علي الفارسي  
 وأبو القاسم الزجاج كتابا مختصرا للمتعلين يحدون فيها حد والامام في كتابه ثم طال  
 الكلام في هذا الصناعة وحدث الخلاف بين أهلها في الكوفة والبصرة والمصريين  
 القديمين للعرب وكثرت الادلة والجلجاليينهم وتباينت الطرق في التعليم وكثر لاختلاف



في اعراب كثير من آي القرآن باخلافهم في تلك القواعد وطال ذلك على المتعلمين  
وبناء المتأخرين بمذاهمهم في الاختصار فاقتصر واكثر من ذلك الطول مع استيعابهم  
جميع ما نقل كما فعله ابن مالك في كتاب التسهيل وأمثاله أو اختصارهم على المبادئ  
للمتعلمين كما فعله الزمخشري في المفصل وابن الحاجب في المقدمة له ورجعنا لنظرنا ذلك  
نظما مثل ابن مالك في الارجوزتين الكبرى والصغرى وابن مهمل في الارجوزة  
الافقية وبالجملة فالتأليف في هذا الفن أكثر من أن تحصى أو يحاط بها وطرق  
التعليم فيها مختلفة فطريقة المتقدمين مقاربة لطريقة المتأخرين والصكوفيون  
والبصريون والبغداديون والاندلسيون مختلفة طرقهم كذلك وقد كادت هذه  
الصناعة أن تؤذن بالذهاب لما رأينا من نقص في سائر العلوم والصنائع بناقص  
العران ووصل اليها بالغرب لهذه العصور ديوان من مصر مضروب إلى جمال الدين  
ابن هشام من علمائها استوفى فيه أحكام الأعراب بمجمل ومفصله وتكلم على الحروف  
والمقربات والجل وحذف ما في الصناعة من المتكرر في أكثر أبوابها وعاد بالفتى في  
الأعراب وأشار إلى نكت أعراب القرآن كلها ووسطها بأبواب وفصول وقواعد  
اتخذت سائر ما رافق قنانه على علم جم يشهد بعلوقه في هذه الصناعة وفوق بضاعته  
مها كما أنه يصفو في طريقته منضعة أهل الموصل الذين اقتفوا أثر ابن جني واتبعوا  
مصطلح تعليمه فأثني من ذلك بشئ بحسب دال على قوة ملكته وإطلاعه وواقفين في  
الخلق ما يشاء

#### (علم اللغة)

هذا العلم هو بيان الموضوعات اللغوية وذلك أنه لما قدمت ملكة اللسان العربي في  
الحركات المسموعة عند أهل العرب بالأعراب واستنبطت القوانين لحفظها كما قلناه ثم  
استقر ذلك الفساد بلاسة الهمج ومخالطتهم حتى تأذى الفساد إلى موضوعات الالفاظ  
فاستعمل كثير من كلام العرب في غير موضوعه عندهم ميلامع جملة المتعربين في  
اصطلاحاتهم المخالفة لصريح العربية فاحتج إلى حفظ الموضوعات اللغوية بالكتاب  
وال تدوين خشية الدروس وما فتننا عنه من الجهل بالقرآن والحديث فشر كثير من  
أئمة اللسان لذلك وأملوا فيه الدواوين وكان سابق الحلبة في ذلك الخليل بن أحمد  
القرائبي الذي ألف فيها كتاب العين فحصر فيه مركبات حروف الهمج كلها من الثنائيات  
والثلاثيات والرابعيات والنجاسات وهو غاية ما انتهى إليه التركيب في اللسان العربي وتأتي  
له حصر ذلك بوجوه عديدة سائرة وذلك أن جملة الكلمات الثنائية تخرج من جميع

الاعداد على التوالي من واحد الى سبعة وعشرين وهو دون نهاية حروف المهمل  
بواحد لان الحرف الواحد منها يؤخذ مع كل واحد من السبعة والعشرين  
فتكون سبعة وعشرين كلمة شائعة ثم يؤخذ الثاني مع الستة والعشرين كذلك ثم  
الثالث والرابع ثم يؤخذ السابع والعشرون مع الثامن والعشرين فيكون واحدا  
فتكون كلها اعدادا على توالي العدد من واحد الى سبعة وعشرين فتجمع كما هي  
بالعمل المعروف عند أهل الحساب ثم تضاعف لاجل قلب الثاني لان التقديم  
والتاخير بين الحروف معتبر في التركيب فيكون الخارج جله الثلاثيات وتخرج  
الثلاثيات من ضرب عدد الثلاثيات فيما يجمع من واحد الى ستة وعشرين لان كل  
ثلاثية يزيد عليها حرفا فتكون ثلاثية فتكون الثلاثية بجزء الحرف الواحد مع كل  
واحد من الحروف الباقية وهي ستة وعشرون حرفا بعد الثلاثية فتجمع من واحد الى  
ستة وعشرين على توالي العدد ويضرب فيه جله الثلاثيات ثم تضرب بالخراج في  
ستة جله مقلوبات الكلمة الثلاثة فيخرج مجموع تراكيها من حروف المهمل وكذلك  
في الرباعي والتخمس فتأخرت في التراكيب بهذا الوجه وتبأوابه على حروف  
المهمل بالترتيب المتعارف واعتمد فيه ترتيب الخارج قبل الحروف الخلق ثم بالبعد من  
حروف الخلق ثم الاضراس ثم الشفة وجعل حروف العلة آخر اوهي الحروف  
الهوائية وبدا من حروف الخلق بالعين لانه الاقصى منها فذلك مما كابه بالعين لان  
المتقدمين كانوا يذهبون في تسمية دواوينهم الى مثل هذا وهو تسميته بأول ما يقع فيه من  
الكلمات والافاظ ثم بين المهمل منها من المستعمل وكان المهمل في الرباعي والخماسي  
أكثر لقله استعمال العرب له لثقله ولحق به الثاني لقله دورانه وكان الاستعمال في  
الثلاثي أغلب فكانت أوضاعه أكثر دورانه ومن الخليل ذلك كله في كتاب العين  
واستوعبه أحسن استيعاب وأوعاه وجاء أبو بكر الزبيدي وكتب له شام المؤيد  
بالاندلس في المائة الرابعة فاقتصر مع المحافظة على الاستيعاب وخذف منه المهمل  
كله وصكر من شواهد المستعمل ونلصقه باللفظ أحسن تلخيص وألف الجوهري  
من المشاركة كتاب الصحاح على الترتيب المتعارف لحروف المهمل فجعل البداءة منها  
بالهمزة وجعل الترجمة بالحروف على الحرف الاخير من الكلمة لاضطرار الناس  
في الاكتر الى أواخر الكلم وحصر الالة اقتداء بمصخر الخليل ثم ألف فيها من الاندلسيين  
ابن سيده من أهل دانية فدولة على بن مجاهد كتاب المحكم على ذلك المعنى من  
الاستيعاب وعلى نحو ترتيب كتاب العين وزاد فيه التعرض لاشتقاقات الكلم  
وتصار فيها فجاء من أحسن الدواوين ونلصقه بمحمد بن أبي الحسين صاحب المستنصر

من ملوكة الدولة الحفصية بنونس وقلب ترتيبه الى ترتيب كتاب الاصباح في اعتبار اواخر  
الكلم وبناء التراجم عليها فكانوا في رجم وسيل في آتية هذه اصول كتب اللغة فيما  
علمناه وهذا المختصرات أخرى مختصة بصنف من الكلم ومستوعبة لبعض الابواب  
اولكلها الا أن وجه الحصر فيها خفي ووجه الحصر في تلك جلي من قبل التراكيب  
كما رأيت ومن الكتب الموضوععة أيضا في اللغة كتاب الزمخشري في الجوازين فيه  
كل ما تجوزت به العرب من الالفاظ وفيما تجوزت به من المدلولات وهو كتاب شريف  
الافادة ثم لما كانت العرب تضع الشيء على العموم ثم تستعمل في الامور الخاصة  
الالفاظ أخرى خاصة بها فوق ذلك عندنا بين الوضع والاستعمال واحتياج الفقه في  
اللغة عزيز المأخذ كما وضع الايض بالوضع العام لكل ما فيه يياض ثم اختص ما فيه  
يياض من الخليل بالاشتب ومن الانسان بالازهر ومن الغنم بالامح حتى صار استعمال  
الايض في هذه كلها الحنا وخروجها عن لسان العرب واختص بالتأليف في هذا المنهج  
الثعالبي وأفرده في كتاب له ممل فقه اللغة وهو من أكد ما أخذ به اللغوي نفسه أن  
يحرف استعمال العرب عن مواضعه فليس معرفة الوضع الاول بكاف في التركيب  
حتى يشهد استعمال العرب لذلك وأكثر ما يحتاج الى ذلك الاديب في غنى تفسره  
ونفرد حذر من أن يكثر لحنه في الموضوعات اللغوية في مفرداتهم ورا أكملها وهو أشد  
من اللحن في الاعراب وأغش وكذلك ألف بعض المتأخرين في الالفاظ المشتركة  
وتكفل بمصرها وان لم تبلغ الى النهاية في ذلك فهو مستوعب لأكبر وأما المختصرات  
الموجودة في هذا القرن المنصوصة بالمتداول من اللغة الكثير الاستعمال تسهلا لحفظها  
على الطالب فكثيره مثل الالفاظ لابن السكيت والقصص لتعليب وغيرهما وبعضها  
أقل لغة من بعض لاختلاف نظرهم في الاهم على الطالب للفظ والله اخلاق العلم  
لاربسواء

### (علم البيان)

هذا العلم حادث في الملة بعد علم العربية واللغة وهو من العلوم اللسانية لانه متعلق  
بالالفاظ وما تفيدهم ويقصدهم الدلالة عليه من المعاني وذلك أن الامور التي يقصد  
المتكلم بها افادة السامع من كلامه هي امانه وزمفردات تستدوي بسند اليها ويقضي  
بعضها الى بعض والدالة على هذه هي المفردات من الاسماء والافعال والحروف واما  
تعمير المسندات من المسند اليها والازمنة وتدل عليها بتغير الحركات وهو الاعراب  
وأبناء الكلمات وهذه كلها هي صناعة النحو ويبقى من الامور المكتشفة بالواقعات

الحاجة للدلالة أحوال المتخاطبين أو الفاعلين وما يقتضيه حال الفعل وهو محتاج  
 الى الدلالة عليه لانه من تمام الافادة واذا حصلت للمتكلم فقد بلغ غاية الافادة في  
 كلامه واذا لم يستقل على شئ منها فليس من جنس كلام العرب فان كلامهم واسع  
 وبشكل مقام عندهم مقال يخص به بعد كمال الاعراب والابانة ألا ترى أن قولهم زيد  
 جاءني مغار لقولهم جاءني زيد من قبل أن المتقدم منها هو الهم عند المتكلم فن قال  
 جاءني زيد أفاد أن اهتمامه بالجى قبل الشخص المسند اليه ومن قال زيد جاءني أفاد  
 أن اهتمامه بالشخص قبل الجى المسند وكذا التعبير عن أجزاء الجملة بما يناسب المقام  
 من موصول أو منهم أو معرفة وكذا تأكيد الاسناد على الجملة كقوله زيد قائم وان  
 زيدا قائم وان زيد القائم متغيرة كلها في الدلالة وان استوت من طريق الاعراب فان  
 الاول العاري عن التأكيد انما يقيد الخالى الذهى والثانى المؤكد بان يفيد المتردد  
 والثالث يفيد المنكر فهو مختلفا وكذلك تقول جاءني الرجل ثم تقول مكانه بعينه  
 جاءني وجعل اذا قصدت بذلك التأكيد تعظيها أنه رجل لا بعاده أحد من الرجال ثم  
 الجملة الاسنادية تكون خبرية وهي التي لها خاريح تطابقه أولا وانشائية وهي التي  
 لا خارج لها كالطلب وأنواعه ثم قد يتعين ترك العاطف بين الجملتين اذا كان للثانية محل  
 من الاعراب فيشير بذلك منزلة السابغ المفرد فتاوتوكيد او بدلا لعطف أو تبين  
 العطف اذ لم يكن للثانية محل من الاعراب ثم يقتضى المحل الاطناب والالفاظ فيورد  
 الكلام عليها ثم قد يبدل باللفظ ولا يريد منطوقه ويريد لازمه ان كان مفردا كما تقول زيد  
 أسد فلا تريد حقيقة الاسد المنطوقه وانما تريد بجاعته اللازمة وتسندها الى زيد  
 ونسبى هذه استعارة وقد تريد باللفظ المركب الدلالة على ملزومه كما تقول زيد كثير  
 الرماح وتريد به ما لزم ذلك منه من الجود وقرى الضيف لان كثرة الرماح ناشئة عنهما  
 فهي دالة عليهما وهذه كلها دالة زائدة على دالة الالفاظ المفرد والمركب وانما هي  
 هيأت وأحوال لواقعات جعلت للدلالة عليها أحوال وهيأت في الالفاظ كل  
 بحسب ما يقتضيه مقامه فاشتمل هذا العلم المسمى بالبيان على البحث عن هذه الدلالات  
 التي لهيأت ولاحوال والمقامات وجعل على ثلاثة أصناف الصنف الاول يبحث  
 فيه عن هذه الهيأت والاحوال التي تطابق باللفظ جميع مقتضيات الحال ويسمى  
 علم البلاغة والصنف الثانى يبحث فيه عن الدلالة على اللازم اللفظي وملزومه وهي  
 الاستعارة والكتابة كما قلناه ويسمى علم البيان والحقوا بهما صنفا آخر وهو النظر  
 في تزيين الكلام وتخصيصه بنوع من التتميم أو ما يجمع يفصله أو يتجنس يشابه بين  
 ألفاظه أو ترصيعه بقطع أوزانه أو تورية عن المعنى المقصود بانها معنى أخفى منه

لاشتراك اللفظ بينهما وأمثال ذلك يسمى عندهم علم البديع وأطلق على الاصناف  
 الثلاثة عند المحدثين اسم البيان وهو اسم الصنف الثاني لأن الأقدمين أول  
 ما تكلموا فيه ثم تلاحت مسائل الفن واحدة بعد أخرى وكتب فيها جعفر بن يحيى  
 والملاحظ وقدامة وأمثالهم أملاآت غير وافية فيها ثم تزل مسائل الفن ~~تتكمّل~~  
 شيئاً فشيئاً إلى أن محض السكاك تزيّنه وهذب مسأله ورتب أبوابه على نحو ما ذكرناه  
 أنفاً من الترتيب وألف كتابه المسمى بالمفتاح في النحو والتصرف والبيان فجعل هذا  
 الفن من بعض أجزائه وأخذ المتأخرون من كتابه ونقصوا منه أتمتهات هي المتداولة  
 لهذا العهد كما ناله السكاك في كتاب التبيان وابن مالك في كتاب الصباح وجلال الدين  
 القزويني في كتاب الايضاح والتخيص وهو أصغرهما من الايضاح والعناية به لهذا  
 العهد عند أهل المشرق في الشرح والتعليم منه أكثر من غيره وبالجملة فالشارقة على  
 هذا الفن أقوم من المغاربة وسببه والله أعلم أنه كمال في العلوم اللسانية والسنائع  
 الكلامية توجد في الفهران والمشرق وأفرعاً من المغرب كما ذكرناه أو نقول لعناية  
 العجم وهم معظم أهل المشرق كتفسير الزمخشري وهو كله مبني على هذا الفن وهو أصله  
 وإنما اختص بأهل المغرب من أمثاله علم البديع خاصة وجعلوه من جملة علوم الأدب  
 الشعرية وقرعوا له ألقاباً وعددوا أبواباً ونوعوا أنواعاً وزعموا أنهم أحصوا من  
 لسان العرب وإنما حلهم على ذلك الولوع بترين الالفاظ وأن علم البديع سهل المأخذ  
 وصعب عليهم مأخذ البلاغة والبيان لدقة انظاريهما ونحوض معانيهما اقتضوا  
 عنها ما وعين ألف في البديع من أهل أفريقية ابن رشيق وكتاب العمدة مشهور ووجرى  
 كثير من أهل أفريقية والأندلس على مناهه وأعلم أن غرة هذا الفن انما هي في فهم  
 الالفاظ من القرآن لأن اعجازها في وفاء الدلالة منه يصحح مقتضيات الاحوال  
 منطوقة ومفهومة وهي أعلى مراتب الكلام مع الكمال فيما يختص بالالفاظ في اتقانها  
 وجودة وصفها وتركيبها وهذا هو الاعجاز الذي تقصر الافهام عن دركه واعتدله  
 بعض الشيء منه من كان له ذوق بمخالطة لسان العربي وحصوله لكنه فيدرك من  
 اعجازها على قدر ذوقه فلهذا كانت مدارك العرب الذين سمعوه من مبلغه أعلى مقاماً  
 في ذلك لانهم فرسان الكلام وجهانته والذوق عندهم موجوداً وافر ما يكون وأصح  
 وأحوج ما يكون إلى هذا الفن المفسرون وأكثر تفاسير المتقدمين غفل عنه حتى ظهر  
 جاراؤه الزمخشري ووضع كتابه في التفسير وتبع آي القرآن بأحكام هذا الفن بما  
 يبدي البعض من اعجازها فافتره بهذا الفضل على جميع التفاسير لولا أنه يؤيد عقائده  
 أهل البديع عند اقتباسهم من القرآن بوجوه البلاغة ولاجل هذا ايضا ما كثير من

أهل السَّمْع وفور بضاعته من البلاغة فن أحكم عقائد السنة وشارف في هذا الفن  
بعض المشاركين حتى يقتدر على الرد عليه من جنس كلامه أو يعلم أنه بدعة فيعرض  
عنها ولا تضر في معتقده فانه يعين عليه النظر في هذا الكتاب للتفريش من الاعجاز  
مع السلامة من البدع والاهواء واقفه الهادي من يشاء الى سواء السبيل

### (علم الادب)

هذا العلم لاموضوع له يتطرق في اثبات عوارضه أو نفيها وانما المقصود منه عند أهل  
اللسان ثمرته وهي الاجادة في فني المنظوم والمنثور على أساليب العرب ومناحيهم  
فيجوزون لذلك من كلام العرب ما عساه تفصل به الكلمة من شعر على الطبقة ويضع  
متساوي في الاجادة ومسايل من اللغة والتعويثونه أثناء ذلك متفرقة يستقرى منها  
الناظر في الغالب معظم قوانين العربية مع ذلك بعض من أيام العرب يفهم به  
ما يقع في أشعارهم منها وكذلك ذكر المهتم من الانساب الشهيرة والاخبار العاتية  
والمقصود بذلك كله أن لا يخفى على الناظر فيه شيء من كلام العرب وأساليبهم ومناحي  
بلاغتهم اذا سمعته لانه لا تحصل الملكة من حفظه الا بعد فهمه فيحتاج الى تقديم  
جميع ما يتوقف عليه فهمه ثم انهم اذا أرادوا حذو هذا الفن قالوا الادب هو حفظ  
أشعار العرب وأخبارها والاختص كل علم بطرف يريدون من علوم اللسان أو العلوم  
الشريعة من حيث متونها فقط وهي القرآن والحديث اذا لم يدخل الفيز ذلك من  
العلوم في كلام العرب الاماذهب اليه المتأخرون عند كلفهم بصناعة البديع من  
التورية في أشعارهم وترسلهم بالاصطلاحات العلمية فاحتاج صاحب هذا الفن حينئذ  
الى معرفة اطلالات العلوم ليكون قائما على فهمها ومعنا من شيوخنا في مجالس  
التعليم أن أصول هذا الفن وأركانه أربعة دواوين وهي أدب الكتاب لابن قتيبة  
وكتاب الكامل للمبرد وكتاب البيان والتبيين للجاحظ وكتاب النوادر لابن علي القسالي  
البغدادي ومما سوى هذه الاربعة فتيب لها وفروع عنها وكتب المحدثين في ذلك كثيرة  
وكان لقناة في المصدر الاول من أجزاء هذا الفن لما هو تابع للشعر اذا القناه انما هو  
تلمينه وكان الكتاب والفضلاء من الخواص في الدولة العباسية يأخذون أنفسهم به  
حرصا على تحصيل أساليب الشعر وفنونه فلم يكن اتصاله قاصدا في العبد الفحول المروءة  
وقد ألف القاذي أبو القرج الاصمغاني وهو ما هو كتابه في الاعاني جمع فيه أخبار  
العرب وأشعارهم وأناسيم وأيامهم ودولهم وجعل مبناه على القناة في المائة صوت  
التي اختارها المغنون للرشد فاستوعب فيه ذلك أتم امتيعا وبافاء ولعمري

أنه ديوان العرب وجامع أشبات المحاسن التي سلفت لهم في كل فن من فنون الشعر  
والسرايح والغناء وسائر الاحوال ولا يعدل به كتاب في ذلك فيما نقله وهو الغاية التي  
يسمو اليها الاديب ويقت عندها وأتى لهم ونحن الآن نرجع بالتصفيح على  
الاجال فيما تكلمنا عليه من علوم اللسان واقه الهادي للصواب

### ٣٨ (فصل في ان اللغة ملكة صناعية)

(اعلم) ان اللغات كلها ملكات شبيهة بالصناعة اذ هي ملكات في اللسان للعبارة  
عن المعاني وجودتها وقصورها ينسب تمام الملكة اذ هي صانعها وليس ذلك بالنظر الى  
المقررات وانما هو بالنظر الى التراكيب فاذا حصلت الملكة التامة في تركيب  
الالفاظ المفردة للتعبير بها عن المعاني المقصودة ومراعاة التاليف الذي يطبق الكلام  
على مقضى الحال بلغ المتكلم حينئذ الغاية من افادة مقصوده للسامع وهذا هو  
معنى البلاغة والملكات لا تحصل الا بتكرار الافعال لان الفعل يقع أولا وتعود منه  
للاذات صفة ثم تتكرر فتكون حالا ومعنى الحال انها صفة غير راسخة ثم يزيد التكرار  
فتكون ملكة أي صفة راسخة فالتكلم من العرب حين كانت ملكته اللغة العربية  
موجوده قديم يسمع كلام أهل جيله وأسالهم في مخاطباتهم وكشفه تعبيرهم عن  
مقاصدهم كما يسمع الصبي استعمال المقررات في معانيها فيلقنها أولا ثم يسمع  
التراكيب بعدها فيلقنها كذلك ثم لا يزال سماعهم بذلك يتجدد في كل لحظة ومن  
كل متكلم واستعماله يتكرر الى أن يصير ذلك ملكة وصفة راسخة ويكون كأحد  
هكذا نصيرت اللسان واللغات من جيل الى جيل وتعلمها العجم والاطفال وهذا هو  
معنى ما نقوله الامامة من أن اللغة للعرب بالطبع أي بالملكة الاولى التي أخذت عنهم  
ولم يأخذوها عن غيرهم ثم انه لما فسدت هذه الملكة لضرر بمخاطبتهم بالاعاجم وسبب  
فسادها أن الناس من الجيل صاير سمع في العبارة عن المقاصد كيفيات أخرى غير  
الكيفيات التي كانت للعرب فيعربها عن مقصوده لكثرة المخاطين للعرب من غيرهم  
ويسمع كيفيات العرب أيضا فاختلط عليه الامر وأخذ من هذه وهذه فاستحدثت  
ملكته وكانت ناقصة عن الاولى وهذا معنى فساد اللسان العربي ولهذا كانت لغة  
قريش أفصح اللغات العربية وأصرحها بعددهم عن بلاد العجم من جميع جهاتهم  
ثم من اكتشفهم من نقيف وهذيل وخزاعة وبني كنانة وعطفان وبني أسد وبني غنم وأما  
من بعدهم من ربيعة ونهم وجذام وغسان واباد وقضاعة وعرب اليمن والبحار وبن  
لام الفرس والروم والحبشة فلم تكن لغتهم تامة الملكة بمخاطلة الاعاجم وعلى نسبة

بعدهم من فريش كان الاختصاص بلغاتهم في الصحة والفاصل عند أهل الصناعة العربية  
والله سبحانه وتعالى أعلم به التوفيق

٣٩ (فصل في ان لغة العرب لهذا العهد لغة مستقلة مغايرة للغة مضر وحمير)

وذلك انما نجد في بيان المقاصد والوفاء بالدلالة على سنن اللسان المضرى ولم يفقد منها  
الادلة الحركات على تعيين الفاعل من المفعول فاعتناضوا منها بالتقديم والتأخير  
وبقرائن تدل على خصوصيات المقاصد الا ان البيان والبلاغة في اللسان المضرى  
أكثر وأعرف لان اللفاظ بأعيانها دالة على المعاني بأعيانها ويبقى ما تنقذه  
الاحوال ويسمى بساط الحال محتاجا إلى ما يدل عليه وكل معنى لا بد وأن تكتنفه  
أحوال تخصه فيجب أن تعتبر تلك الاحوال في تأدية المقصود لانها صفاته وتلك  
الاحوال في جميع الالسن أكثر ما يدل عليها باللفاظ فتصعب بالوضع وأما في  
اللسان العربي فانما يدل عليها بأحوال وكيفيات في تراكيب الالفاظ وتأليفها  
من تقديم وتأخير أو حذف أو حركة أو عراب وقد يدل عليها بالحروف غير المستقلة  
وذلك تفاوتت طبقات الكلام في اللسان العربي بحسب تفاوت الدلالة على تلك  
الكيفيات كما تقدمناه فكان الكلام العربي لتلك أو جز وأقل الالفاظ وعبارة من  
جميع الالسن وهذا معنى قوله صلى الله عليه وسلم أنست جوامع الكلم واختصر لي  
الكلام اختصارا واعتبر ذلك بما يحكى من عيسى بن عمر وقد قال له بعض النحاة انى أجد  
في كلام العرب تكرارا في قوالهم زيد قائم وان زيدا قائم وان زيدا القاسم والمعنى واحد  
فقال له ان معانيها مختلفة فالاول لا فائدة الخالى الذهن من قيام زيد والثانى لمن سمعه  
فأنكره والثالث لمن عرف بالاصرار على انكاره فاختلفت الدلالة باختلاف الاحوال  
وما زالت هذه البلاغة والبيان دين العرب ومذهبهم لهذا العهد ولا تلتفت في  
ذلك الى خرفسة النحاة أهل صناعة الاعراب القاصرة مداركهم عن التحقيق حيث  
يزعمون أن البلاغة لهذا العهد ذهبت وأن اللسان العربي فسد اعتبارا بما وقع وأخر  
الكلم من فساد الاعراب الذى يدارسون قوائمه وهي مقالة دسها التشيع في طباعهم  
وألفاها القصور في اقتداهم والافضن نجد اليوم الكثير من الالفاظ العرب لم تزل في  
موضوعاتها الاولى والتعبير عن المقاصد والتعاون فيه يتفاوت الابانة موجود في  
كلامهم لهذا العهد وأما اليب اللسان وفنونه من النظم والنثر موجود في محاطباتهم  
وفهم الخطيب المصقع في محافلهم ومجامعهم والشاعر المطلق على أساليب  
لنتهم والمؤلف العجيب والطبع السليم شاهدان بذلك ولم يفقد من أحوال اللسان



المذكورين الاحكامات الاعراب في آخر الكلام فقط الذي لم في لسان مضر طريقة  
 واحدة ومهيبة معروفة وهو الاعراب وهو بعض من أحكام اللسان وانما وقعت  
 العناية بلسان مضر لما فسد بمخالطتهم الاعاجم حين استولوا على محالك العراق والشام  
 ومصر والمغرب وصارت ملكته على غير الصورة التي كانت أولًا فقلب لغة أخرى  
 وكان القرآن متزايده والحديث النبوي متقولاً بلغته وهما أصلا الدين والملة فخصي  
 تناسيمهما وانغلاق الافهام عنهما بفساد اللسان الذي تنزله فاحتج الى تدوين  
 أحكامه ووضع مقاييسه واستنباط قواعده وصاوغا ماذا فصول وأبواب ومقدمات  
 ومساائل مما أهله بعلم النحو وصناعة العربية فأصبح فنا محفوظا وعلم مكتوبا واسلما  
 الى فهم كتاب الله وسنة رسوله واقتبالنا لواعث تنبيه اللسان العربي لهذا العهد  
 واستقرينا أحكامه نعتاض عن الحركات الاعروسة في دلالتها بأمر أخرى موجوده  
 فيه فتكون لها قوانين تخصها ولعلها تكون في آخره على غير المنهج الاول في لغة  
 مضر فليست اللغات وملكاتها عجبا نال قد كان اللسان المصري مع اللسان الجبيري بهذه  
 المشابهة وتغيرت عند مضر كثير من موضوعات اللسان الجبيري ونصاريف كلماته تشهد  
 بذلك الانتقال المبرور وقد قد يتأخلفان بحمله القصور على أنهما لغة واحدة ويلتص  
 اجراء اللغة الجبيرية على مقاييس اللغة المضربية وقوانينها كما يزعم بعضهم في اشتقاق  
 القيل في اللسان الجبيري أنه من القول وكثير من أشباه هذا وليس ذلك بصحيح ولغة جبر  
 لغة أخرى مقابلة للغة مضر في الكثير من أوضاعها ونصاريدها وحركات اعرابها كما  
 هي لغة العرب لهذا نافع لغة مضر الآن المنانية بلسان مضر من أجل الشريعة كما  
 قلناه جل ذلك على الاستنباط والاستقراء وليس عندنا لهذا العهد ما يعملنا على مثل  
 ذلك ويدعو الى وعماد وقع في لغة هذا الجبل العربي لهذا العهد حيث كانوا من الاقطار  
 شأنهم في النطق بالقاف فانهم لا ينطقون بها من مخرج القاف عند أهل الامصار  
 كما هو مذكور في كتب العربية انه من أقصى اللسان وما فوقه من الحنك الاعلى  
 وما ينطقون بها أي من مخرج الكاف وان كان أسفل من موضع القاف وما يليه  
 من الحنك الاعلى كما هي يزعمون بها متوسطة بين الكاف والقاف وهو موجود  
 للجيل أجمع حيث كانوا من غرب أو شرق حتى صار ذلك علامة عليهم من بين الامم  
 والايصال ومختصا بهم لا يشاركهم فيها غيرهم حتى ان من يريد التعرّب والالتصاف  
 الى الجبل والدخول فيهم يحاكمهم في النطق بهم وعندهم أنه انما يتخا العربى الصريح  
 من الدخيل في العربية والحضري بالنطق بهذه القاف ويظهر بذلك أنها لغة  
 مضر بعينها فان هذا الجبل الباقيين معانهم ورؤساؤهم شرقا وغربا في ولد منصور بن

عكرمة بن خصفة بن قيس بن عيلان من ميم بن منصور ومن بن عامر بن صعصعة بن معاوية بن بكر بن هوازن بن منصور وهم لهذا العهد أكثر الامم في المعمور وأغلبهم وهم من أعقاب مضر ومن الجليل منهم في النطق بهذه القاف أسوة وهذه اللغة لم يبتدعها هذا الجليل بل هي متوارثة قديم متعاقبة ويظهر من ذلك أنها لغة مضر الاولين ولعلها لغة النبي صلى الله عليه وسلم بعينها وقد ادعى ذلك فقهاء أهل البيت وزعموا أن من قرأ في أم القرآن هذا الصراط المستقيم غير القاف التي لهذا الجليل فقد طعن وأفسد صلاته ولم أدر من أين جاء هذا فإني لغة أهل الامصار أيضاً لم يستحدثوها وإنما تناقلوها من لدن سلفهم وكان أكثرهم من مضر لما تزلوا الامصار من لدن الفتح وأهل الجليل أيضاً لم يستحدثوها الا أنهم أبعد من مخالطة الاعاجم من أهل الامصار فهذا يرجح فيما يوجب جد من اللغة لديهم أنه من لغة سلفهم هذا مع اتفاق أهل الجليل كلهم شرقا وغربا في النطق بها وأنها الخاصة التي يميز بها العربي من العجم والحضري قديمهم ذلك والله الهادي المبين

#### ٤ (فصل في ان لغة أهل الحضرة والامصار لغة قائمين بنفسها مخالفة للغة مضر)

اعلم أن عرف الخطاطب في الامصار بين الحضري بلغة مضر القديمة ولا بلغة أهل الجليل بل هي لغة أخرى قائمة بنفسها بعيدة عن لغة مضر وعن لغة هذا الجليل العربي الذي لعهد ناهي عن لغة مضر أبعد فاما أنها لغة قائمة بنفسها فهو ظاهر يشهد به ما فيها من التباين الذي يعد صناعة أهل التصول لها وهي مع ذلك تختلف باختلاف الامصار في اصطلاحاتهم فلغة أهل المشرق مبينة بعض الشيء للغة أهل المغرب وكذا أهل الاندلس معهم ما وكل منهم متوصل بلغته الى تأدية مقصوده والابانة عما في نفسه وهذا معنى اللسان واللغة وقد ان الاعراب ليس بضائر لهم كما قلناه في لغة العرب لهذا العهد واما أنها أبعد عن اللسان الاول من لغة هذا الجليل فلا ان البعد عن اللسان انما هو بمخالطة الجمجمة في خالط العجم أكثر كانت لغته عن ذلك اللسان الاصلى أبعد لان الملكة انما تحصل بالتعليم كما قلناه وهذه ملكة متميزة عن الملكة الاولى التي كانت للعرب ومن الملكة الثانية التي للعجم فعلى مقدار ما يجمعون من الجمجمة ويروون عليه يبعدون عن الملكة الاولى واعتبر ذلك في امصار افريقية والمغرب والاندلس والمشرق أما افريقية والمغرب فخالطت العرب فيها البرابرة من العجم بوفور عرايتها بهم ولم يكديخلو عجمهم مصر ولا جيل فغلبت الجمجمة فيها على اللسان العربي لئلا كان لهم وصارت لغة أخرى متميزة والجمجمة فيها أغلب لما ذكرناه فهي عن اللسان الاول أبعد

وكذا المشرق ما غلب العرب على أجمع من فارس والترك والغالطوهم وتداولت بينهم لغاتهم في الأكره والأفلاحين والسبي الذين اتخذوهم خولا ودايات وأغثا وروما واضع ففسدت لغتهم بفساد الملكة حتى انقلبت لغة أخرى وكذلك أهل الأندلس مع عجم الجلالة والأفريقية وصار أهل الأمصار كلهم من هذه الأقاليم أهل لغة أخرى خصوصية بهم تخالف لغة ضرر ويخالف أيضا بعضها بعضا كما ذكرنا وكانها لغة أخرى لاستحكام ملكتها في أجيالهم والله يحفظ ما يشاء ويبدل

#### ٤١ (فصل في تعليم اللسان المضري)

اعلم أن ملكة اللسان المضري لهذا العهد قد ذهبت وفسدت ولغة أهل الجبل كلهم مغارة للغة مضر التي نزل بها القرآن وانما هي لغة أخرى من امتزاج اللهجة بها كما قد مناهه إلا أن اللغات لما كانت ملكات كما مر كان تعلمها مكشاً ناسراً للملكات ووجه التعليم لمن يتلقى هذه الملكة ويروم تحصيلها أن يأخذ نفسه بحفظ كلامهم القديم الجباري على أساليبهم من القرآن والحديث وكلام السلف ومخاطبات غول العرب في أصحاءهم وأشعارهم وكلمات المولدين أضافاً في سائر فنونهم حتى يتزلزلكة حفظه لكلامهم من المنظوم والمنثور ومنزلة من نشأ بينهم ولقن العبارة عن الفاصد منهم ثم يتصرف بعد ذلك في التعبير عاني ضميره على حسب عباراتهم وتأليف كلماتهم وما وعاه وحفظه من أساليبهم وترتيب ألفاظهم فتحصل له هذه الملكة به هذا الحفظ والاستعمال ويزداد بكثرتهما وسواهما قوة ويحتاج مع ذلك إلى سلامة الطبع والفهم الحسن لما نزع العرب وأساليبهم في التراكييب ومراعاة التطبيق بينهما وبين مقتضيات الأحوال والذوق يشهد بذلك وهو فساد ما بين هذه الملكة والطبع السليم فيهما كما نذكر وعلى قدر المحفوظ وكثرة الاستعمال تكون جودة المقول المنصوع تظلماً ونقراً ومن حصل على هذه الملكات فقد حصل على لغة ضرر وهو الناقد البصير بالבלافة فيها وهكذا ينبغي أن يكون تعلمها والله يهدي من يشاء بفعله وكرمه

#### ٤٢ (فصل في أن ملكة هذا اللسان غير صناعة العربية ومستغنية عنها في التعليم)

والسبب في ذلك أن صناعة العربية إنما هي معرفة قوانين هذه الملكة ومقاييسها خاصة فهو علم بكيفية لا بغنى كصفة فليست نفس الملكة وانما هي بمثابة من يعرف صناعة من الصنائع علماً ولا يحكمها عملاً مثل أن يقول بصير بالخياطة غير محكم للمكتمل في التعبير عن بعض أنواع الخياطة هي أن يدخل الخيط في ثوب الأبرة ثم يخرزها في لفق الثوب مجتمعين ويخرجها من الجانب الآخر بمقدار كذا ثم يردّها إلى حيث

ابتدأت ويخترجها أقدم من هذا الأول بطرح ما بين التبيين الأولين ثم يتبادى  
 على ذلك إلى آخر العمل ويعطى صورة الحبل والتفتيح والتفتيح وسائر أنواع الخطاطة  
 وأعمالها وهو إذا طوالب أن يعمل ذلك ليده لا يحكم منه شيئا وكذا لو شغل عالم التجارة  
 عن تفصيل الخشب فيقول هو أن تضع المنشأ على رأس الخشبة وتعد بطرفه وآخر  
 قبل تلك مسك بطرفه الآخر وتعاقبانه بنسكا وأطرافه المضرسة المحددة تقطع ما مررت  
 عليه ذاهبة وجالبة إلى أن ينتهي إلى آخر الخشبة وهو لو طوالب بهذا العمل أو نفي  
 منه لم يحكمه وهكذا العلم بقوانين الاعراب مع هذه الملكة في نفسها فإن العلم بقوانين  
 الاعراب إنما هو علم بكتيبة العمل وليس هو نفس العمل ولذلك تجد كثيرا من جهابذة  
 النحاة والمهرة في صناعة العربية المحيطين علم تلك القوانين إذا شغل في كتابة سطرين  
 إلى أخيه وأدى مودته أو تنكوى ظلامه أو قصده من قصوده أخطأ فيها عن الصواب  
 وأكثر من اللحن ولم يجد تأليف الكلام لذلك والعبارة عن المقصود على أساليب اللسان  
 العربي وكذا تجد كثيرا من يحسن هذه الملكة ويحيد الفتن من المنظوم والمثنوي وهو  
 لا يحسن أعراب الفاعل من المفعول ولا المرفوع من المجرور ولا شيئا من قوانين  
 صناعة العربية فمن هذا تعلم أن تلك الملكة هي غير صناعة العربية وأنها مستغنية عنها  
 بالجملة وقد تجد بعض المهرة في صناعة الاعراب بصيرا بحال هذه الملكة وهو قليل  
 وانفاقي وأكثر ما يقع للمخاطبين لكاتب سيديوه فإنه لم يقتصر على قوانين الاعراب  
 فقط بل ملأ كتابه من أمثال العرب وشواهد أشعارهم وعبارةاتهم فكان فيه جزء  
 صالح من تعليم هذه الملكة فبعد العاكف عليه والمحصل له قد حصل على حظ من كلام  
 العرب واندرج في محفوظه في أمأكنه وفواصل حاجاته وتنبه به شأن الملكة  
 فاستوفى تعليمها فكان أبلغ في الافادة ومن هؤلاء المخاطبين لكاتب سيديوه من يغفل  
 عن التفطن لهذا فيحصل على علم اللسان صناعة ولا يحصل عليه ملكة وأما المخاطبون  
 لكتب المتأخرين العارية عن ذلك الامن القوانين النحوية مجردة عن أشعار العرب  
 وكلامهم فقلبا بشعرون لذلك بأمر هذه الملكة أو يتجهون شأنها فيجدهم يحسبون  
 أنهم قد حصلوا على رتبة في لسان العرب وهم أبعد الناس عنه وأهل صناعة العربية  
 بالاندلس ومعلوها أقرب إلى تحصيل هذه الملكة وتعليمها من سواهم لقيامهم فيها على  
 شواهد العرب وأسئلهم والتفقه في البكثير من التراكيب في مجالس تعليمهم  
 بسبب إلى المبتدئ كثيرا من الملكة أثناء التعليم فتقطع النفس لها وتستهذ إلى  
 تحصيلها وقبولها وأما من سواهم من أهل المغرب وافرقة وغيرهم فأجروا صناعة  
 العربية مجرى العلوم بحشا وقطعوا النظر عن التفقه في تراكيب كلام العرب

الان أعربوا شاهد أو رجحوا مذهباً من جهة الاقتضاء الذهني لا من جهة محامل  
 اللسان وترا كيه فأصبحت صناعة العربية كأنها من جملته قوانين المنطق العقلية  
 أو الجدل وبعدت عن مناحي اللسان وملكته وما ذلك إلا لعدولهم عن البحث في  
 شواهد اللسان وترا كيههم وتغير أساليبه وغفلت عن المراتب في ذلك للمتعلم فهو  
 أحسن ما تفيد المملكة في اللسان وتلك القوانين انما هي وسائل للتعليم لكنهم أجروها  
 على غير ما قصدوها وأصاروها علماً يحتاجو بعدوا عن غرضها وتعلم محقر زناه في هذا الباب  
 أن حصول ملكة اللسان العربي انما هو بكرة الحفظ من كلام العرب حتى يرتسم في  
 خياله المنوال اذى نجوا عليه ترا كيههم فينبج هو عليه وينزل بذلك منزلة من نشأ  
 معهم ونالط عباراتهم في كلامهم حتى حصلت له الملكة المستقرة في العبارة من  
 المقاصد على نحو كلامهم والله مقدر الامور كلها والله أعلم بالغيب

٤٣ فصل في تفسير الذوق في مصطلح اهل البيان وتحقيق معناه

وبيان ان لا يحصل غالباً للمستعربين من العجم

اعلم أن لفظة الذوق تبدأ ولها المعنوتون بفنون البيان ومعناها حصول ملكة البلاغة  
 للسان وقدر تفسير البلاغة وانها مطابقة الكلام للمعنى من جميع وجوهه بنحو امس  
 تقع للتركيب في افادة ذلك فالتصريح بلسان العرب والبلغ فيه به تسمى الهيئة  
 المقيدة لذلك على أساليب العرب وانما مخاطباتهم وينظم الكلام على ذلك الوجه  
 جهده فاذا اتصلت مقاماته بمخالطة كلام العرب حصلت له الملكة في نظم الكلام على  
 ذلك الوجه وسهل عليه امر التركيب حتى لا يكاد ينحرف فيه عن معنى البلاغة التي للعرب  
 وان سمع تركيباً غير جار على ذلك المنهج وجه ونساءه سمعه بأدنى فكر بل وبغير فكر  
 الابعاء استفاد من حصول هذه الملكة فان الملكات اذا استقرت ورخت في محالها  
 ظهرت كأنها طبيعة وجبلته لذلك المحل ولذلك يغفل كثير من المغفلين عن لم يعرف شأن  
 الملكات أن الصواب للعرب في لغتهم اعراباً وبلاغة أمر طبيعي ويقول سكان  
 العرب نطق بالطبع وليس كذلك وانما هي ملكة لسانية في نظم الكلام تمكنت  
 ورخت فظهرت في بادئ الرأي أنما جبلته وطبع وهذه الملكة كما تقدم انما تحصل  
 بممارسة كلام العرب وتكرره على السمع والتفطن لغوامس ترا كيه وليست تحصل  
 بمعرفة القوانين العلمية في ذلك التي استبطاها اهل صناعة اللسان فان هذه القوانين  
 انما تفيد علماً بذلك اللسان ولا تفيد حصول الملكة بالتفعل في محلها وقدر ذلك  
 واذا تقرر ذلك فلكه البلاغة في اللسان تهدي البليغ الى وجود النظم وحسن

التركيب الموافق لتراكيب العرب في لغتهم ونظم كلامهم ولورام صاحب هذه الملكة  
 حمداً عن هذا السبيل المعينة والتراكيب المخصوصة لما قدر عليه ولا واقفه عليه  
 أسانه لأنه لا يعتاده ولا تهديه إليه ملكته الراضية عنده وإذا عرض عليه الكلام  
 ما شأنا أسلوب العرب وبلاغتهم في نظم كلامهم أعرض عنه ومجه وعلم أنه ليس  
 من كلام العرب الذين مارس كلامهم وربما يجزعن الاحتجاج لذلك كما تصنع أهل  
 القوانين النحوية والبيانية فإن ذلك استدلال بما حصل من اتقانين المفادة  
 بالاستقراء وهذا أمر وجدنا في حاصل عمارسة كلام العرب حتى يصير كواحد منهم  
 ومثاله لو فرضنا صبياً من صبيانهم نشأ وربي في جيلهم فإنه يتعلم لغتهم ويحكم شأن  
 الأعراب والبلاغة فيما حتى يستولى على غايتها وليس من العلم القانوني في شيء وإنما هو  
 بحصول هذه الملكة في لسانه ونطقه وكذلك تحصل هذه الملكة لمن بعد ذلك الجيل بحفظ  
 كلامهم وأشعارهم وخطبهم والمدائمة على ذلك بحيث يحصل الملكة ويصير كواحد  
 ممن نشأ في جيلهم وربي بين أجيالهم والقوانين بعزل عن هذا واستعير هذه الملكة عندما  
 ترسخ وتستقر اسم الذوق الذي اصطلح عليه أهل صناعة البيان وإنما هو موضوع  
 لأدراك الطعوم لكن لما كان محل هذه الملكة في اللسان من حيث النطق بالكلام كما  
 هو محل لأدراك الطعوم استعير لها اسمه وأضاف هو وجدنا في اللسان كما أن الطعوم  
 محسوسة لا تقبل لذوق وإذا تبين لذلك علمت منه أن الأعاجم إذا اخلت في اللسان  
 العربي الطارين عليه المضطربين إلى النطق به لمخالطة أهلها كالفرس والروم والترك  
 بالشرق وكالبربر بالغرب فإنه لا يحصل لهم هذا الذوق لتصور خطبهم في هذه الملكة  
 التي قرأنا أمرها لأن قصاراهم بعد طائفة من الصمر وسبق ملكة أخرى إلى اللسان  
 وهي لغاتهم أن يعتنوا بما يتداوله أهل مصر بينهم في المحاوراة من مفرد ومركب لما  
 يضطرون إليه من ذلك وهذه الملكة قد ذهبت لأهل الأمصار وبعدواعها كما تقدم وإنما  
 لهم في ذلك ملكة أخرى وليست هي ملكة اللسان المطلوبة ومن عرف تلك الملكة  
 من القوانين المسطرة في الكتب فليس من تحصيل الملكة في شيء إنما حصل أحكامها  
 كما عرفت وإنما تحصل هذه الملكة بالممارسة والاعتقاد والتكرار لكلام العرب فإن  
 عرض لك ما سمعته من أن سيمويه والفسارسي والرخمديري وأمثالهم من فرسان  
 الكلام كانوا أعجماء مع حصول هذه الملكة لهم فاعلم أن أولئك القوم الذين تجمع عنهم  
 إنما كانوا عجماء في نسبهم فقط وأما المربي والنشأة فكانت بين أهل هذه الملكة من  
 العرب ومن تعلم لغتهم فاستولوا بذلك من الكلام على غاية لا وراءها وكانهم في أول  
 نشأتهم من العرب الذين نشأوا في أجيالهم حتى أدركوا كنه اللغة وصاروا من أهلها

هم وان كانوا يعمدون في النصب فليسوا بأعجماء في اذقة والكلام لانهم أدر كوا الملتقى  
عنقوانها واللغة في شباها ولم تذهب آثار الملكة ولا من أهل الامصار ثم عكفوا على  
الممارسة والمداينة للكلام العربي حتى استولوا على غايته واليوم الواحد من العجم  
اذا خاطب أهل اللسان العربي بالامصار أو قل ما يجد تلك الملكة المقصودة من اللسان  
العربي في تخمية الالامار ويجد ملكتهم الخاصة بهم ملكة أخرى مخالفة لملكته اللسان  
الاربي ثم اذا فرضنا أنه أقبل على الممارسة للكلام العرب وأشعارهم بالمداينة  
والحفظ يستفيد تحصلها فقل أن يحصل له ما قد مناه من أن الملكة اذا سبقها ملكة  
أخرى في المحل فلا تحصل الا ناقصة مخدوشة وان فرضنا عجماء في النسب سلم من مخالطة  
اللسان العجمي بالكلية وذهب الى تعلم هذه الملكة بالمداسة فربما يحصل له ذلك لكنه  
من الندور بحيث لا يخفى عليك بما تقرّر ويرى بما يدعى كثير من ينظر في هذه القوانين  
البيانة حصول هذا الذوق لها وهو غلط أو مغالطة وانما حصلت له الملكة ان  
حصلت في تلك القوانين البيانة وليست من ملكة لعبارة في شيء والله يهدي من يشاء  
الى صراط مستقيم

٤ فصل في ان أهل الامصار على الاطلاق قاصرون في تحصيل هذه الملكة اللسانية التي  
تستفاد بالتعليم ومن كان منهم ابعد عن اللسان العربي كان حصولها اصعب واعسر

والسبب في ذلك ما سبق الى المتعلم من حصول ملكة إضافية للملكة المألوفة بما  
سبق اليه من اللسان الحضري الذي أفادته لهجة حتى نزل بها اللسان عن مكانه  
الاولى الى ملكة أخرى هي لغة الحضرة لهذا العهد ولهذا تجد المعلمين يذهبون الى  
المساواة بتعليم اللسان للولدان وقلة العناية أن هذه المسابقة صناعتهم وليس كذلك  
وانما هي تعليم هذه الملكة بمخالطة اللسان وكلام العرب ثم صناعة النحوا أقرب الى  
مخالطة ذلك وما كان من لغات أهل الامصار أعرق في لهجة وأبعد عن لسان مضر  
قصر صاحبه عن تعلم اللغة المضرية وحصول ملكتها التمكن المناسبة حيث قد واعتبر  
ذلك في أهل الامصار فأهل افريقية والمغرب لما كانوا أعرق في لهجة وأبعد عن  
اللسان الاول كان لهم قصور تام في تحصيل ملكته بالتعليم واقتدى ابن الرقيعي  
أن بعض كتاب القديرون كتب الى صاحب لمبا أخى ومن لا عدت ففقدته اعلمني أبو سعيد  
كلما ماتك كنت ذكرت أنك تكون مع الذين تأتي وبما قنا اليوم فلم يتبنا لسان الخروج  
وأما أهل المنزل الكلاب من أمر الشين فقد كذبوا هذا باطلا ليس من هذا حرفا واحدا  
وكلابي اليك وأنا مشتاق اليك ان شاء الله وهكذا كانت ملكتهم في اللسان المضري

شبه ما ذكرنا وكذلك أشعارهم كانت بمسدة عن الملكة نازلة عن الطبقة ولم تزل كذلك  
 لهذا العهد ولها ما كان باقر بقيمة من مشاهير الشعراء الابن رشيق وابن خرف  
 وأكثر ما يكون فيها الشعراء طارئين عليها ولم تزل طبعهم في البلاغة حتى الآن مائلة  
 الى القصور وأهل الاندلس أقرب منهم الى تحصيل هذه الملكة بكثرة معاناتهم  
 وامتلائهم من الحفوف والظلال اللغوية الطامعة وتراهم في ابن حيان المؤرخ أمام أهل  
 الصناعة في هذه الملكة ورافع الراية لهم فيه وابن عسدر به والقسطنطين وأما هــم من  
 شعراء بلوغ الطوائف ما نزلت فيها بحار اللسان والادب وتداول ذلك فيهم اثنين من  
 المسلمين حتى كان الانقراض والجللاء أيام تغلب النصرانية وسفلوا عن تعلم ذلك  
 ونقص العمران فنقص ذلك شأن الصنائع كما نقصت الملكة فقيم عن شأنها حتى  
 باغت الخفيض وكان من آخرهم صالح بن شريف ومالك بن المرحل من تلميذ الطبقة  
 الاشيليين بسنة وكاتب دولة ابن الأحمر في أولها وألقت الاندلس أفلاذ كبدها من  
 أهل تلك الملكة بالجللاء الى العدو وعدوة الاشيلية الى سنة ومن شرق الاندلس الى  
 افر بقة ولم يلبثوا الى أن انقرضوا وانقاع سند تعليمهم في هذه الصناعة لعسر قبول  
 العدو لها ووضعوا عليها يروج السندهم ورسومهم في الجهة البربرية وهي منافية  
 لما قلناه ثم عادت الملكة من بعد ذلك الى الاندلس كما كانت ونجى بها ابن بشر بن وابن  
 جابر وابن الجباب وطبقهم ثم ابراهيم الساحلي العار بجي وطبقته وقضاة ابن الخطيب  
 من بعدهم الهالك هذا العهد شهيد ابعا أعداؤه وكان له في اللسان ملكة لا تدرك  
 واتبع أثره تلميذه بعده وبالجملة فنشأ هذه الملكة بالاندلس أكثر وتعليمها أيسر وأسهل  
 عما هم عليه لهذا العهد كما قلناه من معاناة علوم اللسان ومحافظة عليهم على علوم  
 الادب وسند تعليمها ولا أن أهل اللسان الجهي الذين تفسد ما يكتسبهم انما هم طارئون  
 عليهم وليست محمهم أصلا لغة أهل الاندلس والبربر في هذه العدو وهم أهلها  
 ولسانهم لسانهم الا في الامصار فقط وهم فيها مغضون في بحر محمهم ووطنهم  
 البربرية فيصعب عليهم تحصيل الملكة اللسانية بالتعليم بخلاف أهل الاندلس واعتبر ذلك  
 بحال أهل المشرق العهد الدولة الاموية والعباسية فكان شأنهم شأن أهل الاندلس في  
 تمام هذه الملكة واجادتهم بالبعد عن العهد عن الاعاجم ومخاطبتهم الا في التلذذ فكان  
 أمر هذه الملكة في ذلك العهد أقوم وكان دخول الشعراء والكاتب أو فرتون في العرب  
 وأنشأهم بالمشرف وانظر ما استعمل عليه كتاب الاغانى من قطعهم وترجم فأن ذلك الكتاب  
 هو كتاب العرب وديوانهم وفي لغتهم وأخبارهم واياهم وملتهم العربية وسيرتهم وآثار  
 خلفائهم وملاوكلهم وأشعارهم وغناؤهم وسائر مقاماتهم فلا كتاب أو عجب منه لاجوال



العرب وبقي أمر هذه المملكة مستحكما في المشرق في الدولتين وربما كانت فيهم أبلغ من سواهم من كان في الجاهلية كما ذكره بعد حتى تلاشى أمر العرب ودرست لغتهم وفسد كلامهم وانقضى أمرهم ودولتهم وصار الأمر للأعاجيم والملك في أيديهم والتغلب لهم وذلك في دولة الديلم والسلجوقية وضاظروا أهل الأمصار والحواضر حتى بعدوا عن اللسان العربي وملكتهم وصار متعلمها منهم مقصرا عن تحصيلها وعلى ذلك نجد لسانهم لهذا العهد في المنظوم والمنثور وان كانوا أكثرين منه والله يخلق ما يشاء ويختار والله سبحانه وتعالى أعلم به التوفيق لأرب سواه

#### ٤٥ (فصل في انقسام الكلام الى في النظم والنثر)

(اعلم) أن لسان العرب وكلامهم على فئتين في الشعر المنظوم وهو الكلام الموزون المقفى ومعناه الذي تكون أوزانه كلها على روى واحد وهو القافية وفي النثر وهو الكلام غير الموزون وكل واحد من الفئتين يشتمل على فنون ومذاهب في الكلام فأما الشعر فمخنة المدح والهجاء والزنا وما الترفقه السجع الذي يؤتى به قطعاً ويلتزم في كل كلمتين منه قافية واحدة يسمى مجعاً ومنه المرسل وهو الذي يطلق فيه الكلام أطلافاً ولا يقطع أجزاء بل يرسل إرسالاً من غير تقييد بقافية ولا غيرها ويستعمل في الخطب والدعاء وترغيب الجاهل وروثهم وأما القرآن وإن كان من المنثور لأنه خارج عن الوصفين وليس يسمى مرسل مطلقاً ولا مجعاً بل تفصيل آيات ينهى إلى المقاطع بهذا الذوق بانهاء الكلام عندها ثم يعاد الكلام في الآية الأخرى بعدها ويبنى من غير التزام حرف يكون مجعاً ولا قافية وهو معنى قوله تعالى الله نزل أحسن الحديث كتاباً منشأها مشاقق تقسم من جلود الذين يخشون ربهم وقال قد فصلنا الآيات ويسمى آخر الآيات منها فواصل إذ ليست أجباعاً ولا اتزماً فيها ما يلتزم في السجع ولا هي أيضاً قواف وأطلق اسم المتأني على آيات القرآن كلها على العموم لما ذكرناه واختصت بأم القرآن الغلبة فيها كالجزم للتبليغ ولهذا سميت السبع المتأني وانظر هذا مع ما قاله المفسرون في تعليل تسميتها بالمتأني يشهد لك الحق برجحنا ما قلناه. واعلم أن لكل واحد من هذه الفنون أساليب تختص به عند أهل الفن لا تصلح للفن الآخر ولا تستعمل فيه مثل النسب المختص بالشعر والحمد والدعاء المختص بالخطب والدعاء المختص بالخطبات وأما مثالي ذلك وقد استعملت المتأخرون أساليب الشعر وموازينها في المنثور من كثرة الإسجاع والتزام التقفية وتقيد السبب بين يدي الأغراض وصار هذا المنثور إذا تأتته من باب الشعر وقفته ولم يفترقا إلا في الوزن واستقر

المتأخرون من الكتاب على هذه الطريقة واستعملوها في الخطابات السلطانية  
 وقصروا الاستعمال في المنشور كله على هذا الفن الذي ارتضوه وخطوا الأساليب  
 ثمته وهجروا المرسل وتبلسوه وخصوصاً أهل المشرق وصارت الخطابات السلطانية  
 لهذا العهد عند الكتاب الغفل جارية على هذا الأسلوب الذي أشرنا إليه وهو غير  
 صواب من جهة البلاغ لما يلاحظ في تطبيق الكلام على مقتضى الحال من أحوال  
 الخطاب والمخاطب وهذا الفن المنشور المقتضى أدخل المتأخرون فيه أساليب الشعر  
 فوجب أن تنزه الخطابات السلطانية عنه إذا سلب الشعر تنافها للودعة وخط  
 الجذب الهزل والالطاف في الأوصاف وضرب الأمثال وكثرة التشبيهات والاستعارات  
 حيث لا تدعو ضرورة إلى ذلك في الخطاب والتزام التقية أيضاً من الودعة والتزيين  
 وجلال الملك والسلطان وخطاب الجمهور عن الملوك بالترغيب والترهيب ينافي ذلك  
 ويماينه والمحمود في الخطابات السلطانية الترسيل وهو إطلاق الكلام وإرساله من غير  
 تجميع الألفي الاقل النادر وحيث ترسله الملكة إرسالا من غير تكلفه ثم اعطاء  
 الكلام حقه في مطابقته لمقتضى الحال فإن المقامات مختلفة ولكل مقام أسلوب  
 يخصه من اطناب أو إيجاز أو حذف أو إثبات أو قصر مخرج أو إشارة وكناية واستعارة  
 وأما اجراء الخطابات السلطانية على هذا النحو الذي هو على أساليب الشعر فمذموم  
 وما حمل عليه أهل العصر الاستيلاء العجبة على ألسنتهم وقصورهم ذلك عن اعطاء  
 الكلام حقه في مطابقته لمقتضى الحال فحيزوا عن الكلام المرسل بعدئذ في  
 البلاغة واتساح خطوبه وولعوا بهذا المصنع بلحقون به ما قصه من تطبيق  
 الكلام على المقصود ومقتضى الحال فيه ويجبرونه بذلك القدر من التزيين بالاجتماع  
 والالطاف البديعة ويفعلون عما سوى ذلك وأكثر من أخذ به هذا الفن وبالنسبة في  
 سائر أنحاء كلامهم كتاب المشرق وشعر أؤم لهذا العهد حتى أنهم يخلطون بالأعراب في  
 الكلمات والتصرف إذا دخلت لهم في تقييس أو مطابقة لا ليجته بل من معاهير بحون  
 ذلك الصنف من التقييس ويدعون الأعراب ويسدون فيه الكلمة عما احتسبوا  
 التقييس فتأمل ذلك بما قد مناهك تقف على محنة ما ذكرناه والله الموفق للصواب بمنه  
 وكرمه والله تعالى أعلم

٤٦ (فصل في أنه لا تتفق الإجابة في فني المنظوم والمنثور معاً إلا للاقل)

والسبب في ذلك أنه كما ينه ملكة في اللسان فإذا تسبقت إلى محله ملكة أخرى قصرت  
 بالمحمل عن تمام الملكة اللاحقة لأن تمام الملكات وحصولها للطبائع التي على الفطرة

الاولى أسهل وأيسر واذا تقدمت ملكة أخرى كانت منازعة لها في المدة المقابلة  
وعاقبة عن سرعة القبول فوقعت المتناقاة وتعد ذرا التمام في الملكة وهذا موجود في  
الملكات الصناعية كلها على الإطلاق وقد برهننا على في موضعه بعون هذا  
البرهان فاعتبرتم له في اللغات فانهم الملكات اللسان وهي بمنزلة الصناعة وانظر من  
تقدم له شيء من الجملة فكيف يكون قاصر في اللسان العربي أي إذا لا يعمى الذي  
سبق له اللغة الفارسية لا يستولى على ملكة اللسان العربي ولا يزال قاصرا فيه ولو  
تعلمه وعلمه وكذا البربري والرومي والافرنجي قل أن تجد أحدا منهم محكم الملكة اللسان  
العربي وما ذلك إلا لمساقي إلى أسنهم من ملكة اللسان الآخر حتى أن طالب العلم  
من أهل هذه اللسان إذا طلبه بين أهل اللسان العربي جاء مقصرا في معارفه عن  
الغاية والتوصل وما أتى الأمن قبل اللسان وقد تقدم لك من قبل أن اللسان واللغات  
شبهة بالصنائع وقد تقدم لك أن الصنائع وملكاتهم لا تزدهم وإن من سبق له اجادة  
في صناعة فقل أن يجيد أخرى أو يستولى فيها على الغاية والله خلقكم وماتم لكون

#### ٤٧ (فصل في صناعة الشعر ووجه تعلمه)

هذا الفن من فنون كلام العرب وهو المسمى بالشعر عندهم ويوجد في سائر اللغات إلا  
أنما لا نأخذنا تكلم في الشعر الذي للعرب فإن أمكن أن نجد فيه أهل اللسان  
الآخرى مقصودهم من كلامهم والافل كل لسان أحكام في البلاغة تخصه وهو في لسان  
العرب غريب الزعة عزيز المعنى أذهو كلامه فصل قطعاً قطعاً متساوية في الوزن  
متحدة في الحرف الأخير من كل قطعة وتسمى كل قطعة من هذه القطعات عندهم بيتاً  
ويسمى الحرف الأخير الذي يتفق فيه روياء قافية ويسمى جملة الكلام التي آخره  
قصيدة وكلية وينفرد كل بيت منه بإفادته في تراكيبه حتى كأنه كلام وحده مستقل عما  
قبله وما بعده وإذا فرد كان تاماً في باب في مدح أو تشييب أو رثاء غير من الشعراء على  
اعطاء ذلك البيت ما يستقل في افادته ثم يستأنف في البيت الآخر كلاماً آخر كذلك  
ويستطرد للخروج من فن إلى فن ومن مقصود إلى مقصود بأن يوطئ المقصود الأول  
ومعانيه إلى أن تناسب المقصود الثاني ويعبد الكلام عن التنافر كما يستطرد من  
التشييب إلى المدح ومن وصف البدياء والطلول إلى وصف الركاب أو التحليل أو العطف  
ومن وصف المدح إلى وصف قومه وعساكره ومن التفتيح والفرار إلى الرثاء إلى  
التأثر وأمثال ذلك وبراعى فيه اتفاق القصيدة كلها في الوزن الواحد يحذر أن  
يتساهل الطبع في الخروج من وزن إلى وزن يقاربه فقد يحنى ذلك من أجل المقاربة

على كثير من الناس ولهذه الموازين شروط وأحكام تضمنها علم العروض وليس كل وزن يتفق في الطبع استعملته العرب في هذا الفن وانما هي أوزان مخصوصة تسعها أهل تلك الصناعة الجوروقد حصرها في خمسة عشر بحرا يعني انهم لم يجدوا العرب في غيرها من الموازين الطبيعية نظاما \* واعلم ان فن الشعر من بين الكلام كان شريفا عند العرب ولذلك جعلوه ديوان علومهم واخبارهم وشاهد صوابهم وخطأهم وأصلا يرجعون اليه في الكثير من علومهم وحكمهم وكانت ملكته مستحكمة فيهم شأن الملكات كلها والملكات اللسانيات كلها انما تستب بال صناعة والارتياض في كلامهم حتى يحصل شبه في تلك الملكة والشعر من بين فنون الكلام صعب المأخذ على من يريد ان يكتسب ملكته بالصناعة ممن المتأخرين لاستقلال كل بيت منه بأنه كلام تام في مقصوده ويصلح أن يتردد دون ما سواه فيحتاج من أجل ذلك الى نوع تلتطف في تلك الملكة حتى يفرغ الكلام الشعري في قوالبه التي عرفت له في ذات المثنى من شعر العرب ويرزقه مستقلا بنفسه ثم يأتي بيت آخر كذلك ثم بيت ويستكمل الفنون الوافية بمقصوده ثم يناسب بين البيوت في موالات بعضها مع بعض بحسب اختلاف الفنون التي في القصيدة ولصعوبة مضاهاة وغرابة فننه كان يحكم القرائح في استعادة أساليبه ونحده الافكار في تنزيل الكلام في قوالبه ولا يكتفي فيه ملكة الكلام العربي على الاطلاق بل يحتاج بمقصوده الى تلطف ومحاول في رعاية الاساليب التي اختصها العرب بها واستعمالها ولذا ذكره نسل اوله الاسلوب عند أهل هذه الصناعة وما يريدون بها في اطلاقهم فاعلم أنها عبارة عندهم عن المنوال الذي ينتج فيه التراكيب أو القالب الذي يفرغ فيه ولا يرجع الى الكلام باعتبار اعادة أصل المعنى الذي هو وظيفة الاعراب ولا باعتبار اعادة كمال المعنى من خواص التراكيب الذي هو وظيفة البلاغة والبيان ولا باعتبار الوزن كما استعمله العرب فيه الذي هو وظيفة العروض فهذه العلوم الثلاثة خارجة عن هذه الصناعة الشعرية وانما يرجع الى صورة ذهنية للتراكيب المتظمة كلية باعتبار انطباقها على تركيب خاص وتلك الصورة يتربها ذهن من أعين التراكيب وأشخاصها وبصرها في الخيال كالتقالب أو المنوال ثم يشتق التراكيب الصحيحة عند العرب باعتبار الاعراب والبيان فبرصها فيه وصفا كما فعله البناء في القالب أو التسليح في المنوال حتى تسع التقابل يحصل التراكيب الوافية بمقصود الكلام ويقع على الصورة الصحيحة باعتبار ملكة اللسان العربي فيه فان لكل فن من الكلام أساليب تخص به وتوجد فيه على انحاء مختلفة فسؤال العلول في الشعر يكون بمطاب الطول كقول

\* بإدارية بالعلماء بالسند \* ويحكون باستدعاء العصب للوقوف والسؤال  
كقوله \* فتأسأل الإدار التي خف أهلها \* أو باستدعاء العصب على الطلل  
كقوله \* فتأبئك من ذكرى حبيب ومثل \* أو بالاستدعاء عن الجواب لمخاطب  
غير معين كقوله \* ألم تسأل قصيرك الرسوم \* ومثل تحية الطلل بالامر لمخاطب  
غير معين بهيتها كقوله \* حتى الديار بجانب الغزل \* أو بالدعاء لها بالسقا  
كقوله

اسقى طاولهم أجس هذيم \* وغدت عليهم نصرة ونعيم  
أو سؤاله السقا لها من البرق كقوله

يا برق طالع مغز لا بالبرق \* واحد السحاب لها حذاء الاينق  
أو مثل التقيع في الجزع باستدعاء البكاء كقوله

كذا فليجل الخطب وليقذع الامر \* وليس لعين لم يقض ماؤها عند  
أو باستدعاء الحداث كقوله \* أو أيت من جلاوا على الاء واد \* أو بالتسهيل على  
الأكران بالمصيبة لفقده كقوله

سناث العشب لاحام ولا راع \* مضى الردى بطويل الرمح والباع  
أو بالانكار على من لم يتقبح له من الجمادات كقول المخاطبة  
أيا شجر الخاوي وما للشورعا \* كاتك لم تجزع على ابن طريف  
أو بهتة فرقة بالراحة من ثقل وطأه كقوله

ألقى الرماح ربيعة بن نزار \* أودى الردى بفريقك المغوار

وأمثال ذلك كثير في سائر فنون الكلام ومذاهبه وتنظم التراكيب فيه بالجل وغير  
الجل انشائية وخبرية اسمية وفعلية متفقة وغير متفقة وموصولة على ماهر  
شأن التراكيب في الكلام العربي في مكان كل كلمة من الاخرى يعرفك فيه مائة تنقده  
بالارتياض في أسماء العرب من القالب الكلى المحرر في الذهن من التراكيب المعينة  
التي ينطبق ذلك القالب على جميعها فان مؤلف الكلام هو ككاتبه أو النساخ  
والصورة الذهبية المتطبقة كالقالب الذي يبنى فيه أو المتوال الذي ينسج عليه فان  
خرج عن القالب في بنائه أو على المتوال في نصه كان فاسدا ولا تقول ان معرفة  
قوانين البلاغة كلفة في ذلك لانا تقول قوانين البلاغة انما هي قواعد عملية قياسية  
تفيد جوار استعمال التراكيب على هيأتها الخاصة بالقياس وهو قياس على صحيح  
مطرد كما هو قياس القوانين الاعرابية وهذه الاساليب التي نحن نقرر هالست من  
القياس في شئ انما هي هيئة ترسخ في النفس من تجميع التراكيب في شعر العرب

لجربانها على اللسان حتى تستحكم صورتها فتستفيد بها العمل على مثالها والاحتذاء  
بها في كل تركيب من الشعر كما قد منازك في الكلام بإطلاق وإن القوانين العلمية من  
العربية والبيان لا تنقيد تعليمه بوجه وليس كل ما يصح في قياس كلام العرب وقوايته  
العلمية استعملوا وإنما المستعمل عندهم من ذلك أنما هو معرفة يطلع عليها الحافظون  
لكلامهم تندرج صورتها تحت تلك القوانين القياسية فإذا نظروا في شعر العرب على  
هذا النحو وبهذه الأساليب الذهنية التي تصبر كالقوالب كان نظرا في المستعمل من  
تراكيهم لأنها يقتضيه القياس ولهذا قلنا إن المحصل لهذه القوالب في الذهن إنما  
هو حفظ أشعار العرب وكلامهم وهذه القوالب كما تكون في المنظور تكون في  
المنثور فإن العرب استعملوا كلامهم في كلام القنين وجاءوا به مغضابا في النوعين  
ففي الشعر باق مع الموزونة والقوافي المقيدة واستقلال الكلام في كل قطعة وفي  
المنثور يتبعون الموازنة والتشابه بين القطع غالباً وقد يقيسونه بالإسجاع وقد  
يرسلونه وكل واحدة من هذه معرفة في لسان العرب والمستعمل منها عندهم هو  
الذي يبنى مؤلف الكلام عليه تأليفه ولا يعرفه إلا من حفظ كلامهم حتى يتجزأ في  
ذهنه من القوالب المعينة الشخصية فالكل مطلق يحذف وحذفه في التأليف كما  
يجوز البناء على القالب والتساج على المنوال فلماذا كان من تأليف الكلام منفردا  
عن نظر النحوي والبياني والعروضي نعم إن مراعاة قوانين هذه العلوم شرط فيه  
لا يبنى بدونها فإذا تمحصت هذه الصفات كلها في الكلام اختص بنوع من النظر لطيف  
في هذه القوالب التي يسهونها أساليب ولا يقيسده الاحتفظ بكلام العرب تعلموا وثرا  
وأذا تقرر معنى الأسلوب ما هو فلنذكر بعده حداً أو رسماً للشعر به تفهم حقيقة  
على صعوبة هذا الغرض فإنا لم نقف عليه لأحد من المتقدمين فيما رأينا من قول  
العروضيين في حداثة الكلام الموزون الحق ليس بجهد لهذا الشعر الذي نجر بعده  
ولارسم له وصناعتهم إنما تنظر في الشعر باعتبار ما فيه من الأعراب والبلغة والوزن  
والقوالب الخاصة فلا جرم أن حدهم ذلك لا يصلح له عندنا فلا بد من تعريف يعطينا  
حقيقته من هذا الحيلة فنقول الشعر هو الكلام البليغ المبني على الاستعارة  
والأوصاف المفصل بأجزاء متفقة في الوزن والروي مستقل بكل جزء منها في  
غرضه ومقصده عما قبله وبعده الجاري على أساليب العرب المخصوصة به بقولنا  
الكلام البليغ جنس وقولنا المبني على الاستعارة والأوصاف فصل عما يتلوه من هذه  
فإنه في القالب ليس بشعر وقولنا المفصل بأجزاء متفقة في الوزن والروي فصل عن  
الكلام المنثور الذي ليس بشعر عند الكل وقولنا مستقل بكل جزء منها في غرضه

ومقصده عما قبله وبعده بيان الحقيقة لأن الشعر لا تكون أياته إلا كذلك ولم ينصل  
بشيء وقولنا الجارية على الأساليب المخصوصة به فصل له عما لم يجز منه على أساليب  
العرب المعروفة فإنه حينئذ لا يكون شعرا إنما هو كلام منظوم لأن الشعر له أساليب  
مقصدة لا تكون للشثور وكذا أساليب المنثور لا تكون للشعر فما كان من الكلام  
منظوما وليس على تلك الأساليب فلا يكون شعرا وبهذا الاعتبار كان الكثير من  
لقبائه من شيوخنا في هذه الصناعة الأدبية يرون أن نظم المتنبي والمعري ليس هو من  
الشعر في شيء إلا أنهما لم يجزيا على أساليب العرب من الأمم عند من يرى أن الشعر يوجد  
للعرب وغيرهم ومن يرى أنه لا يوجد لغيرهم فلا يحتاج إلى ذلك ويقول مكانه الجارية على  
الأساليب المخصوصة وإذا قدر فغنا من الكلام على حقيقة الشعر فترجع إلى الكلام  
في كيفية عمله فنقول \* اعلم أن لعمل الشعر وأحكام صناعته شروطا أولها الحفظ من  
جنسه أي من جنس شعر العرب حتى تنشأ في النفس ملكة يتسجم على مثوالها ويغير  
المحفوظ من الخزانة التي الكثير الأساليب وهذا المحفوظ المختار أقل ما يمكن فيه شعر  
شاعر من القبول الأسلامي مثل ابن أبي ربيعة وكثير وذي الرمة وجربرى وأبي نواس  
وحبيب والبصري والرضي وأبي فراس وأكثره شعر كآب الأغانى لأنه جع شعر أهل  
الطبقة إلا الأسماء كالأختار من شعراء الجاهلية ومن كان خاليا من المحفوظ فظفمه  
قاصر ردي ولا يعطيه الزوق والحلاوة إلا كثرة المحفوظ في قل حفظه أو عدم لم  
يكن له شعر وإنما هو تلم ماقط واجتناب الشعر أو لم يكن له محفوظ ثم بعد  
الامتلاء من الحفظ وشهد القرعة للتسج على المنوال يقبل على النظم وبالأكثر منه  
تستحكم ملكته وترسخ ويرعى يقال إن من شرطه نسيان ذلك المحفوظ لتحصي رسومه  
الحرفية الظاهرة أذهى صادقة عن استعمالها بعينها فإذا نسيها وقد تكلفت النفس بها  
انتقى الأسلوب فيها كأنه منوال يأخذ بالتسج عليه بأمثالها من كلمات أخرى  
ضرورية ثم لا بد له من الخلقة واستعبادة المكان المنظورة فيه من المياه والأزهار وكذا  
المسجوع لاسنائة القرحة باستجماعها وتنشيطها بلاذ السور ثم مع هذا كله فشرطه  
أن يكون على جسام ونشاط فذلك أجمع له وأنشط للقرحة أن تأتي بعمل ذلك المنوال  
الذي في حفظه فالواو خير الأوقات لذلك أوقات البكر عند الهبوب من النوم وفرار  
العمدة ونشاط الفكر وفي هؤلاء الجسام ويرعى قالوا إن من بواعثه العشق والاشتاء ذكر  
ذلك ابن رشيق في كتاب العمدة وهو الكتاب الذي انفرج هذه الصناعة وأعطاه حقها  
ولم يكتب فيها أحد قبله ولا بعده مثله قالوا فإن استصعب عليه بعد هذا كله فليتركه  
إلى وقت آخر ولا يكره نفسه عليه وليكن يشا السمت على القافية من أول صوغه ونسجه

بعضهم ويبني الكلام عليها الى آخره لانه ان غفل عن بناء البيت على القافية صعب  
 عليه وضعها في محلها فربما تجيء نازرة فلفظة واذا سمح الخطاط بالبيت ولم يناسب الذي  
 عنده فليتركه الى موضعه الا ليق به فان كل بيت مستقل بنفسه ولم يتق الا المناسبة  
 فليختبر فيها كما يشاء وليراجع شعره بعد الخلاص منه بالنقيج والنقد ولا يرضى به على  
 التزلز اذ المبلغ الاجادة فان الانسان مفتون بشعره اذ هو نبات ففكره واختراع  
 قريحته ولا يستعمل فيه من الكلام الا الافصح من التراكيب والخالص من  
 الضرورات اللسانية فليجبرها فانها تنزل بالكلام عن طبقة البلاغة وقد حذر أئمة  
 اللسان عن المولد ارتكاب الضرورة اذ هو في سعة منها بالعدول عنها الى الطريقة  
 المثلج من الملكة ويحسب أيضا المعقد من التراكيب جهده وانما يقصد منها ما كانت  
 معانيه تسابق ألفاظه الى الفهم وكذلك كثرة المعاني في البيت الواحد فان فيه نوع  
 تعقيد على الفهم وانما المختار منه ما كانت ألفاظه طبعا على معانيه أو أوفى فان كانت  
 المعاني كثيرة كان حسوا واستعمل الذهن بالقوص عليها فخرج الذوق عن استيفاء  
 مدركه من البلاغة ولا يكون الشعر سهلا الا اذا كانت معانيه تسابق ألفاظه الى  
 الذهن ولهذا كان شيوخنا رحمهم الله يعيبون شعرا أبي بكر بن خلفا شاعر شرق  
 الاندلس لكثرة معانيه وازدسامها في البيت الواحد كما كانوا يعيبون شعرا المتنبى  
 والمعري بعدم النج على الاساليب العربية كما مر فكان شعرهما كلاما منظوما نازلا  
 عن طبقة الشعر والحق كما بذلك هو الذوق وليحسب الشاعر أيضا الحوشى من الالفاظ  
 والمقصر وكذلك السوقي المبتذل بالتداول بالاستعمال فانه ينزل بالكلام عن  
 طبقة البلاغة أيضا فيصير مبتذلا ويقترب من عدم الافادة ~~كقولهم~~ التواشاة  
 والسمافوقتا وقد ارما يقترب من طبقة عدم الافادة يبعد عن رتبة البلاغة اذ هما  
 طرفان ولهذا كان الشعراء في الربائيات والنوبات قليلي الاجادة في الغالب ولا يهتدون  
 فيه الا القبول وفي القليل على العشر لان معانيها متداولة بين الجمهور فتصير مبتذلة  
 لذلك واذا عذر الشعر بعد هذا كله فليراوضه ويعاوده فان القريحة مثل الضرع عذرة  
 بالامتناع ويحسبنا التزلزوالاهمال والجلالة فهذه الصناعة وتعلمها مستوفى في كتاب العمدة  
 لابن ريشيق وقد ذكرنا منها ما حضرنا بحسب الجهد ومن اراد استيفاء ذلك فعليه بذلك  
 الكتاب ففهمه الغبي من ذلك وهذه نبذة كافية والله المعين وقد تنظم الناس في امر هذه  
 الصناعة الشعرية ما يجب فيها ومن أحسن ما قيل في ذلك وأظنه لابن ريشيق  
 لعن الله صنعة الشعر ماذا \* من صنوف الجهال منه لقينا  
 يؤثرون الغريب منه على ما \* كان سهلا للسامعين مينا



ويرون الحال معنى صحيا \* وخسيس الكلام شباخيها  
 يجهلون الصواب منه ولا يد \* روت للجهل انهم يجهلون  
 فهم عند من سوانا يلامو \* ن وفي الحق عندنا يعذرونا  
 انما الشعر ما يناسب في النظم \* وان كان في الصفات فنونا  
 فاني بعضه بشا كل بضعا \* واقامت له الصدور الماتونا  
 كل معنى انال منه على ما \* تمنى ولم يكن أو يكونا  
 فتنا هي من البيان الى أن \* كاد خسنائين لنا نظرينا  
 فكان الالفاظ منه وجوه \* والمعاني ركن فيها عيوننا  
 ان ما في المرام حسب الاماني \* يتحلى بحسنه المقشودنا  
 فاذا ما مدحت بالشعر حزا \* رمت فيه مذاهب المشتمينا  
 فجعلت التسبب سهلا قريبا \* وجعلت المديح صدق اميننا  
 وتعليت ما يهجن في السمع \* وان كان لفظه موزونا  
 واذا ما عرضته بهجا \* عبت فيه مذاهب المرقينا  
 فجعلت التصريح منه دواء \* وجعلت التعريض داء دفيننا  
 واذا ما بكيت فيه على العا \* دين يوما للبين والظاعنيننا  
 حلت دون الاسى وذات ما كا \* ن من الهمع في العيون معونا  
 ثم ان كنت تائباجت بالوعيد وعيدا \* وبالصعوبة لنا  
 قمر صكت الذي عنت عليه \* حذرا آتعا عز زامهينا  
 وأصح القريض ما تارب النظم \* وان كان واضحا مستقينا  
 فاذا قبل أطمع الناس طرا \* واذا ريم أجهز المهجرتنا  
 ومن ذلك ايضا قول بعضهم

الشعر ما قومت ربع صدوره \* وشددت بالتمذيب أسمنتونه  
 ورأيت بالاطناب شعب صدوعه \* وقصت بالايجاز عور عيونيه  
 وجهت بين قريه وبعيده \* وجهت بين محبة ومعينيه  
 واذا مدحت به جوادا ما جادا \* وقصيته بالشكر حق ديونه  
 أمضيت به بنقش ورضيته \* وخصته بخطيره ونعنيه  
 فيكون جزلا في ماق صنوفه \* ويكون سهلا في اتفاق فنونه  
 واذا جعكت به الدبا رواه لها \* أجريت للمحزون ما مشورته  
 واذا أردت كناية عن رية \* باينت بين ظهوره وبطوره

لمعنى سامعه يشوب شكوكه \* بثبوتيه وظنونه يبينه

٤٨ (فصل في ان صناعة النظم والنثر انها هي في الالفاظ لا في المعاني)

(اعلم) أن صناعة الكلام نظما ونثرا انما هي في الالفاظ لا في المعاني وانما المعاني تبع لها وهي أصل فالصانع الذي يحاول ملكة الكلام في النظم والنثر انما يحاولها في الالفاظ بحفظ أمثالها من كلام العرب لكيلا يستعمله ويجريه على لسانه حتى تستقر له الملكة في لسان مضر ويخلص من العجة التي ينفى عليها في جيله ويغرض نفسه مثل وليد ينشأ في جبل العربي بطش لغتهم كما يلقونها الصبي حتى يصير كأنه واحد منهم في لسانهم وذلك ان تقدمنا أن لسان ملكة من الملكات في النطق يحاول تحصيلها بتكرارها على اللسان حتى تحصل والذي في اللسان والنطق انما هو الالفاظ وأما المعاني فهي في الفهمات وأيضاً فالمعاني موجودة عند كل واحد وفي طوع كل فكر منها ما يشاء ويرضى فلا يحتاج الى صناعة وتأليف الكلام العبارة عنها والاحتياج للصناعة كما قلناه وهو بمثابة القوالب للمعاني فكأن الاواني التي يعترف بها الماء من العرمتها آنية الذهب والفضة والصدف والزجاج والخزف والماء واحد في نفسه يختلف الجودة في الاواني المملوءة بالماء باختلاف جنسها باختلاف الماء كذلك جودة اللغة وبلاغتها في الاستعمال تختلف باختلاف طبقات الكلام في تأليف باعتبار تطبيقه على المقاصد والمعاني واحدة في نفسها وانما الجاهل يتألف الكلام وأساليبه على مقتضى ملكة اللسان اذا حاول العبارة عن مقصوده ولم يحسن بمثابة المقعد الذي يروم النهوض ولا يستطيعه لثقله ان القدرة عليه والله يعلمكم ما لم تكونوا تعلمون

٤٩ (فصل في ان حصول هذه الملكة بكثرة الحفظ وجودتها بجودة المحفوظ)

قد قدمنا أنه لا بد من كثرة الحفظ لمن يروم تعلم اللسان العربي وعلى قدر جودة المحفوظ وطبقة في جنسه وكثرته من قلته تكون جودة الملكة الحاصلة عنه للمحافظة فمن كان محفوظه شعر حبيب أو الصائلي أو ابن المعتز أو ابن هاني أو الشريف الرضي أو رسائل ابن المقفع أو سهل بن هرون أو ابن الرزاي أو البديع أو الصائلي تكون ملكة أجود وأعلى مقام ورتبة في البلاغة ممن يحفظ شعر ابن سهل من المتأخرين أو ابن التيبه أو ترسل اليسانى أو العباد الاصمهاى تزول طبقة هؤلاء عن أولئك يظهر ذلك للبعير الناقد صاحب الذوق وعلى مقداره جودة المحفوظ أو السمع ع تكون جودة الاستعمال من بعده ثم جادة الملكة من بعدهما فبارتقاء المحفوظ في طبقته من

الكلام ترتقي الملكة الحاصلة لأن الطبع انما يسبح على منارها وتنفقوى الملكة  
بتغذيتها وذلك أن النفس وإن كانت في جبلتها واحدة بالنوع فهي تختلف في البشر  
بالقوة والضعف في الادراكات واختلافها انما هو باختلاف ما يرد عليها من  
الادراكات والملكات والالوان التي تكفيها من خارج فبهذه يتم وجودها وتخرج من  
المقرة الى الفعل صورتها والملكات التي تحصل لها انما تحصل على التدريج كافة منها  
فالملكة الشعرية تشأ بحفظ الشعر وملكة الكتابة يحفظ الاسجاع والترسيل والعلمية  
بمخالطة العلوم والادراكات والابحاث والاقتدار والفقهية بمخالطة الفقه وتخلي  
المسائل وتقرعها وتخرج الفروع على الاصول والتصوفية الى بابية بالعبادات  
والاذكار وقطيع الحواس الظاهرة في الخلوة والافتراد عن الخلق ما استطاع حتى تحصل  
لملكة الرجوع الى حبه الباطن وروحه وينقلب ريانا وكذا سائرها والنفس في كل  
واحدة منها لون تكيف به وعلى حسب ما نشأت الملكة عليها من جودة أو رداءة تكون  
تلك الملكة في قسم الملكة البلاغة العالية الطبقة في جنسها انما تحصل بحفظ العالي  
في طبقة من الكلام ولهذا كان الفقهاء وأهل العلوم كلهم قاصرين في البلاغة وما  
ذلك الا لما يسبق الى محفوظهم ويمتلي به من القوانين العلمية والعبارات الفقهية  
الخارجة عن أسلوب البلاغة والنازلة عن الطبقة لأن العبارات عن القوانين والعلوم  
لاحظ لها في البلاغة فاذا سبق ذلك المحفوظ الى الفكر وكثرت ثلوث به النفس جاءت  
الملكة الناشئة عنه في غاية القصور وانحرفت عباراته عن أساليب العرب في كلامهم  
وهكذا انجد شعر الفقهاء والنحاة والمتكلمين والفقهاء وغيرهم من لم يمتلي من حفظ  
النق الحزمين كلام العرب (أخبرني) صاحبنا الفاضل أبو القاسم بن رضوان كاتب  
العلامة بالدولة المرسية قال ذكرت يوما صاحبنا أبا العباس بن شبيب كاتب السلطان  
أبي الحسن وكان المتقدم في البصر باللسان له هذه فأنشدته مطلع قصيدة ابن النحوي  
ولم أنسبها وهو هذا

لم أدرب حين وقت بالاطلال \* ما لفرق بين جديدها والبالى  
فقال لي على البدنية هذا شعر فقيه فقلت له ومن أين لك ذلك قال من قوله ما لفرق  
أدري من عبارات الفقهاء وليست من أساليب كلام العرب فقلت له الله أبوك انه ابن  
التصوى \* وأما الكتاب والشعر اقليلسا وكذلك تخييرهم في محفوظهم ومخاطبتهم  
كلام العرب وأما السبهم في الترسل وانتقلهم له الجسد من الكلام \* ذكرت يوما  
صاحبنا أبا عبد الله بن الخطيب وزير الملوكة بالاندلس من بني الاحمر وكان الصدر المتقدم  
في الشعر والكتابة فنقلت له أجد استصعابا على في نظم الشعر من رمته مع بهر يبه

وحفظني العبد من الكلام من القرآن والحديث وفنون من كلام العرب وإن كان  
محفوظي قليلا وما أتيت والله أعلم من قبل ما حصل في حفظي من الاشعار العالية  
والقوانين التأليفية فاني حفظت قصيدتي الشاطبي الكبرى والصغرى في القرائات  
وتدارست كتابي ابن الحاجب في اللغة والاصول وجعل الخوارجي في المنطق وبعض كتاب  
التسهيل وكثيرا من قوانين التعليم في المجالس فامتلا محضوني من ذلك وخدش وجه  
الملكة التي استعددت لها بالمحفوظ الجيد من القرآن والحديث وكلام أقرب عساق  
القرية عن بلوغها فنظر الى ساعة مجعبا ثم قال لله أنت وهل يقول هذا الامثلك \*  
ويظهر لك من هذا الفصل وما تقرر فيه سر آخر وهو اعطاء السبب في أن كلام  
الاسلاميين من العرب اهل طبقة في البلاغة وأدواقها من كلام الجاهلية في منثورهم  
ومنظومهم فانخذ شعر حسان بن ثابت وعمر بن أبي ربيعة والخطيب وجبريل والفرزدق  
ونصيب وغيلان ذي الرمة والاحوص وبشار ثم كلام السلف من العرب في الدولة  
الاموية وصدر من الدولة العباسية في خطبهم وترسلهم ومحاوراتهم للملوك ارفع طبقة  
في البلاغة من شعر النابغة وعنترة وابن كلثوم وزهير وعتقة بن عبد وطرفة بن العبد  
ومن كلام الجاهلية في منثورهم ومحاوراتهم والطبيع السليم والذوق الصريح شاهدان  
بذلك للناقد البصير بالبلاغة والسبب في ذلك ان هؤلاء الذين أدركوا الاسلام هموا  
الطبقة العالية من الكلام في القرآن والحديث اللذين يجز البشر عن الايمان بمثليهما  
لكنها ولجت في قلوبهم ونشأت على آساليبها فتوسم فتضت طباعهم وارتقت  
ملكاتهم في البلاغة على ملكات من قبلهم من اهل الجاهلية عن لم يسمع هذه الطبقة  
ولانشأ عليها فكان كلامهم في نظمهم ونثرهم أحسن ذيابة وأصنى روثا من أولئك  
وأرصف مني وأعدل ثمة فاجبا استفادوه من الكلام العالي الطبقة وتأمل ذلك  
يشهد لك به ذوقك ان كنت من اهل الذوق والتبصر بالبلاغة \* ولقد سألت يوما  
شيخنا الشريف أبا القاسم قاضي غرناطة له دنا وكان شيخ هذه الصناعة أخذ بسببة  
عن جماعة من مشيختها من تلاميذ الشاويين واستبحر في علم اللسان وجاء من وراء الغاية  
فيه فسألته يوما ما بال العرب الاسلاميين أعلى طبقة في البلاغة من الجاهليين ولم يكن  
ليستكرر ذلك بذوقه فسكت طويلا ثم قال لي والله ما أدري قلت أعرض عليك شيئا  
ظهر لي في ذلك ولعله السبب فيه وذكرته لهذا الذي كتبت فسكت مجعبا ثم قال لي  
يا فقيه هذا كلام من حقه أن يكتب بالذهب وكان من بعده اباؤي ثم لي ، يصيح في مجالس  
التعليم الى قولي ويشهد لي بالتباهة في العلوم والله خلق الانسان وعلمه البيان

(اعلم) أن الشعر كان ديوان العرب فيه علومهم وأخبارهم وحكمهم وكان رؤساء العرب منافسين فيه كانوا يقفون بسوق عكاظ لأشادهم وعرض كل واحد منهم ديوانه على غول الشان وأهل البصرة لتمييز حوله حتى انتهوا إلى المتأخاة في تعليق أشعارهم بأركان البيت الحرام موضع حجهم وبيت إبراهيم كافعيل امرؤ القيس بن حجر والنابغة الذبياني وزهير بن أبي سلمى وعنترة بن شداد وطرفة بن العبد وعلمة بن عبيدة والاعشى وغيرهم من أصحاب الملققات السبع فإنه إنما كان يتمم إلى تعليق الشعر بهما من كان له قدرة على ذلك بقومه وعصيته ومكانه في. فصر على ما قيل في سبب تسميتهم بألقافات ثم افسرف العرب عن ذلك أول الاسلام بمشاغلهم من أمر الدين والتبوة والوحى وما أدهنتهم من أسلوب القرآن ونظمه فأخسوا عن ذلك وسكتوا عن الخوض في النظم والتبرؤ ما نأثم استقر ذلك وأونس الرشد من الله ولم ينزل الوحى في قعرهم الشعر وحظوه وسجعه النبي صلى الله عليه وسلم وأتاب عليه فرجهاوا - حيثذا إلى دينهم منه وكان لعمر بن أبي ربيعة كبير قريش لذلك العهد مقامات فيه عالية وطبقة مرتفعة وكان كثيرا ما يعرض شعره على ابن عباس فيقف لاستماعه مجيبا به ثم جاء من بعد ذلك الملك والدولة العزيزة وتقرب إليهم العرب بأشعارهم يمدحونهم بها ويهينونهم بها فاعظم الجوارح على نسبة الجوده في أشعارهم ومكانتهم من قومهم ويحرمون على استبداد أشعارهم يطالعون منها على الآثار والأخبار واللغة وشرف اللسان والعرب يطالبون وليدهم يحفظهم أو لم يرل هذا الشأن أيام بني أمية وصدر من دولة بني العباس وانظر ما نقله صاحب العقد في مسامرة الرشيد للإدعى في باب الشعر والشعراء فجدما كان عليه الرشيد من المعرفة بذلك والرسوخ فيه والعناية بالتحال والتبصر بحيد الكلام وورديه وكثرة تصفونه - ثم جاء خلق من بعدهم لم يكن اللسان لسانهم من أجل البهجة وتقصيرها باللسان وانما تعلقوا صناعة تهمدوا بأشعارهم أمراء العجم الذين ليس اللسان لهم طالين معروفهم فقط لاسوى ذلك من الأغراض كافله حبيب والبعثرى والمتنقى - وإن هاتين ومن بعدهم إلى علم جزا فصار غرض الشعر في الغالب انما هو الكذب والاستجداء لذهاب المنافع التي كانت فيه للأولين كما ذكرناه آنفا وأنفسه من ذلك أهل الهمم والمراقب من المتأخرين وتقير الحال وأصبح تعاطيه هجته في الرياسة ومذقة لاهل المناصب الكبيرة والتمقلب الليل والنهار

٥١ (فصل في اشعار العرب واهل الامصار لهذا العهد)

(اعلم) أن الشعر لا يختص باللسان العربي فقط بل هو موجود في كل لغة سواء كانت

عربية أو عجمية وقد كان في الغرس شعراء وفي يونان كذلك وذكر منهم أربطوني كتاب  
المنطق أو ميروس الشاعر وأثنى عليه وكان في جبراً أيضاً شعراء متقنين ومن لم يفسد  
لسان مضرو ولغتهم التي دقت مقاييسها وقوانين أعرابها وفقدت اللغات من بعد  
بحسب ما خالطها وما زجها من العجمة فكانت تحبيل العرب بأنفسهم لغة خالفت لغة  
سلفهم من مضري الأعراب جملة وفي كثير من الموضوعات اللغوية ونبأ الكلمات  
وكذلك الحضرة أهل الأمصار نشأت عليهم لغة أخرى خالفت لسان مضري الأعراب وأكثرت  
الأوضاع والتعاريف وخالفت أيضاً لغة الجبل من العرب لهذا العهد واختلقت  
هي في نفسها بحسب اصطلاحات أهل الآفاق فلهذا في الشرق وأما صارة لغة غير لغة  
أهل المغرب وأما صارة وتخالفتها أيضاً لغة أهل الأندلس وأما صارة ثم لما كان الشعر  
موجوداً بالطبع في أهل كل لسان لأن الموازين على نسبة واحدة في أعداد القصائد  
والسواكن وتقابلها موجود في طباع البشر فلم يجر الشعر بفقدان لغة واحدة وهي  
لغة مضري الذين كانوا يقولون وفارساً مبداهه حسبما اشتهر بين أهل الخليفة بل كل جبل  
وأهل كل لغة من العرب المستجيبين والحضرة أهل الأمصار يتعاطون منه ما يطاعونهم  
في اتصاله ووصف بانيه على مذهب كلامهم فأما العرب أهل هذا الجبل المستجيبون عن  
لغة سلفهم من مضري فيقرضون الشعر لهذا العهد في سائر الأعراب على ما كان عليه  
سلفهم المستعربون ويأقون منه بالمطولات مشحولة على مذاهب الشعراء وأما من  
النسب والمدح والرائة والهجاء ويستطردون في الخروج من فن إلى فن في الكلام  
وربما همجوا على المقصود لا على كلامهم وأكثرت بدائهم في قصائدهم باسم الشاعر ثم بعد  
ذلك نسبون فأهل أمصار المغرب من العرب يسمون هذه القصائد بالأصمغيات نسبة  
إلى الأصمى راوية العرب في أشعارهم وأهل المشرق من العرب يسمون هذا النوع من  
الشعر بالبدوي وربما يلحنون فيه الحاناً بسيطة لا على طريقة الضراعة الموسيقية ثم  
يفغنون به ويسمون الغناء به باسم الحوراني نسبة إلى حوران من أطراف العراق  
والشام وهي من منازل العرب البادية وما كتبهم إلى هذا العهد ولهم فن آخر كثير  
التداول في نظمهم يسمونه بمصباح على أربعة أجزأ اصطفاً آخرها الثلاثة في روي  
يؤلفون القصيدة الرابعة في كل بيت إلى آخر القصيدة شبيهة بالربيع والخمسة الذي  
أحدثه المتأخرون من الموالدين ولهؤلاء العرب في هذا الشعر بلاغة فائقة وفيهم النجول  
والتأخرون والكثير من المتخلفين للعالم لهذا العهد وخصوصاً على اللسان يستشكر  
هذه القنون التي لهم إذا سمعها ويمج نظمهم إذا أشد ويعتقد أن ذوقه انما يتأمنها  
لاستحسانها وقد ان الأعراب منها وهذا انما أتى من فقدان الملكة في لغتهم فلم تحصلت

له ملكة من ملكاتهم لشهده طبعه وذوقه بلاغته ان كان سليما من الآفات في فطرته  
وتقره والافلاعراب لا مدخل له في البلاغة انما البلاغة مطابقة الكلام للمقصود  
ولمقتضى الحال من الوجود فيه سواء كان الرفع الاعلى الفاعل والنصب ذا الاعلى  
المفعول أو بالعكس وانما يدل على ذلك قرائن الكلام كما هو لغتهم هذه فالدلالة بحسب  
ما يطلع عليه أهل الملكة فاذا عرف اصطلاح في ملكة واشتهر رحمت الدلالة واذا  
طابقت تلك الدلالة المقصود ومقتضى الحال صحت البلاغة ولا عبرة بقوانين النحاة  
في ذلك وأساليب الشعر وفنونه موجودة في أشعارهم هذه ما عدا حركات الأعراب  
في أواخر الكلم فان غالب كلماتهم موقوفة الآخر ويتم عندهم الفاعل من المفعول  
والمبتدأ من الخبر بقرائن الكلام لا بحركات الأعراب فن أشعارهم على لسان  
الشريف بن هاشم يكنى الجازية بنت سرحان ويذكر قطعها مع قومها الى المغرب

قال الشريف ابن هاشم على \* ترى كبدي حراشكت من زفيرها  
بمز لا اعلام ابن مارات خاطري \* يرد اعلام البدي يلقى عصيرها  
وماذا شكات الروح مما طرأها \* عذاب ودائع تلق الله خيرها  
بحسن قطاع عامري ضميرها \* طوى وهند جاف ذكيرها  
وعادت كما خوار في يد فاسل \* على مثل شوك الطلع عقد وابيرها  
تعبادها اثنين والزرع بينهم \* على شول لوبه والمعا في جريرها  
وبانت دموع العين ذارقات لسانها \* شبيه دقار السواني يديرها  
تدارك منها الجلم حذر اورادها \* مروان يحيى أميرا بكامن مسيرها  
لصين القيعان من جانب الصفا \* عيون ولحمان البرق في غديرها  
ها أيقنى منى سنا بليت غدوة \* بقصد ادناحت منى حتى فقيرها  
ونادى المنادى بالرجيل وشذوا \* وخرج غاربها على مستعيرها  
وشد لها الادهم دياب بن غانم \* على يد ماضى وليد مقرب مسيرها  
وقال لهم حسن بن سرحان عزبوا \* وسوقوا التجموع ان كان ناهو غيرها  
ويد نص وسده سها بالتساح \* وبالمعين لا يجسدوا في صفيرها  
غدر في زمان السخ من عباس الوقي \* وما كان يرعى من حمير مسيرها  
غدر في وهو زعم صديق وصاحبي \* وناليسه ما من دري ما يديرها  
ورجع يقول لهم بلاد ابن هاشم \* ندير البلاد المعطشة ما يخيرها  
حرام على باب بغداد وأرضها \* داخل ولا عائد له من بعيرها  
فصدق دري من بلاد ابن هاشم \* على الشمس احوال الغطان هجيرها

وبانت نيران العذارى قوادح \* فغزوا بجرحان فسيروا أسديها  
ومن قولهم في رثاء أمير زانة أبي سعدى البقرى مقبلهم بانقرضت وأرض الزاب  
ورثاؤهم له على جهة التهكم

تقول قتادة الخبيث سعدى وهاضها \* ولها فى طلعون الباكين هو يلى  
أيا سألنى عن قبر الزناني خليفة \* خذ النعت حتى لا تكون هيبلى  
تراد العلى الواودات وفوقه \* من الربط عيساوى بناء طوبلى  
وله جيل الصور من سائر النقا \* به الواود شرقا والبراع دليلى  
أظلهف كبدي على الزناني خليفة \* قد كن لاهقأب الجياد سليل  
قبيل فقى الهيجا دياب بن غانم \* براحه كافوا المزدنسبلى  
يا جادنا مات الزناني خليفة \* لا ترحل الآن برىد وجيلى  
وبالامر رحلت ثلاثين مرة \* وحشرا وستافى الثمار قليلى  
ومن قولهم على لسان النريف بن هاشم يذكر عثا واقع بينه وبين ماضى بن مقرب  
تستدى ماضى الجياد وقال لى \* أيا شكر ما احناشى عليك رضاش  
أيا شكر عدى مائى وديننا \* ورونا هر يب عرب اليبين غماش  
نحن عدينا فادفوا ما قضى لنا \* كما ضاقت طم الزناد طشا  
ياعدنا يا شكر عدى لبر سلامه \* لبعده ومن عمر بلاده عاش  
أن كانت بنت سيدهم بأرضهم \* هى العرب ماودنا لن طيشا  
ومن قولهم فذكر رحلتهم الى الغرب وعظيهم زانة عليه

وأى جبل ضاع لى فى الشريف بن هاشم \* وأى جبل ضاع قلى جبلها  
أنا كنت أنا وياه فى زهو بيتنا \* عثانى لجه ما عثانى دليلها  
وعدت كاتى شارب من مدامه \* من الخمر قهوة ما قدر من يملها  
أو مثل خطامات مضون كبدها \* غريسا وهى مدقوخه عن قبيلها  
أنا لها زمان الدو حق اذ قخت \* وهى بين عرب غافلا عن نزلها  
كذلك أنا لها لى من الوحى \* شاكى يكبد باديان عليها  
وأمرت قوى بالرجل وجكروا \* وقزوا وشداد الحوايا جلها  
قدنا سبعة أيام محبوس نجعنا \* والبسدم ما ترفع عمود يقلها  
تقل على احداث الثنايا سوارى \* يضل الخزفوق التصاوى تصليها  
ومن شعر سلطان بن مقفر بن يحيى من الزاودة أحد بطون رباح وأهل الرئاسة فيهم  
يقولها وهو معتقل بالمهدية في سجن الأمير أبى زكريا بن أبى حفص أول ملوك الفريضة



يقول وفي فوح النجاسه ذبه \* حرام على أجنان عبي منامها  
 أيا من لقي حالف الوجد والاسى \* وروحاهاى طال ماقى سقامها  
 حجازيه بدويه عريسة \* عداويه ولها بهيد امرامها  
 مولعة بالسد ولا تألف القرى \* سوا عايل الوعدا والى خيامها  
 عمان ومشتهيها كل سرية \* محبونه بها ولها صبح غرامها  
 ريمباعها عشب الاراضى من الحيا \* لوانى من الحور الحلايا حاسها  
 تسوق بسوق العين بما تداركت \* عليها من السحب السوارى غمامها  
 وماذا بكت بالما وماذا تبطلت \* عيون عذارى المزن عذبا جامها  
 كان عروس البكر لاحت ثيابها \* عليها ومن نور الافاق حزامها  
 قفلة ودهنا واتساع ومنه \* ومرعى سوى ماقى مراعى نعامها  
 ومشروبها من مخض ألبان شولها \* عليهم ومن لحم الحوارى طعامها  
 تعاتب على الابواب والموقف الذى \* يشيب الفق حمايقاسى زعمها  
 سقى الله هذا الوادى المشجر بالحيا \* وبلا ويصيح ما بلى من رعامها  
 فكافأتها بالودى وليتقى \* خلفرت بأيام مضت فى ركنها  
 ليلى أقواس الصبا فى سوا هدى \* اذا قت لا تخطى من ايدى سهامها  
 وفرسى عديد تحت سرعى مسافة \* زمان الصبا مر جاويدى بلعامها  
 وكمن مداح أسهرنى ولم أرى \* من الخلق أبهى من نظام ابتسامها  
 وكمن خيرها من كاعب مرجحة \* مطرزة الاجقان باهى وشامها  
 وصفت من وجدى عليها طريجة \* بكى ولم ينس جنداها ذمامها  
 ونازح خطب الوجد توهج فى الحشى \* وتوجج لا يطقا من الماء مرامها  
 أيا من وعدنى الوعد هذا الى متى \* فى الصبر فى دار عمالي ظلامها  
 ولكن رأيت الشمس تكسف ساعة \* ويفى عليها ثم يبرى عملها  
 بنود ورايات من السعد أجلت \* النبا بعون الله يهفوعملها  
 أرى فى القلاد العين فلعان عزوفى \* ورمحى على كنى وسرى امامها  
 بجوع عاتق التوق من هوذ شامس \* أحب بلاد الله عندى حشامها  
 الى منزل بالجعفرية للذى \* مقبم بها ما للعنسى مقلما  
 وتلقى سراة من هلال بن عامر \* يزيل الصدا والغل عن سلامها  
 بهم تضرب الامثال شرقا ومغربا \* اذا قالوا قوم اسرع انهمزما

عليهم ومن هو لي جاهلهم تحية \* من الدهر ما غنى بقية جملها  
 فذع ذولا تأسف على ما قضي \* ترى الدنيا ما دامت لأحد واما  
 ومن أشعار المتأخرين منهم قول خالد بن حزة بن هرثجة الكعوب من أولاد أبي اللبس  
 يعاتب أقاتهم أولاد مهمل ويحيب شاعرهم شبل بن مسكاته بن مهمل عن أبيات نثر  
 عليهم فيها يقومه

يقول وذاقول المصائب الذي نشأ \* قوارع قيعان يعانى مصاعها  
 يرجع به لعدى المصائب اذا اتقى \* فتونا من انشد القوافي عراجها  
 محبرة مختارة من نشادنا \* قصدي بها تام الوشائلها  
 مغربة عننا قد في غضوناتها \* محكمة القعان داي وداهها  
 وهضبة تذكارى لها يذوى الندى \* قوارع من شبل وهضى جوابها  
 اشبل جنبنا من جبل طرائفنا \* فراح يرجع الموجهين القناها  
 نغرت ولم تقصر ولا أنت عادى \* حوى قلت في جمهورها ما أعابها  
 اقولا في أم التسين بن حزة \* وحامى حماها عاديا في عراجها  
 أما تعلم انه قلها بعد مالى \* رصاص بن يحيى وعلاق داهها  
 شهابا من أهل الامر يا شبل نارق \* وهل ريت من جالوى واصطلى بها  
 شواهد طفاهأضرت بعد طفيه \* وأنا طفاهأ حاسر الأهابها  
 واضرم بعد الطفيتين القى صحت \* نعلنا الى بيت المنايا فتدى بها  
 كما كان هو يطالب على داهيت \* رجال بن مكعب الذي تقي بها  
 ومنها في العتاب

وليد اتعابوا أنا أغنى لاني \* غنيت بعلاق التنا واعتصامها  
 على ونا دفع بها كل مضغ \* بالاسيا فتناش الصد من رغبها  
 فان كانت الاملا لفت عرايس \* علينا باطراف القنا اختصامها  
 ولا تضرها الارهاق ودبل \* وزرق السبابا والمطايا ركا بها  
 بنى عننا ما ترضى الذل علمه \* تسير كالسنة الحناش انسلابها  
 وهي عالما بان الناي اقليلها \* بلا شك والدينا مريع انقلابها  
 ومنها في وصف الظلمات

نظعن قطوع البيد لا تحشى العدا \* فتوف بجوابات عنوف جنبها  
 ترى العين فيها قل لشبل عرائف \* وكل مهاة محتطها ربابها  
 ترى أهلها غرض الصباح أن يقلها \* بكل حلوب الجوف مائة بابها

لها كل يوم في الاراي قاتل \* ورا الفاجر المزوح صفوا صابها  
ومن قوله في الامثال الحكيمة

وطلبك في المنوع منك سقاة \* وصقلك عن صدعك صواب  
اذ اريت ناسا يلقوا هنك باهم \* ظهروا لطايا بفتح الله باب  
ومن قول شبل يذكر اتساب الكعوب الى برجم

فتساب وشباب من اولاد برجم \* بجميع البرايا تشتمك من نهادهما  
ومن قوله بعاتب اخوانه في موالاة شيخ الموحدين أبي محمد بن تافراكن المستنير بحمالة  
السلطان بتونس على سلطانهم امكفولة أبي اسحق ابن السلطان أبي يحيى وذلك فعيا  
لرب من هصرنا

يقول بلا جهل فتي الجود ناله \* مقالة قوال وقال صواب  
مقالة حيران بذهن ولم يكن \* هريجا ولا فيما يقول ذهاب  
تهبست معنانا بها بالاحاجة \* ولا هريج ينقاد منه معاب  
وليت بها كبدي وهي نعم صاحبه \* حزينه فكلوا الحزين بصاب  
مقوت يادي شرحها عن ما آرب \* جرت من رجال في القليل فراب  
بني كعب أدنى الاقربين لدقتنا \* بني عم منهم شاي وشباب  
جرى عند فتح الوطن نال بعضهم \* مصاافة وذو انشاع جناب  
وبعضهم ملأه عن خصمه \* كما يصلوا قولي يقينه صاب  
وبعضهم موهوب من بعض ملكنا \* ضرابا وفي حق الظهير كذاب  
وبعضهم موجابا جرحنا سمحت \* خواطرنا للزول وهاب  
وبعضهم قطار فينا بسوة \* نقهنا حق ما عنا به سلب  
رجع شئنا مما سلفنا تبصه \* حرارا وفي بعض المسار برباب  
وبعضهم شاك من اعداء قادر \* خلق عنه في احكام السقا تباب  
فصنما عنه واقضى منه مورد \* على كرمه مولى البالي ودياب  
وفن هل دافى المدا تطلب العلا \* لهم ماسطعنا القصور نقاب  
وحزنناحي وطن ترشيش بهلما \* نفقتا عليها سبقا ورقاب  
ومهد من الاملاك ما كان خارج \* على احكام والى امره اله ناب  
بردع قروم من قروم قبيلنا \* بني كعب لاواها الزريم وطالب  
جرناهم عن كل تالف في الهدا \* وقنا لهم عن كل قبس مناب  
الى ان عاد من لا كان فيهم همة \* ربيها وخبراته عليه نصاب

وركبوا السبايا المقتات من أهلها \* ولبسوا من أنواع الحرير ثياب  
وساقوا المطايا بالشر الانسواءه \* جاهريما يفسلونها بجلاب  
وكسبوا من أصناف السعايد شأرا \* فغلام لحزات الزمان فغلاب  
وعادوا نظير البرمكين قبل دا \* والا هلالا في زمان دياب  
وصكافوا النادر على كل مهمة \* الى أن بان من نار الصد وشهاب  
خلوا الدار في جنح الظلام ولا اتقوا \* ملأه ولادار الكرام عتاب  
كسوا الحى جل باب الهم لستره \* وهم لودرو والبوا قيع جباب  
لذلك منهم حابس مآدار القنا \* ذهل حلى ان كان عقله غلاب  
يظن ظنونا ليس نحن بأهلها \* تمنى يكن له في السماح شباب  
خطاهو ومن واثاه في سوطه \* بالاثبات من ظن القبايع عاب  
فواعزوني ان القى بومجد \* وهوب لآلاف بغير حساب  
وبرحت الاوغاث منه ويحسبوا \* بروحه ما يهيى روح صباب  
حروا بالمبوا تحت السحاب شرائع \* لقوا كل ما يستأملوه شراب  
وهو لو عطى ما كان للراى عارف \* ولا كان في قلة عطاء صواب  
وان نحن مانستأملوا عنه راحة \* وانه باسهم السلاف صباب  
وان ما وطا ترشيش يضاق وسعها \* عليه ويمشى بالقزوع لراب  
وانه منها عن قريب مفصل \* خنوج عناز هو الهاوقباب  
وعن فائتات العارف يسر غوايج \* ربوا خلف استار وخلف حجاب  
يتبه اذا تاهوا ويسبوا اذا صبا \* بهسن قوائن وصوت رباب  
يضلوه من عدم اليقين وربما \* يطارح حتى ما كانه شباب  
بهم حازه زقه وطوع أوامر \* ولذة ما كول وطيب شراب  
حرام على ابن تافرا كيز ما مضى \* من الود الا ما لى بحراب  
وان كلن له عقل رجب وفتنة \* يلجج في اليم الفريق غراب  
وأما البدا لا بدها من فاعل \* كبار الى أن تسقى الرجال كباب  
ويصيح بها سوق على سلسلعه \* ويصهار موصوف القنا وجباب  
ويصيح غلام طالب ربيع ملكا \* ندوما ولا يمسي صريح بناب  
أباوا كين انخير تبغوا ادا مه \* غلظتوا أدمتوا في السموم لباب  
ومن شعر على بن عمر بن ابراهيم من رؤسائه عامر لهذا العهد أحده بطون زغبة  
يعاتب بنى عمه المتطاولين الى رطلته

محبوبة كالدرة في يد صانع \* اذا كان في تلك الحسرة نظام  
 اياهما منها فيه اسباب ماضى \* وشاء تبارك والضعفون تسام  
 غدا منه لام الحى حين وانشطت \* خصاها ولا يذات طيسه حكم  
 ولا يكن ضميرى يوم بان بهم الينا \* تبرم على شوك القتاد برام  
 والا كابر ارض التهاى قوادح \* وبين عواج الكائنات ضرام  
 والا لكان القلب في يد قابض \* اناهم بمنشار القطيع غشام  
 لما قلت سيمان شقا الين زارنى \* اذا كان بنادى بالفراق وخام  
 الا يا ربوع كان بالامس عامر \* يصير وحله والقطيع لنام  
 وضيد تدانى الخطافى ملاعب \* دجى الليل فبهم ساهرون نام  
 وقم بشوف الناظرين الصامها \* لنا ما بامن مهرق وكظام  
 وعرو دبا به السد عولس ربا \* واطلاق من شرب المها ونعام  
 واليوم ما فيها سوى اليوم سولها \* ينوح على اطلالها وخيام  
 وقفسايم باطورا طويلا نساها \* يصين مخبذ او الدموع مجلج  
 ولا صغى منها سوى وجش خاطرى \* وسقى من اسباب ان عرفت او هام  
 ومن بعد ذاتى لتصوير على \* سلام ومن بعد السلام سلام  
 وقولوا يا ابو الوفا كلج رأيكم \* دخلتم بجمم وورغامات دهام  
 زواخر ما تنقاس بالعود انما \* لها سلات على الفضاء اكلام  
 ولا تقفوها قبل ما يداكم \* وليس البعور الطامينات تمام  
 وعانوا على هلكاتكم في ورودها \* من الناس عدمان العقول تسام  
 اياهم زور ركبو الضلالة ولالهم \* قرار ولا دنيا له حق دوام  
 الا عناهم ولو ترى كيف رأيهم \* مثل سرور فلاه ماله من تمام  
 خلوا القنابر في مرقب العلا \* مواضع ما هي لهم بمقام  
 وحق النى والبيت واركانه الذى \* وما زورها في كل دهر و عام  
 لبر السالى فيه ان طالت الحيا \* يذوقون من خط الكساع مبدام  
 ولا يرتهاق البوادى عواكف \* بكل ردى مطرب وحسام  
 وكل مسافة كالسد اياه عابر \* عليها من اولاد الكرام غلام  
 وكل كبت يكتم عن نابه \* يظل يضارع فى الصناعات لنام  
 وتحمّل بنا الارض القميصة \* وولدنا من كل ضيق كظام  
 بالابطال والقود الهيمان والقتنا \* لها وقت وجنات البسود و زمام

أَتَجْعَدُنِي وَأَنَا عَقِبْدَنْقُودَهَا \* وَفِي سِنٍ رَعَى الْحَرْبُ عَلَامَ  
 وَفِي سِنٍ كَانَتْ ضُرَامُ الْمَوَاتِي بِجَعْلِكُمْ \* حَقٌّ يَضَاوِمُنِ دِيُونِ غَرَامَ  
 مَتَى كَانَ يَوْمُ الْقَطْعِ بِأَمِيرٍ أَوْ عَلَى \* يَلْقَى سَعَابًا صَارِيْنَ قَدَامَ  
 كَذَلِكَ يَوْسُفُ إِلَى الْبَسْرِ بَعْدَهُ \* وَخَلَى الْجِيَادُ الْعَالِيَاتِ تَسَامَ  
 وَخَلَى رَجَالُ الْأَرِيْلِ الضَّيْفِ بَارَهُمْ \* وَلَا يَجِيعُ عَوَابِدُهُ الْعَدُوْزِمَامَ  
 الْأَيْقُمُوهَا وَعَقْدُ بُوْسُومِ \* وَهُمْ عَذُوْبُهُ دَائِمًا وَدَوَامَ  
 وَكَمْ نَارُ طَعْنِهَا عَلَى الْبَدَنِ سَابِقِ \* مَا بَيْنَ صَمَاحٍ وَمَا بَيْنَ حَسَامِ  
 فَتَى نَارِ قَطَارِ الصَّوْبِ يَوْمَنَا عَلَى \* لَنَا أَرْضُ تَرَكَ الْقَطَاعِيْنَ زِمَامَ  
 وَكَمْ ذَا يَجِيْبُو الْتَرَاهِمَ غَنِيَّةِ \* حَلِيفَةُ النَّبَا سَمَاعِ كُلِّ غِيَامِ  
 وَأَنْ جَانًا جَفُوهُ الْمَوْلُودُ وَسَعَا \* غَدَا طَبْعُهُ يَجِدِي عَلَيْهِ قِيَامَ  
 عَلَيْكُمْ سَلَامُ أَهْلِهِ مِنْ لَسَنِ قَاهِمِ \* مَا خَنَتِ الْوَرَقَا وَنَاحِ حِمَامِ  
 وَمِنْ زَهْرٍ عَرَبٍ غَرِيْبٍ نَوَاحِي حَوَارِ \* لَأَهْرَاءُ قَتَلَتْ زَوْجَهَا فَبَعَثَتْ إِلَى أَحْلَافِهِ مِنْ قَيْسِ  
 تَقْرِيبِهِمْ بِطَلَبِ نَارِهِ يَقُولُ

تَقُولُ نَفْسًا خَلِيَّةً أَمَّ سَلَامِهِ \* بَعِيْنَ أَرْوَاحِهِ مِنْ لَارِيْهِ لَهَا  
 تَبِيْتُ بِطُولِ اللَّيْلِ مَا تَأْتِي الْكَرَى \* مَوْجَعَةٌ كَانَتْ الشَّقَا فِي مَجَالِهَا  
 عَلَى مَا جَرَى فِي دَارِهَا وَبَوْعِيَالِهَا \* بِخَفَافَةِ عَيْنِ الْبَيْنِ غَيْرِ حَالِهَا  
 فَقَدْ نَازَى شَهَابُ الدِّينِ بِأَقْيَسِ كَلِمِهِ \* وَتَمَتَّعَ بِأَخْذِ النَّارِ مَا ذَا مَقَالِهَا  
 أَنَا قَلْتُ إِذَا وَرَدَ الْكِتَابُ يَسْرَتِي \* وَيُرَدُّ مِنْ نِيرَانِ قَلْبِي ذُبَالِهَا  
 أَيَا حِينَ تَسْرِحُ الذَّوَابُ وَالْعَمَى \* وَيَبْضُ الْعَذَارَى مَا حِينَ رَجَالِهَا

(الموشعات والأزجال للاندلس)

وَأَمَّا أَهْلُ الْأَنْدَالِ فَلَمَّا كَثُرَ الشَّهْرُ فِي قَطْرِهُمْ وَتَهَذَّبَتْ مَنَاحِيهِ وَفَنُونُهُ وَبَلَغَ التَّيْنِقُ فِيهِ  
 الْغَايَةَ اسْتَحْدَثَ الْمَتَاخِرُونَ مِنْهُمْ فَنَامْنَهُ عَمَّ بِالْمَوْشَحِ سَطْمُونُهُ أَسْمَاطًا وَأَسْمَاطًا  
 أَغْصَانًا يَكْتَرُونَ مِنْهَا وَمِنْ أَعَارِضِهَا الْمُخْتَلِفَةِ وَيَسْمُونَ الْمَتَّهَدَةَ نَهْيَاتًا وَاحِدًا وَيَلْتَزِمُونَ  
 عِنْدَ قَوَائِمِهَا الْأَغْصَانُ وَأَوْرَاقُهَا مَتَابِلًا فِيْمَا بَعْدَ إِلَى آخِرِ الْقِطْعَةِ وَأَكْثَرُ مَا تَنْتَهِي  
 عِنْدَهُمْ إِلَى سَبْعَةِ أَيْيَاتٍ وَيَسْتَقِلُّ كُلُّ يَتٍ عَلَى أَغْصَانٍ عَدَدُهَا بِحَسَبِ الْأَغْرَاضِ  
 وَالْمَذَاهِبِ وَيُنَسِّبُونَ فِيهَا وَيُدْحِجُونَ كَمَا يَفْعَلُ فِي الْقَصَائِدِ وَتَجَارَوْا فِي ذَلِكَ إِلَى الْغَايَةِ  
 وَاسْتَظَرَفَهُ النَّاسُ بِجَلَالِهَا الْخَاصَّةِ وَالْكَافَةِ لِسَهْوَةِ تَنَاوُلِهِ وَرَقِيبِ طَرِيقِهِ وَكَانَ الْخَفَرُ  
 لَهَا بِجَزِيرَةِ الْأَنْدَلُسِ مُقَدِّمٌ مِنْ مَعَاوِرِ الْفَرَبْرِ مِنْ شُعْرَاءِ الْأَمِيرِ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ مُحَمَّدٍ الْمُرَوَّانِيِّ

وأخذ ذلك عنه أبو عبد الله أحمد بن محمد بن عبد الله صاحب كتاب العقد ولم يظهر له جامع  
 المتأخرين ذكر وكسدت سوتها قسكان أول من برع في هذا الشأن عبادة القزاز  
 شاعر المصم بن محمد صاحب المرية وقد ذكر الأعلام الطليوسي أنه سمع أبا بكر بن  
 زهير يقول كل الوشاحين عيال على عبادة القزاز فيما اتفق له من قوله

بدرتم \* شمس مخصا \* غصن نقا \* مسك شم

ما أتم \* ما أوضعا \* ما أورقا \* ما أتم

لاجرم \* من لحا \* قد عسقا \* قد حرم

وزعموا أنه لم يسبق عبادة وشاح من معاصره الذين كانوا في زمن الطوائف \* وجاء  
 مصليا خلفه منهم ابن أرفع راس شاعر المأمون بن ذي النون صاحب طليطلة قالوا  
 وقد أحسن في ابتدائه في موشعته التي طابت له حيث يقول

الود قد نرتم \* بأيدع تلحين \* وسفت المذائب \* رياض البساتين

وفي انتهائه حيث يقول

تخطروا لتسلم \* عباد المأمون \* مروع الكذاب \* يحيى بن ذي النون  
 ثم جاءت الخلبة التي كانت في دولة الملقين فظهرت لهم البدائع وسابق فرسان حلبتهم

الاعشى الطليطلي ثم يحيى بن بقي والطليطلي من الموشعات المهدية قوله

كيف السيل إلى \* صبري وفي المعالم أشتاب

والركب في وسط القلا \* بانقرض التوامم قدبان

وذكر غير واحد من المشايخ أن أهل هذا الشأن بالاندلس يذكرون أن جماعة من  
 الوشاحين اجتمعوا في مجلس بأشبيلية وكان كل واحد منهم اصطنع موشعة وتأنق فيها  
 فتقدم الاعشى الطليطلي للاندلس فافتتح موشعته المشهورة بقوله

ضاحك عن جان \* ما فرعن دور \* ضاق عنه الزمان \* وسواء صدرى

صرف ابن بقي موشعته وتبعه الباكون وذكر الأعلام الطليوسي أنه سمع ابن زهير يقول  
 ما حدث قط وشاح على قول الا ابن بقي حين وقع له

أما ترى أحمد \* في مجده العالي لا يطق \* أطلعه القرب \* فأراسته بامشرق  
 وكان في عصرهما على الموشعين المطبوعين أبو بكر الأبيض وكان في عصرهما أيضا  
 الحكيم أبو بكر بن باجة صاحب التلاحين المعروف ومن الحكايات المشهورة أنه حضر

مجلس مخدومه ابن تقي لوليت صاحب سر قطة فالتقى على بعض قيناته موشعته

جزر الذيل أيعاسر \* وصل الشكر منك بالشكر

نطرب المدوح لذلك فلما ختمها بقوله

عقد الله راية النصر \* لأمير الغلائي بكر

فلما طرق ذلك التلمين سمع ابن تغلوت صاح وأطرباه وثق ثيابه وقال ما أحسن ما بدأت وما خفت وحلف بالآيمان المخططة لا ينشئ ابن باجة إلى داره الأعلى الذهب تخاف الحكيم سوء العاقبة فأحتال بأن جعل ذهباً في نهله وشئ عليه \* وذكر أبو الخطاب بن زهر أنه جرى في مجلس أبي بكر بن زهير ذكر أبي بكر الأبيض الوشاح المتقدم الذكر فقص منه بعض الحاضرين فقال كيف تقص عن يقول

ما لذى شرب راح \* على رياض الافاح \* لولا هضم الوشاح \* إذا أسي في الصباح  
أوفى الاصيل \* أضفى يقول \* ما للشمول \* لعامت خبتي  
وللشمس ال \* هبت فإلى \* غصن اعتدال \* ضعه بردي  
مما أباد القلوبا \* ينشئ لنا مستريا \* بالحظه ردتويا \* ويلامه الشنبا  
برد غليل \* صب غليل \* لا يستحيل \* فيه عن عهدي  
ولا يزال \* في كل حال \* يرجو الوصال \* وهو في الصدة  
واشتهر به هؤلاء في صدر دولة الموحدين محمد بن أبي الفضل بن شرف قال الحسن بن  
دويقة رأيت حاتم بن سعيد على هذا الاقنا شمس فاربت بدرا \* راح ونديم

و ابن جرير و دس الذئبة \* باليلة الوصل والسعود \* بالله هودي

و ابن موهل الذي له \* ما العبد في حلة وطاق \* وشم طيب

و انما العبد في التلاق \* مع الحبيب

و أبو اسحق الرويني قال ابن سعيد سمعت أبا الحسن سهل بن مالك يقول انه دخل على  
ابن زهير وقد أسن وعليه زى البادية اذ كان يسكن بحصن استيه فلم يعرفه فجلس  
حيث انتهى به المجلس وجرث الحاضرة فأنشد لنفسه موشحة وقع فيها

كحل الدجى يجرى \* من قلة الفجر \* على الصباح

ومعصم النهر \* في حلال خضر \* من البطاح

فصرخ ابن زهير وقال أنت تقول هذا قال اخبر قال ومن تكون فعزفه فقال ارتفع  
فوالله ما عرفتك قال ابن سعيد وسابق الحيلة التي أدركت هؤلاء أبو بكر بن زهير وقد  
شرقت موشحاته وغربت قال وسمعت أبا الحسن سهل بن مالك يقول قيل لابن زهير

لو قيل لك ما أبدع وأرفع ما وقع لك في التوشيح قال كنت أقول

ما للموله \* من سكره لا يفتق \* بالسكرانا

من غير خمر \* ما لك كتيب المشوق \* يندب الاوطانا

هل تستعاد \* أيامنا بالخليج \* ولينا



أونستفاد \* من النسيم الأريج \* مسك دارينة  
واد يكاد \* حسن المكان الهيج \* أن يحينا  
ونهر ظله \* دوح عليه أتيق \* مورق فينان  
والماء يجري \* وعام وغسريق \* من جنى الرمان  
واشتهر بهدا بن حيون الذي لمن الزجل المشهور قوله  
تفوق بينهم كل حين \* بمسبب من يدوعين

ويشتد في التصيد

علقت مليح عمت راى \* فليس يجل ساع من قتال  
ويعمل بنى الصين منامى \* ما يعمل فينا بنى التبال  
واشتهر معهما أبو مثنى بغرناطة المهر بن القرس قال ابن سعيد ولما مع ابن زهير قوله  
لله ما كان من يوم هيج \* بنهر حص على تلك المروج  
ثم انقطعنا على فم الخليج \* نفخ في حانه مسك الخنمل  
عن عسجد وانه صافى المدام \* ورد الاصيل ضمه كف الظلام  
قال ابن زهير كما نحن عندهذا الرداء وكان معه في بلد مطرف \* أخبر ابن سعيد عن  
والده أن مطرفا هذا دخل على ابن القرس فقام له وأكسرمه فقال لا تفعل فقال ابن  
القرس كيف لا أقوم لمن يقول

قلوب مصائب \* بألحظ نصيب \* فقل كيف يبقى بلا وجد  
وبعد هذا ابن جرمون جرسية \* ذكر ابن الراسين أن يحيى الخزرجي دخل عليه  
في مجلسه فأنشده موشعة لنفسه فقال له ابن جرمون لا يكون الموشع موشع حتى يكون  
عاريا عن التكلف قال على مثل ماذا قال على مثل قولي

يا جابري هل الى الوصال \* منذ سبيل  
أوهل ترى عن هواله صالى \* قلب العليل  
وأبو الحسن سهل بن مالك بغرناطة \* قال ابن سعيد كان والذي يهيج بقوله  
أن سبيل الصباح في الشرق \* عاد به رافى أجمع الافق \* فتداعت نوادب الورق  
أتراها خافت من الفرق \* فبكت صخرة على الورق  
واشتهر بأشيلة لذلك العهد أبو الحسن بن الفضل قال ابن سعيد عن والده سمعت سهل  
ابن مالك يقول يا ابن الفضل لك على الوشاحين الفضل بقولك

واحسرتا لزمان مضى \* عشية بان الهوى وانقضى  
وأفردت بالرغم لا بالرضى \* وبت على جرات الغضى

أعاقى بالفكر تلك المأول \* وألثم بالوهم تلك الرسوم  
قال وسعت أبا بكر بن الصابوني نفسه الاستاذ أبا الحسن الزجاج موشحاته غير ماهرة  
خاصته يقول له الله ذلك الأفي قوله

قسما بالهوى لى حجر \* مالميل المشوق من فجر  
نجد الصبح ليس يطرد \* مالميل فيما أظن غد \* مع مالميل انك لا بد  
أوقطعت قوادم النسر \* فنبصوم السماء لا تسرى  
ومن موشحات ابن الصابوني قوله

ما حال صبذي ضنى واكتئاب \* أمرضه يا ويلته الطيب  
عامله محبوبه باجتناب \* ثم اقتدى فيه الكرى بالحبيب  
فما جفوني النوم لكفى \* لم أبكه إلا لقد قد انشال  
وذا الوصال اليوم قد عترنى \* منه كاشا مواء الوصال  
فلمست باللائم من مـدنى \* بصورة الحنى ولا بالنشال  
واشهر بين أهل العدو ابن خلف الجزايرى صاحب الموشحة المشهورة  
بدا الاصباح قد قدحت \* زناد الانوار \* فى مجامير الزهر  
وابن هزرا البصاني وله من موشحة

نغر الزمان موافق \* حبالك منه باقسام  
ومن محاسن الموشحات للتأخرين موشحة ابن سهل شعر ابي شيبة رتبته من بعدهم  
فنها قوله

هل دوى ظلى الحنى أن قد حنى \* قلب صب جد عن مكس  
فهو فى نار وضيق مثل ما \* لعبت ربح الصبا بالقيس  
وقد فصيح على منواله فيها صاحبنا الوزير أبو عبد الله بن الخطيب شاعر الاندلس والمغرب  
اعصره وقد مر ذكره فقال

جادك الغيت اذا الغيت هما \* يا زمان الوصل بالاندلس  
لم يكن وصلك الاحلى \* فى الكرى أو خلسة المختلس  
اذ يقول الدهر أسباب الحنى \* تنقل انطلق على مازم  
زمر ابن فـرادى وثى \* مثل ما يدعوا الوفود الموسم  
والحيا قد جلل الروض سنا \* فسنا الازهار فيه تبسم  
وروى النعمان عن ماء السما \* كيف يروى مالك من أنس  
فكساه الحسن فويامعلا \* بردهى منه بأهملى مجلس

في ليل سكنت سرا الهوى \* بالبحر لولانوس القدر  
 مال تبسم الكاس فيها وهوى \* مستقيم السوسعد الاثر  
 وطرفا فيه من عيب سوى \* انه متر كلج البصر  
 حين لذاتوم منا أو كما \* هجم الصبح فحوم الحرس  
 غارت الشهب بنا أو ربما \* أثرت فينا عدون الترحس  
 أي شيء لا مرئ قد خلصا \* فيكون الزوض قد كن فيه  
 تنهب الازهار فيه القمصا \* أمنت من مكره ما تنقيه  
 فاذا الماء تنابج والحصا \* وخلا كل خليل بأخيه  
 تبصر الورد غيورا بدما \* يكتسى من غنطه ما يكتسى  
 وترى الآس لييا فنهما \* يسرق الدمع بأذى فرس  
 يا أهيل الحى من ودى الفضى \* و يقلبى مسكن أنتم به  
 ضاق عن وجدى بكم رجب الفضا \* لا آبالى شرقه من غربه  
 فأعبدوا عهد أنس قد مضى \* تنفذوا عائلكم من كربه  
 واتقوا الله وأجروا مفرما \* يتسلاشى نفسا في نفس  
 حبس القلب عليكم كرما \* أقترضون خراب الحبس  
 و يقلبى بكم ومقرب \* بإحاديث المنى وهو بيميد  
 فخر اطلع منه المقرب \* شقوة المقرى به وهو سيميد  
 قد تساوى محسن أو مذنب \* فى هوا بين وعد ووعد  
 ساحر المقلد معول اللعى \* جال فى النفس مجال النفس  
 سدد السهم ورمى ورمى \* يقوذى نهمه المقترس  
 ان يكن جاره خاب الاصل \* رفواد الصب بالشوق يذوب  
 فهو للنفس حبيب أول \* ليس فى الحب محبوب ذنوب  
 أمره معقل متشمل \* فى ضلوع قد براهاوة لوب  
 حكم العظ بها فاحكما \* لم يراقب فى ضعاف الانفس  
 ينصف المظلوم من ظلما \* ويجازى السر منها والمسى  
 ما قلبي كلما هبت صديا \* عاده عيبد من الشوق جديد  
 كن فى الروح له مكنيا \* قوله ان عذابى لشديد  
 جلب الهسم له والوصيا \* فهو للانجيان فى جهد جهيد  
 لا عجب فى أضلعي قد أضرمنا \* فهو تارفى هدم اليبس

لم تدع من مهجتي الا الدما \* ككفاء الصبح بعد الفلج  
 سلى يا نضر في حكم القضا \* واهرى الوقت برحبي ومتاب  
 واترك ذكرى زمان قد مضى \* بين عتي قد تقصت وعتاب  
 واصرف القول الى المولى الرضى \* ملهم التوفيق في أم الكتاب  
 الكريم المنهى والمنقى \* أسد السرح وبدوا مجلس  
 ينزل النصر عليه مثلما \* ينزل الوحي بروح القدس  
 وأما المشاركة فالتكلف ظاهر على ما عايناه من المونصات ومن أحسن ما وقع لهم  
 في ذلك موشة ابن منا الملك المصرى اشترت شرفا وغربا وأولها  
 يا حبيبي ارفع حجاب النور \* عن الصدر  
 تنظر المسك على الكافور \* في جنة سار

كالى يا نصيب تبين الربى بالحلى \* واجلى سوارها منعطف الجدول  
 ولمشاع فن التوشيح فداهل الأندلس وأخذ به الجهور ونسلاسته وتفق كلامه وترصع  
 أبرارانه نصبت العاقبة من أهل الامصار على منواله ونظموا فى طريقه بلقهم الحضرية  
 من غير أن يلتزموا فيها اعرابا واستصدوه فناسموه بالزجل والتزموا النظم فيه على  
 مناحيسهم الى هذا العهد فآؤ فيه بالقرائب واتسع فيه البلاغة بحال بحسب لغتهم  
 المتشعبة \* وأول من أبدع فى هذه الطريقة الزجلية أبو بكر بن قرمان وإن كانت  
 قبلت قبله بالاندلس لكن لم يظهر حلاها ولا انسبكت معانيها واشهرت رشاقتها الا فى  
 زمانه وكان لعهد الملقين وهو امام الزجالين على الاطلاق قال ابن سعيد ورايت أزجاله  
 مروية يفدأد أكثر مما رأيتها بجواضر المغرب قال وسعت أبا الحسن بن جحدو  
 الاشعيلي امام الزجالين فى عصرنا يقول ما وقع لاحد من أئمة هذا الشأن مثل ما وقع لابن  
 قرمان شيخ الصناعة وقد خرج الى منزله مع بعض أصحابه فجلسوا تحت هريرش  
 وأمامهم فقال أسلمن رخلم يصيب المامن فيه على صفائح من الخمر مد رجة فقال

فعريرش قد قام على دكان \* بحال رواق  
 وأسد قد ابتلع ثمان \* فى غلظ ساق  
 وفتح فيه بحال انسان \* فيه الفواق  
 وانطلق بجري على الصباح \* ولقى الصباح

وكان ابن قرمان مع أنه قرطبي الدار كثيرا ما يتردد الى اشبيلية ويبيت بنهرها فاتفق أن  
 اجتمع ذات يوم جماعة من اعلام هذا الشأن وقد ركبوا فى التهرل للزفة ومعهم غلام  
 جيل الصورة من سروات أهل البلد ويوتهم وكانوا مجتمعين فى زورق للصيد فنظروا

في وصف الحلال وبدأ منهم عيسى البلدي فقال  
يلمع بالخالص قلبى وقد فاقو \* وقد ضمو عشقوا بسهماق  
ترادف حصل سكن جلاق \* فقلق وانكأ أمر عظيم صاباق  
توحش الجفون الكمل اذا عاقو \* وذيك الجفون الكمل أبلأق  
ثم قال أبو عمرو بن الزاهر الاشيلي

نشب والهوى من يلغ فيه نشب \* ترى أش كان دعاء يشق ويتعذب  
مع العشق قام في ما لو يلب \* وخلق كسدي من ذا اللعب ماق  
ثم قال أبو الحسن المقرئ الداني

نهار ملج تعقبى أو صاقو \* شراب وملاح من حول طاقو  
والملج ينقولوا بضمافو \* والنورى أخرى بضمافو  
ثم قال أبو بكر بن مرتين

الحق يريد حديث تعالى عاد \* في الواد الجبر والمتره والصاد  
تنبه حيان ذلك الذى يصطاد \* قلوب الورى هى في شيكافو  
ثم قال أبو بكر بن قزمان

إذا شمرا كما مورمها \* ترى التوير شق اذيك الجها  
وليس مراد وأن يقع فيها \* الا ان يقبل يدياقو  
وكان في عصرهم شرق الاندلس محاض الاسود وله محاضن من الزجل منها قوله  
قد كنت مشبوب واختشيت الشيب \* وردنى ذا العشق لامر صعب  
يقول فيه

حين تنظر الخفا الشريف البهى \* تنتهى في المسره الى ما تنتهى  
يا طالب الكيميا في هيق هى \* تنظريما الغصة ترجع ذهب  
وجان بعدهم حلبة كان سابقها ملغيس وقفت له الجباب في هذه الطريقة فن قوله  
في زجله المشهور

ورذاذدق ينزل \* وشعاع لشعر يضرب  
فترى الواحد يفض \* وترى الآخر يذهب  
والنبات يشرب ويسكر \* والغصون ترقص وتطرب  
وتريد قهى النساء \* ثم تستعفى وتهرب  
ومن محاضن أزجله قوله

لاح النسياء والتجوم حيارى \* فقم بانزع العكسل

شربت حمزوبا من قسراعا \* أحلى هي عندي من العسل  
 بامن يلحن حكما تقلد \* قللك الله بما تقول  
 يقول بان الذنوب مولد \* وأنه يفسد العقول  
 لأرض الخبز يكون لك ارشد \* امس ما ساقك لذا الفضول  
 مرأت للعج وازيارا \* ودعنى في الشرب منهمل  
 من ليس لوقدره ولا استطاعا \* التبة ابلغ من العمل  
 وتظهر بعده ولا مياشيلة ابن جعدرا الذى فضل على الزجالين في فتح ميوقة بالزجل الذى  
 أوله هذا

من عائد التوحيد بالسيف يحقق \* أنا برى عن بعائد الحق  
 قال ابن سعيد لقيه ولقيت تليذه المجمع صاحب الزجل المشهور الذى أوله  
 يا ليتنى ان رأيت حبيبي \* أقبل اذنوب الرسل  
 ليس أخذ عنى الغزير \* وأسرق فم الخيل  
 ثم جاء من بعدهم أبو الحسن سهل بن حالك امام الادب ثم من بعدهم لهذه العصور  
 صاحبنا الوزير أبو عبد الله بن الخطيب امام النظم والنثر فى الملة الاسلامية من غير  
 مدافع عن محاسنه فى هذه الطريقة

امزج الاكواس واملاى تجدد \* ما خلق المال الا أن يتدد  
 ومن قوله على طريقة الصوفية ونحو معنى الشترى منهم  
 بين طالع ونزول \* اختلطت بالفزول \* ومضى من لم يكن \* وبقى من لم يزول  
 ومن محاسنه أيضا قوله فى ذاك المعنى  
 البعد عنك يا بنى أعظم مصابى \* وحين حصل لى قربك نسيت قرايى  
 وكان لعصر الوزير ابن الخطيب بالاندلس محمد بن عبد العظيم من أهل وادى آس وكان  
 اماما فى هذه الطريقة ولهم نجل يعارض به مدغيس فى قوله  
 لاح الضياء والنجوم حيارى \* بقوله

حل الجون بأهل الشطارا \* مذحلت الثمر بالجهل  
 جددوا كل يوم خلاعا \* لا تجمعوا اسمها على  
 اليها يتخلعوا فى سبيل \* على خضرة ذاك النبات  
 وصل بغدادوا جتيا ز النسل \* أحسن عندي فى ذيك الجاهات  
 وطاقتها أصلح من اربعين ميل \* ان مررت الرمح عليه وجات  
 لم يلق الغيسا مارا \* ولا بمقدار ما كحل

وكيف ولا فيه موضع رفعا \* الا ويسر فيه الفصل  
وهذه الطريقة الزجكية لهذا العهد هي فن العلة بالاندلس من الشعر وفيها قطعهم  
حتى انهم ينقطعون بها في اربع الجور الخمسة عشر لكن بلغتهم العاتية ويدهونه الشعر  
الزجكي مثل قول شاعرهم

لي دهر به عشق جفونك وسنين \* وأنت لاشقة ولا قلب يلين  
حتى ترى قلبي من أحلك كمن رجوع \* منعة السكة ما بين الحدادين  
الدموع ترش رش والنار تلتهب \* والمطارق من شمال ومن عين  
خلق الله النصارى للفـرزو \* وأنت تغزوني قلوب العاشقين  
وكان من الجدير لهذه الطريقة لأقول هذه المائة الاديب أبو عبد الله الاوسي وله  
من قصيدة مدح فيها السلطان ابن الاخر

طل الصباح قم يا دمي تشربوا \* ونهضت كمن بعد ما نطرو  
سبيكة الفجر أملت شفقها \* فيمليق الليل وقوم قلبه و  
تري غبارا خالص أبيض نقي \* فنهضت كمن الشفق ذهبو  
وسقوا عكوا عند البشر \* نور الجفون من نورها تكتسبو  
فهو النهار يا صاحبي له هاش \* عيش القتي فيه باقه ما أطبو  
والليل نسا للقبل والعناق \* على سرير الوصل يتقلبو  
جاد الزمان من بعد ما كان بخيل \* واشت كطفه من بربه حضر بو  
كما جرع مر وفيما قد مضى \* يشرب سواه وياكل طبو  
قال الرقيب يا أديبا لا تشذا \* في الشرب والعشق ترى تحبو  
وتعجبوا عذابي من ذا الخبر \* قلت يا قوم ما تعجبوا  
يعشق ملج الارقيق الطباع \* علاش تكفروا بالله أو تكتبو  
لنس يريح الحسن الاشاعر اديب \* بغض يكررو ويدع ثبو  
أما الكاس فحرام نعم هو حرام \* على الذي ما يدري كيف يشربوا  
ويد الذي يحسن حسبه ولم \* يقدر يحسن القاطع أن يجلبوا  
وأهل العقل والفكر والجهون \* بغض ذنوبهم لهذا ان أذنوا  
ظبي همى فيها يطقى الجمر \* وقلبي في جمر الغضى يلجو  
غزال همى ينظر قلوب الاسود \* وما لهم قبل النظر يذهبوا  
ثم يحبسهم اذا اتسم بضحكوا \* وفرحوا من بعد ما شذبوا  
فويهم كالحلم وتغر نقي \* خطيب الامية للقبل يحطبو

جوهر و مرجان أى عقديا قلان \* قد صدقه الناظم ولم يتقبوا  
 وشارب الخضر يريد لاش يريد \* من شبهه بالمسك قد عيسوا  
 يسبل دلال مثل جناح القراب \* ليالى هجرى منه يستغربوا  
 على بدن أبيض بلون الحليب \* ما قط راحى لفسخهم يطلبوا  
 وزوج هندسات ما علت قبلها \* دين الصلايا ريت ما أصلبوا  
 تحت العكا كن منها خصر رقيق \* من رقتو يخفى اذا تطلبوا  
 أرق هو من دين فيما تقول \* جديد عنيك حق ما أكذبوا  
 أى دين يقضى معاك أى عقل \* من تبعك من ذا وذا تسلبوا  
 تحمل ارداف ثقال كالرقيب \* حين ينظر العاشق وحين يرقبوا  
 ان لم ينفس غدر أو ينقشع \* في طرف ديسا والبشر تطلبوا  
 يصير ليك المكان حين تجي \* وحين تغيب ترجع في عيني تبوا  
 محاسنك مثل خصال الامير \* أو الرسل من هو الذي يحسبوا  
 عماد الامصار وفصبح العرب \* من فصاحة لفظه يتقربوا  
 يحمل العلم انفراد العمل \* ومع يدع الشعر ما أكتبوا  
 ففي السدور بالريح ما أطفئه \* وفي الزقاج بالسيف ما أضربوا  
 من السما يحسد في أربع صفات \* فمن يعد قلبي أو يحسبوا  
 الشمس نوروا والقمر هموا \* والفتى جودوا والنجوم منصوبا  
 يركب جواد الجود ويطلق هنان \* الاغنيا والجنس حين يركبوا  
 من خلعتو يلبس كل يوم بطيب \* منه بنات المعالي تطيبوا  
 نعمتو تظهر على كل من يحبه \* فاصد ووارد قط ما خبوا  
 قد أظهر الحق وكان في حجاب \* لاش بقدر الباطل بعد ما يحجبوا  
 وقد بني السرر سكن التقي \* من بعد ما كان الزمان خربوا  
 تخاف حين تلقاه كما ترجمه \* فمع سماحة وجهه ما أسبوا  
 يلقي الحروب ضاحكا وهي عابه \* غلاب هو لاشي في الدنيا يغبوا  
 اذا جسد سيفه ما بين الردود \* فليس شئ يقضى من يضربوا  
 وهو سمى المصطفى والاله \* للسلطنة اختاروا واستحبوا  
 ترام خليفة أمير المؤمنين \* يقود جيوشو ويزين موكبوا  
 لنى الامارة تخضع الرؤس \* نعم وفي تقبيل يديه رغبوا  
 يبيتسه بنى بدور الزمان \* يطلعوا في المنجد ولا يغربوا



وفي المصالح والشرف يحدو \* وفي التواضع والحياء يقربو  
 والله يقيهم مادارا قلقت \* وأشرقت شمسه ولاح كوكبو  
 وما يفتي ذا القصيد في عروض \* يا شمس خد وما لها مغربو  
 ثم استحدث أهل الاصناف بالمقرب فما أترس الشعر في أعاريض من دوجة كلو شمع  
 تطموافيه بلقمتهم الحضرية أيضا وجموعه عروض البلد وكان أول من استعده فيهم  
 رجل من أهل الأندلس نزل بقاس يعرف بابن عمير فنظم قطعة على طريقة الموشح ولم  
 يخرج فيها عن مذاهب الأعراب مطلعها

أبكاني بشاطي التهرنوح الجمال \* على الفصن في البستان قريب الصباح  
 وكف الصخر عمو مداد الظلام \* وماء النسيدي يجري بشجر الأفاع  
 باكرت الرياض والطلل فيها افتراق \* سر الجواهر في نغسور الجوار  
 ودمع السواجر تنهرق انهراق \* يحاصكي ثعابين حلفت بالتمار  
 لووا بالنصون خفافا على كل ساق \* ودار الجميع بالروض دور السوار  
 وأبدى التدي نغز في جيوب الكمام \* ويحصل نسيم المسك عنها رياح  
 وعاج الصبا يطلي بمسك القمام \* وجسر التسم ذبلوا عليها وقاح  
 رأيت الجمال بين الوريق في القضيبي \* قد ابتلت أرياشه بقطر الندى  
 تتوح مثل ذاك المستهام الغريب \* قد اتف من نور الجسدي في ردا  
 ولكن بما أحمر وساق خضيب \* يتظم سلكه جوهر ورتلدا  
 جلس بين الاغصان جلسة المستهام \* جناحا توسد والتسوى في جناح  
 وصار يشكي ما في القواد من غرام \* منها ضم منقاره لصدده وصاح  
 قلت يا جمل احمرمت عيني المصروع \* أراك ما تزال تبكي بدمع صفوح  
 قال لي بكيت حتى صفت لي المصروع \* بلا دمع نبقى طول حياتي تتوح  
 على فرخ طائي لم يكن لورجوع \* ألفت البكا والحزن من عهد فوح  
 كذا هو الوفا وكذا هو الزمام \* انظر يخون صارت بهال المراج  
 وانتم من بكى منكم اذا تم عام \* يصول عناني ذا البكا والتواج  
 قلت يا جمل لو خضت ببحر الحسنى \* كنت تبكي وترثي لي بدمع جنون  
 ولو كان قلبك ما يطلي أنا \* ما كان يصبر فقتلك فروع النصون  
 اليوم نقاضى المصبركم من سنا \* حتى لا سبيل جملة تراني العيون  
 وما كاسجعي النصول والسقام \* أخفى لي نحو لي عن عيون الواح  
 لو جئني المنيا كان يموت في المقام \* ومن مات بعد دابة لم لقد استراح

تألى لورق دبت لاوراق الرأى \* من خوى عليه وذات النفوس للقراد  
 وتخصبت من دعى وذات البياض \* طوق العهد فى عنى ليوم التناد  
 أما طرف منقارى حدشواستفاض \* بأطراف البلد والجسم صار فى الرماد  
 فاستصنأ أهل فاس وولموا به وتعلموا على طريقته ويزكروا الأعراب الذى ليس من  
 شأنهم وكدر جماعه بينهم واستعمل فيه كثير منهم ونوعوه أصنافا إلى المزدوج والكارى  
 والمصلحة والفزل واختلفت أسماؤها باختلاف أئده واجهلوا ملاحظتهم فمهلن  
 المزدوج ما قاله ابن شجاع من غولهم وهومن أهل تازا

المال زينة الدنيا وعز النفوس \* يهوى وجوها ليس هى بأهيا  
 فما كل من هو كثير الفلوس \* ولوه الصكلام والرتبة العالما  
 يكبر من كماله ولو كان صغير \* ويصغر عزز القوم أذيفتر  
 من ذا ينطبق صدرى ومن ذا يصير \* يكاد يتفجع لولا انزجوع للقد ر  
 حتى يلغى من هوى قومو كبير \* لمن لا أصل عند ولا لخطر  
 لذا يفتى يحزن على ذى العكوس \* ويصبح عليه نوبه فراش صافيا  
 التى صارت الأذئاب أمام الرأس \* وصار يستفيد الواد من الساقيا  
 ضحك الناس على ذا وفد ذا الزمان \* ما يدروا على من يكفروا إذا العتاب  
 الى ما وفلان يصيح يا وفلان \* ولورابت فكيف رد الجواب  
 عشنا والسلام حتى رأينا عيان \* ألقاس السلاطين فى جلود الكلاب  
 كبار النفوس جدا ضاعف الاسوس \* هم ناهيا والحمد فى ناهيا  
 يروا أنهم والناس يروهم يروى \* وجوه البلد والعمدة الراسيا  
 ومن مذاهم قول ابن شجاع منهم فى بعض من دوجاه

تعب من تسع قلوب ملاح ذا الزمان \* أهمل باقلان لا يلعب الحسن فيك  
 ما منهم ملج عاهد الاخوان \* قليل من عليه تحبس ويحبس عليك  
 يهبوا على العناق وتغنوا \* ويستعمدوا تقطيع قلوب الرجال  
 وان واسلوا من حينهم يقطعوا \* وان عاهدوا خاوا على كل حال  
 ملج كان هويتو وشق قلبى معو \* وصيرت من خذى لقد مو نعال  
 ومهدت لومن وسط قلبى مكان \* وقلت لقلبي اكرم لمن حلى فيك  
 وهون عليك ما يقتربك من هوان \* فلا بد من هول الهوى يعترق  
 حكموا على وارثيت بأمير \* فلو كان يرى حالى اذا يصرو  
 يرجع مثل درحول بوجه القدير \* مرديه ويتعطى بحال انحروا

وتعلمت من ساعا بسن الضمير \* ويقفهم مراد وقبل أن يذكر  
ويجس في مطلق لو أن كان \* عصر في الريع أو في الليالي يركن  
ويشئ بسوق كان ولو لم يصحان \* وإش ما قبل يحتاج بقل لوبصلا  
حتى أتى على آخرها \* وكان منهم على بن المؤذن سلمان \* وكان لهذه العصور القريبة من  
خولهم بزدهون من ضواحي مكاسة وجل يعرف بالكشف أبداع في مذاهب هذا الفن  
ومن أحسن ما علق له بمفونظي قوله في راحة السلطان أبي الحسن وبني مرزبان  
أفريقية نصف هزيمتهم بالقيروان ويعزهم عنها ويونسهم عا وقع لشيرهم بعد أن  
عيمهم على غزاتهم إلى أفريقية في مطعة من فنون هذه الطريقة بقول في مقصدها وهو  
من أبداع مذاهب البلاغة في الأشعار بالمقصد في مطلع الكلام واقتناحه ويسمى  
براعة الاستلال

سبحان ما لثخاوطر الامرا \* ونواصيا في كل حين وزمان  
ان طعناه عطفهم لنا قسرا \* وان عينا ما عاقب بكل هوان  
إلى أن يقول في السؤال عن جيوش المغرب بعد التلخص

كن مرعى قل ولا تكن راعى \* فالراعى عن رعيته مسؤول  
واستفتح بالصلاة على الراعى \* للاملام والرضا السني المكمول  
على الخلفاء الراشدين والاتباع \* واذكر بعدهم اذا تعجب وقول  
أعجبا تحلوا العصورا \* ودواسر ح البلاد مع سكن  
عسكر فاس المتوة القرا \* وبن سارت بو عزائم السلطان  
أعجبا بالنبي الذي زرع \* وقطعتم لوكلا كل البيدا  
عن جيش الغرب حين يسألكم \* المتلوف في أفريقية السودا  
ومن كن بالعطيا يزودكم \* ويندع برية الجازر غسدا  
قام قل للصداء في الجزرا \* ويهز نسو طبع ما يفتان  
وزف كردوم وتهيب في القبرا \* أي ما زاد غزاهم سبحان  
لو كان ما بين تونس والقرا \* وبلاد الغرب سدة السكندر  
مبنى من شرقها إلى غربا \* طبقا بصيد أو ثابا بصفر  
لا بد الطير أن تحييه نيا \* أو يأتى الريح عنهم فردد خبر  
ما أعوصها من أمور ومشا \* لو تقرا كل يوم على الديوان  
لجرت بالهم وانصدع حجرا \* وهوت الحراب وخافت القزلان  
أدركت بعدة الفصاح \* وتضكرى بخاطر كرجما

ان كان تعلم جام ولا رقاص \* عن السلطان شهر وقبله سبعا  
 تظهر عند المهين القصاص \* وصلات قشر على الصفا  
 الاقوم عارين فلا ستر \* مجهولين لا مكان ولا امكان  
 ما يدروا كيف بصوروا كسرا \* وكيف دخلوا مدينة القيروان  
 امولاي ابوالحسن خطيبنا الباب \* قد سببه سيرنا الى تونس  
 فقتنا كما على الجريد والزاب \* واشتلت في اعراب افريقيا القوميس  
 ما يلقى من عرقى الخطاب \* القاروق فاقح القصرى المولى  
 ملك الشام والحجاز وناج كسرى \* وفتح من افريقيا وسكان  
 وذولت لو كثره ذكرى \* ونضلى فيها تفرق الاخوان  
 هذا القاروق مردى الاعوان \* صرح في افريقيا التصريح  
 وبقت حتى الى زمن عثمان \* وقصها ابن الزبير عن تصحيح  
 لمن دخلت غنائها الدوان \* مات عثمان وانقلب علينا الريح  
 واخترق الناس على ثلاثة امرا \* وبقي ما هول السكون عشوان  
 اذا كان ذاق في مدة البروا \* اتم نعمل في اواخر الازمان  
 واصحاب الحضرة مكاسانا \* وفي تاريخ كلانا وكبوانا  
 تذكري في مصفها ايانا \* شق وسطيح وابن مرانا  
 ان مرين اذا تكفرا ايانا \* لجذا وتونس قد سقط بناينا  
 قد ذكرنا ما قال سيد الوزرا \* عيسى بن الحسن الرقيق الشان  
 قال رابت وانا بهذا ادرى \* لكن اذا جاء الصدر عيت الاعيان  
 وقول لك ماضى المريفيا \* من حضرة فاس الى عصب دباب  
 اراد المولى بموت ابن يحيى \* سلطان تونس وصاحب الابواب  
 ثم اخذني في رحيل السلطان وجيوشه الى آخر رحلته ومنتهى امره مع اعراب افريقية  
 واتى فيها بكل غريسة من الابداع واما اهل تونس فاستعدوا في الملعب ايضا على لفهم  
 الحضرة الا ان كثره ردى ولم يعلق بمحفوظي منه شئ لردائه \* ولكن لعامة بغداد  
 ايضا فن من الله مرسمونه المولى الباقى فنه فنون كثيرة يسعون منها القوم او كلن وكلن  
 ومنه مفرد ومنه في بيتين ويسعونه دويت على الاختلافات المستورة عندهم في كل واحد  
 منها وغالبها من دوجة من أربعة أغصان ونعمهم في ذلك أهل مصر القاهرة وأتوا فيها  
 القرائب وتجرافها في أساليب البلاغة يختص لفهم الحضرة فجاوا بالبحجاب  
 ومن أعجب ما علق بمحفظي منه قول شاعرهم

هذا جواسي طريا \* والسمات تضع  
وقا على يا أخيا \* في القلايح  
قالوا وناخذ بنارك \* قلت ذاقع

ولغيره

طرفت باب الخبا فالت من الطارق \* فقلت مقشون لانايب ولا سارق  
تبسمت لاح لي من ثغرها بارق \* رجعت حيران في بحر ادعى غارق

ولغيره

عهدي بهادى لا تأمن على الدين \* وان شكوت الهوى قالت فذلك العين  
لمن تعنى لها غيرة غليم زين \* نكسرتها العهد قالت لك على دين

ولغيره في وصف الحشيش

دى خر صرف التى عهدي بهايانى \* تفنى عن الخمر والنهار والساق  
تجبا ومن نجها تعمل على احراق \* خيبتها في الحنى طلت من احداق

ولغيره

يا من وما لولا لطفال المحبة يح \* كم توجد القلب بالهجران آوه أح  
أودعت قلبى حوسا والتصريح \* كل الورى كخ في عيني ونضج دح

ولغيره

ناديتها ومنى قد طواني طوى \* جودى على بقله في الهوى يانى  
قالت وفدى كوت داخل فوادى كى \* ما هكذا القطن يحنى فم من هوى

ولغيره

راى انهم سبقت محب ادعى برقه \* ملأ القمام تسدى بدرقى شرقة  
اسبل دجى الشعر ناه القلب في طرقة \* رجع هذا ان يضيظ الصبح من فرقة

ولغيره

يا حادى العيس ازجر بالمطايير \* وقف على منزل اجباني قبيل التبر  
وصبح في حيسم يامن يريد الابجر \* ينهض يصلى على ميت قبيل الهجر

ولغيره

عنى التى كنت أوتى كم بهايانت \* زعى العجوم وبالتمهيد اقتات  
وأسهم الين صابنى ولا قانت \* وسلاوى عظم الله أبركم مات

ولغيره

هويت في قنطر نكم بسلامح الحكر \* غزال يلى الاسود الضار يا بالكر

نصن اذا ما انتفى بسبب البنات البكر \* وان تهلل فالبلد وعندو ذكر

ومن الذي يسهونه دويت

قد أقسم من أحبه بالبارى \* أن يبعث طيفه مع الاسمار

ياتار شوقي به فاقضى \* ليلا فقصه يهتلى بالنار

واعلم أن الأدواق في معرفة البلاغة كلها انما تحصل لمن خالط تلك اللغة وكثر استعمالها  
لها ومخاطبته بها أجماله حتى يحصل ما كتم كما قلناه في اللغة العربية فلا الادلسي  
بالبلاغة التي في شعر أهل المغرب ولا المغربي بالبلاغة التي في شعر أهل الاندلس  
والمشرق ولا المشرق بالبلاغة التي في شعر أهل الاندلس والمغرب لان اللسان  
الحضري وتراكيبه مختلفة فيهم وكل واحد منهم مدون للبلاغة لغته وذائق محاسن  
الشعر من أهل جلده وفي خلق السموات والارض واختلاف السننكم وألوانكم  
آيات \* وقد كدنا أن نخرج من الغرض وعرضنا أن نقبض العنان عن القول في هذا  
الكتاب الاول الذي هو طبيعة العمران وما يعرض فيه وقد استوفينا من مسائله  
ما حسبناه كفاية ولعل من يأتي بعدنا ممن يؤيده الله يفكر صحيح وعلم مبين يغوص  
من مسائله على أكثر مما كتبنا فليس على مستنبط الفن احصاء مسائله وانما عليه  
تعيين موضع العلم وتنويع فصوله وما يتكلم فيه والمتأخرون يطعنون المسائل من بعده  
شيا فقسا الى أن يكمل والله يعلم وأنتم لا تعلمون

قال مؤلف الكتاب عفا الله عنه أتمت هذا الجزء الاول بالوضع والتأليف قبل التنقيح  
والتهذيب في عدة خمسة أشهر آخرها من نصف عام تسعة وسبعين وسبعمائة ثم تمته بعد  
ذلك وهدته وألحقته به توارىخ الامم كما ذكرت في آوله وشرطته وما اهل الامن عنده  
الله العزيز الحكيم

---

تم طبع الجزء الاول المعروف بحكمة ابن خلدون

وبيله الجزء الثاني آوله الكتاب الثاني في

اخبار العرب وأجبالهم ودولهم

سنة مبدا الخلقة

الى هذا

العهد



- ٧ المقدمة في فضل علم التاريخ وتحقيق مذاهب والملامع لما يعرض للمؤرخين من المغالط والاهام وذكر شي من اسبابها
- ٢٩ الكتاب الاول في طبيعة العمران في الخلقة وما يعرض فيها من البدو والحضر والغلب والكسب والمعاش والصنائع والعلوم ونحوها وما لذلك من العلل والاسباب ( وفيه ست فصول كبار )
- ٣٤ الفصل الاول من الكتاب الاول في العمران البشري على الجملة وفيه مقدمات
- ٣٤ المقدمة الاولى في أن الاجتماع الانساني ضروري
- ٣٦ المقدمة الثانية في قسط العمران من الارض والاشارة الى بعض ما فيه من الانبهار والانهيار والاقليم
- ٤٠ تكملة لهذه المقدمة الثانية في أن الربع الشمالي من الارض أكثر عمراناً من الربع الجنوبي وذكر السبب في ذلك
- ٤٣ تفصيل الكلام على هذه الجغرافيا
- ٤٤ الاقليم الاول
- ٤٨ الاقليم الثاني
- ٤٩ الاقليم الثالث
- ٥٥ الاقليم الرابع
- ٦٠ الاقليم الخامس
- ٦٥ الاقليم السادس
- ٦٧ الاقليم السابع
- ٦٩ المقدمة الثالثة في المعتدل من الاقاليم والمنحرف وتأثير الهواء في ألوان البشر والكثير من أحوالهم
- ٧٢ المقدمة الرابعة في أثر الهواء في أخلاق البشر
- ٧٣ المقدمة الخامسة في اختلاف أحوال العمران في الخصب والجوع وما ينشأ عن ذلك من الاستنار في أبدان البشر وأخلاقهم
- ٧٧ المقدمة السادسة في أصناف المدركين الغيب من البشر بالقطرة وبالرياضة ويتقدمه الكلام في الوحي والرؤيا



٨٠ حقيقة النبوة والكهانة والرؤيا بشأن العرافين وغير ذلك من مدارك الغيب

١٠١ الفصل الثاني من الكتاب الاول في العمران البدوي والامم الوحشية

وانقبائل وما يعرض في ذلك من الاحوال وفيه اصول وقواعد

١٠١ فصل في أن أجيال البدو والحضر طبيعية

١٠٢ فصل في أن جيل العرب في الخلقة طبيعي

١٠٣ فصل في أن البدو أقدم من الحضر وسابق عليه وان البادية أصل العمران

والامصار ومدد لها

١٠٣ فصل في أن أهل البدو أقرب الى الخمر من أهل الحضر

١٠٥ فصل في أن أهل البدو أقرب الى الشجاعة من أهل الحضر

١٠٦ فصل في أن معاناة أهل الحضر لاحكام مفسدة للبأس فيهم ذاهبة بالمنفعة منهم

١٠٧ فصل في أن سكنى البدو لا يكون الا لقبائل أهل العصية

١٠٨ فصل في أن العصية انما تكون من الاتهام بالنسب وما في معناه

١٠٩ فصل في أن الصريح من النسب انما يوجد له توحشتين في انفق من العرب

ومن في معناه

١١٠ فصل في اختلاط الانساب كيف يقع

١١٠ فصل في أن الرئاسة لا تزال في نصابها المخصوص من أهل العصية

١١١ فصل في أن الرئاسة على أهل العصية لا تكون في غير نسبهم

١١٢ فصل في أن البيت والشرف بالاصالة والحقيقة لاهل العصية ويكون لغيرهم

بانجاز والشبه

١١٣ فصل في أن البيت والشرف لاهل البيت والاصطناع اغلاو وعالمهم

لا بانسابهم

١١٤ فصل في أن نهاية الحسب في القبط الواحد أربعة آباء

١١٦ فصل في أن الامم الوحشية أقدر على التغلب من مواها

١١٧ فصل في أن الغاية التي تجرى اليها العصية هي الملك

١١٨ فصل في أن من عوانق الملك حصول الترف وانغماس القبيل في النعيم

١١٨ فصل في أن من عوائق الملك حصول المذلة للقبيل والانقياد الى مساوهم

١١٩ فصل في أن من علامات الملك التناقص في الخلال الحميدة وبالعكس

١٢١ فصل في أنه اذا كانت الامة وحشية كان ملكها أوسع

- ١٢٢ فصل في أن الملك اذا ذهب عن بعض الشعوب من أمة فلا بد من عودته الى شعب آخر منها مادامت لهم العصية
- ١٢٣ فصل في أن الغلوب مولع أبدا بالاقديا بالغالب في شعاره وزيه ونخلته وسائر أحواله وعوائده
- ١٢٤ فصل في أن الامة اذا غلبت وصارت في ملك غيرها أسرع اليها الغنا
- ١٢٥ فصل في أن العرب لا يتقلبون الا على البساط
- ١٢٥ فصل في أن العرب اذا تغلبوا على أوطان أمرع اليها الخراب
- ١٢٦ فصل في أن العرب لا يحصل لهم الملك الا بصيغة دينية من نبوة أو ولاية أو أثر عظيم من الدين على الجملة
- ١٢٧ فصل في أن العرب أبعد الام عن سياسة الملك
- ١٢٨ فصل في أن البوادي من القبائل والعصائب مغلوبون لاهل الامصار
- 
- ١٢٩ الفصل الثالث من الكتاب الأول في الدول العاتية والملك والخلافة والمراتب الساطانية وما يدور من ذلك كله من الاحوال وفيه قواعد ومقدمات
- 
- ١٢٩ فصل في أن الملك والدولة العاتية انما يحصل بالنسب والعصية
- ١٢٩ فصل في أنه اذا استقرت الدولة وتمهدت فقد تستفي عن العصية
- ١٣١ فصل في أنه قد يحدث لبعض أهل النصاب الملكي دولة تستفي عن العصية
- ١٣٢ فصل في أن الدول العاتية الاستيلاء العظيمة الملك أصلها الدين ائمان نبوة أو دعوة حتى
- ١٣٢ فصل في أن الدعوة الدينية تزيد الدولة في أصلها قوة على قوة العصية التي كانت لها من عدد
- ١٣٣ فصل في أن الدعوة الدينية من غير عصية لا تتم
- ١٣٥ فصل في أن كل دولة لها حصة من الممالك والاطنان لا تزيد عليها
- ١٣٦ فصل في أن عظم الدولة واتساع نطاقها وطول أمدها على نسبة المؤمنين بها في القلة والكثرة
- ١٣٧ فصل في أن الاوطان الكثيرة القبائل والعصائب قل أن تسخكم فيها دولة
- ١٣٩ فصل في أن من طبيعة الملك الاتقار بالجد
- ١٣٩ فصل في أن من طبيعة الملك الترف
- ١٤٠ فصل في أن من طبيعة الملك الدعوة والسيكون

- ١٤٠ فصل في أنه اذا استحكمت طبيعة الملائم انفراد بالجسد وحصول الترف  
والدعة أقبلت الدولة على الهرم
- ١٤٢ فصل في أن الدولة لها أعمار وطبيعة كمال لانها من
- ١٤٤ فصل في انتقال الدولة من البداوة الى الحضارة
- ١٤٦ فصل في أن الترف يزيد الدولة في أثرها وقوة الى قوتها
- ١٤٦ فصل في أطوار الدولة واختلاف أحوالها وخلق أهلها باختلاف الاطوار
- ١٤٨ فصل في أن آثار الدولة كلها على نسبة قوتها في أصلها
- ١٥٢ فصل في استطهار صاحب الدولة على قومه وأهل عصيته بالموالى والمصطنعين
- ١٥٣ فصل في أحوال الموالى والمصطنعين في الدول
- ١٥٥ فصل فيما يعرض في الدول من حجب السلطان والاستبداد عليه
- ١٥٥ فصل في أن المتغلبين على السلطان لا يشاركونه في اللقب الخاص بالملك
- ١٥٦ فصل في حقيقة الملك وأصنافه
- ١٥٧ فصل في أن أرواح الخدم مضرب بالملك ومفسده في الأكثر
- ١٥٨ فصل في معنى الخلافة والامامة
- ١٥٩ فصل في اختلاف الامة في حكم هذا المنصب وشروطه
- ١٦٤ فصل في مذاهب الشيعة في حكم الامامة
- ١٦٨ فصل في انقلاب الخلافة الى الملك
- ١٧٤ فصل في معنى البيعة
- ١٧٥ فصل في ولاية العهد
- ١٨٢ فصل في الخطط الدينية للخلافة
- ١٨٩ فصل في اللقب بأمر المؤمنين وآتاه من معاني الخلافة وهو محدث عند عهد  
الخلفاء
- ١٩٢ فصل في شرح اسم البابا والبطريرك في الملة النصرانية واسم الكهنة عند  
اليهود
- ١٩٥ فصل في مراتب الملك والسلطان وألقابها
- ٢٠٢ ديوان الاعمال والجبليات
- ٢٠٥ ديوان الرسائل والكتابة
- ٢١٠ قيادة الاساطيل (وهي سفائن الحرب)

- ٢١٤ فصل في التفاوت بين مراتب السيف والقلم في الدول
- ٢١٥ فصل في شارات الملك والسلطان الخاصة به
- ٢١٧ السرير والمنبر والتخت والكرسي
- ٢١٧ السكة
- ٢٢٠ الخاتم
- ٢٢٢ الطراز
- ٢٢٣ القساطط والسياح
- ٢٢٤ المقصورة للصلاة والدعاء في الخطبة
- ٢٢٦ فصل في الحروب ومذاهب الامم في ترتيبها
- ٢٢٧ فصل في مذاهب أهل الكفر والفرق في الحروب ضرب المصاف ورواء  
عسكرهم الخ
- ٢٢٩ فصل ولما ذكرنا من ضرب المصاف ورواء العساكر وتأكد في قتال الكفر  
والفرصا رملوك المغرب يتخذون طائفة من الافرنج في جندهم الخ
- ٢٢٩ فصل وبلغنا ان أم الترك لهذا العهد قتالهم مناضلة بالسهم
- ٢٢٩ فصل وكان من مذاهب الاول في حروبهم حفر الخنادق على معسكرهم الخ
- ٢٢٣ فصل في الجباية وسبب قتلها وكثرتها
- ٢٢٤ فصل في ضرب المكوس أو آخر الدولة
- ٢٢٤ فصل في ان التجارة من السلطان مضرة بالزراعية مفسدة للعباية
- ٢٢٦ فصل في ان ثروة السلطان وحاشيته انما تكون في وسط الدولة
- ٢٢٧ فصل ولما يتوقعه أهل الدولة من أمثال هذه المعاطب صلاوا الكثر منهم  
ينزعون الى القرار عن الرتب والتخلص من ربة السلطان الخ
- ٢٢٩ فصل في أن نقص العظام من السلطان نقص في الجباية
- ٢٢٩ فصل في أن الظلم مؤذن بخراب العمران
- ٢٤١ فصل ومن أشد الظلامات وأعظمها في افساد العمران تكليف الاعمال  
وتضييع الزراعية بغير حق
- ٢٤٢ فصل وأعظم من ذلك في الظلم وفساد العمران والدولة التسلط على أموال  
الناس بشرا مما بين أيديهم بأجناس الاثمن
- ٢٤٣ فصل في الجباب كيف يقع في الدول وأنه يعظم عند الهرم

- ٢٤٤ فصل في انقسام الدولة الواحدة بدولتين
- ٢٤٥ فصل في أن الهرم اذا نزل بالدولة لا يرتفع
- ٢٤٦ فصل في كيفية طرق الخلل للدولة
- ٢٤٩ فصل في حدوث الدولة وتجددها كيف يقع
- ٢٤٩ فصل في أن الدولة المستجدة انما تستولى على الدولة المستقرة بالمطاوله  
لألمناجرة
- ٢٥٢ فصل في وفور العمران آخر الدولة وما يقع فيها من كثرة الموتان والجماعات
- ٢٥٣ فصل في أن العمران البشري لا بد له من سياسة منتظم بها أمره
- ٢٦٠ فصل في أمر الفاطسي وما يذهب اليه الناس في شأنه وكشف الغطاء عن ذلك
- ٢٧٥ فصل في ابتداء الدول والامم وفيه الكلام على الملاحم والكشف عن مسمى  
الجفر
- 
- ٢٨٦ الفصل الرابع من الكتاب الاقل في البلدان والامصار وسائر العمران  
وما يعرض في ذلك من الاحوال وفيه سوابق ولواحق
- 
- ٢٨٦ فصل في أن الدول أقدم من المدن والامصار وانها انما توجد ثالثة عن الملك
- ٢٨٧ فصل في أن الملك يدعو الى نزول الامصار
- ٢٨٨ فصل في أن المدن العظيمة والهياكل المرتفعة انما يبنيها الملك الكثير
- ٢٨٩ فصل في أن الهياكل العظيمة جنة الاستقل بينائها الدولة الواحدة
- ٢٩٠ فصل فيما يجب مراعاته في أوضاع المدن وما يحدث اذا غفل عن تلك المراجعة
- ٢٩٢ فصل وعما يراعى في تسليد الساحلية التي على البحر أن تكون في جبل  
أو تكون بين أقمم الامم الخ
- ٢٩٢ فصل في المساجد والبيوت العظيمة في العالم
- ٢٩٨ فصل في أن المدن والامصار بافر بقية والمغرب قليلة
- ٢٩٩ فصل في أن المباني والمصانع في الله الاسلامية قليلة بالنسبة الى قدرتها والى  
من كان قبلها من الدول
- ٣٠٠ فصل في أن المباني التي كانت تحتطها العرب يسرع اليها الخراب الا في الاقل
- ٣٠٠ فصل في مبادئ الخراب في الامصار
- ٣٠١ فصل في أن تفاضل الامصار والمدن في كثرة الرفه لاهلها ونفاذ الاسواق انما  
هو في تفاضل عمرانها في الكثرة والقلة

## ٣٠٣ فصل في أسعار المدن

٣٠٥ فصل في قصور أهل البادية عن سكنى المصر الكثير العمران

٣٠٥ فصل في أن الاقطار في اختلاف أحوالها بآفاقه والفقر مثل الامصار

٣٠٧ فصل في تأثر العقار والضياح في الامصار وحال فوائدها ومستغلاتها

٣٠٨ فصل في حاجات المتقاعين من أهل الامصار الى الجاه والمداخلة

٣٠٨ فصل في أن الحصار في الامصار من قبل الدول وأنه لا يخرج بتأصل الدولة

ورسوخها

٣١٠ فصل في أن الحصار غاية العمران ونهاية لعمره وأنها وذنة بشياد

٣١٣ فصل في أن الامصار التي تكون كراسي للملك تحرب بخراب الدولة واتقاضها

٣١٥ فصل في اختصاص بعض الامصار ببعض الصنائع دون بعض

٣١٥ فصل في وجود العصبية في الامصار وتقلب بعضهم على بعض

٣١٧ فصل في لغات أهل الامصار

٣١٨ الفصل الخامس من الكتاب الاول في المعاش ووجوهه من الكسب

والصنائع وما يمرض في ذلك كل من الاحوال وفيه مسائل

٣١٨ فصل في حقيقة الرزق والكسب وشرحه ما وأن الكسب هو قيمة الاعمال

البشرية

٣٢٠ فصل في وجوه المعاش وأصنافه ومذاهبه

٣٢١ فصل في أن الخدمة ليست من المعاش الطبيعي

٣٢١ فصل في أن استغناء الاموال من الدقائق والكنوز ليس بمعاش طبيعي

٣٢٥ فصل في أن الجاه مفيد للمال

٣٢٦ فصل في أن السعادة والكسب انما يحصل غالباً لأهل الخضوع والتلق وأن

هذا الخلق من أسباب السعادة

٣٢٨ فصل في أن القائلين بأمور الدين من القضاء والقضا والتدريس والامانة

والخطابة والاذان ونحو ذلك لا تعظم ثروتهم في الغالب

٣٢٩ فصل في أن الفلاحه من معاش المستضعفين وأهل انما فيه من البدو

٣٣٠ فصل في معنى التجارة ومذاهبها وأصنافها

٣٣٠ فصل في أي أصناف الناس يحترف بالتجارة وأيهم ينبغي له اجتناب حرفتها

٣٣١ فصل في أن خلق التجار نازلة عن خلق الاشراف والملوك

- ٢٢١ فصل في نقل التاجر للملح
- ٢٢٢ فصل في الاحتكار
- ٢٢٢ فصل في أن يخص الاسعار بمضربا مشترقا بين الرخص
- ٢٢٣ فصل في أن خلق البصرة نازلة عن خلق الروماء وبعيد عن المرواة
- ٢٢٤ فصل في أن الصنائع لا ينزلها من العلم
- ٢٢٥ فصل في أن الصنائع انما تكمل بكمال العمران الحضري وكثرته
- ٢٢٥ فصل في أن رسوم الصنائع في الامصار انما هو رسوم الحضارة وطول أمدها
- ٢٢٧ فصل في أن الصنائع انما تستجد وتكثر اذا كثر طلبها
- ٢٢٧ فصل في أن الامصار اذا حاربت الخراب انتفعت منها الصنائع
- ٢٢٧ فصل في أن العرب أبعد الناس عن الصنائع
- ٢٢٨ فصل في أن من حصلت له ملكة في صناعة فقل أن يجيد بعدها ملكة أخرى
- ٢٢٩ فصل في الاشارة الى أمتها الصنائع
- ٢٢٩ فصل في صناعة الفلاحة
- ٢٢٩ فصل في صناعة البناء
- ٢٤٢ فصل في صناعة التجارة
- ٢٤٣ فصل في صناعة الحياكة والنباغة
- ٢٤٤ فصل في صناعة التوليد
- ٢٤٦ فصل في صناعة الطب وانما يحتاج اليها في المواضر والا. صاردون البلدية
- ٢٤٨ فصل في أن الخط والكتابة من عداد الصنائع الانسانية
- ٢٥٢ فصل في صناعة الوراقة
- ٢٥٢ فصل في صناعة الفناء
- ٢٥٨ فصل في أن الصنائع تكسب صاحبها عقلا وخصوصا الكتابة والحساب
- 
- ٢٥٨ الفصل السادس من الكتاب الاول في العلوم وأصنافها والتعليم وطرقه
- وسائر وجوهه وما يعرض في ذلك كلام من الاحوال وفيه مقدمة ولواحق
- 
- ٢٥٨ فصل في أن العلم والتعليم طبيعي في العمران البشري
- ٢٥٩ فصل في أن التعليم للعلم من جملة الصنائع
- ٢٦٢ فصل في أن العلوم انما تكثر حيث يكثر العمران وتعمم الحضارة
- ٢٦٢ فصل في أصناف العلوم الواقعة في العمران لهذا العهد

## مصفحة

- ٣٦٥ علوم القرآن من التفسير والقراءات  
٣٦٨ علوم الحديث  
٣٧٢ علوم الفقه وما يتبعه من القرائن  
٣٧٦ علم القرائن  
٣٧٧ أصول الفقه وما يتعلق به من الجدل والخلافات  
٣٨٢ علم الكلام  
٣٩٠ علم التصوف  
٣٩٦ علم تصريف الرويا  
٣٩٩ العلوم العقلية وأصنافها  
٤٠٢ اليوم العددية  
٤٠٣ ومن فروع علم العدد صناعة الحساب  
٤٠٣ ومن فروع الجبر والمقابلة  
٤٠٤ ومن فروعه أيضا المعاملات  
٤٠٤ ومن فروعه أيضا القرائن  
٤٠٥ العلوم الهندسية  
٤٠٦ ومن فروع هذا الفن الهندسة المخصوصة بالاشكال الكروية والمخروطات  
٤٠٦ المتناظر من فروع الهندسة  
٤٠٦ ومن فروع الهندسة المساحة  
٤٠٦ علم الهيئة  
٤٠٧ ومن فروع علم الانزياح  
٤٠٨ علم المنطق  
٤١٠ الطبيعيات  
٤١١ علم الطب  
٤١٢ فصل في البادية من أهل العمران طب ينونه في غالب الامر على تجربة طامرة  
على بعض الأشخاص الخ  
٤١٢ الفلاحة  
٤١٣ علم الالهيات  
٤١٤ علم السحر والطلسمات









